

الفتوحات الإلهية

بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية

تأليف

الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي

الشهير بالجمل

المتوفى ١٢٠٤ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

إبراهيم شمس الدين

الجزء الخامس

المحتوى

من أول سورة مريم - إلى آخر سورة النمل



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة

Title : AL-FUTŪḤĀT AL-'ILĀHIYYA BITAWḌĪḤ TAFSĪR AL-JALĀLAYN LIL-DAQĀ'IQ AL-ḪAFIYYA

(AN EXPLANATION OF AL-JALALAYN'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN)

التصنيف : تفسير القرآن

Classification: Science of Exegesis of the Qur'an

المؤلف الإمام سليمان بن عمر العجيلي "الجمل" (ت ١٢٠٤ هـ)

Author : Al-Imam Sulayman ben Omar Al-Ojayli "Al-Jamal" (D 1204 H.)

المحقق إبراهيم شمس الدين

Editor : Ibrahim Shamseddin

الناشر دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (8Vols/8Parts) 3983 عدد الصفحات (٨أجزاء/٨مجلدات)

Size 17×24 cm قياس الصفحات

Year 2018 A.D - 1439 H. سنة الطباعة

Printed in Lebanon بلد الطباعة لبنان

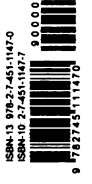
Edition 5th الطبعة الخامسة

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

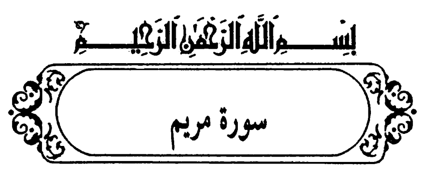
Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax : +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



ISBN-13 978-2-7451-1147-0
ISBN-10 2-7451-1147-7

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com



سورة مريم

مكية إلا سجدتها فمدنية أو إلا ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ الآيتين فمدنيتان وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ مفعول رحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدم غير مرة أن أسماء السورة وترتيبها وترتيب الآيات توقيفي، وفي بعض النسخ عليها السلام وهو غير ظاهر، لأن مريم هنا جزء علم فلا بمعنى له إلا أن يكون بحسب الأصل، أي: قبل جعله علماً ولم تذكر امرأة باسمها صريحاً في القرآن إلا مريم فذكرت فيه في ثلاثين موضعاً اهـ شيخنا.

قوله: (وإلا سجدتها) أي آيتها، وعبارة البيضاوي: إلا آية السجدة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كهيعص﴾ هذه الأحرف الخمسة يتعين في الكاف والصاد منها المد المطول باتفاق السبعة هو ثلاث ألفات، ويتعين في الهاء والياء المد الطبيعي باتفاقهم أيضاً وهو قدر ألف، ويجوز في العين المد المطول المذكور وقصره بقدر ألفين والقراءتان سبعيتان، ويتعين في النون من عين إخفاؤها في الصاد وغنها، ويجوز في الدال من صاد إظهارها في ذال ذكر والقراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) قال ابن عباس: هو اسم من اسماء الله تعالى. وقال قتادة: هو اسم من اسماء القرآن، وقيل: هو اسم الله الأعظم، وقيل: هو اسم السورة، وقيل: قسم أقسم الله به، وعن الكلبي: هو ثناء أثنى الله به على نفسه، وعنه: معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده. وعن ابن عباس قال: الكاف من كريم وكبير، والهاء من هاد، والياء من رحيم، والعين من عليم وعظيم، والصاد من صادق، وقيل: إنه من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وقد تقدم الكلام على ذلك في أول سورة البقرة اهـ خطيب.

قوله: ﴿ذكر﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره الشارح بقوله: (هذا) أي الذي نتلوه ونقرؤه عليك يا محمد ذكر الخ. أي: مشتمل على ذكر رحمة ربك الخ. أو ذكر بمعنى مذكور فيه أو ذو ذكر اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿ذكر رحمة﴾ الخ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره فيما يتلى عليكم ذكر. والثاني: انه خبر، محذوف المبتدأ تقديره المتلو ذكر أو هذا ذكر. الثالث: أنه خبر الحروف المقطعة، وهو قول يحيى بن زياد. قال أبو البقاء: وفيه بعد لأن الخبر هو المبتدأ في

﴿زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ بيان ﴿إِذْ﴾ متعلق برحمة ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً﴾ مشتملاً على دعاء ﴿خَفِيًّا ۝٣﴾ سراً جوف الليل لأنه أسرع للإجابة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ﴾ ضعف ﴿ٱلْعَظْمُ﴾ جميعه ﴿مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ مني ﴿شَيْبًا﴾ تمييز محول عن الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ أي بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ أي خائباً فيما مضى فلا تخيبني فيما يأتي ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ أي الذين يلونني في النسب كبني العم ﴿مِن

المعنى، وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة ولا في ذكر الرحمة معناها اهـ.

قوله: ﴿ذكر رحمة﴾ مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أي ذكر الله رحمة عبده زكريا، وقوله: ﴿رحمة ربك﴾ مضاف لفاعله ومفعوله عبده كما قال الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (مفعول رحمة) وهذه التاء لا تمنع من عمل المصدر لأنه مبني عليها، أي المقترن بها وضعاً فليست للوحدة والمرة، والتاء التي تمنع من عمله هي التي يؤتى بها للدلالة على المرة اهـ شيخنا.

قوله: (بيان له) أي عطف بيان له. قوله: (متعلق برحمة) أي هو ظرف زمان لها أي رحمة الله تعالى إياه وقت أن ناداه اهـ شيخنا.

قوله: (مشتملاً على دعاء) فالنداء أوله قوله: ﴿رب إني وهن العظم مني﴾ وآخره قوله: ﴿واجعله رب رضياً﴾ فجملة النداء ثمان جمل والدعاء منه هو قوله: ﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إني وهن العظم مني﴾ في المصباح: وهن يهن من باب وعد ضعف فهو واهن في الأمر والعمل والبدن، ووهنته أضعفته يتعدى ولا يتعدى في لغة فهو موهون البدن والعظم. والأجود أنه يتعدى بالهمزة فيقال: أوهنته. والوهن بفتحتين لغة في المدر، ووهن يهن بالكسر فيهما لغة. قال أبو زيد: سمعت من العرب من يقرأ فما وهنوا بالكسر اهـ.

وفي البيضاوي: وقرىء وهن بالضم ووهن بالكسر، ونظيره: كمل في الحركات الثلاث وتخصيص العظم لأنه دعامة البدن وأصل بنائه، ولأنه أصلب ما فيه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن وتوحيده لأن المراد به الجنس اهـ.

فقول الشارح: جميعه يشير به إلى أن أل للاستغراق اهـ.

قوله: (أي انتشر) تفسير لاشتعل، ففي الكلام استعارة حيث شبه انتشار الشيب وكثرته باشتعال النار في الخطب، واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر، وقوله: (في شعره) أي الرأس لأنه مذكر اهـ شيخنا.

قوله: (وإني أريد أن أدعوك) أي بقوله ﴿فهب لي من لدنك﴾ الخ، وهذا دخول على ما بعده وهو قوله: ﴿ولم أكن﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (فيما مضى) أي في الزمان الماضي أي: كنت يا الله في الزمان الماضي تجيبني ولا تخيب دعائي فلا تخيبني في الزمان الآتي، بل استجب مني دعائي إياك فيه اهـ شيخنا.

﴿وَرَآءِى﴾ أي بعد موتي على الدين أن يضيعوه كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا ۝٥﴾ ابنا ﴿يَرِثُنِى﴾ بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة ولياً ﴿وَيَرِثُ﴾ بالوجهين ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ جدي العلم والنبوة ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ أي مرضياً عندك، قال تعالى في إجابة طلبه الابن والحاصل به رحمته

فهذا توسل بما سلف له من الاستجابة، وتنبيه على أن المطلوب وإن لم يكن معتاداً فإجابته لدعائه معتادة، وأنه تعالى عوده بالإجابة وأطمعه فيها، ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه اهـ بيضاوي.

والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن إضافة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام، لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الإجابة بالمبالغة في التضرع، ولذلك قيل: إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فيدع الله تعالى بما يناسبه من أسمائه وصفاته اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإني خفت الموالي﴾ يعني بني عمه لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل، فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته ويبدلوا عليهم دينهم اهـ بيضاوي.

والموالي: جمع مولى وهو العاصب كما في المصباح. وفي الخازن: وإني خفت الموالي من ورائي أي: من بعد موتي، والموالي هم بنوا العم، وقيل: العصبة، وقيل: الكلالة، وقيل: جميع الورثة اهـ.

قوله: ﴿من ورائي﴾ متعلق بما تضمنه الموالي من معنى الفعل. أي: الذين يلون الأمر بعد ولا يتعلق بخفت لفساد المعنى اهـ سمين.

قوله: (على الدين) معمول خفت، وقوله: (من تبديل الدين) بيان لما. قوله: ﴿وكانت امرأتي﴾ وهي أشاع أخت حنة كلتاهما بنتا فاقود، فولد لأشاع يحيى، ولحنة مريم اهـ شيخنا.

قوله: (لا تلد) أي: لم تلد قط لا في صغرها ولا في كبرها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فهب لي من لدنك﴾ أي: لأن مثله لا يرجى إلا من فضلك، وكمال قدرتك، فإني وامرأتي لا نصلح للولادة اهـ بيضاوي.

قوله: (وبالرفع) صفة ولياً. والقراءتان سبعيتان، والثانية أظهر معنى لأنها تفهم أن الوصف من جملة المطلوب بخلاف قراءة الجزم اهـ شيخنا.

قوله: (العلم والنبوة) أي لا المال، لأن الأنبياء لا يورثون فيه اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى الخ) هذا يقتضي أن الخطاب من الله، وتقدم في سورة آل عمران ما يتقضي أنه من الملائكة، وهو قوله: الملائكة الخ. ويمكن أن يكون وقع له الخطاب مرتين مرة بواسطة الملائكة، وأخرى من غير واسطة اهـ شيخنا.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ يرث كما سألت ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ أي مسمى بيحيى ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾

قوله: (الحاصل به) نعت للابن على هذه النسخة فهو منصوب ونعت سببي للإجابة على نسخة بها فهو مجرور اهـ شيخنا.

قوله: (يا زكريا﴾ بالهمز وحذفه سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنا نبشرك بغلام﴾ وبين هذه البشارة ووجود الغلام في الخارج بالفعل ثلاث عشر سنة، كما تقدم في سورة آل عمران أن طلب زكريا للولد والبشارة به كان في صغر مريم وهي في كفالته، وأن الحمل بيحيى كان مقارناً للحمل بعيسى، وكانت مريم إذا ذاك بنت ثلاث عشرة سنة، وتقدم أن أشاع حملت بيحيى قبل حمل مريم بعيسى بستة أشهر اهـ شيخنا.

قوله: (يرث كما سألت) قد يستشكل بأنه سأل ولداً يرث منه، ولم يقع ذلك لقتل يحيى في حياة زكريا. والجواب: أن المراد وراثة العلم والنبوة ولو في حياة زكريا، وأن إجابة دعاء الأنبياء قد تتخلف لقضاء الله بخلاف يشهد له قول نبينا ﷺ: «سألت ربي أن لا يذيق أمتي بعضهم بأس بعض فمنعنيها»، وزكريا استجيب له إيجاد الولد لا الارث منه اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: وكان من قضائه تعالى أن وهبه يحيى نبياً مرضياً ولا يرثه، فاستجاب دعاءه في الأول دون الثاني حيث قتل قبل موت أبيه عليهما السلام على ما هو المشهور، وقيل: بقي بعده برهة فلا إشكال حينئذ اهـ.

قوله: (اسمه) مبتدأ، ويحيى خبره. والجملة صفة، وكذلك جملة لم نجعل له وتولى الله تسميته تعظيماً له وسماه بخصوص يحيى، لأن به حيي رحم أمه بعد موته بالعقم وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وتقول في تثنيته يحييان بيان رفعاً ويحيين بين نصباً وجراً على حد قوله:

آخر مقصور تثني اجعله يا الخ

وتقول في جمعه جمع سلامة يحيون رفعاً ويحيين نصباً وجراً على حد قوله:

واحذف من المقصور في جمع على ... حد المثنى ما به تكملا

وتقدم فيه زيادة بسط في سورة آل عمران اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سمياً﴾ أصله سميوا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء وهو فعيل بمعنى مفعول، كما أشار له بقوله: (أي مسمى يحيى) اهـ شيخنا.

قوله: (كيف) استفهام استبعاد بحسب العادة الإليهة لا استبعاده عن القدرة أو استفهام تعجب وسرور بهذا الأمر العجيب. وفي زاده: وهذا الاستفهام ليس للاستبعاد بل هو سؤال عن جهة حصول الولد، كأنه قال: هل تهبه لي من امرأتي ونحن على حالنا من الهرم والضعف، أو بأن تحولنا شابين، أو بأن تهبه لي من امرأة غيرها اهـ.

قوله: ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ أي: ولم تلد قط والجملة حال من الياء في لي، وكذا جملة قوله: ﴿وقد بلغت﴾ الخ اهـ شيخنا.

من عتا يبس أي نهاية السن مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانياً وتسعين سنة، وأصل عتي عتوو كسرت التاء تخفيفاً وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء ﴿ قَالَ ﴾ الأمر ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ من خلق غلام منكما ﴿ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أي بأن أراد عليك قوة

قوله: ﴿عتياً﴾ فيه أربعة أوجه: **أظهرها**: أنه مفعول به أي بلغت عتياً من الكبر، فعلى هذا من الكبر يجوز أن يتعلق ببلغت، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من عتياً لأنه في الأصل صفة له كما قررته لك. والثاني: أن يكون مصدراً مؤكداً لمعنى الفعل بلوغ الكبر في معناه. الثالث: أنه مصدر واقع موقع الحال من فاعل بلغت أي عاتياً أو ذا عتو. الرابع: أنه تمييز، وعلى هذه الأوجه الثلاثة من مزيدة ذكره أبو البقاء، والأول هو الأوجه اهـ سمين.

قوله: (من عتا يبس) فالعتو اليبس في العظم والعصب والجلد، **فقوله: (أي نهاية الخ)** تفسير باللازم اهـ شيخنا.

وفي المختار: عتا من باب سما وعتياً أيضاً بضم العين وكسرها وهو عات، فالعاتي المجاوز للحد في الاستكبار، وعتا الشيخ يعتو عتواً بضم العين وكسرها كبر وولي اهـ.

قوله: (عتوو) بضمتين، وقوله (كسرت الخ) أي وأما العين فهي باقية على الضم واشتمل كلامه على ثلاثة اعمال في الكلمة وهذا كله على قراءة غير حفص، وفي قراءته بكسر العين أيضاً اتباعاً لكسرة التاء، فتكون الأعمال أربعة، وتجري هاتان القراءتان فيما سيأتي في صلى وجثى. وفي البيضاوي: وأصله عتوو كقعود، فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولى ياء ثم قلبت الثانية وأدغمت اهـ.

قوله: ﴿كذلك﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدره الشارح فالوقف هنا، وقوله: (من خلق الخ) أشار به إلى أن التشبيه راجع للوعد في قوله: ﴿إنا نبشرك بغلام﴾ الخ، وقوله: ﴿هو عليّ هين﴾ دفع للاستبعاد الحاصل من زكريا بقوله: ﴿أنى يكون لي غلام﴾ وإنما أعيد قال ربك اهتماماً اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: ﴿قال﴾ أي الله تعالى أو الملك المبلغ للبشارة تصديقاً له وهو كما قال الكواشي جبريل عليه السلام وهو وإن لم يتقدم له ذكر إلا أنه من المعلوم والأكثر على أنه الله تعالى، لأن زكريا إنما كان يخاطب الله تعالى ويسأله بقوله: ﴿رب إني وهن العظم مني﴾، وبقوله: ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾، وبقوله: ﴿فهب لي﴾، وبقوله بعده: ﴿رب أنى يكون لي غلام﴾، فوجب أن يكون هذا النداء من الله تعالى لسلامته عن فك النظم، وقيل: هو من الملك لقوله: فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى، وأيضاً فإنه لما قال: وقد بلغت من الكبر عتياً قال: كذلك قال ربك هو علي هين، وهذا لا يجوز أن يكون كلام الله فوجب أن يكون كلام الملك. ويمكن أن يجاب كما أفاده شيخنا بأنه يحتمل أن يحصل النداءان نداء الله تعالى ونداء الملائكة، ويمكن أن يكون قوله: ﴿كذلك قال ربك﴾ من كلام الله تعالى، والقول بأن قوله قال كذلك قال ربك يقتضي أن القائل لذلك ملك مع الاعتراف بأن قوله ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام﴾ قوله الله، وقوله: ﴿هو علي هين﴾ قول الله تعالى فكيف يصح إدراج هذه الألفاظ فيما بين هذين القولين، والأولى أن يقال قائل هذا القول

الجماع وأفتق رحم امرأتك للعلوق ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ قبل خلقك ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي تمنع من كلامهم بخلاف ذكر الله ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ أي بأيامها كما في آل عمران ثلاثة أيام ﴿سَوِيًّا﴾ حال من فاعل تكلم أي بلا علة ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي المسجد وكانوا

أيضاً هو الله تعالى كما أن الملك المعظم إذا وعد عبده شيئاً عظيماً فيقول العبد من أين يحصل لي هذا، فيقول: إن سلطانك ضمن لك بذلك كأنه ينبهه بذلك على أن كونه سلطاناً مما يوجب عليه الوفاء بالعهد فكذلك هنا اهـ.

قوله: (من خلق غلام منكما) أي: وأنتما على حالكما اهـ.

قوله: (وأفتق) من باب نصر أي أشق، وقوله: (للعلوق) بفتح العين أي المني، فالعلوق بوزن صبور كما قال القاري اهـ شيخنا.

والظاهر أنه لا يتعين بل يصح ضم العين مصدراً تأمل. قوله: ﴿وقد خلقتك﴾ الخ الجملة حال. قوله: (ولإظهار الله الخ) أي: ولإرادة إظهار الله الخ وهذا علة مقدمة على معلولها وهو قوله: (ألهمه الخ). وقوله: (ليجاب الخ) متعلق بالسؤال أي ألهمه لإظهار الخ. وسأله ليجاب اهـ شيخنا.

قوله: (ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به) ﴿قال رب﴾ الخ أي: ليبادر إلى الشكر ويتعجل السرور، إذ الحمل لا يظهر في أول العلوق فأراد معرفته أول وجوده، فجعل الله آية وجوده عجزه عن كلام الناس فلا يرد السؤال كيف طلب العلامة على وجود الولد بعد أن بشره الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: (أي تمتنع) أي قهراً، وفي نسخة أي تمنع. قوله: (أي بأيامها) إنما تعرض لهذا لأن الليالي الثلاث قد تكون من يومين لأن الليل سابق النهار، فحينئذ يحصل التعارض بين ما هنا وبين الآية الأخرى، فأشار إلى الجمع بينهما بزيادة هذه الضميمة هنا واستند في زيادتها للآية الأخرى، وإنما عبّر هنا بالليالي وهناك بالأيام، لأن هذه السورة مكية والمكي سابق على المدني والليل سابق على النهار فأعطى السابق للسابق، وسورة آل عمران مدنية والمدني متأخر عن المكي والنهار متأخر عن الليل فأعطى المؤخر للمؤخر اهـ شيخنا.

قوله: (أي بلا علة) أي فيك وفي أعضائك أي وأنت سليم وأعضاؤك سليمة، فهذا المنع من الكلام بمحض قدرة الله تعالى لا لسبب قام بك اهـ شيخنا.

وعن ابن عباس: أن سوياً من صفة الليالي بمعنى أنها كاملات، فيكون نصبه على النعت للظرف اهـ سمين.

قوله: ﴿فخرج على قومه﴾ أي: خرج متغير اللون عاجزاً عن الكلام، فأنكروا ذلك عليه وقالوا له ما لك؟ فأوحى إليهم أي فأومأ وأشار إليهم، وقيل كتب لهم على الأرض أن سبحوا الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿من المحراب﴾ في القاموس: المحراب الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الإمام

ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى وبعد ولادته بسنتين، قال تعالى له ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ النبوة ﴿صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ ابن ثلاث سنين ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمة للناس ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَوٰةً﴾ صدقة

من المسجد والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس، ومحاريب بني إسرائيل مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها اهـ.

وفي الشهاب: وأما المحراب المعروف الآن وهو طاق مجوف في حائط المسجد يصلي فيه الإمام فهو محدث لا تعرفه العرب، فتسميته محراباً اصطلاح للفقهاء اهـ.

وقوله: اصطلاح للفقهاء ممنوع، بل هو معنى لغوي إذ هو من أفراد المعنى اللغوي الذي ذكره في القاموس بقوله: ومقام الإمام من المسجد اهـ.

قوله: (أي المسجد) أي موضع الصلاة، **وقوله: (وكانوا ينتظرون الخ)** فكان هو مقيماً به ولا يفتحه إلا وقت الصلاة ولا يدخلونه إلا بإذنه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن سبحوا﴾ يجوز في أن أن تكون مفسرة لأوحى، وأن تكون مصدرية مفعولة بالإيحاء وبكرة وعشياً ظرفا زمانٍ للتسبيح وانصرفت بكرة لأنه لم يقصد بها العلمية، فلو قصد بها العلمية امتنعت من الصرف. وسواء قصد بها وقت بعينه نحو: لأسيرن الليلة إلى بكرة أو لم يقصد نحو: بكرة وقت نشاط لأن علميتها جنسية كأسامة، ومثلهافي ذلك كله غدوة اهـ سمين.

والبكرة: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والمراد بالصلاة في هذين الوقتين صلاة الصبح وصلاة العصر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يا يحيى خذ الكتاب﴾ هذا مرتب على مقدر أشار له الشارح بقوله: **(فعلم بمنعه الخ)**: فحملت به ووضعته ومضى عليه سنتان، فقال له: يعني على لسان الملك كما قاله أبو حيان يا يحيى إلخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿خذ الكتاب﴾ أي: اشتغل به حفظاً وفهم معنى وعملاً بأحكامه، **وقوله: ﴿بقوة﴾** حال من فاعل خذ، والباء للملابسة أي حال كونك ملتبساً بقوة واجتهاد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وآتيناه الحكم﴾ مستأنف. **قوله: (ابن ثلاث سنين)** وذلك لأن الله تعالى أحكم عقله وأوحى إليه، فإن قلت: كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوّة حال الصبا؟ قلت: لأن أصل النبوّة مبني على خرق العادات إذا ثبت هذا فلا تمتنع صيرورة الصبي نبياً، وقيل: أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير، وعن بعض السلف: من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبياً اهـ خازن.

قوله: ﴿وحناناً﴾ معطوف على الحكم أي وآتيناه أي أعطيناه حناناً، أي رحمة ورقة في قلبه وتعطفاً على الناس، **وقوله: ﴿وزكاة﴾** معطوف عليه أيضاً أي: وآتيناه زكاة أي صدقة أي تصدقاً على

عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ أي محسناً إليهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبراً ﴿عَصِيًّا ۝١٤﴾ عاصياً لربه ﴿وَسَلَامٌ﴾ منا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾ أي في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها فهو آمن فيها ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ أي خبرها ﴿إِذِ﴾ حين ﴿انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦﴾ أي اعتزلت في

الناس أي: أعطيناه توفيقاً للتصدق عليهم اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وحناناً من لدنا ورجمة منا عليه أو رحمة وتعطفاً في قلبه على أبويه وغيرهما عطف على الحكم وزكاة أي وطهارة من الذنوب أو صدقة أي: تصدق الله به على أبويه مكنه ووفقه للتصدق على الناس اهـ.

قوله: ﴿وكان تقياً﴾ أي بطبعه، ومن جملة تقواه أنه كان يتقوت بالعشب وكان كثير البكاء فكان لدمعه مجاري على خده اهـ شيخنا.

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿وكان تقياً﴾ وهذا ابتداء تكليف؟ فالجواب: أنه إنما خوطب بذلك محمد ﷺ وأخبر عن حاله حيث كان كما أخبر عن نعم الله تعالى عليه اهـ كرخي.

قوله: (ولم يهم بها) من باب رد، وفي المختار: وهم بالشيء أراده وبابه رد اهـ.

قوله: ﴿عصياً﴾ صيغة مبالغة، وأشار الشارح إلى أن المراد أصل الفعل فالمنفي أصل العصيان لا المبالغة فيه، وأصل عصياً عصييا بوزن فعيل أدغمت الياء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وسلام عليه﴾ أي أي أمان كما أشار له بقوله: (فهو آمن فيها) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يوم ولد﴾ أي من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم، وقوله: ﴿ويوم يموت﴾ أي من عذاب القبر، وقوله: ﴿ويوم يبعث حياً﴾ أي من هول الموقف، فهذه الأحوال قد أشار لها الشارح بقوله: (التي يرى فيها ما لم ير قبلها) اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (أي في هذه الأيام الخ) أشار به إلى أن حكمة السلام عليه في هذه الأيام أنها مواطن الخوف، والسلام هو الأمن من الله فآمنه فيها، وقاله هنا في قصة يحيى منكراً، وقاله بعد في قصة عيسى والسلام معرفاً. لأن الأول من الله كما أشار إليه والقليل منه كثير، والثاني من عيسى وأل للاستغراق أو للعهد كما في قوله تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول﴾ [المزمل: ١٦] أي ذلك السلام الموجه إلى يحيى موجه إلي كما سيأتي إيضاحه اهـ.

قوله: ﴿مريم﴾ على حذف مضاف كما قدره الشارح بقوله (أي خبرها) أي قصتها، وقوله: ﴿إذ انتبذت﴾ ظرف لهذا المقدر، وليس المراد خصوص الخبر الواقع في وقت الانتباذ بل هو وما بعده إلى آخر القصة، وقوله: ﴿فاتخذت﴾ فأرسلنا فتمثل معطوفات على انتبذت اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿إذ انتبذت﴾ في إذ أوجه، أحدها: أنها منصوبة باذكر على أنها خرجت عن الظرفية، إذ يستحيل أن تكون باقية على مضيها والعامل فيها ما هو نص في الاستقبال. والثاني: أنها منصوب بمحذوف مضاف لمريم تقديره واذكر خبر مريم أو نبأها إذا انتبذت فإذ منصوبة بذلك الخبر

مكان نحو الشرق من الدار ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أرسلت ستراً تستتر به لتفلي رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ تام الخلق ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ فتنتهي عني بتعوذي ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠

أو النبأ. الثالث: أنها بدل من مريم بدل اشتمال. قال الزمخشري: لأن الأحيان مشتملة على ما فيها لأن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها لوقوع هذه القصة العجيبة فيه اهـ.

قوله: ﴿مكاناً شرقياً﴾ منصوب على الظرفية كما أشار له بقوله (في مكان)، ويصح أن يكون مفعولاً به على أن المعنى انتبذت أتـت مكاناً كما في السمين. وفي المصباح ما يؤيده ونصه: وانتبذت مكاناً اتخذته بمعزل يكون بعيداً عن القوم اهـ.

قوله: (من الدار) أي دارها. قوله: (لتفلي) بوزن ترمي لأنه من باب رمى يرمي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ أي ليبشرها بالغلام ولينفخ فيها فتحمل به، وقوله: ﴿فتمثل لها﴾ أي ظهر لها في صورة بشر تام الخلقة حسن الصورة أمرد جميلاً وإنما ظهر لها في صورة البشر دون الملك لتأنس به ولا تنفر منه فتفهم كلامه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿روحنا﴾ (جبريل) عليه السلام أي: لأن الدين يحيا به ويوحيه أو سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريباً، كما تقول لحبيبك: أنت روحي، قاله في الكشاف. قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: فإن قلت: كيف قال الله تعالى ذلك مع اتفاق العلماء على أن الوحي لم ينزل على امرأة، ولهذا قالوا في قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ [القصص: ٧] أنه وحي الهام وقيل: وحي منام؟ قلت: لا نسلم أن الوحي لم ينزل على امرأة، فقد قال مقاتل في قوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ أنه كان وحياً بواسطة جبريل، والمتفق عليه أن المنفي وحي الرسالة لا مطلق الوحي، والوحي هنا إنما هو بشارة الولد لا بالرسالة اهـ كرخي.

قوله: ﴿فتمثل لها﴾ قد تكلموا في كيفية تمثله، فقال إمام الحرمين: يفني الله تعالى الزائد من خلقه أو يزيله عنه ثم يعيده إليه. يعني أن له أجزاء أصلية كما في الإنسان وأجزاء زائدة، وجزم ابن عبد السلام بالإزالة دون الفناء. وقال ابن حجر: إن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى، بل يخفيه الله تعالى عن الرائي فقط اهـ كرخي.

قوله: ﴿سوياً﴾ أي لم ينقص من الصورة البشرية شيئاً اهـ خازن.

وبشراً حال من فاعل تمثل، وسوغ وقوع الحال جامدة وصفها، فلما وصفت النكرة وقعت حالاً اهـ سمين.

وفي البيضاوي: فتمثل لها بشراً سوياً قيل: قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها، وكانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت، فبينما هي في مغتسلها أتاها جبريل متمثلاً بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتأنس بكلامه، ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها اهـ.

رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ بالنبوة ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ بتزوج ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ زانية ﴿ قَالَ ﴾ الأمر ﴿ كَذَٰلِكِ ﴾ من خلق غلام منك من غير أب ﴿ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ

قوله: ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك﴾ خصت الرحمن بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه اهـ شهاب.

قوله: ﴿إن كنت تقياً﴾ أي: إن كنت عاملاً بمقتضى تقواك وإيمانك، وجواب الشرط محذوف أي: فاتركني وانته عني، وقدره الشارح فعلاً مضارعاً مرفوعاً مقروناً بالفاء، فيجب أن يكون على تقدير المبتدأ ليكون الجواب جملة اسمية حتى يسوغ قرنه بالفاء أي فأنت تنتهي عني اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليهب لك﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو ليهب بالياء، والباقون لأهب بالهمزة فالأولى الظاهر فهيا أن الضمير للرب أي ليهب الرب لك غلاماً، وقيل الأصل لأهب بالهمزة، وإنما قلبت الهمزة ياء تخفيفاً لأنها مفتوحة بعد كسرة فتتفق القراءتان وفيه بعد، وأما الثانية فالضمير للمتكلم والمراد به الملك وأسنده لنفسه لأنه سبب فيه، ويجوز أن يكون الضمير لله تعالى ويكون على الحكاية بقول محذوف، ويقوي الذي قبله أن في بعض المصاحف أمرني أن أهب لك اهـ سمين.

قوله: ﴿زكياً﴾ أي: طاهراً. قوله: ﴿ولم يمسسني﴾ أي: والحال وقوله (بتزويج) أشار به إلى أن الجواب عما قاله الإمام أن قولها لم يمسسني بشر يدخل تحته ولم أك بغياً، ولذا اقتصر عليه في سورة آل عمران. وإيضاحه، كما في الكشاف أنه جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه كقوله تعالى من قبل: ﴿أن تمسوهن﴾ [الأحزاب: ٤٩] والزنا ليس كذلك، وإنما يقال فيه فجربها وحنث بها وما أشبه ذلك وليس بحقيق أن تراعي فيه الكنايات والآداب، ولم تقل بغية مع أنه وصف لمؤنث لما قاله ابن الأنباري من أن بغياً غالب في النساء قلما تقول العرب رجل بغي أي لم يلحقوا به علامة التأنيث فتركوا التاء فيه إجراء له مجرى حائض وعاقر، أو هو فعيل بمعنى فتركوا التاء فيه كما في قوله تعالى: ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦] أو لموافقة الفواصل، وإنما تعجبت مما بشرها به جبريل لأنها عرفت بالعادة أن الولادة أن لا تكون إلا من رجل، والعادات عند أهل المعرفة معتبرة في الأمور، وإن جوزنا خلاف ذلك في القدرة فليس في قولها هذا دلا على أنها لم تعلم أنه تعالى قادر على خلق الولد ابتداء، كيف وقد عرفت أنه تعالى خلق أبا البشر على هذا الحد، ولأنها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون كذلك لا بد أن يعرف قدرة الله تعالى على ذلك اهـ كرخي.

وقوله: ﴿بغياً﴾ أصله بغوياً بزنة فعول اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما وهي الواو بالسكون فقلبت ياء على القاعدة، وأدغمت في الياء وكسرت الغين لتصح الياء، فلما كان بزنة فعول لم تلحقه التاء كما قال:

ولا تلي فارقة فعولاً أصلاً ولا المفعال والمفعيلا

اهـ شيخنا.

قوله: (الأمر) مبتدأ، وقوله: ﴿كذلك﴾ خبر فالوقف هنا وقوله: ﴿قال ربك﴾ الخ بمنزلة التعليل كأنه قيل: الأمر كذلك لأنه علينا هين ولنجعله الخ، وهذا ما أشار له بقوله: ولكون ما ذكر الخ اهـ شيخنا.

هَيِّنٌ﴾ أي بأن ينفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به، ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ به في علمي، فنفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل في بطنها مصوراً ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ﴾ تنحت ﴿بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ بعيداً من أهلها ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ جاء بها

قوله: (فتحملي) في المختار: حمل الشيء على ظهره وحملت المرأة والشجر الكل من باب ضرب اهـ.

قوله: (ولكون ما ذكر) أي: قوله ﴿هو علي هين﴾، وقوله: (في معنى العلة) أي لما قبله من قوله (قال كذلك) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿آية للناس﴾ (على قدرتنا) أي: على كمال قدرتنا على أنواع الخلق، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى اهـ كرخي.

قوله: ﴿أمراً مقضياً﴾ أي لا يتغير ولا يتبدل اهـ خازن.

قوله: (فنفخ جبريل) أي نفخة وصلت إلى فرجها ودخلت منه جوفها. وهذا هو المراد بقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ [الأنبياء: ٩١] أي في فرجها بواسطة النفخ في جيب قميصها، وليس المراد أنه نفخ في فرجها مباشرة اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: فنفخ في جيب درعها وهو بعيد عنها، فوصل الهواء إلى جيب قميصها انتهت.

قوله: (في جيب) أي طوق درعها أي قميصها اهـ.

قوله: ﴿فأنتبذت به﴾ أي: فاعتزلت وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال اهـ بيضاوي.

يعني: أن الباء للملابسة والمصاحبة لا للتعدية، والجار والمجرور ظرف مستقر وقع حالاً أي: مصاحبة وحاملة اهـ شهاب.

قوله: ﴿مكاناً قصياً﴾ أي بعيداً من أهلها. قال ابن عباس: أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فراراً من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج. قال ابن عباس: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة، وقيل: حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومه، وقيل: كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل النساء، وقيل: كان مدة حملها ثمانية أشهر، وذلك أنه أحرى وأقوى في الدلالة على قدرة الله لأنه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش. وقيل: ولد لستة أشهر وهي بنت عشر سنين، وقيل ثلاث عشرة سنة، وقيل: ست عشرة سنة، وكانت قد حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى. وقال وهب: إن مريم لما حملت بعيسى كان لها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا إذ ذاك منطلقين إلى المسجد الذي يمنة جبل صهيون، وكانت مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهاداً منهما، وأول من علم بمريم

﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ لتعتمد عليه فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة ﴿قَالَتْ﴾ للتنبيه ﴿يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا﴾ الأمر ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ شيئاً متروكاً لا يعرف

يوسف المذكور فبقي متحيراً في أمرها كلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وأنها لم تغب عنه، وإذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل، فأول ما تكلم به أن قال: قد وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرأيت أن أتكلم به أشفي صدري، فقالت: قل قولاً جميلاً، قال: أخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر، وهل ينبت شجر من غير غيث، وهل يكون ذلك من غير ذكر؟ قالت: نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، ألم تعلم أن الله أنبت الشجر بالقدرة من غير غيث أو تقول إن الله تعالى لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء، لولا ذلك لم يقدر على إنباتها، قال يوسف: لا أقول هذا ولكني أقول: إن الله يقدر على ما يشاء يقول له كن فيكون. قالت مريم: ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى. فعند ذلك زال ما في نفسه من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل، فلما دنت ولادتها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك، فذلك قوله تعالى: ﴿فانتبذت به مكاناً قصياً﴾ اهـ خازن.

قوله: ﴿فأجاءها المخاض﴾ يقال جاء وأجاء لغتان بمعنى واحد، وقوله: (جاء بها) أي ألجاها إلى جذع النخلة، والأصل في جاء أن يتعدى لواحد بنفسه، فإذا دخلت عليه الهمزة كان القياس يقتضي تعديته لاثنين إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل فصار بمعنى ألجأه إلى كذا اهـ شيخنا.

قوله: (لتعتمد عليه) فاعتمدت عليه بصدرها وقيل: احتضنته وكان جذعاً يابساً لا رأس له، فلما اعتمدت عليه اخضر وأطلع الجريد والخوص والثمر رطباً في وقت واحد، كما أن حمل عيسى وتصويره وولادته في وقت واحد اهـ شيخنا.

وكان الوقت شديد البرد اهـ خازن.

والمستفيض والمشهور أن ولادة عيسى عليه السلام كانت ببيت لحم، وأنها لما هربت وخافت عليه اسرعت به وجاءت به إلى بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد، وهي الآن موجودة تزار بحرم بين المقدس، ثم بعد أيام توجهت به إلى بحر الأردن فغمسته فيه وهو اليوم الذي يتخذه النصارى عيداً ويسمونه يوم الغطاس، وهم يظنون أن المياه في ذلك اليوم تقدست، فلذلك يغطسون في كل ماء. ومن زعم أنها ولدت بمصر قال بكورة اهناس فلم يثبت اهـ من البحر لأبي حيان واهناس بجانب البهنسا اهـ.

قوله: ﴿يا﴾ (للتنبيه) أي: لأن المنادى غير عاقل ليتني مت قبل هذا الأمر تمنت الموت من جهة الدين إذ خافت أن يظن بها السوء في دينها أو استحياء من الناس، فأنساها الاستحياء بشارة الملائكة بعيسى، أو لعلها قالت ذلك لئلا تقع المصيبة بمن يتكلم فيها، وإلاّ فهي راضية بما بشرت به فلا يرد السؤال كيف تمنت الموت مع أنها كانت تعلم أن الله تعالى بعث لها جبريل عليه السلام ووعدها بأن يجعلها وولدها آية للعالمين اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكنت نسياً﴾ بكسر النون وقرىء نسياً بفتحها وهما بمعنى كالوتر بفتح الواو والوتر

ولا يذكر ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ أي جبريل وكان أسفل منها ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ نهر ماء كان انقطع ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ كانت يابسة والباء زائدة ﴿تُسَٰقِطْ﴾ أصله بتاءين قلبت

بكسرها، والنسي بمعنى المنسي كالذبح بمعنى المذبوح فقوله: ﴿منسياً﴾ تأكيد، وقوله: (شيئاً متروكاً الخ) أي شيئاً حقيراً كالوتد وقطع الحبل وخرق الحيض من كل شيء حقير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فناداها﴾ أي خاطبها من تحتها بكسر من وفتحها سبعيتان، فقوله: (أي جبريل) تفسير لمن على الفتح وللضمير المستتر في نادى على الكسر، وقوله: (أن لا تحزني) أن مفسرة ولا ناهية، وقوله: (وقد جعل الخ) بمنزلة العلة اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿من تحتها﴾ قرأ الأخوان، ونافع، وحفص بكسر ميم من وجر تحتها، والباقون بفتحها ونصب تحتها. فالقراءة الأولى تقتضي أن يكون الفاعل في نادى مضمراً وفيه تأويلان، أحدهما: هو جبريل ومعنى كونه من تحتها أنه في مكان أسفل منها، ويدل على ذلك قراءة ابن عيسى فناداها ملك من تحتها فصرح به. ومن تحتها على هذا فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق بالنداء أي جاء النداء من هذه الجهة. والثاني: أنه حال من الفاعل أي فناداها وهو تحتها. وثاني التأويلين: أن الضمير لعيسى أي فناداها المولود من تحت ذيلها، والجار فيه الوجهان من كونه متعلقاً بالنداء أو بمحذوف على أنه حال، والثاني أوضح. والقراءة الثانية فتكون فيها من موصولة والظرف صلتها والمراد بالموصول إما جبريل وإما عيسى، وقوله: ﴿أن لا تحزني﴾ يجوز في أن أن تكون مفسرة لأنه تقدم عليها ما هو بمعنى القول، ولا على هذا ناهية وحذفت النون للجازم، وأن تكون الناصبة ولا حينئذ نافية وحذفت النون للناصب، ومحل أن إما نصب أو جر لأنها على حذف حرف الجر أي: فناداها بكذا والضمير في تحتها إما لمريم وإما للنخلة، والأول أولى لتوافق الضميرين اهـ بحروفه.

قوله: ﴿قد جعل ربك تحتك﴾ أي قربك سرياً وسمي النهر سرياً لأن الماء يسري فيه، وقوله: (كان انقطع) أي ثم جرى وامتلأ ماء ببركة عيسى وأمه اهـ شيخنا.

وفي المصباح: والسري الجدول وهو النهر الصغير والجمع سريان مثل رغيف ورغفان والسري الرئيس، والجمع سراة وهو عزيز لا يكاد يوجد له نظير لأنه لا يجمع فعيل على فعلة، وجمع السراة سروات، وسرياً: يجوز أن يكون مفعولاً أول، وتحتك مفعولاً ثانياً لأن جعل بمعنى صير، ويجوز أن يكون بمعنى خلق فيكون تحتك لغواً. والسري فيه قولان، أحدهما: أنه الرجل المرتفع القدر من سر ويسر وكشرف يشرف فهو سري وأصله سريو فأعل إعلال سيد فلامه واو والمراد به الآية عيسى عليه السلام، وقيل: السري من سريت الثوب أي نزعته، وسررت الحبل عن الفرس أي نزعته كأن السري سرى ثوبه بخلاف المدثر والمزمل قاله الراغب. والثاني: أنه النهر الصغير ويناسبه فكلي واشربي واشتقاقه من سرى يسري لأن الماء يسري فيه فلامه على هذا ياء اهـ سمين.

قوله: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾ يجوز أن تكون الباء في بجذع زائدة كهي في قوله تعالى ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾ [البقرة: ١٩٥] ويجوز أن يكون المفعول الثاني محذوفاً، والجار والمجرور حال من ذلك المحذوف تقديره: وهزي إليك رطباً كائناً بجذع النخلة اهـ سمين.

الثانية سيناً وأدغمت في السين وفي القراءة تركها ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا﴾ تمييز ﴿جَنِيًّا﴿٢٥﴾﴾ صفته ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَٱشْرَبِي﴾ من السري ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالولد تمييز محول من الفاعل أي لتقر عينك به أي تسكن فلا تطمح إلى غيره ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿تَرَيِنَّ﴾ حذفت منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿مِنَ ٱلْبَشَرِ

قوله: (وفي قراءة تركها) أي ترك التاء الثانية يعني مع تخفيف السين وفتح القاف، والقراءتان سبعيتان وبقي أخرى سبعية وهي ضم التاء وكسر القاف. تساقط بمعنى تسقط فرطباً عليها مفعول به، وقوله تمييز أي محول عن الفاعل، والأصل يتساقط عليك رطبها وكونه تمييزاً إنما هو على القراءتين اللتين في الشارح دون الثالثة فإنه عليها مفعول به كما علمت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رطباً جنياً﴾ الجني ما طاب وصلح للاجتناء وهو فعيل بمعنى فاعل أي طرياً اهـ سمين.

أي: يستحق أن يجنى اهـ.

قوله: ﴿وقري عيناً﴾ أي طيبي نفساً ووطنيها وارفضي عنها ما أحزنك وعيناً نصب على التمييز منقول من الفاعل إذا الأصل لتقر عينك، والعامة على فتح القاف من قري أمر من قرت تقر بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع، وقرىء بكسر القاف وهي لغة نجد يقولون: قرت عينه تقر بفتح العين وفي الماضي وكسرها في المضارع. وفي وصف العين بذلك تأويلان، أحدهما: أنه مأخوذ من القر وهو البرد، وذلك أن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها قاراً أي بارداً، وإذا حزن كان دمعها حاراً، ولذلك قالوا في الدعاء عليه: أسخن الله عينه. والثاني: أنه مأخوذ من الاستقرار. والمعنى أعطاه الله ما يسكن عينه فلا تطمح إلى غيره اهـ سمين.

وفي المصباح: وقرت العين من باب ضرب قرة بالضم وقروراً بردت سروراً. وفي لغة أخرى من باب تعب، وأقر الله العين بالولد وغيره إقراراً في التعدية اهـ.

قوله: (أي تسكن) أي: فهو من القرار بمعنى الاستقرار، أي السكون وعدم الحركة، وقوله: (فلا تطمح) أي تلتفت إلى غيره ككلام الناس في شأنها أي فلا تشتغلي به بل بولدك اهـ شيخنا.

قوله: (حذفت منه لام الفعل) فأصلة ترأيين بهمزة هي عين الفعل وياء مكسورة هي لامه، وأخرى ساكنة هي ياء الضمير والنون علامة الرفع وطريق حذف اللام أنها تحركت، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فالتقت ساكنة مع ياء الضمير فحذفت لالتقاء الساكنين، وقوله: (وعينه) وهي الهمزة لكن بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها وهو الراء التي هي الفاء، فلو قدم قوله: (وألقيت حركتها) على قوله: (وعينه) لكان أوضح، وقوله: (وكسرت ياء الضمير الخ) أي بعد حذف نون الرفع للجازم، وهو إن الشرطية وإدخال نون التوكيد الثقيلة، فالساكنان هما ياء الضمير والنون الأولى من نوني التوكيد فإنها بنونين، فصار وزن الفعل تفين فلم يبق من أصوله إلا الفاء. والحاصل أن الأعمال ستة أو سبعة: قلب الباء ألفاً، ثم حذفها، ثم نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وحذفها، ثم حذف نون الرفع، ثم إدخال نون التوكيد ثم تحريك ياء الضمير اهـ شيخنا.

﴿أَحَدًا﴾ فسألك عن ولدك ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ أي إمساكاً عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسي بدليل ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ۝٢٦﴾ أي بعد ذلك ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ﴾ حال، فرأوه ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ۝٢٧﴾ عظيماً حيث أتيت بولد من غير أب ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ هو

قوله: ﴿فقولي إني نذرت﴾ الخ بين هذا الجواب وشرطه جملة محذوفة، والتقدير: فإما ترين من البشر أحداً فسألك الكلام فقولي، وبهذا المقدر يتخلص من إشكال وهو أن قولها فلن أكلم اليوم إنسياً كلام فيكون ذلك تناقضاً لأنها قد كلمت أنسياً بهذا الكلام، وجوابه ما تقدم، وقيل: المراد بقوله ﴿فقولي﴾ أي بالإشارة وليس بشيء، بل المعنى فلن أكلم اليوم إنسياً بعد هذا الكلام اهـ سمين.

قوله: ﴿صوماً﴾ أي صمتاً. قيل: كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الكلام فلا يتكلم حتى يمسي، وقيل: إن الله أمرها أن تقول هذا القول نطقاً ثم تمسك عن الكلام بعده، وإنما منعت من الكلام لأمرين، أحدهما: أن يكون عيسى عليه الصلاة والسلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها في إزالة التهمة عنها، وفي هذا دلالة على تفويض الكلام إلى الأفضل. والثاني: كراهة مجادلة السفهاء، وفيه أن السكوت عن السفيه واجب اهـ خازن.

قوله: (مع الأناسي) أي لا مع الله كالذكر ولا مع الملائكة. وفي الخازن: يقال إنها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس اهـ.

والأناسي بفتح الهمزة جمع إنسي أو جمع إنسان، وأصله على هذا أناسين فقلبت النون ياء وأدغمت الياء في الياء اهـ من كلامه في سورة الفرقان وسيأتي هناك مزيد بسط لذلك. قوله: (أي بعد ذلك) أي بعد ذلك القول أي قولها: إني نذرت للرحمن صوماً اهـ.

قوله: ﴿فأتت به﴾ أي من المكان القصي الذي اعتزلت فيه للوضع. قيل: في يوم الوضع، وقيل: بعد أن طهرت من نفاسها بعد أربعين يوماً، وقوله: (فرأوه) أي أبصروه معها اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: واختلفوا في كيفية إتيانها به، فقيل: ولدته ثم حملته في الحال إلى قومها، وقيل: احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار ومكثت أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها ثم حملتها إلى قومها، فكلمها في الطريق فقال: يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين اهـ.

قوله: ﴿تحمله﴾ في محل نصب على الحال من فاعل أتت أي أتت مصاحبة له نحو: جاء زيد بثيابه أي ملتبساً بها، ويجوز أن تكون حالاً من الهاء في به اهـ سمين.

قوله: ﴿لقد جئت﴾ أي فعلت وارتكبت شيئاً فرياً مأخوذ من فريت الجلد قطعته أي شيئاً قاطعاً وخارقاً للعادة التي هي الولادة بواسطة الأب اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: فرياً شيئاً مفعول به أي فعلت أو مصدر أي نوعاً من المجيء غريباً، والفري العظيم من الأمر يقال في الخير والشر، وقيل: الفري العجيب، وقيل: المفتعل. ومن الأول الحديث في وصف عمر رضي الله عنه: فلم أر عبقرياً يفري فريه، والفري قطع الجلد للخرز والإصلاح والإفراء إفساده. في المثل: جاء يفري الفري أي يعمل العمل العظيم اهـ.

رجل صالح أي يا شبيهته في العفة ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾ أي زانياً ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ زانية فمن أين لك هذا الولد؟ ﴿ فَأَشَارَتْ ﴾ لهم ﴿ إِلَيْهِ ﴾ أن كلموه ﴿ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ ﴾ أي وجد

وفي المختار: فرى الشيء قطعه لإصلاحه وبابه رمى، وفرى كذباً خلقه وافتراه اختلقه والاسم الفرية، وقوله تعالى: ﴿شيئاً فرياً﴾ أي مصنوعاً مختلقاً، وقيل: عظيماً وأفرى الأوداج قطعه وأفرى الشيء شقه فانفرى وتفرى أي انشق. وقال الكسائي: أفرى الأديم قطعه على جهة الإفساد وفراه قطعه على جهة الإصلاح اهـ.

قوله: ﴿يا أخت هرون﴾ هذا من كلامهم أيضاً. قوله: (أي يا شبيهته) الخ عبارة الخازن: أي يا شبيهة هارون: قيل: كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل شبهت به في عفتها وصلاحها، وليس المراد منه الأخوة في النسب. قيل: إنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً من بني إسرائيل كلهم يسمون هارون سوى سائر الناس، وقيل: كان هارون أخا مريم لأبيها، وقيل: إنما عنوا هارون أخا موسى، لأنها كانت من نسله، كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وقيل: كان هارون فاسقاً في بني أسرائيل أعظم الفسق فنسبوها إليه على وجه التعيير والتوبيخ اهـ.

قوله: ﴿ما كان أبوك﴾ أي عمران وما كانت أمك أي حنة أخت أشاع زوجة زكريا وأم يحيى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأشارت إليه﴾ مريم إلى عيسى أن كلموه. قال ابن مسعود: لما لم يكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها. وقيل: لما أشارت إليه غضب القوم وقالوا: فعلت ما فعلت وتسخرين بنا، ثم قالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبياً. قيل: أراد بالمهد حجرها، وقيل: هو المهد بعينه وقيل: لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم، وقيل: لما أشارت إليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه وقال: إني عبد الله الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿من كان في المهد﴾ جعلها الشارح تامة حيث فسرها بوجد وهو أحد وجوه ذكرها السمين ونصه: في كان هذه أقوال:

أحدها: أنها زائدة وهو قول أبي عبيد أي كيف نكلم من في المهد، وصبياً على هذا نصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور الواقع صلة.

والثاني: أنها تامة بمعنى حدث ووجد، والتقدير كيف نكلم من وجد صبياً. وصبياً حال من الضمير في كان.

الثالث: أنها بمعنى صار أي كيف نكلم من صار في المهد صبياً وصبياً على هذا خبرها.

الرابع: أنها الناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع كقوله تعالى: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء: ٩٦] ولذلك يعبر عنها بأنها ترادف لم يزل اهـ.

وفي القاموس: المهد الموضع يهيأ للصبي ويوطأ والأرض كالمهاد، والجمع مهود ومهده كمنعه بسطه كمهده وككتاب الفراش، والجمع أمهدة ومهد اهـ.

﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ۝٢٩﴾ ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ۝٣٠﴾ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ أي نفاعاً للناس إخبار بما كتب له ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ أمرني بهما ﴿مَا دُمۡتُ حَيّٗا ۝٣١﴾ ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ منصوب بجعلني مقدراً ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا﴾ متعاظماً ﴿شَقِيّٗا ۝٣٢﴾ عاصياً لربه ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ من الله ﴿عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ۝٣٣﴾ يقال فيه ما تقدم في

قوله: ﴿قال إني عبدالله﴾ وصف نفسه بصفات ثمانية أولها: العبودية فاعترف بها لئلا يتخذوه إلهاً، وآخرها: تأمين الله له في أخوف المقامات، وكل هذه الصفات تقتضي تبرئة أمه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أينما كنت﴾ أينما شرطية وجوابها إما محذوف مدلول عليه بما تقدم أي أينما جعلني مباركاً، وإما هو المتقدم عند من يرى ذلك ولا جائز أن تكون استفهامية لأنه يلزم أن يعمل فيها ما قبلها وأسماء الاستفهام لها صدر الكلام، فتعين أن تكون شرطية لأنها منحصرة في هذين المعنيين اهـ كرخي.

قوله: (أي نفاعاً للناس) أي حيثما توجه لأنه كان يحيـي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ويرشد ويهدي اهـ كرخي.

قوله: (اخبار بما كتب له) أي في اللوح. أي: فالماضي بمعنى المستقبل، وقيل: أنه نبىء في المهد كيحيى فالماضي على حاله وتقديمه هذا التأويل على قوله: ﴿وأوصاني﴾ الخ يقتضي أن هذا الماضي على حقيقته وهو قول لبعض المفسرين قال: أنه أمر بهما أن يفعلهما في صغره إلى آخر عمره بدليل قوله: ﴿ما دمت حياً﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكوة﴾ أي زكاة المال إذا ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل اهـ بيضاوي.

قوله: (أمرني بهما) أي بأن أفعلهما إذا بلغت، وقيل: بأن أفعلهما من الآن قولان للمفسرين اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وقيل: المراد أن الله تعالى صيره حين انفصل عن أمه بالغاً عاقلاً وهذا القول أظهر اهـ.

قوله: ﴿وبراً﴾ العامة على فتح الباء وفيه تأويلان، أحدهما: أنه منصوب نسقاً على مباركاً أي وجعلني براً. والثاني: أنه منصوب فعل واختير هذا على الأول، لأن فيه فصلاً كثيراً بجملة الوصفية ومتعالقاتها وقرىء بكسر الباء إما على حذف مضاف وإما على المبالغة في جعله نفس المصدر اهـ سمين.

قوله: (متعاظماً) أي بل جعلني متواضعاً كان من تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكناً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والسلام﴾ أي الأمان من الله علي والألف واللام فيه للعهد لأنه قد تقدم لفظه في قوله وسلام عليه فهو كقوله تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول﴾ [المزمل: ١٦]

السيد يحيى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ مقدر أي قول ابن مريم وبالنصب بتقدير قلت والمعنى القول الحق ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ من المرية أي يشكون

أي ذلك السلام الموجه إلى يحيى موجه إليّ. وقال الزمخشري بعد ذكره ما قدمته: والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود، وتحقيقه أن اللام للجنس، وإذا قال وجنس السلام على خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره: والسلام على من اتبع الهدى اهـ سمين.

وروي عن عيسى أنه قال ليحيى: أنت خير منّي سلَّم الله عليك وسلمت أنا على نفسي، وأجاب الحسن بأن تسليمه على نفسه إنما هو بتسليم الله عليه لأنه إنما فعله بإذن الله اهـ زاده.

قوله: ﴿يوم ولدت﴾ منصوب بما تضمنه على من الاستقرار، ولا يجوز نصبه بالسلام للفصل بين المصدر ومعموله. وقرأ زيد بن علي: ولدت جعله فعلاً ماضياً مسنداً لضمير مريم والتاء للتأنيث وحياً حال مؤكدة اهـ سمين.

قوله: ﴿ويوم أبعث حياً﴾ آخر كلامه فعلموا به براءة أمه ثم سكت بعد ذلك فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الأطفال اهـ خازن.

قوله: (يقال فيه ما تقدم) أي من أنه إنما خص هذه المواضع لكونها أخوف من غيرها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾ الخطاب لمحمد ﷺ، ويجوز أن يكون عيسى خبراً لذلك، ويجوز أن يكون بدلاً أو عطف بيان، وقول الحق خبره ويجوز أن يكون قول الحق خبر مبتدأ مضمر أي هو قول، وابن مريم يجوز أن يكون نعتاً أو بدلاً أو بياناً أو خبراً ثانياً، وقرأ عاصم، وحمزة، وابن عامر قول الحق بالنصب والباقون بالرفع فالرفع على ما تقدم، وقال الزمخشري: وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل. قال الشيخ: وهذا الذي ذكره لا يكون إلا على المجاز في قول وهو أن يراد به كلمة الله، لأن اللفظ لا يكون الذات والنصب يجوز فيه أن يكون مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة، كقولك: هو عبد الله الحق لا الباطل أي أقول قول الحق فالحق الصدق، وهو من إضافة الموصوف إلى صفته أي القول الحق كقوله: وعد الصدق أي الوعد الصدق، ويجوز أن يكون منصوباً على المدح إن أريد بالحق الباريء تعالى، والذي نعت للقول إن أريد به عيسى وسمي قولاً كما سمي كلمة لأنه عنها نشأ، وقيل: هو منصوب باضمار أعني، وقيل: هو منصوب على الحال من عيسى، ويؤيد هذا ما نقل عن الكسائي في توجيه الرفع أنه صفة لعيسى اهـ سمين.

قوله: (بالرفع الخ) أي فهو كلام مستقل فالوقف على مريم اهـ شيخنا.

قوله: (أي قول ابن مريم) هذا تفسير للمبتدأ المحذوف، وقوله: (بتقدير قلت): هذا من جانب الله تعالى، وقوله: (والمعنى الخ) هذا تفسير للاضافة أي أنه من إضافة الموصوف للصفة وهو راجع لكل من الرفع والنصب فهو بالرفع أو بالنصب، وقوله: (الذي فيه يمترون) خبر مبتدأ محذوف أي هو أي عيسى الذي فيه يمترون، وكأن المضارع بمعنى الماضي، ومعنى الجملة قول ابن مريم أي كلامه الذي تقدم الذي اشتمل على صفاته الثمانية القول الحق أي هو القول الصدق أي لا ما قالته النصارى في شأنه فهو كذب وهذا على الرفع، والمعنى على النصب قلت في شأنه وأخبرت عنه، وذكر القول الحق أي الصدق أي فما ذكره النصارى كذب اهـ شيخنا.

وهم النصارى قالوا إن عيسى ابن الله كذبوا ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي أراد أن يحدثه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن ومن ذلك خلق عيسى من غير أب ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ بفتح أن بتقدير اذكر وبكسرها بتقدير قل بدليل ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴿هَٰذَا﴾ المذكور

وفي القرطبي: ذلك عيسى ابن مريم أي ذلك الذي ذكرناه عيسى ابن مريم، فكذلك اعتقدوه لا كما يقول اليهود إنه ابن يوسف النجار ولا كما قالت النصارى إنه إله أو ابن الإله. قول الحق نعت لعيسى أي ذلك عيسى ابن مريم قول الحق، وسمي قول الله كما سمي كلمة الله، والحق هو الله عز وجل. وقرأ عاصم، وعبد الله بن عامر قول الحق بالنصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة في ذلك اهـ.

قوله: (قالوا إن عيسى ابن الله) أي وقالوا غير هذه المقالة أيضاً كما سيأتي في قوله: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ [الزخرف: ٦٥] وإنما اقتصر على هذه هنا لأنها التي يتضح إبطالها بقوله: ﴿ما كان الله﴾ الخ اهـ شيخنا.

وإلا فلا يظهر تفسير الشك إلا بمجموع المقالات الثلاث الآتية، وأما بالنظر لكل واحدة منها فلا شك لجزم أصحابها بها اهـ.

قوله: ﴿ما كان لله﴾ الخ أي لا يمكن ولا تتعلق به قدرته لأنه مستحيل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن يتخذ من ولد﴾ في موضع رفع اسم كان ومن صلة نفي عن نفسه الولد أي ما كان من صفته اتخاذ الولد، والمعنى أن ثبوت الولد له محال، فقوله: ﴿ما كان لله﴾ أي يتخذ من ولد كقولنا: ما كان لله أن يكون له ثان ولا شريك أي: لا يصح ذلك ولا ينبغي، بل يستحيل فلا يكون نفياً على الحقيقة وإن كان بصورة النفي اهـ كرخي.

قوله: (عن ذلك) أي اتخاذ الولد، وقوله: ﴿إذا قضى أمراً﴾ بمنزلة التعليل لما قبله اهـ.

قوله: ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ أي فلا يحتاج في اتخاد ولد إلى إحبال أنثى فهو تبكيت أي إلزام بالحجة اهـ كرخي.

قوله: (بتقدير أن) أي بعد فاء السببية الواقعة بعد الأمر اهـ شيخنا.

قوله: (ومن ذلك) أي الأمر في قوله إذا قضى أمراً.

قوله: (بتقدير اذكر) أي وهو خطاب لعيسى أي اذكر يا عيسى لقومك أو قل لهم إن الله ربي الخ اهـ شيخنا.

قوله: (بدليل ما قلت لهم) متعلق بمحذوف تقديره: وهذا من كلام عيسى بدليل ما قلت لهم الخ وهو راجع للقراءتين، وعبارة الخازن: وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا أخبار عن عيسى أنه قال ذلك اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿وإن الله ربي وربكم﴾ قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر إن على الاستئناف،

﴿صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾ مؤد إلى الجنة ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أي النصارى في عيسى أهو ابن الله أو إله معه أو ثالث ثلاثة ﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بما ذكر وغيره ﴿مِن

ويؤيده ما قرأه أبي إن الله بالكسر بدون واو، وقرأ الباقون بفتحها وفيها أوجه.

أحدها: أنها على حذف حرف الجر متعلقاً بما بعده، والتقدير ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن: ١٨] والمعنى لوحدانيته أطيعوه، وإليه ذهب الزمخشري تابعاً للخليل وسيبويه.

الثاني: أنها عطف على الصلاة، والتقدير وأوصاني بالصلاة وبأن الله وإليه ذهب الفراء، ولم يذكر مكي غيره، ويؤيده في مصحف أبي وبأن الله ربي بإظهار الباء الجارة.

الثالث: أن يكون في محل نصب نسقاً على الكتاب في قوله: ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب﴾ على أن يكون الخطاب بذلك لمعاصي عيسى عليه السلام، والقائل لهم ذلك هو عيسى. وعن وهب: عهد إليهم عيسى ان الله ربي وربكم قال هذا القائل، ومن كسر الهمزة يكون قد عطف ان الله على قوله ﴿إني عبد الله﴾ فهو داخل في حيز القول، وتكون الجمل من قوله: ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ الخ جمل اعتراض وهو من البعد بمكان اهـ.

قوله: ﴿هذا﴾ (المذكور) يعني القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة، وسمي هذا القول صراطاً مستقيماً تشبيهاً بالطريق لأنه المؤدي إلى الجنة كما صرح به في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿فاختلف الأحزاب﴾ الخ أي أن النصارى تحزبوا وتفرقوا في شأن عيسى واختلفوا بعد رفعه إلى السماء ثلاث فرق: النسطورية والملكانية واليعقوبية اهـ خازن.

قوله: ﴿من بينهم﴾ حال من الأحزاب، والمعنى حال كون الأحزاب بعضهم أي بعض النصارى، إذ بقي منهم فرقة أخرى مؤمنة يقولون إنه عبد الله ورسوله، وفي القرطبي: ذكر عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾ قال: اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع، فقال أحدهم: هو الله تعالى هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية، فقالت الثلاثة: كذبت، ثم قال اثنان منهم للثالث: قل فيه، قال: هو ابن الله وهم النسطورية، فقال الاثنان: كذبت، ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه فقال: هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى، فقال الرابع: كذبت بل هو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته وهم المسلمون. وكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتتلوا وظهروا على المسلمين، فذلك قول الله عز وجل: ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ [آل عمران: ٢١] قال قتادة: وهم الذين قال الله فيهم فاختلف الأحزاب من بينهم فاختلفوا فيه فصاروا أحزاباً، وهذا معنى قوله الذي فيه يمترون اهـ.

قوله: (أهو ابن الله) هذا قول النسطورية، وقوله: (أو إله معه) قول الملكانية، وقوله: (أو ثالث ثلاثة) هذا قول اليعقوبية، والثلاثة الله وعيسى وأمه اهـ شيخنا.

مَشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ أي حضور يوم القيامة وأهواله ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ بهم صيغتا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ أي في الدنيا ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾﴾ أي بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره أي

قوله: ﴿للذين كفروا﴾ وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول إيذاناً بكفرهم جميعاً وإشعاراً بعلة الحكم اهـ السعود.

قوله: ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ مشهد مفعل إما من الشهادة وإما من الشهود وهو الحضور، ومشهد هنا يجوز أن يراد به الزمان أو المكان أو المصدر، فإذا كان من الشهادة، والمراد به الزمان فتقديره: من وقت شهادة يوم، وإن أريد به المكان فتقديره: من مكان شهادة يوم وأن أريد به المصدر فتقديره من شهادة ذلك اليوم وأن تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم والملائكة والأنبياء، وإذا كان من الشهود وهو الحضور فتقديره: من شهود الحساب والجزاء يوم القيامة أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف أو من وقت الشهود، وإذا كان مصدراً بحالتيه المتقدمتين فتكون إضافته إلى الظرف من باب الاتساع كقوله ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤] ويجوز أن يكون المصدر مضافاً لفاعله على ما يجعل اليوم شاهداً بينهم إما حقيقة وإما مجازاً اهـ سمين.

قوله: ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ هذا لفظ أمر ومعناه التعجب وأصح الأعاريب فيه كما تقرر في علم النحو أن فاعله هو المجرور بالباء والباء زائدة وزيادتها لازمة إصلاحاً للفظ لأن أفعل أمر ولا يكون فاعله ضميراً مستتراً، ولا يجوز حذف هذه الباء إلا مع إن وأن. ولنا قول ثان أن الفاعل مضمر، والمراد به المتكلم كأن المتكلم يأمر نفسه بذلك والمجرور بعده في محل نصب، ويعزى هذا للزجاج، ولنا قول ثالث: وهو أن الفاعل ضمير المصدر والمجرور منصوب المحل أيضاً، والتقدير أحسن يا حسن بزيد ولشبه هذا الفاعل عند الجمهور بالفضلة لفظاً جاز حذفه للدلالة عليه كهذه الآية، وأن تقديره وأبصر بهم وفيه أبحاث موضوعها كتب النحو، وقيل: بل أمر حقيقة والمأمور هو رسول الله ﷺ، والمعنى أسمع الناس وأبصرهم بهم وبحالهم ماذا نصنع بهم من العذاب وهو منقول عن أبي العالية اهـ سمين.

قوله: (صيغتا تعجب) يعني أن لفظهما الأمر ومعناهما التعجب فصح رفعهما الظاهر وزيد في فاعلهما الباء كما زيدت في فاعل كفى بالله شهيداً، إلا أن الباء في فاعل التعجب لازمة وفي فاعل كفى جائزة اهـ كرخي.

وسيأتي أن هذا التعجب مصروف للمخاطبين والمراد به التعجب أي حمل المخاطب على التعجب، وليس المراد منه التعجب من المتكلم وهو الله تعالى لاستحالة هذا المعنى في حقه كما سيأتي. قوله: (من إقامة الظاهر مقام المضمر) أي للإيذان بأنهم في ذلك ظالمون لأنفسهم والأصل لكنهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في ضلال﴾ أي خطأ مبين. قوله: (به صموا) أي بسببه أي الضلال حصل لهم الصمم والعمى فهو متعلق بما بعده اهـ.

اعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صماً عمياً ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ خوف يا محمد كفار مكة ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ به ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم بإهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا

قوله: (أي أعجب) أي تعجب منهم إلى قوله (في الآخرة) تفسير لقوله: ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾، وقوله: (بعد أن كانوا الخ) تفسير لقوله: ﴿لكن الظالمون اليوم﴾ الخ اهـ شيخنا.

وإنما صرف التعجب إلى المخاطبين لظهور استحالة الحمل على التعجب من المتكلم نفسه، والمراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صماً عمياً في الدنيا أو أن المعنى أسمع هؤلاء وأبصرهم أي عرفهم حال اليوم الذي يأتوننا فيه ليعتبروا وينزجروا اهـ كرخي.

قوله: (يتحسر فيه المسيء الخ) أي ويتحسر فيه المحسن على ترك الزيادة في الإحسان كما في الحديث اهـ خازن.

قوله: ﴿إذ قضي الأمر﴾ يجوز أن يكون منصوباً بالحسرة والمصدر المعرف بأل يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف، ويجوز أن يكون بدلا من يوم فيكون معمولا لأنذر كذا قال أو البقاء والزمخشري، وتبعهما الشيخ ولم يذكر غير البدل. وهذا لا يجوز أن كان الظرف باقياً على حقيقته إذ يستحيل أن يعمل المستقبل في الماضي فإن جعلت اليوم مفعولا به أي خوفهم نفس اليوم أي أنهم يخافون اليوم نفسه صح ذلك لخروج الظرف إلى حيز المفاعيل الصريحة اهـ سمين.

قوله: (فيه) أي يوم الحسرة. قوله: ﴿وهم في غفلة﴾ الخ الجملتان حال من الضمير في أنذرهم أي الضمير البارز اهـ شيخنا.

وتلك الحال متضمنة للتعليل اهـ بيضاوي.

أي أنذرهم لأنهم في حالة يحتاجون فيها إلى الإنذار وهي الغفلة والكفر اهـ شهاب.

وفي السمين: قوله: ﴿وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ جملتان حاليتان وفيهما قولان، أحدهما: أنهما حالان من الضمير المستتر في قوله:﴿في ضلال مبين﴾ أي استقروا في ضلال مبين على هاتين الحالتين السيئتين. والثاني: أنهما حالان من مفعول أنذرهم أي أنذرهم على هذه الحالة. وما بعدها، وعلى الأول يكون قوله: ﴿وأنذرهم﴾ اعتراضاً اهـ.

قوله: (تأكيد) أي لفظ نحن تأكيد للضمير في إنا لأنه بمعناه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نرث الأرض﴾ أي نستوعبها إرثاً، وقوله: بإهلاك أهلها أي بسبب أهلاكهم فلا يبقى موجود غيرنا. وعبارة البيضاوي: إنا نحن نرث الأرض ومن عليها أي فلا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك، أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفي الوارث لأرثه اهـ.

وقوله: أو نتوفى الأرض أي نستوفيها ونأخذها ونقبضها بتشبيه الإفناء بأخذ العين وقبضها ببعض الوراث لما قبضه من مورثه وهو استعارة اهـ شهاب.

﴿يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ فيه للجزاء ﴿وَاذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي خبره ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغاً في الصدق ﴿نَبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ ويبدل من خبره ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر ﴿يَا أَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة ولا يجمع بينهما وكان يعبد الأصنام ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ﴾ لا يكفيك ﴿شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ من

قوله: ﴿واذكر﴾ (لهم) أي لكفار مكة، وهذا معطوف على وأنذرهم أي اتل على الناس قصته وبلغها إياهم، كقوله: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾ [الشعراء: ٦٩] اهـ أبو السعود.

أي: فالمراد ما ذكر وإلا فالذاكر له هو الله في كتابه اهـ كشاف.

واعلم أن إبراهيم رتب هذا الكلام على غاية الحسن وقربه بغاية التلطف والرفق فقوله: ﴿يا أبت﴾ دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب، لأنه نبهه أولا على ما يدل على المنع من عبادة الأصنام، ثم أمره باتباعه في الإيمان، ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي بقوله ﴿إني أخاف﴾ الخ. وإنما فعل ذلك لأمور، أحدها: شدة تعلق قلبه بصلاحه وإداء حق الأبوة. وثانيها: أن النبي الهادي إلى الحق لا بد أن يكون رفيقاً حتى يقبل كلامه. وثالثها: لنصح لكل أحد فإلى أبيه أولى اهـ خازن.

فائدة:
عاش إبراهيم من العمر مائة وخمسا وسبعين سنة وبينه وبين آدم الفا سنة، وبينه وبين نوح ألف سنة كما ذكره السيوطي في التحبير اهـ شيخنا.

قوله: (أي خبره) أي قصته وحاله. قوله: (مبالغاً في الصدق) أي بليغ الصدق في أقواله وأفعاله وأحواله، وفي تصديق غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله، ولما ثبت أن كل نبي يجب أن يكون صديقاً ولا يجب في كل صديق أن يكون نبياً ظهر بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي، فلهذا انتقل من ذكر كونه صديقاً إلى ذكر كونه نبياً اهـ كرخي.

قوله: (ويبدل) أي بدل اشتمال من خبره أي المقدر فالمبدل منه محذوف والبدل باعتبار ما أضيف إليه الظرف وهو قوله: ﴿قال لأبيه﴾ الخ اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (ويبدل من خبره) أي المقدر آنفاً وهو بدل اشتمال، وقد فصل بين البدل والمبدل منه بقوله: ﴿إنه كان صديقاً﴾ ونظيره: رأيت زيداً ونعم الرجل أخاك واعترض بأنه مبني على تصرف إذا، وقد تقدم أنها لا تنصرف. قال الزمخشري: ويجوز أن تتعلق إذ بكان وهو مبني على عمل كان الناقصة وأخواتها في الظرف غير اسمها وخبرها وفيه خلاف اهـ.

قوله: (ولا يجمع بينهما) أي: فلا يقال يا أبتي ويقال يا أبتا اهـ بيضاوي.

وإنما جاز الثاني لعدم فيه بين العوض إذ الألف بدل من الياء لا من التاء اهـ زكريا.

وإنما فيه الجمع بين عوضين، وهذا لا محذور فيه كما يجمع صاحب الجبيرة بين المسح والتيمم وهما بدلان عن الغسل اهـ شهاب.

قوله: ﴿لم تعبد ما لا يسمع﴾ أي لأي شيء ولأي سبب تعبدها مع أن فيها ما يقتضي عدم عبادتها وهو عدم سمعها وبصرها اهـ شيخنا.

نفع أو ضر ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا﴾ طريقاً ﴿سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ مستقيماً ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ كثير العصيان ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إن لم تتب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ ناصراً وقريناً في النار ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ فتعيبها ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن التعرض لها

قوله: (أو ضر) أي أو دفع ضر.

قوله: ﴿من العلم﴾ أي بعض العلم، أي علم الوحي أو التوحيد أو الآخرة، أقوال ثلاثة ذكرها أبو حيان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاتبعني﴾ أي في الإيمان والتوحيد. قوله: (بطاعتك إياه) أي فالمراد بعبادته المنهي عنها مطاوعته إياه في عبادة الأصنام التي يحسنها له بوسوسته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عصياً﴾ أي ومطاوعة العاصي عصيان، والعصيان يوجب النار، فلذلك قال له: يا أبت إني أخاف الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يا أبت إني أخاف﴾ قال الفراء: أخاف أعلم، والأكثرون على أنه محمول على ظاهره، والقول الأول إنما يصح لو كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام عالماً بأن أباه سيموت على الكفر وذلك لم يثبت، فوجب إجراؤه على ظاهره، فإنه كان يجوز أن يؤمن فيصير من أهل الثواب، ويجوز أن يدوم على الكفر فيكون من أهل العقاب، ومن كان كذلك كان خائفاً لا قاطعاً، والأقلون فسروا الآية فقالوا أخاف بمعنى أعلم، وإليه أشار في التقرير اهـ كرخي.

قوله: (ناصراً وقريناً) تفسير الولي بمجموع هذين تسمح إذ بعد مسيس العذاب ولا معاونة ولا نصرة، ولهذا اقتصر غيره على الشق الثاني كالبيضاوي فقال: ولياً أي قريناً افي العذاب تليه ويليك اهـ.

والولي من الولى وهو القرب وكل من المتقارنين قريب من صاحبه اهـ شهاب.

قوله: ﴿قال﴾ أي أبوه. أراغب: مبتدأ وسوغه اعتماده على أداة الاستفهام أنت فاعل سد مسد خبره وهذا أولى من إعرابه. أنت مبتدأ وراغب خبر مقدم، كما ذهب إليه الزمخشري لأنه لا تقديم فيه ولا تأخير، إذ رتبة الفاعل التأخير عن رافعه ولأنه لا فصل فيه بين العامل الذي هو أراغب وبين معموله وهو عن آلهتي بأجنبي وهو أنت إذا كان مبتدأ، لأن الخبر ليس عاملاً في المبتدأ. قال ابن مالك وغيره: إن أنت مرفوع براغب وإلا يلزم الفصل بين راغب ومعموله هو عن آلهتي بأجنبي وهو أنت. وأجيب عنه بأن عن متعلقة بمقدر بعد أنت دل عليه أراغب اهـ كرخي

قوله: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي﴾ قابل استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه، ولم يقابل يا أبتي بيا بني وأخره، وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنه عاقل، ثم هدده فقال: لئن لم تنته أي عن مقالتك فيها أو الرغبة عنها لأرجمنك بلساني يعني الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت، أو تبعد عني. واهجرني عطف على ما دل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني ملياً اهـ بيضاوي.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرني ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ دهراً طويلاً ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ مني أي لا أصيبك بمكروه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ من حفي أي باراً

وفي الخازن: أي أتاركها أنت وتارك عبادتها لئن لم تنته أي: ترجع وتسكن عن سب آلهتنا وشتمك إياها لأرجمنك اهـ.

قوله: ﴿لئن لم تنته﴾ لام قسم. وقوله: (عن التعرض لها) أي مقالتك فيها، وقوله: ﴿لأرجمنك﴾ نصر اهـ.

قوله: (فاحذرني) قدره أخذاً من قول الكشاف إن قلت على أي شيء عطف قوله ﴿واهجرني﴾ قلت: على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني، لأن لأرجمنك تهديد وتقريع، وإنما احتاج إلى هذا الحذف ليناسب بين جملتي العطف، وهذا التناسب ليس بلازم عند سيبويه لأنه يجيز عطف الجملة الخبرية على الجملة الإنشائية اهـ كرخي.

قوله: (دهراً طويلاً) أي زماناً طويلاً فانتصاب ملياً بالظرفية الزمانية، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال معناه سالماً سوياً. قال ابن عباس: اعتزلني سالماً لا يصيبك مني معرة فهو حال من فاعل اهجرني اهـ كرخي.

قوله: ﴿قال سلام عليك﴾ هذا في مقابلة قوله: ﴿لئن لم تنته﴾، وقوله: ﴿وأعتزلكم﴾ الخ في مقابلة قوله: ﴿واهجرني﴾ ملياً اهـ شيخنا.

قوله: (أي لا أصيبك بمكروه) أي فهذا سلام متاركة ومقاطعة، لا سلام تحية. هذا هو مراد الشارح. وقيل: إنه سلام تحية وكان قبل تحريمه على الكفار اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: قال: سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه، ولا أقول لك بعدما يؤذيك، ولكن سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والإيمان، فإن حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته اهـ.

وقوله: فإن حقيقة الاستغفار الخ جواب عن إشكال، وهو أنه كيف جاز له أن يستغفر للكافر أو يعده بذلك، وقد قال تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ [التوبة: ١١٣] اهـ شهاب.

وحاصل الجواب أن المراد باستغفاره له طلب توفيقه للإيمان الموجب للمغفرة اهـ.

وفي الخازن: ولما أعياه أمره وعده أن يراجع فيه ربه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له، وقيل: معناه سأسأل لك ربي توبة تنال بها المغفرة اهـ.

قوله: (من حفي) حفا حفاوة بكذا. أي: اعتنى به وبالغ في إكرامه اهـ شيخنا.

وفي المختار: وحفي به بالكسر حفاوة بفتح الحاء فهو حفي أي بالغ في إكرامه وإلطافه والعناية بأمره، والحفي أيضاً المستقصي في السؤال، ومن الأول قوله: ﴿إنه كان بي حفياً﴾، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿كأنك حفي عنها﴾ [الأعراف: ١٨٧] اهـ.

فيجيب دعائي وقد وفى بوعده المذكور في الشعراء واغفر لأبي. وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره في براءة ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ﴾ أعبد ﴿رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي﴾ بعبادته ﴿شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ ابنين يأنس بهما ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾ للثلاثة ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ رفيعاً

قوله: (فيجيب دعائي) أي معناه سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته يعني الإسلام، والاستغفار للكافر بهذا الوجه جائز كأنه يقول: اللهم وفقه للإسلام أو تب عليه وأهده اهـ كرخي.

قوله: (بوعده) أي وعده المذكور هنا بقوله: ﴿سأستغفر لك﴾ الخ، وقوله: بقوله الخ متعلق بوفي، وقوله: وهذا أي الدعاء المذكور في سورة الشعراء قبل أن يتعين الخ، أي: فلما تبين له ذلك بموته على الكفر ترك الاستغفار له، وقوله: كما ذكر في براءة أي في قوله: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه﴾ [التوبة: ١١٤] أي المذكور في الشعراء، وقوله: ﴿وعدها إياه﴾ أي في سورة مريم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأعتزلكم﴾ أي أترككم بالارتحال من بلادكم، وقد فعل وارتحل إلى الأرض المقدسة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عسى ألا أكون﴾ الخ في تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على أن الإجابة والإثابة تفضل منه تعالى غير واجبين، وأن ملاك الأمر خاتمته وهو غيب اهـ بيضاوي.

قوله: (بأن ذهب) أي من بابل إلى الأرض المقدسة اهـ شيخنا.

وفي الخازن: أنه هاجر من كوثى إلى الأرض المقدسة اهـ شيخنا.

وفي القاموس: وبابل كصاحب موضع بالعراق، وإليه ينسب الخمر والسحر اهـ.

وفيه أيضاً: وكوثى بالضم بلدة بالعراق اهـ.

قوله: (يأنس بهما) هذا يقتضي أنه عاش حتى رأى يعقوب، وهو كذلك كما مرت الإشارة إليه في قوله: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحق يعقوب﴾ [هود: ٧١] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إسحق ويعقوب﴾ خصهما لأنه سيذكر إسماعيل بفضله منفرداً اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكلاًّ﴾ مفعول أول لجعلنا ونبياً هو المفعول الثاني اهـ كرخي.

قوله: ﴿من رحمتنا﴾ من للتبعيض، وقوله: (المال والولد) تفسير للرحمة اهـ شيخنا.

فبسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الأموال والأولاد اهـ خازن.

قوله: (هو) أي اللسان المذكور الثناء الحسن أي السيرة الحسنة، ففي اللسان مجاز مرسل من إطلاق اسم الآلة وارادة ما ينشأ عنها اهـ شيخنا.

فالمعنى: وجعلنا لهم ثناء صادقاً يذكرهم الأمم كلها إلى يوم القيامة بما لهم من الخصال

هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصًا﴾ بكسر اللام وفتحها من أخلص في عبادته وخلصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ بقول يا موسى إني أنا الله ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ مناجياً بأن أسمعه الله تعالى كلامه ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ﴾ نعمتنا ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ حال هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه وكان أسن منه

المرضية، ويصلون على إبراهيم وعلى آله إلى قيام الساعة اهـ شهاب وزاده

قوله: (في جميع) أهل الأديان فكل أهل دين يترضون عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وهذا توبيخ لكفار مكة، إذ كان مقتضى ترضيهم وثنائهم على المذكورين أن يتبعوهم في الدين مع أنهم لم يفعلوا اهـ شيخنا.

قوله: (من أخلص الخ) لف ونشر مرتب لتوجيه القراءتين اهـ.

قوله: (بقول يا موسى) أي في سورة القصص في قوله: ﴿فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ [القصص: ٣٠] اهـ شيخنا.

قوله: (اسم جبل) هو معروف بين مدين ومصر. قوله: (الذي يلي يمين موسى) صريح في أن المراد بالطور هو الذي عند بيت المقدس لا الطور عند السويس. لأنه يكون على يسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو محسوس، وقوله: (حين أقبل من مدين) أي متوجهاً إلى مصر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نجياً﴾ حال من مفعول قربناه وأصله نجيو من نجا ينجو، والأيمن الظاهر أنه صفة للجانب بدليل أنه تبعه في الإعراب في قوله تعالى: ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ [طه: ٨٠] وقيل: أنه صفة للطور إذ اشتقاقه من اليمن والبركة اهـ سمين.

وفي البيضاوي: وناديناه من جانب الطور الأيمن من ناحيته اليمنى ومن اليمين، وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام أو من جانبه الميمون من اليمن بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة اهـ.

قوله: ﴿وقربناه﴾ أي تقريب تشريف فمثل حاله محال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته، ونجياً أي مناجياً حال من أحد الضميرين في ناديناه أو قربناه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من رحمتنا﴾ من تعليلية، وعبارة السمين: قوله: ﴿من رحمتنا﴾ في من هذه وجهان، أحدهما: إنها تعليلية أي من أجل رحمتنا، وأخاه على هذا مفعول به، وهارون بدل أو عطف بيان أو منصوب بإضمار، أعني: ونبياً حال. والثاني: أنها تبعيضية أي بعض رحمتنا. قال الزمخشري: وأخاه على هذا بدل، وهارون عطف بيان. قال الشيخ: والظاهر أن أخاه مفعول وهبنا ومن لا ترادف بعضاً حتى يبدل أخاه منها اهـ.

قوله: (أن يرسل) معمول لسؤاله وقد ذكر هذا السؤال في سورة القصص بقوله: ﴿قال رب إني قتلت منهم نفساً﴾ [القصص: ٣٣] الآيتين اهـ.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ لم يعد شيئاً إلا وفى به وانتظر من وعده ثلاثة أيام أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جرهم ﴿نَبِيًّا ۝﴾ ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ أي قومه ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝﴾ أصله مرضوو قلبت الواوان ياءين والضمة كسرة ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ هو جد أبي نوح ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝﴾ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝﴾ هو حي في السماء

قوله: (وكان أسن منه) أي بأربع سنين، وقوله: (إجابة لسؤاله) تعليل لقوله: ﴿وهبنا﴾ حيث قال: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي﴾ [طه: ٢٩] الآية فمعنى هبته له جعله عضداً له وناصراً ومعيناً فلا يرد السؤال وهو أن هارون كان أكبر من موسى عليه السلام، فما معنى هبته له؟ فإن الموهوب لا بد أن يكون أصغر سناً من الموهوب له وليس الأمر هنا كذلك اهـ كرخي.

قوله: (لم يعد شيئاً إلا وفى به) فقال: ستجدني إن شاء الله من الصابرين: فوفى به وذكر بصدق الوعد وأن كان موجوداً في غيره من الأنبياء تشريفاً وإكراماً كالتقليب نحو: الحليم والأواه والصديق، ولأنه المشهور المتواتر من خصاله اهـ كرخي..

قوله: (وانتظر من وعده) أي شخصاً وعده إسماعيل فالصلة جرت على غير من هي له فكان عليه الإبراز، وقوله: (حتى رجع إليه) فقيل إنه وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يرجع الرجل اهـ خازن.

قوله: ﴿وكان رسولاً﴾ أي بشريعة أبيه وقوله: (إلى جرهم) قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم أسماعيل بوادي مكة حين خلفها إبراهيم هي وابنها، فسكنوا هناك حتى كبر إسماعيل وزوجوه منهم وأرسل إليهم اهـ شيخنا.

قوله: (قلبت الواوان الخ) لكن الثانية قلبت أولاً، ولما اجتمعت الواو الأولى والياء المنقلبة عن الواو الثانية قلبت ياء وأدغمت في الأخرى وكسر ما قبلها لتصح الياء اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿مرضياً﴾ العامة على قراءته كذلك معتلاً وأصله مرضوو بواوين الأولى زائدة كهي في مضروب، والثانية لام الكلمة لأنه من الرضوان فأعل بقلب الواو الأخيرة ياء واجتمعت الياء والواو فقلبت الواو ياء، ويجوز النطق بالأصل. وقرأ ابن أبي عبلة بهذا الأصل وهو الأكثر اهـ.

قوله: (هو جد أبي نوح) ونوح بن لمك بفتح اللام وسكون الميم ابن متوشلخ بوزن متدحرج ابن أخنوخ، وهو إدريس بن شيث بن آدم لصلبه أفاده السيوطي في التحبير اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: هو جد أبي نوح واسمه أخنوخ، وسمي إدريس لكثرة درسه للكتب، وذلك لأن الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة وكان خياطاً وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وأول من لبس المخيط، وكانوا من قبل يلبسون الجلود، وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم النجوم والحساب اهـ.

قوله: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ قيل: هو الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا، وقيل: إنه رفع إلى السماء هو الأصح يدل عليه ما روى أنس بن مالك بن صعصعة، عن النبي ﷺ أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه، وكان سبب رفع إدريس إلى السماء الرابعة على ما قاله كعب الأحبار وغيره أنه

الرابعة أو السادسة أو السابعة أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيي ولم يخرج منها

كان ماراً ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس وحرها، فقال: يا رب إني مشيت يوماً فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد، اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرفه، فقال: يا رب خففت عني حر الشمس فما الذي قضيت فيه؟ قال: إن عبدي إدريس سألني أن اخفف عنك حملها وحرها فأجبته. قال: يا رب فاجمع بيني وبينه واجعل بين وبينه خلة، فأذن له حتى أتى إدريس فكان إدريس يسأله فكان مما سأله أن قال له: إني أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي فأزداد شكراً وعبادة، فقال الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها وأنا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت وقال له: لي إليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله، فقال ملك الموت: ليس ذلك إلي ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت فيقدم لنفسه. قال: نعم فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً. قال: وكيف ذلك؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس. قال: إني أتيتك وتركته هناك قال: انطلق افلا أراك تجده إلا وقد مات فوالله ما بقي من أجل إدريس شيء، فرجع الملك فوجده ميتاً.

وقال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العباد مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن به في زيارته فأذن له، فأتاه في صورة بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال، فأنكره إدريس وقال له في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت؟ قال: أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك، فقال: في إليك حاجة. قال: ما هي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله إليه أن اقبض روحه فقبضها وردها الله إليه في ساعة، فقال له ملك الموت: ما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال: لأذوق الموت وغمته فأكون أشد استعداداً له، ثم قال له إدريس: إن لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله له فرفعه. فلما قرب من النار قال: لي حاجة. قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكاً حتى يفتح أبوابها ففعل، ثم قال: فكما أريتني النار فـأرني الجنة، فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: أخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال: ما أخرج منها فبعث الله ملكاً حكماً بينهما، فقال له الملك: مالك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد ذقته، وقال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال: ﴿ما هم منها بمخرجين﴾ [الحجر: ٤٨] ولست أخرج. فأوحى الله إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج منها فهو حي هناك، فذلك قوله تعالى: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ واختلفوا في أنه حي في السماء ام ميت؟ فقال قوم: هو ميت، وقال قوم: هو حي. وقالوا أربعة من الأنبياء في الأحياء: اثنان في الأرض وهما الخضر والياس، واثنان في السماء وهما عيسى وإدريس اهـ خازن.

وفي القرطبي: وقال السدي: أنه نام ذات يوم فاشتدت عليه الشمس وحرها وهو منها في كرب فقال: اللهم خفف عن ملك الشمس وأعنه فإنه يمارس ناراً حامية، فأصبح ملك الشمس وقد نصب له

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ صفة له ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بيان له وهو في معنى الصفة وما بعده إلى جملة الشرط صفة للنبيين، فقوله ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ أي إدريس ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ في السفينة

كرسي من نور، عنده سبعون ألف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه ويتولون عمله من تحت حكمه، فقال ملك الشمس: يا رب من أين لي هذا؟ قال له: دعا لك رجل من بني آدم يقال له إدريس ثم ذكر نحو حديث كعب اهـ.

ثم قال أي القرطبي: قال النحاس: قول إدريس ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ [الحجر: ٤٨] يجوز أن يكون أعلم بهذا إدريس ثم نزل القرآن به. قال وهب بن منبه: فإدريس تارة يرفع في الجنة، وتارة يعبد الله مع الملائكة في السماء الرابعة اهـ.

قوله: ﴿أولئك﴾ خطاب لمحمد ﷺ واسم الإشارة واقع على الأنبياء المذكورين في هذه السورة وهم عشرة. أولهم في الذكر زكريا، وآخرهم إدريس اهـ شيخنا.

قوله: (صفة له) أي أولئك الموصوفون بإنعام الله عليهم وقوله: (بيان له) أي للموصول من بيان العام بالخاص، وفي نسخة بيان لهم فإن الذين أنعم الله عليهم عام والنبيون خاص، والمعنى أولئك المنعم عليهم الذين هم النبيون فمن للبيان اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿من النبيين من ذرية آدم﴾ من الأولى للبيان لأن كل الأنبياء منعم عليهم، والثاني للتبعيض فمجرورها بدل مما قبله بإعادة العامل اهـ.

قوله: (وهو في معنى الصفة) فكأنه قال: أولئك الموصوفون بالنبوة وقوله: (وما بعده الخ) أي فكأنه قال: اولئك النبيون الذين هم بعض ذرية آدم اهـ شيخنا.

قوله: (أي إدريس) تفسير للذرية المجرورة بمن فهو ممنوع من الصرف، وفي الحقيقة هو تفسير للبعض المدلول عليه بمن التبعيضية وليس تفسيراً للذرية لأنها تعم إدريس وغيره اهـ شيخنا.

وهذا التفسير خبر عن المبتدأ الذي هو، فقوله لكن بنوع تأويل والتقدير فقوله: ﴿من ذرية آدم﴾ مفسر بإدريس أو محمول على إدريس. وعبارة البيضاوي: من ذرية آدم بدل بإعادة الجار، ويجوز أن تكون من فيه للتبعيض لأن المنعم عليهم أعم من الأنبياء وأخص من الذرية، وممن حملنا مع نوح أي من ذرية من حملنا مع نوح خصوصاً وهم من عدا إدريس، فإن إدريس من ذرية آدم لقربه منه، وإبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح ومن ذرية إبراهيم وهم الباقون.

وإسرائيل عطف على إبراهيم أي: ومن ذرية إسرائيل وهو يعقوب، وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية انتهت مع زيادة.

وقوله: خصوصاً أشار به إلى أن ذكر ذرية من حملنا من ذكر الخاص بعد العام لأن المعطوفات داخلة في ذرية آدم اهـ زكريا.

قوله: ﴿ومن حملنا﴾ على حذف مضاف أي ومن ذرية من حملنا الخ اهـ شيخنا.

أي إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَ﴾ من ذرية ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وهو يعقوب أي موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ أي من جملتهم وخبر أولئك ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ جمع ساجد وباك أي

قوله: (أي إبراهيم) تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح ومن حمل مع نوح أولاده الثلاثة، لأنهم الذين أعقبوا دون من كان في السفينة كما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: (ابن ابنه) أي بوسائط، فإن إبراهيم بن آزر وبين إبراهيم ونوح عشرة قرون كما في التحبير للسيوطي.

قوله: ﴿ممن هدينا﴾ هذا آخر الصفات. والتقدير: والكائنين ممن هدينا واجتبينا ومن تبعيضية كما أشار له بقوله (أي من جملتهم) وهو معطوف من ذرية آدم اهـ شيخنا.

قوله: (أي من جملتهم) أي جملة من أنعم الله عليه كعبدالله بن سلام وأصحابه، وجعل الشيخ المصنف من تبعيضية كالبيضاوي لأن جعلها للبيان عطفاً على من الأولى ما جوزه الزمخشري: يرد عليه أن ظاهر العطف المغايرة فيحتاج إلى أن يقال المراد الجامعين بين النبوة والهداية، واعلم أنه تعالى أثنى على كل واحد ممن تقدم ذكره من الأنبياء بما يخصه من الثناء ثم جمعهم آخراً فقال: أولئك الخ فرتب تعالى أحوال الأنبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبهاً بذلك على أنهم كما فضلوا بأعمالهم فلهم منزلة في الفضل بولادتهم من هؤلاء الأنبياء، ثم بين أنهم ممن هدينا واجتبينا منبهاً بذلك على أنهم خصوا بهذه المنازل لهداية الله لهم، ولأنه اختارهم للرسالة اهـ شيخنا.

قوله: (وخبر أولئك الخ) عبارة السمين: إذا تتلى عليهم جملة شرطية فيها قولان، أظهرهما: أنها لا محل لها لاستئنافها. والثاني: أنها خبر أولئك والموصول قبلها صفة لاسم الإشارة وعلى الأول يكون الموصول نفس الخبر. وقرأ العامة تتلى بتاءين من فوق، وقرأ عبدالله وشيبة، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وورش عن نافع في روايات شاذة يتلى بالياء من تحت والتأنيث مجازي فلذلك جاء في الفعل الوجهان اهـ سمين.

قوله: ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ أخبر الله تعالى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعاً وخشوعاً وخوفاً وحذراً والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم، وقيل: المراد بالآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد، ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن اهـ خازن.

وفي الخطيب: واختلف في هذا السجود فقال بعضهم: إنه الصلاة، وقال بعضهم: سجود التلاوة على حسب ما تعبدوا به. قال الرازي: ثم يحتمل أن يكون المراد سجود القرآن ويحتمل أنهم عند الخوف كانوا قد تعبدوا بالسجود فيفعلون ذلك لأجل ذكر السجود في الآية اهـ.

قوله: (جمع ساجد) أي: قياساً وقوله: (وباك أي) على غير قياس وقياسه بكاة كقاض وقضاة كما قال ابن مالك:

في نحو رام ذو اطراد فعله اهـ شيخنا

فكونوا مثلهم، وأصل بكى بكوي قلبت الواو ياء والضمة كسرة ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بتركها كاليهود والنصارى ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ من المعاصي ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ هو واد في جهنم أي يقعون فيه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون ﴿شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ من ثوابهم ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة بدل من الجنة ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾

قوله: (فكونوا) أي يا أهل مكة مثلهم أي خشوعاً وخضوعاً وحذراً وخوفاً عند التلاوة. وفي الحديث: «اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» اهـ كرخي.

وعن صالح المزني: قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: يا صالح هذه القراءة فأين البكاء.

وعن ابن عباس: إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه. وروي أنه ﷺ قال: «ما غرغرت عين بماء إلا حرم الله تعالى على النار جسدها» إلى غير ذلك من الأحاديث اهـ خطيب.

قوله: ﴿فخلف﴾ أي وجد وحدث من بعدهم أي من بعد النبيين المذكورين خلف أي عقب، وجماعة يستعمل الخلف بسكون اللام كما هنا في الشر فيقال: خلف سوء ويفتحها في الخير، فيقال: خلف صالح اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: أي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال: خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون.

قوله: (هو واد في جهنم) أي تستعيذ من حره أوديتها أعد للزناة وشربة الخمر، وشهادة الزور، وأكلة الربا، والعاقين لوالديهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا من تاب﴾ عادته إذا أشار لانقطاع الاستثناء أن يفسر إلا بلكن، ووجه الانقطاع هنا أن المستثنى منه كفار والمستثنى مؤمنون هذا غرضه، لكن استوجه غيره الاتصال وهو ظاهر اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: إلا لكن أشار إلى أن الاستثناء منقطع تبعاً للزجاج وهو مبني على أن المضيع للصلاة من الكفار، وجرى أبو حيان وغيره على أنه متصل وهو ظاهر الآية لما روي عن قتادة أنها في حق هذه الأمة، ويجوز أن يحمل على التلغيظ كما قال تعالى: ﴿من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر﴾ [آل عمران: ٩٧] وبهذا التأويل يحسن قول قتادة إن هذا الكلام نازل في شأن أمة محمد ﷺ اهـ.

قوله: ﴿جنات عدن﴾ العامة على كسر التاء نصباً على أنها بدل من الجنة وعلى هذه القراءة يكون قوله: ﴿ولا يظلمون شيئاً﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه اعتراض بين البدل والمبدل منه. والثاني: أنه حال. كذا قاله الشيخ وفيه نظر من حيث إن المضارع المنفي بلا كالمثبت في أنه لا تباشره واو الحال اهـ سمين.

قوله: ﴿التي وعد الرحمن﴾ أي وعدها، فالعائد محذوف. وقوله: ﴿عباده﴾ جمع عابد كما قاله بعضهم هنا اهـ.

حال أي غائبين عنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ أي موعوده ﴿مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾ بمعنى آتياً وأصله مأتوي أو موعده هنا الجنة يأتيه أهله ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ من الكلام ﴿إِلَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلَٰمًا﴾ من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ أي على قدرهما في الدنيا،

قوله: ﴿بالغيب﴾ (حال) أي من المفعول أي غائبين عنها أي غير شاهدين لها. أي وعدهم بها وهم في الدنيا ومن في الدنيا لا يشاهدها اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿بالغيب﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أن الباء حالية وفي صاحب الحال احتمالان، أحدهما: ضمير الجنة وهو عائد الموصول أي وعدها وهي غائبة لا يشاهدونها. والثاني: أن يكون هو عباده أي وهم غائبون عنها لا يرونها، وإنما آمنوا بها بمجرد الإخبار منه.

الوجه الثاني: أن الباء سببية أي بسبب تصديق الغيب وبسبب الإيمان به اهـ.

قوله: ﴿إنه كان وعده﴾ يجوز في هذا الضمير وجهان، أحدهما: أنه ضمير الباري تعالى يعود على الرحمن، أي أن الرحمن كان وعده مأتياً. والثاني: أنه ضمير الأمر والشأن لأنه مقام تعظيم وتفخيم، وعلى الأول يجوز أن يكون في كان ضمير هو اسمها يعود على الله تعالى، ووعده بدل من ذلك الضمير بدل اشتمال ومأتياً خبرها. ويجوز أن لا يكون فيها ضمير بل هي رافعة لوعده ومأتياً الخبر أيضاً، وهو نظير إن زيداً كان أبوه منطلقاً. ومأتياً فيه وجهان، أحدهما: أنه مفعول على بابه، والمراد بالوعد الجنة وأطلق عليها المصدر أي موعوده نحو: الدرهم ضرب الأمير، وقيل: الوعد مصدر على بابه ومأتياً مفعول بمعنى فاعل ولم يرتضه الزمخشري فإنه قال: قيل في مأتياً أنه مفعول بمعنى فاعل، والوجه أن الوعد هو الجنة أو هو من قولك أتى إليه إحساناً أي كان وعده مفعولاً منجزاً اهـ سمين.

قوله: (أي موعوده) أي الذي وعد به من الجنة وغيرها، وقوله: (بمعنى آتياً) أي فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل، وقوله: (أو موعوده الخ) إشارة لتفسير آخر يكون مأتياً عليه باقياً على كونه اسم مفعول، ويكون المراد بالموعود خصوص الجنة، فقوله هنا أي في هذه الآية، وقوله: (الجنة) خبر عن موعده، وقوله: (يأتيه أهله) بيّن به أن مأتياً اسم مفعول بحاله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لغواً﴾ هو فضول الكلام، وقوله: ﴿إلا سلاماً﴾ أبدى الزمخشري فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون معناه إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغواً فلا يسمعون لغواً إلا ذاك فهو من وادي قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

الثاني: أنهم لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع.
الثالث: أن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة وأهلها الدعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام. قلت: وظاهر هذا أن الاستثناء على الأول والأخير متصل، فإنه صرح بالمنقطع في الثاني: أما اتصال الثالث فواضح لأنه

وليس في الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبداً ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ نعطي وننزل ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ بطاعته، ونزل لما تأخر الوحي أياماً وقال النبي ﷺ لجبريل «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي أمامنا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾

أطلق اللغو على السلام بالاعتبار الذي ذكره، وأما الاتصال في الأول فعسر إذ لا يعد ذلك عيباً فليس من جنس الأول، وسيأتي تحقيق هذا إن شاء الله تعالى عند قوله: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ [الدخان: ٥٦] اهـ سمين.

قوله: (وليس في الجنة نهار ولا ليل) أي وإنما يعرفون الليل بارخاء الحجب وغلق الأبواب، والنهار بفتحها ورفع الحجب كما روي اهـ كرخي.

قوله: (نعطي وننزل) أي نعطيها عطاء لا يرد كالميراث الذي يأخذه الوارث فلا يرجع إليه المورث. وفي البيضاوي: نورث من عبادنا من كان تقياً أي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه. والوراثة أقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث أنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا إسقاط. وقيل: يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة في كرامتهم اهـ.

وقرأ الأعمش: نورثها بإبراز عائد الموصول، وقرأ الحسن والأعرج وقتادة: يورث بفتح الواو وتشديد الراء من ورث مضعفاً اهـ سمين.

قال بعضهم: هذه الآية دالة على أن الجنة لا يدخلها إلا من كان تقياً، إذ الفاسق المرتكب للكبائر لم يوصف بذلك وأجيب: بأن الآية تدل على أن المتقي يدخلها وليس فيها دلالة على أن غير المتقي لا يدخلها، وأيضاً فصاحب الكبيرة متق عن الكفر، ومن صدق عليه أنه متق عن الكفر فقد صدق عليه أنه متق اهـ كرخي.

قوله: (ونزل لما تأخر الوحي) أي: أربعين يوماً أو خمسة عشر، فشق ذلك عليه ﷺ مشقة شديدة، وقال المشركون: ودعه ربه وقلاه فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الضحى، والمعنى وما نتنزل وقتاً غب وقت إلا بأمر الله ما تقتضيه حكمته اهـ أبو السعود.

وعبارة الخازن: وقيل: احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سألوه في أمر الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فقال: أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله حتى شق على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله ﷺ: «أبطأت عليَّ حتى ساءني واشتقت إليك» فقال له جبريل: إني كنت أشوق، ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست، فأنزل الله تعالى: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾، وأنزل ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾ [الضحى: ٢] اهـ.

قوله: ﴿وما نتنزل﴾ هذا على لسان جبريل أمره الله تعالى أن يقول لمحمد جواباً لسؤاله المذكور اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: وما نتنزل إلا بأمر ربك حكاية قول جبريل حيث استبطأه رسول الله ﷺ لما

من أمور الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة أي له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ بمعنى ناسياً أي تاركاً لك بتأخير الوحي عنك هو ﴿رَّبُّ﴾ مالك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ أي اصبر عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ أي مسمى بذلك؟ لا ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المنكر للبعث أبيّ بن خلف أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية

سئل عن قصة أهل الكهف وذي القرنين والروح، ولم يدر ما يجب ورجا أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً، وقيل: أربعين، حتى قال المشركون: ودعه ربه وقلاه، ثم نزل ببيان ذلك. والتنزل النزول على مهل فإنه مطاع نزل بالتشديد وقد يطلق بمعنى النزول مطلقاً كما يطلق نزل المشدد بمعنى أنزل، والمعنى وما ننزل وقتاً غب وقت إلا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته اهـ.

قوله: (من أمور الآخرة) بيانية. قوله: (أي له علم ذلك) أي فلا ننتقل من مكان إلى مكان، ولا ننزل في زمان دون زمان إلا بأمره ومشيئته اهـ أبو السعود.

قوله: (أي تاركاً لك) أي أن عدم النزول لم يمكن إلا لعدم الأمر لحكمة بالغة، ولم يكن لتركه تعالى لك كما زعمت الكفرة اهـ أبو السعود.

قوله: (هو) ﴿رب﴾ أشار إلى أن رب خبر مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون بدلاً من ربك اهـ كرخي.

وهذا بيان لاستحالة النسيان عليه، فإن من بيده ملكوت السموات والأرض كيف يتصور أن يحوم حول ساحته الغفلة والنسيان اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فاعبده﴾ أي: إذا عرفت ربوبيته تعالى الكاملة فاعبده، وعرفت أنه لا ينساك فأقبل على عبادته ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة، فإنه يراقبك ويلطف بك في الدنياوالآخرة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿هل تعلم له سمياً﴾ أي مثلاً يستحق أن يسمى إلهاً أو أحداً سمي بالله، فإن المشركين وإن سموا الصنم إلهاً لم يسموه الله قط، وذلك لظهور أحديته، وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للأمر أي: إذا صح أن لا أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لأمره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها اهـ بيضاوي.

قوله: (أي مسمى بذلك) أي بلفظ الجلالة أو برب السموات والأرض. وفي أبي السعود: والسمي هو الشريك في الاسم، والظاهر أن المراد به الشريك في اسم خاص وهو رب السموات والأرض، والجملة تأكيد لما أفادته الفاء من علة ربوبيته العامة، وقيل: المراد الشريك في الاسم الجليل اهـ.

قوله: ﴿ويقول الإنسان﴾ هذا من قبيل العام الذي أريد به الخصوص كما بينه بقوله أبي بن خلف الخ. فهو على حد الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم، ويصح أن يراد بالخصوص جنس الكافر المنكر للعبث، وعلى كل فلفظ الإنسان لا يشتمل المؤمنين اهـ.

﴿أَءِذَا﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ﴿مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ من القبر كما يقول محمد، فالاستفهام بمعنى النفي أي لا أحيا بعد الموت، وما زائدة للتأكيد، وكذا اللام ورد عليه بقوله تعالى ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أصله يتذكر أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال، وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي المنكرين للبعث ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي نجمع كلاً منهم وشيطانه في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ على الركب جمع جاث وأصله جثوو أو جثوى من جثا يجثو أو يجثي لغتان ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ

قوله: (النازل فيه) أي: في أحدهما: إذ العطف بأو. قوله: ﴿أئذا ما مت لسوف أخرج حياً﴾ إذا منصوبة بفعل مقدر مدلول عليه بقوله تعالى: ﴿لسوف أخرج﴾ تقديره إذا مت أبعث أو أحيا، ولا يجوز أن يكون العامل فيه أخرج لأن ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها اهـ سمين.

والظاهر أن هذا إنما يأتي على غير ما سلكه الجلال من دعوى زيادة اللام، أما عليه فالظرف معمول لهذا الفعل المذكور فلا تمنعه اللام لزيادتها كما أشار له الكرخي. قوله: (وإدخال ألف بينها) أي الثانية وقوله: (وبين الأخرى) أي الأولى، وكان الأولى أن يزيد وتركه لأجل أن تكون عبارة منبهة على القراءات الأربع الواردة هنا وكلها سبعية. قوله: ﴿لسوف أخرج حياً﴾ حياً حال مؤكدة لأن من لازم خروجه من القبر أن يكون حياً وهو كقوله: ﴿ويوم أبعث حياً﴾ [مريم: ٣٣] اهـ سمين.

قوله: ﴿أولا يذكر الإنسان﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ، والواو لعطف الجملة على أخرى مقدرة أي: أيقول ذلك ولا يذكر اهـ أبو السعود.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية تركها أي ترك التاء، وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب كما في البيضاوي.

قوله: ﴿من قبل﴾ أي من قبل بعثه، وقدره الزمخشري من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه اهـ سمين.

قوله: (على الإعادة) أي: فإنها أهون اهـ كرخي.

قوله: ﴿فوربك﴾ الخ فائدة القسم أمران، أحدهما: أن العادة جارية بتأكيد الخبر باليمين. والثاني: أن في إقسام الله تعالى باسمه مضافاً إلى رسول الله ﷺ رفعاً منه لشأنه كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ [الذاريات: ٢٣] اهـ كرخي.

قوله: (من خارجها) أي: قبل دخولها، وقيل: من داخلها اهـ كرخي.

قوله: (وأصله جثوو) بواوين قلبت الواو الثانية ياء ثم الأولى كذلك، وأدغمت الياء في الياء. وقوله: (أو جثوى) قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وعلى كلا الوجهين كسرت الثاء لتصح الياء اهـ شيخنا.

فالجيم مكسورة ومضمومة قراءتان سبعيتان.

شِيعَةٍ﴾ فرقة منهم ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ جرأة ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحق بجهنم الأشد وغيره منهم ﴿صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ دخولاً واحتراقاً فنبدأ بهم وأصله صلوى من صلي بكسر اللام

قوله: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ أي: من كل أمة شايعت ديناً من الأديان أي تبعته. وقوله: ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾. أي: من كان أعتى وأعصى منهم فنطرحهم فيها، وفي ذكر الأشد تنبيه على أنه تعالى يعفو عن كثير من أهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة، فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب، أو يدخل كلا طبقته التي تليق به اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أيهم أشد﴾ في هذه الآية أقوال كثيرة، أظهرها: عند الجمهور من المعربين وهو مذهب سيبويه أن أيهم موصولة بمعنى الذي، وأن حركتها حركة بناء بنيت عند سيبويه لخروجها عن النظائر. وأشد: خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لأي، وأيهم وصلتها في محل نصب مفعول به لننزعن اهـ سمين.

وعتياً تمييز محول عن المبتدأ المحذوف الذي هو أشد أي عتوه أشد جراءته على الرحمن أشد من جراءة غيره اهـ شيخنا.

قوله: (جراءة) أي: معصية. أي: ننزع الاعصى فالاعصى فيطرح فيها، لأن عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعاً لغيره، وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد اهـ.

وجراءة: بفتح الجيم والمد بوزن ظرافة يقال: جرؤ جراءة كظرف ظرافة، ويقال: جرأة بالضم كغرفة اهـ شيخنا.

قوله: (الأشد وغيره) بالجر لأنه تعميم في الذين هم أولى بها أي: المراد بهم ما يعم الأشد عتياً وغيره، وقوله: (منهم) نعت للأشد وغيره والضمير للموصول بقسميه، لكن على هذا التعميم لا يظهر التفضيل في قوله ﴿أولي﴾، ولا يظهر قوله: ﴿فنبدأ بهم﴾، فعلى هذا التعميم يتعين أن يكون قوله أولى بها بمعنى أصل الفعل أي: بالذين هم مستحقون لها، وعليه لا يستقيم قول الشارح فنبدأ بهم، والحاصل أنه كان الأولى للشارح حمل الموصول على خصوص الأشد كفراً فيصح قوله فنبدأ بهم. وفي الخازن: والمعنى أنه يقدم في ادخال النار الأعتى فالأعتى ممن هم أكبر جرماً وأشد كفراً. وفي بعض الأخبار: أنهم يحضرون جميعاً حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الأكفر فالأكفر، فمن كان أشدهم تمرداً في كفره خص بعذاب أشد وأعظم، لأن عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال، ففائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب لاشتراكهم فيه اهـ.

قوله: ﴿صلياً﴾ بضم الصاد وكسرها سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: (فنبدأ بهم) أي بالذين هم أولى بها. قوله: (صلوى) قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وكسرت اللام لتصح الياء، وقوله: (بكسر اللام) أي من باب رضي، (وقوله: وفتحها) أي من باب رمى اهـ شيخنا.

وفتحها ﴿وَإِن﴾ أي ما ﴿مِّنكُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي داخل جهنم ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾

وعبارة الكرخي: يقال: صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقياً، وصلى يصلي صلياً مثل مضى يمضي مضياً اهـ.

قوله: (أي ما منكم أحد) أي مسلماً كان أو كافراً، وهذا هو تفسير ابن عباس الصحيح عند أهل السنة. وحاصلة؛ أن المراد بالورود الدخول، وأن جميع الخلق يدخلونها مؤمنهم وكافرهم، ويستثنى الأنبياء والمرسلون، وقيل: المراد خصوص الكفار والمؤمنون لا يدخلونها أبداً. وقيل: المراد بالورود المرور على الصراط، وعلى هذا لا يستثنى الأنبياء بل يمر عليه جميع الخلق. وقيل: المراد بورودها رؤيتها والقرب منها اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ أي واصلها وحاضر عندها يمر بها المؤمنون غير الأنبياء والمرسلين، كما في تفسير ابن عباس وهي خامدة وتنهار بغيرهم. وعن جابر أنه ﷺ سئل عنه فقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار، فيقال قد وردتموها وهي خامدة» وأما قوله تعالى: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١] فالمراد عن عذابها، وقيل: ورودها الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها اهـ.

وفي القرطبي: واختلف الناس في الورود، فقيل: الورود الدخول. روي عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الورود الدخول، فلا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها. فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً» أسنده أبو عمر في كتاب التمهيد، وهو قوله ابن عباس، وخالد بن معدان، وابن جريج وغيرهم. وفي الحديث: «فتقول النار للمؤمنين جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي». وفي مسند الدرامي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كعدو الفرس ثم كالراكب المجد ثم كشد الرجل في مشيه» فإن قلت: إذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار؟ قلت: فيه وجوه، أحدها: أن ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه. وثانيها: أن فيه مزيدهم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها. وثالثها: أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب على الكفار صار ذلك سبباً لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة. فإن قيل: فهل يدخل الأنبياء النار؟ قلنا: لا نطلق هذا في حق الأنبياء أدباً معهم، ولكن نقول أن الخلق جمعياً يردونها كما دل عليه حديث جابر وغيره، فالعصاة يدخلونها بجرائمهم والأولياء والسعداء يدخلونها بشفاعتهم، فبين الداخلين بون. وقالت فرقة: الورود المرور على الصراط. وروي عن ابن عباس، وابن مسعود، وكعب الأحبار، والسدي، ورواه السدي عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ وقاله الحسن أيضاً. فالورود أن يمروا على الصراط واحتجوا بقوله تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١] قالوا: فلا يدخل النار من ضمن الله أن يباعده منها، وأجاب الأولون بأن معنى قوله: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ أنهم مبعدون عن العذاب فيها والاحتراق بها. قالوا: فمن دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعاً ولا ألماً فهو مبعد منها. وقالت فرقة: الورود هو الإشراف والاطلاع والقرب، وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون

حتمه وقضى به لا يتركه ﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾ مشدداً ومخففاً ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ الشرك والكفر منها ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالشرك والكفر ﴿فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ على الركب ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين والكافرين ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن وأنتم

إليها في حالة الحساب، ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه ويصار بهم إلى الجنة، ويذر الظالمين أي يأمر بهم إلى النار. وقال مجاهد: ورود المؤمنين هو الحمى التي تصيبهم في دار الدنيا فهي حظ المؤمن من النار فلا يردها بعد ذلك. وروى وكيع، عن شعبة، عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: هذا خطاب للكفار، وروي أنه كان يقرأ وإن منهم لمناسبة الآيات التي قبل هذه فإنها في الكفار وهي قوله: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ [مريم: ٦٨] ﴿ثم لنحضرنهم﴾ [مريم: ٦٨] وأيهم أشد ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً، وإن منهم ألا ورادها، وكذلك قرأ عكرمة وجماعة. لكن الاكثرون على أن المخاطب العالم كلهم كما تقدم اهـ مع بعض زيادات من الخازن.

قوله: (أي داخل جهنم) أي وتكون على المؤمنين برداً وسلاماً. قوله: ﴿كان على ربك﴾ أي: كان الورود حتما مقضياً على ربك بمقتضى حكمته الإلهية لا بإيجاب غيره عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي نخرجهم منها فلا يخلدون بعد أن أدخلوها اهـ شيخنا.

قوله: (مشدداً ومخففاً) سبعيتان. قوله: ﴿الذين اتقوا﴾ أي وإن كانوا عصاة. قوله: (منها) متعلق بننجي. قوله: ﴿ونذر﴾ أي: نترك. قوله: ﴿جثياً﴾ إما مفعول ثان وإن كان نذر يتعدى لاثنين بمعنى نترك ونصير، وإما حال إن جعلت نذر بمعنى نخليهم، وجثياً على ما تقدم، وفيها يجوز أن يتعلق بنذر وأن يتعلق بجثياً وإن كان حالاً، ولا يجوز ذلك فيه أن كان مصدراً، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من جثياً لأنه في الأصل صفة لنكرة قدم عليها فنصب عليها اهـ سمين.

قوله: ﴿قال الذين كفروا﴾ أي أغنياؤهم المتجملون بالثياب وغيرها ﴿للذين آمنوا﴾ أي لفقراء المؤمنين الذين هم في خشونة عيش ورثاثة ثياب وضيق منزل أي: قالوا لهم انظروا منازلنا فتروها أحسن من منازلكم، وانظروا إلى مجلسنا عند التحدث ومجلسكم فترونا نجلس في صدر المجلس وأنتم في طرفه الحقير، فإذا كنا بهذه المثابة وأنتم بتلك فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم خيراً أي على خير لأكرمكم بهذه الأمور كما أكرمنا بها اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال، لأن زيادة حظهم فيها تدل على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم، فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿وكم أهلكنا﴾ الخ. وحاصل الرد أن ما أنتم فيه أيها الكفار من النعم محض استدراج لا يغني عنكم شيئاً عند نزول البلاء كما وقع للأمم الماضية حيث كانوا في رفاهية أكثر منكم، ومع ذلك أهلكهم الله بكفرهم ولم ينفعهم الترفه شيئاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿للذين آمنوا﴾ اللام للتبليغ أي: شافهوا وخاطبوا المؤمنين بالقول المذكور اهـ شيخنا.

قوله: (نحن وأنتم) بيان للفريقين. قوله: (بالفتح من قام الخ) أي: محل القيام أو الإقامة، وهو

﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ منزلاً ومسكناً بالفتح من قام وبالضم من أقام ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ بمعنى النادي وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه يعنون نحن فنكون خيراً منكم. قال تعالى ﴿وَكَمْ﴾ أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أمة من الأمم الماضية ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ مالاً ومتاعاً ﴿وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ منظراً من الرؤية فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ شرط جوابه ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بمعنى الخبر أي يمد ﴿لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ في الدنيا يستدرجه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ كالقتل والأسر

المسكن الذي يقيم صاحبه فيه فهو غير النادي، إذ هو متحدث القوم اهـ شيخنا.

وفي السمين: خير مقاماً قرأ ابن كثير مقاماً بالضم، والباقون بالفتح، وفي كلتا القراءتين يحتمل أن يكون اسم مكان أو اسم مصدر إما من قام ثلاثياً أو من أقام رباعياً، أي خير مكان قيام أو إقامة. والندى فعيل أصله نديو لأن لامه واو يقال ندوتهم أندوهم أي أتيت ناديهم. والنافي مثله ومنه: ﴿فليدع ناديه﴾ [العلق: ١٨] أي أهل ناديه. والندى والنادي مجلس القوم ومتحدثهم، وقيل: هو مشتق من الندى وهو الكرم، لأن الكرماء يجتمعون فيه. ومقاماً ونديّاً منصوبان على التمييز من أفعل اهـ.

قوله: ﴿وكم أهلكنا﴾ كم: مفعول مقدم، ومن قرن تمييز لها. والقرن: مفرد لفظاً متعدد معنى، وقوله: ﴿وهم أحسن﴾ جملة من مبتدأ وخبر في محل جر نعت لقرن المجرور بمن وأثاثاً ورئياً تمييزان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ورئيا﴾ بمعنى المرئي. فقوله: (منظراً) بفتح الظاء أي صورة وهيئة، وهذا كالذبح والطحن بمعنى المذبوح والمطحون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل من كان في الضلالة﴾ أي: قل للكفار القائلين للمؤمنين أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في الضلالة﴾ أي: الكفر والجهل والغفلة عن عواقب الأمور اهـ شيخنا.

قوله: (بمعنى الخبر) وإخراجه على صيغة الأمر للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير، كما ينبىء عنه قوله تعالى ﴿أو لم نعمركم ما يتذكرون فيه تذكر﴾ [فاطر: ٣٧] أو للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ [آل عمران: ١٧٨] التعرض لعنوان الرحمانية لما أن المدّ من أحكام الحرمة الدنيوية اهـ أبو السعود.

وذكر لفظ الرحمن في هذه السورة في ستة عشر موضعاً اهـ شيخنا.

قوله: (أي يمد له) أي يزيده طغياناً واستدراجاً بأن يطيل عمره ويكثر ماله ويمكنه من التصرف فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذا رأوا ما يوعدون﴾ في كل من الضميرين مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها اهـ.

وحتى: غاية في قوله ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾، والغاية في الحقيقة هي قوله: ﴿فسيعلمون﴾. وقوله: ﴿إذا رأوا﴾ معمول ليعلمون وما مفعول به، وإما حرف تفصيل وهي مانعة خلو تجوز الجمع

﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ المشتملة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرٌّ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥﴾ أعواناً أهم أم المؤمنون وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم الملائكة ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ بالإيمان ﴿هُدٗىۗ﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي الطاعات تبقى لصاحبها ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ٧٦﴾ أي ما يرد إليه ويرجع بخلاف أعمال الكفار، والخيرية

والعذاب والساعة بدلان من ما أي: يستمرون في الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هو شر مكاناً وأضعف جنداً اهـ شيخنا.

وحتى هنا حرف ابتدأ أي: تبتدأ بعدها الجمل أي تستأنف فليست جارة ولا عاطفة اهـ كازروني.

وفي الشهاب: والجملة بعدها مستأنفة وحتى ليست بجارة ولا عاطفة، وهكذا حيث دخلت على إذا الشرطية عند الجمهور اهـ.

وفي زكريا: أنها جارة والمعنى فيستمرون في الطغيان إلى أن يشاهدوا الموعود اهـ.

قوله: (كالقتل) أي كما وقع لهم يوم بدر. **قوله**: ﴿**فسيعلمون**﴾ جواب إذا. **وقوله**: ﴿**من هو شر مكاناً وأضعف جنداً**﴾ راجعان لقوله: ﴿**أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً**﴾ على سبيل اللف والنشر المرتب اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وأضعف جنداً أي فئة وأنصاراً قابل به أحسن ندياً من حيث أن حسن النادي يكون باجتماع وجوه القوم وأعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم اهـ.

قوله: (**أهم أم المؤمنون**) يشير بهذا إلى أن من استفهامية وهو أحد وجهين. وفي السمين: ومن يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي، وتكون مفعولاً به ليعلمون، ويجوز أن تكون استفهامية في محل رفع بالابتداء وهو مبتدأ ثان وشر خبره، والثاني وخبره الأول، ويجوز أن تكون الحملة معلقة لفعل الرؤية فالجملة في محل نصب على التعليق اهـ.

قوله: (**عليهم**) متعلق بجند لما فيه من معنى الاعانة أي المعاونون لهم عليهم، كما وقع لهم في بدر، فإن الكفار كان جندهم إبليس وأعوانهم جاؤوا لهم أعواناً ثم انخذلوا عنهم، والمؤمنين كان جندهم الملائكة التي قاتلت معهم كما تقدم في الأنفال في قوله تعالى ﴿**وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم**﴾ [الأنفال: ٤٨] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿**ويزيد الله**﴾ الخ هذه الجملة إما مستأنفة أو معطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول، والتقدير: قل من كان في الضلالة الخ، وقل يزيد الله الخ اهـ من السمين والبيضاوي.

قوله: (**هي الطاعات الخ**) تقدم له في سورة الكهف أنه فسرها بسبحان الله والحمد لله الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿**خير عند ربك ثوابا**﴾ أي عائدة مما متع به الكفرة من النعم التي افتخروا بها اهـ بيضاوي.

قوله: (**أي ما يرد إليه ويرجع**) أي إليه وهو الجنة. **وقوله**: (**بخلاف أعمال الكفار**) أي فإنها شر

هنا في مقابلة قولهم أي الفريقين خير مقاماً ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ العاصي بن وائل ﴿وَقَالَ﴾ لخباب بن الأرت القائل له تبعث بعد الموت والمطالب له بمال ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ على تقدير البعث ﴿مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ فأقضيك. قال تعالى ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أي أعلمه وأن يؤتى ما قاله، واستغنى

مرداً فإنها تردهم إلى جهنم، وقوله: (والخيرية الخ) أي فأفعل التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة لكلامهم السابق، فلا يقال إن أعمال الكفار لا خير فيها أصلاً، فكيف تصح المفاضلة اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: وهذا جواب عما تخيل كيف فضلوا عليهم في خيرية الثواب، والعاقبة، والتفضيل يقتضي المشاركة وهم لا ثواب لهم وعاقبتهم لا خير فيها.

قوله: ﴿أفرأيت﴾ الخ استفهام تعجيب أي تعجب يا محمد من قصة هذا الكافر ومن مقالته المذكورة اهـ شيخنا.

وعطف هذه الجملة بالفاء إيذاناً بإفادة التعقيب، كأنه قيل أخبر أيضاً بقصة هذا الكافر عقب قصة أولئك، وأرأيت بمعنى أخبرني كما قد عرفته الموصول هو المفعول الأول، والثاني هو الجملة الاستفهامية من قوله: ﴿أطلع الغيب﴾ ولأوتين جواب قسم مضمر، والجملة القسمية كأنها في محل نصب بالقول اهـ.

قوله: (العاصي بن وائل) وهو أبو سيدنا عمرو، فهو جد عبد الله بن عمر وأحد العبادلة المشهورة اهـ شيخنا.

قوله: (لخباب بن الأرت) من البدريين، وقوله: (القائل له) أي: للعاصي، وذلك أن خباباً كان صائغاً فصاغ للعاصي حلياً ثم طالبه بأجرته وخوفه بالبعث بعد الموت من حيث وقوع المجازاة فيه، فقال له العاصي استهزاء وتعنتاً: لأوتين الخ وحلف يميناً فاجرة، فإن اللام في جواب قسم مقدرة أي: والله لأوتين وهذا من شدة تعنته في كفره اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: روى الأئمة واللفظ لمسلم عن خباب قال: كان لي على العاصي بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لي: لن أقضيك حتى تكفر بمحمد. قال: فقلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت فسوف أعطيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال وكيع: كذا قال الأعمش فنزلت هذه الآية. وقال الكلبي، ومقاتل: كان خباب قيناً فصاغ للعاصي حلياً ثم تقاضاه أجرته، فقال العاصي: ما عندي اليوم ما أقضيك، فقال خباب: لست مفارقك حتى تقضيني. فقال العاصي: يا خباب ما لك ما كنت هكذا، وإن كنت لحسن الطلب، فقال خباب: ذاك إني كنت على دينك، فأما اليوم فإني على دين الإسلام مفارق لدينك. قال: أولستم تزعمون أن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً؟ قال خباب: بلى قال: فأخرني حتى أقضيك في الجنة استهزاء، فوالله لئن كان ما تقول حقاً إني لأقضينك فيها، والله لا تكون أنت يا خباب وأصحابك أولى بها مني، فأنزل الله. ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا الخ﴾ اهـ.

قوله: ﴿وولداً﴾ وقوله: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ [مريم: ٨٨] هذان موضعان. وفي الزخرف: ﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾ [الزخرف: ٨١] وفي نوح: ﴿ماله وولده﴾ [نوح: ٢١]. قرأ

بهمزة الاستفهام عن همز الوصل فحذفت ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ بأن يؤتى ما قاله ﴿كَلَّا﴾ أي لا يؤتى ذلك ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ نزيده

الأربعة الأخوان بضم الواو وسكون اللام، ووافقهما ابن كثير وأبو عمرو على الذي في نوح دون السورتين، والباقون وهم نافع وابن عامر وعاصم قرؤا ذلك كله بفتح الواو واللام، فأما القراءة بفتحتين فواضحة وهو اسم مفرد قائم مقام الجمع، وأما قراءة الضم والإسكان فقيل: هي كالتي قبلها في المعنى. يقال: ولد وولد، كما يقال: عرب وعرب، وقيل: بل هي جمع ولد نحو أسد وأسد اهـ سمين.

قوله: ﴿وأطلع الغيب﴾ بفتح الهمزة الاستفهامية، وأصله: أأطلع فحذفت همزة الوصل تخفيفاً وأطلع متعد بنفسه، كقوله: أطلع الجبل. قال المعرب: وليس متعدياً بعلى كما توهمه بعضهم حتى يكون من الحذف والإيصال لكي. في القاموس: اطلع عليه فكأنه يتعدى ولا يتعدى والعلم بوقوع أمر مغيب له إما بعلم الغيب أو بقول الله له إنه كائن لا محالة، ولا يرد عليه أنه يجوز أن يكون بواسطة إخبار ملك أو نبي مرسل لأنه لتعظمه وكفره لا يزعمه فلا يرد على الحصر شيء اهـ شهاب.

قوله: (وأن يؤتى ما قاله) معطوف على الهاء في أعلمه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كلا سنكتب﴾ الخ للنحويين في هذه اللفظة ستة مذاهب، **أحدها**: وهو مذهب جمهور البصريين كالخليل، وسيبويه، وأبي الحسن الأخفش، وأبي العباس أنها حرف ردع وزجر، وهذا معنى لائق بها حيث وقعت في القرآن، وما أحسن ما جاءت في هذه الآية زجرت وردعت ذلك القائل. **والثاني**: وهو مذهب النضر بن شميل أنها حرف تصديق بمعنى نعم فتكون جواباً ولا بدّ حينئذ من أن يتقدمها شيء لفظاً أو تقديراً، وقد تستعمل في القسم: **والثالث**: وهو مذهب الكسائي، وأبي بكر بن الأنباري، ونصر بن يوسف، وابن واصل أنها بمعنى حقاً. **والرابع**: وهو مذهب أبي عبد الله الباهلي أنها رد لما قبلها وهذا قريب من معنى الردع. **الخامس**: أنها صلة في الكلام بمعنى أي كذا قيل وفيه نظر، فإن أي حرف جواب ولكنه مختص بالقسم. **السادس**: أنها حرف استفتاح وهو قول أبي حاتم، ولتقرير هذه المذاهب موضع هو أليق بها قد حققتها بحمد الله فيه اهـ سمين.

وذكرت كلاّ في القرآن في النصف الثاني فقط، وذكرت في خمس عشرة سورة منه كلها مكية، وجملة ما ذكرت ثلاثة وثلاثون مرة ترجع إلى أقسام ثلاثة: قسم يجوز الوقف عليها وعلى ما قبلها فيبتدأ بها وهذا باتفاق، وقسم اختلف فيه هل يجوز عليها أو يتعين على ما قبلها، وقسم لا يجوز الوقف عليها باتفاق. فالقسم الأول: خمسة مواضع اللتان في هذه السورة واللتان في سورة الشعراء وواحدة في سورة سبأ. والقسم الثاني: تسعة واحدة في سورة المؤمنون، واثنتان في سورة سأل سائل، واثنتان في سورة المدثر الأولى والثالثة، والأولى في سورة القيامة، والثانية في سورة ويل للمطففين، والأولى، في سورة الفجر، والتي في سورة ويل لكل. والقسم الثالث: هو التسع عشرة والباقية اهـ شيخنا عن العز بن جماعة.

قوله: (أي لا يؤتى ذلك) أي: ما قاله. قوله: ﴿سنكتب ما يقول﴾ فإن قلت: كيف قيل سنكتب

بذلك عذاباً فوق عذاب كفره ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾ من المال والولد ﴿ وَيَأْتِينَا ﴾ يوم القيامة ﴿ فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾ لا مال له ولا ولد ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ ﴾ أي كفار مكة ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الأوثان ﴿ ءَالِهَةً ﴾ يعبدونهم ﴿ لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ ﴾ شفعاء عند الله بأن لا يعذبوا ﴿ كَلَّا ﴾ أي لا مانع من عذابهم ﴿ سَيَكْفُرُونَ ﴾ أي الآلهة

بسين التسويف مع أنه قد كتب من غير تأخير لأن نفس الكتابة لا تتأخر عن القول قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق: ١٨] قلت: فيه وجهان، أحدهما: سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله. والثاني: أن المتوعد يقول للجاني سوف أنتقم منك. يعني: أنه لا نحل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر اهـ كرخي.

قوله: (نزيده بذلك) أي: بما يقوله.

قوله: ﴿ونرثه ما يقول﴾ أي: نسلبه منه ونأخذه بأن نخرجه من الدنيا خالياً من ذلك اهـ شيخنا.

وهذا ظاهر في المال الذي كان له في الدنيا وهو إنما ادعى أن يجد مالاً في الآخرة يعطى منه، فهذا التعبير بعيد من سبب النزول إلا أن يقال المعنى ونرثه ما يقول. أي نظير ما يقول وهو المال الأخروي، ونظيره: هو المال الدنيوي. وكأن أبا السعود لمح هذا المعنى ونصه: ونرثه بموته ما يقول أي مسمى ما يقول، ومصداقه وهو ما أوتي في الدنيا من المال والولد وفيه إيذان بأنه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر أي: ننزع عنه ما آتيناه ويأتينا يوم القيامة فرداً لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا. فضلاً عن أن يؤتى ثم زائداً اهـ.

وفي القرطبي وقيل: نحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد ونجعله لغيره من المسلمين ويأتينا فرداً، أي: منفرداً لا مال له ولا ولد ولا عشيرة اهـ.

قوله: ﴿ونرثه ما يقول﴾ يجوز أن يكون الضمير في محل نصب بنزع الخافض فيكون ما يقول مفعولاً به، والتقدير: ونرث منه ما يقول أي مسمى ما يقول ومدلوله، ويجوز أن يكون ضمير نرثه مفعولاً صريحاً، وما يقول بدل اشتماله منه فالمعنى نرث ما عنده من المال والولد باهلاكنا إياه، والمراد بالفردية الانقطاع عنها بالكلية، ولا شك أن مثل هذه الفردية لا يحصل إلا للكافر، وإلاّ فالمؤمن والكافر سواء عند البعث في كونهما منفردين عن المال والولد لقوله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ [الأنعام: ٩٤] ثم يتفاوتون بعد ذلك فالمؤمن يلاقي أحبابه وأولاده وما اشتهاه، والكافر يحال بينه وبين ما يشتهيه وينفرد عنه ابداً اهـ زاده.

قوله: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ حكاية لجناية عامة لكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها إثر حكاية مقالة الكافر المعهودة واستنتاجها لنقيض مضمونها اهـ أبو السعود.

قوله: (الأوثان) مفعول أول، وآلهة مفعول ثان. وقوله: ﴿ليكونوا﴾ اللام لام كي، وقوله: ﴿عزاً أي﴾: أعزاء وأفراد لأنه في الأصل مصدر اهـ شيخنا.

قوله: (بأن لا يعذبوا) أي: في أن لا يعذبوا. قوله: (أي لا مانع من عذابهم) عبارة البيضاوي: كلا ردع وإنكار لتعززهم بها اهـ.

﴿ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ أي ينفونها كما في آية أخرى ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ أعواناً وأعداء ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ سلطناهم ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ ﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ بطلب العذاب ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾ إلى وقت

وقوله: ﴿سيكفرون﴾ بمنزلة التعليل. وقوله: ﴿بعبادتهم﴾ مضاف لمفعوله اهـ.

قوله: (كما في آية أخرى) أي: في سورة القصص وهي قوله تعالى: ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ [القصص: ٦٣] الآية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ضداً﴾ أي إضداداً وأفرده لما تقدم، وقوله: (أعوانا واعداء) تفسيران محكيان في الخازن وغيره اهـ شيخنا.

وفي السمين: وإنما وحد الضد وإن كان خبراً عن جمع لأحد وجهين: إما لأنه مصدر في الأصل والمصادر موحدة مذكرة، وإما لأنه مفرد في معنى الجمع اهـ.

وفي القاموس: وضده في الخصومة من باب رد غلبه ومنعه برفق، والقربة ملأها وأضدّ غضب وضاده خالفه وهما متضادان اهـ.

فضدّ كأنه مصدر سماعي أو اسم مصدر تأمل.

قوله: ﴿تؤزهم﴾ حال من الشياطين أو من الكافرين أو منهما اهـ شيخنا.

أي: تهيجهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات، والمراد تعجب الرسول ﷺ من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآية المتقدمة اهـ بيضاوي.

وفي السمين: قوله ﴿أزاً﴾ مصدر مؤكد، والأز والأزيز والهز والهزيز، قال الزمخشري: أخوات وهو التهييج وشدة الإزعاج، والأز أيضاً شدة الصوت، ومنه أز المرجل أزاً وأزيزاً أي: غلا واشتد عليانه حتى سمع له صوت. وفي الحديث: «فكان له أزيز» أي للجذع حين فارقه النبي ﷺ اهـ.

وفي القاموس: وأزت القدر تؤز بالضم وتئز بالكسر أزاً وأزيزاً وأزازاً بالفتح اشتد غليانه، وأز النار أوقدها، وأز الشيء حركه شديداً اهـ.

قوله: ﴿فلا تعجل عليهم﴾ أي: بأن يهلكوا حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم، وتطهر الأرض من فسادهم إنما نعد لهم عداً، والمعنى لا تعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة اهـ بيضاوي.

يعني: أن العد كناية عن القلة ولا ينافي هذا ما مرّ من أنه يمد لمن كان في الضلالة أي: يطول لأنه بالنسبة لظاهر الحال عندهم وهو قليل باعتبار عاقبته وعند العد اهـ شهاب.

قوله: ﴿إنما نعد لهم عداً﴾ أي: فلا نهمل ما يقع منهم بل نضبطه عليهم حتى نؤاخذهم به. وقوله: (الأيام والليالي) هذا تفسير، وقوله: (أو الأنفاس) تفسير ثان اهـ شيخنا.

عذابهم، اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ جمع وافد بمعنى راكب ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ جمع وارد بمعنى ماش عطشان ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ أي الناس ﴿الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ أي شهادة أن لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

قوله: (بمعنى راكب) فيركبون على نجائب سرجها من ياقوت، وعلى نوق رحالها من ذهب وأزمتها من زبرجد. قيل: يركبون من أول خروجهم من القبور وهو ظاهر الآية، وقيل: من منصرفهم من الموقف، وعلى كلا القولين فيستمرون راكبين حتى يقرعون باب الجنة اهـ شيخنا.

وتقييد الشارح بالركوب ليس من مقتضى اللغة إذ الوفد في اللغة الجماعة الذين يقدمون على الملوك للعطايا والمعروف من غير تقييد بركوب، وكأن الشارح قيد بالركوب أخذاً من سياق مدح المتقين لما ورد أنهم يحشرون ركباناً، كما ورد في الكفار أنهم يساقون مشاة. وفي البيضاوي: وفداً وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم، ونسوق المجرمين كما تساق البهائم إلى جهنم ورداً عطاشاً، فإن من يرد الماء لا يرد إلا لعطش أو كالدوّاب التي ترد الماء اهـ.

قوله: ﴿ونسوق المجرمين﴾ أي: الكافرين، ﴿إلى جهنم ورداً﴾ أي: مشاة عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش. والورد: الجماعة يردون الماء ولا يرد أحداً إلا بعد العطش، وقيل: يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء. روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق. راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاث على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير، وتجر بقيتهم إلى النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا» اهـ خازن.

وفي القرطبي: وقال عمرو بن قيس: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الصالح طالما ركبتك وأتعبتك في الدنيا اركبني اليوم. وإن الكافر يستقبله عمله في أقبح صورة وأنتنها ريحاً فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا. فيقول: أنا عملك السيىء طالما ركبتني وأتعبتني في الدنيا وأنا اليوم أركب وتلا ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ [الأنعام: ٣٠]. وعن ابن عباس: من كان يحب ركوب الخيل وفد إلى الله تعالى على خيل لا تروث ولا تبول: لحمها من الياقوت الأحمر ومن الزبرجد الأخضر ومن الدر الأبيض، وسروجها السندس والإستبرق، ومن كان يحب ركوب الإبل فعلى نجائب لا تبعر ولا تبول، أزمتها من الياقوت والزبرجد. ومن كان يحب ركوب السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد أمنوا الغرق وأمنوا الأهوال اهـ.

قوله: (بكفرهم) عبارة القرطبي والمجرمون في قوله: ﴿ونسوق المجرمين﴾ يعم الكفرة والعصاة اهـ.

قوله: ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ جملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها، والواو واقعة على الناس كلهم مؤمنهم وكافرهم، فقوله: (أي الناس) أل فيه استغراقية. وقوله: ﴿إلا من اتخذ﴾ الخ الاستثناء فيه متصل، وقوله: الشفاعة أي: كونه يشفع لغيره أو يشفع غيره فيه اهـ شيخنا.

﴿وَقَالُوا۟﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ قال تعالى لهم ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ أي منكراً عظيماً ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾

وفي البيضاوي: إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً. إلا من تحلى بما يستعد به ويستأهل أن يشفع للعصاة من الإيمان والعمل الصالح على ما وعد الله تعالى، أو إلاّ من اتخذ من الله إذناً فيها كقوله تعالى: ﴿لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن﴾ [طه: ١٠٩] من قولهم عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به، ومحله الرفع على البدل من الضمير أو النصب على تقدير مضاف. أي: إلا شفاعة من اتخذ أو على الاستثناء اهـ.

وعبارة الكرخي: قوله: (أي الناس) قدره تمهيداً لجعل الاستثناء في قوله: إلا من اتخذ متصلاً لدلالة ذكر الفريقين المتقين والمجرمين، إذ هما قسماؤه، وقيل: ضمير يملكون عائد على المجرمين، والمراد بهم الكفار. قال بعضهم: لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم كما يملك المؤمنون، وقال آخرون: لا يملك غيرهم أن يشفع لهم، وهذا أولى لأن الأول يجري مجرى إيضاح الواضح فيكون منقطعاً لأنهم لا عهد لهم، والأول أوجه. وبه جزم البيضاوي كالكشاف، ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة، فالناس مدلول للقسمين والإسناد إليهم من باب إسناد فعل البعض، أعني: المتقين إلى الكل وإذا ثبت ذلك دل الآية على حصول الشفاعة لأهل الكبائر، لأنه قال عقيبه: إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً يعني للمؤمنين، كقوله: ﴿لا تشفعون إلا من ارتضى﴾ [الأنبياء: ٢٨] فكل من اتخذ من الرحمن عهداً وجب دخوله فيه، وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهداً وهو التوحيد، فوجب دخوله تحته كما صرح به الشيخ المصنف اهـ.

قوله: (أي شهادة أن لا إله ألا الله الخ) عبارة القرطبي: قال ابن عباس: العهد لا إله إلا الله، والتبرؤ من الحول والقوة لله وعدم رجاء غير الله اهـ.

قوله: (أي اليهود) أي: بعضهم والنصارى أي: بعضهم، ومن زعم أي من العرب وهو من عبد الأوثان فقوله: ﴿ولداً﴾ هو عزير بالنسبة لقول اليهود، وعيسى بالنسبة لقول النصارى، والملائكة بالنسبة لقول بعض العرب اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى لهم) أي: تقريعاً وتوبيخاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لقد جئتم﴾ فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، وقوله: ﴿إدّاً﴾. في القاموس: الإد والإدة بكسرهما العجب والأمر الفظيع والداهية والمنكر كالأد بالفتح، وأدته الداهية تؤده بالضم وتئده بالكسر وتأده بالفتح دهته اهـ.

وقوله: ﴿تكاد السموات﴾ الخ نعت للإد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ينفطرن﴾ من الانفطار وهو الانشقاق كما قال الشارح، وقوله: (بالانشقاق) أي الفتت، وهذا راجع لكل من النون والتاء اهـ شيخنا.

بالنون وفي قراءة بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق ﴿ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ أي تنطبق عليهم من أجل ﴿ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ قال تعالى ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾ أي ما يليق به ذلك ﴿ إِن ﴾ أي ما ﴿ كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ ذليلاً خاضعاً يوم القيامة

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية، وقوله: (بالتاء وتشديد الطاء) أي يتفطرن، وظاهر صنيعه أن القراءات أربعة وليس كذلك، بل هي ثلاثة فقط لأنه إذا قرىء تكاد بالتاء جاز في يتفطرن النون والتاء. وإن قرىء يكاد بالياء التحتية تعين في يتفطرن التاء لا غير والقراءات الثلاثة سبعية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وتنشق الأرض﴾ أي: تنخسف بهم، وتخر الجبال هداً أي تسقط وتنطبق عليهم اهـ خازن.

فقول الشارح أي تنطبق عليهم راجع للجبال اهـ.

قوله: ﴿وتخر الجبال هداً﴾ في هذا ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مصدر في موضع الحال أي مهدودة، وذلك على أن يكون هدّا مصدراً من هدّ زيد الحائط يهده هدّاً، أي: هدمه وبابه رد. والثاني: وهو قول أبي جعفر إنه مصدر على غير لفظ المصدر لما كان في معناه لأن الخرور السقوط والهدم، وهدّا على أن يكون من هد الحائط يهد بالكسر أي انهدم فيكون لازماً. والثالث: أن يكون مفعولاً من أجله، قال الزمخشري: أي لأن تهد اهـ سمين.

قوله: (من أجل) ﴿أن دعوا﴾ أي نسبوا أشار به إلى أن محل أن دعوا نصب على المفعول له، والعامل فيه هداً أي هداً لأن دعوا علل الخرور بالهد، والهد بدعاء الولد للرحمن، ودعوا يجوز أن يكون بمعنى سموا فيتعدى لاثنين وأولهما في الآية محذوف. قال الزمخشري: طلبا للعموم والإحاطة بكل ما دعا له ولداً اهـ كرخي.

فإن قلت: ما معنى هذا التأثر من أجل هذه الكلمة؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن الله تعالى يقول للشيء كن فيكون، فكأنه قال كدت أفعل كذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوه بها لولا حلمي. الثاني: أن هذا استعظام لهذه الكلمة. قال ابن عباس: فزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وغضبت الملائكة حين قالوا لله ولد اهـ خازن.

وفي البيضاوي: والمعنى أن هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الأجرام العظام وتفتت من شدتها، أو أن فظاعتها مجلبة للغضب من الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبددت قوائمه غضباً على من تفوه بها اهـ.

قوله: ﴿أن دعوا﴾ متعلق بكل من الأفعال الثلاثة يتفطرن وما بعده اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى) أي: رداً عليهم. قوله: (أي ما يليق به ذلك) أي: لا يمكن ولا يتأتى منه.

قوله: ﴿إن كل الخ﴾ بمنزلة التعليل. قوله: ﴿إلا آتي﴾ فيه مراعاة لفظ كل، وعبداً حال من

منهم عزير وعيسى ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أي

الضمير المستتر في آتي وقوله: ﴿منهم﴾ فيه مراعاة معنى كل، وكذلك قوله: ﴿لقد أحصاهم وعدهم﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يوم القيامة﴾ ظرف لآتي، وقوله: (منهم عزير) أي من كل.

قوله: ﴿لقد أحصاهم﴾ أي: أحاط بهم علمه وعدهم أي عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فلا يخفى عليه شيء من أمورهم اهـ خازن.

قوله: (فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم) راجع لقوله: ﴿وعدهم﴾، وقوله: ﴿ولا واحد منهم﴾ راجع لقوله: ﴿لقد أحصاهم﴾ اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: فلا يخفى عليه الخ هذا جواب عن سؤال ما فائدة ذكر العد بعد الأحصاء مع أن الإحصاء هو العد أو الحصر، والحصر لا يكون إلا بعد معرفة العد؟ وحاصل الجواب مع الإيضاح أن له معنى ثالثة وهو العلم كقوله: ﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾ [الجن: ٢٨] أي: علم عدد كل شيء، فالمعنى هنا لقد أحاط بهم علماً وعدهم شخصاً ونفساً وغيرها عدا اهـ.

قوله: ﴿سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ هذا الجعل في الدنيا كما قرروه، وجيء بأداة الاستقبال لأن المؤمنين كانوا بمكة حال نزول هذه الآية، وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة، فوعدهم الله تعالى بذلك إذا ظهر الإسلام، فألف الله تعالى بين قلوب المؤمنين ووضع فيها المحبة اهـ كرخي.

وفي القيامة: حين تعرض حسناتهم على رؤوس الأشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وداً﴾ أي: محبة. وفي المصباح: وددته أوده من باب تعب وداً بفتح الواو وضمها أحببته والاسم المودة ووددت لو كان كذا أود أيضاً وداً، ووداده بالفتح تمنيته اهـ.

وفي المختار: الود بضم الواو وفتحها وكسرها المودة اهـ.

وفي السمين: العامة على ضم الواو وقرأ ابن الحرث الحنفي بفتحها، وجناح بن حبيش بكسرها، فيحتمل أن يكون المفتوح مصدراً والمضموم والمكسور اسمين اهـ.

قوله: ﴿فإنما يسرناه﴾ أي: أنزلناه ميسراً بلسانك أي: لغتك بدليل قول الشارح العربي، أي: باللغة العربية. أي: ولو أنزلناه بغيرها لم يتيسر التبشير به ولا الإنذار لعدم فهم المخاطبين لغير العربية اهـ شيخنا.

وهذا تعليل لمقدر ينساق إليه النظم الكريم، كأنه قيل: بلغ هذا المنزل عليك وبشر به وأنذر فإنما يسرناه الخ اهـ أبو السعود.

القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿وَتُنذِرَ﴾ تخوف ﴿بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ جمع ألد أي جدل بالباطل وهم كفار مكة ﴿وَكَمْ﴾ أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ تجد ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ صوتاً خفياً؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

قوله: ﴿قوماً لداً﴾ جمع ألد أي: شديد الخصومة، وهذا الجمع من قبيل قوله:

فعل لنحو أحمر وحمراً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكم أهلكنا الخ﴾ تخويف لهم وتسلية له ﷺ اهـ شيخنا. قوله: ﴿قبلهم﴾ الضمير راجع لقوله قوماً لداً. قوله: ﴿هل تحس﴾ (تجد) وقيل: معناه ترى اهـ خازن.

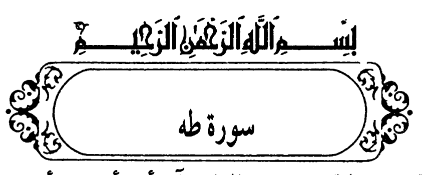
والاستفهام إنكاري كما أشار له بقوله: لا أي: بادوا وهلكوا عيناً وأثراً فلا تجد أحداً منهم ولا تسمع لهم صوتاً اهـ شيخنا.

وقرأ العامة تحس بضم التاء وكسر الحاء من أحس، وقرأ أبو جعفر وابن أبي عبلة تحس بفتح التاء وضم الحاء. وقرأ بعضهم تحس بفتح التاء وكسر الحاء من حسه أي شعر به ومنه الحواس الخمس اهـ سمين.

وفي المصباح: الحس والحسيس الصوت الخفي وحسه فهو حسيس مثل قتله قتلاً فهو قتيل وأحس الرجل الشيء إحساساً علم به يتعدى بنفسه مع الألف، قال تعالى: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ [آل عمران: ٥٢] وربما زيدت الباء فقيل أحس به على معنى شعر به وحسست به من باب قتل لغة فيه، والمصدر الحس بالكسر يتعدى بالباء على معنى شعرت أيضاً اهـ.

قوله: ﴿منهم﴾ حال من أحد إذ هو في الأصل صفة له، ومن أحد مفعول زيدت فيه من اهـ سمين.

قوله: ﴿ركزاً﴾ أصل الركز الخفاء ومنه طرف الرمح إذا غيب في الأرض، والركاز: المال المدفون، والمعنى استأصلناهم بالكلية بحيث لا يرى منهم أحد ولا يسمع لهم صوت خفي اهـ أبو السعود.



سورة طه

مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية أو وأربعون أو واثنتان

﴿طه ①﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يا محمد ﴿لِتَشْقَىٰٓ ②﴾ لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل أي خفف عن نفسك ﴿إِلَّا﴾ لكن أنزلناه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الجلال السيوطي في الإتقان: استثني منها ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ [طه: ١٣٠] الآية اهـ كرخي.

وهذه السورة نزلت قبل إسلام عمر اهـ قرطبي.

قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) جرى الشارح على أن هذه حروف مقطعة استأثر الله بعلمها، فعليه يكون الوقف عليها تاماً وهي آية مستقلة لا محل لها من الإعراب، وقوله: ﴿ما أنزلنا﴾ الخ مستأنف، وقيل: إن طه اسم لمحمد حذف منه حرف النداء، وقيل: إنه فعل أمر وأصله طأها أي: طأ الأرض بقدميك معاً خوطب به لما كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه ويريح الأخرى من شدة التعب وطول القيام. وعبارة الخازن: اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه الخ اهـ.

وفي القرطبي: وقال مجاهد: كان النبي ﷺ وأصحابه يربطون الحبال في صدورهم في الصلاة بالليل من طول القيام، ثم نسخ ذلك بالفرض فنزلت هذه الآية. وقال الكلبي: لما نزل على النبي ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة واشتدت عبادته، فجعل يصلي الليل كله زماناً حتى نزلت هذه الآية، فأمره الله أن يخفف عن نفسه فيصلي وينام، فنسخت هذه الآية قيام الليل فكان بعد هذه الآية يصلي وينام اهـ.

قوله: (لتتعب بما فعلت) عبارة البيضاوي: لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا أن تبلغ، أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ولعله عدل إليه للإشعار بأنه أنزل عليه ليسعد. وقيل: هذا رد وتكذيب للكفرة فإنهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا: إنك لتشقى بترك ديننا، وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به اهـ بيضاوي.

قوله: (من طول قيامك) بيان لما فعلت.

قوله: ﴿إلا تذكرة﴾ حمله على الانقطاع لأن التذكرة ليست من جنس الشقاء المنفي اهـ شيخنا.

﴿تَذْكِرَةً﴾ به ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ يخاف الله ﴿تَنزِيلًا﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝٤﴾ جمع عليا ككبرى وكبر، هو ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة سرير الملك ﴿اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ استواء يليق به ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۝٦﴾ هو التراب الندي والمراد الأرضون السبع لأنها تحته ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ في

وعبارة الكرخي: أشار ألى أن الاستثناء منقطع، وأن تذكرة مفعول من أجله والعامل أنزلناه المقدر لا المذكور، وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة لقوله: ما انزلنا، وتعدى في لتشقى باللام لاختلاف العامل، لأن ضمير أنزلنا لله وضمير لتشقى للنبي ﷺ فلم يتحد الفاعل واتحد في تذكرة لأن المذكر هو الله تعالى وهو المنزل فنصب بغير لام وهذا ما جرى عليه في الكشاف اهـ.

قوله: ﴿لمن يخشى﴾ أي: لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالإنزال، أو لمن علم الله أنه يخشى بالتخويف منه فإنه المنتفع، وكأنه يشير إلى اللام في لمن يخشى لام العاقبة اهـ.

قوله: (بدل من اللفظ بفعله) أي: عوض فليس المراد البدل الاصطلاحي، وقوله: (من اللفظ) أي: من التلفظ والنطق بفعله أي: المقدر تقديره نزلناه تنزيلاً فحذف وجوباً على حد قوله:

والحذف حتم من آت بدلاً من فعله

اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الرحمن﴾ أشار إلى أن هذا نعت مقطوع لقصد المدح اهـ شيخنا.

قوله: (استواء يليق به) تقدم في سورة الأعراف أن هذا على طريقة السلف المفوضين علم المتشابه إلى الله تعالى، وأما على طريقة الخلف المؤولين والمفسرين له بمعنى مخصوص، فيقال: المراد بالاستواء الاستيلاء بالتصرف والقهر اهـ.

قوله: (من المخلوقات) راجع للثلاثة. قوله: ﴿وما تحت الثرى﴾ في المصباح: الثرى وزان الحصى ندى الأرض، وأثرت الأرض بالألف كثر ثراها، والثرى أيضاً التراب الندي، فإن لم يكن ندياً فهو تراب ولا يقال له حينئذ ثرى اهـ.

وفيه أيضاً: نديت الأرض ندى من باب تعب فهي ندية مثل تعبة، ويعدى بالهمزة والتضعيف وأصابها نداوة وندوة بالضم والتثقيل اهـ.

قوله: (والمراد) أي: بما تحت الثرى. قوله: ﴿وإن تجهر بالقول﴾ الخ المقصود من هذا السياق إما النهي عن الجهر كقوله: ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ [الأعراف: ٢٠٥] الآية وقد أشار لهذا الشارح بقوله: (فلا تجهد نفسك بالجهر)، وإما إرشاد العباد إلى أن الجهر ليس لإسماعه تعالى، بل لغرض آخر كحضور القلب ودفع الشواغل والوسوسة اهـ أبو السعود.

وعبارة البيضاوي: وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى أي: وإن تجهر بذكر الله ودعائه، فاعلم أنه غني عن جهرك فإنه تعالى يعلم السر وأخفى منه وهو ضمير النفس، وفيه تنبيه على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لإعلام الله، بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن

ذكر أو دعاء فالله غني عن الجهر به ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ منه أي ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به، فلا تجهد نفسك بالجهر ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، والحسنى مؤنث الأحسن ﴿وَهَلْ﴾ قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾

الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار اهـ.

قوله: (فالله غني الخ) أشار به الشارح إلى أن جواب الشرط وهو أن محذوف، وقوله: ﴿فإنه يعلم الخ﴾ تعليل لهذا المحذوف اهـ.

قوله: ﴿وأخفى﴾ أي: والذي هو أخفى من السر، فأخفى أفعل تفضيل وتنكيره للمبالغة في الخفاء اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿وأخفى﴾ جوزوا فيه وجهين، أحدهما: أنه أفعل تفضيل أي وأخفى من السر. والثاني: أنه فعل ماض أي وأخفى الله عن عباده غيبه، كقوله: ﴿لا يحيطون به علماً﴾ [طه: ١١٠] والجلالة إما مبتدأ والجملة المنفية خبرها، وإما خبر لمبتدأ محذوف أي: هو الله اهـ.

قوله: (أي ما حدثت به النفس الخ) عبارة القرطبي: قال ابن عباس: السر ما حدث الإنسان به غيره في خفاء وأخفى منه ما أضمره في نفسه مما لم يحدث به غيره. وعنه أيضاً: السر حديث نفسك وأخفى من السر ما ستحدث به نفسك مما لم يكن وهو كائن تعلم ما تسر به نفسك اليوم ولا تعلم ما تسر به غداً والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسر غداً، والمعنى الله يعلم السر وأخفى من السر. وقال ابن عباس أيضاً: السر ما أسره ابن آدم في نفسه، وأخفى ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه فالله يعلمه، فالله يعلم ذلك كله، وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد وجميع الخلائق في علمه كنفس واحدة. وقال قتادة وغيره: السر ما أضمره الأنسان فس نفسه، وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد، وقال أبو زيد: السر سر الخلائق، وأخفى منه سره عز وجل، وأنكر ذلك الطبري وقال: إن الذي هو أخفى ما ليس في سر الإنسان وسيكون في نفسه كما قال ابن عباس انتهت.

قوله: (فلا تجهد نفسك) بفتح التاء والهاء وبضم التاء وكسر الهاء لأنه يقال جهده وأجهده اهـ شيخنا.

وفي المختار: الجهد بفتح الجيم وضمها الطاقة وقرىء بهما قوله تعالى ﴿والذي لا يجدون إلا جهدهم﴾ [التوبة: ٧٩] والجهد: بالفتح المشقة، ويقال: جهد دابته وأجهدها أي حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجهد الرجل في كذا أي: جد فيه وبابهما قطع اهـ.

قوله: (والحسنى مؤنث الأحسن) أي: فهي اسم تفضيل يوصف به الواحد من المؤنث الجمع من المذكر اهـ أبو السعود.

ومراد الشارح بهذا الجواب عما يقال لم لم يقل الحسان اهـ شيخنا.

وفي السمين: والحسنى تأنيث الأحسن، وقد تقدم غير مرة أن جمع التكسير في غير العقلاء يعامل معاملة المؤنثة الواحدة اهـ.

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ لامرأته ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾ هنا وذلك في مسيره من مدين طالباً مصر ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾

قوله: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ استئناف مسوق لتقرير أمر التوحيد الذي إليه انتهى مساق الحديث، وبيان أنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كابراً عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل له: إنني أنا الله لا إله إلا أنا، وبه ختم موسى عليه السلام مقالته قال: إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو اهـ أبو السعود.

وهذا وإن كان على لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله تعالى، لكن المقصود منه تقرير الخبر في قلبه. وهذه الصورة أبلغ في ذلك كقولك لصاحبك: هل بلغك عني كذا فيتطلع السامع إلى معرفة ما تومي إليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿إذ رأى ناراً﴾ ظرف للحديث، وقيل: ظرف لمضمر مؤخر. أي: حين رأى ناراً كان كيت وكيت، وقيل: مفعول لمضمر مقدم أي: اذكر وقت رؤيته ناراً. روي أنه عليه الصلاة والسلام استأذن شعيباً عليه السلام في الخروج إلى أمه وأخيه بمصر، فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام، فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة، وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح زنده فلم يخرج ناراً. فبينما هو في ذلك إذ رأى على يسار الطريق من جانب الطور ناراً فقال لأهله: امكثوا أي أقيموا مكانكم أمرهم عليه السلام لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا إلى موضع آخر، فإنه مما لا يخطر بالبال، والخطاب في امكثوا للمرأة والولد والخادم، وقيل: لها وحدها، والجمع إما لظاهر لفظ الأهل أو للتفخيم كما في قول القائل:

وإن شئت حرمت النساء سواكم

اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لأهله﴾ (لامرأته) وهي بنت شعيب واسمها صفوراء، وقيل: صفورياء، وقيل: صفورة، واسم أختها ليا، وقيل: شرفا، وقيل: عبدا. واختلف في التي تزوجها موسى هل هي الصغرى أو الكبرى اهـ من شرح الدلائل.

وروي أن الله لما نادى موسى بالوادي المقدس وأرسله إلى فرعون شيعته الملائكة وصافحوه وخلف أهله في الموضع الذي تركهم فيه، فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مرَّ بهم راع من أهل مدين فعرفهم فحملهم إلى شعيب، فمكثوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعدما جاوز ببني إسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه، فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر اهـ زاده.

قوله: (في مسيره من مدين) أي: لما قضي الأجل الذي جعله عليه شعيب، ومدين هي قرية شعيب بينها وبين مصر ثمان مراحل، وقوله: ﴿إذ رأى ناراً﴾ سيأتي في القصص آنس من جانب الطور ناراً، والطور قيل: هو الذي بين مصر وأيلة، وقيل: هو الذي بفلسطين اهـ.

جميعه من البيضاوي: بعضه من سورة القصص وبعضه من سورة المؤمنون، ويرد القول الأول ما تقدم في سورة مريم من قوله: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ [مريم: ٥٢] حيث قال هذا المفسر هناك الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين اهـ.

أبصرت ﴿نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ شعلة في رأس فتيلة أو عود ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾ أي هادياً يدلني على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد ﴿فَلَمَّآ

والطور: الذي بين مصر وأيلة يكون على يسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد اهـ.

قوله: ﴿إني آنست﴾ أي: أبصرت، والإيناس: الإبصار البين، ومنه إنسان العين لأنه يبصر به الأشياء، وقيل: هو الوجدان، وقيل: الإحساس فهو أعم من الأبصار اهـ سمين.

قوله: (أبصرت) أي: إبصاراً بيّناً لا شبهة فيه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بقبس﴾ عبارة السمين: القبس: الجذوة من النار وهي الشعلة في رأس عود أو قصبة ونحوهما، وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض والنفض بمعنى المنفوض، ويقال: أقبست الرجل علماً وقبسته ناراً ففرقوا بينهما هذا قول المبرد. وقال الكسائي: إن فعل وأفعل يقالان في المعنيين، فيقال: قبسته ناراً وعلماً وأقبسته أيضاً ناراً وعلماً، وقوله: منها يجوز أن يتعلق بآتيكم أو بمحذوف على أنه حال من قبس اهـ.

قوله: ﴿أو أجد﴾ أو: مانعة خلو، وقوله: ﴿على النار﴾ أي عندها اهـ.

قوله: (هادياً) أشار به إلى أن انتصاب هدى على أنه مفعول به، وأنه بمعنى هادياً، فالمصدر بمعنى الوصف، ولعله لم يقل قوماً يهدونني كما في الكشاف، إذ لا دليل على ما فوق الواحد، والظاهر أن أو في قوله: ﴿أو أجد﴾ لمنع الخلو، ومعنى الاستعلاء في قوله: ﴿على النار﴾ أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد إنه لصق بمكان يقرب من زيد اهـ كرخي أو أنها بمعنى عند.

قوله: (وكان أخطأها الخ) وذلك أنه سار على الطريق مخافة من ملوك الشام، وكانت الليلة ليلة جمعة، وكانت شديدة البرد والثلج والظلمة، وكانت امرأته حاملاً فسار في البرية غير عالم بالطريق فألجأه السير إلى جانب الطور الغربي الأيمن، وأخذت امرأته في الطلق فولدت له ولداً في هذه الحالة وتفرقت ماشيته التي معه من شدة الظلمة، واشتد عليه الحال فأخذ يقدح زنده فلم تخرج منه النار، فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور فقال لأهله: امكثوا الخ اهـ خازن.

قوله: (لعدم الجزم بوفاء الوعد) عبارة البيضاوي: ولما كان حصولهما مترقباً بني الأمر فيهما على الرجاء بخلاف الإيناس فإنه كان محققاً ولذلك حققه لهم بإن ليوطنوا أنفسهم عليه اهـ.

قوله: ﴿فلما أتاها﴾ أي النار التي آنسها. قال ابن عباس: رأى شجرة خضراء طافت بها من أسفلها إلى أعلاها نار بيضاء تتقد كأضوأ ما يكون، فوقف متعجباً من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة، فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوأها، وقد قالوا: النار أربعة أصناف: صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا، وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر، وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم، وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام. وقالوا أيضاً: هي أربعة أنواع: نوع له نور وإحراق وهي نار الدنيا، ونوع لا نور ولا إحراق وهي نار الأشجار، ونوع له نور بلا إحراق وهي نار موسى عليه السلام، ونوع له إحراق بلا نور وهي نار جهنم اهـ أبو السعود.

أَنَّهَا﴾ وهي شجرة عوسج ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١﴾ ﴿إِنِّيٓ﴾ بكسر الهمزة بتأويل نودي بقيل وبفتحها بتقدير الباء ﴿أَنَا۠﴾ تأكيد لياء المتكلم ﴿رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ المطهر أو المبارك ﴿طُوًى ۝١٢﴾ بدل أو عطف بيان بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ من قومك ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣﴾ إليك منى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ

قوله: (وهي شجرة عوسج) أي: وهي موقدة في شجرة. عوسج: جمع عوسجة أي: شجرته، والعوسج شجر الشوك وسيأتي له في القصص أنها شجرة عوسج أو عليق أو عناب اهـ.

وفي المصباح: العوسج فوعل من شجر الشوك له ثمر مدور، فإذا عظم فهو الغرقد بغين معجمة الواحدة عوسجة وبها سمي اهـ.

قوله: ﴿نودي يا موسى إني أنا ربك﴾ هذا أول المكالمة بينه وبين الله تعالى، وسيأتي آخرها وهو قوله: أن العذاب على من كذب وتولى، وهذا بالنسبة لهذه الواقعة وهذه الحالة، وإلاَّ فله مكالمات أخر اهـ.

وفي الخازن: نودي يا موسى أي فأجاب سريعاً وما يدري من دعاه، فقال: إني أسمع صوتك ولا أدري مكانك فأين أنت؟ فقال تعالى: أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك منك، فعلم أن ذلك لا ينبغي ولا يكون إلا من الله، فأيقن به وسمع الكلم بكل أجزائه حتى أن كل جارحة منه كانت أذناً وسمعه من جميع الجهات اهـ.

وفي البيضاوي: قيل: إنه لما نودي قال: من المتكلم؟ قال: إني أنا الله فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان. قال: أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء اهـ.

وليس هذا النداء والخطاب هو الذي وقع فيه الصعقة ودك الجبل، كما تقدم ذكره في سورة الأعراف، بل هذا غيره إن هذا أول بدء وذاك إنما كان بعد غرق فرعون حين أعطاه الله التوراة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاخلع نعليك﴾ أي: تعظيماً قيل: ليباشر الوادي بقدميه تبركاً به، وقيل: لأن الحفوة تواضع لله تعالى ومن ثم طاف السلف بالكعبة حفاة. وقيل: أمر بخلع نعليه لنجاستهما لأنهما كانا من جلد حمار ميت غير مدبوغ كما روي عن السدي وقتادة اهـ كرخي.

وروي أنه خلعهما وألقاهما خلف الوادي اهـ خازن.

قوله: (بالتنوين وتركه) سبعيتان، وقوله: (مع العلمية) راجع لقوله للتأنيث.

قوله: ﴿وأنا اخترتك﴾ أي: للنبوة والرسالة اهـ أبو السعود.

فنبأه وأرسله في ذلك الوقت في ذلك المكان وكان عمره حينئذ أربعين سنة كما سيأتي في الشارح عند قوله تعالى: ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾ [طه: ٤٠] اهـ شيخنا.

وقوله: من قومك تقدير للمفعول الثاني، والأول هو الكاف اهـ.

إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ فيها ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ عن الناس ويظهر لهم

قوله: ﴿إنني أنا الله﴾ بدل مما يوحى، وقوله: ﴿أنا الله﴾ الخ إشارة للعقائد العقلية، وقوله: ﴿إن الساعة آتية﴾ الخ إشارة إلى العقائد السمعية، وقوله: ﴿فاعبدني﴾ الخ إشارة للأعمال الفرعية، وهذه جملة الدين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لذكري﴾ (فيها) أشار به إلى أن ذكري مصدر مضاف إلى المفعول، أي: لتذكرني في الصلاة، فإنها مشتملة على كلامي. وقيل: المصدر مضاف للفاعل أي لذكري إياك اهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: وخصت الصلاة بالذكر وأفردت بالأمر مع اندراجها في الأمر بالعبادة لفضلها وإنافتها على سائر العبادات لما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره، وذلك قوله تعالى ﴿لذكري﴾ أي: لتذكرني، فإن ذكري كما ينبغي لا يتحقق إلا في ضمن العبادة والصلاة، أو لتذكرني فيها لاشتمالها على الأذكار أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لإخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد غرضاً آخر، أو لتكون ذاكراً لي غير ناس، وقيل: لذكري إياها وأمري بها في الكتب، أو لأن أذكرك بالمدح والثناء، وقيل: لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتي لما أنه عليه السلام قال: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذ ذكرها لأن الله تعالى يقول: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾» اهـ.

قوله: ﴿إن الساعة آتية﴾ أي: كائنة وحاصلة لا محالة. أكاد أخفيها: أريد خفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها، فلا أقول إنها آتية، ولولا ما في الإخبار بإتيانها من اللطف وقطع الإعذار لما أخبرت به، أو أكاد أظهرها من أخفاه إذا سلب خفاءه اهـ بيضاوي.

وقوله: أريد إخفاء وقتها لما كان الإخبار بأنها ستأتي تحقيقاً إظهاراً لها في الجملة، وهو ينافي إخفاءها أولوه بما ذكر من أن المراد إخفاء وقتها المعين، ولما كان كونه من المغيبات يناسب أن يقال أخفيها بدون أكاد فسروا أكاد بأريد وهو أحد معانيها، وقيل: أكاد زائدة وقوله: أو قرب أن أخفيها أي: أخفي ذكرها الإجمالي: والمعنى: أنه تعالى كاد ألاَّ يذكرها ولو إجمالاً لكونها أخفى المغيبات، لكنه ذكرها إجمالاً كما في قوله: إن الساعة آتية لحكمة وهي اللطف بالمؤمنين لحثهم على الأعمال الصالحة، وقوله: أو أكاد أظهرها أي أعين وقتها، فمتعلق الإظهار والإخفاء ليس شيئاً واحداً حتى يحصل التعارض اهـ شهاب.

قوله أيضاً: ﴿إن الساعة آتية﴾ لا محالة بدلالة كلمة إن واسمية الجملة قاله هنا، وفي الحج بحذف لام التأكيد، وقوله في غافر بإثباتها لأنها إنما تزاد لتأكيد الخبر، وتأكيده إنما يحتاج إليه إذا كان المخبر به شاكاً في الخبر، والمخاطبون في غافر هم الكفار فأكدها باللام بخلاف تينك، وبما تقرر علم أن كاد من الله واجب كقوله تعالى: ﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾ [الإسراء: ٥١] أي: هو قريب. والحكمة في إخفاء الساعة وإخفاء وقت الموت أن الله تعالى وعد بعدم قبول التوبة عند قربهما، فلو عرف وقت الموت لاشتغل الإنسان بالمعصية إلى قرب ذلك الوقت، ثم يتوب فيتخلص من عقاب المعصية فتعريف وقت الموت كالإغراء بفعل المعصية وهو لا يجوز اهـ.

قربها بعلاماتها ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ به من خير أو شر ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ يصرفنك ﴿عَنْهَا﴾ أي عن الإيمان بها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إنكارها ﴿فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي فتهلك إن انصددت عنها ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ كائنة ﴿بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة

قوله: ﴿لتجزي﴾ متعلق بأخفيها أو بآتية، وأكاد أخفيها جملة اعتراض بينهما لا نعت لآتية حتى يلزم إعمال اسم الفاعل الموصوف، فإن عمل ثم وصف جاز اهـ كرخي.

قوله: ﴿بما تسعى﴾ (به) وفي نسخة فيه من خير أو شر. أشار به إلى أن ما موصولة اسمية، ويجوز أن تكون مصدرية لا بد من مضاف أي تجزي بعقاب سعيها أو بعقاب ما سعته اهـ كرخي.

قوله: ﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي: عن ذكر الساعة ومراقبتها، وقيل: عن تصديقها، والأول هو الأليق بشأن موسى عليه السلام وإن كان النهي بطريق التهييج والإلهاب اهـ أبو السعود.

وفي السمين: فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها. من لا يؤمن هو المنهي صورة، والمراد نهي المخاطب وهو موسى فهو من باب لا أرينك ههنا. وقيل: إن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب، والضميران في عنها وبها للساعة، وقيل: للصلاة، وقيل: في عنها للصلاة وفي بها للساعة اهـ.

قوله: ﴿فتردى﴾ منصوبة بفتحة مقدرة على الألف بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة في جواب النهي اهـ شيخنا.

وفي السمين: فتردى يجوز أن ينتصب في جواب النهي بإضمار أن وأن يرتفع على خبر ابتداء مضمر تقديره فأنت تردي اهـ.

وفي المختار: وردى من باب صدى أي هلك وأرداه غيره، وردي في البئر يردى بالكسر من باب رمى، وتردى إذا سقط فيها أو تهور من جبل اهـ.

قوله: ﴿وما تلك بيمينك﴾ ما استفهامية مبتدأ وتلك: خبره، وبيمينك: متعلق بمحذوف لأنه حال كقوله: ﴿وهذا بعلي شيخاً﴾ [هود: ٧٢]، والعامل في الحال المقدرة معنى الإشارة، وجوز الزمخشري أن تكون تلك موصولة بمعنى التي وبيمينك صلتها، ولم يذكر ابن عطية غيره وليس مذهب البصريين، لأنهم لم يجعلوا من أسماء الإشارة موصولاً إلا ذا بشروط ذكرتها أول هذا الكتاب، وأما الكوفيون فيجيزون ذلك في جميعها ومنه هذه الآية عندهم أي: وما التي بيمينك. وأنشدوا أيضاً وهذا تحملين طليق أي الذي تحملينه اهـ سمين.

قوله: (الاستفهام للتقرير) أي: فإنه سبحانه وتعالى عالم بما في يمينه، وإنما أراد أن يقر موسى ويعترف بكونها عصا ويزداد علمه بما يمنحه الله في عصاه، فلا يعتريه شك إذا قلبها الله تعالى ثعباناً، بل يعرف أن ذلك بقدرة الله تعالى، وفي كلام الشيخ المصنف إشارة لذلك اهـ كرخي.

قوله: (ليرتب عليه) أي ليرتب الله عليه المعجزة الكائنة فيها وهي انقلابها حية. وسيأتي ترتيبها في قوله: ﴿قال ألقها﴾ الخ اهـ شيخنا.

فيها ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا ﴾ أعتمد ﴿ عَلَيْهَا ﴾ عند الوثوب والمشي ﴿ وَأَهُشُّ ﴾ أخبط ورق الشجر ﴿ بِهَا ﴾ ليسقط ﴿ عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ فتأكله ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ ﴾ جمع مأرب مثلث الراء أي حوائج ﴿ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام زاد في الجواب بيان حاجاته بها ﴿ قَالَ أَلْقِهَا

قوله: ﴿قال هي عصاي﴾ الخ أجاب بأربعة أجوبة: ثلاثة مفصلة، والرابع مجمل. وكان يكفيه الأول منها، لكنه زاد في الجواب لأن المقام مقام خطاب الحبيب وهو يطلب فيه البسط اهـ شيخنا.

وكانت عصا آدم ورثها شعيب وأعطاها لموسى بعد أن زوجه ابنته. وعبارة هذا الشارح في سورة القصص: وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه، وكان عصي الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة فأخذها موسى بعلم شعيب اهـ.

قوله: (أعتمد) ﴿عليها﴾ أي: إذا عييت أو وقفت على قطيع الغنم اهـ بيضاوي.

والتوكؤ: التحامل على الشيء وهو بمعنى الاتكاء. قوله: (عند الوثوب) أي: النهوض للقيام كما عبر به غيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأهش﴾ في السمين الهش بالمعجمة الخبط. يقال: هششت الورق أهشه أي خبطته ليسقط، وأما هش يهش بكسر العين في المضارع فبمعنى البشاشة، وقرأ النخعي بكسر الهاء فقيل: هو بمعنى أهش بالضم والمفعول محذوف في القراءتين أي: أهش الورق والشجر، وقيل: هو في هذه القراءة من هش هشاشة إذا مال. وفي المصباح: هش الرجل هشاً من باب رد صال بعصاه. وفي التنزيل: وأهش بها على غنمي. وهش الشجرة هشاً أيضاً ضربها ليتساقط ورقها، وهش الشيء يهش من باب تعب هشاشة لأن واسترخى فهو هش، وهش العود يهش أيضاً هشوشاً صار هشاً أي: سريع الكسر، وهش الرجل هشاشة إذا تبسم وارتاح من بابي تعب وضرب اهـ.

قوله: (أخبط) في المصباح: خبطت الورق من الشجر خبطاً من باب ضرب أسقطته، فإذا سقط فهو خبط بفتحتين فعل بمعنى مفعول مسموع كثيراً اهـ.

قوله: ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ أجمل في هذا الجواب إما حياء من الله تعالى لطول الكلام، وإما رجاء أن يسأل عن تفصيله فيجيب بالتفصيل فيتلذذ بالخطاب اهـ شيخنا.

قوله: (كحمل الزاد) بأن يعلقه فيها ثم يضعها على عاتقه، والزاد: طعام المسافر وما يحمل فيه يقال له مزود بكسر الميم، وقوله: (والسقاء) يقال لظرف الماء واللبن بخلاف القربة فإنها خاصة بالماء اهـ شيخنا.

وأشار بالكاف إلى أن لها منافع أخر، فكان يستقي بها الماء من البئر فيجعلها موضع الحبل، وكل شعبة من شعبتيها تصير دلواً ممتلئاً.

روي عن ابن عباس أن عصا موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه، وكان يضرب بها الأرض فيخرج له ما يأكله يومه، ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء. وكان إذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصن غصنين فصارت شجرة وأورقت وأثمرت، وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها

يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ تمشي على بطنها سريعاً كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان المعبر به فيها في آية أخرى ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ منصوب بنزع الخافض أي إلى حالتها ﴿ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ فأدخل يده في فمها فعادت عصا

فطالت على طول البئر وشعبتاها كدلوين، وكانت شعبتاها تضيئان بالليل كالسراج، وإذا ظهر عدو كانت تحارب وتناضل له اهـ خازن.

وفي القرطبي: عن ابن عباس أنه قال: إمساك العصا سنة الأنبياء وزينة الصلحاء وسلاح على الأعداء وعون الضعفاء وغم المنافقين وزيادة في الطاعات، ويقال: إذا كان مع المؤمن العصا يهرب منه الشيطان ويخشع منه المنافق والفاجر، وتكون قبلته إذا صلى، وقوته إذا أعيا اهـ.

قوله: (زاد في الجواب بيان حاجاته بها) أي: وإلاَّ فكان يكفيه الجواب الأول اهـ شيخنا.

بل كان يكفيه أن يقول هي عصا من غير إضافة إلى نفسه.

قوله: ﴿فألقاها﴾ أي: طرحها على الأرض، ثم حانت منه نظرة فإذا هي حية صفراء من أعظم ما يكون من الحيات اهـ خازن.

قوله: ﴿فإذا هي حية﴾ عبَّر هنا بحية، وفي آية أخرى بثعبان، وفي أخرى بأنها كالجان، فأشار الشارح إلى الجمع بين الثلاثة بتفسير الحية بالثعبان، فإنها اسم جنس يستعمل في الصغير والكبير والذكر والأنثى، فالثعبان من أفرادها. وبقوله: (كسرعة الثعبان الخ) وقوله: (المعبر فيها) أي في العصا على وجه تشبيهها به، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿فلما رآها تهتز كأنها جان﴾ [النمل: ١٠ القصص: ٣١] وقوله: (المسمى بالجان) حقيقة الجان الثعبان الصغير بخلاف الجن، فإنه النوع المعروف اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: قيل: إنه لما ألقاها انقلبت حية صفراء كغلظ العصا ثم تورمت وعظمت، فلذلك سماها جاناً تارة نظراً للمبدأ، وثعباناً مرة باعتبار المنتهى، وحية تارة أخرى باعتبار الاسم الذي يعم الحالين، وقيل: كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان، ولذلك قال في الآية الأخرى: ﴿كأنها جان﴾ [النمل: ١٠ القصص: ٣١] انتهت.

وفي المصباح: الثعبان الحية العظيمة وهو فعلان ويقع على الذكر والأنثى، والجمع الثعابين اهـ.

وفي القاموس: والثعبان الحية الضخمة الطويلة أو الذكر خاصة أو عام اهـ.

قوله: (ثعبان عظيم) وصارت شعبتاها شدقين، والمحجن عنقاً وعرفاً، وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الإبل فتلقمها، وتقطع الشجرة العظيمة بأنيابها، ويسمع لأسنانها صوت عظيم اهـ خازن.

قوله: (فادخل يده) أي مكشوفة، وكان على موسى مدرعة صوف، فلما قال الله له: خذها لف

وتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتيها وأرى ذلك اليد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ﴾ اليمنى بمعنى الكف ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي برص تضيء كشعاع الشمس تغشي البصر ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ وهي وبيضاء حالان من ضمير تخرج

كم المدرعة على يده فأمره الله أن يكشف يده وقال له: أرأيت لو أذن الله لها أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً؟ قال: لا ولكني ضعيف، من الضعف خلقت، فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية الخ اهـ خازن.

وعبارة البيضاوي: لما قال له ربه خذها طابت نفسه حتى أدخل يده وأخذ بلحييها انتهت.

قوله: (وتبين) فعل ماض وفاعله ضمير يعود على السيد موسى أي: علم، وقوله: (أن موضع الخ) في محل المفعول به، ويحتمل أن تبين لازم وأن موضع الخ فاعله، وقوله: (موضع الإدخال) وهو فمها موضع مسكها أي الاتكاء عليها وقوله: (بين شعبتيها) ظرف لمسكها أو حال منه نعت له أي: لما وضع يده في فمها وانقلبت عصا ويده بحالها رأى محل يدنه وهو ما بين الشعبتين، فالشعبتان صارا شدقين، وصار ما تحتهما وهو محل مسكها بيده عنقاً للحية اهـ شيخنا.

قوله: (وأرى ذلك) أي: قلبها حية مع أنه في ذلك الوقت لم يكن عنده أحد يرسل إليه ويحاججه، فالحكمة في إطلاع الله له على هذا الأمر العظيم أن يأنس ولا يجزع منه إذا حصل عند فرعون اهـ شيخنا.

قوله: (لدى فرعون) أي: عنده.

قوله: (بمعنى الكف) أي: لا بمعنى حقيقتها، وهي من الأصابع إلى المنكب، وقوله: (تحت العضد) بيان للمراد من الجنب هنا أي: المراد به خصوص ما تحت العضد، وقوله: (إلى الإبط) بيان للعضد، وذكر الغاية وحذف المبدأ أي: والعضد من المرفق إلى الإبط، ويجمع الإبط على آباط مثل حمل وأحمال اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: والجناح العضد قاله مجاهد، وقال: إلى بمعنى تحت. وقال قطرب: إلى جناحك أي إلى جنبك، وعبَّر عن الجنب بالجناح لأنه محل الجناح، وقال مقاتل: إلى بمعنى مع أي مع جناحك اهـ.

قوله: (من الأدمة) أي: السمرة. قوله: ﴿من غير سوء﴾ يجوز أن يكون متعلقاً بتخرج، وأن يكون متعلقاً ببيضاء لما فيه من معنى الفعل نحو: أبيضت من غير سوء، وقوله: ﴿من غير سوء﴾ يسمى عند أهل البيان الاحتراس، وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد، وذلك أن البياض قد يراد به البرص والبهق فأتى بقوله: ﴿من غير سوء﴾ نفياً لذلك اهـ كرخي.

قوله: (تغشى البصر) أي: تغطيه وتحجبه عن الإدراك. قوله: ﴿آية أخرى﴾ أي: غير العصا.

﴿لِنُرِيَكَ﴾ بها إذا فعلت ذلك لإظهارها ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ الآية ﴿ٱلْكُبْرَى ۝٢٣﴾ أي العظمى على رسالتك وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه كما تقدم وأخرجها ﴿ٱذْهَبْ﴾ رسولاً ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤﴾ جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى

قوله: ﴿لنريك﴾ الخ تعليل لمحذوف أي: وإنما أمرناك بما ذكر لنريك بها أي: باليد. وفي السمين: لنريك متعلق بما دلت عليه آية أي: دللنا بها لنريك أو بجعلناها أو بآتيناك المقدر اهـ.

ولما كانت الإراءة ليست وقت الأمر، بل وقت الفعل الواقع عند فرعون قيد الشارح بقوله: (إذا فعلت) فهو ظرف لنريك، وقوله: (ذلك أي): المذكور من الضم والاخراج، وقوله: (لإظهارها) علة العلة أي: قوله (لنريك) أي لنريك الآية الكبرى لأجل أن تظهرها للناس أي: فرعون ومن معه، وهذا قريب من قوله في العصا وأرى ذلك السيد موسى الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الكبرى﴾ أعربه الشارح مفعولاً ثانياً. أي: نعتاً للمفعول المحذوف فهو نعت لمفرد، والمفعول الأول هو الكاف، ومن آياتنا حال أي: لنريك الآية الكبرى حال كونها بعض آياتنا اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿من آياتنا الكبرى﴾ يجوز أن يتعلق من آياتنا بمحذوف على أنه حال من الكبرى، ويكون الكبرى على هذا مفعولاً ثانياً لنريك. والتقدير: لنريك الكبرى حال كونها من آياتنا أي بعض آياتنا، ويجوز أن يكون المفعول الثاني نفس من آياتنا فيتعلق بمحذوف أيضاً، وتكون الكبرى على هذا صفة لآياتنا وصف الجمع المؤنث غير العاقل بوصف الواحدة اهـ.

ومن المعلوم أن الكبرى اسم تفضيل أي: التي هي أكبر من غيرها حتى من العصا، وذلك لأن المراد الكبرى في الإعجاز واليد كذلك فإنها أكبر آيات موسى، كما نقله الخازن عن ابن عباس لأنها لم تعارض أصلاً، وأما العصا فقد عارضها السحرة كما سيأتي اهـ شيخنا.

وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أدخل يده اليمنى في جيبه وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها كان لها نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً، ثم إذا ردها إلى جيبه صارت إلى لونها الأول اهـ زاده.

قوله: (وإذا أراد عودها) أي: وكان إذا أراد عودها وهذا نظير قوله في العصا: فعادت عصا الخ اهـ شيخنا.

وقوله: وأخرجها فتخرج سمراء اهـ.

قوله: ﴿اذهب إلى فرعون﴾ أي: بهاتين الآيتين وهما العصا واليد اهـ بيضاوي.

وقوله: رسولاً حال. قوله: (ومن معه) أي: من القبط بدليل الآية الأخرى إلى فرعون وملئه، وانظر رسالته لبني إسرائيل من أين تؤخذ اهـ شيخنا.

وتقدم أنها تؤخذ من قوله: ﴿وأنا اخترتك﴾، وعلى ما قاله بعضهم من أن معناه اخترتك للنبوة والرسالة تأمل. قال وهب بن منبه: قال الله لموسى عليه السلام: اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق

﴿صَدْرِي ۝٢٥﴾ وسعه لتحمل الرسالة ﴿وَيَسِّرْ﴾ سهل ﴿لِيٓ أَمْرِي ۝٢٦﴾ لأبلغها ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧﴾ حدثت من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير ﴿يَفْقَهُواْ﴾ يفهموا ﴿قَوْلِي ۝٢٨﴾ عند تبليغ الرسالة

برسالتي، فإنك بعيني وسمعي وإن معك يدي ونصري، وإني ألبسك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمرك. أبعثك إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي. أقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار، ولكن هان عليّ وسقط من عيني فبلغه برسالتي وادعه إلى عبادتي وحذره نقمتي، وقل له قولاً ليناً لا يغتر بلباس الدنيا، فإن ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس إلا بعلمي، في كلام طويل. قال: فسكت موسى عليه السلام سبعة أيام لا يتكلم، ثم جاءه الملك فقال له: أجب ربك فيما أمرك، فعند ذلك قال: رب اشرح لي صدري. قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك، والسبب في هذا السؤال ما حكى الله تعالى عنه في موضع آخر بقوله: ﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون﴾ [الشعراء: ١٢] ويضيق صدري ولا ينطلق لساني، وذلك أن موسى عليه السلام كان يخاف فرعون اللعين خوفاً شديداً لشدة شوكته وكثرة جنوده، وكان يضيق صدراً بما كلف من مقاومة فرعون وحده، فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرته إلا بإذن الله تعالى، وإذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده، وقيل: اشرح لي صدري بالفهم عنك ما أنزلت من الوحي اهـ خطيب.

قوله: ﴿قال رب اشرح لي صدري﴾ لي: متعلق باشرح. قال الزمخشري: فإن قلت: لي من قوله اشرح لي صدري ويسر لي أمري ما جدواه والكلام منتظم بدونه؟ قلت: قد أبهم الكلام أولاً فقال: اشرح لي ويسر لي، فعلم أن ثم مشروحاً وميسراً ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح لصدره والتيسير لأمره، ويقال: يسرته لكذا، ومنه فسنيسره لليسرى ويسرت له كذا، ومنه هذه الآية اهـ سمين.

قوله: ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ لم يسأل حل جميعها، بل حل بعضها الذي يمنع الإفهام بدليل قوله: ﴿يفقهوا قولي﴾، وبدليل أنه نكرها فقال: واحلل عقدة من لساني أي: عقدة كائنة من عقده اهـ أبو السعود.

وعبارة البيضاوي: واختلف في زوال العقدة بكمالها، فمن قال به تمسك بقوله تعالى: ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ ومن لم يقل به احتج بقوله: ﴿هو أفصح مني لساناً﴾ [القصص: ٣٤] وقوله: ولا يكاد يبين، وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقاً، بل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكرها اهـ.

ومن لساني يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لعقدة أي: عقدة من عقد لساني، ولم يذكر الزمخشري غيره. ويجوز أن يتعلق بنفس الحلل والأول أحسن اهـ سمين.

قوله: (بجمرة وضعها بفيه وهو صغير) وذلك أنه لاعبه فرعون ذات يوم فنتف لحيته فاغتم وهمَّ بقتله فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم: مثل هذا الغلام لا يغتم منه لأنه لا يفرق بين التمرة والجمرة فأتى له بهما فأخذ الجمرة اهـ شيخنا.

﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾ معيناً عليها ﴿مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾﴾ ﴿هَٰرُونَ﴾ مفعول ثان ﴿أَخِي ﴿٣٠﴾﴾ عطف بيان ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾ ظهري ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ أي الرسالة والفعلان بصيغتي الأمر والمضارع المجزوم

وعبارة الخازن: وذلك أن موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته، فقال فرعون لامرأته آسية: إن هذا عدوي، وأراد أن يقتله، فقالت له آسية: إنه صبي لا يعقل. وقيل: إن أم موسى لما فطمته ردته إلى فرعون فنشأ في حجره وحجر امرأته يربيانه واتخذاه ولداً، فبينما هو يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب إذ رفعه وضرب به فرعون، فغضب فرعون وتطير بضربته حتى همَّ بقتله، فقالت آسية: أيها الملك إنه صغير لا يعقل جربه إن شئت، فجاء بطشتين أحدهما فيه جمر والآخر فيه جوهر، فوضعهما بين يدي موسى فأراد أن يأخذ الجوهرة، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على الجمر وأخذ جمرة فوضعها على فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة انتهت.

قوله: ﴿يفقهوا قولي﴾ جواب الأمر.

قوله: ﴿واجعل لي وزيراً﴾ يجوز أن يكون لي مفعولاً ثانياً مقدماً، ووزيراً هو المفعول الأول، ومن أهلي على هذا يجوز أن يكون صفة لوزيراً، ويجوز أن يكون متعلقاً بالجعل، وهارون بدل من وزيراً، ويجوز أن يكون وزيراً مفعولاً ثانياً، وهارون هو الأول، وقدم الثاني عليه اعتناء بأمر الوزارة، وعلى هذا فقوله: لي يجوز أن يتعلق بنفس الجعل، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من وزيراً، إذ هو في الأصل صفة له، ومن أهلي على ما تقدم من وجهيه، ويجوز أن يكون وزيراً مفعولاً أول، ومن أهلي هو الثاني. والوزير قيل مشتق من الوزر وهو الثقل، وسمي بذلك لأنه يتحمل أعباء الملك ومؤنه فهو معين على أمر الملك وقائم بأمره، وقيل: بل هو من الوزر وهو الملجأ، ومنه قوله تعالى: ﴿كلا لا وزر﴾ [القيامة: ١١] وقيل: من المؤازرة وهي المعاونة نقله الزمخشري عنه الأصمعي قال: وكان القياس أزيراً يعني بالهمزة، لأن المادة كذلك اهـ سمين.

وفي القاموس: الأزر الإحاطة والقوة والضعف ضدّ والتقوية والظهر اهـ.

قوله: (مفعول ثان) يعني: أن هارون ثان والأول وزيراً، والمعنى اجعل لي وزيراً هارون، هكذا قال. والأولى عكس هذا الإعراب كما تقدم في عبارة السمين، لأن القاعدة أنه إذا اجتمع معرفة ونكرة يجعل المفعول الأول هو المعرفة، لأن أصله المبتدأ والنكرة المفعول الثاني لأن أصله الخبر، وزيراً نكرة، وهارون معرفة بالعلمية اهـ.

قوله: (والفعلان بصيغتي الأمر الخ) حاصل ما هنا قراءات خمسة للسبعة: اثنتان منها عند الوقف على ياء أخي، وثلاثة عند وصلها بما بعدها. بيانها أنك إن وقفت عليها جاز لك أن تقرأ الفعلين بصيغتي الأمر والمضارع، ومعلوم أن الأمر الأول بضم الهمزة والثاني بفتحها، وأن المضارع الأول بفتحها والثاني بضمها، وإن وصلت الياء بما بعدها فيصح أن تسكنها ممدودة قدر ألفين، وتقرأ الفعلين بصيغة المضارع، ويصح أن تثبتها مفتوحة مع قراءة الفعلين بصيغة الأمر، ويصح أن تحذفها وتقرأ الفعلين بصيغة الأمر. هذا محصل القراءات الخمسة اهـ شيخنا.

قوله: (وهو) أي: المضارع المجزوم جواب للطلب أي: قوله اجعل.

وهو جواب الطلب ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحاً ﴿كَثِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾ ذكراً ﴿كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ عالماً فأنعمت بالرسالة ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ مناً عليك ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ مناماً أو إلهاماً لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ في أمرك ويبدل منه ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ ألقيه ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ﴾

قوله: ﴿كي نسبحك﴾ الخ تعليل لكل من الأفعال الثلاثة اجعل واشدد وأشرك اهـ أبو السعود.

ونسبحك: فعل مضارع منصوب بكي مسند لضمير موسى وهارون.

قوله: ﴿سؤلك﴾ أي: مسؤولك، ففعل بمعنى المفعول كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول، ومسؤوله هو رب اشرح لي الخ. وقوله: (مناً عليك) أي: مناً وتفضلاً منا عليك وهذا فيه تخلص مما قبله ودخول على ما بعده، وهو قوله: ﴿ولقد مننا﴾ الخ شيخنا.

قوله: ﴿ولقد مننّا عليك﴾ الخ كلام مستأنف لتقرير ما قبله ولزيادة توطين نفس موسى بإجابة مسؤولة، ببيان أنه تعالى حيث أنعم عليه بتلك النعم التامة بغير سابقة دعاء منه وطلب، فلأن ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع أولى وأحرى، وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء به أي: وبالله لقد مننا الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (مرة) مصدر وأخرى تأنيث آخر بمعنى غير اهـ سمين.

قوله: ﴿إذ﴾ (للتعليل) أي لمننا أي لأننا قد أوحينا إلى أمك الخ. وفي السمين: إذ أوحينا. العامل في إذ هو مننا أي: مننا عليك في وقت إيحائنا إلى أمك، وأبهم في قوله: ﴿ما يوحى﴾ للتعظيم كقوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ [طه: ٧٨] اهـ.

وحاصل ما ذكره من المنن عليه من غير سؤال ثمانية، الأولى: قوله إذا أوحينا إلى قوله وعدوله. والثانية: قوله: وألقيت عليك الخ. الثالثة: قوله ولتصنع إلى قوله من يكفله. الرابعة: قوله فرجعناك إلى أمك إلى قوله: ولا تحزن. الخامسة: قوله وقتلت نفساً فنجيناك من الغم. السادسة: قوله: وفتناك فتوناً. السابعة: قوله فلبثت إلى قوله يا موسى. الثامنة: قوله واصطنعتك لنفسي اهـ شيخنا.

قوله: (مناماً) أي: لأنها ليست نبية، واسمها يوحانذ بياء مضمومة فواو ساكنة فحاء مهملة بعدها ألف فنون مكسورة فذال معجمة اهـ من شرح النقاية للسيوطي.

قوله: (في أمرك) أي: شأنك، وقوله: (ويبدل منه) أي مما يوحى أي: بدل مفصل من مجمل فصله بأمور أربعة: أن اقذفيه فاقذفيه فيلقه يأخذه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن اقذفيه﴾ أي: قذفها لك، وإلقاء البحر إياك، وأخذ العدو لك اهـ شيخنا.

وأن مفسرة أو مصدرية اهـ أبو السعود.

والثاني أنسب بجعل الشارح له بدلاً اهـ شيخنا.

بالتابوت ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ أي شاطئه والأمر بمعنى الخبر ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ وهو فرعون ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ بعد أن أخذوك ﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ لتحب من الناس فأحبك

قوله: (بالتابوت) أي: الصندوق. قوله: ﴿فليلقه﴾ وقوله: ﴿يأخذه﴾ الخ من جملة الموحى إليها، ولما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجب الوقوع والحصول لتعلق الإرادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع اهـ أبو السعود.

وهذا لا ينافي قول الشارح: والأمر بمعنى الخبر، فإن تقرير أبي السعود بيان لحكمة العدول عن الخبر الصريح إلى صورة الأمر اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿فليلقه اليم﴾ هذا أمر معناه الخبر، ولكونه أمراً لفظاً جزم جوابه في قوله: يأخذه، وإنما جيء بصيغة الأمر مبالغة إذ الأمر أقطع الأفعال وآكدها. وقال الزمخشري: لما كانت مشيئة الله وإرادته أن لا تخطىء جرية ماء اليم الوصول به إلى الساحل والقاءه إليه سلك في ذلك سبيل المجاز، وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع الآمر ويمتثل رسمه، وبالساحل يحتمل أن يتعلق بمحذوف على أن الباء للحال أي ملتبساً بالساحل، وأن يتعلق بنفس الفعل على أن الباء ظرفية بمعنى في اهـ.

قوله: (أي شاطئه) عبارة أبي السعود: وليس المراد بالساحل نفس الشاطىء، بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه إلى نهر فرعون لما روي أنها جعلت في التابوت قطناً ووضعته فيه، ثم طلت رأس التابوت بالقار أي الزفت وألقته في أليم، وكان يشرع منه نهر إلى بستان فرعون فرفعه الماء إليه فأتى به إلى بركة في البستان، وكان فرعون جالساً ثمة مع آسية بنت مزاحم، فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي من أحسن الناس وجهاً فأحبه عدو الله حباً شديداً بحيث لا يكاد يتمالك الصبر على بعده عنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ اهـ.

قوله: (والأمر) أي: فليلقه بمعنى الخبر أي: فيلقيه.

قوله: ﴿يأخذه﴾ جواب للأمر اللفظي، وهو قوله: فليلقه، أو الحقيقي وهو قوله: أن اقذفيه الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي: محبة عظيمة كائنة مني، وقد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك، ولذلك أحبك عدو الله وآله، وقيل: هي متعلقة بألقيت أي: أحببتك، ومن أحبه الله تعالى أحبته القلوب لا محالة اهـ أبو السعود.

وقال ابن عباس: أحبه الله تعالى وحببه إلى خلقه اهـ قرطبي.

وعبارة الكرخي: قوله: (لتحب من الناس الخ) قاله ابن عباس وعكرمة. ومني فيه وجهان. قال الزمخشري: مني لا يخلو إما أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أني أحببتك، ومن أحبه الله أحبته القلوب، وإما أن يتعلق بمحذوف وهو صفة لمحبة أي محبة حاصلة أو واقعة مني قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها. ويمكن كما أفاده شيخنا أن يقال الاحتمال الأول أرجح، لأن الاحتمال الثاني

فرعون وكل من رآك ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ۝٣٩﴾ تربى على رعايتي وحفظي لك ﴿إِذۡ﴾ للتعليل ﴿تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ﴾ مريم لتتعرف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منها ﴿فَتَقُولُ هَلۡ

يحوج إلى الإضمار، وهو أن يقال: وألقيت عليك محبة حاصلة مني وواقعة بتخليقي، وعلى الأول لا حاجة إلى الإضمار وعليه جرى الشيخ المصنف اهـ.

قوله: ﴿ولتصنع﴾ علة معطوفة أي أخرى محذوفة قدرها الشارح بقوله: (لتحب من الناس) اهـ شيخنا.

وقرأ العامة لتصنع بكسر اللام وضم التاء وفتح النون على البناء للمفعول، ونصب بإضمار أن بعد لام كي وفيه وجهان.

أحدهما: أن هذه العلة معطوفة على علة مقدرة قبلها، والتقدير: ليتلطف بك ولتصنع، أو ليعطف عليك وتربي ولتصنع، وتلك العلة المقدرة متعلقة بقوله: وألقيت أي ألقيت المحبة ليعطف عليك ولتصنع، ففي الحقيقة هو متعلق بما قبله من القاء المحبة.

والثاني: أن هذه اللام متعلقة بمضمر بعدها تقديره: ولتصنع على عيني فعلت ذلك أو كان كيت وكيت، ومعنى لتصنع أي لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك ومراقبك، كما يراعي الإنسان الشيء بعينه إذا اعتنى به. قال الزمخشري: وقرأ الحسن، وأبو نهيك: ولتصنع بفتح التاء. قال ثعلب: أي لتكون حركتك وتصرفك على عين مني، وقال الزمخشري: قريباً منه اهـ سمين.

قوله: (تربى على رعايتي وحفظي) أي: فالعين هنا بمعنى الرعاية مجازاً مرسلاً من إطلاق السبب وهو العين أي: نظرها على المسبب وهو الحفظ والرعاية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذ تمشي أختك فتقول﴾ صيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿للتعليل﴾ أي: لقوله ﴿ولتصنع على عيني﴾. أي: لأن أختك قد مشت تبحث عن خبرك فرأتك وقعت في يد فرعون، فدلت على أمك لأنها قالت لفرعون: هل أدلكم الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿إذ تمشي﴾ في عامل هذا الظرف أوجه، أحدها: أن العامل فيه ألقيت أي: ألقيت عليك محبة مني في وقت مشي أختك. الثاني: أنه منصوب بقوله: ولتصنع أي لتربى ويحسن إليك في هذا الوقت. الثالث: أن يكون إذ تمشي بدلاً من إذ أوحينا. الرابع: أن يكون العامل فيه مضمراً تقديره: اذكر إذ تمشي اهـ.

قوله: ﴿أختك﴾ وكانت شقيقته واسمها مريم كما قال الشارح، وهي غير أم عيسى، وقوله: لتعرف خبرك سيأتي إيضاحه في قوله تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ [القصص: ١١] الخ شيخنا.

قوله: (وأنت لا تقبل الخ) أي: لحكمة علمها الله وهي وقوعك في يد أمك، لأنك لو رضعت غيرها لاستغنوا عن أمك اهـ شيخنا.

أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القبطي بمصر فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عشراً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾

قوله: ﴿على من يكفله﴾ أي: يكمل له رضاعه، وكانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر. وقيل: أربعة قبل القائه في اليم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فرجعناك﴾ معطوف على ما قدره الشارح بقوله: (فأجيبت فجاءت الخ) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تحزن﴾ أي: أمك، أو ولا تحزن أنت على فراقها وفقد إشفاقها اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ولا تحزن﴾ (حينئذ) أي: حين إذ قبلت ثديها، فإن قيل: لو قال كي لا تحزن وتقر عينها كان الكلام مفيداً، لأنه لا يلزم من عدم حصول الحزن حصول السرور لها، فلما قال أولاً: كي تقر عينها كان قوله: ﴿ولا تحزن﴾ فضلة لأنه متى حصل السرور وجب زوال الغم لا محالة. فالجواب: أن المراد تقر عينها بسبب وصولك إليها ويزول عنها الحزن بسبب عدم وصول لبن غيرها إلى باطنك قاله ابن عادل، وإليه أشار في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿وقتلت نفساً﴾ وكان عمره إذ ذاك ثلاثين سنة اهـ شيخنا.

قوله: (هو القبطي) واسمه قاب قان، وكان طباخاً لفرعون، وقوله: من جهة فرعون أي: من جهة قتله لأنه كان كافراً، وأيضاً قتله له كان خطأ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وفتناك﴾ أي: ابتليناك ابتلاء أو فتوناً من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء، كحجوز في حجزة، وبدور في بدرة أي: خلصناك مرة بعد أخرى وهذا إجمال لما ناله سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشي راجلاً وفقد الزاد. وقد روي أن سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله عنهما فقال: خلصناك من محنة بعد محنة، ولد في عام كان يقتل فيه الولدان، فهذه فتنة يا ابن جبير، وألقته أمه في البحر وهمَّ فرعون بقتله، وقتل قبطياً، وآجر نفسه عشر سنين، وضلَّ الطريق وضلت غنمه في ليلة مظلمة، وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير اهـ أبو السعود.

وفي السمين: فتوناً فيه وجهان، أحدهما: أنه مصدر على فعول كالقعود والجلوس إلاَّ أن فعولاً في المتعدي، ومنه الشكور والكفور والثبور واللزوم. قال تعالى: ﴿لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ [الفرقان: ٦٢]. والثاني: أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة أي: فتناك ضروباً من الفتن اهـ.

قوله: (اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك) كما وقع له في سيره قاصداً مدين وراجعاً منها مما سيأتي بسطه في سورة القصص، وقوله: (وخلصناك منه) أي: من الغير. وعبارة الكرخي: قوله: (اختبرناك بالإيقاع الخ) يشير في إلى أن الفتنة بمعنى تشديد المحنة، ولما كان التشديد في المحنة مما يوجب كثرة الثواب عدَّه الله تعالى من جملة النعم أو أن فتناك بمعنى خلصناك تخليصاً اهـ.

قوله: ﴿سنين﴾ (عشراً) هذا هو الراجح، ولبث في مصر قبل قتل القبطي ثلاثين سنة، ثم جاء إلى

بعد مجيئك إليها من مصر من عند شعيب النبي وتزوجك بابنته ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في علمي بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك ﴿يَـٰمُوسَىٰ ۝٤٠﴾ ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ اخترتك ﴿لِنَفْسِى ۝٤١﴾ بالرسالة ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ إلى الناس ﴿بِـَٔايَـٰتِى﴾ التسع ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ تفترا ﴿فِى ذِكْرِى ۝٤٢﴾ بتسبيح وغيره

المناجاة وهو ابن أربعين سنة، وقيل: لبث في مدين ثمانية وعشرين سنة، عشرة منها يرعى الغنم مهر زوجته بنت شعيب، وثمانية عشر أقامها عنده بعد ذلك حتى ولد له، وخرج من مصر وهو ابن اثنتي عشرة سنة حين قتل القبطي اهـ شيخنا.

قوله: (عند شعيب) ظرف للبثت. قوله: (على قدر) أي: مقدار من الزمان يوحى فيه للأنبياء هو أربعون سنة اهـ أبو السعود.

وعلى بمعنى مع أي: قدر أي: مع زمن مقدر لإرسالك في علمي اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: على قدر متعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل جئت أي جئت موافقاً لما قدر لك. كذا قدره أبو البقاء وهو تفسير معنى، والتفسير الصناعي مستقراً أو كائناً على مقدار معين اهـ فنبىء وأرسل حينئذ اهـ.

قوله: ﴿يا موسى﴾ هذا تشريف له عليه الصلاة والسلام، وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الأخرى التي وقعت قبل المرة المحكية أولاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لنفسي﴾ (بالرسالة) يشير إلى الصنع بمعنى الاختبار وهذا مجاز عن قرب منزلته ودنوه من ربه، لأن أحداً لا يصطنع إلا من يختار. قال القفال: واصطنعتك أصله من قولهم اصطنع فلان فلاناً إذ أحسن إليه حتى يضاف إليه، فيقال: هذا صنيع فلان وجريح فلان، وقوله: ﴿لنفسي﴾ أي لأصرفك في أوامري لا تشتغل إلا بما أمرتك به، وهو إقامة حجتي وتبليغ رسالتي وأن تكون في حركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا لغيرك اهـ كرخي.

قوله: ﴿اذهب أنت وأخوك﴾ أي وليذهب أخوك حسبما طلبت وهذا استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع، وقوله: ﴿بآياتي﴾ الباء للمصاحبة أي: مصحوبين بها متمسكين بها في إجراء أحكام الرسالة وإكمال أمر الدعوة وليست للتعدية، إذ ليس المراد مجرد ذهابهما وإيصالها إلى فرعون اهـ أبو السعود.

قوله: (إلى الناس) أي: فرعون وقومه وبني إسرائيل، فبالنظر لهذا المتعلق اندفع التكرار بين قوله: ﴿اذهب أنت وأخوك﴾، وقوله: ﴿اذهبا إلى فرعون﴾ الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: وذكر المذهوب إليه في قوله اذهبا إلى فرعون، وحذفه من الأول في قوله: اذهب أنت وأخوك اختصاراً في الكلام، وقيل: أمر أولاً بالذهاب لعموم الناس ثم ثانياً لفرعون بخصوصه وفيه بعد، بل الذهابان متوجهان لشيء واحد وهو فرعون، وقد حذف من كل من الذهابين ما أثبته في الآخر، وذلك أنه حذف المذهوب إليه من الأول وأثبته في الثاني، وحذف المذهوب به وهو بآياتي من الثاني وأثبته في الأول اهـ.

﴿ اَذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ بادعائه الربوبية ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾

قوله: (التسع) فيه أنه لم يبين له في هذا الخطاب وهذا المجلس إلا آيتين اليد والعصا، ولم يبين له غيرهما من بقية التسع كالجراد والقمل، فكيف يقول له اذهب بآياتي التسع، فإن أجيب بأن التسع بعضها حصل وبعضها سيحصل قلنا: الذي لم يحصل في هذا المجلس لم يعرفه موسى الآن أي: وقت قوله اذهب أنت وأخوك لذلك أكثر المفسرين على أن المراد بالآيات اليد والعصا فقط اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: بآياتي أي بمعجزاتي التي أريتكها من اليد والعصا، فإنهما وإن كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى، كما في قوله تعالى: ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾ [آل عمران: ٩٧] فإن انقلاب العصا حيواناً آية وكونها ثعباناً عظيماً لا يقادر قدره آية أخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية أخرى، وكونه مع ذلك مسخراً له عليه السلام حيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابها عصا آية أخرى، وكذلك اليد فإن بياضها في نفسه آية وشعاعها آية، ثم رجوعها إلى حالها الأولى آية أخرى اهـ.

قوله: ﴿ولا تَنِيا في ذكري﴾ يقال: ونى يني ونياً كوعد يعد وعداً إذا فتر، والونى الفتور، وونى فعل لازم لا يتعدى. وزعم بعضهم أنه يكون من أخوات زال وانفك فيعمل بشرط النفي أو شبهه عمل كان. يقال: ما ونى زيد قائماً أي ما زال قائماً اهـ سمين.

وفي المصباح: ونى في الأمر ونياً من بابي تعب ووعد ضعف وفتر فهو وان، وفي التنزيل: ولا تنيا في ذكري، وتوانى في الأمر توانياً لم يبادر إلى ضبطه ولم يهتم به فهو متوان أي: غير مهتم ولا محتفل اهـ.

فقوله: ولا تنيا بوزن تعدا، وأصله تونيا كتوعدا حذفت فاؤه وهي الواو على القاعدة، فوزنه الآن تعلا وهو في الآية من باب وعد لأجل كسر النون، إذ لو كان من باب تعب لكان بفتحها كما لا يخفى اهـ.

وقوله: تفترا في المصباح: فتر عن العمل فتوراً من باب قعد انكسرت حدته ولان بعد شدته اهـ.

قوله: ﴿في ذكري﴾ لعل في بمعنى عن أي: عن عبادتي، وقوله: وغيره من جملة الغير تبليغ الرسالة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذهبا إلى فرعون﴾ جمعهما في صيغة أمر الحاضر، مع أن هارون لم يكن حاضراً محل المناجاة بل كان في ذلك الوقت بمصر للتغليب فغلب الحاضر على غيره، وكذا الحال في صيغة النهي أي قوله: ولا تنيا. روي أنه تعالى أوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليه السلام، وقيل: سمع بإقباله فتلقاه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ هو قوله الآتي: إنا رسولا ربك اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: فقولا له قولاً ليناً مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى، فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة حذراً أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما، أو احتراماً لما له من

يتعظ ﴿أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ الله فيرجع والترجي بالنسبة إليهما لعلمه تعالى بأنه لا يرجع ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أي يعجل بالعقوبة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ علينا أي يتكبر ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ بعوني ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول ﴿وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ ما يفعل ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى

حق التربية عليك، وقيل: كنياه. وكان له ثلاث كني أبو العباس، وأبو الوليد، وأبو مرة. وقيل: عداه شباباً لا يهرم بعده وملكاً لا يزول إلا بالموت اهـ.

قوله: (في رجوعه عن ذلك) أي: إدعاء الربوبية. قوله: (فرجع) بالنصب في جواب الترجي. قوله: (بالنسبة إليهما الخ) عبارة السمين: قوله: ﴿لعله يتذكر﴾ الخ فيه أوجه، أحدها: أن لعل على بابها من الترجي، وذلك بالنسبة إلى المرسل وهو موسى وهارون أي: اذهبا على رجائكما وطمعكما في إيمانه أي: اذهبا مترجيين طامعين، وهذا معنى قول الزمخشري ولا يستقيم أن يرد ذلك في حق الله تعالى إذ هو عالم بعواقب الأمور. وعن سيبويه: كل ما ورد في القرآن من لعل وعسى فهو من الله واجب. يعني: أنه يستحيل بقاء معناه في حق الله تعالى. والثاني: أن لعل بمعنى كي فتفيد العلية، وهذا قول الفراء قال: كما تقول اعمل لعلك تأخذ أجرك أي كي تأخذ. والثالث: أنها استفهامية أي: هل يتذكر أو يخشى وهذا قول ساقط، وذلك لأنه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى كما يستحيل الترجي، فإذا كان لا بد من التأويل فجعل اللفظ باقياً على مدلوله أولى من إخراجه عنه اهـ.

قوله: (لعلمه تعالى بأنه لا يرجع) وفائدة إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علم الله بأنه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿قالا ربنا﴾ الخ أسند القول إليهما مع أن القائل حقيقة هو موسى تغليباً للإيذان بأصالته في كل قول وفعل، ويجوز أن يكون هارون قال ذلك بعد ملاقاتهما فحكى ذلك من قول موسى عند نزول الآية كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ [المؤمنون: ٥١] فإن هذا الخطاب قد حكي بصيغة الجمع مع أن كلا من المخاطبين لم يخاطب إلا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود، فكيف باجتماعهم في الخطاب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أن يفرط علينا﴾ بابه قعد، وقوله: (أي يعجل بالعقوبة) أي: فلا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أو أن يطغى﴾ أي: يزداد طغياناً وإظهار كلمة أن مع استقامة المعنى بدونها لإظهار كمال الاعتناء بالأمر والإشعار بتحقق الخوف من كل منهما اهـ أبو السعود.

قوله: (أي يتكبر) أي: إلى أن يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جرأته اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قال لا تخافا﴾ أي: ما توهمتماه من الأمرين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أسمع وأرى﴾ أي: فأفعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضرر وجلب نفع اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فأتياه﴾ أمرا بإتيانه الذي هو عبارة عن الوصول إليه بعد ما أمرا بالذهاب إليه فلا تكرار

الشام ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ بحجة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على صدقنا بالرسالة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ أي السلامة له من العذاب ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ ما جئنا به ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أعرض عنه. فأتياه وقالا له جميع ما ذكر ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ اقتصر عليه لأنه الأصل ولإدلاله

وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿فقولا إنا رسولا ربك﴾ الخ أمرهما أن يقولا له ست جمل، الأولى: قوله ﴿إنا رسولا ربك﴾. والسادسة قوله: ﴿إنا قد أوحي إلينا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فارسل معنا بني إسرائيل﴾ المراد بإرسالهم اطلاقهم من الأسر والقسر وإخراجهم من تحت يده لا تكليفهم أن يذهبوا معهما إلى الشام كما ينبىء عنه قوله: ﴿ولا تعذبهم﴾ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ قال الزمخشري: هذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهي: إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير، لأن دعوى الرسالة لا يثبت إلا ببينتها التي هي مجيء الآية، وإنما وحد بآية ولم يثن ومعه آيتان، لأن المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها، فكأنه قيل: قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة، ولذلك قال: ﴿قد جئتكم من ربكم﴾ [الاعراف: ١٠٥] فأت بآية ﴿إن كنت من الصادقين﴾ [الأعراف: ١٠٦] أو لو جئتك بشيء مبين اهـ سمين.

قوله: ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ وقوله: ﴿إنا قد أوحي إلينا﴾ الخ من جملة قول الله تعالى الذي أمرهما أن يقولاه لفرعون أي: وقولا له والسلام الخ، وقولا له إنا قد أوحي إلينا الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأتياه﴾ الخ أشار بذلك إلى أن في القصة حذفاً للإيجاز والإشعار بأنهما سارعا إلى الامتثال من غير تلعثم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ لم يضف الرب إلى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى: ﴿إنا رسولا ربك﴾، وقوله تعالى: ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ لغاية عتوه ونهاية طغيانه، بل أضافه إليهما لما أن المرسل لا بد أن يكون رباً للرسول أو لأنهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بأن قالا كما في آية أخرى إنا رسول رب العالمين، والاقتصار هنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود اهـ أبو السعود.

قوله: (اقتصر عليه) أي: مع توجيهه الخطاب إليهما، وقوله: (لأنه الأصل) أي في الرسالة وهارون وإن كان رسولاً لكن المقصود برسالته معاونة موسى اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿يا موسى﴾ نادى موسى وحده بعد مخاطبته لهما معاً، إما لأن موسى هو الأصل في الرسالة وهارون تبع ورِدء ووزير، وإما لأن فرعون كان لخبثه يعلم الرتة التي في لسان موسى، ويعلم فصاحة أخيه بدليل قوله: وأخي هارون هو أفصح مني لساناً، وقوله: ولا يكاد يبين فأراد استنطاقه دون أخيه، وإما لأن حذف المعطوف للعلم به أي موسى وهارون، قاله أبو البقاء وبدأ به

عليه بالتربية ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الخلق ﴿خَلْقَهُۥ﴾ الذي هو عليه متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان

ولا حاجة إليه، وقد يقال: حسن الحذف كون موسى فاصلة لا يقال كان يغني في ذلك أن يقدم هارون ويؤخر موسى، فيقال: يا هارون وموسى فتحصل مجانسة الفواصل من غير حذف لأن بدء موسى أهم فهو المبدوء به اهـ.

وفي المصباح: الرتة بالضم حبسة في اللسان تمنع الكلام. قوله: (ولإدلاله) أي: فرعون عليه أي على موسى بالتربية أي: ولإقامته أي فرعون للدليل عليه أي على موسى بالتربية متعلق بإدلاله أي: أقام عليه الدليل بأن ذكره بتربيته له في قوله الآتي في الشعراء: ﴿ألم نـربك فينا وليداً﴾ [الشعراء: ١٨] اهـ شيخنا.

فكأنه هنا يقول: لا رب لك غيري بدليل التصريح به في قوله: ﴿ألم نربك فينا وليداً﴾. وفي الكرخي: قوله: (اقتصر عليه الخ) أشار به لجواب كيف خاطبهما أولاً ثم خص، وإيضاحه أنه خصه لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه وللتعريض بأنه رباه كما قال: ﴿ألم نربك فينا وليداً﴾ فهذا يشبه قول نمروذ قال: أنا أحيي وأميت في قصد التلبيس على قومه الجهلة الحمقى، أو لأنه كان مكلماً له ومخاطباً إياه اهـ.

قوله: ﴿خلقه﴾ أي: صورته وشكله اللائق بما نيط من الخواص والمنافع اهـ أبو السعود.

قوله: (الحيوان منه) أي: من كل شيء.

قوله: ﴿قال﴾ (فرعون) ﴿فما بال القرون﴾ الخ لما شاهد اللعين ما نظمه عليه الصلاة والسلام في سلك الاستدلال من البرهان النير، وخاف أن يظهر للناس حقيقة ما قاله موسى وبطلان خرافاته هو أراد أن يصرفه عليه السلام عن نسبته إلى ما لايعنيه من الأمور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات، لأجل أن يرى قومه أن عنده معرفة فقال: ما حال القرون الماضية، وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة؟ فأجابه عليه السلام: بأن العلم بأحوالهم لا تعلق له بمنصب الرسالة اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: قوله: ﴿فما بال القرون الأولى﴾ الخ. وجه ارتباط هذا الكلام بما قبله أن فرعون لما بهت لبلاغة كلام موسى وجامعيته وخاف فرعون أن يزيد في تلك الحجة فيظهر للناس صدق موسى وفساد طريقة فرعون أراد أن يصرفه عن ذلك الكلام ويشغله بالحكايات، فقال: فما بال القرون الأولى فلم يلتفت موسى عليه السلام إلى ذلك الحديث، وقال له: علمها عند ربي الخ ولا يتعلق غرضي بأحوالهم ولا أشتغل بها اهـ.

قوله: (في عبادتهم الأوثان) أي: هل كان سبباً في شقاوتهم أوفي سعادتهم، وأورد أبو السعود على هذا التفسير إيراداً فقال: ولو كان المسؤول عنه الشقاوة لأجاب موسى ببيان أن من اتبع منهم الهدى فقد سلم ومن تولى خاب حسبما نطق به وقوله تعالى: ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ [طه: ٤٧] الآيتين. ويمكن أن يجاب بأن موسى أعرض عن هذا الجواب لأن السؤال في غير محله، ولأن

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عِلْمُهَا﴾ أي علم حالهم محفوظ ﴿عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ يغيب ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ ربي شيئاً هو ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملة الخلق ﴿ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشاً ﴿وَسَلَكَ﴾ سهل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطراً، قال تعالى تتميماً لما وصفه به موسى وخطابه لأهل مكة

الجواب المذكور فيه نوع تنفير لفرعون وهو مأمور بملاطفته، فأجابه بجواب إجمالي لأنه ليس مقصوده الآن تحقيق حال من تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا يضل ربي﴾ أي: لا يخطىء ابتداء أي: لا يذهب شيء عن علمه ولا ينسى أي: بعد ما علم. اهـ أبو السعود.

وفي هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها في محل جر صفة لكتاب والعائد محذوف تقديره في كتاب لا يضله ربي أو لا يضل حفظه ربي فربي فاعل على التقدير. والثاني: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب ساقها تبارك وتعالى لمجرد الإخبار بذلك حكاية عن حاله. وفي فاعل ينسى قولان، أحدهما: أنه عائد على ربي أي لا ينسى ربي ما أثبته في الكتاب كما أشار إليه في التقرير. والثاني: أن الفاعل ضمير عائد على الكتاب على سبيل المجاز كما أسند إليه الإحصاء مجازاً في قوله: إلا أحصاها لما كان محلاً للإحصاء. قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ إن معنى اللفظين واحد أي: لا يذهب عنه شيء ولا يخفى عليه، وفرق الأكثرون بينهما فقال القفال: لا يضل عن الأشياء ومعرفتها وما علمه من ذلك لم ينسه، فاللفظ الأول إشارة إلى كونه عالماً بكل المعلومات، واللفظ الثاني دليل على بقاء ذلك العلم أبد الآباد وهو إشارة إلى نفي التغير، واعلم أن فرعون لما سأل موسى عن الإله فقال: فمن ربكما، وكان ذلك مما سبيله الاستدلال أجابه موسى بأوجز عبارة وأحسن معنى، ولما سأله عن القرون الأولى وكان ذلك مما سبيله الإخبار ولم يأته خبر في ذلك وكله إلى عالم الغيوب اهـ كرخي.

قوله: ﴿الذي جعل لكم الأرض﴾ الخ من جملة كلام موسى في جواب فرعون عن سؤاله الأول، فهو مرتبط بقوله: ﴿ثم هدى﴾ لكنه ذكر في خلال كلامه على سبيل الاعتراض سؤال فرعون الثاني وجوابه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مهاداً﴾ قرأ الكوفيون مهداً بفتح الميم وسكون الهاء من غير ألف والباقون مهاداً اهـ سمين.
وقوله: (فراشاً) أي كالفراش.

قوله: ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ أي: جعل لكم فيها طرقاً، ووسطها بين الجبال، والأودية والبراري تسلكونها من قطر إلى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها اهـ أبو السعود.

قوله: (قال تعالى تتميماً الخ) أي: قال هذا بطريق الحكاية عن موسى، وإلاّ فما تقدم قوله تعالى أيضاً لكنه بطريق الحكاية عن موسى اهـ شيخنا.

وما جرى عليه الجلال تبع فيه ابن عطية. وفي السمين: وقال ابن عطية: إن كلام موسى تم عند قوله: ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ وإن قوله: ﴿فأخرجنا﴾ الخ من كلام الله تعالى وفيه بعد اهـ.
وجرى غيره على أن هذا من بقية كلام موسى لكن خالف فيه الظاهر، إذ كان مقتضاه أن يقال:

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ صفة أزواجاً أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما وشتى جمع شتيت كمريض ومرضى من شتَّ الأمر تفرق ﴿كُلُوا۟﴾ منها ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ فيها جمع نعم هي الإبل والبقر والغنم، يقال رعت الأنعام ورعيتها، والأمر للإباحة وتذكير النعمة، والجملة حال من ضمير أخرجنا أي مبيحينِ لكم الأكل ورعي

فأخرج به أزواجاً إلا أنه عدل لما ذكر بناء على أن موسى سمع هذه الكلمات بعينها من الله فأدرجها في كلامه فحكاها كما هي اهـ زاده.

وفي البيضاوي: عدل به عن لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيهاً على ظهور ما فيها من الدلالة على كمال القدرة والحكمة، وإيذاناً بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته، وعلى هذا نظائره كقوله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها﴾ [فاطر: ٢٧] ﴿أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق﴾ [النمل: ٦٠] اهـ.

وقوله: وعلى هذا نظائره أي: وعلى كون العدول من لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم للتنبيه والإيذان المذكورين، وإلا لم يكن العدول على وجه الحكاية اهـ زاده.

وعلى ما سلكه الجلال بهذا الاعتراض ينتهي بقوله: ﴿فكذب وأبى﴾ فيكون قوله: ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ الخ من الاعتراض أخبر الله به محمداً ﷺ بجملة ما وقع لموسى مع فرعون في العشرين سنة، ويكون قوله: ﴿قال أجئتنا﴾ الخ مرتبطاً بقوله: وأنزل من السماء ماء. قوله: (لما وصفه به موسى) أي: للأوصاف التي وصف موسى الله بها فتمم قوله: ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ الخ بقوله: ﴿فأخرجنا به﴾ الخ، وإنما كان تتميماً لأن فيه بيان فائدة الإنزال، وتمم قوله: ﴿الذي جعل الأرض مهاداً﴾ بقوله: ﴿منها خلقناكم﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (وخطاباً لأهل مكة) أي: في قوله: ﴿كلوا﴾. وقوله: ﴿منها خلقناكم﴾ اهـ شيخنا.
قوله: (أصنافاً) سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿شتى﴾ فعلى وألفه للتأنيث وهو جمع شتيت نحو مريض ومرضى، وجريح وجرحى، وقتيل وقتلى يقال: شت الأمر يشت شتاً وشتاتاً فهو شت أي: تفرق، وشتان اسم فعل ماض بمعنى افترق، ولذلك لا يكتفي بواحد اهـ سمين.
قوله: (وغيرهما) كالروائح.

قوله: ﴿كلوا﴾ (منها) أي: الأزواج، وارعوا أنعامكم أي: وغيرها. قوله: (يقال رعت الأنعام الخ) أي: فيستعمل لازماً ومتعدياً كما في السمين اهـ شيخنا.

قوله: (أي مبيحين الخ) كان الأحسن أن يقول أي قائلين لكم كلوا الخ، أي: مبيحين لكم الخ اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وهو حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول، أي: أخرجنا أصناف النبات قائلين كلوا وارعوا، والمعنى معديها لانتفاعكم بالأكل والعلف آذنين فيه اهـ.

الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور هنا ﴿لَآيَاتٍ﴾ لعبراً ﴿لِأُولِي النُّهَىٰ﴾ لأصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف سمي به العقل لأنه ينهي صاحبه عن ارتكاب القبائح ﴿مِنْهَا﴾ أي من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ أي بصرنا فرعون ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَبَىٰ﴾ أن يوحد الله

قوله: (المذكور منا) قال المحشي: الأولى تأخير منا عن قوله لآيات أي: لآيات كائنة منا اهـ.

والظاهر أن ما صنعه الشارح له وجه أيضاً فهو في المعنى إشارة إلى قوله: قال تعالى الخ أي: المذكور منا بقولنا: فأخرجنا الخ. وذلك لأنه حيث كان هذا خطاباً لأهل مكة من الله تعالى كان المناسب أن يرتبط آخره بأوله، فالمعنى منالاً من موسى اهـ.

قوله: (جمع نهية) وقيل: إنه اسم مفرد وهو مصدر كالهدى والسرعة قاله أبو علي اهـ سمين.

قوله: (سمي به) أي: بالنهي. والتذكير باعتبار كونها اسماً، وقوله: (لأنه ينهى الخ) هذا يفيد أن نهي بمعناه ناه اهـ شيخنا.

قوله: (يخلق أبيكم آدم) فعلى هذا يكون خلق كل إنسان غير آدم من الأرض بوسائط عديدة بقدر ما بينه وبين آدم وهذا أحد قولين. والقول الآخر: أن كل إنسان خلق من التراب من غير واسطة، وذلك التراب هو الذي يلقيه الملك الموكل بالرحم على النطفة فيختلق منهما الولد. وفي القرطبي: منها خلقناكم يعني آدم عليه السلام لأنه خلق من الأرض، قاله أبو إسحاق الزجاج. وقيل: إن كل نطفه مخلوقة من التراب، وعلى هذا يدل ظاهر القرآن. وقال عطاء الخراساني: إذا وقعت النطفة في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة ومن التراب، فذلك قوله تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ اهـ.

قوله: (مقبورين) أي: حال كونكم مدفونين في القبور اهـ شيخنا.

قوله: (عند ابتداء خلقكم) أشار إلى أن قوله: ﴿تارة أخرى﴾ راجع إلى قوله: ﴿منها خلقناكم﴾ فإنه بمعنى أخرجناكم أي: من الأرض أخرجناكم ونخرجكم بعد الموت من الأرض تارة أخرى اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولقد أريناه آياتنا﴾ هي من رأى البصرية، فلما دخلت همزة النقل تعدت إلى اثنين أولهما الهاء والثاني آياتنا، والمعنى أبصرناه والإضافة هنا قائمة مقام التعريب العهدي أي الآية المعروفة كالعصا واليد ونحوهما اهـ سمين.

قوله: (التسع) الأولى تقديمه على التوكيد، وتقدم أن ثمانية منها في الأعراف الأولى والثانية قوله: ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده﴾ [الأعراف: ١٠٧ الشعراء: ٣٢] الخ والثالثة قوله: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات﴾ [الأعراف: ١٣٠]، وخمسة في قوله: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم﴾ [الأعراف: ١٣٣] وواحدة في سورة يونس في قوله:

تعالى ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ يعارضه ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لذلك ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾

﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾ [يونس: ٨٨] واعترض هذا أبو السعود فقال بعد أن قرر أن المراد بالآيات العصا واليد وجمعهما باعتبار ما في كل من الآيات ما نصه: ولا مساغ لعد بقية الآيات التسع. منها: لما أنها قد ظهرت بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مرَّ في تفسير سورة الأعراف، وسياق ما هنا أن قوله: ﴿قال أجئتنا﴾ إلى آخر القصة من جملة المترتب على قوله: ﴿فكذب وأبى﴾، فيقتضي أن التكذيب بالتسع وقع قبل المناظرة الآتية، مع أنه لم يقع قبلها إلا اليد والعصا اهـ بنوع تغيير في بعض الألفاظ.

ويمكن أن يجاب بأن هذا قوله: ﴿ولقد أريناه﴾ الخ إخبار عن جملة ما وقع لموسى في مدة دعائه له وهي العشرون سنة، وتقدم أن هذا من جملة الكلام المعترض به في أثناء القصة، واعتراض أبي السعود مبني على أن هذا إخبار عما وقع له مع فرعون في أول دعائه له وليس كذلك كما عرفت.

قوله: ﴿قال أجئتنا﴾ الخ مرتب على جواب موسى، وتقدم أن آخره قوله تعالى: ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ [طه: ٥٣] لكن بينهما جمل اختصر الكلام هنا بحذفها صرح بها في سورة الشعراء. أولها قوله: ﴿قال لئن أتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٩] إلى إن قال: ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ [الشعراء: ٣٣] ثم قال هناك: ﴿قال للملأ حوله﴾ [الشعراء: ٣٤] الخ الذي هو نظير قوله هنا: ﴿قال أجئتنا﴾ الخ فالمراد بالسحر في قوله: ﴿بسحرك﴾ ما رآه فرعون من العصا واليد البيضاء اهـ.

قوله: ﴿فلنأتينك﴾ جواب قسم محذوف تقديره: والله لنأتينك، وقوله: بسحر يجوز أن يتعلق بالإتيان وهذا هو الظاهر، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل الإتيان أي ملتبسين بسحر اهـ سمين.

قوله: ﴿مثله﴾ أي: في الغرابة، وقوله: (لذلك) أي لإتيان بالسحر. قوله: (بنزع الخافض) فيه أن العامل إن كان اجعل فهو متعد بنفسه لهذا المنصوب فلا وجه لتكلف حذف حرف الجر، وإن كان موعداً فلا يخلو إما أن يكون المراد به المصدر أو الزمان أو المكان، فإن كان الأول ورد عليه أن الوعد ليس في المكان المستوي، بل الذي فيه إنما هو المناظرة والوعد وقع في مكان التخاطب قبل ذلك، وإن كان الثاني ورد عليه مثل الذي ورد على ما قبله، وإن كان الثالث كان الصواب أن يجعله بدلاً منه، وحينئذ فالأظهر أنه منصوب باجعل على أنه مفعول فيه، ومن المعلوم أنه على معنى في. فكان هذا شبهة الشارح في تعبيره بنزع الخافض كأنه لما رأى أن المعنى على نزع الخافض تساهل فعبر بهذه العبارة مع إنها لا تقال إلا في العامل الذي لا يصل للمعمول بنفسه تأمل. وعبارة السمين: قوله: ﴿موعداً﴾ يجوز أن يكون زماناً ويرجحه قوله: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾، والمعنى عين لنا وقت اجتماع، ولذلك أجابهم بقوله: موعدكم يوم الزينة، ويجوز أن يكون مكاناً، والمعنى بين لنا مكاناً معلوماً نعرفه نحن وأنت فنأتيه، وهذا يؤيده قوله: مكاناً سوي، ويجوز أن يكون مصدراً ويؤيد هذا قوله: لا نخلفه نحن ولا أنت لأن المواعدة توصف بالخلف وعدمه، وإلى هذا نحا جماعة مختارين له. وقال أبو

منصوب بنزع الخافض في ﴿سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ بكسر أوله وضمه أي وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ وقته للنظر فيما يقع ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ أي ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ بهم الموعد ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ وهم

البقاء: هو هنا مصدر لقوله لا نخلفه نحن ولا أنت، والجعل هنا بمعنى التصيير، وموعداً مفعول أول والظرف هو الثاني، والجملة من قوله لا نخلفه صفة لموعداً. ونحن: توكيد مصحح للعطف على الضمير المرفوع المستتر في نخلفه، ومكاناً: بدل من المكان المحذوف كما قرره الزمخشري. وجوز أبو علي الفارسي وأبو البقاء أن ينتصب مكاناً على المفعول الثاني لا جعل قال: وموعداً على هذا مكان أيضاً ولا ينتصب بموعداً لأنه مصدر قد وصف يعني: أنه يصح نصبه مفعولاً ثانياً، ولكن بشرط أن يكون الموعد بمعنى المكان ليطابق الخبر. وجعل الحوفي انتصاب مكاناً على الظرف وانتصابه باجعل فتحصل في نصب مكاناً خمسة أوجه، أحدها: أنه بدل من مكاناً المحذوف. الثاني: أنه مفعول ثان للجعل. الثالث: أنه نصب بإضمار فعل. الرابع: أنه منصوب بنفس المصدر. الخامس: أنه منصوب على الظرف بنفس اجعل اهـ.

قوله: (في) بدل من الخافض أي: الخافض الذي هو لفظ في اهـ شيخنا.

قوله: (بكسر أوله وضمه) سبعيتان.

قوله: ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ العامة على رفع يوم خبراً لموعدكم فإن جعلت موعدكم زماناً لم يحتج إلى حذف مضاف، إذ التقدير زمان الوعد يوم الزينة، وإن جعلته مصدراً احتجت إلى حذف مضاف تقديره وعدكم وعد يوم الزينة. وقرأ الحسن، والأعمش، وعيسى، وعاصم وغيرهم يوم بالنصب اهـ من السمين.

قوله: (يوم عيد لهم) وكان يوم عاشوراء، واتفق أنه في هذه الواقعة يوم سبت، وإنما خصه عليه السلام بالتعيين لإظهار كمال قوته وكونه على ثقة من أمره وعدم مبالاته بهم، لما أن ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم، وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهور على رؤوس الاشهاد، ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وأن يحشر الناس﴾ في محله وجهان، أحدهما: الجر نسقاً على الزينة أي: موعدكم يوم الزينة ويوم أن يحشر أي: ويوم حشر الناس. والثاني: الرفع نسقاً على يوم، والتقدير: موعدكم يوم كذا وموعدكم أن يحشر الناس أي حشرهم اهـ سمين.

قوله: ﴿ضحى﴾ أي: ضحى ذلك اليوم، وقوله: وقته أي: وقت الضحى الذي هو عبارة عن ارتفاع الشمس اهـ شيخنا.

قوله: (أدبر) أي: انصرف من المجلس. قوله: ﴿ثم أتى﴾ (بهم الموعد) أي: وأتى موسى أيضاً. قوله: (وهم اثنان وسبعون) اثنان منهم من القبط والسبعون من بني إسرائيل، وهذا أقل ما قيل

اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أي ألزمكم الله الويل ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإشراك أحد معه ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما أي يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ كذب على الله ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ أي الكلام بينهم فيهما ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾ لأبي عمرو، ولغيره هذان وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث

في عددهم، وقيل: كانوا اثنين وسبعين ألفاً كما في بعض نسخ هذا الشارح، وقيل: كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل غير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: (أي ألزمكم الله الخ) أفاد به أن ويلكم منصوب بفعل مقدر اهـ كرخي.

قوله: (بإشراك أحد الخ) عبارة أبي السعود: بأن تدعوا أن آياتي التي تظهر على يدي سحر كما فعل فرعون اهـ وهي أمس بالمقام.

قوله: ﴿فيسحتكم﴾ قرأ الأخوان، وحفص عن عاصم فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء، والباقون بفتحهما، فقراءة الأخوين من أسحت رباعياً وهي لغة نجد وتميم. وقراءة الباقين من سحته ثلاثياً من باب قطع وهي لغة الحجاز، وأصل هذه المادة الدلالة على الاستقصاء والنفاد، ومنه سحت الحالق الشعر أي: فلم يترك منه شيئاً ويستعمل في الإهلاك والإذهاب ونصبه بإضمار أن في جواب النهي اهـ سمين.

قوله: (في موسى وأخيه) أي: هل هما ساحران أو رسولان اهـ شيخنا.

وفي الخازن: فتنازعوا أمرهم بينهم أي: تناظروا وتشاوروا يعني: السحرة في أمر موسى سراً من فرعون، فقالوا: إن غلبنا موسى اتبعناه، وقيل: معناه لما قال لهم: ﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾ قال بعضهم لبعض «ما هذا بقول ساحر» اهـ.

ويشبه أن يكون قوله: ﴿وأسروا النجوى﴾ عطف تفسير. وفي القرطبي: وأسروا النجوى، قال قتادة: قالوا: إن كان ما جاءنا به سحراً فسنغلبه، وإن كان من عند الله فسيكون له أمر، فهذا الذي أسروه. وقيل: هو ﴿إن هذين لساحران﴾ الآية قاله السدي ومقاتل، وقيل: هو قولهم إن غلبنا اتبعناه قاله الكلبي، ودليله ما ظهر من عاقبة أمرهم اهـ.

قوله: ﴿قالوا﴾ (لأنفسهم) أي: قال بعضهم لبعض سراً. ويشير بهذا إلى أن قوله: ﴿قالوا إن هذين﴾ الخ تفسير لقوله: ﴿وأسروا النجوى﴾. وحاصل ما قالوه سراً ست جمل أولها هذه وآخرها قوله: ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (لأبي عمرو) أي قراءته بالياء لأبي عمرو، وقوله: ولغيره خبر مقدم، وهذان: مبتدأ مؤخر وقوله: وهو أي هذان موافق الخ. وعلى هذه اللغة يكون معرباً بحركات مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. وحاصل القراءات السبعية في هذا التركيب أربعة: واحدة لأبي عمرو وهي التي بالياء، وثلاثة أجملها في قوله: ولغيره هذان أي بإثبات ألف بعدها نون مشددة مع تخفيف النون من أن وهذه قراءة، والأخريان تخفيف النون التي في هذان مع تشديد النون من أن وتخفيفها اهـ شيخنا.

﴿لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ۝٦٣﴾ مؤنث أمثل بمعنى أشرف أي بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ من السحر بهمزة وصل وفتح الميم من جميع أي لَمَّ وبهمزة قطع وكسر الميم من أجمع أحكم ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ حال أي مصطفين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ۝٦٤﴾ غلب ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ اختر ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عصاك

وإثبات كل من الياء والألف في النطق وإن كان قراءة سبعية صحيحة متواترة لكنه مشكل من حيث مخالفته لخط المصحف الإمام، فإنه ليس فيه ياء ولا ألف، فإن رسمه كما في السمين هذن من غير ألف ولا ياء، ثم قال: قلت: وكم جاء في الرسم أشياء خارجة عن القياس، وقد نصوا على أنه لا تجوز القراءة بها فليكن هذا الموضع مما خرج عن القياس اهـ.

وقوله: على أنه لا تجوز القراءة بها أي بالأشياء المرسومة المخالفة للنطق المنقول فلا يجوز أن يقرأ هنا إن هذان. قوله: (مؤنث أمثل) وإنما أنث باعتبار التعبير بالطريقة، وإلاَّ فباعتبار المعنى كأن يقال أماثل اهـ شيخنا.

قوله: (أي بإشرافكم) تفسير للطريقة فإنها تطلق على وجوه الناس وأشرافهم لأنهم قدوة لغيرهم كما أفاده أبو السعود. وفي المختار: وطريقة القوم أماثلهم وجيادهم يقال: هذا طريقة قومه وهؤلاء طريقة للرجال الأشراف، ومنه قوله تعالى: ﴿كنا طرائق قدداً﴾ [الجن: ١١] أي: كنا فرقاً مختلفة أهواؤنا اهـ.

وفي القاموس: والطريقة بالهاء شريف القوم وأمثلهم للواحد والجمع ويجمع على طرائق اهـ.

قوله: ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ الفاء فصيحة أي: إذا كان الأمر كما ذكره من كونهما ساحرين الخ فاجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعاً عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم اهـ أبو السعود.

وقوله: (من السحر) بيان للكيد. قوله: (من لم) يقال: لَمَّ الله شعثه أي جمعه فلم يترك شيئاً منه متفرقاً اهـ شيخنا.

وفي المختار: ولَمَّ الله شعثه أي: أصلحه وبابه رد اهـ.

قوله: ﴿ثم ائتوا صفاً﴾ أمر بعضهم بعضاً بذلك لأنه أهيب في صدور الرائين وأدخل في استجلاب الرهبة قيل: كان مع كل واحد منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة اهـ أبو السعود.

وصفاً: أصله مصدر، وقد أشار الشارح إلى تأويله بالمشتق بقوله: (أي مصطفين) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إما أن تلقي﴾ أن مع ما بعدها في تأويل مصدر منصوب بفعل مضمر قدره الشارح بقوله (اختر) اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿إما أن تلقي﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه منصوب بإضمار فعل تقديره اختر أحد الأمرين كذا قدره الزمخشري. قال الشيخ: وهذا تفسير معنى لا تفسير إعراب، وتفسير الإعراب إما تختار الإلقاء. والثاني: أنه مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر إما القاؤك أو إلقاؤنا كذا قدره الزمخشري. الثالث: أن يكون مبتدأ وخبره محذوف تقديره إلقاؤك أول، ويدل عليه ﴿وإما أن نكون أول من ألقى﴾، واختار هذا الشيخ اهـ.

أي أولاً ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ عصاه ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ﴾ فألقوا ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ أصله عصوو قلبت الواوان ياءين وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾ حيات ﴿تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ على بطونها ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحس ﴿فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ أي خاف من جهة أن سحرهم من

قوله: ﴿قال بل ألقوا﴾ قال أبو حيان: ليس الأمر بالإلقاء من باب تجويز السحر والأمر به، لأن الغرض في ذلك الفرق بين إلقائهم وبين المعجزة وتعين ذلك طريقاً إلى كشف الشبهة أو الأمر مقرون بشرط أي: ألقوا إن كنتم محقين كقوله: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة: ٢٣] اهـ كرخي.

قوله: ﴿فإذا حبالهم﴾ إذا: للمفاجأة وحبالهم وعصيهم: مبتدأ خبره جملة قوله ﴿يخيل إليه﴾ الخ. والرابط الهاء من أنها، وقوله: ﴿من سحرهم﴾ من للتعليل أي: من أجل سحرهم، وقوله: ﴿أنها تسعى﴾ نائب الفاعل. وعبارة السمين: قوله: ﴿فإذا حبالهم﴾ هذه الفاء عاطفة على جملة محذوفة دلَّ عليها السياق، والتقدير: فألقوا فإذا. وإذا هذه هي التي للمفاجأة وفيها ثلاثة أقوال تقدمت، أحدها: أنها باقية على ظرفية الزمان. والثاني: أنها ظرف مكان. والثالث: أنها حرف. قال الزمخشري: والتحقيق فيها أنها الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها، وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع بأن يكون الناصب لها قولاً مخصوصاً وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله: ﴿فإذا حبالهم وعصيهم﴾ ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل، والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي اهـ.

قوله: (أصله عصوو) بوزن فلوس، وقلبت الواوان ياءين أي قلبت الثانية منهما أولاً ثم الأولى لاجتماعها ساكنة مع الياء، وقوله: (وكسرت العين) أي: اتباعاً لصاد، وكسرت الصاد لتصح الياء، ففي كلامه الإشارة إلى أربعة أعمال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يخيل إليه﴾ وذلك أنهم كانوا طلوها بالزئبق، فلما ضربت الشمس عليها اضطربت واهتزت فخيل إليه أنها تتحرك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿خيفة﴾ أصله خوفة قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها اهـ كرخي.

قوله: (من جهة أن سحرهم الخ) أي: من أجل هذه الجهة وبسببها، وقوله: (أن يلتبس) مفعول خاف اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: أي خاف من جهة أن سحرهم جنس معجزته الخ جواب عما يقال كيف استشعر الخوف، وقد عرض الله عليه وقت المناجاة المعجزات الباهرة كالعصا واليد، فجعل العصا حية عظيمة، ثم أنه تعالى أعادها لما كانت عليه فكيف مع هذا وقع الخوف في قلبه؟ وقال الحسن: إن ذلك الخوف إنما كان لطبع البشرية من ضعف القلب، وإن كان قد علم أنهم لا يصلون إليه بسوء وإن الله تعالى ناصره اهـ.

أو لعله عليه السلام كان مأموراً بأن لا يفعل شيئاً إلا بالوحي، فلما تأخر نزول الوحي في ذلك المحفل بقي في الخجل، قاله ابن عادل اهـ.

جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به ﴿قُلْنَا﴾ له ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ عليهم بالغلبة ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وهي عصاه ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ أي جنسه ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ بسحره فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما

قوله: ﴿إنك أنت الأعلى﴾ (عليهم بالغلبة) فيه إشارة إلى أن لهم علواً وغلبة بالنسبة إلى سائر الناس، ولذلك أوجس منهم خيفة فرّد ذلك بأنواع من المبالغة، أحدها: ذكر كلمة التوكيد وهي أن. وثانيها: تكرير الضمير. وثالثها: لام التعريف. ورابعها: لفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وهذا يكفي فيه ظن العلو في أمرهم، لا أن الأعلى لمجرد الزيادة لأنه لم يكن للسحرة علو حتى يكون هو أعلى منه كما قيل اهـ كرخي.

قوله: (وهي عصاه) إنما لم يقل عصاك تصغيراً لها أي: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم، وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي بيدك فإنه بقدرة الله تعالى يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها، وجاز أن يكون تعظيماً لها أي: لا تحتفل بهذه الاجرام فإن في يمينك شيئاً أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء عندها، فألقها تتلقفها بإذن الله وتمحقها اهـ كرخي.

قوله: ﴿تلقف﴾ قرأ العامة بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء على جواب الأمر، وقد تقدم أن حفصاً يقرأ تلقف بسكون اللام وتخفيف القاف، وقرأ ابن ذكوان هنا تلقف بالرفع إما على الحال وإما على الاستئناف، وأنث الفعل في تلقف حملاً على معنى ما لأن معناها العصا ولو ذكر ذهاباً إلى لفظها لجاز ولم يقرأ به اهـ سمين.

قوله: ﴿ما صنعوا﴾ أي: ما زوّروا وكذبوا واخترعوا مما لا حقيقة له اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنما صنعوا﴾ الخ تعليل لقوله تلقف، وما: موصولة أي أن الذي صنعوه فحقها أن تفصل من نون إن اهـ شيخنا.

لكنها تثبت في خط المصحف الإمام موصولة كما ذكره شيخ الإسلام في شرح الجزرية. قوله: ﴿كيد ساحر﴾ العامة على رفع كيد على أنه خبر إنَّ وما موصولة، وصنعوا صلتها، والعائد محذوف، والموصول هو الاسم. والتقدير: أن الذي صنعوه كيد ساحر، ويجوز أن تكون ما مصدرية فلا حاجة إلى العائد والإعراب بحاله، والتقدير: إن صنعهم كيد ساحر. وقرأ مجاهد، وحميد، وزيد بن علي كيد بالنصب على أنه مفعول به وما مزيدة مهيئة، وقرأ الأخوان كيد سحر على أن المعنى كيد ذوي سحر أو جعلوا نفس السحر مبالغة أو تبيين للكيد، لأنه يكون سحراً وغير سحر كما تميز سائر الأعداد بما يفسرها نحو مائة درهم وألف دينار وعلم فقه وعلم نحو اهـ سمين.

قوله: (أي جنسه) بيّن به المراد حيث لم يقل ولا يفلح السحرة بصيغة الجمع الزمخشري، لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد، فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد، وإنما أفرد لأن الجمع نوع واحد من السحر فكأنه صدر من واحد اهـ كرخي.

قوله: ﴿حيث أتى﴾ ظرف مكان أي: حيث كان وأين أقبل اهـ بيضاوي.

صنعوه ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ خروا ساجدين لله تعالى و ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ءَامَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ معلمكم ﴿الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ حال بمعنى مختلفة أي الأيدي

قوله: (خروا ساجدين لله) قيل: لم يرفعوا رؤوسهم من السجود حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب ورأوا منازلهم في الجنة اهـ أبو السعود.

وعبارة الكرخي: قوله: (خروا ساجدين لله تعالى) وذلك لأنهم كانوا في أعلى طبقات السحر، فلما رأوا ما فعله موسى ﷺ خارجاً عن صناعتهم عرفوا أنه ليس من السحر البتة. قال الزمخشري: ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين اهـ.

قوله: ﴿قال﴾ فرعون ﴿أآمنتم﴾ الخ الاستفهام للتقريع والتوبيخ، واعلم أن فرعون لما شاهد منهم السجود والإقرار خاف أن يصير ذلك سبباً لاقتداء سائر الناس بهم في الإيمان بالله ورسوله، ففي الحال ألقى هذه الشبهة وهي مشتملة على التنفير من وجهين، الأول: أن الاعتماد على أول خاطر لا يجوز بل لا بد فيه من البحث والمناظرة والاستعانة بخواطر الغير، فلما لم تفعلوا شيئاً من ذلك بل في الحال آمنتم له دل ذلك على أن إيمانكم ليس عن بصيرة بل بسبب آخر. الثاني: قوله: ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ يعني أنكم تلامذته في السحر فاصطلحتم معه على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجاً لأمره وتفخيماً لشأنه اهـ كرخي.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أولاهما همزة الاستفهام والثانية الهمزة التي هي زائدة في الفعل. وقوله: (وإبدال الثانية ألفاً) صوابه الثالثة، وهي التي هي فاء الفعل، ففي كلامه قراءة واحدة ووراءها قراءتان حذف الأولى وتسهيل الثانية، ولا تجيء هنا القراءة الرابعة المتقدمة في سورة الأعراف وهي قلب الأولى واواً لعدم الضمة قبل الأولى بخلاف ما في سورة الأعراف، فإن الأولى هناك قبلها ضمة للتصريح بالفاعل هناك، فإن صورة النظم هكذا قال فرعون: آمنتم له الخ والثلاثة سبعية اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: (بتحقيق الهمزتين الخ) القراءتان سبعيتان، وقوله: الهمزتين أولاهما همزة الاستفهام والثانية من بنية الفعل، فإنه فعل ماض أصله أأمن كأكرم قلبت الهمزة الثانية ألفاً على القاعدة في اجتماع الهمزتين ثم أدخلت عليه همزة الاستفهام، فصار في الكلمة همزتان غير المنقلبة ألفاً، فإما أن يقرأ بتحقيقهما وإما أن يقرأ بحذف الأولى التي هي همزة الاستفهام، وأما قوله: وإبدال الثانية ألفاً فغير ظاهر إذ الثانية ثابتة عن غير إبدال على كل من القراءتين اهـ شيخنا.

ويمكن أن يقال: مراده أن الثانية قلبت ألفاً فاجتمع ألفاه فحذفت إحداهما، وعلى هذه القراءة تكون الثابتة من غير قلب هي همزة الاستفهام اهـ.

قوله: ﴿أنه لكبيركم﴾ الخ أي: فلا عبرة بما أظهرتموه لأنكم من أتباعه فتواطأتم معه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من خلاف﴾ من: ابتدائية كأن القطع ابتدىء من مخالفة العضو وهي مع المجرور بها في

اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي عليها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾ يعني نفسه ورب موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ أدوم على مخالفته ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ

حيز النصب على الحال أي: لأقطعنها مختلفات اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ولأصلبنكـم في جذوع النخل﴾ يحتمل أن يكون حقيقة، وفي التفسير أنه نقر جذوع النخل حتى جوفها ووضعهم فيها فماتوا جوعاً وعطشاً، ويحتمل أن يكون مجازاً وله وجهان، أحدهما: أنه وضع حرف مكان آخر والأصل على جذوع النخل. والثاني: أنه شبه تمكنهم بتمكن من حواه الجذع واشتمل عليه اهـ سمين.

وعبارة الكرخي: قوله: أي عليها أشار به إلى أن في الظرفية بمعنى على مجازاً من حيث إنه شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف في الظرف وها هو المشهور اهـ.

قوله: ﴿ولتعلمن﴾ اللام للقسم وقوله: أينا مبتدأ وقوله: أشد الخ خبره والجملة في محل نصب سادة مسد المفعولين، لأن الفعل علق بأي الاستفهامية ومراده بالأشد عذاباً نفسه اهـ شيخنا.

وغرضه بقوله: ﴿ولتعلمن﴾ الخ إما تحقير موسى والهزء به لأنه لم يكن يعذب أحداً، وإما الإشارة إلى أن إيمانهم لم يكن ناشئاً عن مشاهدة المعجزة، بل كان من خوفهم من موسى حيث رأوا ما وقع من عصاه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أينا أشد عذاباً وأبقى﴾ مبتدأ وخبر، وهذه الجملة سادة مسد المفعولين إن كانت على بابها ومسد واحد إن كانت عرفانية، ويجوز على جعلها عرفانية أن يكون أينا موصولة بمعنى الذي وبنيت لأنها قد أضيفت وحذفت صدر صلتها وأشد خبر مبتدأ محذوف، والجملة من ذلك المبتدأ وهذا الخبر صلة لأي، وأي وما في حيزها في محل نصب مفعول به كقوله تعالى: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد﴾ [مريم: ٦٩] في أحد أوجهه كما تقدم اهـ سمين.

قوله: ﴿وأبقى﴾ أي: أبقى عذاباً وأدومه، وقوله: (على مخالفته) متعلق بكل من أشد وأبقى وعلى تعليلية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قالوا لن نؤثرك﴾ أي: قالوا ذلك غير مكترثين بوعيده لهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿على ما جاءنا﴾ أي: جاءنا موسى به، ويجوز أن يكون الضمير في جاء لما اهـ بيضاوي.

وفي أبي السعود: على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات من المعجزات الظاهرة، فإن ما ظهر بيده عليه السلام من العصا كان مشتملاً على معجزات جمة كما مرَّ تحقيقه فيما سلف فإنهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها اهـ.

وإنما نسب المجيء إليهم وإن كانت البينات جاءت لهم ولغيرهم، لأنهم كانوا أعرف بالسحر من غيرهم، وقد علموا أن ما جاءهم به موسى عليه السلام ليس من السحر، فكانوا على جلية من العلم بالمعجزة وغيره وغيرهم كالمقلد، وأيضاً كانوا هم المنتفعون بها اهـ كرخي.

﴿ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾ خلقنا قسم أو عطف على ما ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ أي أصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢﴾ النصب على الاتساع أي فيها وتجزى عليه في الآخرة ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ تعلماً وعملاً لمعارضة موسى ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ منك ثواباً إذا أطيع ﴿وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣﴾ منك

قوله: ﴿والذي فطرنا﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن الواو عاطفة عطفت هذا الموصول على ما جاءنا أي لن نؤثرك على الذي جاءنا ولا على الذي فطرنا، وإنما أخروا ذكر الباري تعالى لأنه من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى. والثاني: أنها واو قسم والموصول مقسم به وجواب القسم محذوف أي: وحق الذي فطرنا لا نؤثرك على الحق، ولا يجوز أن يكون الجواب لن نؤثرك عند من يجوز تقديم الجواب لأن القسم لا يجاب بلن إلا في شذوذ من الكلام اهـ سمين.

قوله: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ جواب منهم عن تهديده المذكور قاله المفسرون، وليس في القرآن أن فرعون فعل بالسحرة ما هددهم به ولم يثبت في الأخبار أيضاً اهـ أبو السعود.

في بعض التفاسير: أنه فعله بهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ يجوز في ما هذه وجهان، أحدهما: أن تكون المهيئة لدخول إن على الفعل والحياة الدنيا ظرف لتقضي ومفعوله محذوف أي: تقضي غرضك وأمرك، ويجوز أن تكون الحياة مفعولاً به على الاتساع. والثاني: أن تكون ما مصدرية هي اسم إن والخبر الظرف. والتقدير: إن قضاءك في هذه الحياة الدنيا بمعنى أن لك الدنيا فقط ولنا الآخرة اهـ سمين.

ويجوز كونها موصولة اسم إن وعائدها محذوف أي: إن الذي تقضيه كائن في الحياة الدنيا اهـ.

قوله أيضاً: ﴿إنما تقضي﴾ إلى قوله: ﴿وأبقى﴾ تعليل لعدم المبالاة المستفادة من قوله لهم لن نؤثرك الخ. ومن الأمر بالقضاء أي: إنما تصنع ما تهواه وتحكم بما تراه في هذه الدنيا وما لنا من رغبة في عذابها ولا رهبة من عذابها اهـ أبو السعود.

قوله: (النصب) أي: نصب هذه المبدل منه الحياة الدنيا على الاتساع أي التسمح، وهذا بمعنى قول غيره النصب بنزع الخافض، كما أشار له بقوله أي فيها.

قوله: ﴿وما أكرهتنا عليه﴾ ما: موصولة بمعنى الذي وفي محلها احتمالان، أحدهما: أنها منصوبة المحل نسقاً على خطايانا أي: ليغفر لنا خطايانا ويغفر لنا أيضاً الذي أكرهتنا عليه. والثاني: من الاحتمالين أنها مرفوعة المحل على الابتداء، والخبر محذوف تقديره: والذي أكرهتنا عليه من السحر محطوط عنا أو لا يؤاخذنا به، ومن السحر يجوز أن يكون حالاً من الهاء في عليه أو من الموصول، ويجوز أن تكون من لبيان الجنس اهـ سمين.

قوله: (تعلماً) وذلك أنه روي أن رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين: اثنان منهم من القبط، والباقي من بني إسرائيل، وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر. وقوله: (وعملاً) فقد روي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى وهو نائم ففعل فوجده تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا ساحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه، وهذا يأباه تصديقهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم

عذاباً إذا عصى، قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ كافراً كفرعون ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤﴾ حياة تنفعه ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الفرائض والنوافل ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥﴾ جمع عليا مؤنث أعلى ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ أي إقامة بيان له ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ تطهر من الذنوب ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾

أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين، وقولهم: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، فالأولى أن المراد بإكراههم عليه إكراههم على الإتيان من المدائن القاصية اهـ من أبي السعود.

قوله: ﴿والله خير وأبقى﴾ هذا رد لقوله: ﴿ولتعلمن أينا﴾ الخ حيث كان مراده نفسه اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى الخ) أشار إلى أن قوله ﴿أنه من يأت ربه﴾ الخ استئناف كلام منه سبحانه وتعالى وليس من كلام السحرة، فيحسن الوقف على قوله: ﴿وأبقى﴾. وقيل: إنه من كلامهم لما آمنوا ولعلهم سمعوه من موسى أو من مؤمن آل فرعون أو ألهمهم الله إياه اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنه من يأت ربه﴾ الهاء ضمير الشأن، والجملة الشرطية خبرها، ومجرماً حال من فاعل يأت، وقوله: ﴿لا يموت فيها﴾ يجوز أن يكون حالاً من الهاء في له وأن يكون حالاً من جهنم، لأنه في الجملة ضمير كل منهما اهـ سمين.

قوله: ﴿مجرماً﴾ بأن يموت على كفره وعصيانه، وقوله: ﴿لا يموت فيها ولا يحيا﴾ هذا تحقيق لكون عذابه أبقى اهـ شيخنا.

قوله: (حياة تنفعه) بأن تكون هنيئة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قد عمل الصالحات﴾ الخ ليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب، لأن ما نيط بالأعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا الثواب مطلقاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿خالدين فيها﴾ فيه مراعاة معنى من.

قوله: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى﴾ أي: بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله فلم يزدادوا إلا عتواً اهـ جلال من سورة الشعراء.

وعبارة أبو السعود: ولقد أوحينا إلى موسى الخ حكاية إجمالية لما انتهى إليه أمر فرعون وقومه، وقد طوى هنا ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يد موسى بعد ما غلب السحرة في نحو عشرين سنة حسبما فصل في سورة الأعراف اهـ.

قال ابن عباس: لما أمر الله موسى أن يقطع بقومه البحر، وكان يوسف عهد إليهم عند موته أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عليها عجوز فأخذوها، وقال لها موسى: اطلبي مني شيئاً. فقالت: أكون معك في الجنة، فلما خرجوا تبعهم فرعون، فلما وصل البحر وكان على حصان أقبل جبريل على فرس أنثى في ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدي فرعون، فأبصر الحصان الفرس فاقتحم بفرعون على أثرها فصاحت الملائكة بالناس، أي القبط: ألحقوا حتى

بهمزة قطع من أسرى وبهمزة وصل وكسر النون من سرى لغتان أي سر بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَٱضۡرِبۡ﴾ اجعل ﴿لَهُمۡ﴾ بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ أي يابساً فامتثل ما أمر به وأيبس الله الأرض فمروا فيها ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا﴾ أي أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ غرقاً

إذا لحق آخرهم وكاد أولهم أن يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فرجع بنو إسرائيل حتى ينظروا إليهم، وقالوا: يا موسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر إليهم ففعل فلفظهم البحر إلى الساحل فأصابوا من سلاحهم شيئاً كثيراً اهـ خطيب.

قوله: (لغتان) أي: وقراءتان سبعيتان ولو عبّر بهذا لكان أوضح اهـ شيخنا.

قوله: (ليلاً) أي: أوله. قوله: (من أرض مصر) أي: إلى البحر اهـ جلال من سورة الشعراء.

فهذا يقتضي أنه أمر بالسير إلى البحر فلا يقال لم لم يسر في البر في طريق الشام، وما الحامل له على الإتيان إلى البحر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاضرب لهم طريقاً﴾ طريقاً: مفعول به كما أشار الشارح، وفي السمين: طريقاً مفعول به على سبيل المجاز وهو أن الطريق تسبب عن ضرب البحر، إذ المعنى اضرب البحر لينفلق لهم فيصير طريقاً فبهذا صح نسبة الضرب إلى الطريق. وقيل: اضرب بمعنى اجعل أي: اجعل لهم طريقاً واشرعه نيه اهـ.

والمراد بالطريق جنسه، فإن الطرق كانت اثنتي عشرة بعدد أسباط بني إسرائيل اهـ.

قوله: ﴿يبساً﴾ صفة لطريقاً وصف به لما يؤول إليه لأنه لم يكن يبساً بعد، وإنما مرت عليه الصبا فجففته كما يروى في التفسير، وقيل: هو في الأصل مصدر وصف به مبالغة أو على حذف مضاف أو جمع يابس كخادم وخدم وصف به الواحد مبالغة، وقرأ الحسن يبساً بالسكون وهو مصدر أيضاً، وقيل: المفتوح اسم والساكن مصدر، وقرأ أبو حيوة يابساً اسم الفاعل اهـ سمين.

قوله: ﴿لا تخاف دركاً﴾ العامة على لا تخاف مرفوعاً وفيه أوجه، أحدها: أنه مستأنف فلا محل له من الإعراب. الثاني: أنه في محل نصب على الحال من فاعل اضرب أي اضرب غير خائف. الثالث: أنه صفة لطريقاً والعائد محذوف أي لا تخاف فيه، وقرأ حمزة وحده من السبعة لا تخفف بالجزم وفيه أوجه، أحدها: أن يكون نهياً مستأنفاً. الثاني: أنه نهي أيضاً في محل نصب على الحال من فاعل اضرب أو صفة لطريقاً كما تقدم في قراءة العامة إلا أن ذلك يحتاج إلى إضمار أي مقولاً لك أو طريقاً مقولاً فيها لا تخف. والثالث: أنه مجزوم على جواب الأمر أي: أن تضرب طريقاً يبساً لا تخف. وقرأ أبو حيوة دركاً بسكون الراء، والدرك والدرك اسمان من الإدراك أي: لا يدركك فرعون وجنوده، وقد تقدم الكلام عليهما في سورة النساء، وأن الكوفيين قرؤوه بالسكون كقراءة أبي حيوة هنا اهـ سمين.

قوله: ﴿ولا تخشى﴾ لم يقرأ إلا بإثبات الألف، وكان من حق من قرأ لا تخف جزماً أن يقرأ لا تخش بحذفها. كذا قاله بعضهم وليس بشيء لأن القراءة سنة متبعة وفيها أوجه، أحدها: أن يكون حالاً وفيه إشكال وهو أن المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم مباشرة الواو له، وتأويله على حذف مبتدأ أي

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾ أي البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ فأغرقهم ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ بل أوقعهم في الهلاك خلاف قوله وما

وأنت لا تخشى. الثاني: أنه مستأنف أخبره تعالى أنه لا يحل له خوف. والثالث: أنه مجزوم بحذف الحركة تقديراً ومثله فلا تنسى في أحد القولين إجراء لحرف العلة مجرى الصحيح، وقد تقدم لك من هذا جملة صالحة في سورة يوسف عند قوله: ﴿إنه من يتق ويصبر﴾ [يوسف: ٩٠] الرابع: أنه مجزوم أيضاً بحذف حرف العلة وهذه الألف ليست تلك أعني: لام الكلمة وإنما هي ألف إشباع أتى بها موافقة للفواصل ورؤوس الآي فهي كالألف في قوله الرسولا، والسبيلا، والظنونا، وهذه الأوجه إنما يحتاج إليها في قراءة جزم لا تخف، وأما من قرأه مرفوعاً فهذا معطوف عليه اهـ سمين.

قوله: ﴿فأتبعهم فرعون﴾ أي: بعد ما أرسل حين أخبر بسيرهم في المدائن حاشرين يجمعون له الجيش كما سيأتي في سورة الشعراء اهـ شيخنا.

وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً وكان مقدمة جيش فرعون سبعمائة ألف فضلاً عن الجناحين والقلب والساقة، فقص أثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان، فعند ذلك ضرب موسى بعصاه البحر فتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بجنوده﴾ فيه أوجه، أحدها: أن تكون الباء للحال، وذلك على أن اتبع متعد لاثنين حذف ثانيهما. والتقدير: فأتبعهم فرعون عقابه وقدره الشيخ رؤساء وحشمه والأول أحسن. الثاني: أن الباء زائدة في المفعول الثاني، والتقدير: فأتبعهم فرعون جنوده فهو كقوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾ [البقرة: ١٩٥] وأتبع قد جاء متعدياً إلى اثنين مصرح بهما قال: وأتبعناهم ذرياتاهم. والثالث: أنها المعدية على أن أتبع قد يتعدى لواحد بمعنى تبع، ويجوز على هذا الواحد أن تكون الباء للحال أيضاً بل هو الأظهر، وقرأ أبو عمرو في رواية والحسن فاتبعهم بالتشديد، وكذلك قرأه الحسن في جميع القرآن إلا في قوله: ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾ [الصافات: ١٠] اهـ سمين.

قوله: ﴿ما غشيهم﴾ أي: علاهم منه ما غمرهم من الأمر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿ما غشيهم﴾ فاعل غشيهم وهذا من باب الاختصار وجوامع الكلم أي: ما يقل لفظها ويكثر معناها أي: فغشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى، وقرأ الأعمش فغشاهم مضاعفاً وفي الفاعل حينئذ ثلاثة أوجه، أحدها: أنه ما غشاهم كالقراءة قبله أي غطاهم من اليم ما غطاهم. والثاني: هو ضمير الباري تعالى أي فغشاهم الله. والثالث: هو ضمير فرعون لأنه السبب في إهلاكهم، وعلى هذين الوجهين فما غشاهم في محل نصب مفعولاً ثانياً اهـ.

قوله: ﴿وأضل فرعون قومه﴾ الخ هذا إخبار عن حاله قبل الغرق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما هدى﴾ تقرير لإضلاله وتأكيد له، إذ رب مضل قد يرشد من يضله إلى بعض مطالبه اهـ أبو السعود.

قوله: (خلاف قوله) أي: هذا خلاف قوله الخ. أي: مخالف له فهو تكذيب له. عبارة الخازن:

أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ فرعون بإغراقه ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ فنؤتي موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾ هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من وجد من اليهود زمن النبي ﷺ وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى لهم ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي المنعم به عليكم ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾ بكسر الحاء أي يجب وبضمها أي ينزل ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي﴾ بكسر اللام وضمها ﴿فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ سقط

وهو تكذيب لفرعون في قوله: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ [غافر: ٢٩] اهـ.

قوله: ﴿قد أنجيناكم﴾ الخ في هذا الترتيب غاية الحسن حيث قد تذكير نعمة الإنجاء ثم النعمة الدينية ثم الدنيوية اهـ أبو السعود.

وقرأ الاخوان: قد أنجيتكم ووعدتكم ورزقتكم بتاء المتكلم، والباقون أنجيناكم وواعدناكم ورزقناكم بنون العظمة، واتفقوا على ونزلنا، وتقدم خلاف أبي عمرو في واعدنا في البقرة، وقرأ حميد نجيناكم بالتشديد اهـ سمين.

قوله: (باغراقه) أي: بسبب إغراقه. قوله: ﴿جانب الطور﴾ أي: إتيان جانب الخ. قوله: (فنؤتي موسى التوراة) جواب عن سؤال، وهو أن المواعدة إنما كانت لموسى عليه الصلاة والسلام لا لهم، فكيف أضيفت إليهم؟ وإيضاح الجواب: إنه لما كانت المواعدة لإنزال كتاب بسببهم إذ فيه صلاح دينهم ودنياهم وأخراهم أضيفت إليهم بهذه الملابسة فهو من المجاز العقلي اهـ كرخي.

وأيضاً: فإن الله أمر أن يأتي منهم سبعون مع موسى إلى الطور لأخذ التوراة، فكانت المواعدة لهم بهذا الاعتبار. قوله: ﴿ونزلنا عليكم﴾ أي: في التيه المن هو شيء حلو أبيض مثل الثلج كان ينزل من الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع، ويبعث الريح الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منهم ما يكفيه اهـ أبو السعود.

قوله: (والمنادى من وجد من اليهود الخ) وقيل: المنادى من كان في عهد موسى، وعبارة البيضاوي: خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا، أو للذين منهم في عهد النبي محمد ﷺ بما فعل بآبائهم اهـ.

قوله: (وخوطبوا الخ) فيه مراعاة معنى من. قوله: (توطئة لقوله الخ) أي: واستيقاظاً لهم من الغفلة التي احتوت عليهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من طيبات ما رزقناكم﴾ أي لذائذه أو حلالاته اهـ بيضاوي. قوله: ﴿ولا تطغوا فيه﴾ أي: فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حدّ الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق اهـ بيضاوي.

فقوله: (تكفروا النعمة) أي لم تشكروها اهـ.

في النار ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ وحد الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يصدق بالفرض والنفل ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ باستمراره على ما ذكر إلى موته ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ لمجيء

قوله: (يصدق) أي: العمل الصالح. أي: يشمل الفرض والنفل. قوله: ﴿ثم اهتدى﴾ ثم: إما للتراخي باعتبار الانتهاء لبعده عن أول الاهتداء، أو للدلالة على بعدما بين المرتبتين، فإن المداومة أعظم وأعلى من الشروع اهـ شهاب.

وفي الكرخي: قوله: (باستمراره على ما ذكر إلى موته) جواب عما يقال: ما فائدة قوله: ﴿ثم اهتدى﴾ بعد قوله: ﴿لمن تاب وآمن وعمل صالحاً﴾، والاهتداء سابق على ذلك؟ وإيضاحه: أن المراد الاستمرار على تلك الطريقة إذ المهتدي في الحال لا يكفيه ذلك في الفوز بالنجاة حتى يستمر عليه في المستقبل ويموت عليه اهـ.

قوله: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ السؤال يقع من الله تعالى لكنه ليس لاستدعاء المعرفة، بل إما لتعريف غيره أو لتبكيته أو تنبيهه كما صرح به الراغب، وظاهره أنه ليس بمجاز كما يقول التلميذ: سألني الأستاذ عن كذا ليعرف فهمي ونحو ذلك اهـ شهاب.

وهذا حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة أي: وقلنا له أي شيء أعجلك منفرداً عن قومك؟ وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخائل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم، مع كونه مأموراً باستصحابهم واحضارهم معه اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: ولما أمر الله تعالى موسى بحضور الميقات مع قوم مخصوصين وهم السبعون الذين اختارهم الله تعالى من جملة بني إسرائيل ليذهبوا معه إلى الطور لأجل أن يأخذوا التوراة، فسار بهم موسى ثم عجل من بينهم شوقاً إلى ربه وخلفهم وراءه وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال تعالى له: ﴿وما أعجلك﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿عن قومك﴾ المراد بهم جملة بني إسرائيل، فإن موسى كان قد أمر هارون أن يسير بهم على أثره ويلحقونه في مكان المناجاة، وقوله: (بحسب ظنه) أن الكل لحقوه وتبعوه وجاؤوا على أثره، وقوله: (وتخلف المظنون) وهو أنهم لم يخرجوا ولم يتبعوه، فقوله: (هم أولاء على أثري) أي بحسب ظنه، وفي الواقع ليس كذلك. وقوله: لما قال تعالى علة لقوله: وتخلف المظنون، وما مصدرية أي: ودليل تخلف المظنون قوله تعالى: ﴿فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ الخ فتلخص أن المراد بالقوم في الموضعين شيء واحد وهو جملة بني إسرائيل. ويؤيد هذا التقرير قوله الآتي: فأخلفتم موعدي وتركتم المجيء بعدي، فإن هذا خطاب لبني إسرائيل بجملتهم، بل للذين عبدوا العجل وهم معظمهم، فقوله: وتركتم المجيء بعدي يقتضي أنه كان وعدهم أن يتبعوه لمحل المناجاة فتخلفوا وعبدوا العجل، وهذا التقرير هو الذي يلتئم به كلام الشارح بعضه مع بعض، وهو قول حكاه القرطبي، ولا يستقيم كلام الشارح إلا بتنزيله عليه، وما قيل من أن المراد بالقوم في قوله: عن قومك السبعون الذين حضروا المناجاة وأخذ التوراة، وأنهم كانوا قد مشوا على أثر موسى بقريب فلا يستقيم عليه قول الشارح بحسب ظنه، وتخلف المظنون لأنه يقتضي أن السبعين لم يلحقوه بل تخلفوا عنه،

ميعاد أخذ التوراة ﴿يَـٰمُوسَىٰ ٨٣﴾ ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ﴾ أي بالقرب مني يأتون ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ٨٤﴾ عني أي زيادة على رضاك وقيل الجواب أتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف

وهو خلاف المنقول من أنهم حضروا المناجاة وأخذ التوراة، كما تقدم مبسوطاً في سورة الأعراف، وأيضاً لا يستقيم التعليل بقوله: لما قال تعالى الخ فإن عبادة معظمهم للعجل وافتتانهم به لا يقتضي تخلف السبعين عن الميقات، فتلخص أن هذا القول صحيح في حد ذاته كما تقدم، لكنه لا يلاقي كلام الشارح، وعليه يكون المراد بالقوم أولاً خصوص السبعين وثانياً في قوله: ﴿فأنا قد فتنا قومك﴾ جملة بني إسرائيل. وفي القرطبي ما نصه: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ قيل: عنى بالقوم جميع بني إسرائيل، وعلى هذا فقيل: كان قد استخلف هارون على بني إسرائيل وخرج بسبعين منهم للميقات، فقوله: هم أولاء على أثري ليس يريد به أنهم يسيرون خلفه ويلحقونه، بل أراد أنهم بالقرب مني ينتظرون عودي إليهم، وقيل: لا بل كان أمر هارون أن يتبعه مع بني إسرائيل ويلحقونه. وقال قوم: أراد بالقوم السبعين الذين اختارهم، وكان موسى لما قرب من الطور سبقهم شوقاً إلى سماع كلام الله تعالى اهـ.

قوله: (لمجيء ميعاد أخذ التوراة) المجيء: مصدر مضاف لمفعوله وإضافته على معنى في، والمعنى لمجيئك في ميعاد أخذ التوراة تأمل.

قوله: ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ هم أولاء: مبتدأ وخبر، وقوله: على أثري يحتمل أن يكون خبراً ثانياً وأن يكون حالاً، وكلام الشارح يشمل كلاً من الأمرين إذ غاية ما فيه أنه قدر المتعلق اهـ شيخنا.

قال الزمخشري: فإن قلت: ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة؟ فكان الذي ينطبق عليه من الجواب أن يقال: طلب زيادة رضاك والشوق إلى كلامك وتنجيز موعدك، وقوله: هم أولاء على أثري كما ترى غير منطبق عليه، قلت: قد تضمن ما واجهه به رب العزّة شيئين، أحدهما: إنكار العجلة في نفسها. والثاني: السؤال عن سببها الحامل عليها، فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكره عليه، فاعتل بأنه لم يوجد منه شيء إلا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به، وليس بيني وبين من سبقتهم إلا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد بعضهم على بعض، ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال: وعجلت إليك رب لترضى اهـ سمين.

قوله: (أي زيادة على رضاك) أي: فإن المسارعة على امتثال أمرك تزيد رضاك، وأفاد بهذا أن المراد دوام تحصيل الرضا كقوله: ثم اهتدى فإن المراد به دوام الاهتداء كما سبق فلا يرد أن يقال إن قوله لترضى يدل على أنه عليه الصلاة والسلام إنما فعل ذلك لتحصيل الرضا من الله تعالى، وذلك باطل لا يليق بحال الأنبياء اهـ كرخي.

قوله: (وقيل الجواب) أي جواب السؤال وهو قوله: ﴿وما أعجلك﴾ الخ. والجواب هو قوله: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾، وقوله: (أتى بالاعتذار) أي الاعتذار عن تقدمه على قومه وسبقه لهم، وقوله: (بحسب ظنه) متعلق بالاعتذار أي أن قوله: ﴿هم أولاء على أثري﴾ اعتذار عن تقدمه عليهم

المظنون لما ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي بعد فراقك لهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝﴾ فعبدوا العجل ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًاۚ﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ أي صدقاً أنه يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾

بحسب اظنه أنهم تبعوه ومشوا على أثره، وقوله: وتخلف المظنون أي أنهم لم يلحقوه ولم يتبعوه بل خالفوا وقعدوا لقوله: ﴿قال فإنا قد فتنا قومك﴾ الخ تأمل.

قوله: ﴿فأنا قد فتنا قومك الخ﴾ وهذه الفتنة وقعت لهم بعد خروج موسى من عندهم بعشرين يوماً، وهذا الإخبار من الله تعالى عنها قيل: إنه كان وقت سؤاله بقوله: وما أعجلك الخ فهو في أول حضوره الميقات، وفي ذلك الوقت لم تكن الفتنة وقعت لهم كما علمت، فيكون هذا الإخبار فيه تجوز من إطلاق الماضي على المستقبل على حد أتى أمر الله، وقيل: إنه كان بعد تمام الأربعين أو في العشر الأخير منها. قال الشهاب: وعليه الجمهور وعليه فيكون الإخبار حقيقياً لا تجوز فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأضلهم السامري﴾ اسمه موسى بن ظفر اهـ خازن.

منسوب إلى سامرة قبيلة من بني إسرائيل، كان منافقاً وكان قد رباه جبريل لأن فرعون لما شرع في ذبح الولدان كانت المرأة من بني إسرائيل تأخذ ولدها وتلقيه في حفيرة أو كهف من جبل أو غير ذلك، وكانت الملائكة تتعهد هذه الأطفال بالتربية حتى يكبروا فيدخلوا بين الناس، وكان موسى السامري ممن تعهده جبريل فكان يغذيه من أصابعه الثلاثة، فيخرج له من أحدهما لبن ومن الأخرى سمن ومن الأخرى عسل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فرجع موسى﴾ أي: بعدما استوفى الأربعين وأخذ التوراة اهـ بيضاوي.

روي أنه لما رجع موسى سمع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل، فقال للسبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفتنة اهـ أبو السعود من عند قوله: ﴿لن نبرح عليه عاكفين الخ﴾ [طه: ٩١] اهـ.

وفي القرطبي: وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي: ما يقول سيدنا الفقيه في جماعة يجتمعون ويكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد ﷺ، ثم إنهم يضربون بالقضيب على شيء من الطبل، ويقوم بعضهم ويرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه، ويحضرون شيئاً يأكلونه، فهل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا يرحمكم الله. الجواب: يرحمك الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل. وأما الطبل فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم، وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وابن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين اهـ.

قوله: ﴿ألم يعدكم﴾ ينصب مفعولين أولهما الكاف والثاني قدره بقوله: (أنه يعطيكم)، ووعداً حسناً مصدر مؤكد اهـ شيخنا.

مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾﴾ وتركتم المجيء بعدي ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ مثلث الميم أي بقدرتنا أو أمرنا ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا﴾ بفتح الحاء مخففاً وبضمها وكسر الميم مشدداً ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي حلي قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ طرحناها في النار بأمر السامري ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ ما معه من حليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ

قوله: ﴿أم أردتم الخ﴾ المعنى أم فعلتم أسباب الغضب بارادتكم واختياركم اهـ شيخنا.

قوله: (بعبادتكم العجل) الباء سببية. قوله: ﴿فأخلفتم موعدي﴾ ترتيب على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل. قوله: ﴿موعدي﴾ أي وعدكم إياي بالثبات على الإيمان لله والقيام على أمرتكم به اهـ بيضاوي.

لكن هذا لا يلاقي قول الشارح: وتركتم المجيء بعدي فإنه يقتضي أنه كان واعدهم أن يلحقوه فخالفوا وقعدوا واشتغلوا بعبادة العجل، وتقدم أن هذا القول حكاه القرطبي، وأنه هو الذي يتنزل كلام الشارح عليه، وعبارة القرطبي هنا: فأخلفتم موعدي، لأنهم وعدوه أن يقيموا على طاعة الله عز وجل إلى أن يرجع إليهم من الطور، وقيل: وعدهم أن يتبعوه على أثره للميقات فتوقفوا وقالوا: ما أخلفنا موعدك بملكنا اهـ.

قوله: ﴿ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ أي: لأنا لو خلينا وأنفسنا ما أخلفنا موعدك، ولكن السامري سوّل لنا ما سول وغلب على عقولنا اهـ شيخنا.

قوله: (مثلث الميم) وكلها قراءات سبعية وهو مصدر لملك بالتخفيف ومعنى الكل واحد أو مقارب، وصنيع الشارح يميل للأول اهـ شيخنا.

قوله: (وبضمها وكسر الميم مشدداً) أي: كلفنا موسى حملها فإنه كان بأمره وإشارته اهـ شيخنا.

قوله: (استعارها منهم بنو إسرائيل الخ) أي: ليلة الخروج، وقوله: (بعلة عرس) أي بتعلل بعرس أي اعتلوا وأظهروا أن العلة في استعارتها هو العرس، وفي الواقع ليس كذلك اهـ شيخنا.

قوله: (بأمر السامري) فقال لهم: إنما تأخر عنكم موسى لما معكم من الأوزار، فالرأي أن تحفروا لها حفيرة وتوقدوا فيها ناراً وتقذفوها فيها لتخلصوا من ذنبها اهـ شيخنا.

قوله: (على الوجه الآتي) متعلق بقوله: (ومن التراب) أي: وألقى التراب على الوجه الآتي وهو قوله فيما يأتي: وألقى فيها أن أخذ قبضة من تراب ما ذكر وألقيها على ما لا روح له يصير له روح اهـ.

قوله: ﴿فأخرج لهم﴾ الخ هذا حكاية لنتيجة فتنة السامري من جهته تعالى قصداً لزيادة تقريرها، وهذا يقتضي أن قوله: ﴿فأخرج لهم﴾ الخ من كلامه تعالى، فيكون معطوفاً على قوله: ﴿وأضلهم السامري﴾ لا من كلامهم وإلا لقيل فأخرج لنا الخ اهـ أبو السعود.

عِجْلًا﴾ صاغه من الحلي ﴿جَسَدًا﴾ لحماً ودماً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي صوت يسمع أي انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه في فمه ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي السامري وأتباعه ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾ موسى ربه هنا وذهب يطلبه. قال تعالى ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه ﴿يَرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي لا يرد لهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ أي فكيف يتخذ إلهاً؟ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل أن يرجع موسى ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾ فيها ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ﴾ نزال ﴿عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ على عبادته مقيمين

قوله: ﴿جسداً﴾ حال من العجل أي: فأخرج لهم صورة عجل حال كونها جسداً أي: صائرة جسداً أي دماً ولحماً. وقوله: ﴿أي انقلب﴾ الخ تفسير لهذه الصيرورة المرادة في الكلام اهـ شيخنا.

وفي المصباح: الجسد جمعه أجساد، وقال في البارع: لا يقال الجسد إلا للحيوان العاقل وهو الإنسان والملائكة والجن، ولا يقال لغيره جسد إلا للزعفران وللدّم إذا يبس أيضاً جسد وجاسد، وقوله تعالى: ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً﴾ أي ذا جثة على التشبيه بالعاقل اهـ.

قوله: (صاغه من الحلى) أي في ثلاثة أيام. قوله: (ووضعه) معطوف على قوله: (بسبب التراب) يشير به إلى أن المعنى على حذف المضاف أي بسبب وضعه في فمه اهـ شيخنا.

قوله: (وأتباعه) أي: للذين ضلوا في بادىء الرأي فصاروا يساعدونه على ما توقف من بني إسرائيل اهـ شيخنا.

قوله: (وذهب يطلبه) هذا يقتضي أنهم جعلوا العجل ألهاً يعبدونه لذاته لا لتقريبه من الله تعالى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أفلا يرون﴾ استفهام توبيخ وتقريع اهـ.

قوله: (أن مخففة) أي فيرجع بالرفع في قراءة العامة، ويدل على ذلك وقوع أصلها وهي المشددة في قوله: ألم يروا أنه لا يكلمهم. قال القاضي: وقرىء يرجع بالنصب وفيه ضعف، لأن أن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين، والرؤية على الأول علمية، وعلى الثاني بصرية اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولقد قال لهم﴾ الخ جملة قسمية مؤكدة لما قبلها أي: والله لقد نصح لهم هارون قبل رجوع موسى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنما فتنتم﴾ أي: ابتليتم به وإن ربكم الرحمن خص هذا الموضع باسم الرحمن تنبيهاً على أنهم متى تابوا قبل الله تعالى توبتهم لأنه هو الرحمن، ومن رحمته أن خلصهم من آفات فرعون اهـ كرخي.

قوله: ﴿قالوا لن نبرح﴾ الخ جعلوا رجوعه غاية لعكوفهم، لكن لا على طريق الوعد بترك عبادته عند رجوعه، بل بطريق التعلل والتسويف اهـ أبو السعود.

﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾ ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝٩٢﴾ بعبادته ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ لا زائدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝٩٣﴾ بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى ﴿قَالَ﴾ هارون ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ بكسر الميم وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ وكان أخذ شعره بيمينه غضباً ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾ لو اتبعتك ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبد العجل ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وتغضب عليَّ ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِى ۝٩٤﴾ فيما رأيته في ذلك ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت

قوله: (بعد رجوعه) أشار بهذا إلى تقدير في الكلام فرجع موسى وقال لهم الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذ رأيتهم﴾ إذ منصوب بمنعك أي أي شيء منعك وقت ضلالهم اهـ كرخي.

قوله: (أي لا تتبعني) أي: أن تلحقني وتأتيني في الجبل فتخبرني بما فعلوا اهـ أبو السعود.

أو أن لا تتبعني في الغضب لله والمقاتلة لمن كفر اهـ بيضاوي.

وهذه الياء من ياءات الزوائد فحقها أن تحذف في الرسم كما هي كذلك في المصحف الإمام اهـ شيخنا.

قوله: (لا زائدة) أي: للتأكيد كما مر أول الأعراف، وأن هي الناصبة للمضارع وتنسبك مصدراً أي شيء منعك من اتباعي وعن قتالهم وصدهم عن ذلك اهـ كرخي.

قوله: (باقامتك بين من يعبد غير الله) عبارة القرطبي: ومعنى أفعصيت أمري قيل: إن أمري ما حكاه الله تعالى عنه في قوله: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ [الأعراف: ١٤٢] فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم والانكار عليهم نسبه إلى عصيانه ومخالفة أمره اهـ.

قوله: (أراد أمي) أي: على كل من القراءتين لكن على الأول حذف الياء اكتفاء عنها بالكسرة، وعلى الثانية حذفت الألف المنقلبة عن الياء اكتفاء عنها بالفتحة اهـ شيخنا.

قوله: (وذكرها أعطف) أي: أدخل في العطف والرقة أي: فليس ذكرها لكونه أخاه من أمه فقط كما قيل، فإن الحق أنه كان شقيقه اهـ شيخنا.

قوله: (وكان أخذ شعره) أي: الرأس.

قوله: ﴿أن تقول فرقت﴾ مفعول خشيت، وقوله: (ولا بد أن يتبعني) أي من أن يتبعني الواو للحال أي: وهذا يؤدي إلى التشاجر والتخاصم بينهم المفضي إلى القتال، وقوله: ﴿لم ترقب﴾ معطوف على أن تقول أي وخشيت عدم ترقبك لقولي، وقوله: (تنتظر) أي تتأمل فيه وتفهم منه عذري أي: خشيت أن تقول ما ذكر وخشيت عدم تأملك في القول حتى تفهم عذري، فقوله: (فيما رأيته) أي اجتهدت فيه وهو عدم مجيئي لك لأخبرك، فظهر لي أنه يترتب عليه ما تقدم أي افتراقهم، وقوله: (ذلك) أي في عدم لحوقي بك هذا هو المناسب لسياق الشارح، فتكون الياء في قولي واقعة على هارون على هذا.وقيل: إنه معطوف على فرقت أي وخشيت أن تقول لم ترقب قولي فتكون الياء واقعة

﴿يَسَٰمِرِيُّ ۝٩٥﴾ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ بالياء والتاء أي علمت ما لم يعلموه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها في صورة

على موسى أي قولي لك اخلفني في قومي اهـ شيخنا.

لكن المفسرون على الاحتمال الثاني كالسمين والبيضاوي والخازن والخطيب، فكلهم اقتصروا على الاحتمال الثاني تأمل.

قوله: ﴿قال بصرت﴾ يقال: بصر بالشيء أي علمه وأبصره أي نظر إليه كذا قال الزجاج، وقال غيره: بصر بالشيء وأبصره بمعنى علمه، والعامة على ضم الصاد في الماضي والمضارع من باب ظرف. وقرأ الأعمش وأبو السماك: بصرت بالكسر يبصروا به بالفتح وهي لغة، وعمرو بن عبيد بالبناء للمفعول في الفعلين أي: أعلمت بما لم يعلموا به اهـ سمين.

قوله: ﴿بما لم يبصروا به﴾ وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس أثره ميتاً إلا أحياء أو رأيت ما لم يروه وهو أن جبريل جاءك على فرس الحياة، وقوله: ﴿قبضة﴾ القبضة بالفتح المرة من القبض فأطلق على المقبوض كضرب الأمير اهـ بيضاوي.

قوله: (بالياء) أي بنو إسرائيل، وقوله: (والتاء) أي أنت يا موسى وقومك فالخطاب له ولهم أو لموسى فقط والجمع للتعظيم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من أثر الرسول﴾ فإن قلت: كيف عرف السامري الرسول الذي هو جبريل؟ قلت: سبب معرفته له أنه أي: جبريل ربى السامري وهو صغير أي: كان يتعهده وكان يلقمه أصابعه الثلاثة، فيخرج له من واحدة منها اللبن، ومن أخرى السمن، ومن أخرى العسل، فلما جاء جبريل ليطلب موسى إلى الميقات أي حضور جبل الطور ليأخذ التوراة، وكان راكباً على فرس كلما وضعت حافرها على شيء اخضرّ، فلما رآه السامري عرفه لسابق الألفة، وعرف أن للتراب الذي تضع الفرس حافرها عليه شأناً. وسبب تربيته له أن أمه ولدته في السنة التي كان يقتل فرعون فيها الولدان فوضعته في كهف خوفاً عليه من القتل، فبعث الله إليه جبريل ليتعهده، وما قيل من أنه أخذ التراب من أثر فرس جبريل حين مرور البحر فلا يظهر هنا لأنه في ذلك الوقت لم يكن جائياً على أنه رسول، والسامري قال: من أثر الرسول، وأيضاً كان السامري إذ ذاك مع بني إسرائيل وكانوا قد سبقوا القبط في عبور البحر، وجبريل كان أمام القبط يحتال في إدخالهم البحر اهـ شيخنا. وأصله في الخازن، وفي الرازي، وفي بعض حواشي البيضاوي عن ابن حجر.

وعبارة أبي السعود: من أثر الرسول أي الملك الذي أرسل إليك ليذهب بك إلى الطور للمناجاة وأخذ التوراة، ولعل ذكره بعنوان الرسالة للإشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم وللتنبيه على وقت أخذ القبضة اهـ.

قوله: (في صورة العجل) أي: في فمه، وقوله: (المصاغ) صوابه المصوغ كما في بعض النسخ ولأنه من باب قال كما في المختار اهـ شيخنا.

العجل المصاغ ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ﴾ زينت ﴿لِي نَفۡسِي ۝٩٦﴾ وألقي فيها أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر وألقيها على ما لا روح له يصير له روح ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ أي مدة حياتك ﴿أَن تَقُولَ﴾ لمن رأيته ﴿لَا مِسَاسَۖ﴾ أي لا تقربني فكان يهيم في البرية وإذا مس أحداً ومسه أحد حُمَّا جميعاً ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا﴾ لعذابك ﴿لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ﴾ بكسر اللام أي لن تغيب عنه وبفتحها أي بل تبعث إليه ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ﴾ أصله ظللت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً أي دمت ﴿عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾ أي مقيماً تعبده ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ۝٩٧﴾ نذرينه في هواء البحر، وفعل

قوله: (وألقي فيها الخ) عطف تفسير. قوله: (طلبوا منك الخ) أي: كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون﴾ [الأعراف: ١٣٨] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإن لك في الحياة﴾ الخ الجار والمجرور خبرها مقدم، وأن تقول الخ اسمها مؤخر أي: فإن قولك المذكور ثابت لك في مدة حياتك لا ينفك عنك، فكان يصيح بأعلى صوته: لا مساس، وحرم موسى عليهم مكالمته ومواجهته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس، ويقال: إن قومه باقية فيهم تلك الحالة إلى اليوم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا مساس﴾ هو مصدر ماس كقتال من قاتل كفاعل فهو يقتضي المشاركة وهو مبني مع لا الجنسية والمراد به النهي أي لا تمسني ولا أمسك، فكان يهيم في البرية مع السباع والوحوش. وهذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وأن لا يخالطوا اهـ كرخي.

قوله: (أي لا تقربني) بفتح الراء وضمها من بابي علم ونصر كما في المختار. قوله: (فكان يهيم في البرية) أي: مع الوحوش والسباع، وكان يصيح لا مساس حتى أن بقاياهم يقولون ذلك اهـ خازن.

وفي القرطبي: وقال قتادة: بقاياهم إلى اليوم يقولون لا مساس وإن مس أحد من غيرهم واحداً منهم حمّ كلاهما في الوقت، ويقال: إن موسى همّ بقتل السامري فقال الله تعالى: لا تقتله فإنه سخي اهـ.

قوله: (أي لن تغيب عنه الخ) عبارة السمين: ومعنى الأولى سيصل إليك ولن تستطيع الروغان ولا الحيدة عنه، ومعنى الثانية لن يخلف الله موعده الذي وعدك اهـ.

قوله: (أي بل تبعث إليه) أي: فينجز الله لك العذاب البتة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾ أي: بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر اهـ أبو السعود.

والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار غباوة المفتتنين به لمن له أدنى نظر اهـ بيضاوي.

والنسف: التفرقة والتذرية، وقيل: قلع الشيء من أصله. يقال: نسفه ينسفه بكسر السين وضمها في المضارع اهـ سمين.

موسى بعد ذبحه ما ذكره ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ تمييز محول عن الفاعل أي وسع علمه كل شيء ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من الأمم ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ قرآناً ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ حملاً ثقيلاً من الإثم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي في عذاب الوزر ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ تمييز مفسر للضمير في ساء، والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم، واللام للبيان، ويبدل من

قوله: (وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره) ولما ذبحه سال منه الدم، وقوله: (ما ذكره) هو حرقه بالنار نسفه في أليم اهـ خازن.

قوله: ﴿إنما إلهكم الله﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق الحق أثر إبطال الباطل اهـ أبو السعود.

وهذا آخر قصة موسى في هذه السورة المبتدأة بقوله: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كذلك نقص﴾ الخ كلام مستأنف خوطب به النبي ﷺ تسلية له وتبصرة بأحوال من تقدم وتكثيراً لمعجزاته وتذكيراً للمستبصرين من أمته اهـ أبو السعود.

والكاف نعت لمصدر محذوف أو حال من ضمير ذلك المصدر المقدر، والتقدير: كقصنا هذا النبأ الغريب نقص، ومن أنباء صفة لمحذوف هو مفعول نقص أي: نقص نبأ من أنباء الخ اهـ سمين.

قوله: (هذه القصة) أي: قصة موسى مع فرعون ومع بني إسرائيل ومع السامري اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من أنباء﴾ من تبعيضية وقوله: من الأمم بيان لما. قوله: (قرآناً) أي: منطوياً ومشتملاً على هذه القصص والأخبار اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿من أعرض عنه﴾ جملة شرطية في محل نصب نعت لذكرا اهـ شيخنا.

قوله: (حملاً ثقيلاً من الإثم) أي: من عقوبته وتسميتها وزراً تشبيهاً لها في ثقلها وصعوبته بالحمل الذي ينقض ظهر الحامل اهـ أبو السعود.

وقوله: (من الإثم) أي: الذي وقع منه في الدنيا، ومن ابتدائية أو تعليلية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿خالدين فيه﴾ حال من الضمير المستكن في يحمل العائد على من الشرطية مراعاة لمعناها بعد مراعاة لفظها، وكذلك الضمير في لهم اهـ شيخنا.

قوله: (أي في عذاب الوزر) عبارة السمين: والضمير في فيه يعود لوزر أو المراد في العقاب المتسبب عن الوزر وهو الذنب فأقيم السبب مقام المسبب اهـ.

قوله: (مفسر للضمير في ساء) أي: فالضمير الذي هو الفاعل عائد على التمييز المتأخر عنه لفظاً ورتبة كما هو قاعدة هذا الباب اهـ أبو السعود.

قوله: (واللام) أي: في لهم للبيان متعلق بالقول المقدر أي: يقال هذا الكلام لهم وفي حقهم لا

بوم القيامة ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الثانية ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ عيونهم مع سواد وجوههم ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتسارون ﴿إِن﴾ ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ من الليالي بأيامها ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك أي ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ أعد لهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جداً لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ﴾ لهم

متعلقة بساء، والمعنى بئس ما حملوا على أنفسهم من الإثم كفراً بالقرآن اهـ كرخي.

قوله: ﴿يوم ننفخ﴾ أي: نأمر بالنفخ، وفي قراءة ينفخ بياء الغيبة مع البناء للمفعول أي: ينفخ إسرافيل بأمرنا، والقراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: (النفخة الثانية) أي: لقوله بعد ذلك: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ فالنفخ في الصور كالسبب لحشرهم فهو كقوله: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ [النبأ: ١٨] اهـ كرخي.

قوله: ﴿زرقاً﴾ حال من المجرمين، وهو صفة مشبهة فيها ضمير مستتر هو فاعلها فسره بقوله: (عيونهم) اهـ شيخنا.

ووصفوا بذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب، لأن الروم كانوا أعدى أعدائهم وهم زرق، ولذلك قالوا في صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين اهـ بيضاوي.

وأصهب: من الصهبة بالصاد المهملة وهي حمرة أو شقرة في الشعر، والسبال بكسر السين المهملة جمع سبلة، والمراد بها اللحية أو ما استرسل منه اهـ شهاب.

قوله: ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي: يخفضون أصواتهم ويخفونها لما لحقهم من الرعب والهول اهـ أبو السعود.

والجملة حال من المجرمين. وفي المختار: خفت الصوت سكن وبابه جلس، والمخافتة والتخافت والخفت بوزن السبت إسرار المنطق اهـ.

قوله: ﴿إن لبثتم إلا عشراً﴾ حال عاملها محذوف أي: حال كونهم قائلين في السر إن لبثتم الخ اهـ شيخنا.

قوله: (من الليالي) أشار به إلى أنه لم يقل عشرة بالتاء ذهاباً إلى الليالي، لأن الشهور غررها بالليالي فتكون الأيام داخلة تبعاً قاله في الكشاف اهـ كرخي.

قوله: (في ذلك) أي: في مدة لبثهم في الدنيا.

قوله: ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أي: أعدلهم رأياً أو عملاً في الدنيا، ونسبة هذا القول إلى أمثلهم لا لكونه أقرب إلى الصدق، بل لكونه أدل على شدة الهول اهـ أبو السعود.

وإذ منصوب بأعلم، وطريقة نصب على التمييز اهـ سمين.

قوله: ﴿ويسألونك﴾ أي: كفار مكة على سبيل الاستهزاء، فقالوا له: إنك تدعي أن هذه الدنيا

﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطاً ﴿ صَفْصَفًا ۝﴾ مستوياً ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضاً ﴿وَلَآ أَمْتًا ۝﴾ ارتفاعاً ﴿ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم

تفنى وأننا نبعث بعد الموت وأين تكون هذه الجبال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فقل لهم ينسفها ربي نسفاً﴾ في المصباح: نسفت الريح التراب نسفاً من باب ضرب اقتلعته وفرقته، ونسفت البناء نسفاً قلعته من أصله، ونسفت الحب نسفاً، واسم الآلة منسف بكسر الميم اهـ.

قوله: (ثم يطيرها) بضم الياء وكسر الطاء بعدها ياء مخففة، وبضم الياء وفتح الطاء بعدها ياء مشددة يقال: أطاره وطيره بمعنى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فيذرها﴾ أي: يتركها. والضمير إما للجبال باعتبار أجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها أي: فيذر ما انبسط منها، وساوى مسطح أجزاء الأرض بعد نسف الشاهق منها، وأما للأرض المدلول عليها بقرينة الحال لأنها الباقية بعد نسف الجبال اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قاعاً﴾ قيل: هو المنكشف من الأرض، وقيل: المستوي الصلب منها، وقيل: ما لا نبات فيه ولا بناء. والصفصف: الأرض المستوية الملساء كأن أجزاءها صف واحد من كل جهة صفصفاً قريب في المعنى من قاعاً فهو كالتأكيد له وانتصاب قاعاً على الحالية من الضمير المنصوب أو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير، وصفصفاً حال ثانية أو بدل من المفعول الثاني اهـ أبو السعود.

وعبارة البيضاوي: وثلاثتها أحوال مترتبة فالأولان باعتبار الإحساس والثالث باعتبار القياس، ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يختص بالمعاني، والأمت وهو النتو اليسير، وقيل: لا ترى استئناف مبين للحالين اهـ.

والثلاثة هي قاعاً صفصفاً لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً اهـ.

قوله: ﴿لا ترى فيها﴾ أي: في مقار الجبال أو في الأرض على ما مرّ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿عوجاً﴾ العوج بفتح العين في المحسوسات وبكسرها في المعاني، وما هنا من قبيل الأول لكنه عبّر فيه بمكسور العين لكونه لشدة خفائه كأنه صار من قبيل المعاني. أي: لا تدركه فيها لو تأملته بالمقاييس الهندسية اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿ولا أمتاً﴾ الأمت النتو اليسير، يقال: مدّ حبله حتى ما فيه أمت، وقيل: الأمت التل وهو قريب من الأول، وقيل: الشقوق في الأرض، وقيل: الآكام اهـ سمين.

وفي القاموس: أمته يأمته قدره وقصده وأجل مأموت مؤقت، والأمت: المكان المرتفع والتلال الصغار والانخفاض والارتفاع والاختلاف في الشيء، والجمع آمات وأموت والضعف والوهن والطريقة الحسنة والعوج والعيب في الفم وفي الثوب والحجر، وأن يغلظ مكان ويرق مكان، والمؤمت المملوء والمهتم بالشر ونحوه والخمر حرمت لا أمت فيها أي لا شك في حرمتها اهـ.

قوله: ﴿يومئذ﴾ منصوب بيتبعون، وقيل: بدل من يوم القيامة اهـ سمين.

إذ نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي الناس بعد القيام من القبور ﴿الدَّاعِيَ﴾ إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل يقول هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي لاتباعهم أي لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿وَخَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ أحداً ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ

قوله: ﴿**يتبعون الداعي**﴾ أي: فيقبلون من كل أوب إلى صوبه اهـ بيضاوي. أي: جهته اهـ شهاب.

قوله: (**إلى المحشر**) بكسر الشين وفتحها، **وقوله:** (**بصوته**) عبارة الخازن: أي صوت الداعي اهـ.

قوله: (**وهو إسرافيل الخ**) وذلك أنه يوضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول: أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن اهـ خازن.

وذلك عند النفخة الثانية اهـ أبو السعود.

وفي رواية أنه يقول: يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون عليه اهـ زاده.

والراجح أن الداعي جبريل والنافخ إسرافيل تأمل. **قوله:** (**إلى عرض الرحمن**) أي: العرض عليه.

قوله: ﴿**لا عوج له**﴾ أي: لا عوج لهم عن دعائه أي: لا يزيغون يميناً ولا شمالاً بل يأتونه سراعاً اهـ خازن.

وهذه الجملة يجوز أن تكون مستأنفة وأن تكون حالاً من الداعي، ويجوز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف تقديره يتبعونه إتباعاً لا عوج له. والضمير في له في أوجه، **أظهرها:** أنه يعود على الداعي أي: لا عوج لدعائه بل يسمع جميعهم فلا يميل إلى ناس دون ناس، وقيل: هو عائد على ذلك المصدر المحذوف أي: عوج لذلك الإتباع. الثالث: أن في الكلام قلباً تقديره لا عوج لهم عنه اهـ سمين.

قوله: ﴿**وخشعت الأصوات للرحمن**﴾ أي: لهيبته وجلاله. **قوله:** ﴿**إلا همساً**﴾ مفعول به وهو استثناء مفرغ، والهمس الصوت الخفي وهو مصدر همست الكلام من باب ضرب إذا أخفيته، وقيل: هو تحريك الشفتين دون نطق. وقال الزمخشري: هو الذكر الخفي ومنه الحروف المهموسة، وقيل: هو ما يسمع من وقع الأقدام على الأرض ومنه همست الإبل إذا سمع ذلك من وقع أخفافها على الأرض اهـ سمين.

قوله: (**في نقلها**) أي: في مشيها إلى المحشر.

قوله: ﴿**يومئذ**﴾ أي: يوم إذ يتبعون الداعي لا تنفع الخ فهو معمول لقوله (**لا تنفع**) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿**إلا من أذن له الرحمن**﴾ من واقعة على المشفوع له واللام في له للتعليل، وقول الشارح: أن يشفع له على حذف الخافض أي: في أن يشفع له اهـ شيخنا.

﴿لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ بأن يقول لا إله إلا الله ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ لا يعلمون ذلك ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾ خضعت ﴿لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ أي الله ﴿وَقَدۡ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾ أي

وفي السمين: قوله: ﴿إلا من أذن﴾ له فيه أوجه، أحدها: أنه منصوب على المفعول به والناصب له تنفع، ومن حينئذ واقعة على المشفوع له. والثاني: أنه في محل رفع بدل من الشفاعة ولا بد من حذف مضاف تقديره إلاّ شفاعة من أذن له. والثالث: أنه منصوب على الاستثناء من الشفاعة بتقديرة المضاف المحذوف وهو استثناء متصل على هذا، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً إذا لم تقدر شيئاً وحينئذ يجوز أن يكون منصوباً وهي لغة الحجاز، أو مرفوعاً وهي لغة تميم، وكل هذه الأوجه واضحة مما تقدم فلا نطيل بتقديرها، وله في الموضعين للتعليل كقوله ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ [مريم: ٧٣] أي: لأجله ولأجلهم اهـ.

وعبارة الكرخي: إلا من أذن له الرحمن أن يشفع له أشار به إلى أن الاستثناء من المفعول العام، وعليه فمن منصوب على المفعولية، ويجوز في الرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي: لا تنفع الشفاعة إلاّ شفاعة من أذن له الرحمن، وبه بدأ القاضي كالكشاف لما فيه من تعظيم الشافع في الموضعين للتعليل أي لأجله كقوله: ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ [مريم: ٧٣] أي: لأجلهم. وهذا يدل على أنه لا يشفع لغير المؤمنين، وبه صرح البغوي. وهذه الآية من أقوى الدلائل على ثبوت الشفاعة في حق الفساق لأن قوله: ﴿ورضي له قولاً﴾ يكفي في صدقه أن يكون الله تعالى قد رضي له قولاً واحداً من أقواله، والفاسق قد رضي الله من أقواله شهادة أن لا إله إلا الله، فوجب أن تكون الشفاعة نافعة له لأن الاستثناء من النفي إثبات اهـ.

قوله: ﴿ورضي له قولاً﴾ تفسير لمن يؤذن في الشفاعة له، وحاصل هذا التفسير أنه كل من قال في الدنيا لا إله إلا الله فقوله بأن يقول أي: بأن قال في الدنيا لا إله إلا الله أي: بأن كان مسلماً أي: مات على الإسلام وإن عمل السيئات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما بين أيديهم﴾ الضمير عائد على المتبعين للداعي وهم الخلق جميعهم، وقوله: ﴿ولا يحيطون به﴾ أي بما بين أيديهم وما خلفهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وعنت الوجوه﴾ عنى: فعل ماض، والتاء علامة التأنيث، والوجوه فاعل. وعنى: من باب سما يسمو وسمواً كما في المختار، فالألف محذوفة قبل تاء التأنيث لالتقاء الساكنين فأصله عنات، وأما عنى كرضي يعني عناء فهو بمعني تعب اهـ شيخنا.

وقوله: وأصله عنات أي: الأصل الثاني، وإلاّ فالأصل الأول عنوت الوجوه بالواو فيقال: تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث، وكأن هذا ليس بلازم بل يصح أن يقال حذفت الواو ابتداء. وفي السمين يقال: عنى يعنو عناء إذا ذلّ وخضع وأعناه غيره أي أذله ومنه العناة جمع عان وهو الأسير اهـ.

قوله: ﴿الوجوه﴾ أي: جميعها، والمراد بالوجوه أصحابها وخصت بالذكر لأن الذل أول ما يظهر فيها ثم قسمها إلى قسمين بقوله: ﴿وقد خاب﴾ الخ، وقوله: ﴿ومن يعمل﴾ الخ اهـ شيخنا.

شركاً ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا ۝١١٢﴾ بنقص من حسناته ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ معطوف على كذلك نقص أي مثل إنزال ما ذكر ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القرآن ﴿لَهُمْ ذِكْرًا ۝١١٣﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبرون ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ عما يقول المشركون ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ أي بقراءته ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي يفرغ جبريل

قوله: ﴿من الصالحات﴾ من تبعيضية، وقوله: ﴿وهو مؤمن﴾ جملة حالية، وقوله: ﴿فلا يخاف﴾ قرأ ابن كثير بجزمه على النهي، والباقون برفعه على النفي والاستئناف أي: فهو لا يخاف، والهضم النقص تقول العرب: هضمت لزيد من حقه أي: نقصت منه، ومنه هضيم الكشحين أي: ضامرهما، ومن ذلك أيضاً طلعها هضيم أي: دقيق متراكب كأن بعضه بظلم بعضاً فيقصه حقه، ورجل هضيم ومهتضم أي مظلوم، وهضمته واهتضمته وتهضمته كله بمعنى قيل: الظلم والهضم متقاربان، وفرق القاضي الماوردي بينهما فقال: الظلم منع جميع الحق والهضم منع بعضه اهـ سمين.

قوله: (أي مثل إنزال ما ذكر) أي: الآيات المشتملة على ذكر القصص المتقدمة، وكان الأولى أن يقول ومثل بالواو كما صنع غيره لأنها ثابتة في نظم القرآن. وعبارة أبي السعود: ذلك إشارة إلى إنزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من أحوال القيامة وأهوالها أي: مثل ذلك الإنزال أنزلناه أي القرآن كله وإضماره من غير سبق ذكره للإيذان بنباهة شأنه وكونه مركوزاً في العقول حاضراً في الاذهان اهـ.

وعبارة السمين: وكذلك أنزلناه كذلك نسق على كذلك نقص. قال الزمخشري: وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة اهـ.

قوله: ﴿عربياً﴾ أي بلغة العرب ليفهموه ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجاً عن طوق البشر نازلاً من عند خلاق القوى والقدر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من الوعيد﴾ صفة لمفعول محذوف أي: صرفنا في القرآن نوعاً من الوعيد، والمراد به الجنس، ويجوز أن تكون من مزيدة في المفعول به على رأي الأخفش، والتقدير: وصرفنا فيه الوعيد اهـ سمين.

قوله: ﴿لعلهم يتقون﴾ أي: بالفعل. قوله: ﴿ويحدث لهم ذكراً﴾ أضيف الذكر إلى القرآن ولم تضف التقوى إليه، لأن التقوى عبارة عن أن لا يفعل القبيح وذلك استمرار على العدم الأصلي فلم يحسن إسناده إلى القرآن، وأما حدوث الذكر فأمر يحدث بعد أن لم يكن فجازت إضافته إلى القرآن اهـ كرخي.

قوله: ﴿فتعالى الله الملك﴾ أي النافذ أمره ونهيه، الحقيق بأن يرجى وعده ويخشى وعيده، الحق في ملكوته وألوهيته، أو الثابت في ذاته وصفاته اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولا تعجل القرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه﴾ علم الله تعالى نبيه كيفية تلقي القرآن. قال ابن عباس: كان عليه الصلاة والسلام يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصاً على

من إبلاغه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ أي بالقرآن، فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علمه ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ وصينا أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل أكله منها ﴿فَنَسِيَ﴾ ترك عهدنا ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾ حزماً وصبراً عما نهيناه عنه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ﴿أَبَىٰ ۝١١٦﴾ عن السجود لآدم قال أنا خير منه ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء

الوحي وشفقة على القرآن مخافة النسيان، فنهاه الله عن ذلك وأنزل: ولا تعجل بالقرآن، وهذا كقوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ [القيامة: ١٦] على ما يأتي. وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: لا تتله قبل أن تتبينه، وقيل: ولا تعجل أي: لا تسأل إنزاله قبل أن يقضى أي يأتيك وحيه، وقيل: المعنى لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وقل ربي زدني علماً﴾ أي: قل في نفسك أي: سل الله عز وجل زيادة العلم فإنه الموصل إلى مطلوبك دون الاستعجال اهـ أبو السعود.

قوله: (فكلما أنزل عليه شيء الخ) أي: فكان كلما أنزل عليه شيء، وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني علماً ويقيناً اهـ خطيب.

قوله: ﴿فنسي﴾ (ترك عهدنا) أشار إلى أن المراد بالنسيان هنا الترك كما في قوله تعالى: ﴿إنا نسيناكم﴾ [السجدة: ١٤] أي: تركناكم في العذاب فلا يشكل بوصفه بالعصيان غماً اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولم نجد له عزماً﴾ يحتمل أنه من الوجدان بمعنى العلم فينصب مفعولين وهما: له وعزماً، ويحتمل أنه من الوجود ضد العدم فينصب مفعولاً وهو عزماً وله حال منه أو متعلق بنجد اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وإذ قلنا للملائكة﴾ الخ كررت هذه القصة في سبع سور من القرآن لسر يعلمه الله وبعض خلقه اهـ شيخنا.

وهذا شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه أي: اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه اهـ أبو السعود.

قوله: (كان يصحب الملائكة الخ) كأن غرضه بهذا توجيه اتصال الاستثناء بدليل أنه لم يفسر إلا بلكن على عادته في تقرير الانقطاع اهـ شيخنا.

والأولى أن يكون توجيهاً للانقطاع، لأن المنقطع لا بد فيه من نوع ارتباط واتصال بين المستثنى والمستثنى منه تأمل.

قوله: ﴿أبى﴾ (عن السجود) أفاد أن مفعول أبى مراد، وقد صرح به في الآية الأخرى في قوله: ﴿أبى أن يكون مع الساجدين﴾ [الحجر: ٣١] وحسن حذفه هنا كون العامل رأس فاصلة، ويجوز أن لا يراد البتة، وأن المعنى أنه من أهل الإباء والعصيان من غير نظر إلى متعلق الإباء ما هو اهـ كرخي.

بالمد ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك واقتصر على شقائه لأن الرجل يسعى على زوجته ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم إن وجملتها ﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا﴾ تعطش ﴿وَلَا

قوله: ﴿فلا يخرجنكما﴾ النهي في صورة لإبليس، والمراد هما أي لا تتعاطيا أسباب الخروج فيحصل لكما الشقاء وهو الكد والتعب الدنيوي خاصة، وقوله فتشقى منصوب بإضمار أن في جواب النهي اهـ سمين.

قوله: (على شقاه) مقصور ولذلك ذكره في المختار في باب المقصور اهـ شيخنا.

والذي في القاموس أنه بالقصر، وأنه يجوز مده ونصه: والشقاء: الشدة والعسر ويمد يقال شقي كرضي شقاوة اهـ.

قوله: (على زوجته) أي: لأجلها.

قوله: ﴿إن لك ألاَّ تجوع فيها﴾ أي: الجنة ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى أي: لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها لأنه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود، والمعنى أن الشبع والري والكسوة واللذة هي الأمور التي يدور عليها كفاية الإنسان، فذكر الله حصول هذه الأشياء في الجنة، وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إليه أهل الدنيا والله أعلم اهـ خازن.

وقال الصفوي: قابل سبحانه وتعالى بين الجوع والعري والظمأ والضحو، وإن كان الجوع يقابل العطش والعري يقابل الضحو، لأن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحو حر الظاهر، فنفى عن ساكنها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن اهـ من ابن لقيمة.

وفي أبي السعود: وفصل الظمأ من الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة، وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه للإشارة إلى أن نفي كل واحد من تلك الأمور نعمة على حيالها، ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما توهم أن نفيهما نعمة واحدة، وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو ولزيادة التقرير بالتنبيه على أن نفي كل واحد من الأمور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالإصالة لا أن نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع كل من المتجانسين اهـ.

قوله: ﴿وأنك لا تظمأ فيها﴾ قرأ نافع وأبو بكر: وإنك بكسر الهمزة والباقون بفتحها، فمن كسر فيجوز أن يكون ذلك استئنافاً وأن يكون نسقاً على إن الأولى والخبر لك المتقدم، والتقدير: إن لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظمأ والضحو، وجاز أن تكون أن بالفتح اسماً لإن بالكسر للفصل بينهما، ولولا ذلك لم يجز حتى لو قلت إن أن زيداً قائم لم يجز فلما فصل بينهما جاز، فتقول: إن عندي أن زيداً قائم فعندي هو الخبر قدم على الاسم وهو أن وما في حيزها لكونه ظرفاً. والآية من هذا القبيل، إذ التقدير: وأن لك أنك لا تظمأ اهـ من السمين.

تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ لا يحصل لك حر شمس الضحى لانتفاء الشمس في الجنة ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ أي التي يخلد من يأكل منها ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ لا يفنى وهو لازم الخلد ﴿فَأَكَلَا﴾ أي آدم وحواء ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ بالأكل من

قوله: (تعطش) بفتح الطاء من باب طرب. قوله: (حر شمس الضحى) بالقصر. وفي القاموس: وضحا يضحو كغزا يغزو وضحوا للشمس وكسعى ورضي ضحوا وضحيا أصابته الشمس اهـ.

قوله: ﴿فوسوس إليه﴾ يوسوس إليه أي: أنهى إليه الوسوسة، وأما وسوس له فمعناه وسوس لأجله، وقال أبو البقاء: عدى وسوس بإلى لأنه بمعنى أسر وعدى في موضع آخر باللام لكونه بمعنى ذكر له ويكون بمعنى لأجله اهـ سمين.

قوله: ﴿قال يا آدم﴾ الخ بيان لصورة الوسوسة، وقوله: ﴿هل أدلك﴾ للعرض. قوله: ﴿وملك لا يبلى﴾ أي تصرف يدوم ولا ينقطع.

قوله: ﴿فبدت لهما سوءاتهما﴾ أي: بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما أكلا من الشجرة اهـ شيخنا.

قوله: (ودبره) أي: الآخر. قوله: (لأن انكشافه) أي: كل منهما. وقوله: (يسوء صاحبه) أي: يحزنه.

قوله: (أخذا يلزقان) أي: يلزقان الورق أي: ورق التين بعضه ببعض حتى يصير طويلاً عريضاً يصلح للاستتار به، وقوله: ﴿عليهما﴾ أي: لأجلهما أي: لأجل سوأتيهما أي: لأجل سترهما فعلى تعليلية اهـ.

قوله: ﴿وعصى آدم ربه﴾ أي: خالف نهيه، فالعصيان هو المخالفة لكن خالف بتأويل لأنه اعتقد أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، أو لأنه اعتقد أن النهي قد نسخ لما حلف به إبليس، أو لأنه اعتقد أن النهي عن شجرة معينة وأن غيرها من بقية أفراد الجنس ليس منهياً عنه، وقوله: ﴿فغوى﴾ أي ضل عن مطلوبه وهو الخلود في الجنة، أي: حاد عنه ولم يظفر به. هذا هو الحق في تقرير هذا المقام اهـ شيخنا.

قوله: (بالأكل من الشجرة﴾ الظاهرة تعلقه بعصى أي: أنه فعل ما لم يكن له فعله، ومعنى غوى ضلّ من المأمور به أو من المطلوب حيث طلب الخلود بأكله، فإن قيل: هل يجوز أن يقال كان آدم عاصياً غاوياً أخذاً من ذلك؟ فالجواب: لا إذ لا يلزم من جواز إطلاق الفعل جواز إطلاق اسم الفاعل ألا ترى أنه يجوز تبارك الله دون أن يقال الله متبارك، ويجوز أن يقال تاب الله على آدم دون هو تائب كما بين في موضعه قاله الرازي. قال الإمام ابن فورك: هذا من آدم كان قبل النبوة كما يدل عليه قوله: ﴿ثم اجتباه ربه﴾ الآية اهـ كرخي.

الشجرة ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ قربه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ أي هداه إلى المداومة على التوبة ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ أي القرآن ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ في الآخرة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي القرآن فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة، وفسرت في حديث بعذاب الكافر في قبره

قوله: ﴿ثم اجتباه ربه﴾ أي: اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى إلى كذا، فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها وأصل الكلمة الجمع اهـ بيضاوي.

فالمجتبى كأنه في الأصل من جمعت فيه المحاسن حتى اختاره غيره اهـ شهاب.

قوله: ﴿فتاب عليه﴾ تقدم في سورة الأعراف ذكر الكلمات التي حصلت بها التوبة المذكورة في قوله: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية اهـ شيخنا.

قوله: (إلى المداومة على التوبة) أي: الاستمرار والثبات عليها فلم ينقضها اهـ شيخنا.

قوله: (أي آدم وحواء) أي: حرف نداء، وآدم منادى مبني على الضم، وحواء معطوف عليه أو حرف تفسيره لضمير التثنية الواقع فاعلاً، لكن الأول أظهر كما قال القاري، وقوله: (بما اشتملتما عليه الخ) غرضه من هذا أن الخطاب وإن كان لمثنى في اللفظ لكنه في المعنى للجمع، فيحصل التوفيق بين هذه الآية وآية الأعراف، وهي قوله: ﴿قال اهبطوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (بما اشتملتما عليه من ذريتكما) جواب سؤال وهو أن قوله: ﴿اهبطا﴾ إما أن يكون خطاباً مع شخصين أو أكثر، فإن كان خطاباً مع شخصين فكيف قال بعده فأما يأتينكم وهو خطاب الجمع، وإن كان خطاباً لجمع فكيف قال اهبطا اهـ.

قوله: (من ظلم بعضهم) من: تعليلية أي من أجل ظلم بعضهم بعضاً اهـ شيخنا.

قوله: (نون إن الشرطية) وفعل الشرط هو قوله ﴿يأتينكم﴾، وجوابه الجملتان الشرطيتان، أولاهما: فمن اتبع، والثانية: ومن أعراض الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هدى﴾ أي: كتاب ورسول اهـ بيضاوي.

قوله: (أي القرآن) وكذا قوله: أي القرآن فيه قصور في الموضعين، لأن الخطاب مع ذرية آدم وهداهم وتذكيرهم أعم من أن يكون بالقرآن وبغيره من الكتب النازلة على الرسل. وعبارة أبي السعود: فأما يأتينكم مني هدى من كتاب ورسول، فمن اتبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الإضافة إلى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في إيجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ومن أعرض عن ذكري أي عن الهدى الذاكر لي والداعي إلي فإن له في الدنيا معيشة ضنكاً الخ اهـ.

قوله: (مصدر بمعنى ضيقة) أي: فلهذا لم يؤنث بأن يقال ضنكة فهذا من قبيل القاعدة التي ذكرها ابن مالك بقوله:

ونعتوا بمصدر كثيرا ... فالتزموا الإفراد والتذكيرا

﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ أي المعرض عن القرآن ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤﴾ أي أعمى البصر ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ١٢٥﴾ في الدنيا وعند البعث ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ تركتها ولم تؤمن بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ تترك في النار ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أشرك ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وَأَبْقَىٰٓ ١٢٧﴾ أدوم ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبين ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة

وفي القاموس: الضنك الضيق في كل شيء للذكر والأنثى، يقال: ضنك ككرم ضنكاً وضناكة وضنوكة ضاق اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿ضنكاً﴾ صفة لمعيشة وأصله المصدر، فلذلك لم يؤنث ويقع للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد، وقرأ الجمهور ضنكاً بالتنوين وصلاً وإبداله ألفاً وقفاً كسائر المعربات. وقرأت فرقة ضنكى بألف كسكرى، وفي هذه الألف احتمالان، أحدهما: أنها بدل من التنوين إنما أجرى الوصل مجرى الوقف. والثاني: أن تكون ألف التأنيث بنى المصدر على فعلى نحو: دعوى. والضنك: الضيق والشدة، يقال: منه ضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكاً، وامرأة ضناك كثيرة لحم البدن كأنهم تخيلوا ضيق جلدها به اهـ.

قوله: (بعذاب الكافر في قبره) وهو أنه يضغط عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ولا يزال في العذاب حتى يبعث قاله أبو سعيد الخدري، ورواه أبو هريرة مرفوعاً. وقال ابن عباس: المراد بالعيشة الضنك الحياة في المعصية وإن كان في رخاء ونعمة قاله الرازي، أو المراد بها عيشه في جهنم، وبما تقرر علم أنه لا يرد أن يقال نحن نرى المعرضين عن الإيمان في خصب معيشة اهـ كرخي.

قوله: ﴿أعمى﴾ حال من الهاء في نحشره، وقوله: (أي أعمى البصر) وذلك في المحشر فإذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله اهـ بيضاوي.

وعبارة القرطبي: أعمى أي: في حال وبصيراً في حال اهـ.

قوله: ﴿وقد كنت بصيراً﴾ أي والحال.

قوله: ﴿قال﴾ (الأمر) ﴿كذلك﴾ أشار إلى أن كذلك في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف، وجرى الأكثرون على أنه في موضع نصب أي حشراً مثل ذلك أو مثل ذلك فعلت اهـ كرخي.

قوله: (أدوم) أي: لأنه لا ينقطع بخلافهما اهـ.

قوله: ﴿أفلم يهد لهم﴾ الهمزة داخلة على محذوف هو معطوف عليه بالفاء أي: أغفلوا فلم يهد لهم ويهد من هدى بمعنى اهتدى فهو لازم ومعناه يتبين كما قاله، وفاعله المصدر المأخوذ من أهلكنا، وسيأتي للشارح الاعتذار عن أخذه منه بدون أداة سبك. وكم: مفعول به كما قال وتمييزها محذوف أي قرناً، وقوله: من القرون نعت لهذا المحذوف أي أغفلوا فلم يتبين لهم إهلاكنا أمماً كثيراً فيعتبروا بهذا الإهلاك فيرجعوا عن تكذيب الرسول اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: ويحتمل أن يكون فاعل يهد ضميراً عائداً على الله تعالى، ويؤيده القراءة بالنون

﴿كَمْ﴾ خبرية مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي كثيراً إهلاكنا ﴿قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ أي الأمم الماضية بتكذيب الرسل ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير لهم ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا وما ذكر من أخذ إهلاك من فعله الخالي عن حرف مصدري لرعاية المعنى لا مانع منه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لعبراً ﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ لذوي العقول ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك ﴿لِزَامًا﴾ لازماً لهم في الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾

أي أفلم يبين لهم الله العبر وفعله بالأمم المكذبة اهـ.

قوله: (أي كثيراً) تفسير لكم، وقوله: (إهلاكنا) تفسير للفاعل المأخوذ من الفعل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من القرون﴾ في محل نصب نعت لكم لأنها نكرة وبضعف جعله حالاً من النكرة، ويجوز أن يكون تمييزاً على قواعد البصريين، ومن داخلة عليه على حد دخولها على غيره من التمييزات لتعريفه اهـ سمين.

قوله: (بتكذيب الرسل) متعلق بإهلاكنا أي: أن الإهلاك بسبب تكذيب الرسل وترك الإيمان بالله واتباع رسله، والمراد أمة الدعوة لا أمة الإجابة حتى لا يتوهم عدم تناوله للكفرة اهـ كرخي.

قوله: ﴿في مساكنهم﴾ أي: مساكن المهلكين بفتح اللام فالضمير في مساكنهم للقرون، وقوله: (في سفرهم) متعلق بيمشون، وقوله: فيعبروا مرتب على قوله: ﴿أفلم يهد لهم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (وما ذكر) مبتدأ. وقوله: من أخذ بيان له، وقوله: (لرعاية المعنى) علة للأخذ المذكور، وقوله: (لا مانع منه) خبر أي وأخذ المصدر من الفعل المذكور بدون حرف مصدري يكون آلة في السبك جائز مراعاة للمعنى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من الإهلاك، وقوله: ﴿لأولي النهى﴾ جمع نهية بمعنى العقل.

قوله: ﴿ولولا كلمة﴾ أي حكم أزلي. قوله: ﴿لكان﴾ (الإهلاك) أي العاجل لزاماً مصدر بمعنى اسم الفاعل وفعله لازم كقاتل، ولكونه مصدراً صح الاخبار به عن شيئين اهـ شيخنا.

قوله: (معطوف على الضمير الخ) والمعنى لكان الإهلاك والأجل المعين له لزاماً لهم أي: لازماً لهم، ولم يقل لازمين لأن لزاماً مصدر في الأصل وإن كان هنا بمعنى اسم الفاعل. وقوله: (وقام الفصل الخ) أشار بهذا إلى أنه كان من حق العطف أن يؤكد الضمير المستتر في كان بالضمير المنفصل، فكان يقال لكان هو لزاماً وأجل مسمى، لكن الفصل بخبرها قام مقام التأكيد بالضمير المنفصل، فيكون من قبيل قول ابن مالك: أو فاصل ما.

هذا والأولى كما صنع غيره أن يكون وأجل معطوفاً على كلمة اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿وأجل مسمى﴾ في رفعه وجهان، أظهرهما: عطفه على كلمة أي: ولولا أجل مسمى لكان العذاب لازماً لهم. والثاني: جوزه الزمخشري وهو أن يكون مرفوعاً عطفاً على الضمير المستتر، والضمير عائد على الأخذ العاجل المدلول عليه بالسياق التقدير: ولولا كلمة سبقت

مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر في كان وقام الفصل بخبرها مقام التأيد ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ منسوخ بآية القتال ﴿ وَسَبِّحْ ﴾ صلّ ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ حال أي ملتبساً به ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ﴾ صلاة الصبح ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ صلاة العصر ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ ﴾ ساعاته ﴿ فَسَبِّحْ ﴾ صل المغرب والعشاء ﴿ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ عطف على محل من آناء المنصوب أي صل الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني ﴿ لَعَلَّكَ

من ربك لكان الأخذ العاجل، وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود اهـ.

قوله: ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أي إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل هو إمهال وهو لازم لهم البتة باصبر على ما يقولون من كلمات الكفر، ومن قولهم الآتي لولا يأتينا بآية من ربه فإنهم معذبون لا محالة فتسل واصبر اهـ أبو السعود.

قوله: (منسوخ بأية القتال) هذا أحد قولين والآخر أنها محكمة. وفي الشهاب ما نصه: أي إذا لم نعذبهم عاجلاً فاصبر فالفاء سببية، والمراد بالصبر عدم الاضطراب لما صدر منهم من الأذية لا ترك القتال حتى تكون الآية منسوخة اهـ.

قوله: (حال) أي والحال أنك حامد لربك على هدايته وتوفيقه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ومن آناء الليل﴾ جمع إنا بكسر الهمزة والقصر كمعي بكسر الميم جمعه أمعاء وهو محذوف اللام فوزنه فعا بكسر الفاء؛ ومن بمعنى في، والجار والمجرور متعلق بقوله: ﴿فسبح﴾ والفاء زائدة اهـ شيخنا.

وفي المختار: آناء الليل ساعاته. قال الأخفش: واحدها إنا مثل معي، وقيل: واحدها إني وأنو يقال: مضى من الليل أنوان وأنيان اهـ.

قوله: ﴿فسبح﴾ في هذه الفاء ثلاثة أوجه: إما عاطفة على مقدر، أو واقعة في جواب شرط مقدر، أو زائدة اهـ شهاب.

قوله: ﴿وأطراف النهار﴾ المراد بالجمع ما فوق الواحد، لأنه المراد بالأطراف على ما قرره الشارح الزمن الذي هو آخر النصف الأول وأول النصف الثاني، فهما طرفان أي آخر الأول وأول الثاني طرفان للنهار أي طرفان لنصفيه كل واحد منهما طرف لنصف اهـ شيخنا.

قوله: (عطف على محل من آناء المنصوب) أي بسبح المقرون بالفاء الزائدة أي: صل في أطراف النهار أي في طرفي نصفيه أي في الوقت الذي يجمع الطرفين وهو وقت الزوال فهو نهاية للنصف الأول وبداية للنصف الثاني اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿وأطراف النهار﴾ العامة على نصبه وفيه وجهان، أحدهما: أنه عطف على محل ومن آناء الليل. والثاني: أنه عطف على قبل اهـ.

قوله: ﴿لعلك ترضى﴾ قرىء في السبعة بالبناء للفاعل وللمفعول، وهذه الجملة حال من الضمير

﴿تَرْضَىٰ ١٣٠﴾ بما تعطى من الثواب ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً ﴿مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ بأن يطغوا ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ ١٣١﴾ أدوم ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ﴾ اصبر ﴿عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ﴾ نكلفك ﴿رِزْقًا﴾ لنفسك ولا لغيرك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ الجنة ﴿لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢﴾ لأهلها ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي المشركون

المستكن في سبح أي صل حال كونك راجياً وطامعاً في أن الله يرضيك بما يعطيكه من الثواب اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: لعلك ترضى متعلق بسبح أي سبح في هذه الأوقات رجاء أن تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك، وقرىء ترضى على صيغة التاء للمفعول من أرضى أي يرضيك ربك اهـ.

وفي القرطبي: لعلك ترضى بفتح التاء أي لعلك تثاب على هذه الأعمال بما ترضى به، وقرأ الكسائي. وأبو بكر، عن عاصم ترضى بضم التاء أي: لعلك تعطى ما يرضيك اهـ.

قوله: ﴿ولا تمدن عينيك﴾ عطف على فاصبر أي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿متعنا﴾ أي لذذنا فالامتاع والتمتيع معناه الإيقاع في اللذة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أزواجاً منهم﴾ في نصبه وجهان، أحدهما: أنه منصوب على المفعول به وهو واضح. والثاني: أنه منصوب على الحال من الهاء في به راعى لفظ ما مرة ومعناها أخرى فلذلك جمع اهـ سمين.

قوله: ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ في نصبه تسعة أوجه، أحدها: أنه مفعول ثان لأنه ضمن متعنا معنى أعطينا، فأزواجاً مفعول أول، وزهرة هو الثاني. والثاني: أن يكون بدلاً من أزواجاً، وذلك إما على حذف مضاف أي ذوي زهرة وإما على المبالغة جعلوا نفس الزهرة. الثالث: أن يكون منصوباً بفعل مضمر دل عليه متعنا تقديره جعلنا لهم زهرة. الرابع: نصبه على الذم قال الزمخشري: وهو النصب على الاختصاص. الخامس: أن يكون بدلاً من موضع الموصول. السادس: أن ينتصب على البدل في محل به. السابع: أن ينتصب على الحال من ما الموصولة. الثامن: أنه حال من الهاء في به وهو ضمير الموصول، وهذا كالذي قبله في المعنى. التاسع: أنه تمييز لما أو للهاء في به قاله الفراء اهـ سمين.

قوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ متعلق بمتعنا به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلاً بعد بيان بهجته حالاً أي: لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم أو لتعذيبهم في الآخرة بسببه اهـ أبو السعود.

وقوله: (بأن يطغوا) الباء سببية، وعبارة الخازن: لنفتنهم فيه أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا بذلك كفراً وطغياناً اهـ.

قوله: ﴿وأمر أهلك﴾ أي أهل بيتك وأهل دينك أي أتباعك وأمتك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واصطبر عليها﴾ أي: على مشاقها اهـ.

قوله: ﴿نحن نرزقك﴾ أي فتفرغ لأمر العبادة ولا تهتم بما تكفلنا لك به. روي أنه ﷺ كان إذا

﴿لَوۡلَا﴾ هلا ﴿يَأۡتِينَا﴾ محمد ﴿بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾ مما يقترحونه ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم﴾ بالتاء والياء ﴿بَيِّنَةُ﴾ بيان ﴿مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣﴾ المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ قبل محمد الرسول ﴿لَقَالُواْ﴾ يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ﴾ هلا ﴿أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المرسل بها ﴿مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ﴾ في القيامة ﴿وَنَخۡزَىٰ ١٣٤﴾ في جهنم ﴿قُلۡ كُلّٞ﴾ لهم منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٞ﴾ منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ في القيامة ﴿مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾ الطريق ﴿ٱلسَّوِيِّ﴾ المستقيم ﴿وَمَنِ

أصاب أهل بيته ضيق أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿والعاقبة﴾ أي المحمودة.

قوله: ﴿وقالوا لولا يأتينا﴾ الخ حكاية لبعض أقاويلهم الباطلة التي أمر بالصبر عليها اهـ شيخنا. ولولا: تحضيضية.

قوله: (مما يقترحونه) أي يطلبونه تعنتاً كما تقدم بعضه في قوله تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ [الإسراء: ٩٠] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أو لم تأتهم﴾ أي لم يكفهم اشتمال القرآن على بيان ما في الصحف الأولى في كونه معجزة حتى طلبوا غيرها اهـ شيخنا.

فالواو عاطفة على مقدر يقتضيه المقام، كأنه قيل: ألم تأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الأولى تقريراً لإتيانه وإيذاناً بأنه من الوضوح بحيث لا يأتي معه إنكار أصلاً اهـ أبو السعود.

قوله: (بالتاء والياء) سبعيتان. قوله: (المشتمل) نعت لبينة التي فسرها بالبيان اهـ شيخنا.

قوله: (بتكذيب الرسل) الباء سببية اهـ.

قوله: ﴿ولو أنا أهلكناهم﴾ الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما قبلها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لقالوا ربنا﴾ الخ أي: لكان لهم أن يحتجوا ويتعللوا بهذا العذر فقطعنا معذرتهم بأن أبقيناهم حتى جاءهم الرسول، ولم نهلكهم قبل إتيانه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فنتبع آياتك﴾ منصوب بإضمار أن في جواب التحضيض اهـ سمين.

قوله: ﴿من قبل أن نذل﴾ أي يحصل لنا الذل والهوان، ونخزي أي نفتضح اهـ شيخنا.

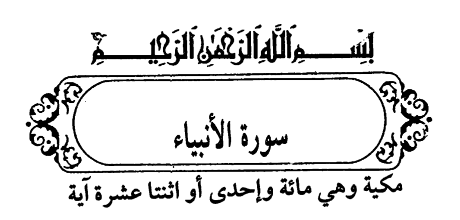
قوله: (ما يؤول إليه الأمر) أي: أمرنا وأمركم، وقوله: (فستعلمون) أي عن قريب اهـ.

قوله: ﴿من أصحاب الصراط﴾ الخ من في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء وخبرها ما بعدها، والجملة سادة مسد مفعولي العلم والكلام على حذف المضاف، أي: فستعلمون جواب من أصحاب الصراط الخ أي: فستعلمون جواب هذا السؤال، وهو أنه هم المؤمنون، ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الأولى لعدم العائد اهـ أبو السعود.

ٱهۡتَدَىٰ﴿١٣٥﴾﴾ من الضلالة أنحن أم أنتم.

وفي السمين: ويجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي، وأصحاب خبر مبتدأ مضمر أي: هم أصحاب، وهذا على مقتضى مذهبهم يحذفون مثل هذا العائد وإن لم تطل الصلة، وعلم يجوز أن تكون عرفانية فتكتفي بهذا المفعول وأن تكون على بابها فلا بد من تقرير ثانيهما. وقوله: ﴿ومن اهتدى﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون استفهامية وحكمها كالتي قبلها إلا في حذف العائد. والثاني: أنها في محس رفع على ما تقدم في الاستفهامية. والثالث: أنها في محل جر نسقاً على الصراط أي وأصحاب من اهتدى، وعلى هذين الوجهين تكون موصولة. قال أبو البقاء: في الوجه الثاني وفيه عطف الخبر على الاستفهام اهـ.

قوله: ﴿ومن اهتدى﴾ (من الضلالة) أشار بهذا إلى بيان وجه المغايرة بين القسمين، وعبارة القرطبي: فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى. قال النحاس، والفراء: يُريد أن معنى من أصحاب الصراط السوي من لم يضل، وإلى أن معنى ومن اهتدى من ضل ثم اهتدى اهـ.



سورة الأنبياء

مكية وهي مائة وإحدى أو اثنتا عشرة آية

﴿ٱقۡتَرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة منكري البعث ﴿حِسَابُهُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾ عنه ﴿مُّعۡرِضُونَ ①﴾ عن التأهب له بالإيمان ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ شيئاً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: باتفاق وسميت بذلك لذكر قصص الأنبياء فيها اهـ شهاب.

قوله: (أو اثنتا عشرة آية) منشأ هذه الخلاف اختلاف الكوفيين وغيرهم في قوله: ﴿قال أفتعبدون من دون الله﴾ إلى قوله: ﴿تعقلون﴾ [الأنبياء: ٦٦] فغير الكوفيين يعده آية، والكوفيون يعدونه آيتين: الأولى إلى قوله: ﴿ولا يضركم﴾ والثانية أولها أف لكم إلى تعلقون اهـ شيخنا.

قوله: (أهل مكة) أشار به إلى أنه من باب إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم على أن المراد بالناس المشركون بدليل ما يتلوه من الصفات من قوله: ﴿إلا استمعوه﴾ إلى قوله: ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾، وأيضاً من جملة الدليل على هذا التحضيض وإن كان كل الناس يحاسبون قوله وهم في غفلة اهـ.

والحاصل أن الناس عام، والمشار إليهم في ذلك الوقت كفار قريش، فإنهم قالوا: محمد يهددنا بالبعث والجزاء على الأعمال وهذا بعيد، فأنزل الله: ﴿اقترب للناس﴾ الخ اهـ كرخي.

ووجهه قرب الحساب مع أنه بعيد أنه آت ولا محالة وكل ما هو آت قريب اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: اقترب للناس حسابهم بالإضافة إلى ما مضى أو عند الله لقوله: إنهم يرونه أي البعث بعيداً ونراه قريباً، وقوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ [الحج: ٤٧]، ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، أو لأن كل ما هو آت قريب، وإنما البعيد ما انقرض ومضى اهـ.

وفي أبي السعود: وإسناد الاقتراب إليه لا إلى الساعة كما في الآية الأخرى مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الأحوال والأهوال الفظيعة، لانسياق الكلام إلى بيان غفلتهم عنه وإعراضهم عما يذكرهم ذلك اهـ.

قوله: ﴿معرضون﴾ خبر ثان.

فشيئاً أي لفظ قرآن ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ يستهزئون ﴿لَاهِيَةً﴾ غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناه ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ أي الكلام ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بدل من واو وأسروا النجوى ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾ أي محمد

قوله: ﴿ما يأتيهم﴾ تعليل لما قبله، وقوله: ﴿من ذكر﴾ من زائدة في الفاعل. قوله: ﴿محدث﴾ أي محدث تنزله أي: متجدد كما أشار له بقوله (شيئاً فشيئاً) اهـ شيخنا.

والعامة على جر محدث نعتاً لذكر على اللفظ. وقوله: ﴿من ربهم﴾ فيه أوجه، أجودها: أن يتعلق بيأتيهم، وتكون من لابتداء الغاية مجازاً. والثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الضمير المستقر في محدث. الثالث: أن يكون حالاً من نفس ذكر وإن كان نكرة، لأنه قد تخصص بالوصف بمحدث اهـ سمين.

قوله: (أي لفظ قرآن) أشار به إلى أن لفظ القرآن محدث في النزول في تلاوة جبريل له سورة سورة وآية آية، وأن معناه قديماً لأنه صفة القديم فلا يرد كيف وصف الذكر بالحدوث مع أن الذكر الآتي هو القرآن وهو قديم اهـ كرخي.

قوله: ﴿إلا استمعوه﴾ استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال من مفعول يأتيهم وقد مقدرة، وقوله: ﴿وهم يلعبون﴾ حال من فاعل استمعوه، وقوله: ﴿لاهية قلوبهم﴾ حال من واو يلعبون اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: لاهية قلوبهم يجوز أن يكون حالاً من فاعل استمعوه عند من يجيز تعدد الحال، فيكون الحالان مترادفين، وأن يكون حالاً من فاعل يلعبون فيكون الحالان متداخلين. وعبَّر الزمخشري عن ذلك فقال: وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان أو متداخلتان، وإذا جعلناهما حالين مترادفتين ففيه تقديم الحال غير الصريحة على الصريحة وفيه من البحث ما في باب النعت، وقلوبهم مرفوع بلاهية، والعامة على نصب لاهية، وابن أبي عبلة على الرفع على أنها خبر ثان لقوله: وهم عند من يجوز ذلك أو خبر مبتدأ محذوف عند من لا يجوزه اهـ.

قوله: ﴿وأسروا النجوى﴾ أي: بالغوا في إخفائها بحيث لم يفهم أحد تناجيهم ومسارتهم تفصيلاً ولا إجمالاً، فلا يرد كيف قال ذلك مع أن النجوى المسارة اهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: وهذا كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة أثر حكاية جناياتهم المعتادة، والنجوى: الكلام السر، ومعنى أسروها أنهم بالغوا في إخفائها أو أسروا التناجي بحيث لم يشعر أحد بأنهم يتناجون، وإنما قالوا ذلك سراً لأنهم كانوا في مبادىء الشر والعناد وتمهيد مقدمات الكيد والفساد اهـ.

ومرادهم من هذا التناجي التشاور في استنباط ما يهدمون به أمر القرآن وإظهار فساده للناس عامة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ بدل من النجوى مفسر لها أو مفعول لمضمر هو جواب عن سؤال نشأ مما قبله، كأنه قيل: فماذا قالوا في نجواهم؟ فقيل: قالوا هل هذا الخ، وهل بمعنى النفي اهـ أبو السعود.

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ تتبعونه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ تعلمون أنه سحر ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائناً ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما أسروه ﴿الْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ به ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوا﴾ فيما أتى به من القرآن هو ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أخلاط رآها في النوم ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى

وعبارة السمين: يجوز في هاتين الجملتين الاستفهاميتين أن يكونا في محل نصب بدلاً من النجوى، وأن يكونا في محل نصب بإضمار القول قالهما الزمخشري، وأن يكونا في محل نصب على أنهما محكيتان للنجوى لأنها في معنى القول. وأنتم تبصرون جملة حالية من فاعل تأتون اهـ.

قوله: ﴿وأنتم تبصرون﴾ حال من فاعل تأتون مقرر للإنكار ومؤكد للاستبعاد، وقالوا ما ذكر بناء على ما ثبت في اعتقادهم الزائغ أن الرسول لا يكون إلا ملكاً، وأن كل ما يظهر على يد البشر يكون سحراً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل ربي﴾ قرأ الأخوان وحفص قال ربي على لفظ الخبر والضمير للرسول عليه الصلاة والسلام، والباقون قل على الأمر له اهـ سمين.

قوله: ﴿في السماء والأرض﴾ حال من القول كما أشار له الشارح بقوله كائناً اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: في هذا الجار والمجرور أوجه، أحدها: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من القول. والثاني: أنه حال من فاعل يعلم وضعفه أبو البقاء، وينبغي أن يمتنع. والثالث: أنه متعلق بيعلم وهو قريب مما قبله وحذف متعلق السميع العليم للعلم به اهـ.

قوله: (للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة) وهي: بل قالوا بل افتراه بل هو شاعر، كما ذكره ابن مالك في شرح كافيته من أنها لا تقع في القرآن إلا على هذا الوجه، وسبق ابن مالك إلى ذلك صاحب الوسيط، ووافقه ابن الحاجب فقال في شرح المفصل: إبطال الأول وإثبات الثاني إن كان في الإثبات من باب الغلط فلا يقع في القرآن اهـ.

وهذا ليس مخالفاً لكلام الزمخشري لأنه عبَّر بالاضراب وهو أعم من الابطالي والانتقالي كما صرح به في المغني، فيحمل ما هنا على الانتقالي فما قاله ابن مالك هو الحق، ومن وهمه فقد وهم وما استدل به في المعنى من قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون﴾ [الأنبياء: ٢٦] قوله: ﴿أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق﴾ [المؤمنون: ٧٠] لا دليل فيه لأن بل فيهما لا دليل فيه لأن بل فيهما للانتقال من الإخبار بقولهم إلى الإخبار بالواقع، وإنما يصلح للإبطال بالنسبة لمقولهم، ومقولهم جزاء لجملة فليس لإبطال معنى الجملة التي قبلها ومثل الآيتين هذه الآية اهـ كرخي.

قوله: (فيما أتى به) أي في شأن ما أتى به.

قوله: ﴿أضغاث أحلام﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو كما قاله الشارح، والجملة في محل نصب مفعول به لقالوا اهـ.

قوله: ﴿بل هو شاعر﴾ هو ضمير واقع على محمد بدليل قوله فما أتى به شعر اهـ شيخنا.

به شعر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ⑤﴾ كالناقة والعصا واليد قال تعالى ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ⑥﴾؟ لا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ⑦﴾ ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي الرسل ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى أجساداً ﴿لَّا

وقوله: (فما أتى به شعر) أي كلام يخيل للسامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها. هذا هو المراد بالشعر هنا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فليأتنا بآية﴾ جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل: وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولاً من عند الله فليأتنا بآية، وقوله: ﴿كما أرسل الأولون﴾ نعت لآية أي آية كائنة مثل الآية التي أرسل بها الأولون، فمحل الكاف الجر، وما موصولة ويجوز أن تكون مصدرية فالكاف منصوبة على أنها مصدر تشبيهي أي: فليأتنا بآية إتياناً كائناً مثل إرسال الأولين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من قرية﴾ من زائدة في الفاعل. قوله: (لا) أشار إلى أن الاستفهام إنكاري اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما أرسلنا﴾ الخ جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم متضمن لرد ما دسوه تحت قولهم، كما أرسل الأولون من التعرض لعدم كونه مثل أولئك الرسل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿نوحي إليهم﴾ استئناف مبين لكيفية الإرسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية، والمعنى: وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمتك إلا رجالاً مخصوصين من أفراد جنسك متأهلين للاصطفاء والإرسال اهـ أبو السعود.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية بالنون. قوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ توجيه الخطاب إلى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة التكبر أي: اسألوا أيها الجهال أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة، فإنهم يخبرونكم بحقيقة الحال اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ (ذلك) أي: أن الرسل بشر. فمفعولا العلم يجوز أن يراد أي لا تعلمون أن ذلك كذلك، ويجوز أن لا يراد أي إن كنتم من غير ذوي العلم، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما سبق عليه أي فاسألوهم كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿فإنهم يعلمونه﴾ الخ جواب كيف. أمر مشركي مكة بأن يسألوا أهل الذكر عمن مضى من الرسل هل كانوا بشراً أو ملائكة، مع أنهم قالوا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه. وإيضاح الجواب: أنه لا مانع من ذلك إذ الإخبار بعدم الإيمان بشيء لا يمنع أمره بالإتيان به وإن سلم فهم وإن لم يؤمنوا بكتاب أهل الكتاب، لكن النقل المتواتر من أهل الكتاب في أمر يفيد العلم للكل أي: لمن يؤمن بكتابهم ولمن لا يؤمن به أو إنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله ﷺ فلا يكذبونهم فيما هم فيه قاله الرازي اهـ كرخي.

قوله: (من تصديق المؤمنين بمحمد) المصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أي: أقرب من

يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَـٰلِدِينَ ۝٨﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾ أي المصدقين لهم ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾ المكذبين لهم ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لأنه بلغتكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ فتؤمنون به ﴿وَكَمْ

تصديقكم المؤمنين بمحمد أي: الذين آمنوا بمحمد. أي: إذا أخبركم المؤمنون بحاله وحال الرسل السابقين، وأخبركم أهل الكتاب بذلك كنتم إلى تصديق أهل الكتاب أقرب من تصديقكم للمؤمنين لمشاركتكم لأهل الكتاب في الدين ومباينتكم للمؤمنين فيه اهـ.

قوله: ﴿وما جعلناهم جسداً﴾ الخ الجسد جسم الإنسان والجن والملائكة، ونصبه إما على أنه مفعول ثان للجعل، وإما حال من الضمير، والمعنى: جعلناهم أجساداً تتغذى وتصير إلى الموت بالآخرة لا أجساداً مستغنية عن الأغذية. وهذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها من كون الرسل السابقين بشراً لا ملائكة، مع الرد على قوله: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ [الفرقان: ٧] اهـ أبو السعود.

وعبارة السمين: قوله: ﴿لا يأكلون الطعام﴾ في هذه الجملة وجهان، أظهرهما: أنها في محل نصب نعتاً لجسد، أو جسداً مفرد يراد به الجمع، أو هو على حذف مضاف أي: ذوي جسد غير آكلين الطعام، وهذا رد لقولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، وجعل يجوز أن يكون بمعنى صير فيتعدى لاثنين ثانيهما جسداً، ويجوز أن يكون بمعنى خلق وأنشأ فيتعدى لواحد، فيكون جسداً حالاً بتأويله بمشتق أي: متغذين لأن الجسد لا بد له من الغذاء اهـ.

قوله: ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ أي: فيه وهذا معطوف على ما يفهم من قوله: ﴿وما أرسلنا الخ﴾ كأنه قيل: أوحينا إليهم ما أوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم به في تضاعيف الوحي بإهلاك أعدائهم اهـ أبو السعود.

وصدق يتعدى لاثنين إلى ثانيهما بحرف الجر، وقد يحذف كقوله: صدقتك الحديث، وفي الحديث نحو أمر واستغفر. وقد تقدم في آل عمران اهـ سمين.

قوله: ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن الذي ذكر في صدر السورة إعراضهم عما يأتيهم منه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فيه ذكركم﴾ أي: شرفكم أي هو سبب لتشريفكم من بين العرب لكونه نزل بلغتكم، وعبارة البيضاوي: فيه ذكركم أي: صيتكم اهـ.

وقال الجوهري: الصيت الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس اهـ زكريا.

أي: فيه ما يوجب الثناء عليكم لكونه بلسانكم نازلاً بين أظهركم على لسان رسول منكم واشتهاره سبب لاشتهاركم وجعل ذلك فيه مبالغة في سببيته له اهـ شهاب.

وفي أبي السعود: واللام للقسم أي والله لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش كتاباً عظيم الشأن نير البرهان فيه ذكركم أي: فيه شرفكم وصيتكم قوله تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف: ٤٤] وقيل: ما تحتاجون إليه في أمور دينكم ودنياكم، وقيل: فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم

قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرة ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ﴾ أي شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾ يهربون مسرعين فقالت

الأخلاق، وقيل: فيه موعظتكم وهو الأنسب بسياق النظم الكريم، ومساقه، فإن قوله تعالى: ﴿أفلا تعقلون﴾ إنكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في أمر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة، والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي: ألا يتفكرون فلا تعقلون أن الأمر كذلك، أو لا تعقلون شيئاً من الأشياء التي من جملتها ما ذكر اهـ.

قوله: ﴿وكم قصمنا﴾ كم: خبرية مفعول مقدم لقصمنا، ومن قرية تمييز لها، وكلام الخازن يقتضي أن المراد قرية مخصوصة كانت باليمن، وكذلك كلام الشارح الآتي حيث قال: بأن قتلوا بالسيف، فإن الاستئصال بالعذاب بالسيف لم يحصل إلا لأهل هذه القرية بخلاف قرى قوم لوط وغيرهم، فإنهم أهلكوا بغير السيف كالصيحة والرجفة، وعلى هذا فيكون التكثير باعتبار أفراد تلك القرية، ونص عبارة الخازن. وقيل: نزلت في أهل حضور بوزن شكور قرية كانت باليمن بعث الله إليهم نبياً فقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر فجيَّش عليهم فلما علموا أنهم مدركون خرجوا هاربين، فقالت لهم الملائكة استهزاء: لا تركضوا وارجعوا الخ فرجعوا فقتلهم وسباهم جميعاً، فلما رأوا القتل فيهم أقروا بذنبهم وقالوا: يا ويلنا الخ لكن لم ينفعهم هذا الندم انتهت بنوع تصرف.

وقوله: نبياً هو موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب، وكان قبل موسى بن عمران كما في الكشاف اهـ.

قوله: (أي أهلها) أفاد أنه لا بد من مضاف محذوف بدليل عود الضمير في قوله: ﴿فلما أحسوا﴾، ولا يجوز أن يعود على قوله: ﴿قوماً﴾ لأنه لم يذكر لهم ما يقتضي ذلك اهـ كرخي.

قوله: (أي شعر أهل القرية) بفتح العين إذا كان بمعنى العلم كما هنا بخلافه من الشعر ضد النثر فإنه بضمها من باب ظرف اهـ شيخنا.

وفي المصباح: شعرت بالشيء من باب قعد أي علمت اهـ.

وفيه أيضاً: وشعر بمعنى قال الشعر وتكلم به يأتي من بابي قتل وظرف اهـ.

قوله: ﴿إذا هم منها يركضون﴾ إذا هذه هي الفجائية، وقد تقدم الخلاف فيها مشبعاً، وهم: مبتدأ ويركضون خبره، وتقدم أول هذا الموضوع أن هذه الآية وأمثالها دالة على أن لما ليست ظرفية بل حرف وجوب لوجوب، لأن الظرف لا بد له من عامل ولا عامل هنا لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها، والجواب أنه عمل فيها معنى المفاجأة المدلول عليها بإذا والضمير في منها يعود على قرية، ويجوز أن يعود على بأسنا لأنه في معنى النقمة والبأساء فأنث الضمير حملاً على المعنى، ومن على الأول لابتداء الغاية وللتعليل على الثاني، والركض ضرب الدابة بالرجل. يقال: ركض الدابة يركضها ركضاً اهـ سمين.

لهم الملائكة استهزاء ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ﴾ نعمتم ﴿فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ شيئاً من دنياكم على العادة ﴿قَالُوا﴾ للتنبيه ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ بالكفر ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ الكلمات ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ أي كالزرع المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف ﴿خَامِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ ميتين كخمود النار إذا طفئت ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يلهى به

قوله: (يهربو) يعني أن الركض كناية عن الهرب، وركض من باب قتل بمعنى ضرب الدابة برجله اهـ شهاب.

ومنه قوله تعالى: ﴿اركض برجلك﴾ [ص: ٤٢] وهرب من باب طلب اهـ.

قوله: ﴿ومساكنكم﴾ بالجر عطفاً على ما اهـ شيخنا.

قوله: (شيئاً من دنياكم الخ) نسبوهم إلى السخاء وأنهم كانوا يعطون السائل فقالوا لهم: ارجعوا لتنتفع الفقراء من نوالكم وعطاياكم، وهذا كله توبيخ وتهكم بهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فما زالت﴾ زال: فعل ماض ناقص والتاء علامة التأنيث، وتلك اسم إشارة اسمها في محل رفع، ودعواهم خبرها منصوب بفتحة مقدرة على الألف، والمراد بالكلمات هي قولهم: يا ويلهم إنا كنا ظالمين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حصيداً﴾ فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد وغيره اهـ شيخنا.

وحصد يأتي من باب ضرب ونصر اهـ.

قوله: (بالمناجل) جمع منجل بكسر الميم وفتح الجيم اهـ شيخنا.

قوله: (كخمود النار) يقال: خمدت النار وهمدت كل منهما من باب دخل، لكن الأول عبارة عن سكون لهبها مع بقاء الجمر، والثاني: عبارة عن ذهابها بالكلية حتى تصير رماداً، فقوله: إذا أطفئت المراد به إذا سكن لهبها اهـ شيخنا.

لكن الأحسن أن يكون المراد بالخمود هنا الهمود فإنه أبلغ معنى اهـ.

وفي المصباح: وطفئت النار تطفأ بالهمزة من باب تعب طفوءاً على فعول خمدت وأطفأتها اهـ.

قوله: ﴿لاعبين﴾ هذا هو محط النفي وهو حال من فاعل خلقنا اهـ سمين.

قوله: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ جواب لو هو قوله: ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ ويستثنى نقيض التالي لينتج نقيض المقدم، وقوله: ﴿إن كنا فاعلين﴾ إن فيه شرطية جوابها محذوف تقديره أردناه، وأشار الشارح بقوله لكنه لم نفعله إلى استثناء نقيض التالي لينتج نقيض المقدم كما ذكره بقوله: لم نرده اهـ شيخنا.

قوله: (ما يلهى به) في المصباح: اللهو معروف تقول أهل نجد: لهوت عنه ألهو لهياً، والأصل لهوى على فعول من باب قعد، وأهل العالية لهيت عنه ألهى من باب تعب ومعناه السلوان والترك،

من زوجة أو ولد ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا من الحور العين والملائكة ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧﴾ ذلك لكنا لم نفعله فلم نرده ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ﴾ نرمي ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ الإيمان ﴿عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾ الكفر ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ يذهبه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ ذاهب، ودمغه في الأصل أصاب دماغه بالضرب، وهو مقتل ﴿وَلَكُمُ﴾ يا كفار مكة ﴿ٱلۡوَيۡلُ﴾ العذاب الشديد ﴿مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾ الله به من الزوجة أو الولد ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكاً ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ أي الملائكة مبتدأ خبره ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾ لا يعيون ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ عنه فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا

وألهوت به لهواً من باب قتل أولعت به وتلهيت به أيضاً. قال الطرطوشي: وأصل اللهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة، وألهاني الشيء بالألف شغلني اهـ.

قوله: (من عندنا) أي: لا من عندكم من أهل الأرض اهـ خازن.

قوله: ﴿فاعلين﴾ (ذلك) أي: اتخاذ اللهو اهـ.

قوله: (فلم نرده) أشار به إلى أن إن شرطية وجوابها محذوف يدل عليه جواب لو وعليه يجوز أن تكون نافية أي ما كنا فاعلين، وفي كلامه إشارة إلى أن المستحيل لا يدخل تحت القدرة، واستحالة التلهي على الله تعالى كاستحالة الولد والزوجة بلا فراق اهـ كرخي.

قوله: ﴿بل نقذف بالحق﴾ الخ جواب عن اتخاذ اللهو بل عن إرادته كأنه قيل: لنا لا نريده بل شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فيدمغه﴾ بابه قطع اهـ.

قوله: ﴿مما تصفون﴾ متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر أي: استقر لكم الويل من أجل ما تصفون الله به مما لا يليق بعزته فمن تعليلية، وهذا وجه وجيه، وما في مما تصفون يجوز أن تكون مصدرية فلا عائد لها عند الجمهور، وأن تكون بمعنى الذي أو نكرة موصوفة ولا بد من العائد عند الجميع حذف لاستكمال الشروط، والمعنى ما ذكره الشيخ المصنف اهـ كرخي.

قوله: ﴿وله في السموات والأرض﴾ استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته اهـ أبو السعود.

قوله: (أي الملائكة) وعبر عنهم بالعندية أثر التعبير عنهم بالكون في السموات تنزيلاً لهم لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا يستكبرون﴾ فيه مراعاة معنى من. قوله: ﴿ولا يستحسرون﴾ أي: لا يكلون ولا يتعبون. يقال: استحسر البعير أي: كلَّ وتعب، ويقال: حسر البعير وحسرته أنا فيكون لازماً ومتعدياً وأحسرته أيضاً فيكون فعل وأفعل بمعنى واحد. وقال الزمخشري: والاستحسار مبالغة في الحسور، فكان الأبلغ في حقهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور. قلت: في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه اهـ سمين.

قوله: ﴿يسبحون الليل﴾ الخ استئناف وقع جواباً عما نشأ مما قبله كأنه قيل: ماذا يصنعون في

عنه شاغل ﴿ أَمِ ﴾ بمعنى بل للانتقال وهمزة الإنكار ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً ﴾ كائنة ﴿ مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿ هُمْ ﴾ أي الآلهة ﴿ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي يحيون الموتى لا ولا يكون إلهاً إلا من يحيي الموتى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ﴾ أي السموات والأرض ﴿ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي غيره ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾ خرجتا عن

عبادتهم وكيف يعبدون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا يفترون﴾ (عنه) أي التسبيح. قوله: (فهو) أي: التسبيح منهم كالنفس منا أي ضروري فيهم سجية وطبيعة، وغرضهم بهذا الجواب عما أورد على قوله: ﴿لا يفترون﴾ عنه من أن بعضهم وهم الرسل قد يشتغلون بنزول الأرض وتبليغ الأحكام، وبعضهم قد يشتغل بلعن بعض الكفرة كما في قوله: ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ [البقرة: ١٦١] اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (فهو منهم كالنفس منا) جواب عما قيل إن قوله: ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾ [فاطر: ١]، وقوله: ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة﴾ [البقرة: ١٦١] يقتضي أن تكون الرسالة والاشتغال باللعن لهم من التسبيح. وإيضاح الجواب: أن التسبيح لهم كالتنفس لنا فكما أن اشتغالنا بالتنفس لا يمنعنا الكلام، فكذلك اشتغالهم بالتسبيح لا يمنعهم من سائر الأعمال، فإن قيل: هذا القياس غير صحيح لأن الاشتغال بالتنفس إنما لم يمنع من الكلام لأن آلة التنفس غير آلة الكلام، وأما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال. فالجواب: أي استبعاد في أن يخلق الله تعالى لهم ألسنة كثيرة بعضها يسبحون الله تعالى به، وبعضها يلعنون أعداء الله به اهـ.

قوله: (وهمزة الإنكار) أي والإنكار والتشنيع راجع في الحقيقة لقوله: ﴿هم ينشرون﴾ لا لنفس الاتخاذ لأنه واقع لا محالة اهـ أبو السعود.

قوله: (كائنة) ﴿من الأرض﴾ أشار إلى أن من الأرض صفة لكنها ليست للتخصيص لأنهم اتخذوا آلهة في السماء وهي الملائكة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هم ينشرون﴾ هذه الجملة إما مستأنفة أو صفة لآلهة، فعلى الاحتمال الأول يقدر معها همزة الاستفهام الإنكاري كما قدرها الشارح على ما في بعض النسخ، وعلى الاحتمال الثاني لا تقدر معها الهمزة على ما في بعض آخر من النسخ، بل يكون إنكارها مستفاداً من الهمزة التي في ضمن أم فتكون نفياً للاتخاذ ولصفة الألهة، وهي الجملة المذكورة، ومعنى نفي الاتخاذ مع أنه قد وقع نفي لياقته وانبغائه تأمل. قوله أيضاً: ﴿هم ينشرون﴾ لم يدعوا الآلهتهم أنها تنشر الموتى أي: تحييهم من القبور حتى يرد عليهم فيه، لكنه حيث ادعوا ألوهيتها لزمهم ادعاء ما ذكر لها فقد ادعوا ما ذكر ضمناً والتزاماً اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: نشر الموتى نشوراً من باب قعد حيوا ونشرهم الله يتعدى ولا يتعدى ويتعدى بالهمزة أيضاً فيقال: أنشرهم الله ونشرت الأرض نشوراً حييت وأنبتت اهـ.

قوله: ﴿آلهة﴾ الجمع ليس قيداً، وإنما عبر به مشاكلة لقوله أم اتخذوا آلهة، وكذلك قوله فيهما ليس قيداً، وإنما عبر به لأن هذا دليل إقناعي بحسب ما يفهمه المخاطب وبحسب ما فرط منهم، وهم

نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ تنزيه ﴿ٱللَّهِ رَبِّ﴾ خالق ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي الكفار الله به من الشريك له وغيره ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ عن أفعالهم ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن

إنما اتخذوا آلهة في الأرض والسماء لا فيما وراءهما كالملائكة الحافين حول العرش، وإلا اسم بمعنى غير صفة ظهر إعرابها على ما بعدها، ولا يصح أن تكون استثنائية لأن مفهوم الاستثناء هنا فاسد، إذ حاصله أنه: ﴿لو كان فيهما آلهة﴾ لم يستثن الله منهم لم تفسدا وليس كذلك، بل متى تعدد الإله لزم الفساد مطلقاً اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: أي غيره أشار به إلى أن إلا صفة للنكرة قبلها بمعنى غير، والإعراب فيها متعذر فجعل على ما بعدها. وللوصف بها شروط، منها تنكير الموصوف أو قربه من النكرة بأن يكون معرفاً بأل الجنسية، ومنها: أن يكون جمعاً صريحاً كالآية أو ما في قوة الجمع، ومنها: أن لا يحذف موصوفها عكس غير وقد وقع الوصف بإلاَّ كما وقع الاستثناء بغير، والأصل في إلا الاستثناء وفي غير الصفة، ولا يجوز أن ترتفع الجلالة على البدل من آلهة الفساد المعنى اهـ.

قوله: (لوجود التمانع) وذلك لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام ويدل العقل على ذلك، وذلك أنا لو قدرنا إلهين لكان أحدهما إذا انفرد صح منه تحريك الجسم، وإذا انفرد الثاني صح منه تسكينه، فإذا اجتمعا وجب أن يبقيا على ما كانا عليه حال الانفراد، فعند الاجتماع يصح أن يحاول أحدهما التحريك والآخر التسكين، فإما أن يحصل المرادان وهو محال، وإما أن يمتنعا وهو أيضاً محال لأنه يكون كل واحد منهما عاجزاً، فثبت أن القول بوجود إلهين يوجب الفساد فكان القول به باطلاً اهـ كرخي.

قوله: (من التمانع في الشيء الخ) بيان للعادة. قوله: (الكرسي) لا حاجة لهذا بل الأولى إبقاء العرش على ظاهره، لأن التحقيق أنه جسم مغاير للكرسي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا يسأل عما يفعل﴾ استئناف مقرر لبيان قوة عظمته تعالى وعزة سلطانه القاهرة بحيث لا أحد من مخلوقاته ينافسه ويسأله عما يفعله اهـ أبو السعود.

أي: لا يسأل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه وهم يسألون، والناس يسألون أي: عن أعمالهم، والمعنى أنه لا يسأل عما يحكم في عباده من إعزاز وإذلال وهدى وإضلال وإسعاد وإشقاء، لأنه الرب المالك للأعناق. والخلق يسألون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة: لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم، والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعله لم فعلته اهـ خازن.

وبيَّن بهذا أن من يسأل غداً من أعماله كالمسيح والملائكة لا يصلح للإلهية اهـ قرطبي.

قوله: ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ إضراب وانتقال من إظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة لا يصلح للألوهية لخلوها عن خصائصها إلى إظهار اتخاذهم تلك الآلهة مع خلوها عن تلك الخصائص بالمرة، والهمزة لإنكار الاتخاذ المذكور واستقباحه اهـ أبو السعود.

دُونِهِۦٓ﴾ تعالى أي سواه ﴿ءَالِهَةً﴾ فيه استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ذلك ولا سبيل إليه ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي أمتي وهو القرآن ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً مما قالوا تعالى عن ذلك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أي توحيد الله ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ عن النظر الموصل إليه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ أي وحدوني ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ

وفي البيضاوي: كرره استعظاماً لكفرهم، واستفظاعاً لأمرهم، وتبكيتاً وإظهاراً لجهلهم اهـ.

قوله: (فيه استفهام توبيخ) أي: من حيث إن أم بمعنى الهمزة وسكت عن كونها بمعنى بل هنا، ولا وجه لسكوته بل هي مثل التي تقدمت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿برهانكم على ذلك﴾ أي: الاتخاذ، وقوله: (ولا سبيل إليه) أي: البرهان لا من جهة العقل ولا من جهة النقل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هذا ذكر من معي﴾ أي: الذي يذكرهم العواقب أو الذي يذكرون الله به، وكذا يقال فيما بعده اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: هذا ذكر من معي أي: عظتهم ومتمسكهم على التوحيد فأقيموا أنتم برهانكم على التعدد اهـ.

وهذا: اسم إشارة مبتدأ به أشار للكتب السماوية وقد أخبر عنه بخبرين. فبالنظر للخبر الأول يراد به القرآن وبالنظر للخبر الثاني يراد به ما عداه من الكتب السماوية، فقول الشارح وهو القرآن تفسير لاسم الإشارة من حيث الخبر الأول، وقوله: (وهو التوراة الخ) تفسير له من حيث الخبر الثاني تأمل.

قوله: (ليس في واحد منها الخ) أي: فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لإثبات نقيض مدعاهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ إضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الأمر بتبكيتهم بمطالبة البرهان إلى بيان أنه لا تنفع فيهم المحاجة، فإن أكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل اهـ أبو السعود.

قوله: (الموصل إليه) أي: إلى الحق.

قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ الخ استئناف مقرر لما أجمل قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الإلهية واجتمعت عليه الرسل اهـ أبو السعود.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية بالنون.

قوله: ﴿وقالوا اتخذ من الرحمن ولداً﴾ حكاية لجناية فرق من العرب وهم خزاعة وجهينة وبنو سلمة وبنو مليح قالوا: الملائكة بنات الله اهـ أبو السعود.

﴿وَلَدًا﴾ من الملائكة ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۝٢٦﴾ عنده والعبودية تنافي الولادة ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ أي بعده ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ تعالى أن يشفع له ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ﴾ تعالى ﴿مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ أي خائفون ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ﴾ أي الله أي غيره وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝٢٩﴾ أي المشركين ﴿أَوَلَمْ﴾ بواو وتركها ﴿يَرَ﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ

قوله: ﴿بل عباد مكرمون﴾ وصفهم بصفات سبعة، الأولى: مكرمون، والأخيرة: ومن يقل منهم الخ. فهذه الضمائر كلها للملائكة اهـ شيخنا.

قوله: (والعبودية تنافي الولادة) هذا إما بحسب المعتاد الذي لا يتخلف عند العرب من كون عبد الإنسان لا يكون ولده، وإما بحسب قواعد الشرع من أن الإنسان إذا ملك ولده عتق عليه، والأول في تقرير المنافاة أظهر إذ الكلام مع جهال العرب وهم لا يعرفون قواعد الشرع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ الخ استئناف وقع تعليلاً لما قبله وتمهيداً لما بعده، فإنهم لعلمهم بإحاطته تعالى بما قدموا وما أخروا من الأقوال والأعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم، فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ أصل الخشية خوف مع تعظيم، ولذلك خص بها العلماء والإشفاق خوف مع اعتناء، فإن عدى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر، وإن عدى بعلى فبالعكس اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ومن يقل منهم﴾ أي: من الملائكة، إذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل عما قالوا في حقهم اهـ أبو السعود.

والقول المذكور على سبيل الفرض والتقدير، إذ لم يقع من واحد من الملائكة أنه قال ما ذكر، أو على سبيل التحقيق إن جعل القائل هو إبليس كما جرى عليه الشارح وكونه من الملائكة باعتبار أنه كان مغموراً فيهم، وقيل: الضمير للخلائق مطلقاً اهـ شيخنا.

قوله: (وهو إبليس) في كون إبليس من الملائكة نظر، وكأنه نسب إليهم باعتبار كونه كان بينهم أولاً وكان مشاركاً لهم في العبادة بل كان أعبد منهم، وكونه قال: إني إله من دون الله إنما هو على سبيل التسمح والتجوز، إذ هو معترف بالعبودية وآيس من رحمة الله، وقوله: (دعا إلى عبادة نفسه) فيه نظر أيضاً وإنما دعا إلى عبادة الأصنام وحمل الخلق عليها، وقوله: (وأمر بطاعتها) أي سوّل للنفوس ووسوس لها ما يأمر به الخلائق من المعاصي والكفريات. هذا هو المراد تأمل اهـ.

قوله: ﴿فذلك نجزيه جهنم﴾ ذلك: في محل رفع مبتدأ ونجزيه خبره، والجملة في محل جزم جواب الشرط اهـ كرخي.

قوله: ﴿أولم ير الذين كفروا﴾ الخ حاصل ما ذكر من هنا إلى يسبحون ستة أدلة على التوحيد،

﴿وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ أي سداً بمعنى مسدودة ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ أي جعلنا السماء سبعاً والأرض سبعاً

وقوله: (بواو وتركها) قراءتان سبعيتان، وهذا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالألوهية، وكون جميع ما سواه مقهور تحت ملكوته، والهمزة للإنكار، والواو للعطف على مقدر، والرؤية قلبية أي: ألم يتفكروا ولم يعلموا أن السموات الخ اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: والكفرة وإن لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظراً فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر واجب ابتداء أو بواسطة أو استفساراً من العلماء ومطالعة الكتب اهـ.

وقوله: والكفرة وإن لم يعلموا ذلك الخ جواب عن سؤال وهو أنه كيف يستفهم منهم على سبيل التقرير وهم لم يعلموا ذلك؟ فأجاب: بأنهم لما كانوا عقلاء متمكنين من علم ذلك نزل تمكنهم وما هو بالقوة فيهم منزلة ما هو محقق بالفعل اهـ شهاب.

وقال الكازروني: في هذا نظر، إذ تمكنهم من العلم الحاصل بالنظر بأن السموات والأرض كانتا رتقاً ثم فتقتا ممنوع، وأما قوله: فإن الفتق عارض الخ ففيه أن انفصالهما لا يدل على عروض الفتق بعدما كانتا رتقاً لم لا يجوز أن يكونا مخلوقين منفصلين بلا رتق وفتق، فإن استدل عليهما بأن القرآن نص عليهما فنقول: هذا كاف في إثباتهما ولا حاجة إلى الدليل العقلي المذكور اهـ.

قوله: ﴿كانتا رتقاً﴾ في الإخبار به ما قيل في زيد عدل اهـ شيخنا.

روي عن ابن عباس أن المعنى كانتا شيئاً واحداً ملتزقاً إحداهما بالأخرى، ففصل الله بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض كما هي اهـ زاده.

وفي الخازن: وقيل: كانت السموات مرتفعة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض اهـ.

وفي القرطبي: قال ابن عباس، والحسن، وعطاء، والضحاك، وقتادة: يعني أنهما كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء، وكذلك قال كعب: خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً توسطتها ففتقها بها وجعل السموات سبعاً والأرضين سبعاً، وقول ثان قاله مجاهد، والسدي، وأبو صالح: كانت السموات مؤتلفة طبقة واحدة ففتحها وجعلها سبعاً وكذلك الأرض فجعلها سبعاً. وحكاه القتيبي في عيون الأخبار له عن إسماعيل بن أبي خالد قال في قول الله عز وجل ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ قال: كانت السماء مخلوقة وحدها والأرض مخلوقة وحدها، ففتق من هذه سبع سموات ومن هذه سبع أرضين. خلق الأرض العليا فجعل سكانها الجن والإنس وشق فيها الأنهار وأنبت فيها الثمار وجعل فيها البحار عرضها خمسمائة عام، ثم خلق الثانية مثلها في العرض والغلظ وجعل فيها أقواماً أفواهم كأفواه الكلاب وأيديهم أيدي الناس وآذانهم آذان البقر وشعورهم شعور غنم، فإذا كان عند اقتراب الساعة ألقتهم الأرض إلى يأجوج ومأجوج، ثم خلق الأرض الثالثة غلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها هواء إلى الأرض الرابعة، ثم خلق الرابعة وخلق فيها ظلمة وعقارب لأهل النار مثل البغال السود ولها أذناب مثل أذناب الخيل في الطول يأكل بعضها بعضاً فتسلط على بني آدم، ثم خلق الله الخامسة مثلها في الغلظ

أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ نبات وغيره أي فالماء سبب لحياته ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بتوحيدي ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك

والطول والعرض فيها سلاسل وأغلال وقيود لأهل النار، ثم خلق الله السادسة فيها حجارة سود، ومنها خلقت تربة آدم عليه السلام تبعث تلك الحجارة يوم القيامة وكل حجر منها كالطود العظيم وهي من كبريت تعلق في أعناق الكفار فتشتعل حتى تحرق وجوههم وأيديهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ [البقرة: ٢٤] ثم خلق الله الأرض السابعة وفيها جهنم فيها بابان اسم الواحد سجين واسم الآخر الفلق، فأما سجين فهو مفتوح وهو كتاب الكفار، وعليه يعرض أصحاب المائدة وقوم فرعون، وأما الفلق فهو مغلق لا يفتح إلى يوم القيامة اهـ.

وقد أطال الكلام في ذلك في سورة الطلاق. وفي المختار: الرتق ضد الفتق وقد رتقت الفتق من باب نصر سددته فارتتق أي التأم، ومنه قوله تعالى: ﴿كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ والرتق: بفتحتين مصدر قولك: امرأة رتقاء أي لا يستطاع جماعها لارتتاق ذلك الموضع منها اهـ.

وفيه أيضاً: فتق الشيء شقه وبابه نصر وفتقه تفتيقاً مثله فانفتق اهـ.

قوله: ﴿كانتا رتقاً﴾ الضمير يعود على السموات والأرض بلفظ التثنية والمتقدم جمع. وفي ذلك أوجه، **أحدها:** ما ذكره الزمخشري فقال: وإنما قال كانتا دون كن، لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرضين. **والثاني:** قال أبو البقاء: الضمير يعود على الجنسين. **الثالث:** قال الحوفي: إنما قال كانتا رتقاً والسموات جمع لأنه أراد الصنفين، ورتقاً خبر ولم يثن لأنه في الأصل مصدر ثم لك أن تجعله قائماً مقام المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، أو تجعله على حذف مضاف أي: ذواتي رتق، والفتق فصل ذلك المرتتق وهو من أحسن البديع هنا حيث قابل الرتق بالفتق اهـ سمين.

قوله: (أن كانت) بفتح الهمزة أي: كونها لا تمطر فامطرت، ومحل الفائدة في **قوله:** (فامطرت) فكأنه قال: افتتاقها إمطارها بعد أن كانت لا تمطر وكذا يقال فيما بعده. **قوله:** ﴿من الماء﴾ مفعول ثان مقدم، وكل شيء مفعول أول مؤخر أي: وجعلنا كل شيء حي كائناً وناشئاً من الماء متسبباً عنه اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: **قوله:** ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ يجوز في جعل أن يكون بمعنى خلق فيتعدى لواحد وهو كل شيء حي، ومن الماء متعلق بالفعل قبله، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من كل شيء لأنه في الأصل يجوز أن يكون وصفاً له، فلما قدم عليه نصب على الحال. ومعنى خلقه من الماء أحد شيئين: إما شدة احتياج كل حيوان للماء فلا يعيش بدونه، وإما لأنه مخلوق من النطفة التي تسمى ماء، ويجوز أن يكون جعل بمعنى صير فيتعدى لاثنين ثانيهما الجار والمجرور بمعنى: أنا صيرنا كل شيء حي من الماء بسبب أن الماء لا بد منه له اهـ.

قوله: ﴿رواسي﴾ جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ اهـ أبو السعود.

وفي المختار: والرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ واحدتها راسية اهـ.

﴿بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي الرواسي ﴿فِجَاجًا﴾ مسالك ﴿سُبُلًا﴾ بدل أي طرقاً نافذة واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ للأرض كالسقف للبيت ﴿مَحْفُوظًا﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ تنويه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم ﴿فِي فَلَكٍ﴾ أي مستدير كالطاحونة في السماء

وفي المصباح: رسا الشيء يرسو رسواً ورسواً ثبت فهو راس، وجبال راسية وراسيات ورواس اهـ.

قوله: ﴿أن تميد بهم﴾ في المصباح: ماد يميد ميداً من باب باع، وميداناً بفتح الياء تحرك.

قوله: (أي الرواسي) جعل الضمير عائداً عليها وعليه، فمعنى جعلنا فيها جعلنا بينها، ويحتمل عوده على الأرض. وفي السمين: والضمير في فيها يجوز أن يعود على الأرض وهو الظاهر لقوله: ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾ [نوح: ١٩] وأن يعود على الرواسي يعني: أنه جعل في الجبال طرقاً واسعة اهـ.

قوله: ﴿فجاجاً﴾ في المختار: الفج بالفتح الطريق الواسع بين الجبلين والجمع فجاج بالكسر، مثل: سهم وسهام، والفج بالكسر البطيخ الشامي، وكل شيء من البطيخ والفواكه لم ينضج فهو فج بالكسر اهـ.

قال الزمخشري: فإن قلت: في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل، ولم تؤخر كقوله تعالى: ﴿لتسكلوا منها سبلاً فجاجاً﴾ [نوح: ١٩] قلت: لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالاً اهـ سمين.

قوله: ﴿محفوظاً﴾ (عن الوقوع) أو محفوظاً عن الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وهم عن آياتها﴾ أي: الآيات الكائنة فيها الدالة على وجود الصانع ووحدته وتناهي قدرته وكمال حكمته اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وهو الذي خلق الليل﴾ فيه التفات. قوله: (من الشمس الخ) بيان للمضاف إليه. قوله: (وتابعه) أي: القمر. والمراد بتابعه المعطوف المحذوف، وأشار بهذا إلى تصحيح التعبير عنهما بضمير الجمع، وقوله: (وللتشبيه الخ) أشار به إلى تصحيح التعبير بضمير العقلاء. وعبارة السمين: ويعتذر عن الإتيان بضمير الجمع وعن كونه جمع من يعقل. أما الأول فقيل: إنما جمع لأن ثم معطوفاً محذوفاً تقديره والنجوم كما دلت عليه الآيات الأخر، وأما الثاني: فلأنه لما أسند إليه السباحة التي هي من أفعال العقلاء جمع جمع العقلاء كقوله: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف: ٤] ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] اهـ.

قوله: ﴿في فلك﴾ متعلق بيسبحون الواقع خبراً عن كل. قوله: (أي مستدير كالطاحونة الخ)

﴿يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾ يسيرون بسرعة كالسابح في الماء وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل، ونزل لما قال الكفار إن محمداً سيموت ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ أي البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾ فيها؟ لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ نختبركم ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ كفقر وغنى وسقم وصحة ﴿فِتْنَةً﴾ مفعول

عبارة الخازن: وقيل: والفلك طاحونة مستديرة كهيئة فلك المغزل بمعنى أن الذي تجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى، وقيل: الفلك السماء الذي في ذلك الكوكب وكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه اهـ.

وفي الرازي: المسألة الثالثة الفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك واختلف العقلاء فيه فقال بعضهم: الفلك ليس بجسم وإنما هو استدارة هذه النجوم، وقال الأكثرون: الأفلاك أجسام تدور النجوم عليها، وهذا أقرب إلى ظاهر القرآن. ثم اختلفوا في كيفيته فقال بعضهم: الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه، وقال الكلبي: ماء مكفوف تجري فيه الكواكب واحتج بأن السباحة لا تكون إلا في الماء قلنا: لا نسلم ذلك، فإنه يقال في الفرس الذي يمد يديه في الجري سابح. المسألة الرابعة: اختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة: فإنه إما أن يكون الفلك ساكناً والكواكب تتحرك فيه كحركة السمك في الماء الراكد، وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب تتحرك فيه أيضاً إما مخالفة لجهة حركته أو موافقة لجهتها إما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء أو مخالفة، وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب ساكنة. والذي يدل عليه لفظ القرآن القسم الأول، وهو أن تكون الأفلاك ساكنة والكواكب جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء الراكد اهـ.

قوله: (ونزل لما قال الكفار) أي: على سبيل الشماتة به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ أي: لكونه مخالفاً للحكمة التكوينية والتشريعية اهـ أبو السعود.

قوله: (فالجملة الأخيرة الخ) أي: فالهمزة مقدمة من تأخير وأصل الكلام أفهم الخالدون وإن مت وإنما قدم للصدارة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كل نفس﴾ أي: مخلوقة فلا يرد الباري تعالى، وقوله: ﴿ذائقة الموت﴾ أي مرارة مفارقة جسدها اهـ شيخنا.

وهذا دليل على ما أنكر من خلودهم اهـ أبو السعود.

قوله: (نختبركم) أي: نعاملكم معاملة المختبر وإلاّ فالله تعالى لا يخفى عليه شيء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فتنة﴾ في نصبه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مفعول من أجله. الثاني: أنه مصدر في موضع الحال أي: فاتنين لكم. الثالث: أنه مصدر من معنى العامل لا من لفظه، لأن الابتلاء فتنة فكأنه قيل نفتنكم فتنة اهـ سمين.

له أي لننظر أتصبرون وتشكرون أو لا ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فنجازيكم ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي مهزوءاً به يقولون ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي يعيبها ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لهم ﴿هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ به إذ قالوا ما نعرفه، ونزل في استعجالهم العذاب ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي إنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه

قوله: (أتصبرون) راجع للشر، وقوله: (وتشكرون) راجع للخير اهـ.

قوله: ﴿إلينا ترجعون﴾ أي: إلينا لا إلى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً، فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال، وفيه إشارة إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ أي الكافرون، وهذا معطوف على قوله: فيما سبق وأسروا النجوى اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن يتخذونك﴾ جواب إذا. وعبارة السمين: إن هنا نافية وهي وما في حيزها جواب الشرط وهو إذا وإذا مخالفة لأدوات الشرط في ذلك، فإن أدوات الشرط متى أجيبت بإن النافية أو بما النافية وجب الإتيان بالفاء تقول: إن أتيتني فإن أهنتك أو فما أهنتك بخلاف إذا، فتقول: إذا أتيتني ما أهنتك بغير فاء يدل لهذا قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ [سبأ: ٤٣] ما كان حجتهم إلا أن قالوا واتخذ هنا متعد لاثنين وهزؤاً هو الثاني إما على حذف مضاف، وإما على الوصف بالمصدر مبالغة، وإما على وقوعه موقع اسم المفعول. وفي جواب إذا قولان، أحدهما: أنه إن النافية وقد تقدم ذلك. والثاني: أنه محذوف وهو القول الذي قد حكى به الجملة الاستفهامية في قوله: ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾، إذ التقدير: وإذا رآك الذين كفروا يقولون أهذا الذي، وتكون الجملة المنفية معترضة بين الشرط وبين جوابه المقرر اهـ.

قوله: (يقولون) ﴿أهذا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض في حال الهزء والسخرية أهذا الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ هم الأولى: مبتدأ أخبر عنه بكافرون وبذكر متعلق بالخبر، والتقدير: وهم كافرون بذكر الرحمن. وهم الثاني: تأكيد للأول تأكيداً لفظياً فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول. وفي هذه الجملة قولان، أحدهما: أنها في محل نصب على الحال من فاعل القول المقدر أي: يقولون ذلك وهم على هذه الحال. والثاني: أنها حال من فاعل يتخذونك وإليه نحا الزمخشري اهـ سمين.

وفي تقدير الشارح لهم إشارة إلى أن ذكر مصدر مضاف لفاعله ويراد بالذكر إرشاده تعالى لهم ببعث الرسل وإنزال الكتب، ويصح أن يكون مضافاً لمفعوله أي: ذكرهم الرحمن بالتوحيد كما في البيضاوي اهـ.

قوله: (إذ قالوا ما نعرفه) أي: الرحمن، وعبارة الخازن: وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب اهـ.

قوله: ﴿من عجل﴾ في المختار العجل والعجلة ضد البطء، وقد عجل من باب طرب اهـ.

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ فيه فأراهم القتل ببدر ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالقيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ فيه، قال تعالى ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا

وقوله: (أي أنه لكثرة الخ) أشار به إلى أن فيه استعارة بالكناية، فشبه العجل الذي طبع الشخص عليه وصار له كالجبلة بالمادة وهي الطين تشبيهاً مضمراً في النفس، ورمز إليه بشيء من لوازم المشبه به، وهو قوله: ﴿خلق﴾، وقول الشارح: أي لكثرة الخ أشار به إلى وجه الشبه اهـ شيخنا.

والمعنى: أن الإنسان من حيث هو مطبوع على العجلة فيستعجل كثيراً من الأشياء وإن كانت تضره. وفي السمين: قوله: ﴿من عجل﴾ فيه قولان.

أحدهما: أنه من باب القلب، والأصل خلق العجل من الإنسان لشدة صدوره منه وملازمته له، وإلى هذا ذهب أبو عمرو، وقد يتأيد هذا بقراءة عبد الله خلق العجل من الإنسان والقلب موجود في كلامهم كثيراً.

والثاني: أنه لا قلب فيه وفيه تأويلات، أحسنها أن ذلك على المبالغة جعلت ذات الإنسان كأنها خلقت من نفس العجلة دلالة على شدة اتصاف الإنسان بها، وأنها مادته التي أخذ منها اهـ.

قوله: (مواعيدي بالعذاب) المواعيد: جمع وعيد، والمراد متعلقاتها وهي المتوعد به من أنواع العذاب، وعبارة البيضاوي: سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر، وفي الآخرة عذاب النار اهـ.

قوله: ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ هذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء، فبيَّن تعالى أنهم يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم، ثم بين ما يحصل لهؤلاء المستهزئين فقال: لو يعلم الخ اهـ أبو السعود.

ومتى: خبر مقدم فهي في محل رفع، وزعم بعض أهل الكوفة أنها في محل نصب على الظرف والعامل فيها مقدر رافع هذا، والتقدير: متى يجيء هذا الوعد أو متى يأتي ونحوه والأول هو المشهور اهـ سمين.

قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ خطاب للنبي وأصحابه. قوله: (قال تعالى): أي: بياناً لسبب قولهم هذا، وعبارة أبي السعود: لو يعلم الذين كفروا استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وإيثار صيغة المضارع والشرط، وإن كان المعنى على المضي لإفادة استمرار عدم العلم اهـ.

قوله: ﴿لو يعلم الذين كفروا﴾ جواب لو محذوف لأنه أبلغ في الوعيد، فقدره الزمخشري لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم هو الذي هونه عندهم، وقدره ابن عطية لما استعجلوا، وقدره الحوفي لسارعوا، وقدره غيرهم لعلموا صحة البعث. وحين: مفعول به لعلموا وليس منصوباً على الظرف أي: لو يعلمون وقت عدم كف النار، وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون يعلم متروكاً بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين، وحين منصوب بمضمر أي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون أنهم كانوا على الباطل، وعلى هذا فحين منصوب على الظرف أنه جعل مفعول العلم أنهم كانوا، وقال الشيخ: والظاهر أن مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعد الذي سألوا عنه واستبطؤوه، وحين منصوب

يَكُفُّونَ﴾ يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ يمنعون منها في القيامة وجواب لو ما قالوا ذلك ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تحيرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ يحفظكم ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ من عذابه

بالمفعول الذي هو مجيء، ويجوز أن يكون من باب الإعمال على حذف مضاف وأعمل الثاني، والمعنى: لو يعلمون مباشرة النار حين لا يكفونها عن وجوههم اهـ سمين.

قوله: ﴿ولا عن ظهورهم﴾ هذا كناية عن إحاطة النار بهم من كل جانب اهـ أبو السعود.

قوله: (ما قالوا ذلك) أي متى هذا الوعد.

قوله: ﴿بل تأتيهم بغتة﴾ إضراب انتقالي حكى الله عنهم أنهم يستعجلون العذاب الموعود بقوله ويقولون: متى هذا الوعد. وبيّن أن سبب ذلك الاستعجال هو عدم علمهم بهول وقت وقوعه وما فيه من العذاب الشديد، ثم أضرب وانتقل من بيان السبب إلى بيان كيفية وقوع الموعود فقال: بل تأتيهم بغتة، ولما كان استعجالهم ذلك بطريق الاستهزاء وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى من ذلك نزل قوله: ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ اهـ زاده.

قوله: ﴿فتبهتهم﴾ في المصباح: بهت وبهت من بابي قرب وتعب دهش وتحير ويعدى بالحركة فيقال: بهته يبهته بفتحتين اهـ.

قوله: ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ أي: دفعها. قوله: (وهو العذاب) الضمير راجع لها.

قوله: ﴿قل﴾ (لهم) أي: للمستهزئين من يكلؤكم الخ أي: لما بين أنهم سيصيبهم لا محالة مثل ما أصاب الأولين بين أن عدم إصابة ذلك لهم عاجلاً إنما هو لحفظه حيث أمهلهم مدة بمقتضى رحمته العامة، فأمره عليه الصلاة والسلام بأن يسألهم عن الكالىء ليقروا وينتبهوا لكونهم في قبضة قدرته ليكفوا عن الاستهزاء، ثم اضرب عن ذلك الأمر، بقوله: ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ أي: دعهم يا محمد عن هذا السؤال لأنهم لا يصلحون لإعراضهم عن ذكر الله، فلا يخطرونه ببالهم حتى يخوفوا بالله، ثم إذا رزقوا الكلاءة من عذابه عرفوا أن الحافظ هو الله وصلحوا للسؤال عنه، ثم أضرب إلى ما هو أهم وهو الإنكار عليهم فيما زعموا أن لهم آلهة تنصرهم وتمنعهم من العذاب منعاً يتجاوز منعنا وحفظنا على أن قوله من دوننا صفة مصدر محذوف، والذي أضيف إليه دون أيضاً محذوف أي تمنعهم منعاً كائناً من دون منعنا أي من غير منعنا اهـ زاده على البيضاوي.

وفي المصباح: كلأه الله يكلؤه مهموز بفتحتين من باب قطع كلاءة بالكسر والمد حفظه، ويجوز التخفيف فيقال: كليته أكلاه وكلأته أكلؤه من باب تعب لغة لقريش، لكنهم قالوا: مكلوا بالواو أكثر من مكلي بالياء اهـ.

قوله: ﴿بالليل﴾ أي: في الليل إذ نمتم وفي النهار إذا انصرفتم إلى معايشكم، وتقديم الليل لما

إن نزل بكم، أي لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم ﴾ أي القرآن ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ لا يتفكرون فيه ﴿ أَمْ ﴾ فيها معنى الهمزة للإنكار أي أ ﴿ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم ﴾ مما يسوؤهم ﴿ مِّن دُونِنَا ﴾ أي ألهم من يمنعهم منه غيرنا ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أي الآلهة ﴿ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾ فلا ينصرونهم ﴿ وَلَا هُم ﴾ أي الكفار ﴿ مِّنَّا ﴾ من عذابنا ﴿ يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يجارون يقال صحبك الله أي حفظك وأجارك ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ ﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ فاغتروا بذلك ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ ﴾ نقصد أرضهم ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ بالفتح على النبي ﴿ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ لا، بل النبي وأصحابه ﴿ قُلْ ﴾ لهم

أن الدواهي أكثر فيه وقوعاً وأشد وقعاً وفي التعرض لعنوان الرحمة إيذان بأن كالئهم ليس إلا رحمته العامة اهـ من الخازن وأبي السعود.

قوله: (والمخاطبون لا يخافون الخ) ذكر هذا توطئة لقوله: ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾، لأن فيما أضرب إليه بياناً لعلة عدم الخوف وهو إعراضهم عن التفكر فيه فسبب إنكارهم له إعراضهم اهـ زاده.

وعبارة الكرخي: قوله: والمخاطبون لا يخافون الخ أشار به إلى أن الاستدراك ببل إضراب عما تضمنه الكلام من النفي، إذ التقدير: ليس لهم كالىء ولا مانع غير الرحمن كما هو ظاهر كلام الزمخشري. أي: فكيف يخافونه حتى يسألوا عن كالئهم اهـ.

قوله: (فيها) أي: في أم معنى الهمزة أي زيادة على بل لأنها منقطعة تقدر ببل والهمزة أي: بل ألهم آلهة، وقوله: الإنكاري بالرفع صفة لمعنى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من دوننا﴾ صفة لآلهة أي: آلهة من دوننا تمنعهم، ولذا قال ابن عباس: إن في الكلام تقديماً وتأخيراً اهـ سمين.

وهذا الإعراب هو الموافق لحل الجلال. قوله: ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ استئناف مقرر لما قبله من الإنكار وموضح لبطلان اعتقادهم أي: هم لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا يصبحون بالنصر من جهتنا، فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ قال ابن عباس: يمنعون وعنه يجارون وهو اختيار الطبري. تقول العرب: أنا لك جار وصاحب من فلان أي: مجير منه. وروى معمر عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: ينصرون أي: يحفظون، وقال قتادة: أي: لا يصحبهم الله بخير ولا يجعل رحمته صاحباً لهم اهـ قرطبي.

قوله: ﴿بل متعنا هؤلاء﴾ إضراب عما توهموا من أن ما هم فيه من الحفظ من جهة لهم آلهة تمنعهم من تطرق البأساء إليهم، كأنه قيل: دع ما زعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم، بل ما هم فيه من الحفظ إنما هو منا حفظناهم من البأساء، ومنعناهم بأنواع السراء لكونهم من أهل الاستدراج والانهماك فيما يؤديهم إلى العذاب اهـ زاده.

قوله: (بالفتح على النبي) عبارة البيضاوي: بتسليط عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدي المسلمين انتهت.

﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسي ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصم ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ وقعة خفيفة ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾ للتنبيه ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بالإشراك وتكذيب محمد ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ ذات العدل ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾

أي: حيث لم يقل إنا ننقص الأرض من أطرافها، وزاد قوله: ﴿أنا نأتي الأرض﴾ لتصوير كيفية نقضها وتخريبها، فإنه يكون بإتيان الجيوش ودخولها فاصلة تأتي جيوش المرسلين، لكنه أسنده إلى نفسه تعظيماً وإشارة إلى أنه بقدرته وفيه تعظيم للجهاد والمجاهدين اهـ شهاب.

قوله: ﴿أفهم الغالبون﴾ استفهام بمعنى التقريع والإنكار كما أشار له الشارح، وقوله: (بل النبي وأصحابه) أي: بل النبي وأصحابه هم الغالبون وأولئك المغلوبون اهـ من الخازن.

قوله: ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ لما بين تعالى غاية هو ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند إتيانه، ونعى عليهم جهلهم بذلك وإعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل وغير ذلك من مساوىء أحوالهم، أمر رسول الله ﷺ بأن يقول: إنما أنذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولا يسمع الصم﴾ أل في الصم للجنس فيدخل المخاطبون دخولاً أولياً، أو للعهد ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم، وقرأ ابن عامر هنا ولا تسمع بضم التاء للخطاب وكسر الميم الصم الدعاء منصوبين، وقرأ ابن كثير كذلك في النمل والروم وقرأ السبعة بفتح ياء الغيبة والميم الصم بالرفع الدعاء بالنصب في جميع القرآن اهـ سمين.

قوله: (أي هم) مبتدأ، وقوله: (كالصم) خبره.

قوله: ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ الخ وجه المناسبة أنه ذكر اخبارهم بمجيء العذاب ذكر مسه لهم، وفي هذا الكلام مبالغات ثلاث ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة، فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا بالظلم والشرك اهـ خازن.

قوله: ﴿ونضع الموازين﴾ أي: نحضرها. وهذا بيان لما سيقع عند إتيان ما أنذروه أي: نقيم الموازين العادلة، وأفرد القسط لأنه مصدر وصف به مبالغة اهـ أبو السعود.

وجعله الشارح على حذف مضاف والجمع في الموازين للتعظيم أو باعتبار أجزائه فإن الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال، وهو جسم مخصوص له لسان وكفتان وعمود كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب، ومكانه بين الجنة والنار. كفته اليمنى للحسنات عن يمين العرش وكفته اليسرى للسيئات عن يساره. يأخذ جبريل بعموده ناظراً إلى لسانه، وميكائيل أمين عليه يحضره الجن والناس ووقته بعد الحساب. وأما ماهية جرمه من أي الجواهر وأنه موجود الآن أو سيوجد فنمسك عن

أي فيه ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَإِن كَانَ﴾ العمل ﴿مِثْقَالَ﴾ زنة ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي بموزونها ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ محصين في كل شيء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءً﴾ بها

تعيينه، ولا يكون الوزن في حق كل أحد لأن من لا حساب عليه لا يوزن له كالأنبياء والملائكة، والوزن يكون للمكلفين من الجن والإنس، وقد يوزن العبد نفسه كما ورد عن النبي ﷺ لرجل عبد الله بن مسعود في الميزان أثقل من جبل أحد، ومن مات له ولد يجعل ذلك الولد في الميزان وكيفيته ثقلاً وخفة مثلها في الدنيا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿القسط﴾ وصف الموازين بذلك، لأن الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون غير مستقيم، فبين الله تعالى أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها اهـ خازن.

﴿شيئاً﴾ مفعول ثان أو مفعول مطلق اهـ سمين.

قوله: ﴿وإن كان﴾ (العمل) ﴿مثقال حبة من خردل﴾ أي: مقدار حبة كائنة من خردل أي: وإن كان في غاية القلة والحقارة، فإن حبة الخردل مثل في الصغر اهـ أبو السعود.

وأشار الشارح إلى قراءة الجمهور بنصب مثقال على أن كان ناقصة واسمها مستتر فيها ومثقال خبرها ورفعه نافع أي: وإن وجد مثقال فكان تامة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ قال ابن عباس: معناه كفى بنا عالمين، والغرض منه التحذير فإن المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء، فحقيق بالعاقل أن يكون على أشد الخوف منه اهـ خازن.

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى﴾ الخ لما تكلم سبحانه وتعالى في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الأنبياء عليهم السلام تسلية لرسوله ﷺ فيما يناله من قومه، وتقوية لقلبه على أداء الرسالة والصبر على كل عارض. وذكر منها عشراً:

القصة الأولى: قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾.

القصة الثانية: قصة إبراهيم عليه السلام المذكورة في قوله: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ [الأنبياء: ٥١].

القصة الثالثة: قصة لوط عليه السلام المذكورة في قوله: ﴿ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً﴾ [الأنبياء: ٧٤].

القصة الرابعة: قصة نوح عليه السلام المذكورة في قوله: ﴿ونوحاً إذ نادى من قبل﴾ [الأنبياء: ٧٦].

القصة الخامسة: قصة داود وسليمان عليهما السلام المذكورة في قوله: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾ [الأنبياء: ٧٨].

﴿وَذِكْرًا﴾ أي عظة بها ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ عن الناس أي في الخلاء عنهم ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ ۝٤٩﴾ أي خائفون ﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي هداه قبل

القصة السادسة: قصة أيوب عليه السلام المذكورة في قوله: ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾ [الانبياء: ٨٣].

القصة السابعة: قصة إسماعيل وإدريس وذي الكفل المذكورة في قوله: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ [الأنبياء: ٨٥].

القصة الثامنة: قصة يونس عليه السلام المذكورة في قوله: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً﴾ [الأنبياء: ٨٧].

القصة التاسعة: قصة زكريا عليه السلام المذكورة في قوله: ﴿وزكريا إذ نادى ربه﴾ [الأنبياء: ٨٩].

القصة العاشرة: قصة مريم وابنها عيسى عليه السلام المذكورة في قوله: ﴿والتي أحصنت فرجها﴾ [الأنبياء: ٩١] . الخ اهـ من الخطيب.

قوله: ﴿وضياء﴾ (بها) أي: التوراة والجار والمجرور متعلق بضياء أي: يستضاء بها من ظلمات الجهل والغواية اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وضياء وذكراً﴾ يجوز أن يكون من باب عطف الصفات، فالمراد به شيء واحد أي: آتيناهما الكتاب الجامع بين هذه الأشياء، وقيل: الواو زائدة. قال أبو البقاء: فضياء حال من هذا اهـ.

قوله: ﴿الذين يخشون ربهم﴾ أي: عذابه، وقوله: ﴿بالغيب﴾ حال من الفاعل في يخشون أي: حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس، وقوله: ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ من ذكر الخاص بعد العام لكونها أعظم المخلوقات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الإشفاق ودوامه اهـ من أبي السعود.

قوله: ﴿مبارك﴾ أي كثير الخير، والإشارة إلى القرآن بأداة القرب إيماء إلى سهولة تناوله عليهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿أفأنتم﴾ الخطاب لأهل مكة اهـ كرخي.

قوله: (الاستفهام فيه للتوبيخ) أي: فإنهم من أهل اللسان يدركون مزايا الكلام ولطائفه، ويفهمون من بلاغة القرآن ما لا يدركه غيرهم مع أن فيه شرفهم وصيتهم كما يشير إليه لفظ الذكر على ما سبق، فلو أنكره غيرهم لكان ينبغي لهم مناصبته، ثم تقديم الجار والمجرور على المعلق دال على التخصيص. أي: أفأنتم للقرآن خاصة دون كتاب اليهود فإنهم كانوا يراجعون اليهود فيما عنّ لهم من المشكلات اهـ كرخي.

بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي بأنه أهل لذلك ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ أي على عبادتها مقيمون ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فاقتدينا بهم ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ بعبادتها ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بين ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ في قولك

قوله: ﴿رشده﴾ أي: الرشد اللائق به وبمثله من الرسل والكبار، وهو الاهتداء الكامل المستند إلى الهداية الخاصة الخالصة بالوحي والإقدار على إصلاح الأمة باستعمال النواميس الإلهية اهـ أبو السعود.

قوله: (أي هداه قبل بلوغه) المراد بالهدى الاهتداء لوجوه الصلاح في الدين والدنيا إذ لا يجوز أن يبعث نبي إلا وقد دله الله على ذاته وصفاته ودلّه أيضاً على مصالح نفسه ومصالح قومه، وكان ذلك في صغره قبل بلوغه حين تفكر في الرب وظهرت له الكواكب واستدل بها، وهذا ظاهر على حمل الرشد على الاهتداء وإلاّ لزم أن يحكم بنبوته عليه السلام قبل بلوغه، وقوله: (أهل لذلك) أي: للرشد المفسر بالاهتداء لوجوه الصلاح، فعلى هذا يكون قوله: ﴿وكنا به عالمين﴾ تعليلاً لما قبله، فالضمير في قوله: به يرجع إلى إبراهيم وهو متعلق بعالمين على حذف مضاف، وقيل: من قبل موسى وهارون أو محمد عليهم السلام أو من قبل استنبائه اهـ من الرازي بالمعنى.

وقوله: ﴿إذ قال لأبيه﴾ الخ يجوز أن يكون منصوباً بآتينا أو برشده أو بعالمين أو بمضمر، أي: اذكر من أوقات رشده هذه الوقت أي: وقت قوله لهم ما هذه التماثيل الخ اهـ سمين.

والتماثيل: جمع تمثال وهو الشيء المصنوع شبهاً بخلق من خلق الله، وأصلها من مثلت الشيء بالشيء شبهته به. وعبارة السمين: التماثيل جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب شبيهة بخلق الآدمي أو غيره من الحيوانات اهـ.

وهذا تجاهل منه حيث سألهم عن أصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة أو شرح الاسم كأنه لا يعرف أنها ماذا مع علمه بأنها حجر أو شجر أو ذهب، وعبَّر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن الاستمرار على الشيء لغرض من الأغراض قصداً إلى تحقيرهم اهـ أبو السعود.

وكانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنماً بعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من حديد، وبعضها من رصاص، وبعضها من نحاس، وبعضها من حجر، وبعضها من خشب. وكان كبيرهم من ذهب مكللاً بالجواهر في عينيه ياقوتتان متقدتان تضيئان في الليل اهـ خازن.

قوله: ﴿قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين﴾ أجابوا بذلك لأن مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبىء عنه وصفه عليه السلام بالعكوف على عبادتهم كأنه عليه السلام قال: ما هي هل تستحق أن تعبد اهـ أبو السعود.

فلم يكن لهم جواب إلا التقليد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في ضلال مبين﴾ أي: لعدم استناد الفريقين إلى دليل، والتقليد إن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على الحق اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿قالوا أجئتنا بالحق﴾ أي: بالصدق في قولك هذا الذي هو لقد كنتم أنتم الخ، وليس

هذا ﴿أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥﴾ فيه ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي قلته ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾ به ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٧﴾ ﴿فَجَعَلَهُمۡ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم

المراد به حقيقة المجيء إذ لم يكن غائباً عنهم، وأم متصلة وإن كان بعدها جملة لأنها في حكم المفرد، إذ التقدير أي الأمرين واقع مجيئك بالحق أم لعبك اهـ سمين.

قال أبو السعود: وفي إيراد الشق الثاني بالجملة الاسمية الدالة على الثبات إيذان برجحانه عندهم اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: قالوا أجئتنا بالحق كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله إنما قاله على وجه الملاعبة، فقالوا: أبجد تقوله أم تلعب به اهـ.

قوله: ﴿قال بل ربكم﴾ الخ إضراب عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها أرباباً لهم كأنه قيل: ليس الأمر كذلك بل ربكم الخ، وقيل: هو إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه، والضمير المنصوب في فطرهن يرجع للسموات والأرض أو هو للتماثيل وهو أدخل في تضليلهم وإقامة الحجة عليهم، لأن فيه تصريحاً بأن معبوداتهم من جملة مخلوقاته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأنا على ذلكم﴾ أي: الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض فقط دون ما عداه كائناً ما كان من الشاهدين أي: العالمين على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه، فإن الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وإثباته بها كأنه قال: وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ هذه طريقة فعلية دالة على أنه على الحق بعد أن أتى بطريقة قولية بقوله: ﴿بل ربكم رب السموات﴾ الخ: فجمع بين القول والفعل، فلما لم يكتفوا بالطريقة القولية عدل إلى الطريقة الفعلية وهي الكسر فكسرها اهـ زاده.

قوله: ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ أي: لأجتهدون في كسرها، فإن قيل: الكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به والأصنام جمادات لا تتضرر بالكسر نحوه، وأيضاً ليست هي مما يحتال في إيقاع الكسر عليها لأن الاحتيال إنما يكون في حق من له شعور وإدراك. أجيب: بأن ذلك بناء على زعمهم لأنهم كانوا يزعمون أن الأصنام لهن شعور، ويجوز عليهنّ التضرر، وقيل: المراد لأكيدنكم في أصنامكم لأنه بذلك الفعل قد أنزل الغم بهم اهـ زاده.

وعبارة الشهاب: يعني: أن الكيد في الأصل الاحتيال في إيجاد ما يضر مع إظهار خلافه وهو يستلزم الاجتهاد فيه فتجوز به عنه هنا إما استعارة أو استعمالاً له في لازمه اهـ.

قوله: (بعد ذهابهم إلى مجتمعهم الخ) أي: وقد ذهب معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم أشتكي رجلي فتركوه ومضوا، ثم نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس حيث قال بصيغة الحلف: وتالله لأكيدن أصنامكم فسمعها الضعفاء، فرجع إبراهيم إلى بيت الأصنام وقبالة الباب صنم عظيم وإلى جنبه أصغر منه، وهكذا كل صنم أصغر من الذي يليه، وكانوا وضعوا عند

﴿جُذَٰذًا﴾ بضم الجيم وكسرها فتاتاً بفأس ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ علق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ فيرون ما فعل بغيره ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝٥٩﴾ فيه ﴿قَالُوا﴾ أي بعضهم لبعض ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي

الأصنام طعاماً يأكلون منه إذ رجعوا من عيدهم إليهم فقال لهم إبراهيم: ألا تأكلون فلم يجيبوه فكسرها اهـ خازن.

قوله: ﴿جذاذاً﴾ قرأ العامة بضم الجيم، والكسائي بكسرها، وابن عباس، وأبو نهيك، وأبو السماك بفتحها. قال قطرب: هي في لغاتها كلها مصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، والظاهر أن المضموم اسم للشيء المكسور كالحطام والرفات والفتات بمعنى الشيء المحطم والمفتت، وقال اليزيدي: المضموم جمع جذاذة بالضم نحو زجاج في زجاجة، والمكسور جمع جذيذ نحو كرام في كريم، وقال بعضهم: المفتوح مصدر بمعنى المفعول أي: مجذوذين، ويجوز على هذا أن يكون على حذف مضاف أي: ذوات جذاذ، وقيل: المضموم جمع جذاذة بالضم، والمكسور جمع جذاذة بالكسر، والمفتوح مصدر اهـ سمين.

قوله: (بضم الجيم وكسرها) قراءتان سبعيتان، وقوله: (بفأس) بالهمزة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا كبيراً لهم﴾ استثناء من المنصوب في فجعلهم أي: لم يكسره بل تركه ولهم صفة لكبيراً، والضمير يجوز أن يعود على الأصنام، ويجوز أن يكون عائداً على عابديهم اهـ سمين.

قوله: ﴿لعلهم إليه﴾ (أي إلى الكبير الخ) أي: كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات فيقولون له: ما لهؤلاء مكسرة ومالك صحيح وما لهذه الفأس في عنقك، وقال إبراهيم ذلك بناء على كثرة جهالاتهم، أو قال ذلك استهزاء بهم، وكان من عادتهم أنهم إذ رجعوا إليها سجدوا إليها ثم ذهبوا إلى منازلهم اهـ من الرازي.

قوله: ﴿من فعل هذا﴾ أي: التكسير وهذا استفهام إنكار وتوبيخ وتشنيع، وإنما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا إليها بهؤلاء وهي بين أيديهم مبالغة في التشنيع. ومن: مبتدأ وجملة فعل هذه خبره، وقوله: ﴿إنه لمن الظالمين﴾ استئناف مقرر لما قبله لا محل له من الإعراب، ويجوز أن تكون من في قوله من فعل هذا موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿إنه لمن الظالمين﴾ في موضع رفع خبر لها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنه﴾ أي: من فعل لمن الظالمين فيه أي: في الفعل.

قوله: ﴿قالوا﴾ أي: بعضهم وذلك البعض هم الضعفاء من قوم إبراهيم الذين سمعوا حلفه بقوله: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ وأخبروا أكابركم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سمعنا فتى﴾ سمع هنا متعدية لاثنين لدخولها على ما لا يسمع، فالأول فتى، والثاني جملة تذكرهم بخلاف ما لو دخلت على ما يسمع، كأن قلت: سمعت كلام زيد فإنها تتعدى لواحد اهـ سمين.

قوله: ﴿يذكرهم﴾ أي: ولعله هو الذي فعل بهم هذا الفعل اهـ.

يعيبهم ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ ﴿قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي ظاهراً ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ۝٦١﴾ عليه أنه الفاعل ﴿قَالُوٓاْ﴾ له بعد إتيانه ﴿ءَأَنتَ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٢﴾ ﴿قَالَ﴾ ساكتاً عن فعله ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ﴾ عن فاعله ﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾ فيه تقديم جواب الشرط

قوله: ﴿يقال له﴾ أي: يسمى إبراهيم. وفي رفع إبراهيم أوجه، أحدها: أنه مرفوع على ما لم يسم فاعله أي: يقال له هذا اللفظ، ولذلك قال أبو البقاء: المراد الاسم لا المسمى. الثاني: أنه خبر مبتدأ مضمر أي: يقال له هذا إبراهيم أو هو إبراهيم. الثالث: أنه مبتدأ محذوف الخبر أي: يقال له إبراهيم فاعل ذلك. الرابع: أنه منادى، وحرف النداء محذوف أي: يا إبراهيم، وعلى الأوجه الثلاثة فهو مقتطع من جملة وتلك الجملة محكية بيقال اهـ سمين.

قوله: ﴿قالوا فأتوا به﴾ أي: قالوا ذلك فيما بينهم، والقائل لذلك القول هو النمروذ. قال السمين: وقوله: ﴿على أعين الناس﴾ في محل نصب على الحال من الضمير المجرور بالباء أي ائتوا به حال كونه ظاهراً ومكشوفاً للناس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لعلهم﴾ أي: الناس يشهدون عليه أي: بفعله فهو من الشهادة المعروفة، وذلك بأن يكون أحد من الناس رآه يكسرها، فالضمير في قوله لعلهم ليس لكل الناس بل لبعض منهم مبهم اهـ أبو السعود.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: مع إدخال ألف بينهما وتركه، لأن القراءات خمسة، ولو حذف قوله بين المسهلة والأخرى لشمل إدخال الألف بين المحققتين وقوله: (والأخرى) أي: التي هي الأولى اهـ شيخنا.

وفي أأنت وجهان، أحدهما: أنه فاعل بفعل مقدر يفسر الظاهر بعده، والتقدير: أفعلت هذا بآلهتنا فلما حذف الفعل انفصل الضمير. والثاني: أنه مبتدأ والخبر بعده الجملة.

قوله: ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ هذا على طريقة الكناية العرضية، فلهذا يستلزم نفي فعل الصنم الكبير للكسر وإثباته لنفسه، وهذا بناء على أن الفعل وهو الكسر دائر بين عاجز وهو ذلك الصنم وقادر وهو إبراهيم: إذ القاعدة إنه إذ دار فعل بين قادر عليه وعاجز عنه وأثبت للعاجز بطريق التهكم به لزم منه انحصاره في الآخر، وحاصله: إنه إشارة لنفسه على الوجه الأبلغ مضمناً فيه الاستهزاء والتضليل اهـ من الشهاب.

قوله: ﴿هذا﴾ فيه وجوه، أحدها: أن يكون نعتاً لكبيرهم. والثاني: أن يكون بدلاً من كبيرهم. والثالث: أن يكون خبراً لكبيرهم على أن الكلام تم عند قوله: ﴿بل فعله﴾ وفاعل الفعل محذوف كذا نقله أبو البقاء اهـ سمين.

قوله: ﴿إن كانوا ينطقون﴾ أي: إن كانوا ممن يمكن أن ينطق، وإنما قال إن كانوا ينطقون ولم يقل يسمعون أو يعقلون، مع أن السؤال موقف على السمع والعقل أيضاً لما أن نتيجة السؤال الجواب وأن عدم نطقهم أظهر في تبكيتهم اهـ أبو السعود.

وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلهاً ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالتفكر ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لأنفسهم ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ أي بعبادتكم من لا ينطق ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ﴾ من الله ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي ردوا إلى كفرهم وقالوا والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي بدله ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ شيئاً إذا لم تعبدوه ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتناً وقبحاً ﴿لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة

قوله: (فيه تقديم جواب الشرط) أي: وهو قوله: ﴿فاسألوهم﴾، وفيه إشارة إلى أن قوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ مرتبط بقوله: ﴿إن كانوا ينطقون﴾. وقد صرح بذلك الطيبي قال: والمعنى بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم إن أمكن هذا الفعل، وهذا أظهر من جعل جواب الشرط محذوفاً فالدلالة ما قبله عليه اهـ كرخي.

قوله: (بالتفكر) أي: راجعوا عقولهم وتذكروا أن من لا يقدر على من دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره أو جلب منفعة له، فكيف يستحق أن يكون معبوداً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ثم نكسوا﴾ أي: انقلبوا على رؤوسهم. أي: انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة فشبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه اهـ بيضاوي.

وقرأ العامة نكسوا مبنياً للمفعول مخففاً أي: نكسهم الله أو خجلهم، وعلى رؤوسهم حال أي: كائنين على رؤوسهم، ويجوز أن يتعلق بنفس الفعل والنكس والتنكيس القلب يقال: نكس رأسه ونكسه مخففاً ومشدداً أي: طأطأه حتى صار أعلاه أسفله، وقرأ بعضهم نكسوا بالتشديد، وقد تقدم أنه لغة في المخفف فليس التشديد لتعدية ولا تكسير، وقرأ بعضهم نكسوا مخففاً مبنياً للفاعل، وعلى هذا فالمفعول محذوف تقديره نكسوا أنفسهم على رؤوسهم اهـ سمين.

قوله: (أي ردوا إلى كفرهم) أي: إلى الاستمرار عليه اهـ.

قوله: (وقالوا والله) ﴿لقد علمت﴾ الخ أشار به إلى أنه جواب قسم محذوف معمول لقول محذوف في موضع الحال أي: قائلين لقد علمت، وعلمت هنا معلقة والجملة المغنية في موضع مفعولي علمت إن تعدت لاثنين أو في موضع مفعول واحد إن تعدت لواحد اهـ كرخي.

قوله: ﴿ما هؤلاء ينطقون﴾ يجوز أن تكون ما هذه حجازية فيكون هؤلاء اسمها، وينطقون في محل نصب خبرها أو تميمية فلا عمل لها اهـ سمين.

قوله: (بكسر الفاء) أي: مع التنوين وتركه، وقوله: (وفتحها) أي: بلا تنوين، فالقراءات ثلاثة وكلها سبعية اهـ أبو السعود.

والللام لبيان المتأفف له اهـ بيضاوي. وهو المتضجر له أي: لأجله اهـ.

ولا تصلح لها وإنما يستحقها الله تعالى ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ﴾ أي إبراهيم ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي بتحريقه ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ نصرتها، فجمعوا له الحطب الكثير، وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار، قال تعالى ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله: ﴿قالوا حرقوه﴾ أي: قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المجادلة، وضاقت عليهم الحيل، وعيت بهم العلل، وهكذا ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع إلا المناصبة. والقائل هو النمروذ بن كنعان بن سنحاريب بن نمروذ بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام، وقيل: القائل رجل من أكراد فارس اسمه هينون خسف الله به الأرض اهـ خازن.

قوله: (فجمعوا له الحطب الخ) وكانت مدة الجمع شهراً ومدة الإيقاد سبعة أيام، مدة مكث إبراهيم في النار سبعة أيام، وكان عنده عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس، فصارت تلك النار في حقه روضة، وبعث الله له جبريل بقميص من حرير وطنفسة فألبسه القميص أولاً. وفي الرازي: أن مدة مكثه فيها كانت أربعين يوماً أو خمسين، ومثله في أبي السعود اهـ شيخنا.

وقال المنهال بن عمرو: قال إبراهيم: ما كنت قط أياماً أنعم مني في الأيام التي كنت فيها في النار، وكان في تلك الأيام مشغولاً بالصلاة فأشرف عليه النمروذ من الصرح فرآه جالساً على سرير يؤنسه ملك الظل، فقال: نعم الرب ربك لأقربن له أربعة آلاف بقرة وكف عنه اهـ قرطبي.

قوله: (وأضرموا النار) أي: أوقدوها في جميعه. قوله: (وجعلوه في منجنيق) قال في شرح المنهج: بفتح الميم والجيم في الأشهر اهـ.

وقال الشبراملسي نقلاً عن الخطيب: ومقابل الأشهر كسر الميم اهـ.

وفي المختار: المنجنيق آلة ترمى بها الحجارة فارسي معرب، لأن الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب وهي مؤنثة وجمعها منجنيقات ومجانيق وتصغيرها منيجنيق اهـ.

قوله: (رموه في النار) وكان وقت إلقائه فيها ابن ست عشرة سنة اهـ أبو السعود.

وقيل: كان ابن ست وعشرين سنة كما قاله الماوردي: ولما ألقي فيها جاء الوزغ وهو سام أبرص وجعل ينفخ على النار فصم بسبب ذلك، وأمر ﷺ بقتل الوزغ وقال: لأنه كان ينفخ النار على إبراهيم، ومن قتل وزغة في أول ضربة كتب له مائة حسنة، وفي الثاني دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك، وذكر بعض الحكماء أن الوزغ لا يدخل بيتاً فيه زعفران وأنه يبيض اهـ ابن لقيمة.

قوله: ﴿كوني برداً﴾ أي: ذات برد، وسلاماً معطوف على برد فيكونان خبرين عن كوني، وعلى إبراهيم صفة لسلاماً، وحذفت صلة الأول لدلالة صلة الثاني عليه أي كوني برداً عليه وسلاماً اهـ سمين.

وعبارة أبي السعود: كوني ذات برد وسلام أي: أبردي برداً غير ضار فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه للمبالغة اهـ.

فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها، وبقوله ﴿وسلاماً﴾ سلم من الموت ببردها ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ في مردهم ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه من العراق ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ أي لإبراهيم وكان سأل ولداً كما ذكر في الصافّات ﴿إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي زيادة على المسؤول أو هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾

قوله: (غير وثاقه) بفتح الواو وكسرها كما في المختار.

قوله: (وبقيت إضاءتها) أي: إشراقها. قوله: (وبقوله وسلاماً سلم الخ) ولو لم يقل على إبراهيم لما أحرقت نار ولا اتقدت اهـ من البحر لأبي حيان.

وذلك لأنه طفئت جميع النيران في ذلك اليوم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ (في مرادهم) لأنهم خسروا السعي والنفقة فلم يحصل لهم مرادهم، أو الأخسرين بمعنى الهالكين بإرسال البعوض على نمروذ وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فأهلكته اهـ خازن.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿الأخسرين﴾ في مرادهم أي لأنه صار سعيهم برهاناً على بطلانهم، وقاله في الصافات بلفظ الأسفلين لما تقدم على كل منهما فتمت المناسبة في الموضعين اهـ.

قوله: (ابن أخيه هاران) أي: الأصغر، وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة أولاد آزر، وأما هاران الأكبر فكان عماً لإبراهيم، وكانت سارة بنت عم إبراهيم الذي هو هاران الأكبر، وكانت آمنت بإبراهيم، ذكره الخازن اهـ.

قوله: (من العراق) متعلق بمحذوف. أي: خرج إبراهيم من كوثى من أرض العراق ومعه لوط وسارة، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله، ثم خرج من حران حتى قدم مصر، ثم خرج ورجع إلى الشأم فنزل اليسع من أرض فلسطين وترك لوطاً بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من اليسع، فبعثه الله نبياً إلى أهلها وما قرب منها اهـ خازن.

قوله: (فلسطين) بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لا غير قرى بيت المقدس اهـ شيخنا.

وفي القاموس: فلسطون وفلسطين وقد تفتح فاؤهما كورة بالشام وقرية بالعراق تقول في حال الرفع بالواو وفي النصب والجر بالياء، أو تلزمها الياء في كل حال والنسبة فلسطي اهـ.

وفيه أيضاً: والكورة بضم الكاف الناحية من الأرض اهـ.

قوله: (ولوط بالمؤتفكة) وهي قرى لوط أسقطها الله تعالى بعد رفعها إلى السماء مقلوبة إلى الأرض بأمره لجبريل بذلك اهـ جلال من سورة النجم.

قوله: ﴿نافلة﴾ حال من يعقوب أي: أعطى يعقوب زيادة من غير سؤال اهـ عمادي.

فقوله: ﴿وهبنا له إسحاق﴾ أي: إجابة لسؤاله، وقوله: ﴿ويعقوب﴾ أي زيادة على مسؤوله

أي هو وولداه ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۝﴾ أنبياء ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ أي أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء إقامة تخفيف ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ۝﴾ ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ فصلاً بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي

وجملة ما عاشه إسحاق من السنين مائة وسبعة وأربعون اهـ من التحبير.

قوله: (أو هو) أي: ما ذكر من لفظ النافلة ولد الولد ولو قال أو هي لكان أولى فهما قولان في تفسير النافلة، وعليهما فالمراد به يعقوب اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿نافلة﴾ قيل في تفسير إنها العطية، وقيل: الزيادة، وقيل: ولد الولد، فعلى الأولى ينتصب انتصاب المصدر من معنى العامل، وهو وهبنا لا من لفظه، لأن الهبة والإعطاء متقاربان فهي كالعاقبة والعافية، وفي الأخيرين ينتصب على الحال، والمراد بها يعقوب فالنافلة مختصة بيعقوب على كل تقدير لأن إسحاق ولده لصلبه اهـ.

قوله: (وولداه) وهما إسحاق ويعقوب. قوله: (وإبدال الثانية ياء) هذه ليس بصحيح في القراءة وإن كان جائزاً في العربية، ولو قال: أو تسهيل الثانية لكان قراءة متواترة من القراءات السبع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يهدون﴾ أي: يدعون الناس بأمرنا أي: بوحينا اهـ عمادي.

وقوله: (إلى ديننا) متعلق يهدون الذي هو بمعنى يدعون وليس تفسيراً لقوله: ﴿بأمرنا﴾ ولو قدمه عليه لكان أظهر كما يؤخذ ذلك من الخازن، وعبارته: يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا اهـ شيخنا.

قوله: (أي أن تفعل) أي: أن تعمل الخيرات التي هي الشرائع، فقوله: ﴿فعل الخيرات﴾ مصدر مأخوذ من الفعل المبني للمجهول، فهذه الثلاثة ليست مختصة بهم بل عامة لهم ولغيرهم، والأصل أن يفعل المكلفون الشامل لهم ولأتباعهم وعطف الصلاة الزكاة من عطف الخاص على العام، لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، والزكاة أفضل العبادات المالية، وقوله: ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ أي موحدين مخلصين في العبادة اهـ كرخي مع زيادة.

قوله: (منهم ومن أتباعهم) راجع للأفعال الثلاثة. قوله: ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ تقديم الجار والمجرور للحصر أي: لنا لا لغيرنا من الأصنام اهـ عمادي.

قوله: ﴿ولوطاً آتيناه حكماً﴾ لوطاً منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر بعده. تقديره: وآتينا لوطاً آتيناه فهو من باب الاشتغال اهـ شيخنا.

قوله: (فصلاً بين الخصوم) أي فصلاً حقاً بين الخصوم بأن كان على وجه الحق، وقوله: ﴿وعلماً﴾ أي: فقهاً لائقاً به فيكون من عطف السبب على المسبب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ أي: أهلها يدل على ذلك قوله: ﴿إنهم قوم سوء﴾

كَانَت تَّعْمَلُ﴾ أي أهلها الأعمال ﴿الْخَبَٰٓئِثَ﴾ من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مصدر ساءه نقيض سره ﴿فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿إِنَّهُۥ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ وما بعده بدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا على قومه بقوله رب لا تذر الخ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل إبراهيم ولوط ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ الذين في سفينته ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ أي الغرق وتكذيب قومه له ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾ منعناه

وقوله: (الأعمال الخبائث) يشير به إلى أن الخبائث صفة لموصوف محذوف، وقوله: (من اللواط الخ) قدمه لأنه أقبح أفعالهم الخبيثة وكان سبب هلاكهم، وجمع الخبائث باعتبار المراد كما أشار إليه اهـ كرخي.

قوله: (أي أهلها) أي ففيه مجاز عقلي، ويصح أن تكون الآية على حذف مضاف أي: من أهل القرية لكنه غير ما سلكه الجلال اهـ شيخنا.

قوله: (والرمي بالبندق) أي: رمي المارة كما ذكره العمادي، وقوله: (وغير ذلك) كالضراط في المجالس. قوله: (مصدر ساءه) أي: من باب قال. قوله: (بأن أنجيناه من قومه) هذه التفسير يوقع في التكرار، ولذا قال غيره كالبيضاوي أي: في أهل رحمتنا أو في جنتنا اهـ.

وفي الخازن: قيل: أراد بالرحمة النبوة، وقيل: الثواب اهـ.

قوله: ﴿ونوحاً﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أنه منصوب عطفاً على لوط، فيكون التقدير مشتركاً معه في عامله الذي هو آتينا المفسر بآتيناه الظاهر، وكذلك داود وسليمان. والتقدير: ونوحاً آتيناه حكماً وداود وسليمان آتيناهما حكماً، وعلى هذا فإذ بدل من نوحاً ومن داود وسليمان بدل اشتمال، وقد تقدم تحقيق مثل هذا في طه.

والثاني: أنه منصوب بإضمار اذكر أي اذكر نوحاً وداود وسليمان، أي: اذكر خبرهم وقصتهم، وعلى هذا فتكون إذ منصوبة بنفس المضاف المقدر أي: خبرهم الواقع في وقت كان كيت وكيت، وقوله: من قبل أي من قبل هؤلاء المذكورين اهـ سمين.

فائدة:

بعث نوح وهو ابن أربعين سنة، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، فتكون مدة عمره ألفاً وخمسين سنة اهـ من التحبير.

قوله: (وما بعده بدل منه) أي: بدل اشتمال. قوله: (دعا على قومه) أي: دعاء تفصيلياً ودعا دعاء آخر إجمالياً بقوله: إني مغلوب فانتصر ومعنى دياراً نازل دار، والمعنى أحداً. وقال ذلك لما تقدم من الإيحاء إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن اهـ جلال في سورة نوح.

وأما نبينا محمد ﷺ فدعا لقومه بالهداية بقوله: «رب اهد قومي فإنهم لا يفهمون» كما فهمنا، ولذلك ورد أن أمة محمد ﷺ ثلثا أهل المحشر ولهم ثلاثة أرباع الجنة بل تسعة أعشارها، وبقية الأمم لهم العشر، ذكره الشيخ السوسي في شرح الصغرى. قوله: (الذين في سفينته) وجملتهم ستة رجال

﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على رسالته ألا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٧٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ أي قصتهما، ويبدل منهما ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ أي رعته ليلاً بلا راع بأن انفلتت ﴿وَكُنَّا

ونساؤهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء اهـ جلال من سورة هود.

قوله: ﴿ونصرناه﴾ ضمن معنى المنع فعدى بمن، ولذا قال الشارح منعناه اهـ شيخنا.

قوله: (أن لا يصلوا إليه) أي: لئلا يصلوا إليه فهو تعليل لمنعناه، تأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وداود وسليمان﴾ عاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة وتسعة وستون سنة، وقيل: وتسع وسبعون، وعاش ولده سليمان تسعاً وخمسين، وبينه وبين مولد النبي ﷺ نحو ألف سنة وسبعمائة اهـ من التحبير.

قوله: (ويبدل منهما الخ) الأولى جعل هذا الظرف بدلاً من المضاف الذي قدره كما تقدم في نظائره. وعبارة أبي السعود: إذ يحكمان ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها أي: اذكر خبر وقت حكمهما في الحرث الخ اهـ.

قوله: (هو زرع أو كرم) عبارة الخازن: قال ابن عباس، وأكثر المفسرين: أن الحرث كان كرماً قد تدلت عناقيده، وقيل الزرع زرعاً وهو أشبه بالعرف اهـ.

وفي المختار: الحرث الزرع وبابه نصر وكتب اهـ.

قوله: ﴿إذ نفشت فيه﴾ أي تفرقت وانتشرت فيه فرعته وأفسدته اهـ أبو السعود.

وفي المختار: نفشت الغنم والإبل أي: رعت ليلاً بلا راع من باب جلس وضرب ونصر وسمع، والنفش بفتحتين اسم منه، ومنه قوله تعالى: ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ ولا يكون النفش إلا بالليل، ونفش الصوف والقطن من باب نصر، والنفش: تشعيب الشيء بأصابعك حتى ينتشر اهـ بزيادة من القاموس.

قوله: ﴿غنم القوم﴾ أي: غنم بعض القوم أي: قوم داود، أي: أمته. وفي الخطيب: قال ابن عباس، وقتادة: وذلك أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا انفلتت غنمه ليلاً فوقعت في حرثي فأفسدته لم تبق منه شيئاً. فأعطاه داود رقاب الغنم في الحرث، فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة، فقال: كيف قضى بينكما فأخبراه، فقال سليمان: لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا. وروي أنه قال: غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه فقال له كيف تقضي، ويروى أنه قال له: بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين. قال: ادفع الغنم إلى صاحب الزرع ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيت كما قال تعالى: ﴿ففهمناها سليمان﴾ [الأنبياء: ٧٩] أي علمناه القضية وألهمناها له اهـ.

لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين. قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم، وقال سليمان: ينتفع بدرها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح

قوله: ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ أي: كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه اهـ خطيب.

وفي الضمير المضاف إليه حكم وجهان، أحدهما: أنه ضمير يراد به المثنى، وإنما وقع الجمع موقع التثنية مجازاً أو لأن التثنية جمع وأقل الجمع اثنان، ويدل على أن المراد التثنية قراءة ابن عباس لحكمها بصيغة التثنية. الثاني: أن المصدر مضاف للحاكمين وهما داود وسليمان والمحكوم عليه فهؤلاء جماعة، وهذا يلزم منه إضافة المصدر لفاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو إنما يضاف لأحدهما فقط وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز، فإن الحقيقة إضافة المصدر لفاعله والمجاز إضافته لمفعوله اهـ سمين.

قوله: (قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم) أي عوضاً عما فات من حرثه لما رأى القيمتين سواء اهـ كرخي.

وحكم هذه المسألة في مذهب الشافعي، أنها إن كانت وحدها ولو بصحراء فأتلفت شيئاً كزرع ليلاً أو نهاراً أضمنه ذو يدان فرط في ربطها أو أرسالها كأن ربطها بطريق ولو واسعاً، وكأن أرسلها ولو نهاراً لرعي بوسط مزارع فأتلفتها، فإن لم يفرط كأن أرسلها المرعى لم تتوسطها مزارع لم يضمن، وذو اليد شامل للمالك وللمستعير وللمستأجر والمودع والمرتهن ولعامل القراض وللغاصب وإن كان صاحبها معها ولو مستأجراً أو مستعيراً أو غاصباً ضمن ما أتلفته ليلاً أو نهاراً سواء كان سائقها أو قائدها أو راكبها، ولو صحبها سائق وقائد استويا في الضمان أو راكب معهما، أو مع أحدهما ضمن الراكب فقط ولا يضمن صاحبها ما تلف ببولها أو روثها أو ركضها بطريق لأن الطريق لا تخلو منه، ومحل ذلك التفصيل فيما إذا كانت وحدها أو معها صاحبها ما لم يقصر مالك الشيء المتلف كأن عرض الشيء مالكه لها أو وضعه في الطريق أو حضر وترك دفعها أو كان في محوط له باب وتركه مفتوحاً فلا ضمان على صاحب الدابة لتفريط مالك الشيء، واستثنى من ذلك الطيور كحمام أرسله مالكه فكسر شيئاً أو التقط حباً فلا ضمان، لأن العادة جارية بإرسالها اهـ من متن المنهج وشرحه.

قال الشبراملسي على الرملي: ومنه ما جرت به العادة الآن من إحداث مساطب أمام الحوانيت بالشوارع، ووضع أصحابها عليها بضائع للبيع كالخضرية مثلاً فلا ضمان على من أتلفت دابته شيئاً منها بأكل أو غيره لتقصير صاحب البضاعة اهـ.

ومذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه عدم الضمان بالليل والنهار إلا أن يكون معها سائق أو قائد اهـ من البحر.

قوله: (إلى أن يعود) أي يصير الحرث كما كان أي: مثل ما كان يوم الأكل، وقوله: (بإصلاح صاحبها) أي: الغنم بأن يزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل ما أكلته، فإذا صار الحرث كهيئة يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه اهـ خازن.

صاحبها فيردها إليه ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ أي الحكومة ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ وحكمهما باجتهاد ورجع داود إلى سليمان وقيل بوحي والثاني ناسخ للأول ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَا﴾ ه ﴿حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ كذلك سخرا للتسبيح معه لأمره

وفي الكرخي: قوله: (فيردها) أي لأنه نال منها قيمة ما أفسدته الغنم مع استواء القيمتين اهـ كرخي.

قوله: ﴿ففهمناها﴾ عطف على يحكمان لأنه بمعنى الماضي أي فهمناه الصواب فيها اهـ.

قوله: (وحكمهما باجتهاد) أي: كما قال به المحققون ليدركا فضيلة المجتهدين، ورجع داود إلى حكم سليمان لما ظهر له أنه الصواب، وجوز الخطأ عليهم لأن المجتهدين لا يقدرون على إصابة الحق في كل حادثة، لكن لا يقرون على الخطأ اهـ كرخي.

قوله: (وقيل بوحي) أي: لكل منهما فإنهما كانا نبيين يقضيان بما يوحى إليهما، فحكم داود بوحي وحكم سليمان بوحي نسخ به حكم داود، وذلك لأن الأنبياء يمتنع عليهم الاجتهاد عند قوم لاكتفائهم بالوحي، وعليه فقوله: ﴿ففهمناها سليمان﴾ أي بطريق الوحي الناسخ يدل عليه قوله: ﴿وكلا آتينا حكماً وعلماً﴾ أي: فهما على الصواب، وهذا في شريعتهم. وأما في شريعتنا فما أفسدته نهاراً بلا راع فلا ضمان فيه عند الشافعي وأصحابه وما أفسدته ليلاً ففيه الضمان، وحكم داود لو وقع في شريعتنا بشرطه لم يكن فيه ما يقتضي الفساد، لأن قيمة الزرع يجوز أن تكون قدر قيمة الغنم وصاحبها مفلس فتباع أو يأخذها إن رضي بخلاف حكم سليمان اهـ كرخي.

قوله: ﴿وسخرنا مع داود الجبال﴾ قال في المختار: التسخير التكليف للعمل بلا أجرة وسخره تسخيراً كلفه عملاً بلا أجرة اهـ.

قوله: ﴿يسبحن﴾ جملة حالية من الجبال أي: مسبحة، وقيل: استئناف كأن قائلاً قال كيف سخرهن فقال يسبحن. فقيل: كان يمر بالجبال مسبحاً فتجاوبه بالتسبيح، وقيل: كانت تسير معه حيث سار، والظاهر وقوع التسبيح منها بالنطق خلق الله فيها الكلام كما سبح الحصى في كف رسول الله ﷺ وسمع الناس ذلك، وكان داود هو الذي يسمع وحده اهـ من البحر.

قوله: ﴿يسبحن﴾ في محل نصب على الحال والطير يجوز أن ينتصب نسقاً على الجبال، وأن ينتصب على المفعول معه، وقيل: يسبحن مستأنف فلا محل له وهو بعيد، وقرىء والطير رفعاً وفيه وجهان، أحدهما: أنه مبتدأ والخبر محذوف أي: الطير مسخرات أيضاً. والثاني: أنه نسق على الضمير في يسبحن ولم يؤكد ولم يفصل وهو موافق لمذهب الكوفيين اهـ سمين.

قال الزمخشري: فإن قلت: لم قدم الجبال على الطير؟ قلت: لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز، لأنها جماد والطير حيوان ناطق، انتهى كرخي.

وفي المصباح: والطير جمع طائر مثل صاحب وصحب وراكب وركب وجمع الطير طيور وأطيار ويقع الطير على الواحد والجمع، وقال ابن الأنباري: الطير جماعة وتأنيثها أكثر من التذكير، ولا يقال للواحد طير بل طائر، وقلما يقال للأنثى طائرة اهـ.

به إذا وجد فترة لينشط له ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجباً عندكم أي مجاوبته للسيد داود ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهي الدرع لأنها تلبس وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح ﴿لَّكُمْ﴾ في جملة الناس ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالنون لله، وبالتحتانية لداود، وبالفوقانية للبوس ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنتُمْ﴾ يا أهل مكة

قوله: (لأمره به) المصدر مضاف لفاعله والمفعول محذوف أي: لأمر داود لهما به، أي: بالتسبيح إذا وجد داود فترة. وعبارة القرطبي: قال وهب: كان داود عليه السلام يمر بالجبال مسبحاً والجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير، وقيل: كان داود إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت، ولهذا قال: وسخرنا أي: جعلناها بحيث تطيعه إذا أمرها بالتسبيح اهـ.

قوله: (وإن كان عجباً عندكم) أي: مستغرباً في اعتقادكم، وقوله: مجاوبة علة لقوله: ﴿وكنا فاعلين﴾، وعبارة الخطيب: وكنا فاعلين أي: من شأننا الفعل لأمثال هذه الأفاعيل، ولكل شيء نريده فلا يتكبر علينا أمر وإن كان عندكم عجباً، وقد اتفق نحو هذا لغير واحد من هذه الأمة. كان مطرف بن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه أبنيته اهـ.

قوله: ﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾ فداود أول من صنع الدروع التي تسمى الزرد، وقيل: نزل ملكان من السماء فمرا بداود، فقال أحدهما للآخر: نعم الرجل إلا أنه يأكل من بيت المال فسأل الله أن يرزقه من كسبه فألان له الحديد فصنع منه الدروع اهـ من البحر لأبي حيان.

وفي الخازن: فكان يعمل منه بغير نار كأنه طين في يده اهـ.

قوله: (وهي الدرع) في المختار: درع الحديد مؤنثة وقال أبو عبيدة: تذكر وتؤنث ودرع المرأة قميصها وهو مذكر اهـ شيخنا.

قوله: (وهو أو من صنعها) أي: على هذا الوجه أي: أنها حلق متداخل بعضها في بعض وقبل ذلك كانوا يصنعونها لكن من صفائح متصل بعضها ببعض، ولذلك قال: وكانت أي: الدروع قبلها أي قبل صنعة داود لها صفائح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لكم﴾ أي: يا أهل مكة في جملة الناس أي: مع جملة الناس، ولكم يصح أن يتعلق بعلمناه أو بصنعة أو بمحذوف صفة للبوس أي: لبوس كائن لكم اهـ سمين.

وعلى الوجه الأول تكون اللام للتعليل أي: علمناه لأجلكم، وعلى هذا يكون قوله: ﴿لتحصنكم﴾. بدلاً بإعادة اللام أي: لكم لإحصانكم، وعلى الوجهين الآخرين تكون متعلقة بعلمنا اهـ من البحر.

قوله: (بالنون الله) أي: أن الضمير في لنحصنكم بالنون لله وكذا يقال فيما بعده اهـ.

قوله: (وبالفوقانية للبوس) أي: باعتبار معناه لأنه بمعنى الدروع وهي مؤنثة. قوله: (بذلك) أي: بتصديق الرسل.

﴿شَٰكِرُونَ ۝٨٠﴾ نعمي بتصديق الرسول أي اشكروني بذلك ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وفي آية أخرى رخاء أي شديدة الهبوب وخفيفته بحسب إرادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ۝٨١﴾ من ذلك علمه تعالى بأن ما يعطيه

قوله: ﴿ولسليمان الريح﴾ عبَّر هنا باللام الدالة على التمليك، وفي حق داود بمع، وذلك لأن الجبال والطير لما اشتركا معه في التسبيح ناسب فيه ذكر مع الدالة على الاصطحاب، ولما كانت الريح مستخدمة لسليمان أتى بلام الملك لأنها في طاعته وتحت أمره اهـ من البحر.

والريح جسم لطيف لا يدرك بالبصر اهـ شيخنا.

قوله: (أي شديدة الهبوب الخ) لف ونشر مرتب. أي: فهي جامعة للوصفين في وقت واحد، وهذه آية أخرى غير التسخير اهـ كرخي.

قوله: ﴿تجري بأمره﴾ حال. قوله: ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ أي: تجري منتهية إليها في رواحه من سفره أي: رجوعه منه. وعبارة البيضاوي: تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وهي الشام رواحاً بعد ما سارت به منه بكرة اهـ.

وفي الخازن: قال وهب: كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الإنس والجن حين يجلس على سريره، وكان أمراً غازياً قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم، وكان يوضع له منبر من الذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة يقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليها شمس ويرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح، وقال الحسن: لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيراً منها وأسرع الريح يجري بأمره كيف شاء، فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل.

وروي أن سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللاً بلاد الترك، ثم جاوزهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك، ثم عطف على يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند، وجاوزها وخرج منها إلى مكران وكرمان، ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياماً وغدا منها فقال بكَكر ثم راح إلى الشام، وكان مستقرة بمدينة يومر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه إلى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأصفر والأبيض اهـ.

قوله: (وهي الشام) وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث يشاء سليمان، ثم يعود إلى منزله بالشام اهـ خازن.

قوله: (من ذلك) أي: من علمه تعالى وهذا خبر مقدم، وعلمه بأن ما يعطيه الخ مبتدأ مؤخر أي ومن جملة علمه بكل شيء علمه بأن ما يعطيه سليمان الخ.

سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿مِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾ يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي سوى الغوص من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ من أن يفسدوا ما عملوا لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل الليل أفسدوه إن لم يشغلوا بغيره ﴿وَ﴾ اذكر ﴿أَيُّوبَ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده

قوله: ﴿ومن الشياطين﴾ أي: الكافرين دون المؤمنين. قوله: ﴿من يغوصون له﴾ يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة على كلا التقديرين فموضعها إما نصب نسقاً على الريح أي: وسخرنا له من يغوصون، أو رفع على الابتداء والخبر في الجار قبله وجمع الضمير حملاً على معنى من وحسن ذلك تقدم الجمع في قوله: ﴿الشياطين﴾، فلما ترشح جانب المعنى روعي اهـ سمين.

قوله: ﴿دون ذلك﴾ دون بمعنى غير وسوى كما فعل الشارح لا بمعنى أقل وأدون اهـ شيخنا.

قوله: (أي سوى الغوص) كالثورة والطاحون والقوارير والصابون، لأن ذلك من استخراجاتهم. قيل: سخر الكفار دون المؤمنين ويدل عليه لفظ الشياطين، والمؤمن إذا سخر في أمر لا يحتاج إلى الحفظ اهـ من البحر.

قوله: (من البناء) أي: بناء القصور والبيوت، وسيأتي في سورة سبأ قوله تعالى: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل﴾ [سبأ: ١٣] الخ. قوله: (لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل الخ) عبارة الخازن: وكنا لهم حافظين أي: حتى لا يخرجوا من أمره وقيل: حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا، وذلك أنهم كانوا إذ عملوا عملاً في النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه وخربوه، وقيل: إن سليمان كان إذا بعث شيطاناً مع إنسان ليعمل له عملاً قال له: إذا فرغ من عمله قبل الليل فأشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه، انتهت.

قوله: (ويبدل منه) أي: من أيوب أي: من المضاف المقدر. قوله: (لما ابتلى) متعلق بنادى. قوله: (بفقد ما له الخ) فابتلاه الله بأربعة أمور، وعاش أيوب ثلاثاً وستين سنة، وكانت مدة بلائه سبع سنين، وولده ذو الكفل، واسمه بشر بعثه الله بعد أبيه أيوب وسماه ذو الكفل وأمره الله بالتوحيد، وكان مقيماً بالشام حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة اهـ من التحبير للسيوطي.

قال الخازن: وكان أيوب رجلاً من الروم ينتسب للعيص بن إسحاق، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران أخي إبراهيم، وكان له من أصناف المال إبل وبقر وغنم وفيلة وحمر، وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وكانوا كهولاً. وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات فيقف فيهن حيثما أراد فسمع صلاة الملائكة على أيوب فحسده وقال: إلهي نظرت في عبدك أيوب فوجدته شاكراً حامداً لك، ولو ابتليته لرجع عن شكرك وطاعتك، فقال الله له: انطلق فقد سلطتك على ماله، فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجن، وقال لهم: قد سلطت على مال أيوب وقال لعفريت منها: أين الإبل ورعاتها فاذهب فاحرقها، ثم جاء إبليس إلى أيوب فوجده قائماً يصلي فقال له: أحرقت نار إبلك ورعاتها، فقال أيوب: الحمد لله وهو أعطانيها

وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثاً أو سبعاً أو ثماني عشرة وضيق عيشه ﴿أَنِّي﴾ بفتح الهمزة بتقدير الباء ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي الشدة ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرࣲّۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾ أولاده الذكور والإناث بأن أحيوا له، وكل من

وهو أخذها. ثم فعل مثل ذلك بالغنم ورعاتها، ثم جاء إلى أيوب وقال له: نسفت الريح زرعك فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال إبليس: سلطني على ولده فقال له: انطلق قد سلطتك على ولده فذهب إلى ولده وزلزل بهم القصر وقلبه عليهم فماتوا جميعاً، ثم جاء أيوب وأخبره بموت أولاده فاستغفر. ثم قال: سلطني على جسده، فقال: سلطتك على جسده غير قلبه ولسانه وعقله ولم يسلطه الله عليه إلا رحمة له ليعظم له الثواب وعبرة للصابرين وذكرى للعابدين ليقتدوا به في الصبر ورجاء الثواب، فذهب إلى أيوب فوجده ساجداً فجاء من قبل وجهه ونفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده ووقع فيه حكة فحكها بإظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكها بالمسوح الخشنة ثم بالفخار والحجارة فلم يزل يحكها حتى تقطع جسده وأنتن، فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشاً وهجره الناس كلهم إلا زوجته رحمة بنت افراثيم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تخدمه بما يصلحه وتأتيه بالطعام. وهجره الثلاثة الذين آمنوا ولم يتركوا دينهم، ونقل أن سبب قوله: ﴿أني مسني الضر﴾ أن الدود قصد قلبه ولسانه فخشي أن يفتر عن الذكر ولا ينافي صبره قوله: ﴿أني مسني الضر﴾ لأنه ليس بشكاية هو دعاء، ولأن الشكوى المنهي عنها لا تكون إلا للخلق لا للخالق اهـ باختصار.

قوله: (وهجر جميع الناس له) حتى الثلاثة الذين آمنوا به اهـ خازن.

قوله: (سنين) ظرف لقوله ابتلى. قوله: (أو ثماني عشرة) هذا القول هو الصحيح اهـ كرخي.

قوله: (وضيق عيشه) بصيغة الفعل المبني للمجهول عطفاً على ابتلى أو بصيغة المصدر عطفاً على فقد اهـ شيخنا.

وانظر لم فصل هذا المعطوف عن غيره من المتعاطفات.

قوله: ﴿مسني الضر﴾ أي: بأنواعه المتقدمة قال للجنس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ وصف نفسه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها، واكتفى بذلك عن غرض المطلوب أي عن التصريح به لطفاً في السؤال، وكونه سبحانه ضاراً لا ينافي كونه نافعاً بل هو الضار النافع، فإضراره ليس لدفع مشقة ونفعه ليس لجلب منفعة بل لا يسأل عما يفعل اهـ كرخي.

قوله: ﴿فاستجبنا﴾ (نداءه) أي دعاءه أو نداءه الذي في ضمنه الدعاء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فكشفنا ما به من ضر﴾ فقال الله له: اركض برجلك فركض فنبعت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد، فأمره أن يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما كان اهـ خازن.

الصنفين ثلاث أو سبع ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ من زوجته وزيد في شبابها، وكان له أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول له ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ صفة ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ليصبروا فيثابوا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

وبقي المال فلم يذكر في الآية وقد ذكره الشارح بقوله: (وكان له أندر الخ) تتمة لقوله: ﴿فاستجبنا له﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (بأن أحيوا له) أي: لأنهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم كما سبق تقريره في البقرة، وهذا أحد التأويلين في ذلك، وقيل: بل رزقه الله مثلهم. روي أن امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابناً. قال ابن عباس: أبدل بكل شيء ذهب منه ضعفاه، وظاهر القرآن هو الأول. قال الثعلبي: وهذا القول أشبه بالآية، وجوابه فيما يظهر أن إحياء الله من أماته إنما هو فيمن أماته عقوبة كما مرَّ اهـ كرخي.

قوله: (ثلاث أو سبع) فجملتهم ستة أو أربعة عشر اهـ.

قوله: (وكان له أندر) بوزن أحمر البيدر بلغة أهل الشام والجمع الأنادر اهـ مختار.

قوله: (والبيدر) بوزن خيبر الموضع الذي يداس فيه الطعام، وأندر اسم جنس فيكون مصروفاً اهـ شيخنا.

قوله: (أفرغت إحداهما) أي: أمطرت، وقوله: (الذهب) أي: لمناسبة الذهب للقمح في الحمرة، ومثل ذلك يقال فيما بعده، وقوله: (حتى فاض) أي: المذكور من الأندرين أي امتلأ اهـ شيخنا.

قوله: (مفعول له) ويجوز أن يكون مصدراً لفعل مقدر أي: رحمناه رحمة والأول أظهر، وخص العابدين لأنهم المنتفعون بذلك، وختم القصة هنا بقوله: ﴿من عندنا﴾، وختمها في سورة ص بقوله: منا لأن أيوب بالغ هنا في التضرع بقوله: ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾، فبالغ تعالى في الإجابة فناسب ذكر من عندنا لأن عندنا يدل على أنه تعالى تولى ذلك بنفسه ولا مبالغة في ص، فناسب فيها ذكر منا لعدم دلالته على ما دل عليه عندنا قاله شيخ الإسلام زكريا اهـ كرخي.

قوله: ﴿وذكرى للعابدين﴾ أي غير أيوب، وقوله: (ليصبروا الخ) أي: كما صبر أيوب فأثيب اهـ.

قوله: ﴿واذكر إسماعيل﴾ لما ذكر الله تعالى صبر أيوب على البلاء أتبعه بذكر هؤلاء الأنبياء لأنهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضاً. أما إسماعيل عليه الصلاة والسلام فصبر على الانقياد للذبح اهـ شيخنا.

وعاش إسماعيل مائة وثلاثين سنة، وكان له حين مات أبوه تسع وثمانين سنة وأخوه إسحاق ولد بعده بأربع عشرة سنة، وعاش مائة وثمانين اهـ من التحبير.

قوله: ﴿وإدريس﴾ هو جد نوح ولد في حياة آدم قبل موته بمائة سنة، وبعث بعد موته بمائتي

على طاعة الله وعن معاصيه ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ من النبوة ﴿إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ لها، وسمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك، وقيل لم يكن نبياً ﴿وَ﴾ اذكر ﴿ذَا النُّونِ﴾ صاحب الحوت وهو

سنة، وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة، فتكون جملة عمره أربعمائة وخمسين سنة، وكان بينه وبين نوح ألف سنة اهـ من التحبير.

قوله: ﴿وذا الكفل﴾ هذا لقبه سماه الله به لما ذكره الشارح واسمه العلمي بشر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأدخلناهم﴾ معطوف على مقدر أي: فأعطيناهم ثواب الصابرين وأدخلناهم اهـ شيخنا.

قوله: (من النبوة) لم يفسر الرحمة بالنبوة في قصة لوط عليه الصلاة والسلام للعلم بإيتاء النبوة فيها مما سبق على قوله: وأدخلناه في رحمتنا بخلافه اهـ كرخي.

قوله: (لأنه تكفل بصيام جميع نهاره الخ) فكان يصوم النهار ويصلي بالليل ولا يفتر، وكان ينام وقت القيلولة وكان لا ينام من الليل والنهار إلا تلك النومة، فأتاه إبليس حين أخذ مضجعه فدق عليه الباب فقال: من هذا؟ فقال: شيخ كبير بيني وبين قومي خصومة، وأنهم ظلموني، فقام وفتح له الباب وصار يطيل عليه الكلام حتى ذهبت القيلولة فقال له: إذا قعدت للحكم فأتني أخلص حقك، فلما جلس للحكم لم يجده، فلما رجع إلى القائلة من الغد أتاه فدق الباب فقال له: من هذا؟ فقال: الشيخ المظلوم ففتح الباب فقال: ألم أقل لك إذا قعدت للحكم فأتني؟ فقال: إن خصومي أخبث قوم إذا علموا أنك قاعد قالوا نعطيك حقك وإذا قمت جحدوني. فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض أهله: لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق عليَّ النعاس، فلما كانت تلك الساعة جاء إبليس فلم يأذن له الرجل، فرأى كوة أي: طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له: أتنام والخصوم ببابك، فعرف أنه عدو الله وقال: فعلت ما فعلت لأغضبك فعصمك الله اهـ من الخازن.

قوله: (وقيل لم يكن نبياً) أي: بل كان عبداً صالحاً، والصحيح أنه نبي، وفي شرح دلائل الخيرات قيل: هو إلياس، وقيل: زكريا، وقيل: كان نبياً غير من ذكر. روي أنه بعث إلى رجل واحد، وقيل: لم يكن نبياً ولكنه كان عبداً صالحاً، وقيل: اسمه بشير بن أيوب من ذرية العيص بن إسحاق بن إبراهيم اهـ.

وعبارة الكرخي: قوله: (وقيل لم يكن نبياً) بل عبد صالح تكفل بعمل صالح قاله أبو موسى الأشعري ومجاهد، والصحيح أنه نبي قاله الحسن، وعليه الجمهور لأنه تعالى قرن ذكره بإسماعيل وإدريس، والغرض ذكر الفضلاء من عباده فيدل ذلك على نبوته، ولأن السورة ملقبة بسورة الأنبياء لأن قوله: ﴿ذا الكفل﴾ يحتمل أن يكون لقباً وأن يكون اسماً، والأولى أن يكون اسماً لأنه أكثر فائدة من اللقب، وإذا ثبت ذلك فالكفل هو النصيب لقوله تعالى: ﴿يكن له كفل منها﴾ [النساء: ٨٥]. والظاهر أن الله تعالى إنما سماه بذلك تعظيماً له، فوجب أن يكون الكفل هو كفل الثواب، فسمي بذلك لأن عمله وثواب عمله كان ضعف عمل غيره وضعف ثواب غيره، وقد كان في زمنه أنبياء على ما روي وهذا بسط ما ذكره الشيخ المصنف اهـ.

يونس بن متى، ويبدل منه ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ لقومه أي غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له في ذلك ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي نقضي عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن

قوله: ﴿و﴾ (اذكر) ﴿ذا النون﴾ في المختار: النون الحوت وجمعه أنوان ونينان، وذو النون لقب يونس ابن متى اهـ.

وقال في موضع آخر: الحوت السمكة والجمع حيتان ولا يتقيد بالكبيرة خلافاً لمن قيد به اهـ.

قوله: (وهو يونس بن متى) على وزن شتى اسم لوالده على ما ذكره صاحب القاموس، أو اسم لأمه على ما قاله ابن الأثير وغيره اهـ كرخي.

وكان متى رجلاً صالحاً وتوفي متى ويونس في بطن أمه وله أربعة أشهر اهـ زكريا.

وعبارة الشهاب: ومتى اسم أبيه على الصحيح، وقال ابن الأثير كغيره: أنه اسم أمه ولم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه غير يونس وعيسى عليهما السلام اهـ.

قوله: (ويبدل منه) أي: بدل اشتمال. قوله: ﴿مغاضباً﴾ (لقومه) أي: لا لربه فليس مغاضباً له، وقوله: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي: لما وقع في قلبه أنه مخير بين الإقامة والخروج. وقوله: ﴿إني كنت من الظالمين﴾ إي: في الذهاب بلا إذن، فكأنه في هذه الأشياء ترك الأفضل الذي هو المكث فيهم صابراً على أذاهم مع قدرته على تحصيله، فكان ذلك ظلماً فعوقب على ترك الأفضل اهـ ملخصاً من الخازن.

قوله: (أي غضبان عليهم) أشار به إلى أن المفاعلة ليست على بابها فلا مشاركة كعاقبت وسافرت، ويحتمل أن تكون على بابها من المشاركة أي غاضب قومه وغاضبوه حين لم يؤمنوا في أول الأمر اهـ كرخي.

قوله: (ولم يؤذن له في ذلك) أي: الذهاب. قوله: (أي نقضي عليه بما قضينا الخ) أشار بذلك إلى أن معنى أن لن نقدر عليه لن نقضي عليه بما ذكر أو نضيق عليه بذلك من القدر كما في قوله تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ [الرعد: ٢٦] لا من القدرة والاستطاعة اهـ كرخي.

وفي المصباح: أن قدر بكل من المعنيين المذكورين يأتي ضرب ونصر اهـ.

قوله: (من حبسه في بطن الحوت) ومدة مكثه في بطن الحوت أربعون يوماً أو سبعة أيام أو ثلاثة كما في الخازن. وفي البيضاوي: أنه مكث أربع ساعات وأوحى الله إلى ذلك الحوت لا تأكل له لحماً ولا تهشم له عظماً فإن ليس رزقاً لك، وإنما جعلتك له سجناً اهـ.

قوله: ﴿فنادى في الظلمات﴾ أي: بعد أن هرب إلى السفينة المشحونة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي توعدهم به، فركب السفينة فوقفت في لجة البحر فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة فقارع أهل السفينة فكان من المغلوبين بالقرعة، فألقوه في البحر فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه البحر بلا إذن، فألقاه الحوت بالساحل من يومه أو

الحوت ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ في ذهابي من بين قومي بلا إذن ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ بتلك الكلمات ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه ﴿نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين ﴿وَ﴾ اذكر ﴿زَكَرِيَّآ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ بقوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ أي بلا ولد يرثني ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾ الباقي بعد فناء خلقك ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ ولداً ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ فأتت بالولد بعد عقمها ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي من ذكر من الأنبياء ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الطاعات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾ من عذابنا ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا

بعد ثلاثة أيام أو سبعة أو عشرين أو أربعين يوماً، وكانت تأتيه وعلة أي غزالة صباحاً ومساء فيشرب من لبنها حتى قوي اهـ من الجلال في سورة الصافات.

قوله: ﴿أن لا إله إلا أنت﴾ يجوز في أن وجهان، أحدهما: أنها المخففة من الثقيلة واسمها محذوف والجملة المنفية بعدها الخبرية. والثاني: أنها تفسير لأنها بعدها هو بمعنى القول لا حروفه اهـ سمين.

وأول هذا الدعاء تهليل، وأوسطه تسبيح، وآخره إقرار بالذنب اهـ شيخنا.

وعن النبي ﷺ: «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له» اهـ بيضاوي.

قوله: (بتلك الكلمات) متعلق بنجيناه، وفي نسخة بتلك الظلمات، وعليها فيكون متعلقاً بقوله: ﴿من الغم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (داعين) أي بهذا الدعاء اهـ شيخنا.

قوله: (يرثني) أي ارث نبوة وعلم وحكمة اهـ.

قوله: ﴿وأنت خير الوارثين﴾ معطوف على مقدر أي فارزقني وارثاً وأنت الخ كما في الخازن.

قوله: (بعد عقمها) المراد بالعقم انسداد الرحم عن الولادة وهو بضم العين وفتحها كما في المختار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنهم كانوا﴾ الخ علة لمحذوف أي: نالوا ما نالوا لأنهم كانوا يسارعون الخ اهـ شيخنا.

قوله: (أي من ذكر من الأنبياء) أي: المذكورين في هذه السورة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يسارعون في الخيرات﴾ أي: يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير وهو السر في إيثار كلمة في على كلمة إلى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين إليها، كما في قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة ربكم﴾ [آل عمران: ١٣٣] اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿رغباً ورهباً﴾ يجوز أن ينتصبا على المفعول من أجله، وأن ينتصبا على أنهما مصدران واقعان موقع الحال أي راغبين راهبين، وأن ينتصبا على المصدر الملاقي لعامله في المعنى دون اللفظ لأن ذلك نوع منه اهـ سمين.

خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ متواضعين في عبادتهم ﴿وَ﴾ اذكر مريم ﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ حفظته من أن ينال ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ الإنس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فحل ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمۡ﴾ دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها

ورغب ورهب كل منهما من باب طرب كما في المختار.

قوله: ﴿والتي أحصنت فرجها﴾ يجوز أن ينتصب نسقاً على ما قبله، وأن ينتصب بإضمار اذكر وأن يرتفع بالابتداء والخبر محذوف أي: وفيها يتلى عليكم أحصنت، ويجوز أن يكون الخبر فنفخنا وزيدت الفاء على رأي الأخفش نحو: زيد فقائم اهـ سمين.

قوله: (أي حفظته من أن ينال) أي: يصل إليه أحد بحلال أو حرام اهـ بيضاوي.

وقيل: لا ينبغي ذكر الحلال، لأن النكاح سنة في الشرائع القديمة، فلا يصح جعله منشأ للفضيلة وليس بشيء، لأن التبتل والترهب كان في شريعتهم ثم نسخ، ولو سلم فذكره هنا لازم لتكون ولادتها خارقة للعادة اهـ شهاب.

قوله: ﴿من روحنا﴾ أي من جهة روحنا، والمراد بالروح جبريل كما قال الشارح أي: أمرنا جبريل فنفخ اهـ شيخنا.

أو المراد فنفخنا فيها بعض روحنا أي بعض الأرواح المخلوقة لنا، وذلك البعض هو روح عيسى لأنها وصلت في الهواء الذي نفخه إلى رحمها اهـ.

قوله: (في جيب درعها) أي فالكلام على حذف مضافين، ولهذا ذكر الضمير في التحريم فقال: فنفخنا فيه وأشار إلى أن المراد بفرجها جيبها، لأنها إذا منعت جيبها من أن ينال كانت لما سواه أمنع، والمعنى فنفخنا في عيسى روحه في جوفها أي: أجريناه إجراء الهواء بالنفخ من جهة روحنا جبريل فاندفع ما يقال نفخ الروح في شيء عبارة عن حيائه. قال الله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر: ٩] فالآية تدل على إحياء مريم والمقصود إحياء عيسى عليه الصلاة والسلام اهـ كرخي.

قوله: ﴿آية للعالمين﴾ هذا هو المفعول الثاني، وإنما إنه حذف من الأول ليثنى، لأن كلا من مريم وابنها آية بانضمامه للآخر فصارا آية واحدة أو نقول إنه حذف من الأول لدلالة الثاني أو بالعكس أي: وجعلنا ابن مريم آية وأمه كذلك، وهو نظير الحذف في قوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة: ٦٢] وقد تقدم اهـ سمين.

قوله: ﴿أمتكم﴾ الأمة الملة وأصلها القوم الذين يجتمعون على دين واحد، ثم اتسع فيها فاطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين قال تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ [الزخرف: ٢٣] أي: دين وملة اهـ زاده.

قال الشهاب: وظاهر كلام الراغب أنه حقيقة في هذا المعنى اهـ.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حال لازمة ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾ وحدون ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ أي بعض المخاطبين ﴿أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى، قال تعالى ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣﴾ أي فنجازيه بعمله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي جحود ﴿لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۝٩٤﴾ بأن نأمر الحفظة

قوله: (أيها المخاطبون) أي: المعاصرون للنبي ﷺ أي: أن ملة الإسلام هي دينكم وملتكم التي يجب عليكم أن تكونوا عليها لا تنحرفوا عنها. ملة واحدة أي: غير مختلفة اهـ من البحر.

والعامة على رفع أمتكم خبراً لأن، ونصب أمة واحدة على الحال، وقيل: على البدل من هذه فيكون قد فصل بالخبر بين البلد والمبدل منه نحو: إن زيداً قائم أخاك، وقرأ الحسن أمتكم بالنصب على البدل من هذه أو عطف البيان اهـ سمين.

قوله: ﴿فاعبدون وتقطعوا﴾ وفي المؤمنون فاتقون فتقطعوا، لأن الخطاب في هذه الآية للكفار فأمرهم بالعبادة التي هي التوحيد، ثم قال؛ وتقطعوا بالواو، لأن التقطع قد كان منهم قبل هذا القول لهم، ومن جعله خطاباً للمؤمنين فمعناه دوموا على العبادة، وفي المؤمن الخطاب للنبي ﷺ وللمؤمنين بدليل قوله: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ [المؤمنون: ٥١] والأنبياء والمؤمنون مأمورن بالتقوى، ثم قال: فتقطعوا أمرهم بينهم أي: ثم ظهر منهم التقطع بعد هذا القول، والمراد أمتهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿أمرهم بينهم﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدهما: أنه منصوب على إسقاط حرف الخفض أي: تفرقوا في أمرهم. الثاني: أنه مفعول به وعدى تقطعوا إليه لأنه بمعنى قطعوا. الثالث: أنه تمييز وليس بواضح معنى أيضاً هو معرفة، فلا يصح من جهة صناعة البصريين. قال أبو البقاء: وقيل: هو تمييز أي: تقطع أمرهم فجعله منقولاً من الفاعل، وفي: الكلام التفات من الخطاب وهو قوله: ﴿أمتكم﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿وتقطعوا﴾ تشنيعاً عليهم بسوء صنيعهم اهـ سمين.

قوله: (أي تفرقوا أمر دينهم﴾ المراد بالتفرق التفريق بأن آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كل﴾ أي كل من الثابت على دينة الحق والزائغ عنه إلى غيره اهـ من البحر.

قوله: ﴿من الصالحات﴾ أي الفرائض والنوافل ومن زائدة أو تبعيضية.

قوله: ﴿فلا كفران﴾ الكفران: مصدر بمعنى الكفر، ولسعيه متعلق بمحذوف أي يكفر لسعيه فلا يتعلق بكفران لأنه يصير مطولاً، والمطول ينصب، وهذا مبني والضمير في له يعود على السعي اهـ سمين.

قوله: (أي جحود) يعين أن الكفران مصدر بمعنى الكفر الذي هو الجحود والإنكار شبه منع الثواب بالكفر والجحود، فأطلق عليه الكفر كما في قوله: ﴿وما يفعلوا من خير فلن تكفروه﴾ [آل عمران: ١١٥] أي لن تحرموا ثوابه ولن تمنعوه اهـ زاده.

وعبارة الكرخي: فلا كفران لسعيه المعنى لا بطلان ثواب عمله فهو كقوله: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ [الإسراء: ١٩] فالكفران مثل في حرمان

بكتبه فنجازيه عليه ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أريد أهلها ﴿أَنَّهُمْ لَا﴾ زائدة ﴿يَرْجِعُونَ ۝٩٥﴾ أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز وتركه اسمان أعجميان لقبيلتين ويقدر قبله مضاف أي

الثواب والشكر مثل في إعطائه فقوله: ﴿فلا كفران﴾ المراد نفي الجنس للمبالغة، لأن نفي الماهية يستلزم نفي جميع أفرادها اهـ.

قوله: (أي ممتنع رجوعهم الخ) يعني أن الحرام استعير للممتنع الوجود بجامع أن كلا منهما غير مرجو الحصول اهـ شهاب.

وأشار الشارح بهذا الحل إلى أن حرام مبتدأ وأنهم لا يرجعون مرفوع به أغنى عن الخبر، وقيل: إن هذا إنما يأتي على طريقة الأخفش الذي لا يشترط اعتماد الوصف الرافع لما يقوم مقام الخبر اهـ.

فالأولى أن يعرب حرام خبراً مقدماً، وأنهم لا يرجعون مبتدأ مؤخراً كما في زكريا على البيضاوي. وفي أبي السعود: وأنهم لا يرجعون في حيز الرفع على أنه مبتدأ خبره حرام، أو فاعل به سد مسد خبره اهـ.

قوله: (غاية لامتناع رجوعهم) أي فهي متعلقة بحرام وهي حرف ابتداء، وإذا شرطية جوابها فإذا هي شاخصة الخ. وفي الكرخي: قوله: (غاية لامتناع رجوعهم) أشار به إلى أن حتى متعلقة في المعنى بحرام غاية لما قبلها، وأنها التي يحكى بعدها الكلام، والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني: إذا وما في حيزها.

وأبو البقاء ذهب إلى نحو هذا فقال: وحتى متعلقة في المعنى بحرام أي يستمر الامتناع إلى هذا الوقت ولا عمل لها في إذا، وقال الحوفي: هي غاية والعامل فيها ما دل عليه المعنى من تأسفهم على ما فرطوا فيه من الطاعة حين فاتهم الاستدراك، وقال ابن عطية: حتى متعلقة بقوله: ﴿وتقطعوا﴾. قال أبو حيان: وكون حتى متعلقة بتقطعوا فيه بعد من حيث كثرة الفصل، لكنه من حيث المعنى جيد وهو أنهم لا يزالون مختلفين على دين الحق إلى قرب مجيء الساعة، فإذا جاءت الساعة انقطع ذلك اهـ.

وفي السمين: وتلخص في متعلق حتى أوجه، أحدها: أنها متعلقة بحرام. والثاني: أنها متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى وهو قول الحوفي. الثالث: أنها متعلقة بتقطعوا. الرابع: أنها متعلقة بيرجعون. وتلخص في حتى وجهان، أحدهما: أنها حرف ابتداء وهو قول الزمخشري، وابن عطية فيما اختاره. والثاني: أنها حرف جر بمعنى إلى. وفي جواب إذا وجهان، أحدهما: أنه محذوف فقدره أبو إسحاق قالوا يا ويلنا، وقدره غيره فحينئذ يبعثون، وقوله: ﴿فإذا هي شاخصة﴾ معطوف على هذا المقدر. والثاني: أن جوابها الفاء في قوله: فإذا هي قاله الحوفي، والزمخشري، وابن عطية. وقال الزمخشري: وإذا هي التي للمفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء، كقوله تعالى: ﴿إذ هم يقنطون﴾ [الروم: ٣٦] فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، ولو قيل: إذا هي شاخصة كان سديداً. وقال ابن عطية: والذي أقول إن الجواب في قوله: ﴿فإذا هي شاخصة﴾، وهذا هو المعنى الذي قصد ذكره لأنه رجوعهم الذي كانوا يكذبون به وحرم عليه امتناعه اهـ.

سدهما، وذلك قرب القيامة ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يسرعون ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي القصة ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في ذلك اليوم لشدته يقولون ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿وَيۡلَنَا﴾ هلاكنا ﴿قَدۡ كُنَّا﴾ في

قوله: (وذلك قرب القيامة) أي بعد نزول سيدنا عيسى إلى الأرض، ثم يهلكون بدعائه عليهم فتملأ رممهم وجيفهم الأرض، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض من آثارهم، ثم يقول الله للأرض: أنبتي ثمرك فيكثر الرزق جداً ويستقيم الحال لعيسى والمؤمنين، فبينما هم كذلك إذ بعث الله علهيم ريحاً طيبة تقبض روح كل مؤمن ومسلم وتبقي شرار الناس يتهارجون في الأرض كتهاريج الحمر، فعليهم تقوم الساعة اهـ خازن.

وبين موت عيسى والنفخة الأولى مائة وعشرون سنة، لكن السنة بقدر شهر، كما أن الشهر بقدر جمعة، والجمعة بقدر يوم، واليوم قدر ساعة، فيكون بين عيسى والنفخة الأولى قدر اثنتي عشرة سنة من السنين المعتادة اهـ.

قوله: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ يجوز أن يعود الضمير على يأجوج ومأجوج، وأن يعود على العالم بأسره والأول أظهر، وقرأ العامة ينسلون بكسر السين. والحدب: النشز من الأرض أي المرتفع، ومنه الحدب في الظهر وكل كدية أو أكمة فهي حدبة، وبهما سمي القبر لظهوره على وجه الأرض، والنسلان مقاربة الخطأ مع الإسراع. يقال: نسل ينسل بالفتح في الماضي والكسر والضم في المضارع اهـ سمين.

وفي المصباح: نسل في مشيه نسلاناً أسرع وهو من باب ضرب اهـ.

قوله: ﴿واقترب الوعد﴾ عطف على فتحت فهو من جملة الشرط اهـ.

قوله: ﴿فإذا هي شاخصة أبصار﴾ فيه وجهان، أحدهما: وهو الأجود أن يكون هي ضمير القصة، وشاخصة خبر مقدم، وأبصارهم مبتدأ مؤخر، والجملة خبر لهي لأنها لا تفسر إلا بجملة مصرح بجزأيها وهذا مذهب البصريين. الثاني: أن يكون شاخصة مبتدأ، وأبصار فاعل سد مسد الخبر، وهذا إنما يتمشى على مذهب الكوفيين لأن ضمير القصة عندهم يفسر بالمفرد العامل عمل الفعل فإنه في قوة الجملة اهـ سمين.

قوله أيضاً: ﴿فإذا هي شاخصة﴾ شخوص أبصارهم إنما هو في القيامة بعد النفخة الثانية فالتعقيب عرفي أريد به المبالغة هنا اهـ شهاب.

لأنه رتب الشخوص على فتح السد وعلى اقتراب الساعة على أن الشخوص لا يوجد إلا يوم القيامة، وفيه أن فتح السد كناية عن قيام الساعة. نعم يحتاج لكلام الشهاب بالنظر لقوله واقترب الوعد الحق لأنه معطوف على فعل الشرط تأمل. وعبارة زاده: فإن قيل: الشرط هو مجموع فتح سد يأجوج ومأجوج واقتراب القيامة، وهذا المجموع إنما يحصل في آخر أيام الدنيا، والجزاء وهو شخوص أبصار الذين كفروا أي ارتفاعها من شدة الهول إنما يحصل يوم القيامة، والشرط والجزاء لا بد أن يتقارنا في الزمان، فالجواب أن التفاوت القليل يجري مجرى العدم اهـ.

قوله: (يقولون) ﴿يا ويلنا﴾ الخ أشار به إلى أن يا ويلنا معمول لقول محذوف في موضع الحال

الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ أنفسنا بتكذيبنا للرسل ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره من الأوثان ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وقودها ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ داخلون فيها ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأوثان ﴿ءَالِهَةً﴾ كما زعمتم ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ دخلوها ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ ﴿لَهُمْ﴾ للعابدين ﴿فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ شيئاً لشدة غليانها. ونزل لما قال ابن

من الذين كفروا أي حال كونهم قائلين يا ويلنا اهـ كرخي.

قوله: ﴿بل كنا ظالمين﴾ قال أبو حيان: أضربوا عن قولهم قد كنا في غفلة واخبروا بما كانوا قد تعمدوه من الكفر والاعراض عن الإيمان اهـ كرخي.

قوله: (بتكذيبنا للرسل﴾ أي لأنهم نبهونا فأعرضنا اهـ كرخي.

قوله: (مَن الأوثان) خصها بالذكر لأنها كانت معظم معبوداتهم، وإلاَّ فالشمس والقمر يكونان ثورين عقيرين في النار أيضاً، كما صح بذلك خبر أبي هريرة أخرجه البيهقي وأصله في البخاري، والحكمة في أنهم قرنوا بآلهتهم أنهم لا يزالون في مقارنتهم زيادة غم وحسرة لأنهم ما وقعوا في ذلك العذاب إلا بسببهم، والنظر إلى وجه العدو باب من العذاب اهـ كرخي.

قوله: ﴿حصب جهنم﴾ أي ما يرمى به إليها وتهيج به من حصبه يحصبه من باب ضرب إذا رماه بالحصباء اهـ بيضاوي.

ولا يقال له حصب إلا وهو في النار، فأما قبل ذلك فحطب وشجر وغير ذلك اهـ سمين.

وفي المختار: والحصب بفتحتين ما تحصب به النار أي ترمى، وكل ما ألقيته في النار فقد حصبتها به وبابه ضرب اهـ ومثله في القاموس.

قوله: ﴿أنتم لها واردون﴾ جوز أبو البقاء في هذه الجملة ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون بدلاً من حصب جهنم قلت: يعني أن الجملة بدل من المفرد الواقع خبراً وابدال الجملة من المفرد إذا كان أحدهما بمعنى الآخر جائز، إذ التقدير إنكم أنتم لها واردون. والثاني: أن تكون الجملة مستأنفة. والثالث: أن تكون في محل نصب على الحال من جهنم ذكره أبو البقاء، وفيه نظر من حيث مجيء الحال من المضاف إليه في غير المواضع المستثناة اهـ سمين.

قوله: ﴿لهم فيها زفير﴾ أي أنين وتنفس شديد اهـ بيضاوي.

وفي القاموس: وزفر يزفر من باب ضرب أخرج نفسه بعد سده إياه اهـ.

قال ابن مسعود: في هذه الآية إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره اهـ خازن.

قوله: (ابن الزبعرى) بكسر الزاي المعجمة وفتح الباء وسكون العين المهملة وفتح الراء المهملة والقصر معناه السيء الخلق الغليظ، وهو لقب والد عبد الله القرشي وقد أسلم بعد هذه القصة اهـ شهاب.

الزبعري: عبد عزير والمسيح والملائكة فهم في النار على مقتضى ما تقدم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا﴾ المنزلة ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ ومنهم من ذكر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ صوتها ﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ من النعيم ﴿خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾ ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ﴾ تستقبلهم ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند

وأشار المفسر بهذا الدخول إلى أن قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ بيان للآية الأولى اهـ كرخي.

قوله: (فهم في النار على مقتضى ما تقدم) أي من قوله: **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾** كما مر اهـ كرخي.

قوله: (المنزلة) ﴿الحسنى﴾ أي: الدرجة والرتبة الحسنى وهي السعادة. وفي أبي السعود: أي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي أحسن الخصال وهي السعادة، وقيل: التوفيق للطاعة. أو سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثوب على الطاعة وهو الأظهر اهـ.

قوله: ﴿أولئك عنها﴾ أي عن جهنم مبعدون، فإن قيل: كيف يكونون مبعدين عنها وقد قال: ﴿وإن منكم إلاَّ واردها﴾ [مريم: ٧١] وورودها يقتضي القرب منها؟ فالجواب: معناه مبعدون عن عذابها وألمها مع ورودهم لها، أو معناه مبعدون عنها بعد ورودها بالإنجاء المذكور بعد الورود اهـ كرخي.

قوله: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ أي صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة، فإن قيل: أي بشارة لهم في أنهم لا يسمعون حسيسها؟ فالجواب: أن المراد منه تأكيد بعدهم لأن من قرب منها قد يسمع حسيسها، فإن قيل: أليس أهل الجنة يرون أهل النار، فكيف لا يسمعون حسيس النار؟ فالجواب: إذا حملناه على التأكيد زال هذا السؤال اهـ كرخي.

وهذه الجملة أي قوله: **﴿لا يسمعون﴾** يجوز أن تكون بدلاً من مبعدون لأنه يحل محل فيغني عنه، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً، ويجوز أن تكون حالاً من الضمير المستتر في مبعدون، وقوله: **﴿وهم فيما اشتهت﴾** إلى قوله: **﴿وتتلقاهم الملائكة﴾** كل جملة من هذه الجمل يحتمل أن تكون حالاً مما قبلها، وأن تكون مستأنفة وكذا الجملة المضمرة من القول العامل في جملة قوله: **﴿هذا يومكم﴾** إذا التقدير وتتلقاهم الملائكة يقولون لهم هذا يومكم الخ اهـ سمين.

قوله: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ بيان لنجاتهم من الفزع بالكلية أثر بيان نجاتهم من النار، لأنهم إذا لم يحزنهم الفزع الأكبر لا يحزنهم ما عداه بالضرورة اهـ. أبو السعود: وحزن من باب قتل كما في المصباح.

قوله: (وهو أن يؤمر بالعبد) أي: الكافر إلى النار، وقيل: الفزع الأكبر هو حين تغلق النار على أهلها وييأسون من الخروج منها فيحصل لهم الفزع الأكبر، وقيل: هو حين يذبح الموت بين الجنة والنار فييأس أهل النار من الخروج منها اهـ من البيضاوي.

وقيل: الفزع الأكبر هو أهوال يوم القيامة وهذا أعم مما تقدم اهـ من القرطبي.

خروجهم من القبور يقولون لهم ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمَ﴾ منصوب باذكر مقدراً قبله ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ اسم ملك ﴿لِلْكُتُبِ﴾ صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب، واللام بمعنى على، وفي قراءة للكتب جمعاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ عن عدم ﴿نُّعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه

قوله: ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ أي: تستقبلهم الملائكة مهنئين لهم. قال البغوي: تقف الملائكة على أبواب الجنة يهنؤونهم، وقال الجلال المحلي: عند خروجهم من القبور ولا مانع أنها تستقبلهم في الحالين ويقولون لهم: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ أي: هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا فابشروا فيه بجميع ما يسركم اهـ خطيب.

قوله: ﴿كطي السجل﴾ مصدر مضاف لفاعله، والطي ضد النشر كما فسر به قوله تعالى: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] حيث قال مجموعات، وقوله: (اسم ملك) هو في السماء الثالثة فإن هذا الملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه اهـ شخينا.

وقوله: (أو السجل الصحفية الخ)، والمعنى على هذا كطي أي جمع صحيفة الأعمال لما كتب فيها من المعاني الكثيرة والأعمال المنتشرة اهـ بيضاوي.

وقال ابن عباس: السجل الصحيفة، والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها، والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر اهـ خازن.

قوله: ﴿للكتاب﴾ أل للجنس. قوله: (عند موته) أي؛ وطي مصدر مضاف لفاعله، وإن قلنا السجل القرطاس، فالطي مضاف للمفعول، والفاعل محذوف تقديره: كما يطوي الرجل الصحيفة ليكتب فيها أو لما يكتبه فيها من المعاني، والفاعل يحذف مع المصدر بإطراده، وقوله: (واللام زائدة) أي: وحسنها اتصالها بمعمول المصدر تقوية لتعديه نحو: عرفت ضرب زيد لعمرو، والأصل ضرب زيد عمراً، والمعنى كطي الملك الصحيفة، وقوله: (بمعنى المكتوب) أي وطي مضاف للمفعول، وقوله: (واللام بمعنى على)، وتقديره: حينئذ يوم نطوي السماء طياً طي الصحيفة على مكتوبها اهـ كرخي.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية للكتب جمعاً أي: وأما على قراءة الإفراد فأل في الكتاب للجنس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ (بعد إعدامه) تشبيهاً للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء. قال الزمخشري: فإن قلت: وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه؟ قلت: أوله إيجاده من العدم فكما أوجده أولاً من عدم يعيده ثانياً من عدم، فإن قلت: ما بال خلق منكراً؟ قلت: هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال، ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً، فكذلك معنى أول خلق، وأول الخلق بمعنى أول الخلائق، لأن الخلق مصدر لا يجمع.

تنبيه:

اختلفوا في كيفية الإعادة فقيل: إن الله تعالى يفرق أجزاء الأجسام ولا يعدمها ثم إنه يعيد تأليفها

فالكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد إلى (أول) وما مصدرية ﴿وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ﴾ منصوب بوعدنا مقدراً قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ ما وعدنا ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ بمعنى الكتاب أي كتب الله المنزلة ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ بمعنى أم الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أرض الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾ عامّ في كل صالح ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾

فذلك هو الإعادة، وقيل: إنه تعالى يعدمها بالكلية ثم إنه يوجدها بعينها مرة أخرى، وهذه الآية دالة على هذا الوجه لأنه تعالى شبه الإعادة بالابتداء، والابتداء ليس عبارة عن تركيب الأجزاء المتفرقة، بل عن الوجود بعد العدم، فوجب أن تكون الإعادة كذلك، واحتج الأولون بقوله تعالى: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] فدل هذا على أن السموات حال كونها مطوية تكون موجودة، وبقوله: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٨] وهذا يدل على أن الأرض باقية لكنها جعلت غير الأرض اهـ كرخي.

قوله: (وما مصدرية) أي: وبدأنا صلتها فما المصدرية وصلتها في محل جر بالكاف، وأول خلق مفعول به لبدأنا، والمعنى نعيد أول ما خلق إعادة مثل بدئنا له أي كما أبرزناه من العدم إلى الوجود نعيده من العدم إلى الوجود، وخلق مصدر بمعنى الخلائق فلذلك أفرد اهـ سمين.

وقال زاده: ليس المراد بأول الخلق هو من سبق وجوده وجود آخرين، لأن الكلام ليس في إعادتهم وإبرازهم خاصة، بل الكلام في إبداء مجموع الكائنات وإعادتها، فإن هذا المجموع إذا هلكوا ثم تعلقت الإعادة بهم يوصفون بالأولية بالنسبة إلى الإعادة اهـ.

قوله: ﴿وعداً علينا﴾ أي: علينا إنجازه بسبب الإخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه وأن وقوع ما علم الله وقوعه واجب اهـ كرخي.

قوله: (لمضمون ما قبله) أي: لمضمون الجملة الخبرية اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنا كنا فاعلين﴾ ذكرت هذه الجملة توكيداً لتحتم الخبر أي: نحن قادرون على أن نفعل اهـ من البحر. وقال العمادي: إنا كنا فاعلين أي: محققين هذا الوعد فاستعدوا له اهـ.

قوله: (بمعنى الكتاب) فأل في الزبور للجنس أي جنس الكتب المنزلة، وأم الكتاب اللوح المحفوظ كما في البيضاوي، والخازن، وأبي السعود، وأبي حيان، ومن بعد متعلق بكتبنا أو متعلق بكتبنا أو متعلق بمحذوف صفة للزبور، وقوله: ﴿أن الأرض يرثها﴾ مفعول كتبنا أي كتبنا وراثة الأرض كما في السمين، وقوله: (عام في كل صالح) فيتناول أمة محمد ﷺ وغيرها من الأمم اهـ شيخنا.

قوله: (عام في كل صالح) يعني أن المؤمنين العاملين بالطاعة يرثون الجنة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض﴾ [الزمر: ٧٤] قال مجاهد: وقال ابن عباس: أراد أرض الكفار بفتحها المسلمون هذا حكم من الله بإظهار الدين وإعزاز المسلمين اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن في هذا﴾ أي: القرآن، لبلاغاً أي: وصولاً إلى البغية. قال: من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجو من الثواب، وقيل بلاغاً أي كفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغة أي كفاية، والقرآن

القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ١٠٦﴾ عاملين به ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رَحۡمَةً﴾ أي للرحمة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ الإنس والجن بك ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي ما يوحى إلي في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾ منقادون لما يوحى إليَّ من وحدانية الإله، والاستفهام بمعنى الأمر ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن ذلك ﴿فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حال من الفاعل والمفعول أي مستوين في

زاد الجنة كبلاغ المسافر. وقال الرازي: هذا إشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة لقوم عابدين أي عاملين به، وقال ابن عباس: عالمين. قال الرازي: والأولى أنهم الجامعون بين الأمرين لأن العلم كالشجرة والعمل كالثمرة، والشجر بدون الثمر غير مفيد والثمر الشجر غير كائن. وقال كعب الأحبار: هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان اهـ خطيب.

قوله: ﴿إلا رحمة﴾ يجوز أن يكون مفعولاً له أي لأجل الرحمة، ويجوز أن ينتصب على الحال مبالغة في أن جعله نفس الرحمة، وأما على حذف مضاف أي ذا رحمة أو بمعنى راحم. وفي الحديث: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة» اهـ سمين.

قوله: ﴿للعالمين﴾ (الإنس والجن) أي براً وفاجراً مؤمناً وكافراً رفع بك نحو الخسف والمسخ عن الكفار وأخر عنهم عذاب الاستئصال بسببك، أو أنه ﷺ كان رحمة عامة من حيث أنه جاء بما يسعدهم أن اتبعوه ومن لم يتبعه فهو المقصر، أو المراد بالرحمة الرحيم وهو ﷺ كان رحيماً بالكافرين أيضاً. ألا ترى أنهم لما شجوه وكسروا رباعيته حتى خرَّ مغشياً عليه قال بعد إفاقته: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»، فاندفع ما قيل كيف قال ذلك مع أن النبي ﷺ لم يكن رحمة للكافرين بل نعمة إذ لولا إرساله إليهم لما عذبوا بكفرهم لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء: ١٥] اهـ كرخي.

قوله: (إلا وحدانيته) نائب فاعل يوحي وقد سبك هذا المصدر من أنما الثانية المفتوحة وما في حيزها، والتقدير: إنما يوحى إلى وحدانيته إلهكم فأنما المفتوحة وما في حيزها في محل رفع نائب الفاعل، لكن لم يذكر المفسر القصر الثاني المأخوذ من أنما المفتوح، إذ لو ذكره لقال ما يوحى إلي إلا اختصاص الإله بالوحدانية. وقال الشهاب في هذه الآية: قصران الأول قصر الصفة على الموصوف، والثاني بالعكس، فالثاني قصر فيه الله على الوحدانية، والأول فيه الوحي على الوحدانية، والمعنى لا يوحى إلي إلا اختصاص الإله بالوحدانية وأورد عليه أنه كيف يقصر الوحي على الوحدانية، وقد أوحي إليه أمور كثيرة غيرها؟ وأجيب: بأن معنى قصره عليها أنه الأصل الأصيل وما عداه غير منظور إليه في جنبه فهو قصر ادعائي اهـ ملخصاً.

قوله: ﴿فقل آذنتكم﴾ (أعلمتكم) فالهمزة فيه للنقل. قال الزمخشري: آذن منقول من أذن إذا علم ولكنه كثر استعماله في اجزائه مجرى الإنذار اهـ سمين.

قوله: (بالحرب) هذا هو المفعول الثاني لأذن، والمراد بالحرب العقوبة والعذاب وليس المراد

علمه لا أستبد به دونكم لتتأهبوا ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ من العذاب أو القيامة المشتملة عليه وإنما يعلمه الله ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ والفعل منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ أنتم وغيركم من السر ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِى لَعَلَّهُۥ﴾ أي ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته ﴿فِتْنَةٌ﴾ اختبار ﴿لَّكُمْ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ أي انقضاء آجالكم وهذا مقابل للأول المترجي بلعل،

به المحاربة، ويدل على أن المراد بالحرب تصريح المفسر بقوله من العذاب أو القيامة اهـ شيخنا.

لكن في القرطبي ما يقتضي أن المراد بالحرب حقيقته ونصه: فقل آذنتكم على سواء أي: أعلمناكم على بيان أنا وإياكم حرب لا صلح بيننا، والمعنى أعلمتكم بأني محارب لكم ولكن لا أدري متى بأذن الله لي في محاربتكم اهـ.

قوله: (أي مستوين في علمه) أي: في العلم بالحرب الذي أعلمتكم به فالهاء من علمه راجعة للحرب اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإن أدري﴾ العامة على إرسال الياء ساكنة، إذ لا موجب لغير ذلك. وروي عن ابن عباس أنه قرأ وإن أدري أقريب، وإن أدري لعله فتنة بفتح الياءين وخرجت على التشبيه بياء الإضافة، والجملة الاستفهامية في محل نصب بأدري لأنها معلقة لها عن العمل، وما توعدون يجوز أن يكون مبتدأ وما قبله خبر عنه ومعطوف عليه، وجوز أبو البقاء فيه أن يرفع فاعلاً بقريب قال: لأنه اعتمد على الهمزة قال: ويخرج على قول البصريين أن يرتفع ببعيد لأنه أقرب إليه. قلت: يعني أنه يجوز أن تكون المسألة من التنازع فإن كلا من الوصفين يصح تسلطه على ما توعدون من حيث المعنى اهـ سمين.

قوله: (من العذاب) أي: بغلبة المؤمنين عليكم. قوله: (المشتملة عليه) أي: العذاب من حيث هو.

قوله: ﴿إنه يعلم الجهر من القول﴾ أي: ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام، ويعلم ما تكتمون من الإحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه اهـ بيضاوي.

قوله: (أي ما أعلمتكم به) أي: وهو تأخير العذاب عنكم في الدنيا اهـ عمادي.

وقوله: (ولم يعلم وقته) أي: والحال وهذا هو محل النفي، لأن المنفي عدم علم وقت الحرب المفسر بالعذاب اهـ شخينا.

قوله: ﴿لعله فتنة لكم﴾ الظاهر أن هذه الجملة معلقة لأدري، والكوفيون يجرون الترجي مجرى الاستفهام في ذلك، إلا أن النحويين لم يعدوا من المعلقات لعل وهي ظاهرة في ذلك كهذه الآية، وكقوله: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ [عيسى: ٤] ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ [الشورى: ١٧] اهـ سمين.

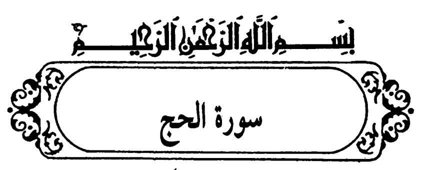
قوله: (ليرى) أي الله كيف الخ. قوله: (وهذا) أي قوله: ومتاع إلى حين مقابل للأول الخ، والأول هو قوله لعله فتنة لكم، وقوله: وليس الثاني وهو قوله: ومتاع إلى حين محلاً للترجي أي لأنه محقق اهـ كرخي وشهاب.

وليس الثاني محلاً للترجي ﴿قَالَ﴾ وفي قراءة قال ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ بيني وبين مكذبيّ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم أو النصر عليهم فعذبوا ببدر وأحد والأحزاب وحنين والخندق ونصر عليهم ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ من كذبكم على الله في قولكم اتخذ ولداً وعليّ في قولكم ساحر وعلى القرآن في قولكم شعر.

ومقتضى عبارة الشارح أن قوله: ومتاع معطوف على خبر لعل، وحينئذ لا يستقيم قوله، وليس الثاني محلاً للترجي قطعاً، فالأولى في المقام أن يقال أن قوله: ومتاع خبر مبتدأ محذوف تقديره: وهذا متاع إلى حين أي وتأخير عذابكم متاع أي تمتع لكم، وعليه تكون هذه الجملة مستأنفة فليتأمل.

قوله: ﴿قل رب احكم﴾ (بيني وبين مكذبي) أي المكذبين لي، وختم السورة بأن أمر النبي ﷺ بتفويض الأمر إليه وتوقع الفرج من عنده أي: احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين وانصرني عليهم. وروى سعيد بن جبير عن قتادة قال: الأنبياء تقول ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، فأمر النبي ﷺ أن يقول رب احكم بالحق، وكان إذا لقي العدو يقول وهو يعلم أنه على الحق وعدوه على الباطل: رب أحكم بالحق أي اقض به، وقال أبو عبيدة: الصفة ههنا أقيمت مقام الموصوف، والتقدير: رب احكم بحكمك الحق اهـ قرطبي.

قوله: (أو النصر عليهم) أو مانعة خلو. قوله: (والخندق) فيه أن الخندق هو الأحزاب. قوله: ﴿المستعان﴾ أي: المطلوب منه العون. قوله: (من كذبكم الخ) عبارة الخازن: على ما تصفون أي: من الشرك والكفر والكذب والأباطيل، كأنه سبحانه وتعالى قال: قل حال كونك داعياً لي رب احكم بالحق وقل في وعيد الكفار: وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون اهـ.



سورة الحج

مدنية إلا ﴿ومن الناس من يعبد الله﴾ الآيتين، أو إلا ﴿هذان خصمان﴾ الست آيات فمدنيات وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة وغيرهم ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: في قول ابن عباس ومجاهد. وقال الضحاك، وابن عباس أيضاً: هي مدنية، وقال قتادة: إلا أربع آيات: ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي﴾ إلىقوله: ﴿عذاب يوم عقيم﴾ [الحج: ٥٥] إلى فهن مكيات. وعد النقاش ما نزل منها بالمدينة عشر آيات. وقال الجمهور: السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني، وهذا هو الأصح، لأن الآيات تقتضي ذلك لأن ﴿يا أيها الناس﴾ مكي ﴿ويا أيها الذين آمنوا﴾ مدني، قال الغزنوي: وهي من أعاجيب السور نزلت ليلاً ونهاراً وسفراً وحضراً مكياً ومدنياً سلمياً وحربياً ناسخاً ومنسوخاً محكماً ومتشابهاً اهـ قرطبي.

قوله: (أو إلا هذان خصمان الخ) هذا قول ثان في الاستثناء، وقوله: الست آيات وتنتهي إلى صراط الحميد من هنا إلى قوله: عذاب الحريق أربع وهي متعلقة بالكافرين، والآيتان الباقيتان تتعلقان بالمؤمنين اهـ شيخنا.

قوله: (أو ثمان) هذا القول هو الذي حكاه الخازن وغيره ولعله الراجح عندهم اهـ شيخنا.

قوله: (أي أهل مكة) أي: حرف نداء وأهل منادى فيكون منصوباً، ويصح أن تكون أي حرف تفسير وأهل تفسير للناس فيكون مرفوعاً، وقوله وغيرهم بالرفع والنصب على ما مرَّ. قوله: (بأن نطيعوه) أي: بفعل المأمورات واجتناب المنهيات، وقوله: ﴿إن زلزلة الساعة﴾ الخ تعليل لقوله: ﴿اتقوا ربكم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن زلزلة الساعة﴾ قال الجمهور: تكون في الدنيا آخر الزمان ويتبعها طلوع الشمس من مغربها، وأضيفت إلى الساعة لأنها من أشراطها وهو مصدر مضاف لفاعله، ومفعوله محذوف تقديره الأرض، ويكون إسناد الزلزلة إلى الساعة على سبيل المجاز العقلي، وعلى هذا فالزلزلة حقيقة وهي أشد الزلازل وشيء هنا يدل لا على إطلاقه على المعدوم، لأن الزلزلة لم تقع الآن ومن منع اطلاقه على المعدوم قال: جعل الزلزلة شيئاً لتيقن وقوعها وصيرورتها إلى الوجود، وروي أن هاتين الآيتين نزلتا

﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ أي الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾

ليلاً في غزوة بني المصطلق، فقرأهما رسول الله ﷺ فلم ير باكياً أكثر من تلك الليلة اهـ من البحر لأبي حيان.

وفي السمين: **قوله: ﴿إن زلزلة الساعة﴾** يجوز في هذا المصدر وجهان.

أحدهما: أن يكون مضافاً لفاعله، وذلك على تقديرين، أحدهما: أن يكون من زلزل اللازم بمعنى تزلزل، فالتقدير: إن تزلزل الساعة. والتقدير الثاني: أن يكون من زلزل المتعدي ويكون المفعول محذوفاً تقديره: إن زلزال الساعة الناس كذا قدره أبو البقاء، وأحسن من هذا أن يقدر أن زلزال الساعة الأرض يدل عليه **قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾** [الزلزلة: ١] ونسبة التزلزل أو الزلزال إلى الساعة على سبيل المجاز.

الوجه الثاني: أن يكون المصدر مضافاً إلى المفعول به على طريقة الاتساع في الظرف، وقد أوضح الزمخشري ذلك بقوله: ولا تخلو الساعة من أن تكون على تقدير الفاعلية لها كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدراً مضافاً لفاعله أو تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى: **﴿بل مكر الليل والنهار﴾** [سبأ: ٣٣] اهـ.

قوله: (أي الحركة الشديدة) وتكون تلك الحركة في نصف رمضان اهـ قرطبي.

قال الرازي: روي عن رسول الله ﷺ في حديث الصور أنه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين، وأن عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة، وتكون الأرض كالسفينة تضربها الأمواج أو كالمنديل المعلق تحركه الرياح اهـ بحروفه.

قوله: (التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها) يقوي هذا القول **قوله تعالى: ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها﴾** والرضاع والحمل إنما هو في الدنيا إذ ليس بعد البعث حمل ولا إرضاع إلا أن يقال من ماتت حاملاً تبعث حاملاً فتضع حملها للهول، ومن ماتت مرضعة تبعث كذلك، وقيل: تكون مع النفخة الأولى، وقيل: تكون مع قيام الساعة حين يتحرك الناس من قبورهم في النفخة الثانية. ويحتمل أن تكون الزلزلة في الآية عبارة عن أهوال يوم القيامة كما قال تعالى: **﴿مستهم البأساء والضراء وزلزلوا﴾** [البقرة: ٢١٤] وكما قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم اهزمهم وزلزلهم» اهـ قرطبي.

قوله: ﴿يوم ترونها﴾ فيه أوجه، أحدهما: أن ينتصب بتذهل ولم يذكر الزمخشري غيره. الثاني: أنه منصوب بعظيم. الثالث: أنه منصوب بإضمار اذكر. الرابع: أنه بدل من الساعة، وإنما فتح لأنه مبني لإضافته إلى فعل وهذا إنما يتمشى على قول الكوفيين، وقد تقدم تحقيقه آخر المائدة. الخامس: أنه بدل من زلزلة بدل اشتمال لأن كلاًّ من الحديث والزمان يصدق عليه أنه مشتمل على الآخر، ولا

بسببها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ أي تنساه ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي حبلى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ فهم يخافونه. ونزل في النضر بن الحرث وجماعة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ

يجوز أن ينتصب بزلزلة لما يلزم عليه من الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر. والضمير في ترونها فيه قولان، أظهرهما: أنه ضمير الزلزلة لأنها المحدث عنها، ويؤيده أيضاً قوله: ﴿تذهل كل مرضعة﴾. والثاني: أنه ضمير الساعة، فعلى الأول يكون الذهول والوضع حقيقة لأنه في الدنيا، وعلى الثاني يكون على سبيل التعظيم والتهويل وأنها بهذه الحيثية، إذ المراد بالساعة القيامة وهو كقوله: ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ [المزمل: ١٧] اهـ سمين.

قوله: ﴿تذهل كل مرضعة﴾ في محل نصب على الحال من الهاء في ترونها فإن الرؤية هنا بصرية، وهذا إنما يجيء على غير الوجه الأول. وأما الوجه الأول؛ وهو أن تذهل ناصب ليوم ترونها فلا محل للجملة من الاعراب لأنها مستأنفة، أو يكون محلها النصب على الحال من الزلزلة، أو من الضمير في عظيم وإن كان مذكراً لأنه هو الزلزلة في المعنى، أو من الساعة وإن كانت مضافاً إليها لأنها إما فاعل أو مفعول كما تقدم، وإذا جعلناها حالاً فلا بد من ضمير محذوف تقديره تذهل فيها اهـ سمين.

قوله: ﴿كل مرضعة﴾ (بالفعل) أي: مباشرة للإرضاع بأن ألقمت الرضيع ثديها فهو بالتاء لمن باشرت الارضاع وبلا تاء لمن شأنها الإرضاع وإن لم تباشره اهـ شيخنا.

﴿عما أرضعت﴾ يجوز في ما أن تكون مصدرية أي عن إرضاعها ولا حاجة إلى تقدير عائد على هذا، ويجوز أن تكون بمعنى الذي فلا بد من حذف عائد أي أرضعته، والحمل: بالفتح ما كان في بطن أو على رأس شجرة، وبالكسر ما كان على ظهر اهـ سمين.

قوله: ﴿وترى الناس سكارى﴾ قال هنا: وترى، وقال: أو لا ترونها فجمع في الأول لأن الرؤية متعلقة بالزلزلة وكل الناس يرونها، وأفرد ثانياً لأن الرؤية متعلقة بكون الناس سكارى، فلا بد من جعل كل أحد رائياً للباقي بقطع النظر عن اتصافه بالسكر اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ استدراك على محذوف تقديره: فهذه الأحوال وهي الذهول والوضع ورؤية الناس شبه السكارى هينة لينة، ولكن عذاب الله شديد أي ليس ليناً ولا سهلاً فما بعد لكن مخالف لما قبلها اهـ من أبي حيان.

قوله: (وجماعة) كأبي جهل وأبي بن خلف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن الناس من يجادل في الله﴾ أي: في قدرته وصفاته، فلما ذكر تعالى أهوال يوم القيامة ذكر من غفل عن الجزاء في ذلك وكذب به، وقوله: ﴿كتب عليه﴾ مبني للمجهول، والظاهر أن ذلك من إسناد كتب إلى الجملة إسناداً لفظياً أي: كتب عليه هذا الكلام، وقوله: ﴿إنه﴾ الضمير فيه للشأن ومن شرطية، وجواب الشرط فأنه يضله على حذف مبتدأ أي: فشأنه أنه يضله أي: إضلاله أي: فشأن الشيطان أنه يضل من تولاه اهـ من البحر.

عِلۡمٍ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين، وأنكروا البعث وإحياء من صار تراباً ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣﴾ أي متمرد ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾ قضي على الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي اتبعه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ﴾ يدعوه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾ أي النار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾

وفي الكرخي: ومن الناس من يجادل في الله، أي: في دين الله تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الأباطيل اهـ.

قوله: ﴿بغير علم﴾ حال من الفاعل في يجادل موضحة لما تشعر به المجادلة من الجهل أي ملتبساً بغير علم اهـ كرخي.

قوله: (وانكروا البعث) أي؛ قالوا الله لا يقدر على ذلك، وقوله: (وإحياء) بالنصب عطفاً على البعث اهـ.

قوله: ﴿مريد﴾ أي: عات متجرد للفساد، ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة. قال الزجاج: المريد والمارد المرتفع الأملس، والمراد إما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر، وإما إبليس وجنوده اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كتب عليه﴾ قرأ العامة كتب مبنياً للمعفول، وفتح أن في الموضعين. وفي ذلك وجهان، أحدهما: أن أنه وما في حيزها في محل رفع لقيامه مقام الفاعل فالهاء في عليه وفي أنه يعودان على من المتقدمة. ومن الثانية: يجوز أن تكون شرطية والفاء جوابها، وأن تكون موصولة والفاء زائدة في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط، وفتحت أن الثانية لأنها وما في حيزها خبر مبتدأ محذوف تقديره فشأنه، وحاله أن يضله أو يقدر فأنه مبتدأ والخبر محذوف أي فله أن يضله. الثاني: قال الزمخشري: فمن فتح فلأن الأول نائب فاعل كتب، والثاني: عطف عليه. قال أبو حيان: وهو لا يجوز لأنك إذا جعلت فأنه عطفاً على أنه بقيت أنه بلا استيفاء خبر، لأن من تولاه من فيه مبتدأه فإن قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى تستقل خبراً، لأنه وإن جعلتها شرطية فلا جواب لها إذا جعلت فأنه عطفاً على أنه. قال شهاب الدين: وقد ذهب ابن عطية إلى مثل قول الزمخشري فإنه قال: وأنه في موضع رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله، وأما الثاني فعطف على الأولى مؤكدة وهذا رد واضح اهـ كرخي.

وقرىء بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب أو إضمار القول اهـ بيضاوي. وهذه القراءة شاذة كما في القاري.

قوله: ﴿إلى عذاب السعير﴾ أي: إلى موجباته والتعبير بالهداية على سبيل التهكم اهـ كرخي.

قوله: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾ وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر تعالى من يجادل في قدرة الله بغير علم، وكان جدالهم في الحشر والمعاد ذكر دليلين واضحين على ذلك، أحدهما: في نفس الإنسان وابتداء خلقه وتطوره في أطوار سبعة وهي التراب والنطفة والعلقة والمضغة والإخراج طفلاً وبلوغ الأشد والتوفي أو الرد إلى أرذل العمر. والدليل الثاني: في الأرض التي يشاهد تنقلها من حال إلى حال، فإذا اعتبر العاقل ذلك ثبت عنده جوازه عقلاً، فإذا ورد الشرع بوقوعه وجب التصدق به وأنه وقع لا محالة اهـ من البحر.

أي أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي أصلكم آدم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ مصوَّرة تامة الخلق ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي غير تامة الخلق ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقِرُّ﴾ مستأنف ﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت خروجه ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلًا﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ نعمركم

قوله: ﴿إن كنتم في ريب من البعث﴾ معناه إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم من تراب الخ اهـ من أبي حيان.

وأشار له الشارح بقوله: (لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته).

قوله: ﴿ثم من نطفة ثم من علقة﴾ الخ تأمل في هذا الترتيب فإنه يقتضي أن الإنسان الكامل خلق أولاً من نطفة، ثم ثانياً من علقة، ثم ثالثاً من مضغة مع أن أصل الخلق من نطفه، ثم صارت النطفة علقة، ثم صارت العلقة مضغة كما يصرح به قوله في آية أخرى: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة﴾ [المؤمنون: ١٤] الخ. وعن عبد الله: إذا وقعت النطفة في الرحم فأراد الله أن يخلق منها بشراً طارت في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة، ثم تمكث أربعين يوماً تصير دماً في الرحم، فلذلك جمعها وقت جعلها علقة الخ. ولم يختلف العلماء في أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوماً وذلك تمام أربعة أشهر اهـ قرطبي.

قوله: (تامة الخلق) أي: قد تم تصويرها. وقوله: (أي غير تامة الخلق) أي غير مصورة أو غير تامة التصوير، وهذا تقسيم على سبيل التسمح، فإن كل مضغة تكون أولاً غير مخلقة ثم تصير مخلوقة، ولو جاء النظم هكذا: ثم من نطفة غير مخلقة ثم من مخلقة لكان أوضح. وعبارة أبي السعود: مخلقة بالجر أي مستبينة الخلق مصورة، وغير مخلقة أي لم يستبن خلقها وصورتها بعد، والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها من الأعضاء شيء ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً، وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدريج من المبادىء البعيدة على القريبة أن يقدم غير المخلقة على المخلقة، وإنما أخرت عنها لأنها عدم الملكة اهـ.

وفي القرطبي: قال ابن زيد: المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين وغير المخلقة التي لم يخلق فيها شيء. وقال ابن عباس: وفي العشر بعد الأشهر الأربعة تنفخ فيه الروح فهذه عدة الوفاة اهـ.

قوله: (كمال قدرتنا) أشار به إلى أن مفعول بين محذوف تقديره كمال قدرتنا، وقوله: ﴿لنبين لكم﴾ متعلق بخلقناكم على أن اللام فيه للعاقبة، وقوله: (لتستدلوا) تعليل لقوله: لنبين لكم، أي: بيّنا لكم كمال قدرتنا لتستدلوا بقدرتنا، لأن من قدر على خلق البشر من تراب أولاً إلى آخر المذكورة قدر على إعادة ما بدأه، بل هذا أهون في القياس المعتاد وقوله: (على إعادته) متعلق بتستدلوا اهـ شيخنا وأصله من أبي حيان.

قوله: (في ابتداء الخلق) بدل من قوله: بها أي أن في بمعنى الباء كما هو ظاهر اهـ.

قوله: (طفلاً﴾ حال من مفعول نخرجكم، وإنما وحد لأنه في الأصل مصدر كالرضا والعدل،

﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ يموت قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أخسه من الهرم والخوف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ ارتفعت وزادت ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن﴾

فيلزم الافراد والتذكير قاله المبرد، وإما لأنه مراد به الجنس، وإما لأن المعنى نخرج كل واحد منكم نحو القوم يشبعهم رغيف أي: كل واحد منهم، وقد يطابق به فيقال: طفلان وأطفال. وفي الحديث سئل ﷺ عن أطفال المشركين، والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال إلى البلوغ، وأما الطفل بالفتح فهو الناعم والمرأة طفلة، وأما الطفل بفتح الطاء والفاء فوقت ما بعد العصر من قولهم: طفلت الشمس إذا مالت للغروب، وأطفلت المرأة أي صارت ذات طفل اهـ سمين.

وفي المختار: الطفل يستعمل مفرداً وجمعاً اهـ.

قوله: ﴿أشدكم﴾ هو في الأصل جمع شدة كأنعم نعمة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إلى أرذل العمر﴾ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أرذل العمر خمس وسبعون سنة، وقيل: ثمانون سنة، وقال قتادة: تسعون سنة اهـ خازن من سورة النحل.

قوله: (والخرف) بابه طرب فعلاً ومصدراً وهو فساد العقل من الكبير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لكيلا يعلم﴾ الخ متعلق بيرد أي: لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً وشيئاً مفعول يعلم، فإن قلت: شيئاً نكرة في سياق النفي فتعم مع أنه يعلم بعض الأشياء كالطفل. أجيب: بأن المراد أنه يزول عقله فيصير كأنه لا يعلم شيئاً، فإن مثل ذلك قد يذكر في مقام نفي العقل للمبالغة اهـ زاده مع زيادة.

وفي البيضاوي: لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه اهـ.

قوله: (قال عكرمة من قرأ القرآن الخ) أي: فهذا الرد خاص بغير قارىء القرآن والعلماء، أما قارىء القرآن والعلماء فلا يردون في آخر عمرهم إلى الأرذل، بل يزداد عقلهم كلما طال عمرهم كما ذكره الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وترى الأرض هامدة﴾ هذا هو الدليل الثاني، ولما كان بعض مراتب الخلقة في الدليل الأول غير مرئي ومشاهد بالبصر عبر فيه بقوله: ﴿خلقناكم﴾ ولم يعبر فيه بالرؤية، ولما كان هذا الدليل الثاني مشاهد بالبصر عبّر فيه بالرؤية فقال: وترى أيها المجادل، وقوله: الماء أي ماء المطر والأنهار والعيون والسواقي اهـ من البحر.

قوله: ﴿هامدة﴾ الهمود السكون والخشوع، وهمدت الأرض يبست ودرست، وهمد الثوب بلي والاهتزاز التحرك، وتجوز به هنا من انبات الأرض نباتها بالماء والجمهور على ربت أي زادت من ربا يربو. وقرأ أبو جعفر، وعبد الله بن جعفر، وأبو عمر وفي رواية: وربأت بالهمزة أي: ارتفعت. يقال: ربأ بنفسه عن كذا أي ارتفع عنه، ومنه الربيئة وهو من يطلع على موضع عال لينظر للقوم ما يأتيهم ويقال له ربيء أيضاً اهـ سمين.

زائدة ﴿كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ ۝﴾ حسن ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت الدائم ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۝﴾ ونزل في أبي جهل

قوله: (تحركت) أي: في رأي العين بسبب حركة النبات، وقوله: ﴿وأنبتت﴾ الإسناد مجازي لأن المنبت في الحقيقة هو الله تعالى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من﴾ (زائدة) أي: في المفعول.

قوله: ﴿ذلك بأن الله﴾ الخ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مبتدأ والخبر الجار بعده والمشار إليه ما تقدم من خلق بني آدم وتطويرهم، والتقدير: ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وتطويرهم حاصل بأن الله هو الحق وأنه الخ. والثاني: أن ذلك خبر مبتدأ مضمر أي الأمر ذلك. الثالث: أن ذلك منصوب بفعل مقدر أي: فعلنا ذلك بسبب أن الله هو الحق، فالباء على الأول مرفوعة المحل، وعلى الثاني والثالث منصوبته اهـ سمين.

قوله: (بسبب أن) ﴿الله هو الحق﴾ الخ أي: هذه الآثار من آثار الألوهية وأحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية، وأن إتيان الساعة وإتيان البعث الذين ينكرون وجودهما من أسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الأنفس والآفاق أي: ذلك الصنيع البديع حاصل بسبب أنه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وأفعاله المحقق والموجد لما سواه من الأشياء، فهذه الآثار الخاصة من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها ومن جملة فروعها ومتعلقاتها إحياء الموتى وتخصيصه بالذكر مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها تصريح بمحل النزاع وتقديمه للاعتناء به، وقوله: ﴿وأن الساعة﴾ عطف على المجرور بالباء كالجملتين قبلها داخلة معها في حيز السببية، وكذا قوله: ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾. فالحاصل أنه تعالى ذكر أسباباً خمسة: الثلاثة الأول مؤثرة، والأخيران غير مؤثرين اهـ من أبي السعود ببعض تصرف.

وقال ابن جزي في تفسيره: إن الباء ليست للسببية بل هي متعلقة بمحذوف يدل عليه المقام، والتقدير: ذلك المذكور من خلق الإنسان وإحياء النبات مشاهد بأن الله هو الحق وما عطف عليه، فيكون قوله: ﴿وأن الساعة﴾، وقوله: ﴿وأن الله يبعث﴾ معطوفين على ما قبلها بهذا التقدير، فتكون هذه الأشياء المذكورة بعد الباء مستدلاً عليها بخلق الإنسان والنبات كما استدل بهما على البعث والإعادة اهـ شيخنا وأصله لأبي حيان.

قوله: ﴿وأن الساعة﴾ الخ هذا توكيد لقوله: ﴿وأنه يحيي الموتى﴾ وهو خبر مبتدأ محذوف أي: والأمر أن الساعة الخ، فليس داخلاً في سببية ما تقدم ذكره اهـ من البحر.

وعبارة السمين: قوله: ﴿وأن الساعة آتية﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه عطف على المجرور بالباء أي بأن الساعة. والثاني: أنه ليس معطوفاً عليه ولا داخلاً في حيز السببية، وإنما هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى، والتقدير: والأمر أن الساعة ولا ريب فيها يحتمل أن تكون هذه الجملة خبراً ثانياً وأن تكون حالاً اهـ.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى﴾ معه ﴿ وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨﴾ له نور معه ﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ حال أي لاوي عنقه تكبراً عن الإيمان والعطف الجانب عن يمين أو شمال ﴿ لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ أي دينه ﴿ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ عذاب فقتل يوم بدر ﴿ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩﴾ أي الإحراق بالنار ويقال له ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي قدمته، عبر عنه بهما دون

قوله: ﴿بغير علم﴾ أي: بغير علم ضروري. وقوله: ﴿ولا هدى﴾ أي: ولا استدلال لأن الدليل يهدي إلى المعرفة، وقوله: ﴿ولا كتاب﴾ أي؛ ولا وحي، والمعنى: أنه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وليست هذه الآية مكررة مع قوله: ﴿يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾ [الحج: ٣] لأن الأولى واردة في المقلدين بكسر اللام لتقليدهم واتباعهم للشيطان، وهذه واردة في حق المقلدين بفتح اللام لقوله: ﴿ليضل﴾ الخ. قال في الكشاف: هو أوفق وأظهر بالمقام اهـ شيخنا وأصله في الرازي.

قوله: ﴿ولا هدى﴾ أي: استدلال. وسمي هدى لأنه يهدي ويوصل إلى المطلوب اهـ شيخنا.

قوله: (معه) متعلق بكتاب، أي؛ ولا وحي كائن معه وليس متعلقاً بقوله نور اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثاني عطفه﴾ الثني: اللّي، والعطف: الجانب بعطفه الإنسان ويلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء، وهو عبارة عن التكبر كما أشار له بقوله: ﴿تكبراً﴾ اهـ زاده.

قوله: (حال) أي: من الضمير في يجادل، وقوله ليضل متعلق بيجادل، وقوله: (بفتح الياء) أي ليضل في نفسه، وبضمها أي ليضل غيره، قوله: ﴿عذاب الحريق﴾ الحريق: طبقة من طباق جهنم، ويصح أن يكون من إضافة الموصوف لصفته أي العذاب الحريق أي المحرق اهـ من البحر.

والمراد من قوله: ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ أي ليستمر أو ليزيد ضلالة، وأن ضلاله كالغرض له لكونه مآل واللام للعاقبة، فإن قتل: هذا لا يختص بقراءة الفتح، قلت: هو عليها أظهر، وقد قيل: إنه ليس المراد تخصيصه بها، والضلال يشمل ضلال نفسه وضلال غيره اهـ شهاب.

قوله أيضاً: (حال) عبارة السمين: قوله: ثاني عطفه حال من فاعل يجادل أي معرضاً، وهي إضافة لفظية نحو: ممطرنا، والعامة على كسر العين وهو الجانب كنى به عن التكبر، وقرأ الحسن بفتح العين وهو مصدر بمعنى التعطف وصفة بالقوة اهـ.

قوله: (والعطف الجانب الخ) الجانب: بمعنى الجنب ولا حاجة لصرف اللفظ عن ظاهرة وحمل العطف على العنق، وإبقاؤه على ظاهره كاف في إفادة المقصود وهو أنه كناية عن الإعراض. وفي المختار: وعطفا الرجل جانباه من رأسه إلى وركيه وكذا عطفا كل شيء جانباه، وثنى عطفه عنه أي أعرض عنه اهـ.

وفي المصباح: وجنب الإنسان ما تحت إبطه إلى كشحه، والجمع جنوب مثل فلس وفلوس، والجانب: الناحية ويكون بمعنى الجنب أيضاً لأنه ناحية من الشخص اهـ.

قوله: (ويقال له) ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من الخزي وعذاب الحريق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ في غير هذه السورة أيديكم، لأنه هذه الآية نزلت في أبي جهل

غيرهما لأن أكثر الأفعال تزاول بهما ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّـٰمٖ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلۡعَبِيدِ ١٠﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ أي شك في عبادته شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ﴾ صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ محنة وسقم في نفسه وماله ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ أي رجع إلى الكفر ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا﴾ بفوات ما أمله منها

وحده، وفي غيرها نزلت في جماعة تقدم ذكرهم اهـ كرماني.

قوله: (عبر عنه) أي: الشخص بهما أي اليدين، وقوله: (تزاول) أي: تعالج وتعمل بهما اهـ.

قوله: ﴿وأن الله ليس بظلام﴾ عطف ما قدمت فهو في محل جر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن الناس﴾ الخ عبارة الخازن: نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم، فكان أحدهم إذا قدم المدينة يصح بها جسمه، ونتجت بها فرسه، وولدت امرأته غلاماً وكثر ماله قال: هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيراً واطمأن له، وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقلَّ ماله قال: ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين، إلا شراً فينقلب عن دينه وذلك في الفتنة، فأنزل الله تعالى: قوله: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أي؛ على شك؛ وأصله من حرف الشيء وهو طرفه الذي هو قائم عليه غير مستقر، فقيل للشاك في الدين: إنه يعبد الله على حرف لأنه لم يدخل فيه بنية الثبات والتمكن، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكينة وطمأنينة، ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء، لم يكونوا على حرف، وقيل: هو المنافق بلسانه دون قلبه، انتهت.

قوله: ﴿على حرف﴾ حال من فاعل يعبد. أي: متزلزلاً اهـ سمين.

قوله: (أي شك في عبادته) أي: ضعف يقين وانحراف عن العقيدة، وعلى طرف من الدين لا في وسطه وقلبه اهـ من البحر.

قوله: (شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته) أشار إلى أن في الآية استعارة تمثيلة، وهي أنه نزل من دخل في الإسلام من غير اعتقاد وصحة قصد منزلة الحال على طرف شيء في تزلزله وعدم ثباته، وفي تقريره بيان للمعنى المراد المجازي اهـ كرخي.

قوله: ﴿اطمأن به﴾ أي: رضي به وسكن إليه اهـ خازن.

وعبارة الخطيب: اطمأن به أي بسببه وثبت على ما هو عليه اهـ.

قوله: ﴿وإن أصابته فتنة﴾ المراد بها هنا ما يكرهه الطبع ويثقل على النفس كالجدب والمرض وسائر المحن، وإلا لما صح أن يجعل مقابلاً للخير لأنه أيضاً فتنة وامتحان. قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ [الأنبياء: ٣٥] ولم يقل: وإن أصابه شر مع أنه المقابل للخير، لأن ما ينفر عنه الطبع ليس شراً في نفسه بل هو سبب القرب بشرط التسليم والرضا بالقضاء اهـ زاده.

قوله: (وسقم في نفسه وماله) بأن كان ماله حيوانات. قوله: ﴿خسر﴾ قرأ العامة خسر فعلاً ماضياً، وهو يحتمل ثلاثة أوجه: الاستئناف، والحالية من فاعل انقلب ولا حاجة إلى إضمار قد على الصحيح، والبدلية من قوله: ﴿انقلب﴾ كما أبدل المضارع من مثله في قوله تعالى: ﴿يلق أثاما

﴿وَٱلْآخِرَةَ﴾ بالكفر ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ البين ﴿يَدْعُواْ﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ إن عبده ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾ عن الحق ﴿يَدْعُواْ لَمَن﴾ اللام زائدة ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ بعبادته ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ إن نفع بتخيله ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو أي الناصر ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ الصاحب هو وعقب ذكر الشاك بالخسران بذكر

يضاعف﴾ [الفرقان: ٦٨] وقرأ مجاهد في آخرين خاسر بصيغة اسم الفاعل منصوباً على الحال اهـ سمين.

قوله: (بفوات ما أمله) أي ذهاب ما أمله، وهو كثرة ماله واجتماعه بأحبائه. وقال الكرخي: ما أمله منها من العز والكرامة وإصابة الغنيمة وأهلية الشهادة والإمامة والقضاء اهـ شيخنا.

قوله: (بالكفر) أي بالرجوع إلى الكفر بسبب الارتداد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ إذ لا خسران مثله فإنه إذا لم ينضم إليه الأخروي أو بالعكس لم يتمحض خسراناً، فلم يظهر كونه كذلك ظهوراً تاماً، فانحصر الخسران البين فيه على ما دل عليه الإتيان بضمير الفصل اهـ كرخي.

قوله: ﴿ما لا يضره وما لا ينفعه﴾ نفي الضر والنفع هنا، وأثبتهما في قوله: ﴿لمن ضره أقرب من نفعه﴾ فحصل التعارض والتناقض، وأجيب: بأنها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن بسبب عبادتها، فنسب الضرر إليها كما في قوله تعالى: ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ [إبراهيم: ٣٦] حيث أضاف الأضلال إليها من حيث إنها كانت سبب الضلال اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: لا يضر بنفسه ولا ينفع اهـ.

وأشار بذكر نفسه إلى الجمع بين نفي الضرر والنفع بمعبودهم هنا، وإثباتهما له في قوله: ﴿لمن ضره أقرب من نفعه﴾. وحاصله: أنه لا ضرر له ولا نفع له بنفسه وله ذلك بسبب معبوديته، كما أشار له بقوله: يكون معبوداً. أما الضر فظاهر وأما النفع فبزعمهم اهـ زكريا.

وقال الشهاب: دفع التنافي بأن النفي باعتبار ما في نفس الأمر والاثبات باعتبار زعمهم الباطل اهـ.

قوله: (اللام زائدة) أي: ومن مفعول يدعو، وضره: مبتدأ، وأقرب: خبر، والجملة صلة من. وعبارة السمين: والسابع من الأوجه أن اللام زائدة في المفعول به وهو من، والتقدير: يدعو من ضره أقرب، فمن موصولة، والجملة بعدها صلتها، والموصول هو المفعول بيدعو زيدت فيه اللام كما زيدت في قوله: ﴿ردف لكم﴾ [النمل: ٧٢] في أحد القولين، وقرأ عبد الله: يدعو من ضره بغير لام ابتداء وهي مؤيدة لهذا الوجه، انتهت.

قوله: (بعبادته) الباء سببية. قوله: (إن نفع) أي: المعبود، قوله: (بتخيله) أي: العابد فتأمل.

قوله: (هو) هذا هو المخصوص بالذم، وقوله: (أي الناصر) تفصيل للمولى، وكذا يقال فيما بعده، وتسميته مولى على سبيل التهكم. قوله: (وعقب ذكر الشاك بالخسران) الجار والمجرور حال من الشاك والباء للملابسة والمصاحبة. أي: حالة كونه متلبساً بالخسران، وكذا يقال فيما بعده أو ضمن

المؤمنين بالثواب في ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ من إكرام من يطيعه وإهانة من يعصيه ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن

ذكر في الأول معنى الوعيد، وفي الثاني معنى الوعد، وقوله: (بذكر المؤمنين) متعلق بعقب على كل من المعنيين وقوله: في إن الله الخ نعت للذكر الثاني أي: الذكر الكائن في هذه الآية، وقوله: (من اكرام من يطيعه الخ) لف ونشر مشوش. وعبارة أبي حيان: لما ذكر تعالى من يعبده على حرف وسفّه رأيه وتوعده بخسرانه في الآخرة عقبه بذكر حال مخالفيهم من أهل الإيمان وما وعدهم به من الوعد الحسن، ثم أخذ في توبيخ أولئك الأولين كأنه يقول: هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق وظنوا أن الله لن ينصر محمداً ﷺ وأتباعه، ونحن إنما أمرناهم بالصبر وانتظار وعدنا، فمن ظن غير ذلك فليمدد بسبب الخ انتهت.

وفيها إشارة إلى أن قوله: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾ الخ. ذكر استطراداً بين الكلامين المتعلقين بمن يعبد الله على حرف.

قوله: ﴿من كان يظن﴾ الخ تفريع في المعنى على محذوف مرتبط بقوله: ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾ والتقدير: ومن جملة ما يريد نصرة نبيه محمد ﷺ فمن كان الخ اهـ شيخنا.

أي: من كان يظن من الكفار، والضمير في ينصره لمحمد ﷺ، والمعنى على هذا من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمداً فليختنق بحبل فإن الله ناصر رسوله، وموجب الاختناق هو الغيظ، والكيد هو الاحتيال، وسمي الاختناق كيداً لأنه وضع موضع الكيد إذ هو غاية حيلته، والمعنى: إذا خنق نفسه بغيظه هل يذهب ذلك ما يغيظه وهو نصرة النبي ﷺ على أعدائه اهـ ابن جزي.

وهذا أي حمل من في قوله: ﴿من كان يظن﴾ على الكفار يوافق كلام الجلال، مثله في العمادي، وقوله: والكيد هو الاحتيال أي: في إيصال الضرر للغير، واستعمل هنا في إيصال الضرر إلى نفسه الذي هو الخنق لأنه هو غاية ما يقدر عليه كما أن الكيد كذلك اهـ من الكازروني.

وفي القرطبي: قال أبو جعفر النحاس: من أحسن ما قيل هنا أن المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً ﷺ وأنه يتهيأ له أن يقطع النصر الذي أوتيه ﷺ، فليمدد بسبب إلى السماء أي فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء، ثم ليقطع النصر إن تهيأ له، فلينظر هل يذهبن كيده وحيلته ما يغيظ من نصر النبي ﷺ. والفائدة في الكلام أنه إذا لم يتهيأ له الكيد والحيلة بأن يفعل مثل هذا لم يصل إلى قطع، وكذا قال ابن عباس: أن الكناية في ينصره الله ترجع إلى محمد ﷺ، وهو وإن لم يجر ذكره فجميع الكلام دل عليه، لأن الإيمان وهو الإيمان بالله وبمحمد ﷺ، والانقلاب عن الدين انقلاب عن الذي أتى به محمد ﷺ أي: من كان يظن ممن كان يعادي محمداً ﷺ ومن يعبد الله على حرف إنا لا ننصر محمداً فليفعل كذا وكذا اهـ.

وفي أبي السعود: والمعنى أنه تعالى ناصر لرسوله ﷺ في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه، فمن كان يغيظه ذلك من أعاديه وحساده ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الأمور ومباشرة ما يرده من المكائد، فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الحد كل حد معهود، فقصارى أثره وعاقبة أمره أن يختنق خنقاً مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدمات

﴿لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي محمداً نبيه ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما في الصحاح ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ في عدم نصرة النبي ﴿مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ ـه منها. المعنى: فليختنق غيظاً

مبادئه، فليمدد بسبب إلى السماء أي: فليمدد حبلاً إلى سقف بيته ثم ليقطع أي: ليختنق، من قطع إذا اختنق لأنه يقطع نفسه بحبس مجاريه، وقيل: ليقطع الحبل بعد الاختناق على أن المراد به فرض القطع، وتقديره: على أن المراد بالنظر في قوله تعالى: ﴿فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ تقدير النظر وتصويره أي: فليصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذي هو أقصى ما انتهت إليه قدرته في باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصر كلا، ويجوز أن يراد فلينظر الآن إن فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه. وقيل: المعنى فليمدد حبلاً إلى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي، وقيل: ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها يجتهد في عدم نصره ﷺ اهـ.

قوله: ﴿فليمدد﴾ جواب للشرط إن كانت من الشرطية وهو الظاهر، أو خبر للموصول إن كانت موصولة والفاء للتشبيه بالشرط اهـ سمين.

قوله: (يشده) أي: يشد حبله، وفي نسخة يشد بحذف الهاء وهي على تقديرها، وفي أخرى ليشده باللام والهاء، وعلى كل فهو تفسيره لقوله: ﴿فليمدد﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم ليقطع فلينظر﴾ الخ هذا على سبيل الفرض لأنه لا يمكنه النظر بعد الاختناق، ولكنه مثل قول الناس للحاسد مت غيظاً اهـ خازن.

وهو نظير قوله تعالى في آل عمران: ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم﴾ [آل عمران: ١١٩]. قوله: (بأن يقطع نفسه﴾ أشار به إلى أن مفعول يقطع محذوف تقديره نفسه بفتحتين، لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه، وبعضهم قدر المحذوف أجله اهـ شيخنا.

فقوله: (بأن يقطع) كناية عن الموت اهـ.

قوله: (كما في الصحاح) راجع لجميع ما ذكر من قوله بحبل إلى السماء الخ. وعبارة الصحاح كما نقلها في المختار: وقوله تعالى: ﴿ثم ليقطع﴾ قالوا: ليختنق لأن المختنق يمد السبب إلى السقف ثم يقطع نفسه من الأرض حتى يختنق، تقول: منه قطع الرجل أي اختنق، ولبن قاطع أي: حامض اهـ.

والصحاح بفتح الصاد اسم كتاب في اللغة للإمام العلامة أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كيده﴾ المراد بكيده فعله الذي هو الاختناق. أي: احتياله في عدم نصرة النبي ﷺ بخنق نفسه. وفي السمين: هل يذهبن الجملة الاستفهامية في محل نصب على إسقاط الخافض لأن النظر تعلق بالاستفهام، وإذا كان بمعنى الفكر تعدى بفي، وقوله: ﴿ما يغيظ﴾ ما موصولة بمعنى الذي، والعائد هو الضمير المستتر، وما صلتها مفعولة بقوله: ﴿يذهبن﴾ أي: هل يذهبن كيده الشيء الذي يغيظه وهو نصرة النبي ﷺ، فالمرفوع في يغيظه عائد على الذي، والمنصوب على من كان يظن اهـ.

وفي بعض نسخ الشارح التصريح بالمنصوب، وعليها كتب الكرخي ونصه: قوله ما يغيظه منها،

منها فلا بد منها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إنزالنا الآيات السابقة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن الباقي ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ هداه معطوف على أنزلناه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من

فما بمعنى الذي، والعائد مضمر على ما أشار إليه نسخ المصنف، وما صلتها مفعولة بقوله يذهبن إلى آخر ما في السمين اهـ.

قوله: (منها) بيان لما التي هي عبارة عن نصرة النبي ﷺ، وقوله: (غيظاً منها) أي من أجلها، وقوله: (بلا بد منها) أي: النصرة تعليل لقوله: (فليختنق)، والتقدير: لأنه لا بد منها اهـ شيخنا.

قوله: (حال) أي: لفظ آيات حال من الهاء في أنزلناه، وقوله: ﴿بينات﴾ صفة لآيات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ أي: ويضل من يريد. قوله: (معطوف على أنزلناه) فالمعنى: وأنزلنا أن الله يهدي من يريد، أي: أنزلنا هداية الله لمن يريد هدايته فأن وصلتها في محل نصب، ويصح أن تكون في محل رفع خبراً لمبتدأ مضمر تقديره: والأمر أن الله يهدي من يريد اهـ سمين.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ الخ ومن هذا قيل الأديان ستة: واحد للرحمن وهو الإسلام، وخمسة للشيطان وهي ما عداه اهـ من الخازن.

وفي السمين: هذه الآية فيها وجهان، أحدهما: أن إن الثانية واسمها وخبرها في محل رفع خبر لإن الأولى: قال الزمخشري: وأدخلت إن على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التأكيد وحسن دخول إن في الخبر، وإن كل جملة واقعة خبراً عن أن طول الفصل بينهما بالمعاطيف. والثاني: أن إن الثانية تكرير للأولى على سبيل التوكيد وهذا ماش على القاعدة، وهي أن الحرف إذا كرر توكيداً أعيد معه ما اتصل به أو ضمير ما اتصل به، وهذا قد أعيد معه ما اتصل به أولاً وهي الجلالة المعظمة فلم يتعين أن يكون قوله: ﴿إن الله يفصل﴾ خبراً، لأن الأولى كما ذكر. وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية إلا المجوس، وهم قوم اختلف أهل العلم فيهم فقيل: قوم يعبدون النار، وقيل: الشمس، وقيل: اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح، وقيل: أخذوا من دين النصارى شيئاً ومن دين اليهود شيئاً، وهم القائلون: بأن العالم أصلين النور والظلمة، وقيل: هم قوم يستعمل النجاسات والأصل نجوس بالنون فأبدلت ميماً اهـ سمين.

قوله: (طائفة منهم) أي: اليهود. والصحيح المقرر في الفروع أن الصابئين طائفة من النصارى اهـ شيخنا.

قوله: (وإدخال غيرهم) وهم الفرق الخمس. قوله: ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ تعليل لقوله: إن يفصل بينهم، وكأن قائلاً قال: أهذا الفصل عن علم أو لا؟ فقيل: إن الله على كل شيء شهيد أي: عالم كما قال الشارح اهـ شيخنا.

عملهم ﴿شَهِيدٌ ۝١٧﴾ عالم به علم مشاهدة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي يخضع له بما يراد منه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وهم الكافرون لأنهم أبوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ يشقه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ مسعد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

قوله: (عالم به) يشير إلى أن الشهيد في صفات الله تعالى معناه الذي لا يغيب عنه شيء كما قرره، ومن قضيته الإحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من أفراد الفرق المذكورة، والظاهر تعميم الكلام لعبدة الأوثان ولعباد الشمس والقمر والنجوم اهـ كرخي.

قوله: (تعلم) حمل الرؤية هنا على العلم، وذلك لأن رؤية سجود هذه الأمور لله إنما جاءنا من طريق العقل لأنا لا نراه بأبصارنا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من في السموات﴾ الخ جملة ما ذكره ثمانية، وقوله: ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ عطف خاص على قوله: ﴿من في السموات﴾ ونص عليها لما ورد أن بعضهم كان يعبدها، وقوله: ﴿والجبال﴾ عطف خاص على من في الأرض، ونص عليها لما ورد أن بعضهم كان يعبدها، أي: الجبال، أي: يعبد ما أخذ منها وهو الأصنام، وكذا يقال في قوله: والشجر والدواب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكثير من الناس﴾ فيه أوجه.

أحدها: أنه مرفوع بفعل مضمر تقديره ويسجد له كثير من الناس، وهذا عند من يمنع استعمال المشترك في معنييه أو الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة، وذلك أن السجود المسند لغير العقلاء غير السجود المسند للعقلاء، فلا يعطف كثير من الناس على ما قبله لاختلاف الفعل المسند إليهما في المعنى. ألا ترى أن سجود غير العقلاء هو الطواعية والاذعان لأمره، وسجود العقلاء هو هذه الكيفية المخصوصة.

الثاني: أنه معطوف على ما تقدمه، وفي ذلك ثلاث تأويلات أحدها: أن المراد بالسجود القدر المشترك بين الكل العقلاء وغيرهم وهو الخضوع والطواعية وهو من باب الاشتراك المعنوي. والتأويل الثاني: أنه مشترك اشتراكاً لفظياً، ويجوز استعمال المشترك في معنييه. والتأويل الثالث: أن السجود المسند للعقلاء حقيقة ولغيرهم مجاز، ويجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز، وهذه الأشياء فيها خلاف لتقريره موضع هو أليق به من هذا.

الثالث: من الأوجه المتقدمة أن يكون كثير مرفوعاً بالابتداء وخبره محذوف تقديره هو مثاب لدلالة خبر مقابله عليه وهو قوله: ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ كذا قدره الزمخشري، وقدره أبو البقاء مطيعون أو مثابون أو نحو ذلك اهـ سمين.

قوله: (بزيادة) وهي وضع الجبهة، وقوله: (في سجود الصلاة) متعلق بزيادة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن يهن الله﴾ من مفعول مقدم وهي شرطية جوابها الفاء مع ما بعدها، والعامة على مكرم بكسر الراء اسم فاعل، وقرأ ابن أبي عبلة بفتحها وهو اسم مصدر أي: فما له من إكرام اهـ سمين.

﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ من الإهانة والإكرام ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي المؤمنون خصم والكفار خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي في دينه ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ

قوله: ﴿هذان خصمان﴾ نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، وقال ابن عباس: نزلت في المسلمين وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب: نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم، وقال المسلمون: نحن أحق بالله منكم آمنا بنبينا محمد ﷺ وبنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا وكفرتم حسداً. وقيل: الخصمان الجنة والنار وهو ضعيف اهـ خازن.

وفي تذكرة القرطبي: روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله تعالى لهذه أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها» وخرجه مسلم والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ومعنى احتجت النار والجنة أي: حجت كل واحدة منهما صاحبتها وخاصمتها اهـ.

قوله: (أي المؤمنون خصم) ليس في هذا التركيب الإخبار بالمفرد عن الجمع لما ذكر الشارح أنه يطلق على الواحد والجماعة أي: بلفظ واحد، وقد يعبر فيه بلفظ الجمع والتثنية. وفي السمين: الخصم في الأصل مصدر وذلك يوحد ويذكر غالباً، وعليه قوله تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾ [صٓ: ٢١] ويجوز أن يثنى ويؤنث وعليه هذه الآية، ولما كان كل خصم فريقاً يجمع طوائف قال اختصموا بصيغة الجمع كقوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ [الحجرات: ٩] فالجمع مراعاة للمعنى، وقوله: ﴿فالذين كفروا﴾ هذه الجملة تفصيل وبيان لفصل الخصومة المعني بقوله تعالى: ﴿إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ وعلى هذا فيكون قوله: هذان خصمان معترضاً، والجملة من اختصموا حالية وليست مؤكدة لأنها أخص من مطلق الخصومة المفهومة من خصمان اهـ.

قوله: (أي في دينه) يعني أن بعضهم أثبته وبعضهم أنكره اهـ شيخنا.

وأشار بذلك إلى أن في ربهم على حذف مضاف. قال أبو حيان: والظاهر أن الاختصام وهو في الآخرة بدليل التقسيم بالفاء الدالة على التعقيب في قوله: ﴿فالذين كفروا﴾، ولذلك قال علي رضي الله عنه: أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى، وإن قلنا هذا الحكم والفصل في الدنيا لا في يوم القيامة، فالجواب: أنه لما كان تحقيق مضمونه في ذلك اليوم صح جعل يوم القيامة ظرفاً له بهذا الاعتبار اهـ كرخي.

قوله: ﴿قطعت لهم﴾ الخ أي: قدرت لهم على قدر جثثهم، لأن الثياب الجدد تقطع وتفصل على مقدار بدن من يلبسها، فالتقطيع مجاز عن التقدير بذكر المسبب وهو التقطيع وإرادة السبب وهو التقدير والتخمين، والظاهر أنه بعد ذلك جعل تقطيعها استعارة تمثيلية تهكمية شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم، وجمع الثياب لأن النار لتراكمها عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض، وهذا

﴿مِّن نَّارٍ﴾ يلبسونها يعني أحيطت بهم النار ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة ﴿يُصْهَرُ﴾ يذاب ﴿بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ من شحوم وغيرها ﴿وَ﴾ تشوى به ﴿ٱلْجُلُودُ ۝٢٠﴾ ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١﴾ لضرب رؤوسهم ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾ أي النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾

أبلغ من جعلها من مقابلة الجمع بالجمع والتعبير بالماضي لأنه بمعنى إعدادها لهم اهـ من الشهاب.

قوله: (يعني أحيطت بهما النار) أي: جعلت محيطة بهم وإشار به إلى أن في الكلام استعارة عن إحاطة النار بهم كما يحيط الثوب بلابسه، ولما كان الثوب ظاهراً فيما يغطي الجسد غير الرأس ذكر ما يصيب الرأس بقوله: ﴿يصب﴾. وعن ابن عباس: لو سقطت من الحميم نقطة عل جبال الدنيا لأذابتها، ولما ذكر ما يعذب به ظاهر الجسد ذكر ما يعذب به باطنه وهو الحميم الذي يذيب ما في البطون من الأحشاء، ويصل ذلك الذوب إلى الظاهر فيؤثر فيه تأثيره في الباطن كما قال تعالى: ﴿فقطع أمعاءهم﴾ [محمد: ١٥] اهـ من البحر.

وفي الحديث: «إن الحميم ليصب من فوق رؤوسهم فينفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلص إلى جوفه فيسلب ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان». أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح اهـ خازن.

قوله: ﴿يصب﴾ هذه الجملة يحتمل أن تكون خبراً ثانياً للموصول، وأن تكون حالاً من الضمير في لهم، وأن تكون مستأنفة وقوله: ﴿يصهر به﴾ جملة حالية من الحميم، والصهر: الإذابة، يقال: صهرت الشحم من باب قطع إذا أذبته، والصهارة الآلية المذابة وصهرته الشمس أذابته. وقوله: ﴿والجلود﴾ فيه وجهان، أظهرهما: عطفه على ما الموصولة أي: يذاب الذي في بطونهم من الأمعاء وتذاب أيضاً الجلود أي: يذاب ظاهرهم وباطنهم. والثاني: أنه مرفوع بفعل مقدر أي: وتخرق الجلود. قالوا: لأن الجلود لا تذاب إنما تنقبض وتكمش إذا صليت بالنار اهـ سمين.

وفي الكرخي: قوله: (تشوى به) الجلود يشير إلى أنه مرفوع بفعل مقدر، أي: لأن الجلود لا تذاب وهذا كقوله:

علفتها تبناً وماء باردا

أي: وسقيتها. ويجوز عطفه على ما الموصولة وتأخيره إما لمراعاة الفواصل أو للإشعار بغاية شدة الحرارة بايهام أن تأثيرها في الباطن أقوى من تأثيرها في الظاهر مع أن ملابستها على العكس اهـ.

قوله: ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ يجوز في هذا الضمير وجهان، أظهرهما: أنه يعود على الذين كفروا وفي اللام حينئذ قولان، أحدهما: أنها للاستحقاق، والثاني: أنها بمعنى على كقوله: ﴿ولهم اللعنة﴾ [الرعد: ٢٥] ليس بشيء الوجه الثاني: أن الضمير يعود على الزبانية أعوان جهنم، ودل عليهم سياق الكلام وفي بعد. ومن حديد صفة لمقامع وهي جمع مقمعة بكسر الميم لأنها آلة القمع، يقال: قمعه من باب قطع إذا ضربه بشيء يزجره ويذله والمقمعة المطرقة، وقيل: السوط اهـ سمين.

قوله: ﴿من غم﴾ من للتعليل متعلقة بيخرجوا. أي يخرجوا من أجل غم والإرادة هنا مجاز عن

يلحقهم بها ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ ردوا إليها بالمقامع ﴿وَ﴾ قيل لهم ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ أي البالغ نهاية الإحراق، وقال في المؤمنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗا﴾ بالجر أي منهما بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب

القرب، والمراد أنها ترفعهم وترميهم إلى أعلاها فلا خروج لهم لقوله تعالى: ﴿وما هم بخارجين منها﴾ [المائدة: ٣٧] ولهذا قال: أعيدوا فيها دون إليها. وبعضهم أبقى الإرادة على حقيقتها، وأجاب عن قوله: وما هم بخارجين منها بأنهم لا يستمرون على الخروج وبأن العود قد يتعدى بفي للدلالة على التمكن والاستقرار وذكر الإرادة للدلالة على رغبتهم في الخروج اهـ من الشهاب.

قوله: (أي البالغ) يقرأ بالجر تفسيراً للحريق، لأن فعيلاً بمعنى مفعول من صيغ المبالغة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الله يدخل﴾ الخ غيّر الاسلوب حيث لم يقل والذين آمنوا الخ عطفاً على الذين كفروا تعظيماً لشأن المؤمنين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الأنهار﴾ جمع نهر بفتحتين، وأما نهر بسكون ثانية فجمعه أنهر بوزن أفعل كأفلس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يحلون فيها﴾ العامة على ضم الياء وفتح اللام مشددة من حلاه تحلية إذا ألبسه الحلي، وقرىء بسكون الحاء وفتح اللام مخففة وهو بمعنى الأول كأنهم عدّوه تارة بالتضعيف وتارة بالهمزة، وقوله: ﴿من أساور من ذهب﴾ في من الأولى ثلاثة أوجه، أحدها: أنها زائدة كما تقدم. والثاني: أنها للتبعيض أي: بعض أساور. والثالث: أنها لبيان الجنس، ومن في من ذهب لابتداء الغاية وهي نعت لأساور كما تقدم. وقوله ولؤلؤ اختلف الناس في رسم هذه اللفظة في الإمام، فنقل الأصمعي أنها في الإمام لؤلؤ بغير ألف بعد الواو، ونقل الجحدري أنها ثابتة في الإمام بعد الواو وهذا الخلاف بعينه قراءة وتوجيهها جار في حرف فاطر أيضاً اهـ سمين.

وفي البيضاوي: وقرىء لؤلوا بقلب الثانية واواً ولولياً بقلبهما واوين، ثم قبل الثانية ياء وليلياً بقلبهما ياءين اهـ.

قوله: ﴿من أساور﴾ جمع أسورة جمع سوار اهـ بيضاوي.

قوله: (بالجر الخ) أي: في قراءة الجمهور عطفاً على ذهب على أن الأساور مركبة منها، وصوره بقوله: (بأن يرصح اللؤلؤ بالذهب) لدفع ما قيل إنه لم تعهد الأسورة من اللؤلؤ وأنه معطوف على أساور لا على ذهب.

قوله: (وبالنصب) أي: في قراءة نافع وعاصم عطفاً على محل من أساور، لأنه يقدر ويحلون حلياً من أساور أي: فالحلي في موضع نصب على أنه صفة لمفعول محذوف أي: حلياً لؤلؤاً، أو بتقرير ويؤتون لؤلؤاً، وعليه اقتصر في الكشاف اهـ كرخي.

ثم رأيت في تذكرة القرطبي ما نصه: ويسور المؤمن في الجنة بثلاثة أسورة: سوار من ذهب،

وبالنصب عطفاً على محل من أساور ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ وهو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو لا إله إلا الله ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ

وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، فذلك قوله تعالى: ﴿**يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير**﴾. قال المفسرون: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. وفي الصحيح: تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء اهـ.

قوله: (**بأن يرصع الخ**) أي: يحلى. لأن الترصيع في اللغة أن يجعل في أحد جانبي العقد من اللآلىء مثل ما في جانب الآخر، يقال: تاج مرصع. أي محلّى بها. وفي المختار: الترصيع التركيب، وتاج مرصع بالجواهر، وسيف مرصع أي: محلى بالرصائع وهي حلق يحلى بها. الواحدة رصيعة اهـ.

والظاهر أن في عبارة المفسر قلباً، والأصل بأن يرصع الذهب باللؤلؤ كما يدل عليه عبارة البيضاوي. وفي آية الكهف ﴿**يحلون فيها من أساور ذهب**﴾ [الكهف: ٣١] وليس فيها لؤلؤ. وفي سورة هل أتى: ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ [الإنسان: ٢١] ولم يذكر فيها اللؤلؤ ولا الذهب، فيجتمع لهم التزين بهذه الأمور بالذهب وحده وبالفضة وحدها وبالذهب واللؤلؤ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿**ولباسهم فيها حرير**﴾ غيَّر الأسلوب حيث لم يقل: ويلبسون فيها حريراً للمحافظة على الفواصل، لأنه لو قال ما ذكر لكان في آخر الفاصلة الألف في الكتابة والوقف بخلاف البقية اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: غيَّر أسلوب الكلام فيه حيث لم يقل: ويلبسون حريراً للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة في الجنة. فإن العدول إلى الجملة الاسمية يدل على الدوام، والمعنى أنه تعالى يوصلهم في الآخرة إلى ما حرمه عليهم في الدنيا. قال ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة فإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه» ومحله فيمن مات مصراً على ذلك اهـ.

ثم رأيت في تذكرة القرطبي ما نصه: وفي الحديث: «إن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة» وكذلك لابس الحرير في الدنيا، وكذلك من استعمل آنية الذهب والفضة. عن أبي موسى الأشعري أنه قال قال رسول الله ﷺ: «من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين». فقيل: ومن الروحانيون يا رسول الله؟ قال: «قراء أهل الجنة» خرَّجه الترمذي أبو عبد الله في نوادر الأصول. وقد قيل: إن حرمانه شرب الخمر ولباس الحرير وشربه في إناء الذهب والفضة، واستماعه للروحانيين إنما هو في الوقت الذي يعذب فيه في النار ويسقى من طينة الخبال، فإذا خرج من النار بالشفاعة أو بالرحمة العامة ادخل الجنة ولم يحرم شيئاً منها لا خمراً ولا حريراً ولا غيره، لأن حرمان شيء من لذات الدنيا لمن كان في الجنة نوع عقوبة ومؤاخذة، والجنة ليست بدار عقوبة ولا مؤاخذة فيها بوجه من الوجوه. قلت: حديث أبي سعيد، وأبي موسى يرد هذا القول، وكما لا يشتهي منزلة من هو أرفع منه وليس ذلك بعقوبة كذلك لا يشتهي خمر الجنة ولا حريرها ولا يكون ذلك عقوبة اهـ.

قوله: ﴿**من القول**﴾ يجوز أن يكون حالاً من الطيب وأن يكون حالاً من الضمير المستكن فيه، ومن للتبعيض أو للبيان اهـ سمين.

﴿ٱلۡحَمِيدِ ۝٢٤﴾ أي طريق الله المحمودة ودينه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَ﴾ عن ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ﴾ منسكاً ومتعبداً ﴿لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ﴾ المقيم ﴿فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾

قوله: (أي طريق الله﴾ أي: فالصراط هو طريق الله إلى الجنة. وقوله: (ودينه) معطوف على طريق والمراد به الإسلام، فيكون قد فسر الإسلام بتفسيرين بالطريق الموصلة للجنة بالدين الذي هو الإسلام، وعلى هذا تكون الهداية للصراط في الدينا وفي الآخرة والهداية في قوله: ﴿وهدوا﴾ إلى الطيب أي: في الدنيا، قوله: المحمود أي في أفعاله، ويصح أن يكون المحمود صفة لطريق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ فيه ثلاثة أوجه.

أحدها: أنه معطوف على ما قبله، وحينئذ ففي عطفه على الماضي ثلاث تأويلات، أحدها: أن المضارع قد لا يقصد به الدلالة على زمن معين من حال أو استقبال. وإنما يراد به مجرد الاستمرار ومثله: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ [الرعد: ٢٨] الثاني: أنه مؤول بالماضي لعطفه على الماضي. الثالث: أنه على بابه وأن الماضي قبله مؤول بالمستقبل.

الوجه الثاني: أنه حال من فاعل كفروا، وبه بدأ أبو البقاء وهو فاسد ظاهراً لأنه مضارع مثبت، وما كان كذلك لا تدخل عليه الواو وما ورد منه على قتله مؤول فلا يحمل عليه القرآن. وعلى هذين القولين فالخبر محذوف، واختلفوا في موضع تقديره فقدره ابن عطية بعد قوله: ﴿والباد﴾ أي إن الذين كفروا خسروا أو هلكوا أو نحو ذلك، وقدره الزمخشري بعد قوله: ﴿والمسجد الحرام﴾ أي: إن الذين كفروا نذيقهم من عذاب أليم، وإنما قدره كذلك لأن قوله: نذقه من عذاب أليم يدل عليه، إلا أنه يلزم من تقدير الزمخشري الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي وهو خبر إن، فيصير التركيب هكذا: إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم الذين جعلناه، وللزمخشري أن ينفصل عن هذا الاعتراض بأن الذي جعلناه لا نسلم أنه نعت للمسجد حتى يلزم ما ذكر، بل نجعله مقطوعاً عنه نصباً أو رفعاً.

الوجه الثالث: أن الواو في ويصدون مزيدة في لخبر إن تقديره: إن الذين كفروا يصدون، وزيادة الواو مذهب كوفي تقدم بطلانه اهـ سمين.

قوله: (منسكاً) قال في المختار: المنسك بفتح الميم وفتح السين وكسرها الموضع الذي تذبح فيه النسائك، وقرىء بهما قوله تعالى: ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ [الحج: ٣٤] والنسيكة الذبيحة وجمعها نسك بضمتين ونسائك اهـ شيخنا.

وأشار بتقدير منسكاً إلى أن المفعول الثاني محذوف وسبقه إلى ذلك ابن عطية إلا أن أبا حيان قال: ولا يحتاج إلى هذا التقدير إلا إن كان المراد تفسير المعنى لا الإعراب فيسوغ لأن الجملة في موضع مفعول الثاني فلا يحتاج إلى هذا التقدير اهـ كرخي.

وفي السمين: الذي جعلناه يجوز جره على النعت أو البدل أو البيان، والنصب بإضمار فعل، والرفع بإضمار مبتدأ وجعل يجوز أن يتعدى لاثنين بمعنى صير وأن يتعدى لواحد، والعامة على رفع

الطارىء ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ الباء زائدة ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي بسببه بأن ارتكب منهياً ولو شتم الخادم ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ مؤلم أي بعضه ومن هذا يؤخذ خبر إن أي نذيقهم من عذاب أليم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾ بينا ﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ ليبنيه، وكان قد رفع زمن الطوفان،

سواء، وقراءة حفص عن عاصم بالنصب هنا، وفي الجاثية سواء محياهم ومماتهم، ووافقة على الذي في الجاثية الأخوان وسيأتي توجيهه. فأما على قراءة الرفع فإن قلنا: إن جعل بمعنى صيّر كان في المفعول الثاني ثلاثة أوجه، أحدها: وهو الأظهر أن الجملة من قوله: ﴿سواء العاكف فيه﴾ هي المفعول الثاني ثم الأحسن في رفع سواء أن يكون خبراً مقدماً، والعاكف والباد مبتدأ مؤخراً، وإنما وحد الخبر وإن كان المبتدأ اثنين لأن سواه في الأصل مصدر وصف به، وقد تقدم هذا أول البقرة. وأجاز بعضهم أن يكون سواء مبتدأ وما بعده الخبر وفيه ضعف أو منع من حيث الابتداء بالنكرة من غير مسوغ، ولأنه متى اجتمع معرفة ونكرة جعلت المعرفة المتبدأ. الوجه الثاني: أن للناس هو المفعول الثاني، والجملة من قوله: ﴿سواء العاكف في محل﴾ نصب على الحال وهي محط الفائدة. الثالث: أن المفعول الثاني محذوف. قال ابن عطية: والمعنى الذي جعلناه للناس قبلة ومتعبداً، وإن جعلناها متعدية لواحد كان قوله للناس متعلقاً بالجعل على أنه علة له. وأما على قراءة حفص فإن قلنا: جعل يتعدى لاثنين كان سواء مفعولاً ثانياً، وإن قلنا يتعدى لواحد كان حالاً من هاء جعلناه وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع على الفاعلية لأنه مصدر وصف به فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقديره وجعلناه مستوياً فيه العاكف اهـ.

قوله: ﴿سواء العاكف﴾ الخ اختلف في معنى التسوية، فقال بعضهم: سواء أي في احترامه وقضاء النسك فيه، وقال بعضهم: معنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به وليس أحدهما أحق بالنزول من الآخر، فلا يزعج أحد إذا كان قد سبق إلى منزل اهـ شيخنا وأصله للخازن.

قوله: ﴿والباد﴾ أثبت ابن كثير ياء والباد وصلاً ووقفاً، وأثبتها أبو عمرو وورش وصلاً وحذفاها وقفاً، وحذفها الباقون وصلاً ووقفاً وهي محذوفة في الإمام اهـ سمين.

قوله: ﴿بإلحاد﴾ أي؛ عدول عن القصد والاعتدال. قال الكازروني: وفائدة قوله: ﴿بظلم﴾ بعد قوله بإلحاد أن الإلحاد قد يكون بحق لكونه في مقابلة الظلم، كما في قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى: ٤٠] اهـ شيخنا.

وفي المختار: ألحد في دين الله أي: حاد عنه وعدل، ولحد من باب قطع لغة فيه، وألحد الرجل ظلم في الحرم، وقوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ أي: إلحاداً بظلم والباء زائدة اهـ.

قوله: (الباء زائدة) أي: في المفعول، وقوله: (أي بسببه) أي: وهي متعلقة بإلحاد. قوله: (من هذا) أي: من قوله: ﴿نذقه الخ﴾، وقوله: (يؤخذ خبر إن أي) ويكون مقدراً بعد قوله: ﴿والباد﴾ مدلولاً عليه بآخر الآية كما ارتضى ذلك أبو حيان في البحر اهـ شيخنا.

قوله: (بينّا) أشار بتفسيره المذكور إلى أن اللام في لإبراهيم غير زائدة فتكون معدية للفعل على أنه مضمن معنى فعل يتعدى بها كما ذكره، ومن فسر بوأنا بأنزلنا قال إنها زائدة، وبه قال أكثر المعربين اهـ كرخي.

وأمرناه ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ جمع راكع وساجد المصلين ﴿وَأَذِّن﴾ ناد ﴿فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ فنادى على جبل أبي قبيس: يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتاً وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم، والتفت بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال

وفي القرطبي: وقيل: بوأنا لإبراهيم مكان البيت، أي: أريناه أصله ليبنيه وكان قد درس بالطوفان وغيره، فلما جاءت مدة إبراهيم عليه السلام أمره الله ببنائه، فجاء إلى موضعه وجعل يطلب أثراً فبعث الله له ريحاً هفافة فكشف على أساس آدم فرتب قواعده عليه حسبما تقدم في البقرة اهـ.

وقيل: بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم: يا إبراهيم ابن على دوري فبنى عليه اهـ خطيب.

قوله: (ليبنيه وكان قد رفع الخ) وكانت الأنبياء بعد رفعه يحجون مكانه ولا يعلمونه حتى بوأه الله لإبراهيم فبناه على أساس آدم، وجعل طوله في السماء سبعة إذرع بذراعهم وذرعه في الأرض ثلاثين ذراعاً بذراعهم، وأدخل الحجر في البيت ولم يجعل له سقفاً وجعل له باباً وحفر له بئراً يلقي فيها ما يهدى للبيت، وبناه قبله شيث وقبل شيث آدم وقبل آدم الملائكة، وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى في سورة البقرة. قوله: (وأمرناه) معطوف على بيناً فيكون قد فسر بوأنا بيننًا لأجل أن ينصب المفعول الذي هو مكان البيت، وفسره أيضاً بأمرنا لأجل أن تجعل أن في أن لا تشرك مفسرة لبوأنا لأن شرط أن المفسرة أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وأن يتحد معنى ما بعدها بما قبلها. وهذان الشرطان موجودان في وأمرناه فمعنى بوأنا قلنا لا تشرك وقلنا طهر بيتي اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: وأمرناه أن لا تشرك أشار إلى أن أن غير زائدة دفعاً لمن قال بزيادتها وهو الكواشي وغيره، وتقدير الشيخ المصنف: أمرناه أخذه من الأمر بعده اهـ.

قوله: ﴿من الأوثان﴾ عبارة القرطبي: وتطهير البيت عام في الكفر والبدع وجمع الأنجاس والدماء، وقيل: عنى به التطهير من الأوثان كما قال تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ [الحج: ٣٠] وذلك أن جرهماً والعمالقة كانت لهم أصنام في محل البيت وحوله قبل أن يبنيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقيل: المعنى نزهه عن أن يعبد فيه صنم وهذا أمر بإظهار التوحيد فيه اهـ.

قوله: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ أي: بدعوة الحج والأمر به اهـ بيضاوي.

قوله: (على جبل أبي قبيس) فلما صعده للنداء خفضت الجبال رؤوسها ورفعت له القرى فنادى في الناس بالحج فأجابه كل شيء اهـ قرطبي.

قال ابن عباس: فأجابوه بالتلبية من أصلاب الرجال وأرحام النساء، وأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج يحج من يومئذ إلى يوم تقوم الساعة إلا من أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذ. زاد غيره: فمن لبى مرة حج مرة، ومن لبّى مرتين حج مرتين، ومن لبّى أكثر حج بقدر تلبيته اهـ قسطلاني.

وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك، وجواب الأمر ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام ﴿وَ﴾ ركباناً ﴿عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى ﴿يَأْتِينَ﴾ أي الضوامر حملاً على المعنى ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ طريق بعيد ﴿لِّيَشْهَدُوا﴾ أي يحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ في الدنيا بالتجارة أو في الآخرة أو فيهما أقوال ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ أي عشر ذي الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال ﴿عَلَىٰ مَا

قوله: ﴿يأتوك﴾ إيقاع الأمر على صيغة الخطاب لكون إتيانهم إجابة لندائه، أو المضاف مقدر أي يأتوا بيتك اهـ كرخي.

قوله: (مشاة) ﴿و﴾ (ركبانا الخ) استدل بذلك بعضهم على أنه لا يجب الحج على راكب البحر وهو استدلال ضعيف، لأن مكة ليست على بحر وإنما يتوصل إليها على إحدى هاتين الحالتين بمشي أو ركوب، فذكر تعالى ما يتوصل بها إليها اهـ من البحر.

قوله: ﴿وعلى كل ضامر﴾ في المختار: ضمر الفرس من باب دخل، وضمر أيضاً بالضمر ضمراً بوزن قفل فهو ضامر فيهما، وناقة ضامر وضامرة وتضمير الفرس أيضاً أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت وذلك في أربعين يوماً، والبعير يطلق على الجمل والناقة اهـ.

وحينئذ يؤخذ منه أن الضمير في يطلق يصح رجوعه للضامر وللبعير اهـ شيخنا.

قوله: (أي بعير مهزول) أي: أتعبه بعد السفر يدل عليه توصيفه بما بعده، فإن نسبة أمر إلى المشتق يدل على علية المأخذ وقدم الراجل لفضله، إذ للراكب بكل خطوة سبعون حسنة، وللراجل سبعمائة من حسنات الحرم كل حسنة مائة ألف حسنة، وإبراهيم وإسماعيل حجًا ماشيين اهـ كرخي.

قوله: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ يجوز في هذه اللام وجهان، أحدهما: أن يتعلق بأذن أي: أذن ليشهدوا. والثاني: أنها متعلقة بيأتوك وهو الأظهر. قال الزمخشري: ونكر منافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية أو دنيوية لا توجد في غيرها من العبادات اهـ سمين.

قوله: (بالتجارة) أي: لأنها جائزة للحاج من غير كارهة إذا لم تكن هي المقصودة من سفره اهـ شهاب.

قوله: ﴿ويذكروا اسم الله﴾ أي: عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها اهـ بيضاوي.

وفي الخطيب: ويذكروا اسم الله أي الجامع لجميع الكمالات بالتكبير وغيره عند الذبح وغيره، وقيل: كنى بالذكر عن الذبح لأن ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيهاً على أن المقصود مما يتقرب به إلى الله تعالى أن يذكر اسمه، واختلف في الأيام المعلومات في قوله تعالى: ﴿في أيام معلومات﴾ فالذي عليه أكثر المفسرين وهو اختيار الشافعي، وأبي حنيفة أنها عشر ذي الحجة، واحتجوا بأنها معلومة عند الناس لحرصهم على علمها من أجل أن وقت الحج في آخرها، ثم للمنافع أوقات من العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام، ولتلك الذبائح وقت منها وهو يوم النحر. وعن ابن عباس أنها أيام التشريق، وقيل: يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق، واستدل لهذا بقوله تعالى: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ وهي الإبل والبقر والغنم من الهدايا والضحايا أي: يذكروا اسم الله تعالى عند نحرها، ونحو

رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ أي الشديد الفقر ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر ﴿وَلْيُوفُواْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿نُذُورَهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ طواف الإفاضة ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ أي القديم

الهدايا والضحايا يكون في هذه الأيام اهـ. قوله: (إلى آخر أيام التشريق) راجع للقولين قبله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على ما رزقهم﴾ أي: لأجل ما رزقهم. قوله: ﴿فكلوا منها﴾ أي: من لحومها أمر بذلك إباحة وإزالة لما كان عليه الجاهلية من التحرج فيه، أو ندباً إلى مواساة الفقراء ومساواتهم اهـ بيضاوي.

وفي الخطيب: فكلوا منها. أي من لحومها أمر إباحة، وذلك أن الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً فأمر الله تعالى بمخالفتهم، واتفق العلماء على أن الهدي إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع. واختلفوا في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقرآن والدم الواجب بإفساد الحج وفوته، وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئاً؟ قال الشافعي رحمه الله: لا يأكل منه شيئاً وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر، وقال ابن عمر رضي الله عنه: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك، وبه قال أحمد وإسحاق. وقال مالك: يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلا من فديه الأذى وجزاء الصيد والنذر، وعن أصحاب أبي حنيفة: أنه يأكل من كل من دم التمتع والقران، ولا يأكل من واجب سواهما اهـ.

قوله: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ أي: ثم بعد حلّهم وخروجهم من الإحرام وبعد الاتيان بما عليهم من النسك، وفسر القضاء بالإزالة تفسيراً مجازياً لأن القضاء في الأصل القطع والفصل فأريد به هنا الإزالة، والتفث في الأصل وسخ الأظفار ونحوها، وقوله: (كطول الظفر) مثال للتفث أي: وكالشارب وشعر الرأس والعانة فإن هذه الأمور تطلب إزالتها اهـ شيخنا.

وفي المصباح: تفث تفثاً فهو تفث مثل تعب تعباً فهو تعب إذا ترك الادهان والاستحداد فعلاه لوسخ، وقوله تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ هو استباحة ما حرم عليهم بالإحرام بعد التحليل اهـ.

والعامة على كسر اللام من ليقضوا وهي لام الأمر، وقرأ نافع والكوفيون بسكون اللام إجراء للمنفصل مجرى المتصل، والتفث قيل أصله من التف وهو وسخ الأظفار قلبت الفاء ثاء كمعثور في معفور، وقيل: هو الوسخ والقذر يقال ما تفثك. وحكى قطرب: تفث الرجل إذا كثر وسخه في سفره، ومعنى ليقضوا ليصنعوا ما يصنعه المحرم من إزالة شعر وشعث نحوهما عند حله، وفي ضمن هذا قضاء جميع المناسك إذ لا يفعل هذا إلا بعد فعل المناسك كلها اهـ سمين.

قوله: (أي القديم الخ) عبارة الخطيب: أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس، وقال ابن عباس: سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى منه، فإن قيل: قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع. أجيب: بأنه ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه. ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل، وقيل: لأن الله تعالى

لأنه أول بيت وضع للناس ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر أي الأمر أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حرمت عليك الميتة﴾ الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً والتحريم لما عرض من الموت

أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان، وقان مجاهد: لأنه لم يملك قط، وقيل: بيت كريم أي أن العتيق بمعنى الكريم من قولهم: عتق الخيل والطير اهـ.

قوله: (أي الأمر أو الشأن ذلك) أشار به إلى أن قوله ذلك خبر مبتدأ محذوف، وهذا كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا اهـ من البحر.

فهو يذكر للفصل بين كلامين أو بين وجهي كلام واحد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك﴾ (المذكور) أي من قوله: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ [الحج: ٢٦] إلى قوله: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ اهـ زاده.

قوله: ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ تعظيمها ترك ملابستها، وقوله: (هي ما لا يحل) الخ. وقيل: الحرمات ما وجب القيام بها وحرم التفريط فهيا، وقيل: الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها إقامتها وتمامها، وقيل: الحرمات البيت الحرام والشهر الحرام، ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب على الإنسان القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها اهـ من الخازن.

وفي البيضاوي: الحرمات ما لا يحل هتكه اهـ.

والهتك: شق الستارة وتمزيقها ليظهر ما خلفها، فالحرمات جمع حرمة وهي ما يحرم شرعاً فتجوز به هنا عن المخالفة كأنه إزالة لستر الشريعة اهـ من الشهاب.

قوله: (ما لا يحل انتهاكه) وهي جميع التكاليف من مناسك الحج وغيرها، ويحتمل أن تخص بما يتعلق بالحج كالجدال والجماع والصيد اهـ من البحر.

قوله: ﴿فهو خير له﴾ أي: قربة وطاعة يثاب عليها عند الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا ما يتلى عليكم تحريمه﴾ يشير إلى أن في النظم تقدير مضاف هو المسند إليه وأن الضمير المجرور بعد حذف المضاف ارتفع واستتر، وفي جعل التحريم متلواً تسامح وفي الحقيقة المتلو آية تحريمه اهـ.

وفي الكرخي: إلا ما يتلى عليكم تحريمه أشار به إلى أن المتلو لا يستثنى من بهيمه الأنعام لأنه ليس فيها محرم ولكن المعنى إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه، وذلك قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣] الخ فلا تحرموا غيره، والمعنى أن الله تعالى قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه في كتابه اهـ.

قوله: (فالاستثناء منقطع) وجهه أنه ذكر في آية المائدة ما ليس من جنس الأنعام كالدم ولحم الخنزير، وقوله: (ويجوز أن يكون متصلاً) بأن يصرف إلى ما يحرم من بهيمة الأنعام بسبب عارض

ونحوه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ من للبيان أي الذي هو الأوثان ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ أي الشرك بالله في تلبيتكم أو شهادة الزور ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط

كالموت ونحوه، وقيل: وجه الانقطاع أنه ليس في الأنعام محرم اهـ من الشهاب مع زيادة من السمين.

وتقدم في أول المائدة كلام أوضح من هذا فراجعه. قوله: ﴿فاجتنبوا الرجس﴾ أصله في اللغة القذارة والأوساخ، وعبادة الأوثان قذر معنوي اهـ شيخنا.

والفاء تفريعية على قوله: ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾، فلما حث على المحافظة على حدود الله وترك الشرك تفرع عنه هذه اهـ شهاب.

قوله: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ تعميم بعد تخصيص، فإن عبادة الأوثان رأس الزور، لأن المشرك زاعم أن الوثن يحق له العبادة كأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور، واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا منه شيئاً لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيل عبادة الأوثان، والزور من الزور أو من الازورار وهو الانحراف، كما أن الإفك من أفكه إذا صرفه فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع، وقيل: قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افترائهم، وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك اهـ خطيب.

قوله: (وهما حالان من الواو) أي: في اجتنبوا، لكن الأولى مؤسسة والثانية مؤكدة كما أشار له الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن يشرك بالله﴾ الخ غرضه بهذا ضرب مثل لمن يشرك بالله اهـ شيخنا.

ومعنى الآية أن بعد من أشرك بالله عن الحق والإيمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه أحد بحال، وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة، إما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه في المكان السحيق اهـ خازن.

تنبيه:

قال الزمخشري: يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده هلاك بأن صور حاله بصورة حال من خرَّ من السماء فاختطفته الطير متفرقاً موزعاً في حواصلها، وعصفت به الريح حتى هوت به في بعض الأماكن البعيدة، وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة اهـ.

وقوله: الذي يطوح به الباء زائدة للتأكيد، قال الجوهري: طوحه أي توهه وذهب به ههنا وههنا اهـ خطيب.

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ أي تأخذه بسرعة ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي تسقطه ﴿فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ بعيد أي فهو لا يرجى خلاصه ﴿ذَٰلِكَ﴾ يقدر قبله الأمر مبتدأ ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا﴾ أي فإن تعظيمها وهي البدن التي تهدى للحرم بأن تستحسن وتستسمن ﴿مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ منهم وسميت شعائر لإشعارها بما تعرف به أنها هدي كطعن حديدة بسنامها ﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي مكان حل نحرها ﴿إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾ أي عنده والمراد والحرم جميعه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ﴾ أي جماعة مؤمنة

قوله: ﴿فتخطفه الطير﴾ بفتح الخاء والطاء مشدداً وأصله تختطفه فأدغم، وقرىء فتخطفه بسكون الخاء وتخفيف الطاء اهـ سمين.

قوله: ﴿شعائر الله﴾ جمع شعيرة أو شعارة بالكسر بوزن قلادة، وهي البدن فيه قصور، وكأن حمله عليه مراعاة للسياق، وإلاَّ فالشعائر أعم منها كما في المصباح ونصه: والشعائر أعلام الحج وأفعاله الواحدة شعيرة أو شعارة بالكسر والمشاعر مواضع المناسك اهـ.

قوله: (بأن تستحسن) أي: تختار حسنة بأن تكون غالية في الثمن، وينبغي للإنسان أن يترك المشاحة في ثمنها لما ورد أنه ينبغي ترك المشاحة في الهدايا والضحايا وعتق الارقاء، وروي أنه عليه الصلاة والسلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة، وروي أن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار اهـ من أبي السعود.

قوله: ﴿من تقوى القلوب﴾ من ابتدائية أي: فإن تعظيمها مبتدأ وناشىء من تقوى قلوبهم اهـ خطيب.

وفي السمين: والعائد على اسم الشرط من هذه الجملة الجزائية مقدر تقديره فإنها من تقوى القلوب منهم، ومن جوز إقامة أل مقام الضمير وهم الكوفيون أجاز ذلك هنا، والتقدير: من تقوى قلوبهم كقوله: ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤١] اهـ.

وقول الشارح: منهم أي: من وجمع الضمير باعتبار معناها.

قوله: (لإشعارها) أي: تعليمها. وقوله: (بما يعرف به) أي: بعلامة يعرف بها أنها هدي، وقوله: (كطعن حديدة) الخ أي: وكتعليق النعال في أعناقها وكتعليق آذان القرب في رقاب الغنم وهكذا تأويل.

قوله: ﴿لكم فيها﴾ أي: الشعائر واجبة أو مندوبة، وقوله: (كركوبها) أي: وإركابها بلا أجرة، فإن كان بأجرة حرم، أي وكشرب لبنها الفاضل عن ولدها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلى البيت العتيق﴾ إلى: بمعنى عند كما قال الشارح. قوله: (والمراد الحرام جميعه) أي: لا خصوص الكعبة فقط اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولكل أمة﴾ الخ لما ذكر تعالى الذبائح بيَّن أنه لم يخل منها أمة، فالذبائح من الشرائع القديمة، وقال ابن عرفة في قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾ أي: مذهباً من طاعة الله تعالى يقال:

سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان أي ذبحاً قرباناً أو مكانه ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ انقادوا ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ المطيعين المتواضعين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ

نسك نسك قوم إذا سلك مذهبهم، وقيل: منسكاً عيداً قاله الفراء، وقيل: حجاً قاله قتادة، والقول الأول أظهر لقوله تعالى: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي: على ذبحه اهـ قرطبي.

قوله: (بفتح السين مصدر) في المصباح نسك لله ينسك من باب قتل تطوع بقربة، والنسك بضمتين اسم منه. وفي التنزيل: ﴿إن صلاتي ونسكي﴾ [الأنعام: ١٦٢] والمنسك بفتح السين وكسرها يكون زماناً ومصدراً، ويكون اسم المكان الذي يذبح فيه النسيكة وهي الذبيحة وزناً ومعنى، ومناسك الحج عبادته. وقيل: مواضع العبادات ومن فعل كذا فعليه نسك أي: دم يريقه، ونسك تزهد وتعبد: فهو ناسك، والجمع نساك مثل عابد وعباد اهـ.

قوله: (أي ذبحاً قرباناً) قرباناً مفعول للمصدر الذي هو ذبحاً، أي: أن يذبحوا القربان. وفي الخازن: جعلنا منسكاً قرىء بكسر السين أي مذبحاً وهو موضع ذبح القربان، وقرىء منسكاً بفتح السين وهو إراقة الدم وذبح القرابين اهـ.

وفي زاده: أي جعلنا لكل أمة نوعاً من التعبد والتقرب، والمراد به إراقة الدماء لوجه الله تعالى، والمعنى: شرعنا بكل أمة مؤمنة أن ينسكوا لله تعالى اهـ.

قوله: ﴿ليذكروا اسم الله﴾ معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله، وأن يكون الذبح لله لأنه الرازق لذلك اهـ أبو حيان.

قوله: ﴿من بهيمة الأنعام﴾ أي: عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقيد بالأنعام لأن ما سواه لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جاز أكله اهـ خازن.

وفي القاموس: البهيمة كل ذات أربع قوائم ولو في الماء أو كل حي لا يميز، والجمع بهائم، والأبهم الأعجم، واستبهم استعجم فلم يقدر على الكلام اهـ.

قوله: (انقادوا) أي: لجميع تكاليفه. ومن انقاد لله كان مخبتاً فلذلك قال بعده: ﴿وبشر المخبتين﴾ اهـ رازي.

قوله: (المتواضعين) هذه أصل معناه لأنه الإخبات نزول الخبت وهو المكان المنخفض، ولا يخفى حسن التعبير بالمخبتين هنا من حيث أن نزول الخبت مناسب للحجاج لما فيهم من صفات المتواضعين، كالتجرد عن اللباس وكشف الرأس والغربة عن الأوطان، ولذا وصفهم بالصبر وذكر إقامة الصلاة لأن السفر مظنة التقصير فيها اهـ شهاب.

وفي القاموس: الخبت المتسع من بطون الأرض والجمع أخبات وخبوت اهـ.

﴿ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من البلايا ﴿ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ في أوقاتها ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ يتصدقون ﴿ وَٱلْبُدْنَ ﴾ جمع بدنة وهي الإبل ﴿ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ أعلام دينه ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ نفع في الدنيا كما تقدم وأجر في العقبى ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ عند نحرها ﴿ صَوَآفَّ ﴾ قائمة على ثلاث

قوله: (من البلايا) فإن كانت هذه البلايا من الله تعالى فليس للمبتلي بها إلا الصبر، وإن كانت من غيره فله أن يصبر عليها ويعفو وله أن ينتظر لنفسه اهـ خازن.

قوله: (يتصدقون) أي: صدقة التطوع، ويعلم منه أنهم كانوا يتصدقون الصدقة الواجبة بالأولى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والبدن جعلناها لكم﴾ الخ البدن: هي الشعائر المذكورة في قوله أولاً: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ [الحج: ٣٢] اهـ شيخنا.

قوله: (وهي الإبل) سميت الإبل بدناً لعظم أبدانها اهـ شيخنا.

وفي الصحاح: البدنة ناقة أو بقرة تنحر بمكة، فسميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها اهـ زرقاني.

وقال القسطلاني: البدن عند الشافعي خاصة بالإبل، وعند أبي حنيفة من الإبل والبقر، فكلام الشافعية موافق لكلام الأزهري، وكلام الحنفية موافق لكلام الصحاح، وأما الهدي فيشمل الإبل والبقر والغنم اهـ ابن لقيمة.

قوله: ﴿من شعائر الله﴾ جمع شعيرة أو شعارة بالكسر وهي العلامة اهـ مصباح.

وهذا الجار والمجرور هو المفعول الثاني للجعل بمعنى التصيير اهـ سمين.

قوله: ﴿لكم فيها خير﴾ جملة مستأنفة مقررة لما قبلها اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿لكم فيها خير﴾ الجملة حال إما من هاء جعلناها وإما من شعائر الله، وهذان مبنيان على أن الضمير في فيها هل هو عائد على البدن أو على شعائر، والأول قول الجمهور اهـ سمين.

قوله: (كما تقدم) أي: في قوله: ﴿لكم فيها﴾ منافع إلى أجل مسمى. قوله: ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك اهـ أبو السعود.

قوله: (قائمة) الأظهر قائمات اهـ قاري وهو كذلك في البيضاوي وغيره.

وفي البيضاوي: صواف قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، وقرىء صوافن من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة، لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث اهـ.

وعبارة الخازن: صواف قياماً على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى وأخرى معقولة فينحرها، كذلك روى البخاري عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال: ابعثها قياماً مقيدة سنة محمد ﷺ، انتهت.

معقولة اليد اليسرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إن شئتم ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ السائل أو المتعرض ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل ذلك التسخير ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ بأن تنحر وتركب وإلا لم تطق ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ إنعامي عليكم ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ أي لا يرفعان إليه ﴿وَلَكِن

وكون قيامها سنّة محمد ﷺ إنما هو على سبيل الندب، ويجوز نحرها وذبحها مضطجعة على جنبها كالبقر اهـ.

قوله: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ الوجوب: السقوط، يقال: وجبت الشمس أي سقطت ووجب الجدار سقط، ومنه الواجب الشرعي كأنه سقط علينا ولزمنا اهـ سمين.

وهذا كناية عن الموت وجمع الجنوب مع أن البعير إذا خرَّ يسقط على أحد جنبيه، لأن ذلك الجمع في مقابلة جمع البدن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأطعموا القانع﴾ أي: أطعموه وجوباً، كما عليه الشافعي وهذا في المستحبة كما مرَّ وكرره، لأن الأول مرتب على ذبح بهيمة الأنعام الشاملة للبدن والبقر والغنم، والثاني مرتب على ذبح البدن خاصة وإن وافقه في الحكم ذبح الآخرين اهـ كرخي.

قوله: (الذي يقنع) أي: يرضى وبابه سلم فعلاً ومصدراً، وقد يطلق القانع على السائل وبابه حينئذ خضع فعلاً ومصدراً اهـ شيخنا.

وفي السمين: القانع السائل، والمعتر المتعرض من غير سؤال، وقال قوم بالعكس، وقال ابن عباس: القانع المستغني بما أعطيه، والمعتر المتعرض من غير سؤال، وعنه أيضاً: القانع المتعفف والمعتر السائل، وقال بعضهم: القانع الراضي بالشيء اليسير من قنع يقنع قناعة فهو قانع، والقنع بغير ألف هو السائل ذكره أبو البقاء اهـ.

وفي المصباح: المعتر الضيف الزائر والمعتر المتعرض للسؤال من غير طلب، يقال: عره واعتره وعراه واعتراه أيضاً إذا اعترض للمعروف من غير مسألة، وقال ابن عباس: المعتر الذي يعتر بالسلام ولا يسأل اهـ.

وفي ابن لقيمة ما نصه: قال مجاهد فيما أخرجه عبد بن حميد: القانع جارك الذي ينظر ما دخل عليك، والمعتر الذي يعتر ببابك ويريك نفسه ويتعرض ولا يسأل، وقال ابن زيد: القانع المسكين، والمعتر الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم اهـ وهذا غير ما قاله الشارح.

قوله: (أي مثل ذلك التسخير) أي: المفهوم من قوله صواف كما يفهم من أبي السعود. قوله: ﴿سخرناها﴾ أي: ذللناها لكم، قوله: (بأن تنحر وتركب) أي: بأن تتمكنوا من نحرها وركوبها، وقوله: (إلا) أي إلا نسخرها. قوله: (لم تطق) أي: لم يقدر على نحرها وركوبها، وكأن الباء تعليلية فهي بمعنى لأجل أن تنحر الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لن ينال الله لحومها﴾ أي: لن تبلغ مرضاته ولن تقع موقع القبول اهـ أبو السعود.

يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ أي الموحدين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ غوائل المشركين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانته

قال أبو حيان في البحر: أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح، وتشريح اللحم منصوباً حول الكعبة، وتضميخ الكعبة بالدم تقرباً إلى الله تعالى فنزلت هذه الآية اهـ شيخنا.

قوله: (أي لا يرفعان إليه) أي: لا يرفع نفس اللحم والدم، وإنما يرفع العمل الصالح ومنه التصدق باللحم فالتصدق من عمل العبد فيرفع إلى الله، وأما نفس اللحم المتصدق به فلا يرفع، والمعنى: أنه لا يثيبكم على لحمها إلا إذا وقع موقعاً من وجوه الخير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿منكم﴾ حال من التقوى. قوله: ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي: بأن تقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا اهـ خازن.

وهذا تكرير للتذكير والتعليل بقوله: ﴿لتكبروا الله﴾. والمراد بالتكبير أن تشكروا الله على هدايته إياكم لإعلام دينكم ومناسك حجكم بأن تكبروا وتهللوا، فضمن التكبير معنى الشكر فعدى تعديته واختصر الكلام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على ما هداكم﴾ ما مصدرية أو موصولة أي: على هدايته إياكم أو على ما هداكم إليه، وعلى متعلقة بتكبروا لتضمينه معنى الشكر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن الله يدافع﴾ الخ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر جملة مما يفعل في الحج، وكان المشركون قد صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية، وآذوا من كان بمكة من المؤمنين أنزل الله هذه الآيات مبشرة للمؤمنين بدفعه تعالى عنهم ومشيرة إلى نصرهم وإذنه لهم في القتال وتمكينهم في الأرض بردهم إلى ديارهم وفتح مكة، وأن عاقبة الأمور راجعة إلى الله من البحر.
فهذا متصل بقوله سابقاً: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ [الحج: ٢٥] الخ اهـ زاده.

قوله: (غوائل المشركين) يشير به إلى أن المفعول محذوف اختصاراً لدلالة المقام على تعينه.
قال أبو حيان: لم يذكر الله ما يدفعه عنهم ليكون أفخم وأعظم وأعم اهـ كرخي.

وفي المختار: الغوائل الدواهي، والداهية الأمر العظيم، ودواهي الدهر ما يصيب الناس من عظيم نوبه اهـ.

قوله: (في أمانته) مفرد مضاف فيعم أي أمانات الله تعالى وهي أوامره ونواهيه وصيغة المبالغة فيهما لبيان أنهم كذلك لا للتقليد بغاية الخيانة والكفر اهـ من أبي السعود.

وفي الخطيب: إن الله لا يحب أي لا يكرم كل خوان في أمانته كفور لنعمته وهم المشركون. قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا معه شريكاً وكفروا نعمه، فنبه بذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته، وقال مقاتل: يدفع عن الذين آمنوا بمكة حين أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين آذوهم، فاستأذنوا النبي ﷺ في قتلهم سراً فنهاهم عن ذلك، ثم أذن الله لهم في قتالهم بقوله:

﴿ كَفُورٍ ۝٣٨﴾ لنعمته وهم المشركون، المعنى أنه يعاقبهم ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ أي المؤمنين أن يقاتلوا وهذه أول آية نزلت في الجهاد ﴿ بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ظُلِمُواْ﴾ بظلم الكافرين إياهم ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ هم ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج ما أخرجوا ﴿ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ أي بقولهم ﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده وهذا القول حق فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿ وَلَوْلَا

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ وكانوا يأتونه ﷺ ما بين مضروب ومشجوج يشكون إليه فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال» حتى هاجر فنزلت هذه الآية، وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهى عنه في نيف وسبعين آية وقيل: نزلت في قوم بأعيانهم مهاجرين من مكة إلى المدينة فاعترضهم مشركو مكة، فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بسبب أنهم ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء اهـ.

قوله: ﴿أذن﴾ أي: بعد الهجرة للذين يقاتلون أي: يريدون القتال، وقوله: (أن يقاتلوا) أي: في أن يقاتلوا، وأشار بتقديره إلى أن المأذون فيه محذوف لدلالة يقاتلون عليه وعلل الإذن لهم بأنهم ظلموا اهـ من البحر.

وقال الرازي: وقوله: (أن يقاتلوا) أي: في المستقبل فلا يشكل بأن الآية مكية اهـ.

قوله أيضاً: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ قرأه مبنياً للمفعول نافع، وأبو عمرو، وعاصم، والباقون قرؤوه مبنياً للفاعل، وأما يقاتلون فقرأه مبنياً للمفعول نافع، وابن عامر، وحفص، والباقون مبنياً للفاعل فحصل في مجموع الفعلين أن نافعاً وحفصاً بنياهما للمفعول، وابن كثير وحمزة والكسائي بنوهما للفاعل، وأن أبا عمرو وأبا بكر بينا الأول للمفعول والثاني للفاعل، وأن ابن عامر عكس هذا، فهذه أربع رتب والمأذون فيه محذوف للعلم له أي: أذن للذين يقاتلون في القتال، وبأنهم ظلموا متعلق بأذن، والباء سببية أي: بسبب أنهم مظلومون اهـ سمين.

قوله: ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ وعد لهم بالنصر على طريق الرمز والكناية، كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ يجوز أن يكون في محل جر نعتاً للموصول الأول أو بياناً له أو بدلاً منه، وأن يكون في محل نصب على المدح، وأن يكون في محل رفع على إضمار مبتدأ اهـ سمين.

وقوله: للموصول الأول هذا لا يتعين، بل يصح أن يكون نعتاً للموصول الثاني أو بدلاً منه اهـ.

قوله: ﴿إلا أن يقولوا﴾ هذا استثناء منقطع في محل نصب لإجماع العرب على نصب مثل هذا إذ لا يصح تسليط العامل عليه لأنك لو قلت الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله لم يصح، ولذا قدر له المفسر عاملاً محذوفاً وجعل الاستثناء مفرغاً وصيَّره متصلاً، أي: ما أخرجوا بشيء من الأشياء إلا بقولهم ربنا الله اهـ من السمين.

والمضارع بمعنى الماضي، وقوله: (أي بقولهم) أي: بسبب قولهم اهـ.

دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ بدل بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾ بالتشديد للتكثير والتخفيف ﴿صَوَٰمِعُ﴾ للرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ كنائس للنصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ كنائس لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ أي في المواضع المذكورة ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ وتنقطع العبادات بخرابها ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي ينصر دينه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ منيع في

قوله: ﴿بعضهم﴾ هذا البعض هم الكافرون وقوله: ﴿ببعض﴾ هم المؤمنون، والمراد بالدفع إذن الله لأهل دينه في مجاهدة الكفار، فكأنه قال: ولولا دفع الله أهل الشرك بالمؤمنين بالإذن لهم في جهادهم لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان وعطلوا مواضع العبادة، والمراد بهذه المواضع مواضع عبادات المؤمنين منهم، والمعنى: لهدم في شرع كل نبي المكان الذي يصلي فيه، فلولا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلون فيها في شرعه، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن نبينا المساجد، فعلى هذا إنما دفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف وقبل النسخ. والصوامع للنصارى التي يبنونها في الصحارى والبيع لهم أيضاً وهي التي يبنونها في البلدان والصلوات كنائس اليهود، وقدم الصوامع والبيع والصلوات على مساجد المسلمين لأنها أقدم في الوجود اهـ من الرازي.

أو قدمها على المساجد ليكون فيه الانتقال من شريف إلى أشرف. قال أبو حيان: أجرى الله العادة في الأمم بذلك بأن ينتظم به الأمر وتقوم الشرائع وتصان المتعبدات من الهدم وأهلها من القتل والشتات، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وقتل داود جالوت﴾ [البقرة: ٢٥١] ثم قال: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ [البقرة: ٢٥١] اهـ.

قوله: (بالتشديد للتكثير) أي: باعتبار المواضع فتكرر الهدم لكثرة المواضع اهـ.

قوله: ﴿صوامع﴾ جمع صومعة وهي البناء المرتفع المحدب الأعلى ووزنها فوعلة كدحرجة، وهي متعبد الرهبان، وقيل: متعبد الصابئين اهـ سمين.

قوله: ﴿وصلوات﴾ بفتح الصاد واللام جمع صلاة وسميت الكنيسة صلاة لأنها يصلى فيها، وقيل: هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا اهـ سمين.

وفي الشهاب: صلوثا بفتح الصاد والثاء المثلثة والقصر، وبه قرىء في الشواذ ومعناه في لغتهم المصلى فلا يكون مجازاً اهـ.

قوله: (أي في المواضع المذكورة) وهي الأربعة لأن كل واحد منها جمع اهـ شيخنا.

قوله: (أي ينصر دينه) أي: وأولياءه، لمعنى نصره تعالى هو أن يظفر أولياءه بأعدائهم، ويكون النصر بالتجلد في القتال، وبإيضاح الأدلة والبينات، والإعانة على المعارف والطاعات اهـ شيخنا.

قوله: (منيع في سلطانه) الأولى غالب لأن عزيز مأخوذ من عز بمعنى غلب اهـ شيخنا.

وقد أنجز تعالى وعده بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم، وأورثهم أرضهم وديارهم اهـ بيضاوي.

سلطانه وقدرته ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ جواب الشرط وهو وجوابه صلة الموصول، ويقدر قبله هم مبتدأ ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ أي إليه مرجعها في الآخرة ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى ﴿وَعَادٞ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودُ ۝٤٢﴾ قوم صالح ﴿وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ۝٤٣﴾ ﴿وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ﴾ قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كذبه القبط لا قومه بنو

قوله: ﴿الذين إن مكناهم﴾ يجوز في هذا الموصول ما جاز في الموصول قبله، ويزيد هذا عليه بأنه يجوز أن يكون بدلاً من ينصره ذكره الزجاج. أي: ﴿ولينصرن الله﴾ ﴿الذين إن مكناهم﴾ اهـ سمين.

قوله: (جواب الشرط) أي: أقاموا الصلاة وما عطف عليه جواب الشرط، وقوله: وهو أي الشرط، وجوابه: وهو أقاموا وما عطف عليه كما علمت اهـ شيخنا.

قوله: (هم مبتدأ) وهذا الضمير يرجع للمأذون له في القتال وهم المهاجرون، وفيه إخبار بالغيب عما تكون عليه سيرتهم إن مكن له في الأرض اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: وقوله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ الخ. وصف للذين هاجروا وهو إخبار من الله تعالى بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم. وعن عثمان رضي الله عنه: هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله تعالى أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا اهـ.

قوله: ﴿وإن يكذبوك الخ﴾ لما بيَّن سبحانه وتعالى فيما تقدم إخراج الكفار للمؤمنين من ديارهم بغير حق وأذن مقاتلتهم وضمن لرسول الله ﷺ النصرة، وبيَّن أن إلى الله عاقبة الأمور أردفه بما يجري مجرى التسلية للنبي ﷺ في الصبر على ما هو عليه من أذيته وأذية المؤمنين بالتكذيب وغيره، فقال: وإن يكذبوك الخ أي: فأنت يا أشرف الخلق لست بأوحد في التكذيب، فإن هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومك فتسل بهم اهـ خطيب.

قوله: (باعتبار المعنى) وهو الأمة أو القبيلة، وبنى الفعل للمفعول في وكذب موسى لأن قومه لم يكذبوه وإنما كذبه القبط اهـ من البحر.

وقد أشار له الشارح بقوله: (كذبه القبط لا قومه الخ) اهـ.

قوله: ﴿وعاد وثمود﴾ استغنى فيهما عن ذكر قوم لاشتهارهم بهذا الاسم الأخصر، والأصل في التعبير العلم ولا علم لغيرهما، فلذا لم يقل قوم هود وقوم صالح اهـ شهاب.

قوله: ﴿وأصحاب مدين﴾ لم يقل قوم شعيب لأن قومه يشملون أصحاب مدين وأصحاب الأيكة، وأصحاب مدين سابقون على أصحاب الأيكة في التكذيب له، فخصوا في الذكر لسبقهم في التكذيب اهـ شهاب.

قوله: ﴿وكذب موسى﴾ أي: كذبه غير قومه وهم القبط كما قاله المفسر، وهذا حكمه تغيير

إسرائيل أي كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ أمهلتهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ أي إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم، والاستفهام للتقرير، أي هو واقع موقعه ﴿فَكَأَيِّن﴾ أي كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا﴾ وفي قراءة أهلكناها ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ أي أهلها بكفرهم ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها ﴿وَ﴾ كم من ﴿بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ متروكة بموت أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ رفيع خال بموت أهله

الأسلوب حيث لم يقل قوم موسى اهـ شيخنا.

وفي المختار: القبط بوزن القسط أهل مصر وهم أصلها وأحدهم قبطي اهـ.

وقوله: (بنو إسرائيل) هم أولاد يعقوب. قوله: (أي كذب هؤلاء) وهم سبعة. قوله: ﴿فأمليت للكافرين﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التشنيع عليهم والنداء عليه بصفة الكفر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فكيف كان نكير﴾ النكير مصدر بمعنى الإنكار كالنذير بمعنى الإنذار، وأثبت ياء نكير حيث وقع في القرآن ورش في الوصل وحذفها في الوقف، والباقون يحذفونها وصلاً ووقفاً اهـ سمين.

قوله: (أي إنكاري عليهم) أشار به إلى أن نكير مصدر بمعنى الإنكار، وتكذيبهم مفعوله، وبإهلاكهم متعلق بإنكاري فالمراد بالإنكار التغيير للضد بالضد بأن غير حياتهم بإهلاكهم وموتهم وعمارتهم بالخراب، وليس بمعنى الإنكار اللساني والقلبي اهـ شيخنا.

قوله: (بإهلاكهم) أي: وإهلاكهم كان بعذاب الاستئصال اهـ.

قوله: (والاستفهام للتقرير) وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، والمعنى فليقر المخاطبون بأن إهلاكي لهؤلاء كان واقعاً موقعه هذا وحمله على التعجب أوضح. وفي الكرخي: قال أبو حيان: ويصحب هذا الاستفهام معنى التعجب، فكأنه قيل: ما أشد ما كان إنكاري عليهم اهـ.

قوله: ﴿فكأين﴾ مبتدأ والخبر أهلكتها، وقوله: ﴿فهي خاوية﴾ معطوف على هذا الخبر، فهي في موضع رفع خبر بعد خبر، وقوله: ﴿وهي ظالمة﴾ في محل نصب على الحال من الهاء في أهلكتها اهـ أبو حيان.

وعبارة السمين: قوله: ﴿فكأين من قرية أهلكناها﴾ يجوز أن يكون كأين منصوب المحل على الاشتغال بفعل مقدر يفسره أهلكتها، وأن يكون في محل رفع بالابتداء والخبر أهلكتها، وقد تقدم تحقيق القول فيها اهـ.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية. قوله: ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ أي: ساقطة على سقوفها بأن خرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت الحيطان فوق السقوف، وإسناده السقوط على العروش إليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وبئر معطلة﴾ من بأرت الأرض أي: حفرتها، ومنه التأبير وهو شق كيزان طلع الإناث

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ إخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فيعتبروا ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي القصة ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ

وذر طلع الذكور فيه، والبئر فعل بمعنى مفعول كالذبح بمعنى المذبوح وهي مؤنثة، وقد تذكر على معنى القليب، والمعطلة المهملة والتعطيل الإهمال اهـ سمين.

وفي المختار: وبأر يبأر بأراً بهمزة بعد الباء حفرها وبابه قطع، وقد تبدل همزته ياء اهـ.

قوله: (متروكة) أي: عن الاستقاء منها فهي عامرة وفيها الماء أيضاً وآلات الاستقاء، فالمعنى: كم قرية أهلكنا، وكم بئر عطلنا عن الاستقاء منها، وكم قصر مشيد أخليناه عن ساكنيه، وبئر وقصر معطوفان على قرية، ومن قرية تمييز لكأين الدالة على التكثير اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: روي أن هذه البئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله تعالى من العذاب وهي بحضرموت، وإنما سميت بذلك لأن صالحاً حين حضرها مات، وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح، وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زماناً ثم كفروا أو عبدوا صنماً، وأرسل الله تعالى إليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه، فأهلكهم الله تعالى وعطّل بئرهم وخرب قصورهم اهـ.

قوله: ﴿مشيد﴾ تقدم أنه المرتفع أو المجصص، وإنما بني هنا من شاده، وفي النساء من شيده، لأنه هناك وقع بعد جمع فناسب التكثير، وهنا وقع بعد مفرد فناسب التخفيف، ولأنه رأس آية وفاصلة اهـ سمين.

قوله: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ الخ وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر تعالى من كذب الرسل من الأمم الخالية، وكان عند العرب أشياء من أحوالهم ينقلونها وهم عارفون ببلادهم وكثيراً ما يمرون على كثير منها. قال: أفلم يسيروا فهو حث على السفر ليشاهدوا مصارع الكفار فيعتبروا، أو يكونوا قد سافروا وشاهدوا فلم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا اهـ من البحر لأبي حيان.

وعبارة أبي السعود: حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا، وهم وإن كانوا قد سافروا لم يسافروا للاعتبار والنظر، والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام. أي: أغفلوا فلم يسيروا فيها، وعلى هذا فالاستفهام ليس على حقيقته، انتهت.

قوله: ﴿فتكون لهم قلوب﴾ تفريع على المنفي فهو منفي أيضاً، وقوله: (ما نزل بالمكذبين) مفعول يعقلون. قوله: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾ الضمير للقصة ولا تعمي الأبصار مفسرة له، وحسن التأنيث في الضمير كونه وليه فعل بعلامة تأنيث، ولو ذكر في الكلام فقيل: فإنه لجاز وهي قراءة مروية عن عبد الله، والتذكير باعتبار الأمر والشأن اهـ سمين.

قوله: ﴿لا تعمى الأبصار﴾ أي: ليس الخلل في مشاعرهم، وإنما أصابت الآية عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد اهـ بيضاوي.

﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ تأكيد ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بإنزال العذاب فأنجزه يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ بالتاء والياء في الدنيا ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ المرجع ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ بين الإنذار

قوله: (تأكيد) أي: قوله ﴿التي في الصدور﴾ تأكيداً اهـ.

قوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ الضمير لقريش، وكان ﷺ يحذرهم نقمات الله ويوعدهم بذلك دنيا وأخرى، وهم لا يصدقون بذلك ويستبعدون وقوعه، فكان استعجالهم على سبيل الاستهزاء يقولون: إنما توعدتنا به لا يقع وأنه لا بعث، وقد تضمنت الآية نزول العذاب بهم في الدنيا، وقد ذكره في قوله: ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ ونزوله بهم في الآخرة، وقد ذكره في قوله: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة﴾، فمعنى: ولن يخلف الله وعده أي: في إنزال العذاب بكم في الدنيا، وأن يوماً من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا، واقتصر في التشبيه على الألف، لأن الألف منتهى العدد بلا تكرار اهـ من البحر ملخصاً.

قوله: ﴿ويستعجلونك﴾ أي: يطلبون عجلتك بالعذاب أي: أن تأتيهم به عاجلاً. وفي المختار: واستعجله طلب عجلته اهـ.

قوله: (فأنجزه يوم بدر) فقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون اهـ شيخنا.

قوله: (بالتاء) أي: فيكون فيه التفات وقوله: (والياء) أي: فيكون مناسباً لقوله: ﴿ويستعجلونك﴾. وقوله: ﴿أمليت لها﴾ خص الأول بذكر الإهلاك لاتصاله بقوله: ﴿فأمليت﴾ للذين كفروا، ثم أخذتهم أي أهلكتهم، والثاني: بالإملاء لأن قوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ دلَّ على أنه لم يأتهم في الوقت فحسن ذكر الإملاء اهـ كرماني.

قوله: ﴿وكأين من قرية﴾ قال الزمخشري: فإن قلت: لم عطفت الأولى بالفاء وهذه بالواو؟ قلت: الأولى وقعت بدلاً من قوله فكيف كان نكير، وأما هذه فحكمها حكم الجملتين قبلها المعطوفتين بالواو، أعني قوله: ﴿ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ اهـ.

قوله: ﴿قل يا أيها الناس﴾ أي: الذين قيل فيهم أفلم يسيروا الموصوفون بالاستعجال للعذاب على سبيل الاستهزاء إنما أنا لكم نذير أي: ليس بيدي تعجيل للعذاب ولا تأخير، وقوله: (وأنا بشير) أشار به إلى أن في الآية اكتفاء بدليل التعميم المذكور فيما بعد اهـ من البحر.

وفي الكرخي: قوله: (وأنا بشير للمؤمنين) جواب ما يقال كما في الكشاف كان القياس أن يقال: إنما أنا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده، وإيضاح الجواب: أن الخطاب مخصوص بالمشركين بدلالة سياق الكلام، وأن ذكر المؤمنين بما يحصل لهم من الرزق الكريم والنعيم المقيم لإلحاق الغيظ والغم بأضدادهم، فليس ذكرهم هنا إلا لكونه داخلاً في حيز التخويف والإنذار بما سمعته من الاعتبار اهـ.

وأنا بشير للمؤمنين ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٥٠﴾ هو الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بإبطالها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ من اتبع النبي أي ينسبونهم إلى العجز ويثبطونهم عن الإيمان أو مقدرين عجزنا عنهم وفي قراءة معاجزين مسابقين لنا أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥١﴾ النار ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن

قوله: (بين الإنذار) هكذا في بعض النسخ، وفي بعضها مظهر إنذاري، والأول أوضح كما هو عادته في التعبير اهـ.

قوله: ﴿لهم مغفرة﴾ (من الذنوب) أي: الصغائر والكبائر اهـ شيخنا.

قوله: (هو الجنة) والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويجوز كمالاته اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿والذين سعوا﴾ أي: اجتهدوا في إبطالها حيث قالوا: القرآن شعر أو سحر أو أساطير الأولين اهـ شيخنا.

قوله: (بإبطالها) الباء بمعنى في، والجار والمجرور بدل من قوله: ﴿في آياتنا﴾ ويشير به إلى تقدير مضاف أي: سعوا في إبطال آياتنا، وقوله: ﴿معجزين﴾ مفعوله محذوف أي: معجزين المؤمنين كما ذكره بقوله: (من اتبع النبي)، وهذا على المعنى الأول، وعلى المعنى الثاني يقدر المفعول معجزين الله كما ذكره بقوله: (أو مقدرين عجزنا عنهم) ومعنى التقدير الظن والاعتقاد أي ظانين عجزنا عنهم، وقوله: (ويثبطونهم) أي يعوقونهم ويشغلونهم. وفي المصباح: ثبطه تثبيطاً عن الأمر قعد به وشغله عنه أو منعه تخذيلاً ونحوه اهـ.

وقوله: (وفي قراءة معاجزين)، وتقدير المفعول عليها معاجزين الله كما ذكره بقوله مسابقين أي: لنا، ومعنى المسابقة فرارهم من عذابه هذا من جانبهم، ومن جانبه تعالى إنزال العذاب بهم وعدم فرارهم منه، وهذه المفاعلة لا تخلو من معنى الظن والاعتقاد بالنسبة إليهم، كما قال الشارح: يظنون أن يفوتونا أي يفوتوا عذابنا أي يفروا منه. وقرر البيضاوي معنى هذه القراءة بوجه آخر محصله أن المسابقة مع المؤمنين أي يسابقون المؤمنين ويعارضونهم، فكلما طلب المؤمنون إظهار الحق طلب هؤلاء إبطاله اهـ.

قوله: (أو مقدرين) أي: ظانين عجزنا عنهم أي: فهو اسم فاعل من عجزه، وهذا على قراءة معجزين بترك الألف وتشديد الجيم اهـ كرخي.

قوله: (يظنون أن يفوتونا) أي: لا يلحقهم ولا يدركهم عذابنا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ الخ شروع في تسلية ثانية لرسول الله ﷺ بعد التسلية الأولى بقوله: وإن يكذبوك الخ. ومن في من قبلك لابتداء الغاية، وفي من رسول زائدة في المفعول تفيد استغراق الجنس، والجملة الشرطية بعد إلاَّ في موضع نصب على الحال من نبي، ويكون قد حذف من الأول لدلالة الثاني عليه أي: وما أرسلناه إلا وحاله هذه اهـ شيخنا.

وفي السمين: في هذه الجملة بعد إلاَّ ثلاثة أوجه، أحدها: أنها في محل نصب على الحال من

رَّسُولٍ﴾ هو نبي أمر بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أي لم يؤمر بالتبليغ ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قرأ ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بإلقاء الشيطان على لسانه من

رسول، والمعنى: وما أرسلناه إلا حاله هذه والحال محصورة. والثاني: أنها في محل الصفة لرسول، فيجوز أن يحكم على موضعها بالجر باعتبار لفظ الموصوف، وبالنصب باعتبار محله فإن من مزيدة فيه. الثالث: أنها في موضع استثناء من غير الجنس قاله أبو البقاء. يعني: إنه استثناء منقطع، وإذا هذه يجوز أن تكون شرطية وهو الظاهر وإليه ذهب الحوفي، وأن تكون لمجرد الظرفية وقوله: ﴿إذا تمنى﴾ إنما أفرد الضمير وإن تقدمه شيئان معطوف أحدهما على الآخر بالواو، لأن في الكلام حذفاً تقديره: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا إذا تمنى ولا نبي إلا إذا تمنى كقوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة: ٦٢] والحذف إما من الأول أو من الثاني، والضمير في أمنيته فيه قولان، أحدهما: وهو الذي ينبغي أن يكون أنه ضمير النبي. والثاني: أنه ضمير الرسول، وورد في ذلك تفاسير الله أعلم بصحتها اهـ.

قوله: (قراءته) وإنما سميت القراءة أمنية لأن القارىء إذا انتهى إلى آية رحمة تمنى حصولها، وإذا انتهى إلى آية عذاب تمنى أن لا يبتلي به اهـ من الرازي.

وفي المختار: والأمنية واحدة الأماني تقول منها تمنى الكتاب قرأه قال تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ [البقرة: ٧٨] اهـ.

وفي القاموس: وتمنى الكتاب قرأه والحديث اخترعه وافتعله اهـ.

قوله: (ما ليس من القرآن) مفعول ألقى، وقوله: مما يرضاه بيان لما، وقوله: المرسل إليهم وهم الكفار قوله: (وقد قرأ النبي الخ) أي: في رمضان سنة خمس من المبعث، وكانت الهجرة إلى الحبشة في رجب من تلك السنة، وقدوم المهاجرين إلى مكة كان في شوال من تلك السنة اهـ من شرح المواهب.

قوله: (بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه به) عبارة المواهب: قال الإمام فخر الدين الرازي: مما لخصته من تفسيره هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها، قال الله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: ٣] وقال تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ [الأعلى: ٦]. وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعونون، وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أنه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة النجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق، بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق، ولا شك أن من جوّز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان، ولو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك أي: مما ألقاه الشيطان على لسانه ويبطل قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة: ٦٧]

. . . .

فإنه لا فرق في العقل بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه، فبهذه الوجوه النقلية والعقلية عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة، وقد قيل: إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها اهـ كلام الرازي.

وليس كذلك بل لها أصل، فقد خرجها ابن أبي حاتم والطبراني وابن المنذر من طرق، عن شعبة، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير، وكذا ابن مردويه والبزار وابن إسحاق في السيرة، وموسى بن عقبة في المغازي، وأبو معشر في السيرة كما نبه عليه الحافظ ابن كثير وغيره، لكن قال: إن طرقها كلها مرسلة وإنه لم يرها مسندة من وجه صحيح، وهذا متعقب بما سيأتي قريباً من إخراج جماعة لها عن ابن عباس. وكذا نبه على ثبوت أصلها شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني فقال: أخرج ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة والنجم فلما بلغ: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم: ١٩] ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فلما ختم السورة سجد وسجدوا فكبر ذلك على النبي ﷺ فنزل تسلية له ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ أي: في قراءته بين كلماته، وأخرجه البزار، وابن مردويه من طريق أميه بن خالد عن شعبة فقال في إسناده: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فيم أحسب، ثم ساق الحديث المذكور. وقال البزار: لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد، وتفرَّد بوصله أمية ابن خالد وهو ثقة مشهور، وقال البزار: إنما يروي هذا من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس اهـ.

والكلبي. متروك لا يعتمد عليه، وكذا أخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدي، وذكرها ابن إسحاق في السيرة مطولة وأسندها عن محمد بن كعب، وكذا موسى بن عقبة في المغازي، عن ابن شهاب الزهري، وكذا أبو معشر في السيرة له عن محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، وأورده من طريق أبي معشر الطبري، وأورده ابن أبي حاتم من أسباط عن السدي. ورواه ابن مردويه من طريق عباد بن صهيب، عن يحيى بن كثير، عن الكلبي، عن أبي صالح، وعن أبي بكر الهذلي، وأيوب عن عكرمة، وعن سليمان التيمي عمن حدثه ثلاثتهم عن ابن عباس. وأوردها الطبري أيضاً من طريق الحوفي، عن ابن عباس ومعناهم كلهم في ذلك واحد، وكل من طرقها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح.

أحدهما: ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن زيد، عن ابن شهاب: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فذكر نحوه.

والثاني: ما أخرجه أيضاً من طريق المعتمر بن سليمان، وحماد بن سلمة كلاهما عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية. وقال الحافظ ابن حجر أيضاً: وقد تجرأ ابن العربي كعادته فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها وهو إطلاق مردود عليه. وكذا قول القاضي عياض: هذا الحديث لم

. . . .

يخرجه أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع أسانيده وكذا قول عياض أيضاً. ومن حكيت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صحابي، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية فهذا مردوداً أيضاً. قال القاضي عياض: وقد بيَّن البزار أن الحديث لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلاَّ من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله. وأما الكلبي: فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه، ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم قال: ولم ينقل ذلك اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: وجميع ذلك لا يتمشين على قواعد المحدثين: فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلَّ ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله: ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وأن شفاعتهن لترتجى، فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس فيه، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته. وقد سلك العلماء في ذلك التأويل مسالك نحو السبعة فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة من النوم وهو لا يشعر، فلما أعلمه الله بذلك أحكم آياته. وهذا أخرجه الطبري عن قتادة، ورده القاضي بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم. وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره، ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآية. قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة. وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك، فعلق ذلك بحفظه ﷺ فجرى على لسانه سهواً، وقد ردّ ذلك القاضي عياض فأجاد، وقيل: لعله قال ذلك توبيخاً للكفار. قال القاضي عياض: وهذا جائز إذا كان هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزاً، وإلى هذا نحا الباقلاني. وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم: ١٩] الآية. خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به كعادته إذا ذكرها فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ [فصلت: ٢٦] أي: أظهروا اللغو برفع الأصوات تخليطاً وتشويشاً عليه، ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم عليه، أو المراد بالشيطان شيطان الإنس، وقيل: المراد بالغرانيق العلا الملائكة، وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ [النجم: ٢١] فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا: قد عظم آلهتنا ورضوا بذلك، فنسخ تينك الكلمتين وهما قوله: (تلك الغرانيق العلا) وإن شفاعتهن لترتجى وأحكم آياته. وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن فترصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً بصوت النبي ﷺ بحيث سمعه من دنا إليه، فظنها من قول النبي وأشاعها. قال القاضي عياض: وهذا أحسن الوجوه وهو الذي يظهر ترجيحه، ويؤيده ما روي عن ابن عباس في تفسير تمنى بتلا، وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل قالوا معنى قوله: ﴿في أمنيته﴾ أي في تلاوته، فأخبر تعالى في هذه الآية أن سنة الله في رسله إذا قالوا

غير علمه ﷺ به تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فسلي بهذه الآية ليطمئن ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ ﴾ يبطل ﴿ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ يثبتها ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ في تمكينه منه يفعل ما يشاء ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً ﴾ محنة ﴿ لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ شك ونفاق ﴿ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي المشركين عن قبول الحق ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكافرين ﴿ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم

قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي ﷺ لا إن النبي ﷺ قاله لأنه معصوم، وقد سبق إلى ذلك الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوّب هذا المعنى اهـ كلام فتح الباري اهـ.

قوله: (تلك الغرانيق العلا) الغرانيق: في الأصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق كفردوس، أو غرنوق كعصفور، أو غرنيق كعليق، أو غرنيق كمسكين سمي به لبياضه، وقيل: هو الكركي. والغرنوق أيضاً الشاب الأبيض الناعم، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع اهـ من المواهب وشرحه.

قوله: (ثم أخبره جبريل) أي: بعد أن قرأ إلى آخر السورة وسجد وهو وجميع من كان في المسجد من المؤمنين والمشركين، وكان ذلك الإخبار بعد أن أمسى النبي ﷺ فقال له: ما صنعت تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، وقلت ما لم أقله لك فحزن النبي الخ اهـ رازي.

قوله: (يبطل) أي يزيل. فالمراد بالنسخ النسخ اللغوي لا الشرعي المستعمل في الأحكام اهـ كرخي.

قوله: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان﴾ في متعلق هذه اللام ثلاثة أوجه، أظهرها: أنها متعلقة بيحكم أي ثم يحكم الله آياته ليجعل وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ جملة اعتراضية وإليه نحا الحوفي. الثاني: أنها متعلقة بينسخ، وإليه ذهب ابن عطية وهو ظاهر أيضاً. والثالث: أنها متعلقة بألقى وليس بظاهر. وفي اللام قولان، أحدهما: أنها للعلة. والثاني: أنها للعاقبة، وما في قوله: ﴿ما يلقي﴾ الظاهر أنها بمعنى الذي، ويجوز أن تكون مصدرية اهـ سمين.

قوله: ﴿والقاسية قلوبهم﴾ أل في القاسية موصولة، والصفة صلتها، وقلوبهم فاعل بها، والضمير المضاف إليه هو عائد الموصول، وأنث الصلة لأن مرفوعها مؤنث مجازي، ولو وضع فعل موضعها لجاز تأنيثه، والقاسية عطف على الذين أي فتنة للذين في قلوبهم مرض وفتنة للقاسية قلوبهم اهـ سمين.

قوله: (الكافرين) أي: من المنافقين والمشركين، وأصله: وأنهم فوضع الظاهر موضع المضمر نداء عليهم بالظلم اهـ شيخنا.

قوله: (حيث جرى على لسانه الخ) عبارة الخازن: فلما نزلت هذه الآية قالت قريش: ندم محمد

ثم أبطل ذلك ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ﴾ تطمئن ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي دين الإسلام ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ أي القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبي ثم أبطل ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي ساعة موتهم أو القيامة فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل له ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظروف ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما بين بعده ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك، وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شراً على ما كانوا عليه وشدة على من أسلم اهـ.

قوله: ﴿فيؤمنوا به﴾ أي: بالقرآن.

قوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ لما ذكر حال الكافرين أولاً ثم حال المؤمنين ثانياً عاد إلى شرح حال الكافرين، فهو رجوع لقوله: ﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في مرية منه﴾ المرية: بالكسر والضم لغتان مشهورتان، وظاهر كلام أبي البقاء أنهما قراءتان، ولا أحفظ الضم هنا، والضمير في منه قيل: يعود على القرآن، وقيل: على الرسول، وقيل على ما ألقاه الشيطان اهـ سمين.

قوله: (بما ألقاه) الباء سببية. قوله: (كالريح العقيم) أشار بهذا التفسير أي: تفسير عقيم بما لا خير فيه، إلى أن في عقيم استعارة بالكناية بأن شبه ما لا خير فيه من الزمان بالنساء العقم، كما شبهت الريح التي لا تحمل السحاب ولا تلقح الأشجار بهن تشبيهاً مضمراً في النفس وإثبات العقم تخييل. وقوله: (لا ليل بعده) أي: ولا يوم بعده وفيه استعارة بالكناية أيضاً بأن شبه اليوم المنفرد عن سائر الأيام بالنساء العقم تشبيهاً مضمراً في النفس، وإثبات العقم تخييل فإن الأيام بعضها نتائج لبعض، فكل يوم يلد مثله اهـ من الشهاب.

قوله: ﴿يومئذ﴾ التنوين في إذ عوض عن جملة وهي التي حذفت بعد الغاية أي: الملك يوم تزول مريتهم وشكهم، والظاهر أن هذا اليوم هو يوم القيامة من حيث إنه لا ملك فيه لأحد من ملوك الدنيا ويساعد هذا التقسيم بعده، ومن قال: هو يوم بدر أراد من حيث ينفذ فيه قضاء الله وحده، ويبطل ما سواه، ويمضي حكمه فيمن أراد تعذيبه، ويكون التقسيم أخباراً مترتباً على حالهم في ذلك اليوم العقيم من الإيمان والكفر اهـ من البحر.

قوله: (ناصب للظرف) أي: يومئذ والتنوين عوض عن محذوف قدره الزمخشري يوم يؤمنون وهو لازم لزوال المرية، وقدره أيضاً يوم تزول مريتهم لقوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ اهـ كرخي.

قوله: ﴿يحكم بينهم﴾ جملة مستأنفة وقعت جواباً لسؤال تقديره: ماذا يصنع بهم؟ فقيل: يحكم

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦﴾ فضلاً من الله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٥٧﴾ شديد بسبب كفرهم ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ هــو رزق الجنــة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾ أفضل المعطين ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا﴾ بضم الميم وفتحها أي إدخالاً أو موضعاً

بينهم اهـ شيختنا. وهي حالية كما في السمين.

قوله: (بما بين بعده) أي: بالجزاء الذي بين بالتقسيم بقوله: ﴿فالذين آمنوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فالذين آمنوا﴾ الخ هذا هو المحكوم به. قوله: (فضلاً من الله) أشار به إلى حكمة ترك الفاء في قوله: ﴿في جنات النعيم﴾، وقوله: (بسبب كفرهم) أشار به إلى حكمة ذكرها في جانب العذاب. يعني: أن إعطاء الثواب بفضل الله لا بسبب أعمالهم وإعطاء العذاب بسبب معاصيهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين هاجروا﴾ مبتدأ خبره ليرزقنهم، وهذا ابتداء كلام يتعلق بالمهاجرين، وأفردهم بالذكر مع دخولهم في المؤمنين تفخيماً لشأنهم، وطاعة الله هي نصرة رسوله ﷺ نزلت في طوائف خرجوا من مكة إلى المدينة للهجرة وتبعهم المشركون فقاتلوهم، والتسوية في الوعد بالرزق لا تدل على تفضيل في قدر المعطي ولا تسوية، فإن يكن تفضيل فمن دليل آخر، والمقرر في كتب الفروع أن المقتول أفضل لأنه شهيد، ولما ذكر الرزق أعقبه بذكر المسكن بقوله ﴿ليدخلنهم﴾ الخ اهـ من البحر.

قوله: ﴿ليرزقنهم﴾ جواب قسم مقدر، والجملة القسمية وجوابها خبر قوله: ﴿والذين هاجروا﴾ وفيه دليل على وقع الجملة القسمية خبراً للمبتدأ، ومن يمنع يضمر قولاً هو الخبر تحكي به هذا الجملة القسمية وهو قول مرجوح اهـ سمين.

قوله: ﴿رزقاً حسناً﴾ يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً على أنه من باب الرعي والذبح أي: مرزوقاً حسناً، وأن يكون مصدراً مؤكداً اهـ سمين.

قوله: (هو رزق الجنة) أي: نعيمها. قوله: ﴿خير الرازقين﴾ أفعل التفضيل على بابه، ولذا فسره بقوله: (أفضل المعطين). ووجهه أنه سبحانه وتعالى مختص بأن يرزق ما لا يقدر عليه غيره، وأنه الأصل في الرزق، ولأن غيره يدفع الرزق من يده ليد غيره لا أنه يفعل نفس الرزق، وأن غيره تعالى إنما يرزق لانتفاعه من الناس، فهو طالب للعوض في ذلك كله والرزق منه تعالى لمحض الإحسان اهـ رازي.

وفي الكرخي: قوله: (أفضل المعطين) معلوم أن كل الرزق من عنده، فالتفاوت إنما كان بسبب أنه تعالى مختص بأن يرزق لما لا يقدر عليه غيره، وقيل: إن غيره إذا رزق فإنما يرزق لانتفاعه إما لأجل خروجه عن الواجب، أو لأجل أن يستحق به حمداً أو ثناء، أو لأجل الرقة الجنسية، وأما الحق سبحانه وتعالى فإن كماله صفة ذاتية فلا يستفيد من شيء كمالاً زائداً فالرزق الصادر منه لمحض الإحسان اهـ.

قوله: ﴿ليدخلنهم﴾ هذه الجملة بدل من قوله: ﴿ليرزقنهم﴾، أو مستأنفة اهـ سمين.

﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾ وهو الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنياتهم ﴿حَلِيمٌ ۝٥٩﴾ عن عقابهم، الأمر ﴿۞ ذَٰلِكَ﴾ الذي قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمنين ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ظلماً من المشركين أي قاتلهم كما قاتلوه في الشهر المحرم ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ منهم أي ظلم بإخراجه

قوله: ﴿مدخلاً﴾ (بضم الميم الخ) أشار إلى أن قراءة غير نافع مدخلاً بضم الميم من أدخل يدخل مدخلاً، أي: ادخالاً، فيكون مدخلاً اسماً لمصدر الفعل الذي قبله، فيكون المفعول به محذوفاً أي: ليدخلنهم الجنة إدخالاً يرضونه، وقراءة نافع بفتحها موضع الدخول، فيكون المدخل مصدر دخل يدخل دخولاً ومدخلاً، فيكون مفعولاً للفعل قبله أي: ليدخلنهم مكاناً يرضونه اهـ كرخي.

قوله: ﴿حليم﴾ (عن عقابهم) أي: غني عنه فلا يعجل بالعقوبة على من يقدم على المعصية، بل يمهل لتقع منه التوبة فيستحق الجنة اهـ كرخي.

قوله: ﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ مضمر أي: الأمر ذلك وما بعده مستأنف، وقوله: (الذي قصصنا عليك) أي: من إنجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا أو ماتوا اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: ذلك أي الأمر المقرر من صفات الله تعالى الذي قصصنا عليك اهـ.

قوله: ﴿ومن عاقب﴾ مبتدأ. وقوله: ﴿لينصرنه﴾ خبره. وهذا على أن موصوله، ويصح أن تكون شرطية، وقوله: ﴿بمثل ما عوقب به﴾ الباء الأولى للآلة، والثاني للسببية، والعقاب مأخوذ من التعاقب وهو مجيء الشيء بعد غيره، وحينئذ فتسمية ما عوقب به عقاباً من باب المشاكلة. وفي البيضاوي: وإنما سمي ابتداء الفعل الصادر منهم بالعقاب، مع أن العقاب إنما هو الجزاء على الجناية للازدواج أو لأنه سببه اهـ.

وقوله: وإنما سمي ابتداء الفعل أي المشار إليه بقوله: ﴿بمثل ما عوقب به﴾، مع أن ابتداء الفعل لا يسمى عقاباً لأن العقاب من العقب اهـ زكريا.

فتلخص أن قوله: ﴿ومن عاقب﴾ بمعنى جازى حقيقة لغوية، وأن قوله: بمثل ما عوقب به مجاز من قبيل المشاكلة، أو من قبيل تسمية السبب باسم المسبب. قوله: (أي قاتلهم) أي: قاتل من كان يقاتله، ثم إن القاتل بغى عليه بأن اضطره إلى الهجرة ومفارقة الوطن، قال مقاتل: نزلت في قوم من مشركي مكة لقوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم، فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبى المشركون إلا القتال، فحملوا عليهم وثبت المسلمون ونصرهم الله على المشركين، وحصل في أنفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شيء فنزلت هذه الآية. وقيل: نزلت في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد، فعاقبهم رسول الله ﷺ بمثله، فمعنى: من عاقب بمثل ما عوقب به. أي: من جازى الظالم بمثل ظلمه؛ فسمى جزاء العقوبة عقوبة لاستواء الفعلين في الصور، فهو مثل قوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى: ٤٠] ومثل قوله: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤] ثم بغى عليه أي بالكلام والإزعاج من وطنه، وذلك أن المشركين كذبوا

من منزله ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المؤمنين ﴿غَفُورٌ ۝٦٠﴾ لهم عن قتالهم في الشهر الحرام ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ أي يدخل كلاً منهما في الآخر بأن يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التي بها النصر ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بَصِيرٞ ۝٦١﴾ بهم حيث جعل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر أيضاً ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ أي العالي على كل شيء بقدرته ﴿ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ الذي يصغر كل شيء سواه ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ مطراً ﴿فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ

نبيهم وأذوا من آمن به وأخرجوه وأخرجوهم من مكة وظاهروا على إخراجهم. قوله: ﴿لينصرنه الله﴾ أي: محمداً ﷺ وأصحابه، فإن الكفار بغوا عليهم: ﴿إن الله لعفو غفور﴾ اهـ قرطبي.

وقوله: فسمى جزاء العقوبة الخ يقتضي أن التجوز في قوله: ومن عاقب وهو خلاف ما تقدم، لكن الذي تقدم هو الصواب لأنه ناظر للمعنى اللغوي كما عرفت، وليس ما هنا مثل الآيتين المذكورتين كما لا يخفى تأمل. قوله: ﴿غفور﴾ (لهم عن قتالهم الخ) وإنما عفا عنهم ذلك مع كونه كان محرماً إذ ذاك، لأنهم فعلوه دفعاً للصائل فكان من قبيل الواجب عليهم اهـ.

قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ، وبأن الله خبره، وقرأ العامة: وأن الله بالفتح عطفاً على الأول، وقراءة الحسن بالكسر استئنافاً اهـ سمين.

قوله: (بأن يزيد) أي: الآخر. وقوله: ﴿وذلك﴾ أي الايلاج من أثر قدرته تعالى. هذا إشارة إلى كونه الإيلاج سبباً للنصر، وحاصله: أن السبب الحقيقي هو قدرته تعالى على جميع الممكنات، إلا أنه تعالى أقام دليل القدرة وأثرها مقامها، أي: ذلك النصر بسبب أنه قادر، ومن آثار قدرته إيلاج كل من الليل والنهار في الآخر اهـ من الرازي.

وفي البيضاوي: أي ذلك بسبب أن الله تعالى قادر على تقليب الأمور بعضها على بعض جارية عادته على المداولة بين الأشياء المتعاندة اهـ.

قوله: ﴿هو الحق﴾ مبتدأ أو ضمير فصل اهـ سمين.

قوله: (بالياء والتاء) سبعيتان. قوله: (الزائل) عبارة البيضاوي: الباطل أي: المعدوم في حد ذاته أو الباطل ألوهيته اهـ.

قوله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ إلى قوله: ﴿إن الإنسان لكفور﴾ ذكر هنا من آثار قدرته ستة أشياء.

أولها: إنزال الماء الناشىء عنه اخضرار الأرض، وفسر الرؤيا بالعلم دون الإبصار لأن الماء وإن كان مرئياً إلا أن كون الله منزلاً له من السماء غير مرئي، وقال: فتصبح الأرض دون أصبحت لإفادته بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان.

﴿مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات وهذا من أثر قدرته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ بما في قلوبهم عند تأخير المطر ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ على جهة الملك ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عباده ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ لأوليائه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من البهائم ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَيُمْسِكُ

الثاني: قوله: ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ ومن جملته خلق المطر والنبات نفعاً للحيوان، مع أن الله لا يحتاج لذلك ولا ينتفع به.

الثالث: تسخير ما في الأرض أي: ذلل لكم ما فيها كالحجر والحديد والنار لما يراد منها، والحيوان للأكل والركوب والحمل عليه والنظر إليه.

الرابع: تسخير الفلك بالماء والأرياح، فلولا أن الله سخرها لكانت تغوص أو تقف.

الخامس: إمساك السماء لأن النعم المتقدمة لا تكمل إلا به، والسماء جرم ثقيل وما كان كذلك لا بد له من السقوط لولا مانع يمنع منه وهو القدرة، فأمسكها الله بقدرته لئلا تقع فتبطل النعم التي امتن بها علينا.

سادسها: الإحياء ثم الإماتة ثم الإحياء نبه بهذا على أن هذه النعم لمن أحياه الله، فنبه بالإحياء الأول على إنعامه في الدنيا بكل ما تقدم، ونبه بالإماتة والإحياء ثانياً على إنعامه علينا في الآخرة، ولما فصل تعالى هذه النعم قال: ﴿إن الإنسان لكفور﴾ أي: لهذه النعم اهـ من الرازي.

قوله: ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ قال الزمخشري: هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى لفظ المضارع؟ قلت: لنكتة فيه وهي بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، كما تقول: أنعم علي فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكراً له، ولو قلت: فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع اهـ سمين.

ولم ينصب هذا المضارع في جواب الاستفهام لأنه استفهام تقريري مؤول بالخبر أي: قد رأيت والخبر لا جواب له، وأيضاً لا تصح السببية هنا، فإن الرؤية لا يتسبب عنها اخضرار الأرض، بل إنما يوجبه إنزال الماء وأيضاً جواب الاستفهام ينعقد منه شرط وجزاء وهنا لا يصح ذلك، إذ لا يقال: إن ترى إنزال المطر تصبح الأرض اهـ ملخصاً من الشهاب.

قوله: ﴿خبير﴾ (بما في قلوبهم) أي: من القنوط واليأس. **قوله**: ﴿والفلك﴾ العامة على نصب الفلك وفيه وجهان، أحدهما: أنه عطف على ما في الأرض أي: سخر لكم ما في الأرض وسخر لكم الفلك وأفردها بالذكر، وإن اندرجت بطريق العموم تحت ما في قوله ما في الأرض لظهور الامتنان بها ولعجيب تسخيرها دون سائر المسخرات وتجري على هذا حال. والثاني: أنها عطف على الجلالة بتقدير: ألم تر أن الفلك تجري في البحر فتجري خبر على هذا اهـ سمين.

والفلك: يطلق على الواحد والجمع بهذه الصيغة، فالواحدة يقال لها فلك فتكون حركته حينئذ كحركة قفل، والجمع يقال له فلك فتكون حركته حينئذ كحركة بدن اهـ شيخنا.

﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ من ﴿أَن﴾ أو لئلا ﴿تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ فتهلكوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ في التسخير والإمساك ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي المشرك ﴿لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ لنعم الله بتركه توحيده ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها شريعة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ يراد به

قوله: (من) ﴿أن﴾ (أو لئلا) ﴿تقع﴾ إيضاحه: أن قوله أن تقع، أما في محل نصب أو جر على حذف حرف الجر تقديره: من أن تقع. وقيل: في محل نصب على المفعول لأجله، فالبصريون يقدرون كراهة أن تقع، والكوفيون لئلا تقع وإمساكها خلق السكون فيها اهـ كرخي.

وقد أشار الشارح للاحتمال الأول والثالث. قوله: ﴿إلاّ بإذنه﴾ الظاهر أنه استثناء مفرغ من أعم الأحوال وهو لا يقع في الكلام الموجب، إلا أن قوله: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض﴾ في قوة النفي أي: لا يتركها تقع في حالة من الأحوال إلا في حالة كونها ملتبسة بمشيئة الله تعالى فالباء للملابسة اهـ زاده.

قوله: ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ إنما حذف الواو هنا ولم يقل: ولكل أمة لأنه لا تعلق لهذا الكلام بما قبله، فلا جرم حذف العاطف. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن هذه مشتملة على النعم التكليفية والتي قبلها مشتملة على نعم غير تكليفية، وقوله: ﴿لكل أمة﴾ أي أهل دين، فالمراد بالأمة من له ملة وشرع، وإن نسخ دون المشركين فقط لقوله: ﴿جعلنا﴾، وإنما ذكر ثابتاً وإن مرَّ توطئة لما بعده، وتفسير المنسك بالشريعة ظاهر لأنه مأخوذ من النسيكة وهي العبادة، ولا وجه لحمله على موضع العبادة أو ووقتها لقوله: ﴿ناسكوه﴾، وإلاّ لقيل ناسكون فيه لأن العامل يتعدى إلى ضمير الظرف بفي اهـ من الشهاب والرازي وزاده.

قوله أيضاً: ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ هذا كلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه عليه الصلاة والسلام من أهل الأديان السماوية عن مفارقته عليه الصلاة والسلام، أي: لكل أمة سنية من الأمم الخالية والباقية، جعلنا: أي وضعنا وعينا منسكاً أي: شريعة خاصة أي: عينا كل شريعة لأمة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتنا المعينة لها إلى شريعة أخرى لا استقلالاً ولا اشتراكاً، وقوله: ﴿هم ناسكوه﴾ صفة مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل، فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليها السلام منسكهم التوراة، والأمة التي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي ﷺ منسكهم الإنجيل، والأمة الموجودة عند مبعث النبي ﷺ ومن بعدهم إلى يوم القيامة منسكهم القرآن لا غير، وقوله: ﴿فلا ينازعنك﴾ أي: لا ينازعك هؤلاء الأمم في أمر دينك زعماً منهم أن شريعتهم ما عين لأبائهم الأولين من التوراة والإنجيل، فإنهما شريعتان لمن مضى من الأمم قبل انتساخهما، وأمة محمد منسكهم الفرقان، فالنهي باق على حقيقته أو هو عبارة عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن الالتفات إلى نزاعهم. وأما جعله عبارة عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام، وكذلك تخصيصه بأمر النسائك، وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم لا سبيل إليه أصلاً، لأنه يقتضي أن يكون أكل الميتة من جملة المناسك

لا تنازعهم ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي أمر الذبيحة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ دين ﴿مُّسْتَقِيمٍ ۝٦٧﴾ ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ أي في أمر الدين ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٦٨﴾ فيجازيكم عليه وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٦٩﴾ بأن يقول كما من الفريقين خلاف قول الآخر ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي ما ذكر ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي علم ما ذكر ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ سهل ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي المشركون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ هو الأصنام ﴿سُلْطَٰنًا﴾ حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم

والشرائع التي جعلها الله لبعض الأمم ولا يرتاب في بطلانه عاقل اهـ من أبي السعود.

وقال العمادي قوله: ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ هو ردّ لقول من يقول الذبح ليس شريعة اهـ.

قوله: ﴿فلا ينازعنك﴾ أي: سائر أرباب الملل في الأمر، أي: في أمر الدين أو النسائك لأنهم بين جهال وأهل عناد، ولأن أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع، وقيل: المراد نهي الرسول ﷺ عن الالتفات إلى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية إلى نزاعهم، فإنها إنما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مراء أو عن منازعتهم كقولك: لا يضربنك زيد، وهذا إنما يجوز في أفعل المبالغة للتلازم، وقيل: نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله اهـ بيضاوي.

قوله: (يراد به لا تنازعهم) أي: يراد به نهي الرسول عن منازعتهم، لأن المنازعة تكون بين اثنين، فنهي أحد الشريكين عنها يستلزم نهي الآخر، فيكون أحد النهيين كناية عن الآخر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وادع إلى ربك﴾ أي، ادعهم أو ادع الناس كافة على أنهم داخلون فيهم دخولاً أولياً اهـ شيخنا.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: فهو منسوخ بآية السيف، وهذا إنما يصح إذا كان المراد من قوله: وإن جادلوك الخ الكف عن قتالهم وهو غير متعين بأن يصح أن يكون المعنى فاترك جدالهم، وفوض الأمر إلى الله بقولك: الله أعلم بما تعملون، فيكون هذا وعيداً لهم على أعمالهم، وهذا المعنى لا تنسخه آية السيف بل هو باق بعد مشروعية القتال لعدم المنافاة اهـ.

قوله: (أي ما ذكر) أي: الموجود الذي في السماء والأرض اهـ شيخنا.

قوله: (هو اللوح المحفوظ) سمي بذلك لأنه حفظ من الشياطين، ومن تغيير شيء منه طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء وهو معلق في الهواء فوق السماء السابعة اهـ جلال من سورة البروج.

قوله: (أي علم ما ذكر) أي: علمه جملة وتفصيلاً على الله يسير وإن تعذر على الخلق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سلطاناً﴾ (حجة) أي: من جهة الوحي فهي نفي للدليل السمعي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما ليس لهم به علم﴾ أي: دليل عقلي اهـ شيخنا.

﴿بِهِۦ عِلۡمٌۗ﴾ أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِن نَّصِيرٖ ۝٧١﴾ يمنع عنهم عذاب الله ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ ظاهرات حال ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ أي الإنكار لها أي أثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ أي يقعون فيهم بالبطش ﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ﴾ أي بأكره إليكم من القرآن المتلو عليكم هو ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ بأن مصيرهم إليها ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٧٢﴾ هي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة

قوله: ﴿في وجوه الذين كفروا﴾ من إيقاع الظاهر موضع المضمر للشهادة عليهم بوصف الكفر اهـ سمين.

قوله: (أي الإنكار لها) أشار به إلى أن المنكر وإن كان بوزن اسم المفعول فهو مصدر ميمي وهو على حذف مضاف، كما أشار له بقوله: (أي أثره) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يكادون يسطون﴾ هذه الجملة حال إما من الموصول وإن كان مضافاً إليه لأن المضاف جزؤه، وإما من الوجوه لأنها يعبر بها عن أصحابها قوله تعالى: ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ [عبس: ٤٠] ثم قال: ﴿أولئك هم الكفرة﴾ [عبس: ٤٢] ويسطون: ضمن معنى يبطشون فتعدى تعديته، وإلا فهو متعد بعلى. يقال: سطا عليه وأصله القهر والغلبة، وقيل: هو إظهار ما يهول للإخافة، ولفلان سطوة أي تسلط وقهر اهـ سمين.

وقد أشار الشارح للتضمين بقوله أي يقعون فيه بالبطش. قوله: ﴿قل أفأنبئكم﴾ أي: أخاطبكم فأنبئكم. قوله: ﴿النار﴾ خبر مبتدأ محذوف كأن سائلاً سأل فقال: وما الأشر؟ فقيل: النار أي هو النار، وحينئذ فالوقف على ذلكم أو النار، ويصح أن يكون مبتدأ، والخبر وعدها الله، وعلى هذا فالوقف على كفروا اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿النار﴾ يقرأ بالحركات الثلاث فالرفع من وجهين، أحدهما: الرفع على الابتداء، والخبر الجملة من قوله: ﴿وعدها الله﴾، والجملة لا محل لها لأنها مفسرة للشر المتقدم كأنه قيل: ما شر من ذلك؟ فقيل: النار ووعدها. والثاني: أنها خبر مبتدأ مقدر كأنه قيل: ما شر من ذلك؟ فقيل: النار أي هو النار، وحينئذ يجوز في وعدها الله الرفع على كونه خبراً بعد خبر، ويجوز أن يكون بدلاً من النار وفيه نظر من حيث إن المبدل منه مفرد والنصب، وهو قراءة زيد بن علي، وابن أبي عبلة من ثلاثة أوجه، أحدها: أنه منصوب. بفعل مقدر يفسره الفعل الظاهر والمسألة من الاشتغال. الثاني: أنها منصوبة على الاختصاص قاله الزمخشري. الثالث: أن ينتصب بإضمار أعني وهو قريب مما قبله أو هو والجر، وهو قراءة ابن أبي إسحاق، وإبراهيم بن نوح على البدل من شر والضمير في وعدها. قال الشيخ: الظاهر أنه هو المفعول الأول على معنى أن الله تعالى وعد النار بالكفار أن يطعمها إياهم. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وتقول هل من مزيد﴾ [قٓ: ٣٠] ويجوز أن يكون الضمير هو المفعول الثاني، والذين كفروا هو المفعول الأول، كما قال: ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم﴾ [التوبة: ٦٨] قلت: ينبغي أن يتعين هذا الثاني لأنه متى اجتمع بعدما يتعدى إلى اثنين شيئان ليس ثانيهما عبارة عن الأول، فالفاعل المعنوي رتبته التقديم وهو المفعول الأول، ويعني بالمفعول الأول

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ وهو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ اسم جنس واحده ذبابة يقع على المذكر والمؤنث ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ لخلقه ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخون به ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾

من يتأتى منه فعل، فإذا قلت: وعدت زيداً ديناراً، فالدينار وهو المفعول الثاني لأنه لا يتأتى منه فعل، وهو نظير أعطيت زيداً درهماً، فزيد هو الفاعل لأنه آخذ للدرهم اهـ.

وكلام الجلال يتمشى على الاحتمال الأول حيث قال: بأن مصيرهم إليها فجعل الذين كفروا هو الموعود به، فيكون الضمير هو المفعول الأول أي وعدها الله بمصير الكفرة إليها أي يرجعوا إليها ويكونوا طعاماً لها، فهي آكلة وهم مأكولون اهـ.

قوله: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾ هذا متصل بقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ وإنما قال ضرب مثل لأن حجج الله تعالى عليهم بضرب الأمثال لهم أقرب إلى أفهامهم، فإن قيل: فأين المثل المضروب؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: قال الأخفش ليس ثم مثل، وإنما المعنى ضربوا لي مثلاً فاستمعوا قولهم يعني أن الكفار جعلوا لله مثلاً بعبادتهم غيره، فكأنه قال: جعلوا لي شبيهاً في عبادتي فاستمعوا خبر هذا الشبيه. والثاني: قال القتيبي: المعنى يا أيها الناس ضرب مثلاً أي عبدت آلهة لم تستطع أن تخلق ذباباً وإن يسلبها الذباب شيئاً لم تستطع أن تستنقذه منه، وقال النحاس: المعنى ضرب الله عز وجل لما يعبد من دون الله مثلاً. قال النحاس: وهذا من أحسن ما قيل فيه أي: أن بين لكم ولمعبودكم شبهات اهـ قرطبي.

قوله: (واحده ذبابة) ويجمع على ذباب بالكسر كغربان، وذبان بالضم كقضبان وعلى أذبة كأغربة وهو أجهل الحيوانات لأنه يرمي نفسه في المهلكات، ومدة عيشه أربعون يوماً، وأصل خلقته من العفونات، ثم يتوالد بعضه من بعض. يقع روثه على الشيء الأبيض فيرى أسود وعلى الأسود فيرى أبيض، والذباب مأخوذ من ذب إذا طرد وآب إذا رجع لأنك تذبه فيرجع عليك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولو اجتمعوا له﴾ أي: لخلقه. قال الزمخشري: نصب على الحال كأنه قال: يستحيل خلقهم الذباب حال اجتماعهم لخلقه وتعاونهم عليه، فكيف حال انفرادهم؟ وقد تقدم أن هذه الواو عاطفة هذه الجملة الحالية على حال محذوفة أي: انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو في هذه الحال المقتضية لجميعهم، فكأنه تعالى قال: إن هذه الأصنام إن اجتمعت لا تقدر على خلق ذبابة على ضعفها، فكيف يليق بالعاقل جعلها معبوداً كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإن يسلبهم﴾ أي: يختطف منهم بسرعة. قوله: (مما عليهم من الطيب والزعفران الخ) روي عن ابن عباس أنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله. وعن ابن زيد كانوا يحلون الأصنام باليواقيت واللآلىء وأنواع الجوهر ويطيبونها بألوان الطيب، فربما سقط شيء منها فيأخذه طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استرداده اهـ خطيب.

قوله: (الملطخون به) نعت سببي للطيب والزعفران المجرورين، وكان عليه أن يقول الملطخين

لا يستردوه ﴿مِنْهُ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء الله تعالى هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب المثل ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ العابد ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ المعبود ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ عظمته إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ غالب ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ رسلاً، نزل لما قال المشركون أأنزل عليه

به كما هو ظاهر. قوله: ﴿لا يستنقذوه منه﴾ الاستنقاذ استفعال بمعنى الافعال يقال: أنقذه من كذا أي أنجاه منه وخلصه اهـ سمين.

قوله: (عبّر عنه بضرب مثل) هذا جواب ما يقال: إن الذي ضرب وبين ليس بمثل فكيف سماه مثلاً؟ وحاصل الجواب: أن الصفة والقصة العجيبة تسمى مثلاً تشبيهاً لها ببعض الأمثال لكونها مستحسنة مستغربة عندهم اهـ خازن.

وفي الشهاب تقدم أن المثل في الأصل بمعنى المثل، ثم خص بما شبه مضربه بمورده من الكلام السائر فصار حقيقة عرفية فيه، ثم استعير لكل حال غريبة أو قصة من الكلام فصيحة غريبة لمشابهتها له في ذلك اهـ.

قوله: (إذا أشركوا به) في نسخة أن أشركوا به بفتح أن وتكون على تقدير اللام، وعبارة الخازن: أي ما عظموه حق عظمته، وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه اهـ.

وقيل: إن سبب نزولها أن النبي ﷺ قال لمالك بن أبي الصيف، وكان حبراً من أحبار اليهود من رؤسائهم: هل رأيت في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ قال: نعم. فقال له: أنت حبر سمين، فضحك القوم، فالتفت مالك إلى عمر بن الخطاب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء. وقيل: إن سبب نزولها إن الله لما قال: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ [البقرة: ٢٤٥] قالت اليهود: إن الله فقير ونحن أغنياء يريد منا القرض، وقيل: لما منعهم الغيث والنعمة قال: ﴿يد الله مغلولة﴾ [المائدة: ٦٤] وقيل: إن سبب نزولها أن اليهود قالوا: خلق الله السموات يوم الأحد، والأرض يوم الاثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والأوراق والأشجار في يوم الأربعاء، والشمس والقمر في يوم الخميس، وخلق آدم وحواء في يوم الجمعة، ثم استوى على ظهره ووضع إحدى رجليه على الأخرى واستراح، فغضب رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ اهـ من التفاسير.

قوله: ﴿ومن الناس﴾ (رسلاً) أشار به إلى أن في الآية الحذف من الثاني لدلالة الأول. قوله: (نزل لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر) أي: القرآن من بيننا وليس بأكبرنا ولا أشرفنا أي: لم ينزل عليه اهـ جلال من سورة ص.

والقائل هو الوليد بن المغيرة مع موافقة الباقي، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر ما يتعلق بالآلهيات ذكر هنا ما يتعلق بالنبوات، وقوله: ﴿من الملائكة رسلاً﴾ يقتضي أن تكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم فيناقض قوله تعالى: ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾ [فاطر: ١] ويدفع هذا التناقض بأن المراد بما هنا من كان رسولاً من الملائكة إلى بني آدم وهم أكابر الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل

الذكر من بيننا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لمقالتهم ﴿بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ بمن يتخذه رسولاً كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ﴾ أي ما قدموا وما خلفوا وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٧٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ أي صلوا ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ وحدوه ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ۝٧٧﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب حق على المصدر ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ اختاركم لدينه

وعزرائيل والحفظة صلوات الله عليهم، وبأن المراد من قوله: جاعل الملائكة رسلاً أي: بعضهم رسلاً إلى البعض، وقيل: وجه مناسبتها لما قبلها أنه لما أبطل فيما قبلها عبادة الأوثان أبطل ههنا عبادة الأصنام اهـ من الرازي.

قوله: (بمن يتخذه رسولاً) هكذا بالإفراد مراعاة للفظ من في قوله ﴿بمن يتخذوه﴾، وفي نسخة بالجمع مراعاة لمعناها، قوله: (جبريل الخ) مثل باثنين من الملائكة واثنين من الإنس، ثم قال: وغيرهم أي: غير الأربعة وهو مستدرك مع الكاف اهـ شيخنا.

قوله: (أي ما قدموا) أي: من الأعمال أي: ما عملوه بالفعل، وقوله: (وما خلفوا) أي: لم يعملوه بالفعل لا في الماضي ولا في المستقبل وقوله: أو (ما عملوا) أي: بالفعل، وقوله: (وما هم عاملون) أي: في المستقبل فحصلت المغايرة بهذا بين الشقين، وعبارة العمادي: ما بين أيديهم ما مضى وما خلفهم ما لم يأن، أو ما عملوه وما سيعملونه من أمور الدنيا اهـ.

قوله: ﴿وافعلوا الخير﴾ أي: واجباً أو مندوباً، وإن كان الشارح اقتصر في التمثيل على المندوب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾ جملة في محل نصب على الحال من الواو في اركعوا وما عطف عليه أي: افعلوا هذه الأمور حال كونكم راجين الفلاح، وفي هذا إشارة إلى أن دخول الجنة ليس مرتباً على هذه الأعمال مثلاً، بل هذه أمور كلفنا الله بها شرعاً، وأما قبولها فشيء آخر يتفضل الله به علينا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجاهدوا في الله﴾ في: سببية. أي: لأجل الله وهو على تقدير مضافين أي: لإقامة الله أي لإقامة دين الله كما أشار له الشارح، ومفعول جاهدوا محذوف تقديره أعداءكم، وهذه الأعداء ظاهرية وباطنية، فالظاهرية: فرق الضلال ومجاهدتها معلومة، والباطنية: مثل النفس والهوى ومجاهدتها منعها من شهواتها شيئاً فشيئاً على التدريج، وهذا الجهاد الثاني هو الجهاد الأكبر، وأما الجهاد الأول فهو الأصغر كما ورد به الحديث، وقوله: ﴿حق جهاده﴾ من إضافة الصفة للموصوف. أي: جهاداً حقاً والإضافة في جهاده على معنى في أي: فيه وقد أشار له الشارح اهـ.

قوله: ﴿حق جهاده﴾ يجوز أن يكون منصوباً على المصدر وهو واضح، قال أبو البقاء: ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف أي جهاداً حق جهاده، وفيه نظر من حيث إن هذا معرفة فكيف يجعل

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ أي ضيق بأن سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض الكاف ﴿إِبْرَٰهِيمَۚ﴾ عطف بيان ﴿هُوَ﴾ أي الله ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل هذا الكتاب ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا۟﴾ أنتم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ أن

صفة لنكرة؟ قال الزمخشري: فإن قلت ما وجه هذه الإضافة، وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه كما قال: وجاهدوا في الله حق جهاده؟ قلت: الإضافة تكون لأدنى ملابسة واختصاص، فلما كان الجهاد مختصاً بالله من حيث إنه مفعول من أجله ولوجهه صحت إضافته إليه اهـ سمين.

قوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ إن قلت: كيف لا حرج فيه مع أن في قطع اليد بسرقة ربع دينار، ورجم محصن بزنا مرة، ووجوب صوم شهرين متتابعين بإفساد يوم من رمضان بوطء ونحو ذلك حرجاً؟ فالجواب: المراد بالدين التوحيد ولا حرج فيه بل فيه تخفيف، فإنه يكفر ما قبله من الشرك وإن امتد ولا يتوقف الإتيان به على زمان أو مكان معين، أو أن كل ما يقع فيه الإنسان من المعاصي يجد له في الشرع مخرجاً بتوبة أو كفار أو رخصة، كما أشار إليه في التقريرة، أو المراد نفي الحرج الذي كان في زمن بني إسرائيل من الإصر والتشديد والتضييق بتكليف ما لا يطيقون، فلا يرد نحو المخاطرة بالنفس والمال في الحج والغزو اهـ كرخي.

وفي القرطبي: قال العلماء: رفع الحرج إنما هو لمن استقام على منهاج الشرع وأما السراق وأصحاب الحدود فعليهم الحرج وهم جاعلوه على أنفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الشرع أعظم حرجاً من إلزام ثبات رجل لاثنين في سبيل الله، لكنه مع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج اهـ.

قوله: (منصوب بنزع الخافض الكاف) هذا أحد أوجه ذكرها السمين ونصه: قوله: ﴿ملة أبيكم﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه منصوب باتبعوا مضمراً قاله الحوفي وتبعه أبو البقاء. الثاني: أنه منصوب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم. الثالث: أنه منصوب بمضمون ما تقدمه كأنه قال: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، قاله الزمخشري. الرابع: أنه منصوب بجعل مقدراً، قاله ابن عطية. الخامس: أنه منصوب على حذف كاف الجر أي كلمة أبيكم، قاله الفراء. وقال أبو البقاء قريباً منه: فإنه قال وقيل: تقديره مثل ملة لأن المعنى سهل عليكم الدين مثل ملة أبيكم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وأظهر هذه الأوجه الثالث اهـ.

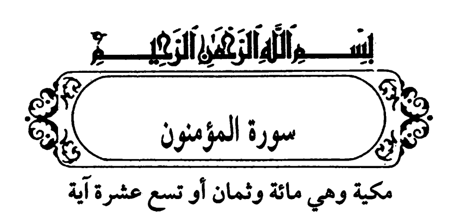
قوله: ﴿هو سماكم المسلمين﴾ الضمير لله، ويدل عليه قراءة الله سماكم، وقيل: لإبراهيم، وقوله: ﴿ليكونن الرسول﴾ متعلق بسماكم اهـ بيضاوي.

وقوله: متعلق بسماكم أي: على الوجهين في الضمير، واللام للعاقبة لأن التعليل غير ظاهر هنا، كما قيل: والظاهر أنه لا مانع منه، فإن تسمية الله وإبراهيم لهم به حكم بإسلامهم وعدالتهم، وهو سبب لقبول شهادة الرسول الداخل فيهم دخولاً أولياً وقبول شهادتهم على الأمم اهـ شهاب.

رسلهم بلغتهم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ ثقوا به ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ أي الناصر لكم.

وعبارة الكازروني فإن قيل: ليست تسميتهم بالمسلمين سبباً لشهادة الرسول عليهم، وإنما سببها إسلامهم نفسه. قلنا: تسمية الله لهم بالمسلمين حكم بإسلامهم عند وجودهم، فهو في الحقيقة سبب لإسلامهم اهـ.

قوله: (أي قبل هذا الكتاب) أي: في الكتب القديمة، وقوله: ﴿وفي هذا أي﴾ بقوله: ﴿رضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣] قوله: (ثقوا به) أي: في مجامع أموركم اهـ كرخي.



سورة المؤمنون

مكية وهي مائة وثمان أو تسع عشرة آية

﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ متواضعون ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ مؤدون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) هكذا قال هو وغيره، بل قال القرطبي: مكية في قول الجميع اهـ.

ويستثنى الآيات الثلاث وهي قوله: ﴿ولو رحمناهم﴾ [المؤمنون: ٧٥] إلى آخرها، فإنها مدنية كما سيأتي في تقريرها تأمل قوله: (وثمان) هذا هو مذهب الكوفيين، وقوله: (أو تسع) هو مذهب البصريين كما في البيضاوي. قال الشهاب: عليه وسبب هذا اختلافهم في قوله: ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين﴾ [المؤمنون: ٤٥] هل هو آية كما قاله البصريون، أو بعض آية كما قاله الكوفيون اهـ.

قوله: ﴿قد أفلح﴾ (فاز) ﴿المؤمنون﴾ عبارة أبي السعود: الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه، وقيل: البقاء في الخير، والإفلاح: الدخول في ذلك كالإبشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعدياً بمعنى الإدخال فيه، وعليه قراءة من قرأه بالبناء للمفعول، وكلمة ﴿قد﴾ ههنا لإفادة ثبوت ما كان يتوقع الثبوت من قبل اهـ.

قوله: (متواضعون) ومن الخشوع أن يستعمل الآداب، فيتوقى كف الثوب والالتفات والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والتشبيك وتقليب الحصى وغير ذلك مما يكره فعله في الصلاة، والجار والمجرور متعلق بما بعده، وقدم للاهتمام وحسنه كون متعلقه فاصلة وكذلك ما بعده من أخواته، وأضيفت الصلاة إليهم لأنها دائرة بين المصلي والمصلّى له، فالمصلِّي هو المنتفع وحده، وأما المصلَّى له فغني عن الحاجة إليها والانتفاع بها اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (متواضعون) قاله مقاتل، أو خاضعون بالقلب ساكنون بالجوارح فلا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، وهذا من فروض الصلاة عند الغزالي، وذهب بعضهم إلى أنه ليس بواجب لأن اشتراط الخضوع والخشوع مخالف لإجماع الفقهاء فلا يلتفت إليه اهـ.

قوله: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ المراد باللغو كل ما كان حراماً أو مكروهاً أو مباحاً لم

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ ﴾ عن الحرام ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَاجِهِمْ ﴾ أي من زوجاتهم ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ أي السراري ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ ﴾ في إتيانهن ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ من الزوجات

تدع إليه ضرورة ولا حاجة، وقوله: (من الكلام وغيره) كاللعب والهزل وما يخل بالمروءة، وقوله: ﴿معرضون﴾ أي عن مباشرته وحضوره والتسبب فيه اهـ شيخنا.

قوله: (مؤدون) ضمن فاعلون معنى مؤدون، إذ لا يصح فعل الأعيان التي هي القدر المخرج من المزكي للمستحقين، ويصح حمل الزكاة على المصدر الذي هو التزكية فيصح نسبة الفعل إليها من غير تضمين اهـ من البحر.

وفي السمين قوله: ﴿للزكاة﴾ اللام مزيدة في المفعول لتقدمه على عامله ولكونه فرعاً، والزكاة في الأصل مصدر وتطلق على القدر المخرج من الأعيان، وقال الزمخشري: اسم مشترك بين عين ومعنى، فالعين اسم للقدر الذي يخرجه المزكي من النصاب، والمعنى فعل المزكي وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له، ولا يسوغ فيه غيره لأنه ما من مصدر إلا يعبر عنه بالفعل، ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب، وللقاتل فاعل القتل، وللمزكي فاعل التزكية اهـ.

قوله: (أي من زوجاتهم) أشار به إلى أن على بمعنى من بدليل الحديث: «إحفظ عورتك إلا من زوجتك» اهـ كرخي.

وفي السمين: قوله: ﴿إلا على أزواجهم﴾ فيه أربعة أوجه، أحدها: أنه متعلق بحافظون على تضمين معنى ممسكين أو قاصرين وكلاهما يتعدى بعلى، قوله تعالى: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ [الأحزاب: ٤٧]. الثاني: أن على بمعنى من أي: إلا من أزواجهم، فعلى: بمعنى من كما جاءت من بمعنى على قوله: ﴿ونصرناه من القوم﴾ [الأنبياء: ٧٧] وإليه ذهب الفراء. الثالث: أن يكون في موضع نصب على الحال. قال الزمخشري: أي: إلاَّ والين أو قوامين عليهم من قولك: كان فلاناً على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان، ونظيره: كان زياد على البصرة أي: والياً عليها، ومنه قولهم: فلانة تحت فلان، ومن ثم سميت المرأة فراشاً. الرابع: أن يتعلق بمحذوف يدل عليه غير ملومين. قال الزمخشري: وكأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم. أي: يلامون على كل مباشرة إلا على ما أحل لهم فإنهم غير ملومين عليه اهـ.

قوله: ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ عبَّر بما دون من وإن كان المقام لمن لنقصهن بالأنوثة، وشبههن بالبهائم في حل البيع مثلاً اهـ شيخنا.

قوله: (أي السراري) في المختار: السرية الأمة التي بوأتها بيتاً وهي فعلية منسوبة إلى السر وهو الجماع أو الإخفاء، لأن الإنسان كثيراً ما يسرها ويسترها عن حرته، وإنما ضمت سينه لأن الأبنية قد تغير في النسب، كما قالوا في النسبة إلى الدهر دهري، وإلى الأرض السهلة سهلي بضم أولهما، والجمع السراري. وقال الأخفش: هي مشتقة من السرور، لأن الإنسان يسرّ بها اهـ.

وفي المصباح: والسرية فعلية. قيل: مأخوذة من السر وهو النكاح، فالضم على غير قياس فرقا بينها وبين الحرة إذا نكحت سراً، فإنه يقال لها سرية بالكسر على القياس، وقيل: من السر بمعنى

والسراري كالاستمناء باليد في إتيانهن ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ جمعاً ومفرداً ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿رَاعُونَ ۝٨﴾ حافظون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ﴾ جمعاً ومفرداً ﴿يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ يقيمونها في أوقاتها ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠﴾ لا غيرهم ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿هُمْ

السرور لأن مالكها يسر بها فهو على القياس، وسريته سرية يتعدى إلى مفعولين فتسراها، والأصل سررته فتسررها بالتضعيف لكن أبدل للتخفيف اهـ.

قوله: ﴿فإنهم غير ملومين﴾ هذا تعليل للاستثناء، وقوله: (في إتيانهن) أي: بجماع أو غيره اهـ.

قوله: (كالاستمناء باليد) تمثيل لوراء لأنه بمعنى خلاف فهو حرام عند الجمهور، وكان أحمد بن حنبل يجيز ذلك لأنه فضلة في البدن يجوز إخراجها لحاجة، كالفصد والحجامة، لكن بشروط ثلاثة: أن يخاف الزنا، ويفقد مهر حرة أو ثمن أمة كما ذكر في كتاب المنتهى، وأن يفعله بيده. ومفهومه فيه تفصيل، وهو أنه إن كان بيد زوجته أو أمته جاز، وإن كان بيد أجنبية أو أجنبي حرم اهـ من الرازي.

قوله: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي: حافظون ما ائتمنوا عليه، والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها، والأمانات تختلف فمنها ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها. ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والصنائع والأسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضاً اهـ خازن.

قوله: (جمعاً) أي: في قراءة الجمهور، ووجهها أنه مصدر جمع بسبب اختلاف أنواعه من طهارة وصلاة وصيام إلى غير ذلك، وأجمعوا على جمعها في قوله: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء: ٥٨] وقوله: (ومفرداً) أي: في قراءة ابن كثير لأمن اللبس بالإضافة إلى الجمع ولأنه مصدر اهـ كرخي.

قوله: (لا غيرهم) أي: فإن ضمير الفصل يدل على التخصيص، فإن قيل: كيف حكم على الموصوفين بالصفات السبعة بالفلاح مع أنه تعالى لم يتمم ذكر العبادات الواجبة كالصوم والحج؟ فالجواب أن قوله: ﴿لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ يأتي على جميع الواجبات من الأفعال والتروك، والطهارات دخلت في جملة المحافظة على الصلوات لكنها من شرائطها، والحصر إضافي لا حقيقي لأنه ثبت أن الجنة يدخلها الأطفال والمجانين والولدان والحور، ويدخلها الفساق من أهل القبلة بعد العفو لقوله تعالى: ﴿يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] اهـ كرخي.

قوله: ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ أي: من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم، كما روى ذلك البيهقي، وابن ماجة، وابن جرير، وابن المنذر وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه بسند صحيح كما سيأتي اهـ كرخي.

﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد ويناسبه ذكر المبدأ بعده ﴿وَ﴾ الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه وهو خلاصته ﴿مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ متعلق بسلالة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ منياً ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ هو

وهذا بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد إطلاقها وتفسير لها بعد إبهامها وتفخيم لها ورفع لمحلها، وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه اهـ أبو السعود.

قوله: (ويناسبه ذكر المبدأ بعده) عبارة السمين: وهذه الجملة أي: قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ الخ جواب قسم محذوف أي: والله لقد خلقنا وعطفت على الجملة قبلها لما بينهما من المناسبة، وهو أنه تعالى لما ذكر أن المتصفين بتلك الأوصاف يرثون الفردوس وتضمن ذلك المعاد الأخروي ذكر النشأة الأولى ليستدل بها على المعاد، فإن الابتداء في العادة أصعب من الإعادة لقوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ [الروم: ٢٧] وهذا أحسن من قول ابن عطية هذا ابتداء كلام، والواو في أوله عاطفة جملة كلام على جملة كلام، وإن تباينتا في المعنى لأني قدمت لك وجه المناسبة اهـ.

قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ إلى قوله: ﴿وعلى الفلك تحملون﴾ جملة ما ذكر من الدلائل أنواع أربعة.

النوع الأول: الاستدلال بتقلب الإنسان في أطوار الخلقة وهي تسعة آخرها تبعثون.

النوع الثاني: من الأدلة خلق السموات وأشار له بقوله: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾.

النوع الثالث: إنزال الماء وأشار له بقوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾.

النوع الرابع: الاستدلال بأحوال الحيوانات وأشار له بقوله: ﴿وإن لكم في الأنعام﴾ الخ. وأحوال الحيوان أربعة مذكورة في الآية اهـ رازي.

قوله: (أي استخرجته منه) ومنه قولهم: فلان سلالة أبيه كأنه استخرج منه اهـ سمين.

قوله: (متعلق بسلالة) أي: بنفس سلالة لأنها بمعنى مسلول، وهو وزن يدل على القلة كقلامة، ومن في الموضعين ابتدائية الأولى منهما متعلقة بخلقنا، والثانية متعلقة بسلالة كما قال الشارح اهـ من السمين.

قوله: ﴿ثم جعلناه نطفة﴾ الخ اختلاف العواطف بالفاء وثم لتفاوت الاستحالات يعني: أن بعضها مستبعد حصوله مما قبله وهو المعطوف، بثم فجعل الاستبعاد عقلاً أو رتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسي، لأن حصول النطفة من أجزاء ترابية غريب جداً، وكذا جعل النطفة البيضاء دماً أحمر بخلاف جعل الدم لحماً مشابهاً له في اللون والصورة، وكذا تصليبها حتى تصير عظماً لأنه قد يحصل ذلك بالمكث فيما يشاهد، وكذا مدّ لحم المضغة عليه ليستره فسقط ما قيل: إن الوارد في الحديث أن مدة كل استحالة أربعون يوماً، وذلك يقتضي عطف الجميع بثم أن نظر لآخر المدة وأولها، أو ويقتضي العطف بالفاء إن نظر لآخرها فقط اهـ من الشهاب مع تقديم وتأخير.

الرحم ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ دماً جامداً ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ لحماً قدر ما يمضغ ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ وفي قراءة عظماً في الموضعين وخلقنا في المواضع الثلاث بمعنى صيرنا ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ أي المقدرين، ومميز أحسن محذوف للعلم به أي خلقاً ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ للحساب والجزاء ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ أي سبع سماوات جمع طريقة

وهذا في العواطف الخمسة الأولى، وأما قوله: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ فعطفه بثم للتفاوت بين الخلقين كما في البيضاوي اهـ.

قوله: (أي الإنسان نسل آدم) أفاد أن الضمير يعود للإنسان فإن أريد غير آدم فواضح، ويكون خلقه من سلالة الطين خلق أصله وهو آدم فيكون على حذف مضاف، وإن كان المراد به آدم فيكون الضمير عائداً على نسله فهو من حذف مضاف أيضاً، وعليه جرى الشيخ المصنف، ويؤيده قوله: ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ [السجدة: ٨] اهـ كرخي.

قوله: ﴿في قرار مكين﴾ أي: لهذه النطفة. والمراد بالقرار موضع الاستقرار وهو المستقر فسماه بالمصدر، ثم وصف الرحم بمكين بمعنى متمكن لتمكنه في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال، أو لتمكن ما يحل فيه كقولهم: طريق سائر لكونه يسار فيه اهـ رازي.

قوله: ﴿فخلقنا المضغة﴾ أي: غالبها أو كلها قولان حكاهما أبو السعود، وفي البيضاوي: فكسونا العظام لحماً أي: كسونا ما بقي من المضغة أو مما أنبتنا عليها مما يصل إليها اهـ.

قوله: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ المعنى حوّلنا النطفة عن صفاتها إلى صفة لا يحيط بها وصف الواصفين اهـ كرخي.

وفي القرطبي: واختلف الناس في الخلق الآخر، فقال ابن عباس، والشعبي، وأبو العالية، والضحاك، وابن زيد: هو نفخ الروح فيه بعد أن يكون جماداً، وعن ابن عباس أيضاً: هو خروجه إلى الدنيا، وقال قتادة عن فرقة: هو نبات شعره، والضحاك: هو خروج الأسنان ونبات الشعر، ومجاهد: كمال شبابه. وروي عن ابن عمر والصحيح، أنه عام في هذا وفي غيره من النطق والإدراك وحسن المحاولة وتحصيل المعقولات إلى أن يموت اهـ.

قوله: (للعلم به) أي: من دلالة الخالقين عليه أي: أحسن الخالقين خلقاً أي: في الظاهر وإلاَّ فالله خالق الكل اهـ كرخي.

قوله: ﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ أي: المذكور من الأمور العجيبة كما يفهم من اسم الإشارة الدال على البعد المشعر بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الفصل والكمال، وكونه ممتازاً منزلاً منزلة الأمور الحسية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يوم القيامة﴾ أي: عند النفخة الثانية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولقد خلقنا فوقكم﴾ الخ لما ذكر ابتداء خلق الإنسان وانتهاء أمره ذكره بنعمه، وقوله:

لأنها طرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ تحتها ﴿غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ أن تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها كآية ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض﴾ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ من كفايتهم ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ فيموتون مع دوابهم عطشاً ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن

﴿فوقكم﴾ المراد به جهة العلو من غير اعتبار فوقية لهم، لأن تلك النسبة إنما تعرض لهم بعد خلقهم، ووقت خلق السموات لم نكن مخلوقين ولم تكن هي فوقنا بل خلقنا بعد اهـ شيخنا.

قوله: (لأنها طرق الملائكة) أي: في العروج والهبوط والطيران اهـ رازي.

وعبارة البيضاوي: سبع طرائق سموات لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل، وكل ما فوقه مثله فهو طريقة، أو لأنها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها اهـ.

وقوله: طورق بعضها الخ يعني أنها جمع طريقة بمعنى مطروقة من طرق النعل إذا وضع طاقاته بعضها فوق بعض. قيل: فعلى هذا لا تكون سماء الدنيا من الطرائق، إذ لا سماء تحتها فجعلها منها من باب التغليب، ولا يخفى أن المعنى وضع طاق فوق طاق مساوياً له، فيندرج ما تحت الكل لكونه مطارقاً أي: له نسبة وتعلق بالمطارقة فلا حاجة إلى التغليب اهـ شهاب.

قوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ ما ابتدائية متعلقة بأنزلنا، وتقديمها على المفعول الصريح للاعتناء بالمقدم، والتشويق إلى المؤخر والعدول عن الإضمار، لأن الإنزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها بصفة العلو، وقوله: ﴿بقدر﴾ أي: تقدير لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم اهـ من أبي السعود.

وقال الشهاب: قوله: بقدر إن كان بمعنى تقدير كان صفة لماء أو حالاً من الضمير، وإن كان بمعنى مقدر كان صلة لأنزلنا وهما متقاربان في المعنى اهـ لكن كلام الشارح يشير للثاني.

قوله: ﴿ماء﴾ أي عذباً، وإلاَّ فالأجاج ثابت في الأرض مع القحط والعذاب يقل مع القحط. وفي الأحاديث أن الماء كان موجداً قبل خلق السموات والأرض، ثم جعل الله منه في السماء ماء وفي الأرض ماء اهـ من البحر.

وفي الكرخي: فأسكناه في الأرض، أي: فجعلناه ساكناً ثابتاً مستقراً في الأرض بعضه على ظهرها وبعضه في بطنها اهـ.

قوله: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ الذهاب مصدر ذهب، والباء في به للتعدية مرادفة للهمزة أي: لقادرون على إذهابه وإزالته، وهو متعلق بقادرون قدم عليه رعاية للفاصلة والإذهاب: إما بالإفساد وإما بالتصديع وإما بالتعميق والتغوير في الأرض اهـ من البحر.

روى الشيخان، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار: سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل. استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس، فذلك قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ فإذا كان عند خروج

﴿نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ١٩﴾ صيفاً وشتاء ﴿وَ﴾ أنشـأنا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف والتأنيث للبقعة ﴿تَنۢبُتُ﴾ من الرباعي والثلاثي ﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ الباء زائدة على الأول ومعدية على الثاني وهي شجرة

يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى: ﴿وأنا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خيري الدين والدينا» اهـ خازن.

قوله: ﴿لكم فيها فواكه كثيرة ومنها﴾ الخ الضميران يرجعان إلى الجنات بتقدير مضاف في الثاني أي: ومن ثمرها، ويصح رجوعهما إلى النخيل والأعناب بتقدير مضاف أي: في ثمرهما، أي: لكم في ثمرهما أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ المراد بها شجرة الزيتون، فإن قلت: لم خصت بطور سيناء مع أنها تخرج من غيره أيضاً؟ قلت: أصلها منه ثم نقلت إلى غيره اهـ زكريا.

وشجرة الزيتون تعمر في الأرض كثيراً حتى قال بعضهم: إنه يعمر ثلاثة آلاف سنة اهـ شيخنا.

وهي أول شجرة نبتت بعد الطوفان اهـ خازن.

قوله: (جبل) عبارة الخازن: من طور سيناء، أي: من جبل مبارك، وقيل: من جبل حسن قيل هو بالنبطية، وقيل: بالحبشية، وقيل: بالسريانية، ومعناه: الجبل الملتف بالأشجار، وقيل: كل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين، وقيل: هو من السناء وهو الارتفاع، وقيل: الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر وأيلة، وقيل: جبل فلسطين، وقيل: سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها وقيل: هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل اهـ.

قوله: (منع الصرف للعلمية والتأنيث) أما على قراءة الكسر فلأن الهمزة فيه ليست للتأنيث بل للإلحاق بقرطاس، فتكون همزته منقلبة عن ياء أو واو، فلما وقع حرف العلة فيه متطرفاً بعد ألف زائدة قلب همزة كرياء وكساء، وحينئذ فكان منع صرفه للتعريف والتأنيث لأن سيناء علم على بقعة، وقيل: للتعريف والعجمة. والصحيح: أن سيناء اسم أعجمي نطقت به العرب فاختلفت فيه لغاتهم، فقالوا: سيناء كحمراء وسيناء كعلباء وسينين كقنديل. وأما على قراءة الفتح فمنع من الصرف للتعريف والتأنيث نظراً للبقعة، وهو حينئذ علم جبل مركب من مضاف ومضاف إليه كامرىء القيس، فمنع من الصرف مع كونه جزء علم نظراً إلى أنه يعامل معاملة العلم، وألفه حينئذ ليست للتأنيث بل هي مبدلة من واو وياؤها مزيدة ووزنها فيعال اهـ من السمين بتصرف.

قوله: (من الرباعي والثلاثي الخ) أشار إلى ما في الآية من القراءتين، وإيضاحه: أن الأولى قراءة ابن كثير من أنبت الآتية همزته للتعدية كقوله: أنبت الله الزرع فيكون مفعوله بالدهن مع زيادة الباء على ما جرى عليه الشيخ المصنف، ويصح كونه محذوفاً أي: تنبت زيتونها، وبالدهن في موضع الحال من

الزيتون ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ۝٢٠﴾ عطف على الدهن أي إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ أي الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة تعتبرون بها ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ أي اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٢١﴾ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي الإبل ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ أي السفن ﴿تُحْمَلُونَ ۝٢٢﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

المفعول المحذوف أي: ملتبساً بالدهن، والثانية قراءة الجمهور على أنه لازم يقال: نبت البقل وأنبت بمعنى وبالدهن مفعول تعدى فعله بالباء أي تنبت ملتبسة بالدهن اهـ كرخي.

وفي البيضاوي: بالدهن أي حالة كونها ملتبسة بالدهن ومصحوبة به، وهذا على قراءة فتح التاء اهـ.

والدهن: عصارة كل شيء ذي دسم اهـ سمين.

قوله: (ومعدية على الثاني) عبارة أبي السعود: ويجوز كونها صلة معدية أي: أن تنبت بمعنى تتضمنه وتحصله، فإن النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن انتهت.

قوله: ﴿وصبغ للآكلين﴾ معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر، أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً به ويسرج منه، وكونه إداماً يصبغ به الخبز أي يغمس فيه للائتدام به اهـ بيضاوي.

وقوله: عطف أحد وصفي الشيء الخ أشار به إلى أن الصبغ وهو الإدام من المائعات على الاستعارة، لأنه إذا غمس فيه تلون بلونه وإن كان المراد به الدهن أيضاً، لكن لكونهما وصفين نزل تغاير مفهوميهما منزلة تغاير ذاتيهما فعطف أحدهما على الآخر اهـ شهاب.

قوله: (يصبغ اللقمة) من باب ضرب وقتل ونفع اهـ مصباح.

قوله: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ خص الأنعام بالعبرة دون النبات، لأن العبرة فيها أظهر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿مما في بطونها﴾ ذكره هنا بلفظ الجمع لأنه راجع للأنعام مراداً بها الجمع، وفي النحل قال: ﴿مما في بطونه﴾ بالإفراد نظراً إلى أن الأنعام اسم مفرد اهـ زكريا في متشابه القرآن.

وأجاب الكرماني عن ذلك بأن ما في النحل مراد به الإناث، والتقدير: وإن لكم في بعض الأنعام، وذلك البعض هو الإناث فأتي بالضمير مفرداً مذكراً. وأما في المؤمنون؛ فالمراد منه الكل الشامل للإناث والذكور بدليل العطف في قوله: ﴿ولكم فيها منافع﴾ فإن هذا لا يخص الإناث وهذا العطف لم يذكر في النحل اهـ.

قوله: (أي الإبل) أعاد الضمير عليها لأنها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فإنها سفائن البر، وأعاده البيضاوي على الأنعام لأنه الظاهر من الآية معللاً بأن منها ما يحمل عليه كالإبل والبقر يشير إلى أنه من نسبة حال البعض إلى الكل، وحكى ما اقتصر عليه المصنف بصيغة قيل اهـ كرخي.

﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أطيعوه ووحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ وهو اسم ما، وما قبله الخبر، ومن زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ لأتباعهم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾ يتشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون متبوعاً وأنتم أتباعه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يعبد غيره ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ بذلك لا بشراً ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي الأمم الماضية ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ الواو للاستئناف. وهذا شروع في خمس قصص، الأولى: قصة نوح هذا أولها. والثانية: قصة هود أولها قوله: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾ [المؤمنون: ٤٢]. الثالث: قوله: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾ [المؤمنون: ٤٢]. والرابعة: قصة موسى وهارون المذكورة بقوله: ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا﴾ [المؤمنون: ٤٥] الخ. والخامسة: قصة عيسى وأمة المذكورة بقوله: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه﴾ إلى قوله: ﴿ذات قرار ومعين﴾ [المؤمنون: ٥٠] ونوح لقبه، واسمه يشكر على ما قاله الرازي، أو عبد الله على ما قاله السيوطي، وعاش نوح من العمر ألف سنة وخمسين لأنه أرسل على رأس الأربعين، ومكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، وقدمت قصته لتتصل بقصة آدم المذكورة قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ [المؤمنون: ١٢] الخ للمناسبة بين نوح وآدم من حيث أنه أي: نوحاً آدم الثاني لانحصار النوع الإنساني بعده في نسله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ بمنزلة التعليل لما قبله. قوله: (وهو اسم ما) أي لفظ إله اسم ما، وأما لفظ غيره فيصح فيه الرفع اتباعاً على المحل، والجر اتباعاً على اللفظ قراءتان سبعيتان. وقوله: (وما قبله) وهو لكم، والأصل: ما إله غيره كائناً لكم، وهذا من الشارح جرى على وجه ضعيف للنحاة وهو جواز إعمالها عند انعكاس الترتيب إذا كان الخبر ظرفاً والمشهور إهمالها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فقال الملأ﴾ أي: أشراف قومه، وحاصل ما ذكروه من الشبه خمسة، أولاها: قولهم: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾. الثانية: ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾. الثالثة: ﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾. الرابعة: ﴿إن هو إلا رجل به جنة﴾. الخامسة: ﴿فتربصوا به حتى﴾ ولم يتعرض لردها لظهور فسادها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن يتفضل عليكم﴾ أي: بادعاء الرسالة. قوله: ﴿ولو شاء الله﴾ الخ مفعول المشيئة محذوف، وشأنه أن يقدر مأخوذاً من جواب لو، ولكنه هنا أخذه من السياق فقدره بقوله: (أن لا يعبد غيره) اهـ شيخنا.

وقدره البيضاوي بقوله: (ولو شاء الله أن يرسل رسولاً لأنزل ملائكة رسلاً) اهـ.

قوله: (بذلك) أي: بأن لا يعبد غيره، وعبارة الكرخي: لأنزل ملائكة بذلك لا بشراً لأن الملائكة لعلو شأنهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم ينقاد الخلق إليهم ولا يشكون في رسالتهم، فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولاً اهـ.

حالة جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِۦ﴾ انتظروه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ إلى زمن موته ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي بأن تهلكهم قال تعالى مجيباً دعاءه ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿فَإِذَا جَآءَ

قوله: (حالة جنون) أي: ففعلة مستعملة في الهيئة على حد قوله:

وفعله لهيئة كجلسة

اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فتربصوا به﴾ الخ عبارة البيضاوي: فتربصوا به فتحملوه وانتظروه حتى حين لعله يفيق من جنونه اهـ.

وفي الكرخي: ﴿فتربصوا به﴾ انتظروه إلى زمن موته هذا كلام مستأنف، وهو أن يقول بعضهم لبعض: اصبروا فإنه إن كان نبياً حقاً فالله ينصره ويقوي أمره فنتبعه حينئذ، وإن كان كاذباً فالله يخذله ويبطل أمره فحينئذ نستريح منه، ويحتمل أن يكون متعلقاً بما قبله أي: أنه مجنون فاصبروا إلى زمان تظهر عاقبة أمره فيه فإن أفاق وإلاَّ فاقتلوه اهـ.

قوله: ﴿قال﴾ (نوح) ﴿رب انصرني﴾ أي قال ذلك بعد أن أيس من إيمانهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أن أصنع الفلك﴾ أن هي المفسرة لوقوعها بعد فعل فيه معنى القول وهو أوحى، فلا حاجة إلى جعلها مصدرية، وسكت الشيخ عن ذلك لأنه الظاهر المتبادر اهـ.

قوله: ﴿بأعيننا﴾ حال من الضمير المستكن في صنع، والباء للملابسة، وجمع الأعين للمبالغة، وإن كانت العادة أن الرائي له عينان فقط، وقوله: (وحفظنا) أي لك عن أن تخطىء في صنعها أو يفسدها عليك غيرك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ووحينا﴾ (أمرنا) أي: تعليمنا. فأوحى الله إلى جبريل فعلمه صنعتها وصنعها في عامين، وجعل طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وارتفاعها ثلاثين، وجعلها ثلاث طباق: السفلى للسباع والهوام، والوسطى للدواب والأنعام، والعليا للأنس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإذا جاء أمرنا﴾ الفاء لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك، والمراد بالأمر العذاب كما في قوله تعالى: ﴿قال لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ [هود: ٤٣] لا الأمر بالركوب، كما قيل: وبمجيئه كمال اقترابه. أي: ابتداء ظهوره إذا جاء أثر تمام الفلك عذابنا. وقوله: ﴿وفار التنور﴾ عطف بيان لمجيء الأمر. روي أنه قيل له عليه السلام: إذ فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك، وكان تنور آدم عليه السلام فصار إلى نوح، فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا، واختلف في مكانه فقيل: كان بمسجد الكوفة أي في موضعه على يمين الداخل مما يلي باب كندة اليوم، وقيل: كان في عين وردة من الشام وقد مرَّ تفسيره في سورة هود اهـ أبو السعود.

وكان ذلك التنور من حجر كانت تخبز فيه حواء فتوارثوه حتى وصل إلى نوح اهـ شيخنا.

﴿أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أي أدخل في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ أي ذكر وأنثى من كل أنواعهما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى وهو مفعول ومن متعلقة بأسلك، وفي القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة، وفي قراءة كل بالتنوين فزوجين مفعول واثنين تأكيد له ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة، وفي سورة هود ﴿ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾ قيل كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل جميع من كانوا في السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ الكافرين وإهلاكهم ﴿وَقُل﴾ عند نزولك من

قوله: (علامة لنوح) أي علامة على ركوب السفينة. قوله: ﴿من كل زوجين﴾ أي: غير البشر، وإلا فسيأتي أنه أدخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين، فأدخل من هذا النوع زيادة على اثنين اهـ شيخنا.

قوله: (وغيرهما) أي: من كل ما يلد أو يبيض، بخلاف ما يتولد من العفونات كالدود والبق فلم يحمله فيها اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية. وقوله: (فزوجين) مفعول أي: لأنه حذف ما أضيف إليه كل وجعل التنوين عوضاً منه اهـ كرخي.

قوله: (أي زوجته) أي المؤمنة، فكان له زوجتان: إحداهما مؤمنة فأركبها معه، والأخرى كافرة تركها وهي أم ولده كنعان. قوله: ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ أي: القول من الله تعالى أي الوعد الأزلي بالإهلاك اهـ.

قوله: (وهو زوجته) أي: الكافرة. قوله: (بخلاف سام) هو أبو العرب، وحام هو أبو السودان، ويافث هو أبو الترك اهـ شيخنا.

قوله: (قيل كانوا ستة رجال الخ) أي: فالجملة اثنا عشر. قوله: (بترك إهلاكهم) متعلق بتخاطبني اهـ.

قوله: ﴿إنهم مغرقون﴾ أي: محكوم عليهم بالغرق.

قوله: ﴿فقل الحمد لله﴾ الخ جواب إذا الشرطية، وكان الظاهر أن يقال فقولوا أي أنت ومن معك، وإنما أفرد نوحاً بالأمر بالدعاء المذكور إظهاراً لفضله وإشعاراً بأن في دعائه مندوحة من دعائهم اهـ من البيضاوي.

قوله: (وإهلاكهم) أي ونجانا من إهلاكهم فلم نهلك معهم اهـ شيخنا.

الفلك ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا﴾ بضم الميم وفتح الزاي مصدر أو اسم مكان وبفتح الميم وكسر الزاي مكان النزول ﴿مُّبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ما ذكر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ دلالات على قدرة الله تعالى ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ قوماً ﴿ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ هم عاد ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هوداً ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا

قوله: (بضم الميم الخ) قراءتان سبعيتان، وصنيعه يوهم أن الوجهين إنما هما على القراءة الأولى، وأنه على الثانية يتعين أن يكون اسم مكان وليس كذلك، بل على كل من الضم والفتح يحتمل الوجهين اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿منزلاً مباركاً﴾ قرأ أبو بكر بفتح الميم وكسر الزاي، والباقون بضم الميم وفتح الزاي، والمنزل والمنزل كل منهما يحتمل أن يكون اسم مصدر وهو الإنزال أو النزول، وأن يكون اسم مكان للنزول أو الإنزال إلا أن قياس مصدر الفعل المذكور هنا منزل بالضم والفتح، وأما الفتح والكسر فعلى نيابة مصدر الثلاثي مناب مصدر الرباعي كقوله: ﴿أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ [نوح: ١٧] وقد تقدم نظيره في مدخل ومدخل في سورة النساء اهـ.

قوله: ﴿مباركاً﴾ (ذلك الإنزال الخ) تفسير للضمير المستتر في مباركاً، والوجهان راجعان لكل من الضم والفتح. وقوله: (ما ذكر) مفعول للمنزلين وما ذكر إما المصدر أو المكان أي: المنزلين الإنزال المبارك أو المكان المبارك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ إن مخففة واللام فارقة، وقيل: إن نافية واللام بمعنى إلا اهـ سمين.

قوله: (مختبرين قوم نوح بإرساله) أي: هل يتبعوه. وقوله: (ووعظه)، أي: لتنظر هل يتعظون بوعظه اهـ.

قوله: (هم عاد) قبيلة أرسل إليها هود.

قوله: ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم﴾ إنما جعل القرن موضع الإرسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم، وإنما أوحي إليه وهو بين أظهرهم اهـ بيضاوي.

وقوله: إنما جعل القرن أي في قوله: ﴿فأرسلنا فيهم﴾ لأن ضميره للقرن، وقوله: موضع الإرسال أي: ظرفاً، فلذا عدى الإرسال بفي مع أنه في الأصل إنما يعدى بإلى اهـ زكريا.

فهو جواب عما يقال: إن أرسل يتعدى بإلى فلم عدى بفي هنا؟ فأجاب: بأنه إنما عدى لفي ليدل على ما ذكره، ومثل ذلك يقال في قوله: ﴿كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية من نذير﴾ [سبأ: ٣٤] كما أوضحه الكشاف اهـ.

قوله: (هوداً) حمله على هود دون صالح وقومه بقرينة بقية السور، حيث إن الذي يذكر عقب قوم نوح قوم هود. وحمله بعضهم على صالح وقومه بقرينة قوله في آخر القصة ﴿فأخذتهم الصيحة﴾

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ عقابه فتؤمنون ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي بالمصير إليها ﴿ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ ﴾ نعمناهم ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ﴿ وَ ﴾ الله ﴿ لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ ﴾ فيه قسم وشرط، والجواب لأولهما وهو مغنٍ عن جواب الثاني ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا ﴾ أي إذا أطعتموه ﴿ لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ أي مغبونون ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ

[الحجر: ٧٣] ويمكن أن يقال المراد بالصيحة مطلق العذاب فيشمل الريح، أو المراد بالصيحة صيحة الريح أي صوته الشديد كما سيأتي في سورة الحاقة أن الريح الصرصر شديدة الصوت اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وعلى الأول ابن عباس وأكثر المفسرين ويشهد له قوله هود: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ [الأعراف: ٦٩] ومجيء قصة هود على أثر قصة نوح في الأعراف وهود والشعراء اهـ.

قوله: ﴿أن اعبدوا الله﴾ يجوز أن تكون مصدرية كما قال الجلال أي: أرسلناه بأن اعبدوا أي بقوله اعبدوا، ويجوز أن تكون مفسرة لأرسلنا أي: قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله اهـ بيضاوي.

وشرط أن المفسرة أن يتقدمها ما فيه معنى القول دون حروفه وإرسال الرسل لما كان للتبليغ كان كذلك، وإليه أشار بقوله: أي قلنا اهـ سمين.

قوله: ﴿وقال الملأ﴾ الخ أتى هنا بالواو إشارة إلى عطف كلامهم الباطل على كلامه الحق فأتى بالواو إشارة إلى تباين الاخبارين، وأما في سورة الأعراف فوقع في جواب سؤال مقدر فتركت الواو اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما هذا إلا بشر﴾ الخ هذه شبهة أولى تنتهي عند قوله لخاسرون، والشبهة الثانية إنكارهم البعث وتنتهي عند قوله بمبعوثين، ولم يجب عن الشبهتين لظهور فسادهما وركاكتهما، ثم إنهم بنوا على هاتين الشبهتين إنكارهم البعث والطعن في رسالته بقولهم: ﴿إن هو إلا رجل افترى﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يأكل مما تأكلون منه﴾ تقرير للتنافي بين البشرية والرسالة الذي ادعوه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويشرب مما تشربون﴾ أي منه فحذف العائد لاستكمال شروطه وهي اتحاد الحرف والمتعلق وعدم قيامه قيام مرفوع وعدم ضمير آخر هذا إذ جعلناها بمعنى الذي، فإن جعلناها مصدراً لم نحتج إلى عائد، ويكون المصدر واقعاً موقع المفعول أي من مشروبكم اهـ كرخي.

قوله: (والجواب لأولهما) ولا يصلح أن يكون جواباً للثاني وهو الشرط، إذ لو كان كذلك لقرن بالفاء لأنه جملة إسمية وهذا من قبيل قوله:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت

اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنكم إذاً﴾ الخ الكاف اسم إن، وخاسرون خبرها، واللام لام الابتداء زحلقت للخبر،

تُرَابًا وَعِظَمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ هو خبر إنكم الأولى، وإنكم الثاني تأكيد لها لما طال الفصل ﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر أي بعد بعد ﴿ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ من الإخراج من

وإذا واقع بين اسم إن وخبرها لتأكيد مضمون الشرط اهـ أبو السعود.

وقوله: لتأكيد مضمون الشرط يعلم منه أن إذا بمعنى إن الشرطية، وإن التنوين المتصل بها عوض عن جملة الشرط، ولذا قدرها الشارح بقوله: أي أن أطعتموه، وحينئذ فلا جواب لها لأنها إنما ذكرت توكيداً لما قبلها توكيداً لفظياً من قبيل إعادة الشيء بمرادفه. وعبارة الكرخي: **قوله: (أي إن أطعتموه الخ)** أشار به إلى أن إذاً هذه ليست هي الناصبة للمضارع، وإنما هي إذا الشرطية حذفت جملتها التي تضاف إليها وعوض عنها التنوين كما يومئذ، ولهذا لا يختص دخولها على المضارع بل تدخل على الماضي وعلى الاسم كقوله: ﴿وإذاً لآتيناهم﴾ [النساء: ٦٧] ﴿وإنكم إذاً لمن المقربين﴾ [الشعراء: ٤٢]، قاله الحافظ السيوطي في كتابه الاتقان اهـ.

قوله: (أي مغبونون) أي: مغلوبون في رأيكم.

قوله: ﴿أيعدكم﴾ الخ استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه بإنكار وقوع ما يدعوهم إلى الإيمان به واستبعاده اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿عظاماً﴾ أي: مجردة عن اللحوم والأعصاب. **وقوله: ﴿إنكم مخرجون﴾** أي: من الأجداث أو من العدم إلى الوجود تارة أخرى اهـ بيضاوي.

قوله: (هو) أي: مخرجون خبر أنكم الخ، وإذا متم الخ ظرف له، **وقوله: (لما طال الفصل)** أي بين اسمها وهو الكاف وخبرها وهو مخرجون، وأنكم الثانية لا عمل لها لأنها تأكيد لفظي اهـ شيخنا.

وهذا الإعراب أحد أوجه ذكرها السمين، وعبارة أنكم إذا متم الخ فيه أوجه، أحدها: أن اسم أن الأولى مضاف لضمير الخطاب حذف وأقيم المضاف إليه مقامه، والخبر قوله: ﴿إذا متم﴾ وأنكم مخرجون تكرير لأن الأولى للتأكيد والدلالة على المحذوف، والمعنى: أن إخراجكم إذا متم وكنتم. الثاني: أن خبر أن الأولى هو مخرجون وهو العامل في إذا، وكررت الثانية توكيداً لما طال الفصل، وإليه ذهب الجرمي، والمبرد، والفراء. والثالث: أن خبر الأولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه، تقديره: إنكم تبعثون وهو العامل في الظرف، وإن الثانية وما في حيزها بدل من الأولى، وهذا مذهب سيبويه. والرابع: أن يكون أنكم مخرجون مبتدأ وخبره الظرف مقدماً عليه، والجملة خبر عن أنكم الأولى، والتقدير: أيعدكم أنكم إخراجكم كائن أو مستقر وقت موتكم، ولا يجوز أن يكون العامل في إذاً مخرجون على كل قول، لأن ما في حيز أن لا يعمل فيما قبلها ولا يعمل فيها متم لأنه مضاف إليه، وإنكم وما في حيزه في محل نصب أو جر بعد حذف الحرف، إذ الأصل أيعدكم بأنكم، ويجوز أن لا يقدر حرف جر فيكون في محل نصب فقط نحو: وعدت زيداً خيراً اهـ.

قوله: (اسم فعل ماض) والغالب في الاستعمال أن تستعمل هذه الكلمة مكررة، والثانية توكيد لفظي للأولى، واسم الفعل فيه الخلاف المشهور من أنه اسم للفظ الفعل أي: اسم مدلوله لفظ الفعل، أو من أنه اسم للمصدر أي: اسم مدلوله لفظ المصدر، فقوله: اسم فعل ماض يناسب القول الأول،

القبور، واللام زائدة للبيان ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا

وقوله: (بمعنى مصدر) يناسب الثاني ففي كلامه تلفيق، **وقوله: (أي بعد بعد)** إما أن يقرأ بلفظ الفعل إن جعل تفسيراً للفعل الماضي، أو بلفظ المصدر إن جعل تفسيراً للمصدر، **وقوله: (واللام زائدة الخ)** وقع في كلامه تلفيق أيضاً لأنه قيل: إن اللام زائدة ومدخولها هو الفاعل، وقيل: إنها للبيان متعلقة بمحذوف، والفاعل أي: فاعل هيهات ضمير مستتر فيه أي: هيهات وقوع وحصول خروجنا من القبور، وقد بين بقوله: ﴿لما توعدون﴾. والمراد به الخروج من القبور اهـ شيخنا.

وكون مدخول اللام هو الفاعل محله إن جعل هيهات بمعنى فعل ماض، فإن جعل بمعنى المصدر فيكون مبتدأ ولما توعدون خبره، ولفظ البيضاوي وقيل: هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون اهـ.

وعبارة السمين: **قوله: ﴿هيهات هيهات﴾** هي اسم فعل معناه بعد وكرر للتوكيد وليست المسألة من التنازع، وفسره الزجاج في ظاهر عبارته بالمصدر فقال: البعد لما توعدون، وهيهات اسم لفعل قاصر يرفع الفاعل، وهنا قد جاء ما ظاهره أنه الفاعل مجروراً باللام، فمنهم من جعله على ظاهره وقال لما توعدون فاعل به وزيدت فيه اللام، ومنهم من جعل الفاعل مضمراً لدلالة الكلام عليه تقديره: بعد إخراجكم ولما توعدون اللام فيه للبيان، وهيهات الثاني تأكيد للأول تأكيداً لفظياً، وقد جاء غير مؤكد في كلامهم. وفي هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين، وأذكر هنا مشهورها وما قرىء به، فالمشهور هيهات بفتح التاء من غير تنوين بني لوقوعه موقع المبني أو لشبهه بالحرف، وبها قرأ العامة وهي لغة الحجازيين. وهيهاتاً بالفتح والتنوين وبها قرأ أبو عمر، وفي رواية هارون عنه، ونسبها ابن عطية لخالد بن إلياس. وهيهات بالضم والتنوين، وبها قرأ أبو حيوة الشامي، وبالضم من غير تنوين، ويروى عن أبي حيوة أيضاً فعنه فيها وجهان وافقه أبو السماك في الأول دون الثاني. وهيهات بالكسر والتنوين وبها قرأ عيسى، وخالد بن الياس. وبالكسر من غير تنوين وهي قراءة أبي جعفر وشيبة، وتروى عن عيسى أيضاً، وهي لغة تميم وأسد. وهيهات بإسكان التاء وبها قرأ عيسى أيضاً وخارجة عن أبي عمرو والأعرج. وهيهاه بالهاء آخراً وصلاً ووقفاً، وأيهات بإبدال الهاء همزة مع فتح التاء، وبهاتين قرأ بعض القراء فيما نقل أبو البقاء، فهذه تسع لغات، وقد قرىء بهن ولم يتواتر منهن غير الأولى. ويجوز إبدال الهمزة من الهاء الأولى في جميع ما تقدم فيكمل بذلك ست عشر لغة، وإيهان بالنون آخراً، وإيهاً بالألف آخراً وقد رسمت في المصحف بالهاء، واختلف القراء في الوقف عليها، فمنهم من اتبع الرسل فوقف بالهاء، وهما الكسائي، والبزي عن ابن كثير، ومنهم من وقف بالتاء وهم الباقون. وقرأ ابن أبي عبلة هيهات هيهات ما توعدون من غير لام جر، وهي قراءة واضحة مؤيدة لمدعي زيادتها في قراءة العامة، وما في لما توعدون تحتمل المصدرية أي: لوعدكم وأن تكون بمعنى الذي، والعائد محذوف أي توعدونه اهـ.

قوله: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ أصله إن الحياة إلا حياتنا فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذراً من التكرر وإشعاراً بإغنائها عن التصريح، كما في هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أي ما الرسول ﴿ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ أي مصدقين في البعث بعد الموت ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾ من الزمان، وما زائدة ﴿ لَّيُصْبِحُنَّ ﴾ ليصيرن ﴿ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ على كفرهم وتكذيبهم ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ فماتوا ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ وهو نبت يبس، أي صيرناهم مثله في اليبس ﴿ فَبُعْدًا ﴾ من الرحمة ﴿ لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ المكذبين ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا ﴾ أقواماً

تقول ما شاءت، وحيث كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت إن النافية بمنزلة لا النافية للجنس اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿نموت ونحيا﴾ جملة مفسرة لما أدعوه من أن حياتهم هي الحياة الدنيا أي: يموت بعضنا وينقرض بعضنا إلى انقراض العصر اهـ أبو السعود.

قوله: (بحياة أبنائنا) جواب عما يقال إن في قولهم ونحيا اعترافاً بالبعث مع أنهم ينكرونه، فأجاب بأن المراد بقولهم ونحيا أي: يحيا بعدنا أبناؤنا، أي: نموت وتخلفنا أبناؤنا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عما قليل﴾ في هذا الجار ثلاثة أوجه، أحدها: أنه متعلق بقوله: ﴿ليصبحن نادمين﴾ أي: ليصبحن عن زمن قليل نادمين. الثاني: أنه متعلق بنادمين. الثالث: أنه متعلق بمحذوف تقديره عما قليل ننصره فحذف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله: ﴿رب انصرني﴾ اهـ سمين. وعن بمعنى بعد اهـ شيخنا.

قوله: (كائنة) ﴿بالحق﴾ أشار إلى أن قوله: ﴿بالحق﴾ حال من الصيحة متعلق بمحذوف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿غثاء﴾ مفعول ثان لجعلنا، ويجمع على أغثية كغراب، وأغربة، وعلى غثيان كغراب وغربان اهـ شيخنا.

وفي السمين: غثاء مفعول ثان للجعل بمعنى التصيير، والغثاء قيل: هو الجفاء، وقد تقدم في الرعد. وقال الزجاج: هو البالي من ورق الشجر إذا جرى السيل فخالط زبده، وقيل: كل ما يلقيه السيل والقدر مما لا ينتفع به، وبه يضرب المثل في ذلك ولامه واو لأنه من غثا الوادي يغثو غثواً، وكذلك غثت القدر. وأما غثيت نفسه تغثى غثياناً أي: خبثت فهو قريب من معناه، ولكنه من مادة الياء وتشدد ثاء الغثاء وتخفف، وقد جمع على أغثاء وهو شاذ بل كان قياسه أن يجمع على أغثية كأغربة، أو على غثيان كغربان وغلمان اهـ.

قوله: (وهو نبت يبس) أي: نبت اتصف بأنه يبس بعد أن كان أخضر، وكان الأوضح أن يقول: وهو العشب إذا يبس كما يؤخذ من كلامه في سورة الأعلى اهـ.

قوله: ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾ بعداً مصدر يذكر بدلاً من اللفظ بفعله فناصبه واجب الإضمار لأنه بمعنى الدعاء، والأصل بعدوا بعداً. وفي هذه اللام قولان، أحدهما: وهو الظاهر أنها متعلقة بمحذوف للبيان كهي في سقياً له وجدعاً له، قاله الزمخشري. والثاني: أنها متعلقة ببعداً. قال

﴿ءَاخَرِينَ ۝٤٢﴾ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تموت قبله ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٤٣﴾ عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ بالتنوين وعدمه أي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل ﴿كُلَّ مَا

الحوفي: وهذا مردود لأنه لا يحفظ حذف هذه اللام ووصول المصدر إلى مجرورها البتة، ولذلك منعوا الاشتغال في قوله: ﴿والذين كفروا فتعساً لهم﴾ [محمد: ٨] لأن اللام لا تتعلق بتعساً بل بمحذوف، وإن كان الزمخشري جوز ذلك اهـ سمين.

وفي أبي السعود: فبعداً للقوم الظالمين إخباراً ودعاء، وبعداً من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها، والمعنى بعدوا بعداً أي أهلكوا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل اهـ.

قوله: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً﴾ أي: مع رسلهم، وقوله: (أقواماً) كقوم لوط وشعيب ويونس وأيوب اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: أقواماً أي: أمماً آخرين كبني إسرائيل كان فيهم الرسل قبل موسى اهـ.

قوله: ﴿من أمة﴾ من زائدة في الفاعل. قوله: (بعد تأنيثه) أي: في قوله أجلها الراجع إلى أمة، وقوله: (رعاية للمعنى) أي: لأن أمة بمعنى قوم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تترى﴾ التاء مبدلة من الواو، وأصله وتراً والتتر المتابعة مع مهلة، فلذلك قال بين كل اثنين الخ. فإن كانت بدونها قيل لها مداركة ومواصلة كما في القاموس، وهذا مصدر كشبعي ودعوى فألفه للتأنيث وهو منصوب على الحالية، فلذلك أوله بقوله: (أي متتابعين الخ) اهـ شيخنا.

وفي السمين: تترى فيه وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أنه منصوب على الحال من رسلنا بمعنى متواترين أي: واحداً بعد واحد أو متتابعين على حسب الخلاف في معناه كما سيأتي، وحقيقته أنه مصدر واقع موقع الحال. والثاني: أنه نعت مصدر محذوف تقديره إرسالاً تترى أي متتابعاً، أو إرسالاً أثر إرسال، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وهي قراءة الشافعي تترى بالتنوين، وباقي السبعة تترى بألف صريحة دون تنوين، وهذه هي اللغة المشهورة. فمن نون فله وجهان، أحدهما: أن وزن الكلمة فعل كفلس فقوله: تترى كقولك نصرته نصراً وقد ردّ هذا الوجه بأنه لم يحفظ جريان حركات الإعراب على رائه فلا يقال: هذا تتر، ومررت بتتر نحو: هذا نصر ورأيت نصراً ومررت بنصر، فلما لم يحفظ ذلك وجب أن يكون وزنه فعلى. الثاني: أن ألفه للإلحاق بجعفر كهي في أرطى وعلقى فوزنه فعلى كسكرى فلما نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين، وهذا أقرب مما قبله. ومن لم ينون فله فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن الألف بدل من التنوين في حالة الوقف. والثاني: أنها للإلحاق كأرطى وعلقى. والثالث: أنها للتأنيث كدعوى وهي واضحة. واختلف في تترى هل هو مصدر كدعوى وذكرى أو اسم جمع كأسرى وشتى كذا قالهما الشيخ، وفيه نظر إذ المشهور أن أسرى وشتى جمعا تكسير لا أسماء جمع، وتاؤها في الأصل واو لأنها من الوتر أو من المواترة، فقلبت الواو تاء كما قلبت تاء في تخمة وتراث وتجاه. واختلفوا في مدلولها فعن الأصمعي واحداً بعد واحد وبينهما مهلة، وقال غيره: هو من المواترة وهي التتابع بغير مهلة، وقال الراغب: والتواتر تتابع الشيء وتراً وفرادى قال تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ اهـ.

﴿جَآءَ أُمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو ﴿رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ حجة بينة وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بها وبالله ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ قاهرين بني إسرائيل بالظلم ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ مطيعون خاضعون ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ به من الضلالة، وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه

قوله: (وتسهيل الثانية بينها وبين الواو) أي: بأن تتعلق بها متوسطة بينها أي الهمزة وبين الواو اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به عجباً وتسلياً ومسامرة، أو جمع حديث على غير قياس. وفي السمين: قيل: هو جمع حديث ولكنه شاذ، وقيل: بل جمع أحدوثا كأضحوكة، وقال الأخفش: لا يقال ذلك إلا في الشر ولا يقال في الخير، وقد شذت العرب في ألفاظ فجمعوها على صيغة مفاعيل كأباطيل وأقاطيع، وقال الزمخشري: الأحاديث تكون اسم جمع للحديث، ومنه أحاديث رسول الله ﷺ، وأفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع وإنما ذكره أصحابنا فيما شذ من الجموع كقطيع وأقاطيع، وإذا كان عباديد قد حكموا عليه بأنه جمع تكسير مع أنهم لم يلفظوا له بواحد فأحرى أحاديث وقد لفظ له بواحد وهو حديث، فاتضح أنه جمع تكسير لا اسم جمع لما ذكرناه اهـ.

قوله: ﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾ بعداً منصوب بمحذوف أي: بعدوا بعداً وهذا دعاء عليهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بآياتنا﴾ الباء للملابسة أي حال كونهما ملتبسين بآياتنا اهـ.

قوله: ﴿وسلطان مبين﴾ السلطان هو الآيات وإنما العطف لإفادة تعدد الاسم، فلذلك أخّر الشارح التفسير عنهما بقوله حجة بينة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لبشرين﴾ البشر يقع على الواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث، قال تعالى: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ [هود: ٢٧] وقد يطابق ومنه هذه الآية، وأما إفراد مثلنا فلأنه يجري مجرى المصادر في الإفراد والتذكير ولا يؤنث أصلاً، وقد يطابق ما هو له تثنية كقوله: ﴿يرونهم مثليهم رأي العين﴾ [آل عمران: ١٣] وجمعاً كقوله: ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: ٣٨] قيل: أريد المماثلة في البشرية لا الكمية، وقيل: اكتفى بالواحد عن الاثنين اهـ سمين.

قوله: ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ الواو للحال.

قوله: (أي قومه بني إسرائيل الخ) أشار إلى أن ضمير الترجي راجع لقوم موسى لا لفرعون وقومه، فإن التوراة إنما أوتيها موسى بعد هلاك فرعون وقومه كما قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى

جملة واحدة ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عيسى ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة ولادته من غير فحل ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع وهو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين أقوال ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ ۞﴾ أي ماء جار ظاهر تراه العيون ﴿يَٰٓأَيُّهَا

الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ [القصص: ٤٣] أي: فلا يصح رجوع الضمير إلى فرعون وقومه كما قيل به اهـ كرخي.

وإلى ذلك أشار الشارح بقوله: (وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه) اهـ.

قوله: (جملة واحدة) يحتمل أن يكون راجعاً لقوله: (وأوتيها)، وأن يكون راجعاً لهلاك فرعون وقومه، والظاهر من صنيعه الثاني وإلاَّ لقدمه اهـ شيخنا.

قوله: (لأن الآية فيهما واحدة) وذلك لأن ولادته من غير فحل أمر خارق للعادة وينسب لها وله، فيقال: ولدته من غير فحل، وولد هو من غير فحل اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (ولادته من غير فحل) أي فاشتركا جميعاً في هذا الأمر العجيب الخارق للعادة، وذلك لأن نفس المعجز ظهر فيهما لا أنه ظهر على يديهما، لأن الولادة فيه وفيهما بخلاف الآيات التي ظهرت على يده اهـ.

قوله: ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ أي: أسكناهما وأنزلناهما في ربوة أي أوصلناهما إلى ربوة، وسبب ذلك أن ملك ذلك الزمان كان أراد أن يقتل عيسى فهربت به أمه إلى تلك الربوة، ومكث بها ثنتي عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك اهـ من الخطيب.

والربوة بفتح الراء وضمها قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: (وهو بيت المقدس) هو أعلى مكان من الأرض، فيزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلاً فهو أقرب بقاع الأرض إلى السماء اهـ شيخنا.

قوله: (أو فلسطين) أو مصر كما حكاه الخازن والبيضاوي. قوله: ﴿ومعين﴾ اسم مفعول من عان يعين كباع يبيع فهو معين كمبيع فالميم زائدة، وأصله معيون كمبيوع دخله الاعلال اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿ومعين﴾ صفة لموصوف محذوف أي وما معين، وفيه قولان، أحدهما: أن ميمه زائدة وأصله معيون أي مبصر بالعين فأعل إعلال مبيع وبابه، وهو مثل قولهم: كبدته أي ضربت كبده، ورأسته أي أصبت رأسه، وعنته أي أدركته بعيني، ولذلك أدخله الخليل في مادة ع ي ن. والثاني: أن الميم أصلية ووزنه فعيل مشتق من المعنى. واختلف في المعنى فقيل: هو الشيء القليل ومنه الماعون، وقيل: هو من معن الشيء معانة أي كثر، وقال الراغب: هو من معن الماء جرى، وسمي مجرى الماء معيان، وأمعن الفرس تباعد في عدوه، وأمعن بحقي ذهب به، وفلان معن في حاجته يعني سريع. قلت: وهذا كله راجع إلى معنى الجري والسرعة اهـ.

قوله: (تراه العيون) يقال: عانه إذا أدركه وأبصره بعينيه اهـ شيخنا.

﴿ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ من فرض ونفل ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ فأجازيكم عليه ﴿وَ﴾ اعلموا ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حال لازمة، وفي قراءة بتخفيف النون، وفي أخرى بكسرها

قوله: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ نداء وخطاب لجميع الأنبياء لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة، بل على أن كلاً منهم خوطب به في زمانه، فيدخل تحته عيسى دخولاً أولياً، فهذا حكاية لرسول الله ﷺ على وجه الإجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها أثر حكاية إيواء عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه إلى الربوة إيذاناً بأن ترتيب مباديء التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام، بل إباحة الطعام شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به أي: وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحاً، فعبَّر عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية إجمالاً للإيجاز، وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبان من رفض الطيبات ما لا يخفى اهـ من البيضاوي وأبي السعود.

ويعلم من قوله: فهذا حكاية لرسول الله الخ أن الكلام يحتاج لبعض تقدير، فالمعنى: نخبرك يا محمد أنا أمرنا الرسل المتقدمين وقلنا لهم: يا أيها الرسل الخ أشار له الشهاب.

قوله: (الحلالات) أي: سواء كانت مستلذة أو لا. قوله: ﴿إني بما تعملون عليم﴾ تخويف للرسل والمقصود أممهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿و﴾ (اعلموا) ﴿أن هذه أمتكم﴾ الخ هذا خطاب للرسل فهو معطوف على كلوا وما بعده، وقوله: (أي ملة الإسلام) فيها إيهام أن المخاطب هو هذه الأمة، فلو قال: أي ملتكم وشريعتكم لكان أحسن، وحينئذ يراد بملة الإسلام في كلامه الأحكام التي اتفقت عليها الشرائع وهي الاعتقادات اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: وأن هذه استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان أن ملة الإسلام والتوحيد مما أمر به كافة الرسل والأمم، وإنما أشير إليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد، وانتظامها بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة اهـ.

قوله: ﴿وأن هذه أمتكم﴾ أشار الشارح إلى أنها مفتوحة معمولة لمحذوف، وسيأتي له التنبيه على القراءتين الأخريين، والثلاث سبعية وهذه اسمها، وأمتكم خبرها، وأمة حال لازمة وواحدة صفة لازمة وإن كان صنيع الشارح يوهم خلاف هذا. وهذا الإعراب على كل من قراءتي التشديد، وأما على قراءة التخفيف فاسمها ضمير الشأن وهي بحالها معمولة للمحذوف وهذه مبتدأ وبقية الإعراب بحاله، وكما تطلق الأمة على الجماعة تطلق على دينها، فلذلك فسرها الشارح بملة الإسلام، والمراد بها العقائد إذ هي التي اتحدت في كل الشرائع. أما الأحكام الفرعية؛ فقد اختلفت باختلاف الشرائع اهـ شيخنا.

مشددة استئنافاً ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ فاحذرون ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ أي الأتباع ﴿أَمْرَهُم﴾ دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ حال من فاعل تقطعوا أي أحزاباً متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي عندهم من الدين ﴿فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ مسرورون ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي اترك كفار مكة ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤﴾ أي حين موتهم ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ نعطيهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥﴾ في الدنيا

قوله: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي: أمر دينهم وجعلوه أدياناً مختلفة، أو فتفرقوا وتحزبوا اهـ بيضاوي.

فصاروا فرقاً يهوداً ونصارى ومجوساً وغير ذلك من الأديان المخالفة اهـ خازن.

قوله: (أي الأتباع) أي: المدلول عليهم بالأمة إذ الأمة بمعنى الشريعة تستلزم أتباعاً للرسل يكلفون بالشريعة أشار له البيضاوي حيث قال: والضمير لما دل عليه الأمة من أربابها اهـ.

قوله: ﴿زبرا﴾ جمع زبور بمعنى فريق اهـ بيضاوي.

أو جمع زبرة بمعنى القطعة، أي: الطائفة من الناس، وهي مثل غرفة فتجمع على زبر بالضم كما هنا، وعلى زبر بالفتح كما في الكهف فلها جمعان كما في القاموس، وقيل: معنى زبراً كتباً أي: تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب اهـ خطيب.

قوله: (وغيرهم) في نسخة وغيرهما. قوله: (مسرورون) أي: لاعتقادهم أنهم على الحق اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فذرهم﴾ الخطاب لمحمد ﷺ، والضمير لكفار مكة كما أشار له الشارح، أي: فلما وعظتهم وبينت لهم حال الأمم الماضية فلم يعتبروا بهم اتركهم في غمرتهم اهـ شيخنا.

وعبارة الخطيب: فذرهم خطاب للنبي ﷺ. أي: اترك كفار مكة في غمرتهم، أي: ضلالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لأنهم يغمرون فيها حتى حين. أي: إلى أن يقتلوا أو يموتوا. سلّى رسول الله ﷺ بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره اهـ.

قوله: ﴿في غمرتهم﴾ مفعول ثان لذرهم، أي: أتركهم مستقرين في غمرتهم، ويجوز أن يكون ظرفاً للترك، والمفعول الثاني محذوف. والغمرة في الأصل الماء الذي يغمر القامة، والغمر أيضاً الذي يغمر الأرض، ثم استعير ذلك للجهالة فقيل: فلان في غمرة، والمادة تدل على الغطاء والاستتار، ومنه الغمر بالضم لمن لم يجرب الأمور، والغمر بالكسر الحقد لأنه يغطي القلب، والغمرات: الشدائد، والغامر الذي يلقي نفسه في المهالك اهـ سمين.

قوله: ﴿إنما نمدهم﴾ ما موصولة بدليل بيانها بقوله: ﴿من مال وبنين﴾ فكان حقها أن تكتب مفصولة من النون، لكن جاءت هنا موصولة اتباعاً لرسم المصحف الإمام وهي اسم أن، وخبرها جملة نسارع لهم، والرابط مقدر أي به اهـ شيخنا.

وفي السمين: ما هذه بمعنى الذي وهي اسم أن، ونمدهم به صلتها، وعائدها من مال حال من

﴿ نُسَارِعُ ﴾ نعجل ﴿ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ ﴾ لا ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ أن ذلك استدراج لهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم ﴾ خوفهم منه ﴿ مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ خائفون من عذابه ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ يصدقون ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ معه غيره ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ ﴾ يعطون ﴿ مَآ ءَاتَوا۟ ﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ يقدر قبله لام الجر

الموصول أو بيان له فيتعلق بمحذوف، ونسارع خبر أن، والعائد من هذه الجملة إلى اسم أن محذوف تقديره: نسارع لهم به أو فيه، إلا أن حذف مثله قليل، وقيل: الرابط بين هذه الجملة باسم أن هو الظاهر الذي قام مقام المضمر من قوله: ﴿في الخيرات﴾، إذ الأصل نسارع لهم فيه، فأوقع الخيرات موقعه تعظيماً وتنبيهاً على كون من الخيرات، وهذا يتمشى على مذهب الأخفش، إذ يرى الربط بالأسماء الظاهرة وإن تكن بلفظ الأول، فيجيز زيد الذي قام أبو عبد الله إذا كان أبو عبد الله كنية زيد وتقدمت منه أمثلة اهـ سمين.

قوله: (نعطيهم) أي: ونجعله مدداً لهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بل لا يشعرون﴾ إضراب انتقالي على الحسبان المستفهم عنه استفهام تقريع اهـ زاده.

وعبارة أبي السعود: بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام، أي: كلاَّ لا تفعل ذلك بل لا يشعرون بشيء أصلاً، كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الإمداد استدراج لهم واستجرار إلى زيادة الإثم، وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات اهـ.

روي عن سعيد بن ميسرة أنه قال: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء أيفرح عبدي أن أبسط له الدنيا وهو أبعد له مني، ويحزن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب له مني اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن الذين هم﴾ الذين: اسم إن، وهم مبتدأ، ومشفقون خبره، ومن خشية ربهم متعلق بمشفقون، والمصدر مضاف لمفعوله كما أشار إليه الشارح، وكذا يقال في قوله: ﴿والذين هم بآيات ربهم﴾ ﴿والذين هم بربهم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (خائفون من عذابه) أي: ولو من غير فعل خطيئة، والإشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف، فالجمع بينهما ليس للتأكيد كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

وعبارة البيضاوي: أظهر في تقرير المغايرة ونصها: إن الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون اهـ.

أي: حذرون من أسباب العذاب اهـ.

قوله: ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ العامة على أنه من الإيتاء أي: يعطون ما أعطوا. وقرأت عائشة، وابن عباس، والحسن، والأعمش: يؤتون ما أتوا من الإتيان أي: يفعلون ما فعلوا من الطاعات اهـ سمين.

قوله: ﴿وقلوبهم وجلة﴾ هذه الجملة حال من فاعل يؤتون، فالواو للحال اهـ سمين.

قوله: (يقدر قبله لام الجر) أي: ويكون تعليلاً لقوله: ﴿وجلة﴾. وفي السمين: قوله: إنهم

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ في علم الله ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي طاقتها فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فليصلِّ جالساً ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل ﴿وَلَدَيْنَا﴾ أي عندنا ﴿كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾ أي النفوس العاملة ﴿لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٢﴾ شيئاً منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزاد في السيئات ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي الكفار ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ جهالة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ

يجوز أن يكون التقدير وجلة من أنهم أي: خائفة من رجوعهم إلى ربهم، ويجوز أن يكون التقدير لأنهم أي: سبب الوجل الرجوع إلى ربهم، وقرأ الأعمش إنهم بالكسر على الاستئناف فالوقف على وجلة تام أو كاف اهـ.

قوله: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ أي: يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها اهـ بيضاوي.

وهذه الجملة خبر عن إن الذين هم من خشية ربهم وما عطف عليه، فاسم إن أربع موصولات، وخبرها جملة أولئك الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهم لها سابقون﴾ في الضمير في لها ثلاثة أوجه، أظهرها: أنه يعود على الخيرات لتقدمها في اللفظ، وقيل: يعود على الجنة، وقيل: على السعادة. والظاهر أن سابقون هو الخبر ولها متعلق به قدم للفاصلة وللاختصاص، واللام قيل: بمعنى إلى. يقال: سبقت له وإليه بمعنى، ومفعول سابقون محذوف تقديره سابقون الناس إليها، وقيل: اللام للتعليل أي: سابقون الناس لأجلها، وتكون هذه الجملة مؤكدة للجملة قبلها وهي يسارعون في الخيرات، لأنها تفيد معنى آخر وهو الثبوت والاستقرار بعدما دلت الأولى على التجدد اهـ سمين.

وفي أبي السعود: واللام لتقوية العامل كما في قوله تعالى: ﴿هم لها عاملون﴾ أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا، وقيل: المراد بالخيرات الطاعات، والمعنى: يرغبون في الطاعات والعبادات أشد الرغبة وهم لأجلها فاعلون السبق أو لأجلها سابقون الناس، والأول هو الأولى اهـ.

قوله: ﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ أشار به إلى أن جميع ما وصف به السابقون من الخصال الأربع داخل في وسع الإنسان، وكذا كل ما كلف به عباده، وأن أعمال العباد كلها مثبتة في الكتاب فلا يضيع لعامل جزاء عمله اهـ زاده.

قوله: (أي عندنا) عندية رتبة واختصاص، وقوله: ﴿ينطق بالحق﴾ أي يبين الصدق، والمعنى قد أثبتنا عمل كل عامل في اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه اهـ خازن.

وقوله: (بما عملته) أي: النفس. قوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾ الجمع باعتبار عموم النفس لوقوعها في سياق النفي اهـ.

قوله: ﴿بل قلوبهم﴾ الخ هذا رجوع لأحوال الكفار المحكية فيما سبق بقوله: ﴿أيحسبون أنما

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ۝٦٣﴾ فيعذبون عليها ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ أي السيف يوم بدر ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ۝٦٤﴾ يضجون يقال لهم ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝٦٥﴾ لا تمنعون ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦﴾ ترجعون قهقرى ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِۦ﴾ أي بالبيت أو الحرم بأنهم أهله

نمدهم﴾ الخ. والجمل التي بينهما وهي قوله: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم﴾ إلى قوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾ اعتراض في خلال الكلام المتعلق بالكفار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولهم أعمال﴾ أي: سيئة. منها: إقامة إمائهم في الزنا. وقوله: (المذكور)، أي: بقوله فيما سبق: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم﴾ الخ. والمراد بالدون الغير أي: الضد، أي: أن لهم أعمالاً مضادة ومخالفة لأوصاف المؤمنين المذكورة اهـ.

وقوله: ﴿هم لها عاملون﴾ أي مستمرون عليها اهـ شيخنا.

قوله: (ابتدائية) أي: حرف تبتدأ بعده الجمل وقوله: ﴿إذا أخذنا مترفيهم﴾ إذا شرطية ظرفية لقوله: يجأرون، فهو اسم شرط خافض لشرطه منصوب بجوابه، وإذ الثانية حرف مفاجأة قائمة مقام فاء الجزاء في الربط، والجملة بعدها جواب إذا الأولى كأنه قيل: فهم يجأرون على حد قوله:

وتخلف الفاء إذا المفاجأة

اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿حتى إذا أخذنا﴾. حتى هذه إما حرف ابتداء، والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها، وإذا الثانية فجائية هي جواب الشرطية. وإما حرف جر عند بعضهم وقد تقدم تحقيقه غير مرة، وقال الحوفي: حتى غاية وهي عاطفة، وإذا ظرف مضاف لما بعده فيه معنى الشرط، وإذا الثانية في موضع الأولى ومعنى الكلام عامل في إذا اهـ.

قوله: (يضجون) أي: يصيحون كما في بعض النسخ. أي: يصرخون ويبتهلون ويستغيثون بربهم ويلتجئون إليه في كشف العذاب عنهم، ومع ذلك لا ينفعهم. ولذلك قيل: لا تجأروا اليوم الخ. وفي القاموس: جأر كمنع جأراً وجؤاراً رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث، والبقرة والثور صاحا، والنبات طال، والأرض طال نبتها، والجؤار من النبت الغض والكثير والرجل الضخم اهـ.

قوله: ﴿قد كانت آياتي﴾ الخ تعليل لما قبله. قوله: ﴿تنكصون﴾ من بابي جلس ودخل اهـ مختار.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: على أدباركم بدل على أعقابكم تنكصون بضم الكاف اهـ قرطبي.

قوله: (ترجعون قهقرى) أي: إلى جهة الخلف، وهذا أقبح المشيات، وهذا كناية عن إعراضهم عن الآيات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مستكبرين به﴾ الجار والمجرور متعلق بقوله: ﴿مستكبرين﴾، والباء سببية أو بسامراً،

في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَٰمِرًا﴾ حال أي جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ من الثلاثي تتركون القرآن، ومن الرباعي أي تقولون غير الحق في النبي والقرآن، قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟﴾ أصله يتدبروا فأدغمت التاء في الدال ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ أي القرآن الدال

والباء بمعنى في، والضمير للبيت أو للحرم، وشهرة استكبارهم وافتخارهم بأنهم قوامه أغنت عن سبق ذكره، والسامر: مأخوذ من السمر وهو سهر الليل، وقال الراغب: السامر الليل المظلم اهـ من السمين.

قوله: ﴿مستكبرين﴾ وقوله: ﴿سامراً﴾ وقوله: ﴿تهجرون﴾. الثلاثة أحوال إما مترادفة على الواو في تنكصون، أو متداخلة أي كل واحدة حال مما قبلها، فكان الأولى للشارح أن يؤخر قوله حال عن الثلاثة ويبدله بأحوال اهـ شيخنا.

قوله: (بأنهم أهله) أي: معتلين ومحتجين بأنهم الخ. وقوله: (بخلاف سائر الناس) أي: فهم خائفون اهـ.

قوله: (أي جماعة) أشار به إلى أن سامراً اسم جمع كحاج وحاضر وراكب وغائب اهـ شيخنا.

قوله: (من الثلاثي) أي: قرأ غير نافع بفتح ثم ضم مضارع هجر أي: من الهجران وهو الترك، أو من هجر هجراً هذى وتكلم بغير معقول لمرض أو لغيره، وقرأ نافع بضم التاء وكسر الجيم مضارع أهجر أهجاراً أفحش في كلامه. يقال: أهجر يهجر إهجاراً كأكرم يكرم إكراماً، واسم المصدر الهجر بضم الهاء وهو التكلم بالفحش، فلذلك قال: أي تقولون الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿تهجرون﴾ قرأ العامة بفتح التاء وضم الجيم، وهي تحتمل وجهين، أحدهما: أنها من الهجر بسكون الجيم وهو القطع والصد أي: تهجرون آيات الله ورسوله وتزهدون فيهما فلا تصلونهما. والثاني: أنها من الهجر بفتحهما وهو الهذيان، ويقال: هجر المريض هجراً أي: هذى فلا مفعول له. ونافع وابن محيصن بضم التاء وكسر الجيم من أهجر إهجاراً أي: أفحش في منطقه اهـ.

قوله: ﴿أفلم يدبروا القول﴾ الخ شروع في بيان أسباب حاملة لهم على سبق من قوله: ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ الخ. وذكر منها خمسة هذي الأربعة، والخامس قوله: ﴿أم تسألهم خرجاً الخ﴾ اهـ شيخنا.

وعبارة زاده: قوله: أفلم يدبروا القول الخ لما وصف حال الكفرة الذين فرقوا دينهم ردَّ عليهم بأن بيَّن أن إقدامهم على هذه الضلالة لا بد أن يكون لأحد أمور أربعة، أحدها: أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو القرآن المعجز. ثانيها: أن يعتقدوا أن بعثة الرسول أمر غريب لم تسمع ولم ترد عن الأمم السالفة، وليس كذلك لأنهم قد عرفوا بالتواتر أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم. ثالثها: أن لا يكونوا عالمين بأمانة مدعي الرسالة وصدقه قبل ادعائه للنبوة، وليس كذلك فإنهم قد عرفوا منه قبل ادعاء النبوة كونه في نهاية الأمانة والصدق، فكيف كذبوه بعد أن اتفقت كلمتهم على تسميته بالأمين الصادق؟ رابعها: أن يعتقدوا فيه الجنون فهو الذي حمله على ادعائه الرسالة، وهذا أيضاً فاسد لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل الناس اهـ.

على صدق النبي ﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومجيء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿جَاءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾ أي القرآن ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله تعالى عن ذلك ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي بالقرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾

وسيأتي خامس في قوله: ﴿أم تسألهم خرجاً﴾ اهـ.

قوله أيضاً: ﴿فلم يدبروا القول﴾ الهمزة داخلة على محذوف هو المعطوف عليه بالفاء أي: أفعلوا ما سبق فلم يدبروا القول، وقوله: أم جاءهم، وقوله: أم لم يعرفوا، وقوله: أم يقولون. أم في المواضع الثلاثة مقدرة ببل الانتقالية وهمزة الاستفهام التقريري على ما ذكره الشارح، والتقدير: بل أجاءهم، بل ألم يعرفوا، بل أيقولون الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما لم يأت اباءَهم الأولين﴾ ما: كناية عن بعثة الرسل كما أشار له الشارح. قوله: (الاستفهام) أي: المصرح به في الأول والذي في ضمن أم في الثلاثة الأخر، وقوله: فيه أي فيما ذكر من المواضع الأربعة، ثم بيَّنه بأمور أربعة على طبق ما في الآية على سبيل اللف والنشر المرتب بقوله: (من صدق النبي الخ)، وقوله: (وأن لا جنون به) معطوف على مدخول من البيانية فهو معطوف على صدق النبي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأكثرهم للحق﴾ أي: سواء القرآن وغيره كارهون فالحق هنا أعم من الأول، فلذلك أتى به مظهراً في مقام المضمر اهـ شيخنا.

وإنما قيد الحكم بالأكثر لأنه كان منهم من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه، أو لقلة فطنته وعدم فكرته لا لكراهة الحق اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ولو اتبع الحق﴾ الجمهور على كسر الواو لالتقاء الساكنين، وابن وثَّاب بضمها تشبيهاً بواو الضمير، كما كسرت واو الضمير تشبيهاً بها اهـ سمين.

قوله: ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ إضراب وانتقال عن قوله: ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾، أي: كيف يكرهون الحق مع أن القرآن أتاهم بتشريفهم وتعظيمهم، فاللائق بهم الانقياد اهـ شيخنا.

وحينئذ فالجملة الشرطية اعتراضية اهـ.

والعامة على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه، والمراد: أتتهم رسلنا. وقرأ أبو عمرو في رواية آتيناهم بالمد بمعنى أعطيناهم، فيحتمل أن يكون المفعول الثاني غير مذكور، ويحتمل أن يكون بذكرهم، والباء مزيدة فيه، وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر، وأبو عمرو أيضاً أتيتهم بتاء المتكلم وحده، والجحدري، وأبو رجاء أتيتهم بتاء الخطاب وهو الرسول عليه السلام، وعيسى

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ أجراً على ما جئتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿خَيْرٌ﴾ وفي قراءة خرجا في الموضعين وفي قراءة أخرى خراجاً فيهما ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴿٧٢﴾﴾ أفضل من أعطى وأجر ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴿٧٣﴾﴾ أي دين الإسلام ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي الطريق ﴿لَنَاكِبُونَ﴿٧٤﴾﴾ عادلون ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ أي جوع أصابهم بمكة سبع سنين ﴿لَّلَجُّوا﴾ تمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾

بذكراهم بألف التأنيث، وأبو قتادة نذكرهم بنون المتكلم المعظم نفسه مكان باء الجر مضارع ذكر المشدد ويكون نذكرهم جملة حالية اهـ سمين.

قوله: ﴿فهم عن ذكرهم﴾ أتى به مظهراً للتوكيد والتشنيع عليهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم تسألهم خرجاً﴾ راجع لقوله: ﴿أم يقولون به جنة﴾ فهو في المعنى معطوف عليه اهـ شيخنا.

وما بينهما وهو قوله: ﴿بل جاءهم بالحق﴾ إلى قوله: معرضون معترض في أثناء الكلام اهـ.

قوله: ﴿فخراج ربك خير﴾ تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار، أي: لا تسألهم ذلك فإن ما رزقك الله خير اهـ أبو السعود.

قوله: (أجره وثوابه) هذان في الآخرة، وقوله: ورزقه هذا في الدنيا، وهذه الأمور كالخراج المضروب الذي لا يترك من حيث تفضل الله تعالى بالتزامها للخلق فلا يتركها أبداً اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة خرجاً) أي جعلاً وعوضاً، والخراج أبلغ منه، لأن الأول يقال لما يدفع مرة ولا يجب تكراره، والثاني يقال للملتزم الذي يجب تكراره كخراج الأرض، فذكر الأول في جانب عوضهم، والثاني في جانب ما يعطيه الله، فهذا في غاية البلاغة، فالقراءة الأولى أبلغ الثلاثة، وأما على الثانية في كلام الشارح فيكون ذكر الثاني أي: ما يعطيه الله بلفظ الخرج دون الخراج اللائق للمشاكلة، وعلى الثالثة يكون ذكر الأول للمشاكلة، والقراءات الثلاث سبعية اهـ شيخنا.

قوله: (وأجر) يقال: أجر يأجر من بابي ضرب ونصر، ويقال: آجر بالمد ومعناهما أثاب، فقوله: وأجر يصح قراءته بالقصر وبالمد اهـ شيخنا.

وفي المختار: الأجر الثواب، وأجره الله من باب ضرب ونصر، وآجره بالمد مثله اهـ.

قوله: ﴿عن الصراط﴾ متعلق بناكبون، ولا تمنع لام الابتداء من ذلك على رأي قد تقدم تحقيقه. والنكوب والنكب: العدول والميل، ومنه النكباء للريح بين ريحين سميت بذلك لعدولها عن المهاب، ونكبت حوادث الدهر أي: هبت هبوب النكباء اهـ سمين.

وفي المصباح: نكب عن الطريق نكوباً من باب قعد ونكباً عدل ومال اهـ.

قوله: (عادلون) أي: زائغون ومائلون ومنحرفون اهـ.

قوله: ﴿ولو رحمناهم﴾ الخ الذي يظهر من هذا السياق أن هذه الآية واللتين بعدها مدنيات، فإن

ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ ۝٧٥﴾ يترددون ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ الجوع ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ تواضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ يرغبون إلى الله بالدعاء ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا﴾ صاحب ﴿عَذَابٍ

أصابتهم بالقحط إنما كانت بعد خروجه ﷺ من بينهم، ويدل له تفسير الشارح العذاب الشديد بقتلهم يوم بدر، وهذا إنما كان بعد الهجرة، ويدل له أيضاً أنهم أرسلوا له أبا سفيان يراجعه في أن يدعو لهم، ومجيء أبي سفيان له ﷺ في هذا الغرض إنما كان بالمدينة كما هو مصرح به في السير، وأشار له البيضاوي بقوله حكاية لما قاله أبو سفيان فقتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع على ما سيأتي تأمل.

قوله: (أي جوع أصابهم بمكة الخ). وذلك بسبب دعوة النبي ﷺ عليهم بقوله: «اللهم أشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسني يوسف» اهـ شيخنا.

روي أنهم قحطوا حتى أكلوا العلهز، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية اهـ بيضاوي.

والعلهز: بكسر العين والهاء وبينهما لام ساكنة شيء كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة قاله ابن الأثير اهـ زكريا وشهاب.

والعلهز أيضاً: القراد الضخم اهـ خطيب.

قوله: ﴿للجّوا﴾ جواب لو، وقد توالى فيه لامان، وفيه تضعيف لقول من قال: إن جوابها إذا نفي بلم ونحوها مما صدر فيه حرف النفي بلام أنه لا يجوز دخول اللام لو قلت: لو قام زيد لم يقم عمرو لم يجز. قال: لئلا يتوالى لامان، وهذا موجود في الإيجاب كهذه الآية، ولم يمتنع وإلاَّ فما الفرق بين النفي والإثبات في ذلك؟ واللجاج: التمادي في العناد في تعاطي الفعل المزجور عنه ومنه اللجة بالفتح لتردد الصوت، ولجة البحر لتردد أمواجه، ولجة الليل لتردد ظلامه، واللجلجة تردد الكلام اهـ سمين.

وفي المصباح: لجَّ في الأمر لججاً من باب تعب، ولجاجاً ولجاجة فهو لجوج ولجوجة مبالغة إذا لازم الشيء وواظبه ومن باب ضرب لغة اهـ.

قوله: ﴿يعمهون﴾ في المصباح: عمه في طغيانه عمهاً من باب تعب إذا تردد متحيراً، وتعامه مأخوذ من قولهم أرض عمهاء إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة فهو عمه وأعمه اهـ.

قوله: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ هذه الجملة تأكيد للشرطية قبلها اهـ.

قوله: ﴿فما استكانوا﴾ يقال: استكان أي: انتقل من كون إلى كون كاستحال إذا انتقل من حال إلى حال وأصله: استكون نقلت حركة الواو إلى ما قبلها ثم قلبت ألفاً اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿وما يتضرعون﴾ جاء الأول ماضياً، والثاني مضارعاً، ولم يجيئا ماضيين ولا مضارعين، ولا جاء الأول مضارعاً والثاني ماضياً لإفادة الماضي وجود الفعل وتحققه، وهو بالاستكانة أليق بخلاف التضرع فإنه أخبر عنهم بنفي ذلك في الاستقبال، وأما الاستكانة فقد توجد منهم اهـ سمين.

شَدِيدٍ﴾ هو يوم بدر بالقتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ آيسون من كل خير ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الإسماع ﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ تأكيد للقلة ﴿تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ تبعثون ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي﴾ بنفخ الروح في المضغة ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالسواد والبياض والزيادة والنقصان ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ صنعه تعالى فتعتبرون ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾﴾ ﴿قَالُوا﴾ أي الأولون ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا

قوله: ﴿إذا فتحنا عليهم باباً﴾ إذا شرطية وإذا الثانية رابطة للجواب كما تقدم تقديره. قوله: ﴿مبلسون﴾ في المصباح: البلاس مثل سلام المسح وهو فارسي معرب، والجمع بلس بضمتين مثل عناق وعنق، وأبلس الرجل إبلاساً سكت وأبلس أيس، وفي التنزيل: ﴿فإذا هم مبلسون﴾ [الأنعام: ٤٤] اهـ.

ومنه إبليس ليأسه من رحمة الله اهـ.

قوله: ﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ الخ الخطاب لجملة الخلق، والمقصود به التقريع والتوبيخ بالنسبة للكافرين وتذكير النعم بالنسبة للمؤمنين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أنشأ لكم السمع والأبصار﴾ أي: لتحسوا بهما ما نصب من الآيات، وفيه تنبيه على أن من لم يعمل هذه الأعضاء فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها لقوله: ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء﴾ [الأحقاف: ٢٦] وأفرد السمع، والمراد الأسماع كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

قوله: (تأكيد للقلة) أي: لفظ ما تأكيد للقلة المفادة بالتنكير، وقليلاً منصوب على أنه مفعول مطلق صفة لمحذوف هو المفعول المطلق في الحقيقة تقديره: شكراً قليلاً اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: وما صلة أي: زائدة للتأكيد اهـ.

قوله: ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ أي: خلقاً وإيجاداً. وقوله: (بالسواد والبياض) لف ونشر مرتب. قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ (صنعه) عبارة البيضاوي: أفلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا، وأن قدرتنا تعم الممكنات كلها، وأن البعث من جملتها اهـ.

قوله: ﴿بل قالوا﴾ أي: كفار مكة اهـ بيضاوي.

وهذا إضراب انتقالي عن محذوف تقديره: فلم يعتبروا اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: بل قالوا عطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: فلم يعقلوا بل قالوا اهـ.

قوله: ﴿مثل ما قال الأولون﴾ أي: من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم اهـ كرخي.

وفي المثل إبهام، وفيما قاله الأولون إبهام، فبين الثاني بقوله: ﴿قالوا أئذا متنا﴾ الخ. وبين الأول بقوله: ﴿لقد وعدنا﴾ الخ. فالأول أي: قوله: قالوا أئذا متنا الخ مقول الأولين، وقوله: لقد وعدنا الخ مقولهم أي: كفار مكة اهـ شيخنا.

وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لا، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ أي البعث بعد الموت ﴿مِن قَبْلُ إِنْ﴾ ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم ﴿قُل﴾ لهم ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ من الخلق ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ خالقها ومالكها ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإحياء بعد الموت ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ الكرسي

قوله: (لا) أي: لا نبعث. قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وترك الإدخال. فالقراءات أربعة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولقد وعدنا﴾ وعد: فعل ماض مبني للمفعول، والضمير المتصل نائب الفاعل، ونحن تأكيد له، وآباؤنا معطوف على المتصل فهو نائب فاعل أيضاً، وسوغ العطف الفصل بالمنفصل، وقوله: ﴿من قبل﴾ إما متعلق بوعدنا من حيث علمه في المعطوف إن كان المراد من قبل محمد، أي: قبل مجيئه، والمعنى: لقد وعدنا الآن بالبعث، ووعد آباؤنا من قبل أي قبل مجيء محمد، وإما متعلق بمحذوف على أنه صفة لآباؤنا أي: الكائنون من قبل، أي: من قبلنا. والمعنى على الكل لقد وعدنا وآباؤنا بالبعث، فلم نر هذا الوعد شيئاً أي: صدقاً وإنما رأيناه أساطير الأولين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هذا﴾ أي: البعث بعد الموت من قبل. قالوا ههنا بتأخير هذا عما قبله، وقالوه في النمل بالعكس جرياً على القياس هنا من تقديم المرفوع على المنصوب، وعكس ثم بياناً لجواز تقديم المنصوب على المرفوع، وخص ما هنا بتأخير هذا جرياً على الأصل بلا مقتض لخلافه وما هناك بتقديمه اهتماماً به من منكري البعث، فكأنهم قالوا: إن هذا الوعد كما وقع منه ﷺ فقد وقع قديماً من سائر الأنبياء، ثم لم يوجد طول العهد، فظنوا أن الإعادة تكون في الدنيا، ثم قالوا: لما لم يكن ذلك فهو من أساطير الأولين اهـ كرخي.

قوله: ﴿قل﴾ (لهم) لأهل مكة المنكرين للبعث العابدين لغير الله أي: قل لهم في إلزامهم الحجة على أنه قادر على البعث وأنه الذي يعبد وحده. ولمن: خبر مقدم والأرض: مبتدأ مؤخر اهـ شيخنا.

قوله: (من الخلق) أي: المخلوقات عقلاء وغيرهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ جوابها محذوف أي: فأخبروني بخالقهما اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سيقولون لله﴾ هذا إخبار من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه، وقوله: ﴿قل أفلا تذكرون﴾ أي: قل لهم بعد أن يجيبوا بما ذكر تبكيتاً وتوبيخاً لهم اهـ شيخنا.

قوله: (بإدغام التاء) أي: بعد قلبها ذالاً وتسكينها، أي: وبالتخفيف أيضاً وهما سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: (الكرسي) سبق له هكذا غير مرة، والتحقيق أن العرش غير الكرسي كما هو مشهور اهـ شيخنا.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ تحذرون عبادة غيره ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ والتاء للمبالغة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يحمي ولا يحمى عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ وفي قراءة لله بلام الجر في الموضعين نظراً إلى أن المعنى من له ما ذكر ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أي كيف تخيل لكم أنه باطل

قوله: (تحذرون عبادة غيره) فيه تنبيه على أن اتقاء عذاب الله لا يحصل إلا بترك عبادة الأوثان والاعتراف بجواز الإعادة فهذا الختم أبلغ من ختم الآية الأولى لاشتماله على الوعيد الشديد، ولما ذكر الأرض أولاً والسماء ثانياً عمم الحكم ههنا فقال: قل من بيده ملكوت كل شيء اهـ كرخي.

قوله: (والتاء للمبالغة) أي: في الملك، أي: فهي زائدة. وعبارة غيره: والتاء والواو زائدتان للمبالغة، وعبارة الكرخي: والواو والتاء زائدتان كزيادتهما في الرحموت والرهبوت من الرحمة والرهبة قاله الرازي اهـ.

قوله: (يحمي ولا يحمى عليه) يحمي الأول بفتح الياء كيرمي، أي: يحفظ من أراد حفظه. ولا يحمى عليه أي: لا يمنع منه أحد ولا ينصر من أراد خذلانه. وفي البيضاوي: وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه، ولا يجار عليه ولا يغاث أحد ولا يمنع منه، وتعديته بعلى لتضمينه معنى النصر اهـ.

قوله: (وفي قراءة بلام الجر) وهي لمعظم السبعة، وقوله: (في الموضعين) أي: الأخيرين، وقوله: (نظراً إلى أن المعنى من له ما ذكر)، والتقدير: في الأول منهما قل من له السموات السبع، وفي الثاني قل من له ملكوت كل شيء، فلام الجر مقدرة في السؤال فظهرت في الجواب نظراً للمعنى. وأما على قراءة إسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال هذا وأما جواب السؤال الأول فهو باللام باتفاق السبعة، وذلك لأنها قد صرح بها في السؤال اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿سيقـولون لله﴾. قرأ أبو عمرو سيقولون الله في الأخيرتين من غير لام جر مع رفع الجلالة جواباً على اللفظ لقوله: من لأن المسؤول به مرفوع المحل وهو من، فجاء جوابه مرفوعاً مطابقاً له لفظاً، ولذلك رسم الموضعان في مصاحف البصرة بالألف، والباقون لله باللام في الموضعين وهو جواب على المعنى، لأنه لا فرق بين قوله: ﴿من رب السموات﴾ وبين لمن السموات، ولا بين قوله: ﴿من بيده﴾ ولا لمن له الإحسان، وهذا كقولك: من رب هذه الدار؟ فيقال: زيد، وإن شئت قلت لزيد، لأن السؤال لا فرق فيه بين أن يقال لمن هذه الدار ومن ربها، واللام مرسومة في مصحفهم فوافق كل مصحفه، ولم يختلف في الأولى أنها لله لأنها مرسومة باللام، وجاء الجواب باللام كما في السؤال، ولو حذفت من الجواب لجاز لأنه لا فرق بين لمن الأرض ومن رب الأرض إلا أنه لم يقرأ به أحد اهـ.

قوله: ﴿قل فأنّى﴾ أي: فكيف تسحرون. قوله: (عبادة الله) بالجر بدل من الحق. قوله: (أي كيف يخيل لكم الخ) أشار بهذا إلى أن المراد بالسحر التخيل والتوهم لا حقيقته اهـ.

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٩٠﴾ في نفيه وهو ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا﴾ أي لو كان معه إله ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مغالبة كفعل ملوك الدنيا ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾ ـه به مما ذكر ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد بالجر صفة والرفع خبر هو مقدراً ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ تعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢﴾ ـه معه ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿تُرِيَنِّى

قوله: (في نفيه) أي: الحق وقوله: وهو أي الحق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من ولد﴾ من زائدة في المفعول، وقوله: ﴿من إله﴾ زائدة في اسم كان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذاً لذهب كل إله﴾ الخ إذاً بمعنى لو الامتناعية، كما أشار له بقوله أي لو كان معه إله الخ.

وفي السمين قوله: ﴿إذاً لذهب﴾ إذاً جواب وجزاء. قال الزمخشري فإن قلت: إذاً لا تدخل إلا على كلام هو جواب وجزاء فكيف وقع قوله لذهب جواباً وجزاء ولم يتقدم شرط ولا سؤال سائل؟ قلت: الشرط محذوف تقديره: لو كان معه الهة فحذف لدلالة وما كان معه من إله. قلت: هذا رأي الفراء، وقد تقدم ذلك في الإسراء في قوله: ﴿وإذاً لاتخذوك خليلاً﴾ [الإسراء: ٧٣] اهـ.

وعبارة البيضاوي: أي لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به، وامتاز ملكه عن ملك الآخرين، ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا، فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء، واللازم باطل بالإجماع والاستقراء، وقيام البرهان على إستناد جميع الممكنات إلى واجب واحد اهـ.

قوله: (كفعل ملوك الدنيا) يعني: أن هذا أمر عادي لا إلزامي قطعي، ولذا قيل: إنه دليل إقناعي اهـ شهاب.

قوله: (مما ذكر) أي: من الأولاد والأنداد.

قوله: ﴿عالم الغيب﴾ بالجر على البدل من الجلالة أو صفة لله كانه محض الإضافة فتعرف المضاف، وبالرفع على القطع خبر مبتدأ محذوف اهـ سمين.

وهذا دليل آخر على الوحدانية بواسطة مقدمة أخرى، كأنه قيل: الله عالم الغيب والشهادة وغيره لا يعلمهما فغيره ليس بإله، وهذا من قبيل الشكل الثاني اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فتعالى عما يشركون﴾ عطف على معنى ما تقدم كأنه قال: علم الغيب فتعالى، كقولك: زيد شجاع فعظمت منزلته أي: شجع فعظمت، أو يكون على إضمار القول أي: أقول فتعالى الله الخ اهـ سمين.

قوله: ﴿قل رب﴾ الخ لما أعلمه الله سبحانه وتعالى بأنه منزل عذابه بهم إما في حياته أو بعد موته علمه كيفية الدعاء بالتخلص من عذابهم، فقال: قل رب الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إما تريني﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وما مفعول به، ورأى

﴿مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ من العذاب هو صادق بالقتل ببدر ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ فأهلك بهلاكهم ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ـه أي يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾ أعتصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ نزغاتهم بما يوسوسون به ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ في أموري لأنهم إنما يحضرون بسوء

بصرية تعدت لمفعولين بواسطة الهمزة لأنه من أرى الرباعي، فياء المتكلم مفعول أول، وما الموصولة المفعول الثاني، وكذا يقال في قوله: ﴿على أن نريك ما نعدهم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (صادق بالقتل ببدر) أي: الذي رآه بالفعل.

قوله: ﴿فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ هذا جواب الشرط وأعيد لفظ الرب مبالغة في الابتهال والتضرع.

وفي: بمعنى مع اهـ.

قوله: (فأهلك بإهلاكهم) أي: لأن شؤم الظالم قد يسري إلى غيره، وكان ﷺ يعلم أن الله لا يجعله في القوم الظالمين إذا أنزل بهم العذاب، ومع هذا أمره بالدعاء ليعظم أجره وليكون في جميع الأوقات ذاكراً له تعالى. قال الزمخشري: فإن قلت: كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم؟ قلت: يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه وإخباتاً له اهـ كرخي.

قوله: ﴿لقادرون﴾ خبر إن واللام هي لام الابتداء زحلقت للخبر، وعلى متعلقة به قدمت عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بالتي هي أحسن﴾ التي نعت للمحذوف أشار له بقوله أي الخصلة وبينها بقوله: (من الصفح والإعراض)، وقوله: ﴿أحسن﴾ أي: أحسن الخصال، والسيئة مفعول به اهـ شيخنا.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) فهو منسوخ.

قوله: ﴿من همزات الشياطين﴾ جمع همزة وهي النخسة والدفعة بيد وغيرها، والمهماز مفعال من ذلك كالمحراث من الحرث، والهماز الذي يعيب الناس كأنه يدفع بلسانه وينخس به اهـ سمين.

قوله: (نزغاتهم) يقال: نزغ الشيطان بينهم من باب قطع أفسد وأغرى، وقوله: (بما يوسوسون به) في العبارة قلاقة، ولو قال من همزات الشياطين أي: وساوسهم لكان أوضح، وفي المختار: وهمزات الشياطين خطراته التي يخطرها بقلب الإنسان اهـ.

وفي البيضاوي: من همزات الشياطين وساوسهم وأصل الهمز النخس، ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض والدواب على المشي، والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف إليه اهـ.

فلا يرد ما يقال الهمزة الواحدة أيضاً ينبغي أن يتعوذ منها فما وجه الجمع اهـ كرخي.

﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ ابتدائية ﴿ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾ الجمع للتعظيم ﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا ﴾ بأن أشهد أن لا إله إلاَّ الله يكون ﴿ فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ ضيعت من عمري أي في مقابلته، قال تعالى ﴿ كَلَّآۚ ﴾ أي لا رجوع ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي رب ارجعون ﴿ كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ ﴾ أي ولا فائدة فيها ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم ﴾ أمامهم ﴿ بَرۡزَخٌ ﴾ حاجز يصدهم عن الرجوع ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ ولا رجوع بعده ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ القرن النفخة الأولى أو الثانية ﴿ فَلَآ

قوله: ﴿وأعوذ بك رب﴾ أعيد كل من العامل والنداء مبالغة وزيادة اعتناء بهذه الاستعاذة اهـ شيخنا.

قوله: (الجمع للتعظيم) جواب ما قيل لم يقل رب ارجعني، فإن المخاطب واحد وهو الله تعالى، فجمع الضمير تعظيماً لله تعالى أو الواو لتكرير ارجعون كأنه قال: أرجعن أرجعن أرجعن نقله أبو البقاء، وهو يشبه ما قالوه في قوله: ﴿ألقيا في جهنم﴾ [ق: ٢٤] أنه بمعنى ألق ألق ثنّى الفعل للدلالة على ذلك اهـ كرخي.

قوله: (يكون) ﴿فيما تركت﴾ أي: بدلاً عنه كما أشار له بقوله: (أي في مقابلته). قوله: (أي لا رجوع) أفاد به أن كلاَّ هنا معناها النفي، ومع كونها للنفي فيها معنى الردع والزجر أيضاً. وفي البيضاوي: كلاَّ ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها اهـ.

قوله: (أي رب ارجعون) أي: مع ما بعدها.

قوله: ﴿ومن ورائهم﴾ الضمير للأحد والجمع باعتبار المعنى، لأنه في حكم كلهم، كما أن الإفراد في الضمائر الأول باعتبار اللفظ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿هو قائلها﴾ أي: لا محالة لتسلط الحسرة عليه ولكنها لا تفيده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿برزخ﴾ (حاجز) هو المدة التي من حين الموت إلى البعث اهـ.

وفي السمين: البرزخ الحاجز بين المتنافيين وقيل: الحجاب بين الشيئين أن يصل أحدهما إلى الآخر وهو بمعنى الأول، وقال الراغب: أصله برزه بالهاء فعرب، وهو في القيامة الحائل بين الإنسان وبين المنازل الرفيعة، والرزخ قيل الحائل بين الإنسان وبين الرجعة التي يتمناها اهـ.

قوله: (يصدهم عن الرجوع) أي: إلى الدنيا. قوله: ﴿إلى يوم يبعثون﴾ هو إقناط كلي عن الرجوع إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا، وإنما الرجوع فيه إلى حياة تكون في الآخرة اهـ بيضاوي.

وقوله: هو إقناط كلي ليس مراده أن الغاية داخلة في المغيّى لأنه خلاف الاستعمال، وإنما المراد أنه غيّى رجوعهم بالمحال، كما في قوله: ﴿حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ [الأعراف: ٤٠] فسقط ما قيل إنه لا يصح غاية لعدم الرجوع المذكور، والعلم بأنه لا رجعة بعد البعث إلى الدنيا يفيد الإقناط، ولكنه لا يصحح أمر الغاية اهـ شهاب.

قوله: (ولا رجوع بعده) أي: يوم للبعث. قوله: (النفخة الأولى أو الثانية) الأول قول ابن

أنساب بينهم يومئذ﴾ يتفاخرون بها ﴿ولا يتساءلون ﴿١٠١﴾﴾ عنها خلاف حالهم في الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة وفي بعضها يفيقون وفي آية فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ بالحسنات ﴿فأولئك هم المفلحون ﴿١٠٢﴾﴾ الفائزون ﴿ومن خفت موازينه﴾ بالسيئات ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ فهم ﴿في جهنم خالدون ﴿١٠٣﴾﴾ ﴿تلفح وجوههم

عباس، والثاني قول ابن مسعود.

قوله: ﴿فلا أنساب﴾ الأنساب: جمع نسب وهو القرابة، ولما كانت الأنساب ثابتة بينهم لا يصح نفيها. أي: أشار الشارح إلى أن النفي إنما هو لصفتها المحذوفة التي قدرها بقوله: (يتفاخرون بها) اهـ.

وفي أبي السعود: فلا أنساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، أو لا أنساب يفتخرون بها اهـ.

قوله: ﴿بينهم﴾ يجوز تعلقه بأنساب، وكذلك يومئذ أي: فلا قرابة بينهم في ذلك اليوم، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لأنساب، والتنوين في يومئذ عوض عن جملة تقديره: يومئذ نفخ في الصور اهـ سمين.

قوله: ﴿ولا يتساءلون﴾ (عنها) أي: الأنساب، وقوله: (خلاف حالهم) أي: وذلك خلاف حالهم الخ اهـ.

قوله: (لما يشغلهم) علة لقوله: ﴿ولا يتساءلون﴾، وقوله: (في بعض مواطن) الخ متعلقة بيشغلهم، أو بقوله: ولا يتساءلون، وقوله: وفي بعضها الخ أشار به مع ما قبله إلى الجمع بين هذه الآية والآية التي نقلها، وهذا الجمع مبني على أن المراد النفخة الثانية، فإن جرينا على أن المراد بها الأولى كان وجه الجمع أظهر من هذا وحاصله: أن نفي المسألة إنما هو عند النفخة الأولى لموتهم حينئذ، وإثباتها إنما هو بعد الثانية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿موازينه﴾ أي: موزونات أعماله، فالموازين جمع موزون، وقد مرَّ في الأعراف جواز كونه جمع ميزان ومع وحدته جمعه لتعدد الموزون اهـ شهاب.

قوله: (بالحسنات) بأن تجسم وتصور بصور حسان وتوضع في كفة الميزان اليمنى التي على يمين العرش، والسيئات تجسم وتصور بصور ظلمانية وتوضع في كفة الميزان اليسرى التي هي على يسار العرش اهـ شيخنا.

قوله: (بالسيئات) أي: بسبب ثقل السيئات، فالمعنى أن السيئات أثقل من الحسنات، فلو قال: ومن خفت موازينه بالحسنات لكان أوضح، كما يدل عليه المقابل في الشق الأول حيث جعل فيه الثقل للحسنات، فهي التي تخف في الشق الثاني، وعبارته في سورة القارعة ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ [القارعة: ٦] بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فهو في عيشة راضية﴾ [القارعة: ٦]، ﴿وأما من خفت موازينه﴾ [القارعة: ٨] بأن رجحت سيئاته على حسناته اهـ وقوله: بأن رجحت سيئاته أي: بسبب زيادتها على الحسنات كما ذكره المناوي هناك اهـ.

قوله: (فهم) ﴿في جهنم خالدون﴾ أشار إلى أن في جهنم خبر مبتدأ محذوف، وقال

﴿ٱلنَّارُ﴾ تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تخوفون بها ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ عن الهداية ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى المخالفة ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ ﴿قَالَ﴾ لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ ابعدوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ في

الزمخشري: في جهنم خالدون بدل من خسروا أنفسهم، ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها اهـ كرخي.

قوله: ﴿تلفح وجوههم﴾ مستأنف أو خبر ثان أو حال، واللفح: أشد النفح، لأنه الإصابة بشدة، والنفح الإصابة مطلقاً كما في قوله تعالى: ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك﴾ [الأنبياء: ٤٦] اهـ شيخنا.

قوله: (شمرت شفاههم العليا الخ) في المختار: شمر زيد إزاره رفعه اهـ.

فالسمير: الرفع، فحينئذ قوله: (والسفلى) ينبغي أن يكون معمولاً لمحذوف تقديره: واسترخت السفلى، وعبارة غيره: الكلوح تقلص الشفتين اهـ.

قال في المختار: الكلوح تكثر في عبوس وبابه خضع اهـ.

وفي السمين: الكلوح تشمير الشفة العليا واسترخاء السفلى، وفي الترمذي: تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي السفلى حتى تبلغ سرته، ومنه كلوح الأسد أي: تكشيره عن أنيابه، ودهر كالح وبرد كالح أي: شديد، وقيل: الكلوح تقطب الوجه، وكلح الرجل يكلح كلوحاً وكلاحاً اهـ.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية. قوله: (وهما مصدران بمعنى) وهو سوء العاقبة، وفي المختار: الشقاء والشقاوة بالفتح ضد السعادة وقرأ قتادة: شقاوتنا بالكسر وهي لغة، وقد شقي بالكسر شقاء وشقاوة أيضاً وأشقاه الله فهو شقي بيِّن الشقاوة اهـ.

وفي القاموس: الشقاء الشدة والعسر ويمد شقي كرضي شقاء وشقاوة اهـ.

قوله: (بعد قدر الدنيا مرتين) وقدرها قيل: سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة، وقيل: اثنا عشر ألف سنة بعدد البروج، وقيل: ثلاثمائة ألف سنة وستون سنة بعدد أيام السنة اهـ من تذكرة القرطبي.

قوله: ﴿اخسؤوا فيها﴾ أي: اسكتوا سكوت هوان فإنها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب إذا زجرته فخسأ اهـ بيضاوي.

وقوله: فخسأ أشار به إلى أنه يكون لازماً ومتعدياً وما في الآية من اللازم، وعطفه بالفاء إشارة إلى أن الثاني مطاوع للأول، وأنه قد يكون ثلاثياً مثل جبرته فجبر ورجعته فرجع اهـ شهاب.

رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ هم المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الإنساء فنسب إليهم ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ بكسر الهمزة ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ بمطلوبهم

وفي المختار: خسأ الكلب طرده من باب قطع وخسأ هو بنفسه خضع اهـ.

قوله: (فينقطع رجاؤهم) وهذا آخر كلامهم في النار فلا يسمع لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنه كان فريق﴾ الخ الضمير للشأن، وهذه الجملة تعليل لما قبلها من الزجر عن دعائهم بالخروج منها بقوله: ﴿ولا تكلمون﴾، ومحط التعليل قوله: ﴿فاتخذتموه سخرياً﴾ الخ. أي: اسكتوا عن الدعاء بقولكم: ربنا أخرجنا لأنكم كنتم تستهزئون بالداعين تتشاغلون باستهزائهم حتى أنسوكم ذكري اهـ شيخنا.

قوله: (بضم السين وكسرها) سبعيتان ويقرأ بهما أيضاً في التي في سورة ص، وأما التي في سورة الزخرف فبالضم لا غير باتفاق السبعة وقوله: مصدر أي، وهو السخر بضم السين وكسرها وزيدت فيه ياء النسب للدلالة على المبالغة في قوة الفعل وهو المسخرة اهـ شيخنا.

وفي السمين: وزيدت الياء للدلالة على قوة الفعل، فالخسري أقوى من السخر كما قيل في الخصوص خصوصية دلالة على قول ذلك اهـ.

وفي المصباح: سخرت منه سخراً من باب تعب هزئت به، والسخري بالكسر لغة فيه، والسخرة وزان غرفة ما سخرت من خادم أو دابة بلا أجر ولا ثمن، والسخرى بالضم بمعناه، وسخرته في العمل بالتثقيل استعملته مجاناً، وسخر الله الإبل ذللها وسللها اهـ.

قوله: (وسلمان) فيه مسامحة لأنه ليس من المهاجرين كما هو معلوم فكان الأولى إبداله بخباب اهـ شيخنا.

قوله: (فنسب إليهم) أي: وحقيقة التركيب أن يقال حتى أنساكم أي الاستهزاء بهم ذكري اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ أي: ذلك هو غاية الاستهزاء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ استئناف لبيان حسن حالهم وأنهم انتفعوا بإذايتهم إياه، وهذا الفعل ينصب مفعولين الأول الهاء والثاني قدره بقوله: النعيم المقيم، وهذا على قراءة الكسر في أنهم، وأما على قراءة الفتح فالمفعولان مذكوران كما قاله اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿إنهم هم الفائزون﴾ قرأ الأخوان بكسر الهمزة استئنافاً، والباقون بالفتح وفيه وجهان، أظهرهما: أنه تعليل وهي موافقة للأولى فإن الاستئناف يعلل به أيضاً. والثاني: ولم

استئناف وبفتحها مفعول ثان لجزيتهم ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم بلسان مالك وفي قراءة قل ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ تمييز ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ أي الملائكة المحصين أعمال الخلق ﴿قَالَ﴾ تعالى بلسان مالك وفي قراءة أيضاً قل ﴿إِن﴾ أي ما ﴿لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ

يذكر الزمخشري غيره أنه مفعول ثان لجزيتهم أي: بأنهم أي فوزهم، وعلى الأول يكون المفعول الثاني محذوفاً اهـ.

قوله: (استئناف) أي: ومع ذلك فيه معنى التعليل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال كم لبثتم﴾ الخ هذا تذكير لما لبثوا في الدنيا التي سألوا الرجوع إليها بعد التنبيه على استحالته بقوله تعالى: ﴿قال اخسؤوا فيها﴾ الخ [المؤمنون: ١٠٨] اهـ شيخنا.

والاستفهام إنكاري لتوبيخهم بإنكار الآخرة اهـ شيخنا.

وقال زاده: القصد من هذا الاستفهام التبكيت والإلزام، لأنهم كانوا ينكرون اللبث في الآخرة رأساً لإنكارهم للبعث، فلما دخلوا في النار وأيقنوا بخلودهم فيها سئلوا كما لبثتم في الأرض تذكيراً لهم بأن ما ظنوه طويلاً دائماً فهو قليل بالإضافة إلى ما أنكروه اهـ.

وفي الكرخي: تنبيه: الغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ، لأنهم كانوا ينكرون اللبث في الآخرة أصلاً ولا يعدون اللبث إلا في دار الدنيا، ويظنون أن بعد الموت يدوم الفناء ولا إعادة، فلما حصلوا في النار وأيقنوا دوامها وخلودهم فيها سألهم كم لبثتم في الأرض منبهاً لهم على ما ظنوه دائماً طويلاً وهو يسير بالإضافة إلى ما أنكروه، فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث تيقنوا خلافه، وهذا هو الغرض من السؤال.

قوله: ﴿كم لبثتم﴾ كم في محل نصب على الظرفية الزمانية، والعامل فيه لبثتم، وتمييزها عدد من قوله: ﴿عدد سنين﴾، فقوله: (تمييز) فيه إجمال أي أن المضاف وهو عدد تمييز لكم، وعدد مضاف، وسنين مضاف إليه، والمعنى لبثتم كم عدداً من السنين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاسأل العادين﴾ هذا من جملة كلامهم أي: لأننا لما غشينا من العذاب بمعزل عن ضبط ذلك وإحصائه اهـ أبو السعود.

والعادين بالتشديد جمع عاد من العدد اهـ سمين.
قوله: ﴿قال﴾ (تعالى) ﴿إن لبثتم﴾ الخ أي: قال ذلك تصديقاً لهم وتقريعاً وتوبيخاً اهـ.

قوله: (وفي قراءة قل) ينتظم فيما هنا وفيما تقدم ثلاث قراءات سبعية الأمر فيهما والماضي فيهما، والأمر في الأول والماضي في الثاني اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿قال كم لبثتم﴾ الخ. قرأ الأخوان قل كم لبثتم بالأمر في الموضعين، وابن كثير كالأخوين في الأول فقط، والباقون قال في الموضعين على الإخبار عن الله أو الملك والفعلان مرسومان بغير ألف في مصاحف الكوفة، وبألف في مصاحف مكة والمدينة والشام والبصرة. فحمزة

﴿تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ مقدار لبثكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لبثكم في النار ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول لا بل لنتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازي على ذلك وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾

والكسائي وافقا مصاحف الكوفة وخالفها عاصم، أو وافقها على تقدير حذف الألف من الرسم وإرادتها، وابن كثير وافق في الثاني مصاحف مكة وفي الأول غيرها أو إياها على تقدير حذف الألف وإرادتها. وأما الباقون فوافقوا مصاحفهم في الأول والثاني اهـ.

قوله: ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ لو هنا امتناعية ومفعول العلم محذوف كما قدره الشارح، وجواب لو محذوف بدلالة ما سبق عليه قدره الشارح بقوله: كان قليلاً الخ. ولكنه غير واضح لعدم ظهور ترتبه على الشرط وقدره غيره بقوله: لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم أو لعملتم بموجبه ولم تركنوا إليها اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿لو أنكم﴾ جوابها محذوف تقديره: لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما أجبتم بهذه المدة وانتصب قليلاً على النعت لزمن محذوف أو لمصدر محذوف أي: إلا زمناً قليلاً أو إلا لبثاً قليلاً اهـ.

قوله: ﴿أفحسبتم﴾ الخ لما بكتهم في إنكارهم البعث ولبث الآخرة وبخهم على تماديهم في الغفلة وتركهم النظر الصحيح فيما يدل على حقيقة البعث والقيامة، فقال: أفحسبتم الخ. والفاء: عاطفة على محذوف تقديره: أغفلتم وتلاهيتم وتعاميتم فحسبتم الخ. ثم نزه تعالى نفسه عن العبث بقوله: ﴿فتعالى الله﴾ الخ اهـ زاده.

قوله: ﴿عبثاً﴾ في نصبه وجهان، أحدهما: أنه مصدر واقع موقع الحال أي عابثين. والثاني: أنه مفعول من أجله أي: لأجل العبث والعبث واللعب ما لا فائدة فيه، وكل ما ليس فيه غرض صحيح يقال: عبث يعبث عبثاً إذا خلط عمله بلعب، وأصله من قولهم: عبثت الإقط أي: خلطته والعبث: طعام مخلوط بشيء ومنه العربثاني لتمر وسويق وسمن مختلط اهـ سمين.

قوله: (لا لحكمة) تفسير للعبث. قوله: ﴿وأنكم إلينا﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على أنما خلقناكم فيكون الحسبان منسحباً عليه، وأن يكون معطوفاً على عبثاً أي: للعبث ولترككم غير مرجوعين، وقدم إلينا على يرجعون لأجل الفواصل. وقوله: ﴿لا ترجعون﴾ خبر أنكم، وقرأ الأخوان ترجعون مبنياً للفاعل، والباقون مبنياً للمفعول، وقد تقدم أن رجع يكون لازماً ومتعدياً. وقيل: لا يكون إلا متعدياً والمفعول اهـ سمين.

قوله: (بل لنتعبدكم) أي: نكلفكم، وقوله: وترجعوا معطوف على نتعبد، وقوله: على ذلك أي: على امتثال ذلك أي: التعبد المذكور اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ استعظام له تعالى ولشؤونه، وقوله: ﴿الملك الحق﴾ أي: الذي يحق له الملك على الإطلاق إيجاداً وإعداماً بدءاً وإعادة وإحياء وإماته وعقاباً وإثابة، وكل ما

عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ الكرسي، هو السرير الحسن ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ صفة كاشفة لا مفهوم لها ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ جزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ لا يسعدون ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ المؤمنين في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ أفضل راحم.

سواه مملوك له مقهور لملكوته، وقوله: ﴿رب العرش الكريم﴾ أي: فكيف بما تحته وما أحاط به من الموجودات كائناً ما كان، ووصف بالكرم إما لأنه ينزل منه الوحي الذي منه القرآن الكريم، أو الخير والبركة والرحمة، أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين تعالى من حيث أنه أعظم مخلوقاته اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الملك الحق﴾ أي: الذي يحق له الملك مطلقاً، فإن ما عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه في حال دون حال اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿الكريم﴾ قرأه العامة مجروراً نعتاً للعرش، ووصف بذلك لتنزل الخيرات منه أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين. وقرأه أبو جعفر، وابن محيصن وإسماعيل عن ابن كثير، وأبان بن تغلب بالرفع، وفيه وجهان، أحدهما: أنه نعت للعرش أيضاً، ولكنه قطع عن إعرابه لأجل المدح على خبر مبتدأ مضمر، وهذا جيد لتوافق القراءتين في المعنى. والثاني: أنه نعت لرب اهـ سمين.

قوله: (الكرسي) فيه ما تقدم. قوله: (هو السرير الحسن) هكذا في بعض النسخ، وفي أكثر النسخ إسقاط هذه العبارة وإسقاطه هو الجاري على عادته في مواضع أخر من عدم ذكرها تأمل.

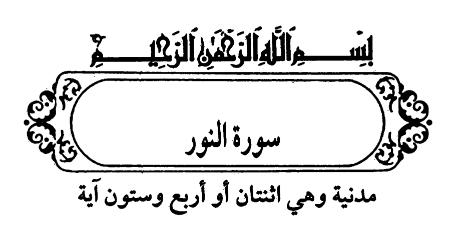
قوله: ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ جواب الشرط أي: فهو مجاز له بقدر ما يستحقه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ فيه مراعاة معنى من، وفيه الإظهار في مقام الإضمار للنداء عليهم بهذا الوصف القبيح اهـ شيخنا.

والجمهور على كسر الهمزة من أنه على الاستئناف المفيد للعلة، وقرأ الحسن وقتادة أنه بالفتح، وخرجه الزمخشري على أن يكون خبر حسابه قال: ومعناه حسابه عدم الفلاح، والأصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون في موضع الضمير لأن من يدع في معنى الجمع، وقرأ الحسن لا يفلح بفتح الياء واللام مضارع فلح بمعنى أفلح ففعل وأفعل فيه بمعنى اهـ سمين.

قوله: (في الرحمة زيادة) وهي إيصال الإحسان زيادة على غفر الذنب، وأيضاً الغفران قد يكون من غير إحسان الذي هو معنى الرحمة اهـ كرخي.

قوله: (أفضل راحم) في نسخة أفضل رحمة بنصب رحمة على التمييز.



سورة النور

مدنية وهي اثنتان أو أربع وستون آية

هذه ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ مخففاً ومشدداً لكثرة المفروض فيها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر. وكتب عمر رضي الله عنه إلى الكوفة: علموا نساءكم سورة النور، وقالت عائشة رضي الله عنها: لا تنزلوا النساء في الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل اهـ قرطبي.

قوله: ﴿سورة﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره بقوله: (هذه)، أي: هذه الآيات الآتي ذكرها، وإنما أشير إليها مع عدم سبق ذكرها لأنها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: سورة يجوز في رفعها وجهان، أحدهما: أن تكون مبتدأ، والجملة بعدها صفة لها، وذلك هو المسوغ للابتداء بالنكرة، وفي الخبر وجهان، أحدهما أنه الجملة من قوله: ﴿الزانية والزاني﴾، وإلى هذا نحا ابن عطية فإنه قال: ويجوز أن يكون مبتدأ، والخبر الزانية والزاني وما بعد ذلك، والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا، فالسورة عبارة عن آيات مسرودة لها بدء وختم، والثاني: أن الخبر محذوف أي: فيما يتلى عليكم سورة أو فيما أنزلناه سورة. والوجه الثاني: من الوجهين الأولين أن تكون خبراً لمبتدأ مضمر أي: هذه سورة. وقرأ العامة بالرفع على ما تقدم، وقرأ الحسن بن عبد العزيز، وعيسى الثقفي، وعيسى الكوفي، ومجاهد، وأبو حيوة في آخرين سورة بالنصب وفيها أوجه، أحدها: أنها منصوبة بفعل مقدر غير مفسر بما بعده تقديره: اتل سورة أو اقرأ سورة. والثاني: أنها منصوبة بفعل مضمر يفسره ما بعده، والمسألة الاشتغال تقديره: أنزلنا سورة أنزلناها، والفرق بين الوجهين أن الجملة بعد سورة في محل نصب على الأول ولا محل لها على الثاني الثالث: أنها منصوبة على الإغراء أي: دونك سورة قاله الزمخشري اهـ.

قوله: ﴿وفرضناها﴾ أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً وفيه من الإيذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى، وقرىء فرضناها بالتشديد لتأكيد الإيجاب، أو لكثرة الفرائض فيها كالزنا والقذف واللعان والاستئذان وغض البصر وغير ذلك اهـ أبو السعود مع زيادة.

واضحات الدلالات ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال تتعظون ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أي غير المحصنين لرجمهما بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ أي ضربة، يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام، والرقيق على النصف مما ذكر ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي حكمه بأن

قوله: ﴿وأنزلنا فيها الخ﴾ تكرير الإنزال مع استلزام إنزال السورة لا إنزال آياتها لكمال العناية بشأنها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿آيات بينات﴾ المراد بها الآيات الدالة على الأحكام المفروضة، وهذا هو المناسب لقوله: (واضحات الدلالة)، هكذا يؤخذ من صنيع أبي السعود. وفي الشهاب: قال الإمام الرازي: ذكر الله في أول السورة أنواعاً من الأحكام والحدود، وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله: ﴿وفرضناها﴾ إشارة إلى الأحكام، وقوله: ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ إشارة إلى ما بيّن فيها من دلائل التوحيد، ويؤيده قوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾، فإن الأحكام لم تكن معلومة حتى نؤمر بتذكرها اهـ.

قوله: (بإدغام التاء الثانية) أي: بعد قلبها ذالاً وتسكينها. هذا وكان عليه أن ينبه على القراءة الأخرى وهي التخفيف بحذف إحدى التاءين فإنها سبعية أيضاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الزانية والزاني﴾ الخ شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات، وتقديم الزانية على الزاني لأنها الأصل في الفعل لكونها الداعية فيها أوفر، ولولا تمكينها منه لم يقع اهـ أبو السعود.

وعبارة الكرخي: فإن قيل: لم قدمت المرأة في آية حد الزنا وأخرت في آية حد السرقة؟ فالجواب: أن الزنا إنما يتولد بشهوة الوقاع وهي في المرأة أقوى وأكثر، والسرقة إنما تتولد من الجسارة والقوة والجرأة وهي في الرجل أقوى وأكثر اهـ.

قوله أيضاً: ﴿الزانية والزاني﴾ في رفعهما وجهان، أحدهما: مذهب سيبويه أنه مبتدأ خبره محذوف أي: فيما يتلى عليكم حكم الزانية، ثم بين ذلك بقوله: ﴿فاجلدوا﴾ الخ. والثاني: وهو مذهب الأخفش وغيره أنه مبتدأ والخبر جملة الأمر، ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط. وقد تقدم الكلام على هذه المسألة مستوفى عند قوله: ﴿اللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾ [النساء: ١٦] وعند قوله: ﴿والسارق والسارقة﴾ [المائدة: ٣٨] فأغنى عن إعادته. وقرأ عيسى الثقفي، ويحيى بن يعمر، وعمرو بن فائد، وأبو جعفر، وأبو شيبة بالنصب على الاشتغال. قال الزمخشري: وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الأمر، وقرئ والـزانِ بلا ياء اهـ سمين.

قوله: (لرجمهما بالسنة) أشار إلى أن الزانية والزاني لفظ عام يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني المحصن منهم وغيره، فإن الألف واللام للجنس، ولكن السّنة أخرجت المحصن وبينت أن حده الرجم فصار الكلام في غيره اهـ كرخي.

قوله: (موصولة) أي: التي زنت والذي زنى. قوله: (ويزاد على ذلك) أي: الجلد. قوله: (والرقيق على النصف مما ذكر) أشار بهذا إلى أن الآية مخصوصة بالأحرار، وقوله: (مما ذكر) أي: الجلد والتغريب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رأفة﴾ قرأ العامة هنا وفي الحديد بسكون الهمزة وابن كثير بفتحها، وقرأ ابن جرير،

تتركوا شيئاً من حدهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي يوم البعث وفي هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ أي الجلد ﴿طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ قيل ثلاثة وقيل أربعة عدد شهود الزنا ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ﴾ يتزوج ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ

وتروى أيضاً عن ابن كثير وعاصم رآفة بألف بعد الهمزة بزنة سحابة وكلها مصادر لرأف به يرؤف، وقد تقدم معناه، وأشهر المصادر الأول. ونقل أبو البقاء فيها لغة رابعة وهي إبدال الهمزة ألفاً، وقرأ العامة تأخذكم بالتأنيث مراعاة للفظ، وعلي بن أبي طالب، والثقفي، ومجاهد بالياء من تحت لأن التأنيث مجازي وللفصل بالمفعول والجار وبهما متعلق بتأخذكم أو بمحذوف على سبيل البيان، ولا يتعلق برأفة لأن المصدر لا يقدم عليه معموله، وفي دين الله متعلق بالفعل قبله أيضاً. وهذه الجملة دالة على جواب الشرط بعدها أو هي نفس الجواب عند بعضهم اهـ سمين.

وفي المختار: والرأفة أشد الرحمة وقد رؤف بالضم رأفة ورأف به يرأف مثل قطع يقطع، ورئف به من باب طرب كله من كلام العرب فهو رؤوف على فعول ورؤف على فعل اهـ.

قوله: (في هذا تحريض الخ) وذلك لأن الإيمان بهما يقتضي التجلد في طاعة الله وفي إجراء أحكامه، وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة في الحدود وتعطيلها اهـ أبو السعود.

قوله أيضاً: (في هذا) أي: في قوله: ﴿إن كنتم تؤمنون﴾ الخ. (تحريض) أي: حث على ما قبل الشرط وهو: ولا تأخذكم بهما رأفة فإنه من باب التهييج واستعمال الغضب لله ولدينه، والحاصل: أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الحث والمتانة، ولا يأخذهم اللين والهوان في استيفاء حدود الله، وكفى برسول الله ﷺ أسوة في ذلك حيث قال: «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها» اهـ كرخي.

قوله: (وهو جوابه) أي: كما هو رأي الكوفيين، وقوله: (أو دال على جوابه) أي: كما هو رأي البصريين اهـ شيخنا.

قوله: (قيل ثلاثة) أي: لأنه أقل الجمع، وقيل: أربعة لأنهم عدد شهود الزنا. وعبارة الخطيب: وليشهد أي: وليحضر عذابهما أي: حدهما إذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين أي: يحضرون ندباً. والطائفة: الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء. وعن ابن عباس في تفسيرها هي أربعة إلى أربعين رجلاً من المصدقين بالله، وعن الحسن عشرة، وعن قتادة ثلاثة فصاعداً، وعن عكرمة رجلان فصاعداً وعن مجاهد أقلها رجل فصاعداً. وقيل: رجلان، وفُضّل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها الزنا، ولا يجب على الإمام حضور رجم ولا على الشهود لأنه ﷺ أمر برجم ماعز والغامدية ولم يحضر رجمهما، وإنما خص المؤمنين بالحضور لأن ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل، ويشهد له قول ابن عباس إلى أربعين رجلاً من المصدقين بالله اهـ.

قوله: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ يعني أن الغالب

مُشْرِكٌ﴾ أي المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح الزواني ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ③﴾ الأخيار، نزل ذلك لما همَّ فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم، فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام، ونسخ بقوله تعالى ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ العفيفات بالزنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ على زناهن برؤيتهم ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ أي

أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح، والزانية لا يرغب فيها الصلحاء، فإن المشاكلة علة الإلفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق اهـ بيضاوي.

ولما كان ظاهر النظم الإخبار بأن الزاني لا ينكح المؤمنة العفيفة، وأن الزانية لا ينكحها المؤمن التقي، وكان هذا الحصر غير ظاهر الصحة أشار المصنف إلى جوابه بأن حمل الإخبار على الأعم الأغلب اهـ زاده.

وفي الكرخي أي: المناسب لكل منهما ما ذكر. أشار بذلك إلى قول القفال أن اللفظ وإن كان عاماً لكن المراد منه الأعم الأغلب، لأن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح المرأة الصالحة، وإنما يرغب في نكاح فاسقة مثله أو في مشركة، والفاسقة لا ترغب في نكاح الرجل الصالح بل تنفر عنه، وإنما ترغب فيمن هو من جنسها من الفسقة والمشركين، فهذا على الأعم الأغلب كما يقال: لا يفعل الخير إلا الرجل التقي وقد يفعل الخير من ليس بتقي فكذا ههنا فإن قيل: أي فرق بين قوله: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾، وبين قوله: ﴿والزانية لا ينكحها إلا زان﴾؟ فالجواب: أن الكلام يدل على أن الزاني لا يرغب إلا في نكاح الزانية بخلاف الزانية فقد ترغب في نكاح غير الزاني، فلا جرم بين ذلك بالكلام الثاني اهـ.

قوله: ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ أي: لأنه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب، وغير ذلك من المفاسد اهـ بيضاوي.

قوله: (نزل ذلك) أي: هذه الآية لما همَّ فقراء المهاجرين الخ وحينئذ فالمطابق لصورة السبب هو الجملة الثانية وهي قوله: ﴿والزانية﴾ الخ، فهي كافية في بيان حكمه كما أشار له أبو السعود ونصه: وإيراد الجملة الأولى مع أن مناط التنفير هي الثانية إما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن، أو لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير، وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة حيث لم يقل والمشركة للتنبيه على مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الإشراك، وإنما تعرض لها في الأولى إشباعاً في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة اهـ.

قوله: (وهن موسرات) أي: غنيات، والجملة حال. قوله: (فقيل التحريم) أي: في قوله: ﴿وحرم ذلك﴾، وقوله: (خاص بهم) أي: ولم ينسخ إلى الآن. قوله: ﴿وأنكحوا الأيامى﴾ [النور: ٣٢] جمع أيم وهي من ليس لها زوج بكراً كانت أو ثيباً ومن ليس له زوجة. والحاصل، أن لفظ الأيم يطلق على كل من المرأة والرجل الغير المتزوجين، وهذا يشمل الزاني والزانية وغيرهما اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ الخ مبتدأ أخبر عنه بجمل ثلاث، الأولى: فاجلدوهم. والثانية: قوله: ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾. الثالثة: ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾. واتفقوا على رجوع

كل واحد منهم ﴿ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً﴾ في شيء ﴿أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ لإتيانهم كبيرة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لهم قذفهم ﴿رَّحِيمٞ ۝٥﴾ بهم بإلهامهم التوبة، فبها ينتهي فسقهم وتقبل شهادتهم، وقيل لا تقبل رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة

الاستثناء الآتي للجملة الأخيرة وعلى عدم رجوعه للأولى، واختلفوا في رجوعه للثانية. فعند الشافعي ومالك يرجع لها أيضاً كما رجع للأخيرة، وعند أبي حنيفة لا يرجع لها أيضاً كما لا يرجع للأولى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿المحصنات﴾ وكذا المحصنين، وإنما خصهن بالذكر لأن شأنهن الميل للزنا، وإذا كان يجب حد قاذفهن فيجب حد قاذف الرجل المحصن بالأولى اهـ شيخنا.

قوله: (العفيفات) تفسير للمحصنات بالنظر لمعنى الإحصان لغة، ويعتبر فيه شرعاً زيادة على العفة أمور أخر وهي الإسلام والتكليف والحرية، فإن انتفى شرط منها لم يحد القاذف بل يعزر اهـ.

قوله: (برؤيتهم) متعلق بشهداء أي: يشهدون بأنهم رأوا الذكر في الفرج اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أبداً﴾ أي: ما داموا مصرين على عدم التوبة. هذا هو المراد بالأبدية بدليل الاستثناء، وهذا على مذهب الإمام الشافعي ومالك من رد الاستثناء إلى الجملتين، وأما على مذهب أبي حنيفة من رده إلى الأخير فقط، فالمراد بالأبد مدة حياتهم ولو تابوا اهـ.

قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾ اختلف في هذا الاستثناء فقيل: متصل لأن المستثنى منه في الحقيقة الذين يرمون والتائبون من جملتهم لكنهم مخرجون من الحكم وهذا شأن المتصل، وقيل: منقطع لأنه لم يقصد إخراجه من الحكم السابق بل قصد إثبات حكم آخر له، وهو أن التائب لا يبقى فاسقاً ولأنه غير داخل في صدر الكلام لأنه غير فاسق اهـ شهاب.

وهذا التوجيه ضعيف جداً إذ يلزم عليه أن يكون كل استثناء منقطعاً لجريان التوجيه المذكور فيه، تأمل.

قوله: ﴿من بعد ذلك﴾ أي: القذف. قوله: (فبها ينتهي فسقهم) هذا مبني على رجوع الاستثناء للجملتين الأخيرتين وهو مذهب الشافعي، فعنده أن التائب تقبل شهادته ويزول فسقه، وقوله: (وقيل لا تقبل الخ) وهذا مذهب أبي حنيفة يقول: إن الفاسق لا تقبل توبته وإن تاب، واتفق الأئمة الأربعة على عدم رجوع الاستثناء إلى الأولى وهي قوله: ﴿فاجلدوهم﴾، فالقاذف يجلد عند الجميع سواء تاب أو لم يتب اهـ شيخنا.

وقوله: (رجوعاً بالاستثناء الخ) أي: قصراً له على الجملة الأخيرة.

قوله: ﴿أزواجهم﴾ جمع زوج بمعنى الزوجة، فإن حذف التاء منها أفصح من إثباتها إلا في الفرائض اهـ شيخنا.

ولم يقيد هنا بالمحصنات إشارة إلى أن اللعان يشرع في قذف المحصنة وغيرها، فهو في قذف المحصنة يسقط الحد عن الزوج، وقد قذف غيرها يسقط التعزير كأن كانت ذمية أو أمة أو صغيرة تحتمل

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾ عليه ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ مبتدأ ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾ نصب على المصدر ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦)﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧)﴾ في ذلك، وخبر المبتدإ تدفع عنه

الوطء بخلاف قذف الصغيرة التي لا تحتمله، وبخلاف قذف الكبيرة التي ثبت زناها ببينة أو إقرار، فإن الواجب في قذفهما التعزير لكنه لا يلاعن لدفعه كما في كتب الفروع. قوله: ﴿**ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم**﴾ في رفع أنفسهم وجهان، أحدهما: أنه بدل من شهداء ولم يذكر الزمخشري غيره. والثاني: أنه نعت له على أن إلا بمعنى غير اهـ سمين.

ولا مفهوم لهذا القيد بل يلاعن، ولو كان واجداً الشهود الذين يشهدون بزناها. وعبارة المنهج مع شرحه: ويلاعن ولو مع إمكان بينة بزناها لأنه حجة كالبينة، وصدنا عن الأخذ بظاهر قوله تعالى: ﴿**ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم**﴾ من اشتراط تعذر البينة الإجماع، فالآية مؤولة بأن يقال: فإن لم يرغب في البينة قليلاً عن كقوله: ﴿**فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان**﴾ [البقرة: ٢٨٢] على أن هذا القيد خرج على سبب، وسبب الآية كان الزوج فيه فاقداً للبينة وشرط العمل بالمفهوم أن يخرج القيد على سبب فيلاعن مطلقاً لنفي ولد، ولدفع العقوبة حداً أو تعزيراً اهـ.

قوله: (وقع ذلك) أي: قذف الزوجة بالزنا لجماعة من الصحابة، كهلال بن أمية، وعويمر العجلاني وعاصم بن عدي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فشهادة أحدهم﴾ في رفعها ثلاثة أوجه، **أحدها**: أن يكون مبتدأ وخبره مقدر التقديم أي: فعليهم شهادة، أو مؤخر أي: فشهادة أحدهم كائنة أو واجبة. **الثاني**: أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي: فالواجب شهادة أحدهم. **الثالث**: أن يكون فاعلاً بفعل مقدر أي: فيكفي والمصدر هنا مضاف للفاعل، وقرأ العامة أربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فيه شهادة فالناصب للمصدر مصدر مثله كما في قوله: ﴿**فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا**﴾ [الإسراء: ٦٣]. وقرأ الأخوان، وحفص برفع أربع أنها خبر المبتدأ وهو قوله: فشهادة، ويتخرج على القراءتين تعلق الجار في قوله بالله، فعلى النصب يجوز فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن يتعلق بشهادات لأنه أقرب إليه. والثاني: أنه متعلق بقوله: فشهادة أي: فشهادة أحدهم بالله، ولا يضر الفصل بأربع لأنها معمولة للمصدر فليست أجنبية. والثالث: أن المسألة من باب التنازع فإن كلاً من شهادة وشهادات يطلبه من حيث المعنى، وتكون المسألة من إعمال الثاني للحذف من الأول وهو مختار البصريين. وعلى قراءة الرفع يتعين تعلقه بشهادات، إذ لو علق بشهادة لزم الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر، وهو لا يجوز لأنه أجنبي ولم يختلف في أربع. الثانية وهي قوله: ﴿**أن تشهد أربع شهادات**﴾ في أنها منصوبة للتصريح بالعامل فيها وهو الفعل اهـ سمين.

وقوله: لأنه أجنبي ممنوع لأن الخبر معمول للمبتدأ فليس أجنبياً منه. **قوله: (نصب على المصدر)** أي: الاصطلاحي، أي: النحوي وهو كل ما انتصب على المفعولية المطلقة، فإنه يسمى عند النحاة مصدراً وإن كان غير مصدر بمعنى اللفظ الدال على الحدث وحده، وما هنا نعت للمصدر المحذوف تقديره شهادة أربع. هذا وقرىء في السبعة أيضاً أربع بالرفع على الخبرية ولا حذف في

حد القذف ﴿وَيَدْرَؤُا﴾ يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ أي حد الزنا الذي ثبت بشهاداته ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝﴾ فيما رماها به من الزنا ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝﴾ في ذلك ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالستر في ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ بقبوله التوبة في ذلك وغيره ﴿حَكِيمٌ ۝﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره لبين الحق في ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾ أسوأ الكذب على عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بقذفها ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾

الكلام، وقوله: ﴿والخامسة أن لعنة الله﴾ الخ بالرفع لا غير باتفاق السبعة، وقوله: ﴿أن تشهد أربع شهادات﴾ بالنصب لا غير باتفاق السبعة، وقوله: ﴿والخامسة أن غضب الله﴾ الخ يجوز في السبعة رفعه ونصبه، فتلخص أن الخامسة الأولى بالرفع لا غيره، وفي الثانية الوجهان، وأن الأربع الثانية بالنصب لا غير وفي الأولى الوجهان اهـ.

قوله: (وخبر المبتدأ) أي: الذي هو شهادة أحدهم، وأما قوله: ﴿والخامسة﴾ فهو معطوف على المبتدأ فالخبر المحذوف خبر عن المعطوف والمعطوف عليه، وقوله: ﴿أن لعنة الله﴾ بدل من الخامسة، أو على تقدير حرف الجر أي: أن لعنة اهـ شيخنا.

وقوله: فهو معطوف على المبتدأ غير متعين بل يصح رفعه بالابتداء، وأن لعنة الله خبره والجملة معترضة بين المبتدأ وخبره المحذوف اهـ.

قوله: (تدفع عنه حد القذف) هذا المقدر يدل عليه ما بعده اهـ كرخي.

ومثل حد القذف التعزير لما تقرر في الفروع أن اللعان يسقطه كما يسقط الحد، وتقدم التنبيه عليه قريباً.

قوله: (في ذلك) أي: فيما رماها به.

قوله: ﴿عليكم﴾ فيه التفات عن الغيبة في قوله: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾، ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾. والخطاب لكل من الفريقين أي القاذفين والمقذوفات، ففي الكلام تغليب صيغة الذكور على صيغة الإناث حيث لم يقل عليكم وعليكن اهـ شيخنا.

قوله: (بالستر) متعلق بكل من المصدرين أي: تفضله عليكم بالستر ورحمته لكم به في ذلك أي: القذف اهـ شيخنا.

قوله: (لبين الحق) جواب لولا، والمراد بالحق ما في نفس الأمر كأن يقول الله في بيانه: فلان صادق في قذفه بالزنا لكون المقذوفة قد زنت في نفس الأمر، أو يقول: فلان كاذب في قذفه لكون المقذوفة لم تزن في نفس الأمر، فستر الله ما في نفس الأمر وشرع الحدود المتقدم تفصيلها اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: لبين أشار به إلى أن جواب لولا محذوف يدل عليه ما يأتي، وكررت لولا في هذا السياق أربع مرات أولها: هذا وحذف جوابها في هذا وفي الثالث، وصرح به في الثاني وفي الرابع كما سيأتي اهـ.

قوله: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك﴾ الخ هذا شروع في الآيات المتعلقة بالإفك وهي ثمانية عشر

جماعة من المؤمنين، قالت: حسان بن ثابت وعبد الله بن أبيّ ومسطح وحمنة بنت جحش ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنون غير العصبة ﴿شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يأجركم الله به ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه وهو صفوان، فإنها قالت: كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعدما أنزل الحجاب،

تنتهي بقوله: ﴿أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفر ورزق كريم﴾ [النور: ٢٦] اهـ شيخنا.

قوله: (أسوأ الكذب) أي: أقبحه وأفحشه. وفي الخازن: والإفك أسوأ الكذب لكونه مصروفاً عن الحق، وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والديانة، فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل اهـ.

قوله: (على عائشة) متعلق بالكذب، وقد عقد عليها النبي ﷺ بمكة وهي بنت ست سنين، ودخل عليها بالمدينة وهي بنت تسع، وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عصبة﴾ خبر إن، والعصبة من العشرة إلى الأربعين وإن كان من عينتهم وذكرتهم أربعة فقط، لأن المراد أن هؤلاء الأربعة هم الرؤساء في هذا الأمر وساعدهم عليه غيرهم كما قاله أبو السعود اهـ شيخنا.

قوله: (من المؤمنين) أي: ولو ظاهراً، فإن أكبرهم عبد الله بن أبي وكان من كبار المنافقين اهـ شيخنا.

قوله: (قالت) أي: عائشة في تعيين عدد أهل الإفك اهـ شيخنا.

قوله: (وحمنة بنت جحش) هي زوجة طلحة بن عبيد الله اهـ خازن.

قوله: ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ استئناف خوطب به النبي ﷺ، وأبو بكر، وعائشة وصفوان تسلية لهم من أول الأمر، والضمير للإفك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بل هو خير لكم﴾ أي: لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثماني عشرة آية في براءتكم، وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من ظن بكم خيراً اهـ بيضاوي.

قوله: (يأجركم الله به) أي: بسبب الصبر عليه، وفي المصباح: أجره الله أجراً من بابي ضرب وقتل، وآجره بالمد لغة ثالثة إذا أثابه اهـ.

قوله: (ومن جاء معهم) أي: أتى إلى الجيش يقود بها البعير، وقوله: (منه) متعلق ببراءة والضمير للإفك، وقوله: (وهو صفوان) أي السلمي ابن المعطل اهـ شيخنا.

قوله: (في غزوة) قيل: هي غزوة المريسيع، وتسمى أيضاً غزوة بني المصطلق، وكانت في السنة الرابعة، وقيل: في السادسة اهـ شيخنا.

وسببها: أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه، وقائدهم الحرث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ، فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له

ففرغ منها ورجع، ودنا من المدينة، وآذن بالرحيل ليلة، فمشيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرحل، فإذا عقدي انقطع «هو بكسر المهملة القلادة» فرجعت ألتمسه، وحملوا هودجي «هو ما يركب فيه» على بعيري يحسبونني فيه، وكانت النساء خفافاً إنما يأكلن العلقة «هو بضم المهملة وسكون اللام من الطعام أي القليل» ووجدت عقدي، وجئت بعدما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلي، فغلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فأدلج. هما «بتشديد الراء والدال» أي نزل من آخر

المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فاقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم فأفاءها وردها عليهم اهـ من الخازن في سورة المنافقون.

قوله: (بعدما أنزل الحجاب) في نسخة بعدما نزلت آية الحجاب اهـ.

وهي قوله تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من رواء حجاب﴾ [الأحزاب: ٥٣] اهـ.

قوله: (وآذن) بالمد من الإيذان وهو الإعلام، أو بالقصر بالتخفيف من الإذن، أو بالتشديد من التأذين وهو الإعلام أيضاً اهـ شيخنا.

قوله: (وقضيت شأني) أي: حاجتي كالبول اهـ شيخنا.

قوله: (وأقبلت إلى الرحل) أي: المنزل الذي فيه القوم اهـ شيخنا.

قوله: (فإذا عقدي انقطع) أي: فإذا أنا أدركت أنه قد انقطع لما وضعت يدي على صدري فما وجدته، وكان من جزع أظفار أي: خرز يمان غالي القيمة، وكان أصله لأمها أعطته لها حين تزوجها النبي اهـ شيخنا.

قوله: (ألتمسه) أي: أفتش. وقوله: (على بعيري) معمول لحملوا، وقوله: (يحسبونني الخ) حال، وقوله: (وكانت النساء الخ) تعليل للحال، وقوله: (إنما يأكلن الخ) تعليل للتعليل. قوله: (في المنزل الذي كنت فيه) أي: حين كان القوم نازلين، وهذا من حسن عقلها وجودة رأيها، فإن من الآداب أن من تاه عن الرفقة وعرف أنهم يفتشون عليه أن يجلس في المكان الذي فقدوه فيه ولا ينتقل منه، فربما رجعوا يلتمسونه فلا يجدونه اهـ شيخنا.

قوله: (فنمت) وكانت كثيرة النوم لحداثة سنها اهـ شيخنا.

قوله: (وكان صفوان قد عرس الخ) وكان صاحب ساقة رسول الله ﷺ لشجاعته، وكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم فما سقط منهم شيء إلا حمله حتى يأتي به أصحابه اهـ كرخي.

قوله: (هما بتشديد الراء والدال) لف ونشر مرتب، وكذا قوله: (أي نزل الخ) فسار منه الخ، فالتعريس هو النزول آخر الليل للاستراحة، والادلاج هو السير آخر الليل، وأما قولها: فأصبح في منزله فليس من معنى الادلاج، بل بيان للواقع اهـ شيخنا.

وفي المختار: والتعريس نزول القوم في السفر من آخر الليل يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم

الليل للاستراحة، فسار منه فأصبح في منزله، فرأى سواد إنسان نائم، أي شخصه، فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، فخمرت وجهي بجلبابي، أي غطيته بالملاءة، والله ما كلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حين أناخ راحلته ووطىء على يدها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش، بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، أي من أوغر، واقفين في مكان وعر من شدة الحر، فهلك من هلك فيَّ، وكان الذي تولى كبره منهم، عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول، اهـ قولها، رواه الشيخان، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُم﴾ أي عليه ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ في ذلك ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبيّ ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ هو النار في الآخرة ﴿لَّوْلَآ﴾ هلا ﴿إِذْ﴾ حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ

يرتحلون، وأعرسوا فيه لغة قيلة، والموضع معرس بالتشديد ومعرس بوزن مخرج اهـ.

وفيه أيضاً: أدلج سار من أول الليل، وادّلج بتشديد الدال سار من آخره والاسم الدلجة اهـ.

قوله: (فأصبح في منزله) أي: منزل الجيش أي المنزل الذي كان الجيش نازلاً فيه، وهو الذي مكثت فيه عائشة اهـ شيخنا.

قوله: (ووطىء على يدها) أي: وضع رجله على ركبتها اهـ شيخنا.

قوله: (موغرين) فسّره بقوله: واقعين الخ. والظهيرة شدة الحر كما يعلم من كلامه أيضاً ونحرها أولها يعني أتينا الجيش في وقت القيلولة اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الوغرة شدة الحر، وغرت الهاجرة كوعد، وأوغروا دخلوا فيها، والوغر ويحرك الحقد والضعف والعداوة والتوقد من الغيظ، وقد وغر صدره كوعد ووجل وغراً ووغراً بالتحريك اهـ.

وقوله: واقعين أي نازلين في مكان وغر، ففي المصباح: ووقع في أرض فلاة صار فيها اهـ.

قوله: (فهلك من هلك) أي: تكلم بما هو سبب لهلاكه، وقوله: (فيَّ) أي بسببي. قوله: (وكان الذي تولى كبره) أي: الإفك. وقوله: (ابن سلول) وصف ثان لعبد الله، وسلول اسم أمه، فهو يمنع الصرف فنسب أولاً لأبيه وثانياً لأمه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لكل امرىء منهم﴾ أي من أولئك العصبة، وكذا قوله: ﴿منهم﴾ الثانية، وقوله: (أي عليه) أشار به إلى أن اللام بمعنى على، وقوله: ﴿ما اكتسب﴾ على حذف مضاف أي جزاء ما اكتسب، وقوله: (في ذلك) أي: الإفك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ أي: جزاء ما اكتسب من الإثم في الآخرة وفي الدنيا أيضاً، فإنهم قد حدّوا حدّ القذف أي: حدهم النبي وردت شهادتهم، وصار ابن أبيّ مطروداً مشهوداً عليه بالنفاق، وعمي حسان وشلت يداه في آخر عمره، وكذلك عمي مسطح أيضاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لولا إذ سمعتموه﴾ الخ لما بين تعالى حال الخائضين في الإفك بقوله: ﴿لكل امرىء

بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي ظن بعضهم ببعض ﴿خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ كذب بين، فيه التفات عن

منهم الخ﴾. شرع هنا في توبيخهم وتعييرهم وزجرهم بتسعة زواجر، الأول: هذا. والثاني: ﴿لولا جاؤوا عليه﴾ الخ. والثالث: ﴿ولولا فضل الله﴾ الخ. والرابع: ﴿إذ تلقونه﴾ الخ. والخامس: ﴿ولولا إذ سمعتموه﴾ الخ. والسادس: ﴿يعظكم الله﴾ الخ. والسابع: ﴿إن الذين يحبون﴾ الخ. والثامن: ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ الخ. والتاسع: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ إلى ﴿سميع عليم﴾ اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿لولا إذ سمعتموه﴾ لولا: للتوبيخ ولذلك فسرها بهلا، وهذا شأنها إذا دخلت على الماضي كما هنا، كما أن شأنها إذا دخلت على المضارع أن تكون للتخصيص، وإذا دخلت على الجملة الاسمية تكون امتناعية أي: تدل على امتناع جوابها لوجود شرطها كما سيأتي في قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ الخ. وإذ ظرف لظن أي: هلا ظننتم بأنفسكم خيراً حين سمعتم الإفك أي: كان ينبغي لكم بمجرد سماعه أن تحسنوا الظن في أم المؤمنين فضلاً عن أن تتمادوا في سماعه، فضلاً عن أن تصروا عليه بعد السماع اهـ شيخنا.

وقوله: وهذا شأنها إذا دخلت على الماضي يخالفه ما في السمين، فإنه قال: لولا هذه تحضيضية اهـ.

ومع ذلك فسرها بهلا، ويكون المقصود التحضيض على الظن المذكور. وعبارة السمين: لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ لولا هذه تحضيضية وإذ منصوبة بظن، والتقدير: لولا ظن المؤمنين بأنفسهم خيراً إذ سمعتموه، وفي هذا الكلام التفات. قال الزمخشري: فإن قلت: هلا قيل لولا إذ سمعتموه وظننتم بأنفسكم خيراً، وقلتم: ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر؟ قلت: ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق أحد شيئاً قيل في حق أخيه، وقوله: ولم عدل عن الخطاب يعني في قوله: وقالوا فإنه كان الأصل، وقلتم: فعدل عن هذا الخطاب إلى الغيبة في وقالوا، وقوله: وعن الضمير يعني أن الأصل كان ظننتم فعدل عن ضمير الخطاب إلى لفظ المؤمنون.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿لولا﴾ هلا الخ أشار به إلى أن لولا تحضيضية وذلك كثير في اللغة إذا دخلت على الفعل، كقوله: ﴿لولا أخرتني﴾ [المنافقون: ١٠] وقوله: فلولا كان، فأما إذا وليها الاسم فليس كذلك كقوله: لولا أنتم لكنا مؤمنين ولولا فضل الله عليكم، وإذ منصوب بظن. والتقدير: لولا ظن المؤمنون بأنفسهم إذ سمعتموه وتوسط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيصها بأول زمان سماعهم اهـ.

قوله: ﴿بأنفسهم﴾ أي: بأبناء جنسهم النازلين منزلة أنفسهم في اشتراك الكل في الإيمان كقوله تعالى: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ [البقرة: ٨٥] وقوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ [الحجرات: ١١] اهـ أبو السعود.

قوله: (فيه التفات عن الخطاب) أي: إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر أي: في قوله: ﴿ظن

الخطاب، أي ظننتم أيها العصبة وقلتم ﴿لَّوْلَا﴾ هلا ﴿جَآءُو﴾ أي العصبة ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ شاهدوه ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَآءِ فَأُولَٰٓئِكَ عِندَ اللَّهِ﴾ أي في حكمه ﴿هُمُ الْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ فيه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أيها العصبة أي خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ في الآخرة ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي يرويه بعضكم عن بعض، وحذف من الفعل إحدى التاءين، وإذ

المؤمنون﴾ فإنه كان الأصل ظننتم، وفي قوله: قالوا فإنه كان الأصل وقلتم مبالغة في التوبيخ وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين، والكف عن الطعن فيهم، وذبّ الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿لولا جاؤوا عليه﴾ أي: الإفك، وقوله: (شاهدوه) أي: عاينوه أي: عاينوا متعلقة وهو الزنا. قوله: (أي في حكمه) أي: في قضائه الأزلي. وعبارة الكرخي: قوله: أي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقدمة، وهذا جواب كيف علق قوله: ﴿فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ على عدم الإتيان بالشهداء، وهم عنده سبحانه كاذبون في إفك عائشة رضي الله تعالى عنها مطلقاً، وإيضاحه؛ فأولئك في حكم الله لا في علمه لئلا يلزم المحال كما تقول هذا عند الشافعي حلال، ولا شك أنهم لو أتوا بالبينة المعبرة كان حكم الله أنهم صادقون في الظاهر، ففيه إيذان بأن مدار الحكم على الشهادة والأمر الظاهر لا على السرائر، ولذلك أي ليكون ما لا حجة عليه كذباً في حكم الله تعالى رتب الحد على انتفاء الحجة في قوله: ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم﴾ [النور: ٤] الآية اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة﴾ لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى: ولولا فضل الله عليكم في الدنيا والآخرة بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدرين لكم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فيما أفضتم فيه﴾ أي: بسببه، وما عبارة عن حديث الإفك والإبهام لتهويل أمره يقال: أفاض في الحديث وخاض واندفع بمعنى اهـ شيخنا.

وما اسم موصول أي لمسكم بسبب الذي أفضتم أي خضتم فيه وهو الإفك، ويصح أن تكون مصدرية، والمعنى: لمسكم بسبب إفاضتكم وخوضكم فيه أي: الإفك. قوله: ﴿عذاب عظيم﴾ (في الآخرة) أي: غير ابن سلول، فإن عذابه محتم فيها كما تقدم في قوله: ﴿والذي تولى كبره منهم﴾ [النور: ١١] الخ والشارح حمل العذاب على عذاب الآخرة، وغيره حمله على عذاب الدنيا وقال: أي عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد الذي وقع لهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ التلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا أن في الأول معنى الاستقبال، وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة، وفي الثالث معنى الحذق والمهارة اهـ أبو السعود.

وفي الشهاب: الأفعال المذكورة متقاربة المعاني إلا أن في التلقي معنى الاستقبال، وفي التلقن

منصوب بمسكم أو بأفضتم ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥﴾ في الإثم ﴿وَلَوْلَا﴾ هلا ﴿إِذْ﴾ حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ﴾ هو للتعجب هنا ﴿هَٰذَا بُهْتَانٌ﴾ كذب ﴿عَظِيمٌ ۝١٦﴾ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ ينهاكم ﴿أَن تَعُودُوا

الحذق في التناول، وفي التلقف الاحتيال فيه كما ذكره الراغب اهـ.

وقوله: معنى الاستقبال المراد به المقابلة والمواجهة كما في كتب اللغة. **قوله**: ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ أي: وتقولون كلاماً مختصاً بالأفواه بلا مساعدة من القلوب، لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم كقوله: ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ [آل عمران: ١٦٧] اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ولولا إذ سمعتموه﴾ الخ إذ ظرف لقلتم أي: كان ينبغي لكم بمجرد أول السماع أن تقولوا ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وأن تقولوا سبحانك الخ اهـ شيخنا.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم بالظرف؟ قلت: للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها، فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها. قال أبو حيان: وهذا يوهم اختصاص ذلك بالظرف وهو جار في المفعول به تقول: لولا زيداً ضربت ولولا عمراً قتلت. وقال الزمخشري أيضاً: فإن قلت: أي فائدة في تقديم الظرف حتى وقع فاصلاً؟ قلت: الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يحترزوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم، فلما كان ذكر الوقت أهم وجب تقديمه اهـ كرخي.

قوله: (ما ينبغي) أي: ما يليق وما يصح، وقوله: سبحان من جملة ما ينبغي أن يقولوه، والمعنى: لولا قلتم ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا حال كونهم متعجبين من هذا الأمر الغريب اهـ.

قوله: (هو للتعجب هنا) أي: من عظم الأمر. قال في الكشاف: فإن قلت: ما معنى التعجب في كلمة التسبيح؟ قلت: الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أي: بدون ملاحظة معنى التنزيه أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة، فإنه لا يجوز للتنفير أي عن النبي وهو خلاف مقصود الإرسال بخلاف كفرها، وكان في امرأة نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام، فإنه لا يكون سبباً للتنفير، بل يفضي إلى تأليف قلوب المدعوين إلى الدين اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: سبحانك تعجب ممن تفوّه به، وأصله أن يذكر عند معاينة العجب من صنائعه تعالى تنزيهاً له سبحانه من أن يصعب عليه أمثاله، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو تنزيه له تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة، فإن فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج من الولد والنسل، فإن المرأة إذا كانت زانية لم يعلم كون الولد من الزوج، فيكون هذا تقريراً لما قبله وتمهيداً لقوله: ﴿هذا بهتان عظيم﴾ اهـ مع زيادة من الكازروني.

قوله: (ينهاكم) ﴿أن تعودوا﴾ الخ أشار به إلى أن يعظكم ضمن معنى فعل يتعدى بعن، ثم حذف

لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ تتعظون بذلك ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ في الأمر والنهي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ فيه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ باللسان ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بنسبتها إليهم وهم العصبة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بحد القذف ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنار لحق الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انتفاءها عنهم ﴿وَأَنتُمْ﴾ أيها العصبة بما قلتم من الإفك ﴿لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ وجودها فيهم ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها العصبة ﴿وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ بكم لعاجلكم بالعقوبة ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي طرق تزيينه ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾

أي ينهاكم عن العود وهذا أحد الأوجه في الآية، والثاني: أنه على حذف في أي في أن تعودوا، والثالث: أن أن تعودوا مفعول لأجله أي يعظكم كراهة أن تعودوا اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: يعظكم الله أي: ينصحكم أو يزجركم اهـ.

قوله: ﴿أبداً﴾ أي: ما دمتم أحياء. قوله: (تتعظون بذلك) أشار بهذا إلى أن المنفي عنهم ثمرة الإيمان وهو الاتعاظ لا نفسه اهـ شيخنا.

الجملة صفة للمؤمنين، وجواب الشرط محذوف أي إن كنتم مؤمنين فلا تعودوا مثله اهـ.

قوله: ﴿حكيم﴾ (فيه) أي: فيما يأمر به وينهى عنه.

قوله: (باللسان) أشار به إلى أن المراد بإشاعتها إشاعة خبرها، وفي أبي السعود: المراد بشيوعها شيوع خبرها اهـ.

قوله: (بنسبتها إليهم) أشار به إلى أن المراد بالذين آمنوا خصوص المقذوفين وهم عائشة وصفوان وقوله: (وهم العصبة) بيان للذين يحبون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لهم عذاب أليم﴾ خبر إن، وقوله: بالحد للقذف، فقد ثبت أن النبي ﷺ حدهم أي القاذفين وهم الأربعة المتقدم بيانهم في الشارح، وقوله: (لحق الله) أي ذنب الإقدام فلا ينافي أن الحدود جوابر لأنها جوابر للذنب المحدود به كالقذف، وأما ذنب الإقدام فلا يكفره إلا التوبة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والله يعلم﴾ (انتفاءها عنهم الخ) عبارة أبي السعود: والله يعلم جميع الأمور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة، وأنتم لا تعلمون ما يعلمه تعالى، بل إنما تعلمون ما ظهر لكم من الأقوال والأفعال المحسوسة فابنوا أموركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الأفعال الظاهرة، والله سبحانه وتعالى هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور انتهت.

قوله: ﴿وأن الله رؤوف رحيم﴾ معطوف على فضل الله، وقوله: (لعاجلكم بالعقوبة) جواب لولا، وخبر المبتدأ محذوف أي موجودان على القاعدة من وجوب حذفه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿خطوات الشيطان﴾ بضم الطاء وإسكانها قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان﴾ جواب الشرط محذوف تقديره: فقد غوى فإنه صار يأمر

أي المتبع ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي القبيح ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ شرعاً باتباعها ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ أيها العصبة بما قلتم من الإفك ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَن يَشَاءُ﴾ من الذنب بقبول توبته منه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما قلتم ﴿عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ بما قصدتم ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ يحلف ﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾ أي أصحاب الغنى ﴿مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن﴾ لا ﴿يُؤْتُوا أُولِي

بالفحشاء والمنكر أي: صار فيه خاصية الشيطان وهي الأمر بهما اهـ شيخنا.

قوله: (أي المتبع) أي: للشيطان. فجعل الشارح الضمير عائداً على من، ولو أعاده على الشيطان لقال أي الشيطان إذ هو أوضح في هذا المقام، وقوله: (باتباعها) أي: القبائح كما صرح به الخازن وهي مفهومة من الفحشاء والمنكر، والباء سببية أي: فإنه بسبب اتباعه القبائح صار يأمر بالفحشاء والمنكر لأنه لما ضل في نفسه صار يضل غيره. وعبارة أبي السعود: وقيل: إنه أي الضمير عائد على من أي، فإن المتبع للشيطان يأمر الناس بهما فإن شأن الشيطان هو الإضلال، فمن اتبعه فإنه يترقى منه رتبة الضلال والفساد إلى رتبة الإضلال والإفساد اهـ.

قوله: ﴿ما زكى منكم من أحد أبداً﴾ هذا يفيد أنهم قد طهروا وتابوا وهو كذلك يعني غير عبد الله ابن أبي، فإنه استمر على الشقاوة حتى هلك اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ما زكى ما طهر من دنسها منكم من أحد أبداً إلى آخر الدهر، ولكن الله يزكي من يشاء يحمله على التوبة وقبولها، والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم اهـ.

قوله: (بما قلتم من الإفك) الباء بمعنى من، كما يدل عليه قوله (أي): ما صلح وطهر من هذا الذنب. وقوله: ﴿من أحد﴾ من زائدة في الفاعل.

قوله: ﴿ولا يأتل﴾ لا: ناهية والفعل مجزوم بحذف الياء لأنه معتل بها، يقال: ائتلى يأتلي بوزن انتهى ينتهي من الألية كهدية ومعناه الحلف يقال: ألية وألايا بوزن هدية وهدايا اهـ شيخنا.

وفي المختار: وآلى يؤلي إيلاء حلف وتألى وائتلى مثله. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم﴾ [النور: ٢٢] والألية اليمين وجمعها ألايا اهـ.

قوله: (أي أصحاب الغنى) على هذا التفسير يتكرر الفضل مع السعة فالأولى تفسير الفضل بالدين كما صنع غيره، وقوله: أن لا يؤتوا على تقديره حرف الجر أي على أن لا يؤتوا الخ اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: ولا يأتل أولو الفضل منكم في الدين وكفى به دليلاً على فضل الصديق والسعة في المال اهـ.

قوله: (حلف أن لا ينفق على مسطح) فجاء مسطح واعتذر وقال: إنما كنت أغشى مجلس حسان وأسمع ولا أقول، فقال له أبو بكر: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ومر على يمينه، ومسطح هو ابن أثاثة بضم الهمزة وفتحها ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف، وقيل: اسمه عوف ومسطح لقبه اهـ قرطبي.

﴿ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ نزلت في أبي بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدري لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ﴾ عنهم في ذلك ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ للمؤمنين قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ﴾ بالزنا ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ العفائف ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾

قوله: ﴿أولي القربى﴾ الخ أي: أصحاب القربى أي القرابة، وقوله: ﴿والمساكين والمهاجرين﴾ معطوفان على أولي، والمعنى أن يؤتوا الأقارب والمساكين والمهاجرين، فهذه الأوصاف الثلاثة لموصوف واحد والتعبير بصيغة الجمع، وبالعطف لتعدد الأوصاف وإن كان الموصوف بها واحداً وهو مسطح اهـ شيخنا.

قوله: (وهو ابن خالته الخ) بيان للأوصاف الثلاثة في الآية، وأنها لموصوف واحد جيء بها بطريق العطف تنبيهاً على أن كلاً منها علة مستقلة لاستحقاقه الإنفاق عليه اهـ أبو السعود.

وقوله: بدريّ زائد على ما في الآية اهـ شيخنا.

قوله: (لما خاض) ظرف لقوله حلف أن لا ينفق، وقوله: (ناس) معطوف على في أبي بكر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وليعفوا﴾ أي: أولو الفضل، وقوله: (عنهم) أي الخائضين في الإفك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وليصفحوا﴾ أي: ليعرضوا عن لومهم، فإن العفو أن يتجاوز عن الجاني، والصفح أن يتناسى جرمه، وقيل: العفو بالفعل والصفح بالقلب اهـ زاده.

قوله: (ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه) أي: وحلف أن لا ينزع نفقته منه أبداً اهـ كرخي.

ورجع من باب جلس فيستعمل مخففاً ومتعدياً للمفعول به على قوله: ﴿فإن رجعك الله إلى طائفة منهم﴾ [التوبة: ٨٣] يرجع بعضهم إلى بعض القول ومعناه أعاد ورد اهـ شيخنا.

لكن في هذا إجمال إذ الذي من باب جلس هو اللازم، وأما المتعدي فمن باب ضرب كما في المختار اهـ.

قوله: ﴿الغافلات﴾ (عن الفواحش الخ) قال الزمخشري: الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلم يفطنّ لما يفطن له المجربات العارفات قال: وكذلك البله من الرجال في قوله ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله» اهـ.

قال في النهاية: هو جمع الأبله وهو الغافل عن الشر المطبوع على الخير، وقيل: هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس لأنهم أغفلوا أمر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها، وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا نفسهم بها فاستحقوا أن يكونوا أكثر أهل الجنة، وأما الأبله الذي لا عقل له فغير مراد في الحديث لأن المقام مقام مدح اهـ كرخي.

عن الفواحش بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم ﴿تَشْهَدُ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ من قول وفعل وهو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ حيث حقق لهم جزاءه

قوله: ﴿لعنوا في الدنيا﴾ أي: أبعدوا فيها عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين والآخرة إن لم يتوبوا اهـ كرخي.

وفي الخازن: لعنوا أي: عذبوا في الدنيا بالحد والآخرة بالنار اهـ.

وفي القرطبي: لعنوا في الدنيا والآخرة. قال العلماء: إن كان المراد بهذه الآية المؤمنين من القذفة، فالمراد باللعنة الإبعاد وضرب الحد واستيحاش المؤمنين منهم وهجرهم لهم وزوالهم عن رتبة العدالة، والبعد عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين اهـ.

قوله: (ناصبه الاستقرار الخ) والتقدير: وعذاب عظيم كائن لهم يوم تشهد الخ، وإنما لم يجعل منصوباً بالمصدر وهو عذاب لأن شرط عمله عند البصريين أن لا يوصف وهنا قد وصف، وأجيب عن هذا بأن الظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره اهـ من السمين.

قوله: (بالفوقانية والتحتانية) سبعيتان.

قوله: ﴿يومئذ﴾ معمول ليوفيهم أو ليعلمون والتنوين عوض عن الجملة المحذوفة، والتقدير: يومئذ تشهد عليهم الخ اهـ شيخنا.

قوله: (جزاءهم) تفسير لدينهم، فالمراد به هنا الجزاء، وقوله: (الواجب عليهم) تفسير للحق أي: الثابت عليهم. أي: المقطوع بحصوله لهم وعلى بمعنى اللام اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (جزاءهم الواجب عليهم) أشار به إلى أن الدين بمعنى الجزاء، ففي الحديث: «كما تدين تدان» والحق بمعنى الحقيق اللائق، ويجوز أن يكون من حق الأمر يحق أي وجب ووقع بلا شك اهـ.

قوله: ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ أي: الثابت بذاته الظاهر بألوهيته لا يشاركه في ذلك غيره، ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه، أو ذو الحق البين أي: العادل الظاهر عدله، ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة اهـ بيضاوي.

وفي أبي السعود: ويعلمون أن الله هو الحق الثابت الذي يحق أن يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وأفعاله المبين المظهر للأشياء كما هي في أنفسها، أو الظاهر أنه هو الحق، وتفسيره: بظهور ألوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها، وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام اهـ.

قوله: (حيث حقق لهم جزاءه) يشير به إلى أن المراد بالحق المحقق أي: الموجد للأمر على طبق ما هو عليه في الواقع اهـ شيخنا.

الذي كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن أبيّ. والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهن توبة ومن ذكر في قذفهن أول السورة غيرهن. ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ من النساء ومن الكلمات

قوله: (ومنهم عبد الله بن أبي) أتى بهذا ليصح قوله: (كانوا يشكون فيه) أي: فالشك من بعضهم وهو عبد الله المذكور، وأما حسان ومسطح وحمنة فهم مؤمنون لا يشكون في الجزاء اهـ شيخنا.

قوله: (والمحصنات هنا) أي بخلافهن في أول السورة في قوله: ﴿والذين يرمون المحصنات الخ﴾. فالمراد بهن الجنس الأعم من زوجات النبي، وقوله: (أزواج النبي) أي: لأن من قذف واحدة منهن فقد قذف الجميع لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب إلى رسول الله، فلا يقال: إن القذف إنما هو لعائشة اهـ شيخنا.

قوله: (لم يذكر في قذفهن توبة) أي: على سبيل الاستثناء كأن يقال: لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم إلا الذين تابوا، كما قيل في قذف المحصنات فيما سبق أول السورة: ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ [آل عمران: ٨٩ النور: ٥]. ومراده بهذا تقدير مذهب ابن عباس، فإنه جعل الإفك أغلظ من سائر أنواع الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال: من أذنب ذنباً ثم تاب قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة رضي الله عنها، وهذا منه رضي الله عنه إنما هو لتهويل أمر الإفك والتنبيه على أنه أمر غليظ اهـ من أبي السعود.

قوله: (ومن ذكر) مبتدأ أي: واللواتي ذكر في قذفهن أول السورة أي: بقوله ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾، وقوله: (غيرهن) خبر المبتدأ أي: واللواتي ذكرت التوبة لقاذفيهن غير زوجات النبي، وأما هن فلا توبة لقاذفيهن أي: لا تقبل لهم توبة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الخبيثات﴾ الخ كلام مستأنف مؤسس على قاعدة السنة الإلهية الجارية فيما بين الخلق على موجب أن لله تعالى ملكاً يسوق الأهل إلى أهلها، وقوله: ﴿للخبيثين﴾ أي: مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم إلى غيرهم فاللام للاختصاص، وقوله: ﴿للخبيثات﴾ أي: لأن المجانسة من دواعي الانضمام، وقوله: ﴿والطيبات﴾ الخ أي: وحيث كان رسول الله ﷺ أطيب الطيبين تبين كون الصديقة من أطيب الطيبات بالضرورة، واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ الخ. فالإشارة إلى رسول الله والصديقة وصفوان اهـ أبو السعود.

قوله: (من النساء ومن الكلمات) هذان قولان في تفسير الخبيثات حكاهما غيره، فالواو بمعنى أي فقوله: (مما ذكر) أي النساء أو الكلمات اهـ شيخنا.

قوله: (ومن الكلمات) فالمعنى الخبيثات من الكلمات تعد أو تقال للخبيثين من الرجال وتليق بهم أي: هي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي أن تقال في حق غيرهم، والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات، وكذا قوله: ﴿والطيبات﴾ الخ. والمعنى كل كلام إنما يحسن في حق أهله فيضاف سيىء القول إلى من يليق به، وكذا الطيب من القول. وعائشة لا يليق بها الخبائث من الأقوال لأنها طيبة فيضاف إليها الثناء الحسن اهـ زاده.

وعبارة الكشاف: يحتمل أن الخبيثات والطيبات صفة ما لا يعقل من المقالات القبيحة وضدها،

﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الناس ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾ من الناس ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ مما ذكر ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾ مما ذكر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ منهم ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ مما ذكر أي اللائق بالخبيث مثله وبالطيب مثله ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الطيبون من الرجال والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُم﴾ للطيبين والطيبات ﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ أي تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ

واللام للاختصاص أو الاستحقاق أي المقالات الخبيثة مختصة بالخبيثين أو مستحقة أن تقال لهم، فالخبيثون شامل للخبيثات تغليباً وكذا الطيبون اهـ.

قوله: ﴿والطيبات للطيبين﴾ هذا في المعنى كالدليل لقوله: ﴿أولئك مبرؤون﴾ الخ فهو توطئة له اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولئك﴾ (الطيبون) أي: من الرجال. قوله: (ومنهم عائشة وصفوان) لف ونشر مشوش. قوله: (أي الخبيثون الخ) تفسير لواو الجماعة في يقولون، وقوله: (فيهم) متعلق بيقولون. قوله: ﴿لهم مغفرة﴾ أي: لما لا يخلو عنه البشر من الذنب، ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة وأن تكون في محل رفع خبراً ثانياً، ويجوز أن يكون لهم خبر أولئك ومغفرة فاعله اهـ اهـ سمين.

قوله: (وقد افتخرت عائشة الخ) عبارة الخازن: روي أن عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها، منها: أن جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك، ويروى أنه أتى بصورتها في راحته. ومنها: أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها وقبض رسول الله ﷺ في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها، وكان ينزل الوحي عليه وهي معه في اللحاف، ونزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة الصديق وخليفة رسول الله ﷺ وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً، وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السماء اهـ.

وفي القرطبي: قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رمي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد، وإن مريم لما رميت بالفحشاء برأها الله على لسان ولدها عيسى صلوات الله وسلامه عليه، وإن عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله بالقول، فما رضي لها براءة صبي ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان اهـ.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً﴾ الخ لما فصل الزواجر عن الزنا ورمي العفائف شرع في تفسير الزواجر عما عساه أن يؤدي إليه من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: سبب نزول هذه الآية كما رواه الطبراني وغيره عن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد ولا والد ولا ولد،

﴿أَهْلِهَا﴾ فيقول الواحد: السلام عليكم. أأدخل؟ كما ورد في حديث ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال خيريته فتعملون به ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ بعد الاستئذان ﴿ارْجِعُوا

فيأتي الأب فيدخل عليَّ وإنه لا يزال يدخل عليَّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فنزلت هذه الآية، فقال أبو بكر: يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن فأنزل الله: ﴿ليس عليكم جناح﴾ الآية اهـ.

قوله: ﴿غير بيوتكم﴾ أي: ليس لكم عليها يد شرعية، أما المكتري والمستعير فكل منهما يدخل بيته فهو داخل في قول الشارح الآتي، وسيأتي أنهم إذا دخلوا الخ. قوله: ﴿حتى تستأنسوا﴾ أي: تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره، فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يراد دخوله أو لا يؤذن له، أو من الاستئناس الذي هو خلاف الإيحاش، فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس، أو تتعرفوا هل ثم إنسان من الأنس اهـ بيضاوي.

قوله: (فيقول الواحد الخ) أشار بهذا إلى أن السلام مقدم على الاستئذان. وفي الخازن: اختلفوا في أيهما يقدم فقيل: الاستئذان، وقال الأكثرون: السلام. وتقدير الآية: حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا، وهو كذلك في مصحف ابن مسعود، ويكون كل من السلام والاستئذان ثلاث مرات يفصل بين كل مرتين بسكوت يسير، فالأول إعلام، والثاني للتهيؤ، والثالث استئذان في الدخول أو الرجوع، وإذا أتى الباب لم يستقبله من تلقاء وجهه بل يجيء من جهة ركنه الأيمن أو الأيسر، وقيل: إن وقع بصره على أحد في البيت قدم السلام وإلاّ قدم الاستئذان ثم يسلم اهـ.

وروى الصحيحان وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال: استأذنت على النبي ﷺ فقال: «من هذا؟» فقلت: أنا. فقال النبي ﷺ: «أنا أنا» كأنه كره ذلك. قال علماؤنا: إنما كره النبي ﷺ ذلك لأن قوله: أنا لا يحصل به تعريف، وإنما الحكم في ذلك أن يذكر اسمه كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبو موسى الأشعري لأن في ذكر الاسم إسقاط كلفة السؤال والجواب. وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ وهو في مشربة له فقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم أيدخل عمر؟ وفي صحيح مسلم أن أبا موسى جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: السلام عليكم هذا أبو موسى، السلام عليكم هذا الأشعري الحديث اهـ من القرطبي.

قوله: (من الدخول بغير استئذان) أي: ومن تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتاً غير بيته يقول: جئتكم صباحاً جئتكم مساء، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ متعلق بمحذوف، أي: أنزل عليكم هذا، أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتعلموا بما هو أصلح لكم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً﴾ (يأذن لكم) هذا النفي يصدق بما إذا لم يكن فيها أحد أصلاً، وبما إذا كان فيها من لا يصلح للإذن، وبما إذا كان فيها من يصلح لكنه لم يأذن اهـ شيخنا.

﴿فَارْجِعُوا هُوَ﴾ أي الرجوع ﴿أَزْكَى﴾ أي خير ﴿لَكُمْ﴾ من القعود على الباب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ فيجازيكم عليه ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ﴾ أي منفعة ﴿لَكُمْ﴾ باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾

قوله: ﴿حتى يؤذن لكم﴾ أي: حتى يأتي من يأذن، فإن المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع أن التصرف في ملك الغير بغير إذن محظور، واستثنى ما إذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وإن قيل لكم ارجعوا﴾ الخ لما كان جعل النهي مغيًّى بالإذن ربما يوهم الرخصة في الانتظار على الأبواب، بل في تكرير الاستئذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله، ﴿وإن قيل لكم ارجعوا﴾ أي: إن أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الثاني، ولا بالاصرار على الانتظار كما في الوجه الأول اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿هو﴾ (أي الرجوع) ﴿أزكى لكم﴾ أي: أطهر مما لا يخلو عن اللج والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة والرذالة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ليس عليكم جناح﴾ الخ هذا بمنزلة الاستثناء من قوله: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيتكم﴾ اهـ شيخنا.

قال المفسرون: لما نزلت آية الاستئذان قالوا: يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن من أربابها؟ فنزل: ﴿ليس عليكم جناح﴾ الآية اهـ زاد.

ويروى أن أبا بكر قال: يا رسول الله أنزل عليك آية في الاستئذان وإنا نتخلف في تجاراتنا فننزل الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن؟ فنزلت اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿غير مسكونة﴾ أي: غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة، بل كانت موضوعة ليدخلها كل من له حاجة تقصد منها كالربط والخانات والحمامات والحوانيت ونحوها اهـ أبو السعود.

قوله: (منفعة) ﴿لكم﴾ أي: استمتاع وغرض من الأغراض؛ وقوله: (باستكنان) أي: طلب كن يستتر فيه من الحر والبرد، وقوله: (وغيره) كالبيع والشراء اهـ شيخنا.

قوله: (المسبلة) نعت للربط فلو قدمه بجنبه لكان أوضح، وعبارة الخطيب: كبيوت الخانات والربط المسبلة اهـ.

وفي الخازن: قيل: إن هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للنزول وإيواء المتاع فيها واتقاء الحر والبرد، وقيل: بيوت التجار وحوانيتهم في الأسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان. وقيل: هي جميع البيوت التي لا ساكن فيها لأن الاستئذان إنما جعل لئلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استئذان اهـ.

وقال عطاء: هي البيوت الخربة، والمتاع هو قضاء الحاجات فيها من البول والغائط اهـ خطيب.

تظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره، وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ عما لا يحل لهم نظره، ومن زائدة ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ عما لا يحل لهم فعله بها ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ﴾ أي خير ﴿لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾ عما لا

قوله: (وسيأتي) أي: في آخر السورة، ومراد بهذا بيان مفهوم قوله: هنا غير بيوتكم، وعبارته: فيما سيأتي في قوله تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ [النور: ٦١] نصها بيوتاً لا أهل لكم بها فسلموا على أنفسكم أي: قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليكم، وإن كان بها أهل فسلموا عليهم اهـ.

قوله: ﴿قل للمؤمنين﴾ الخ شروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجاً أولياً، ومفعول الأمر أمر آخر قد حذف تعويلاً على دلالة جوابه أي: قل لهم غضوا فيغضوا من أبصارهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يغضوا من أبصارهم﴾ الغض: إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية اهـ سمين.

وفي المصباح: غض الرجل صوته وطرفه ومن صوته ومن طرفه غضاً من باب قتل خفض، ومنه يقال: غض من فلان غضاً وغضاضة إذا انتقصه اهـ.

وأدغم أحد المثلين هنا في الثاني بخلاف قوله الآتي يغضضن، وذلك لأن الثاني هنا متحرك فأدغم فيه الأول وفيما سيأتي ساكن فلم يتأت إدغام الأول فيه أشار له القرطبي.

قوله: (ومن) أي: في قوله من أبصارهم زائدة أي: يغضوا أبصارهم كما في قوله: ﴿فما منكم من أحد﴾ [الحاقة: ٤٧] وهذا قول الأخفش ومنه سيبويه، ويجوز أن تكون للتبعيض، وعليه اقتصر القاضي كالكشاف لأنه يعفي عن النظر أول نظرة تقع من غير قصد، ويجوز أن تكون لبيان الجنس قاله أبو البقاء وفيه نظر من حيث إنه لم يتقدم مبهم يكون مفسراً بمن، ويجوز أن تكون لابتداء الغاية قاله ابن عطية وعليه اقتصر أبو حيان في النهر، فإن قيل: كيف دخلت من في غض البصر دون حفظ الفرج؟ فالجواب: أن ذلك دليل على أن أمر النظر أوسع، ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وكذا الإماء المستعرضات للبيع، وأما الفروج فمضيق اهـ كرخي.

قوله: ﴿ذلك أزكى لهم﴾ أفعل أما مجرد على معنى التفضيل، أو المراد أنه أزكى من كل شيء نافع أو بعيد عن الريبة اهـ شهاب.

قوله: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ أمر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار فلا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة ولا للمرأة أن تنظر إلى الرجل، فإن علاقتها به كعلاقته بها وقصدها منه كقصده منها. وقال مجاهد: إذا أقبلت المرأة جلس إبليس على رأسها فزينها لمن ينظر، وإذا أدبرت جلس على عجيزتها فزينها لمن ينظر اهـ قرطبي.

يحل لهن نظره ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾ يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين، والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة، ورجح حسماً للباب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين ﴿إِلَّا

وقد اشتملت هذه الآية على خمسة وعشرين ضميراً للإناث ما بين مرفوع ومجرور ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الشأن اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ المراد بها هنا البدن الذي هو محل الزينة وهي في الأصل ما يتزين به كالحلي، ويدل على هذا المراد تفسيره المستثنى بالوجه والكفين، وكذلك يراد بها البدن في قوله: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾ الخ. وأما في قوله: ﴿ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾، فالمراد بها ما يتزين به بدليل قوله: (من خلخال الخ) اهـ شيخنا.

قوله: (في أحد وجهين) متعلق بيجوز. قوله: (حسماً للباب) أي: باب النظر عن تفاصيل الأحوال كالخلوة بالأجنبية اهـ.

وفي المصباح: حسمه حسماً من باب ضرب فانحسم بمعنى قطعه فانقطع، وحسمت العرق على حذف مضاف، والأصل حسمت دم العرق إذا قطعته ومنعته السيلان بالكي بالنار، ومنه قيل للسيف حسام لأنه قاطع لما يأتي عليه، وقولهم: حسماً للباب أي قطعاً للوقوع قطعاً كلياً اهـ.

قوله: ﴿وليضربن﴾ ضمنه معنى يلقين فعداه بعلى، والباء: زائدة أو تبعيضية أي: يلقين خمرهن على جيوبهن اهـ سمين.

قوله: ﴿على جيوبهن﴾ بضم الجيم وكسرها سبعيتان، والمراد بالجيب هنا محله وهو العنق، وإلا فهو في الأصل طوق القميص اهـ شيخنا.

قوله: (أي يسترن الرؤوس الخ) وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها، فأمرت بإرسال خمرهن على جيوبهن ستراً لما يبدو منها اهـ أبو السعود.

قوله: (بالمقانع) جمع مقنع أو مقنعة بكسر الميم فيهما وهي ما يغطى به الرأس اهـ شيخنا.

قوله: (الخفية) أي: فالزينة هنا أخص مما تقدم إذ هن فيه تشمل الظاهرة والخفية بدليل استثناء ما ظهر منها. وعبارة أبي السعود: وكرر النهي لاستثناء بعض مواضع الرخصة باعتبار الناظر بعدها استثنى بعض موارد الضرورة باعتبار المنظور انتهت.

وفي الخطيب: ولا يبدين زينتهن أي: الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للأجانب وهي ما عدا الوجه والكفين اهـ.

قوله: ﴿إلا لبعولتهن﴾ الخ حاصل هذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً آخرها أو الطفل اهـ شيخنا.

﴿لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع بعل أي زوج ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهنَّ، وشمل ما ملكت أيمانهم العبيد ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ في فضول الطعام ﴿غَيْرِ﴾ بالجر

قوله: ﴿أو إخوانهن﴾ جمع أخ كالأخوة فهو جمع له أيضاً. اهـ شيخنا الأخ لأمه محذوفة وهي واو وترد في التثنية على الأشهر فيقال: أخوان. وفي لغة يستعمل منقوصاً فيقال: أخان وجمعه إخوة وإخوان بكسر الهمزة فيهما وضمهما لغة وقل جمعه بالواو والنون، وعلى آخاء وزان آباء أقل والأنثى أخت وجمعها أخوات وهو جمع مؤنث سالم اهـ.

قوله: ﴿أو بني إخوانهن﴾ أي: لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب وعدم ذكر الأعمام والأخوال، لما أن الأحوط أن يتسترن منهم حذراً من أن يصفوهن لأبنائهم، والمعنى أن سائر القرابات تشترك مع الأب والابن في المحرمة إلا ابني العم والخال، وهذا من الدلالات البليغة في وجوب الاحتياط عليهن في النسب اهـ كرخي.

قوله: ﴿أو نسائهن﴾ أي: النساء المختصة بهن من جهة الاشتراك في الإيمان فيخرج الكافرات، ولذا قال: وخرج بنسائهن الخ اهـ شيخنا.

قوله: (فيجوز لهم) أي: لهؤلاء المذكورين بالاستثناء نظره أي: ما عدا الوجه والكفين، ولما كان شاملاً للعورة وشمولها ليس مراداً فيما عد القسم الأول استثناها بقوله إلا ما بين السرة والركبة الخ والمذكورون بالاستثناء إلى هنا عشرة اهـ شيخنا.

قوله: (فلا يجوز للمسلمات التكشف لهن) أي: كشف ما لا يبدو عند الخدمة والشغل، أما كشف ما يبدو فيجوز عند حضور الكافرات وخرج بالتكشف لهن نظرهن أي المسلمات لهن أي للكافرات، فيجوز لغير ما بين السرة والركبة. وفي الكرخي: قوله: (فلا يجوز للمسلمات التكشف لهن) أي: لأنهن لسن من نساء المسلمات، ولأن الكافرة ربما تحكي المسلمة للكافر فلا تدخل الحمام معها، نعم يجوز أن ترى منها ما يبدو عند المهنة والكلام في كافرة غير مملوكة للمسلمة ولا محرم لها، أما هما فيجوز لهما النظر إليها، وكذا يجوز للمسلمة النظر للكافرة كما اقتضاه كلام أصحابنا اهـ.

قوله: (وشمل ما ملكت أيمانهن العبيد) أي: فيجوز لهن أن يكشفن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة، ويجوز للعبيد أيضاً أن ينظروا له وأن يكشفوا لهن من أبدانهن ما عدا ما بين السرة والركبة، لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أو التابعين﴾ أي للنساء. قال ابن عباس: التابع هو الأحمق العنين، وقيل: هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن. وقيل: هو المجبوب، وقيل: هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته، وقيل: هو المخنث اهـ خازن.

وعبارة الروضة: قلت: المختار في تفسير غير أولي الاربة أنه المغفل في عقله الذي لا يكترث

صفة والنصب استثناء ﴿أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾ أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ بأن لم ينتشر ذكر كل ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ بمعنى الأطفال ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ﴾ يطلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ للجماع فيجوز

بالنساء ولا يشتهيهن كذا قاله ابن عباس وغيره والله أعلم. وأما المجبوب الذي بقي أنثياه، والخصي الذي بقي ذكره، والعنين والمخنث وهو المتشبه بالنساء والشيخ الهرم فكالفحل كذا أطلق الأكثرون. وقال في الشامل: لا يحل للخصي النظر إلا أن يكبر ويهرم وتذهب شهوته وكذا المخنث، وأطلق أبو مخلد البصري في الخصي والمخنث وجهين، قلت: هذا المذكور عن الشامل قاله شيخه القاضي أبو الطيب، وصرح بأن الشيخ الذي ذهبت شهوته يجوز له ذلك لقوله تعالى: ﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾ انتهت.

قوله: (في فضول الطعام) أي: الذين لا غرض لهم في تبعية النساء إلا اكتساب الأكل من حولهن وليس لهم غرض في نظر ولا غيره، ولذلك قال: (بأن لم ينتشر ذكر كل) وهذا التفسير مشكل على مذهب الشافعي، لأنه المقرر فيه أنه يحرم عليهم النظر ويحرم التكشف لهم، وبعضهم فسر التابعين بالممسوحين وهو ظاهر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿غير أولي الإربة﴾ في المصباح: الأرب بفتحتين والإربة بالكسر والمأربة بفتح الراء وضمها الحاجة والجمع المآرب، والأرب في الأصل مصدر من باب تعب يقال: أرب الرجل إلى الشيء إذا احتاج إليه فهو آرب على فاعل، والإرب بالكسر يستعمل في الحاجة وفي العضو والجمع آراب مثل حمل وأحمال اهـ.

قوله: ﴿من الرجال﴾ حال من التابعين، ومن تبعيضية أو من أولي، وأما قوله: ﴿أو الطفل الذين الخ﴾ فقد تقدم في الحج أن الطفل يطلق على المثنى والمجموع، فلذلك وصف بالجمع. وقيل: لما قصد به الجنس روعي فيه الجمع، وعورات جمع عورة وهي ما يريد الإنسان ستره من بدنه وغلب في السوأتين، والعامة على عورات بسكون الواو وهي لغة عامة العرب سكنوها تخفيفاً لحرف العلة، وقرأ ابن عامر في روايات عورات بفتح الواو ونقل ابن خالويه أنها قراءة ابن أبي إسحاق اهـ سمين.

قوله: (بمعنى الأطفال) أي: فأل جنسية. قوله: (للجماع) متعلق بيظهروا المنفي أي: لم يطلعوا على عوراتهن لأجل الجماع أي: ليس لهم غرض في الاطلاع على العورات لأجل الجماع لعدم قوة الشهوة فيهم. وفي البيضاوي: لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة اهـ.

وفي الروضة: وجعل الإمام أمر الصبي ثلاث درجات، إحداها: أن لا يبلغ أن يحكي ما رأى. والثانية: أن يبلغه ولا يكون فيه ثوران شهوة. والثالثة: أن يكون فيه ذلك. فالأول حضوره كغيبته، ويجوز التكشف له من كل وجه، والثاني كالمحرم، والثالث كالبالغ، واعلم أن الصبي لا تكليف عليه، وإذا جعلناه كالبالغ فمعناه أنه يلزم المنظور إليها الاحتجاب منه كما أنه يلزمها الاحتجاب من المجنون قطعاً. قلت: وإذا جعلنا الصبي كالبالغ لزم الوَلي أن يمنعه النظر كما يلزمه أن يمنعه من الزنا وسائر المحرمات والله أعلم اهـ.

أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ من خلخال يتقعقع ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ تنجون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ جمع أيم وهي من ليس لها زوج، بكراً كانت أو ثيباً، ومن

قوله: (فيجوز أن يبدين لهم) أي: لهذين النوعين وهم التابعون والأطفال اهـ.

قوله: ﴿ولا يضربن بأرجلهن﴾ أي: لا يضربن الأرض بأرجلهن ليقعقع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال، فإن ذلك مما يورث الرجال ميلاً إليهن ويوهم أن لهن ميلاً إلى الرجال اهـ أبو السعود.

وهذا سد لباب المحرمات وتعليم للأحوط وإلا فصوت النساء ليس بعورة عند الشافعي فضلاً عن صوت خلخالهن اهـ شهاب.

وفي القرطبي: من فعل ذلك منهن فرحاً بحليهن فهو مكروه، ومن فعل ذلك منهن تبرجاً وتعرضاً للرجال فهو حرام مذموم، وكذلك من ضرب بنعله الأرض من الرجال إن فعل ذلك عجباً حرم فإن العجب كبيرة، وإن فعل ذلك تبرجاً لم يحرم اهـ.

قوله: ﴿من زينتهن﴾ بيان لما. قوله: (يتقعقع) أي: يصوت، أي: يظهر له صوت. وفي المصباح: القعقعة حكاية صوت السلام ونحوه اهـ.

قوله: ﴿أيهُ المؤمنون﴾ العامة على فتح الهاء وإثبات ألف بعد الهاء وهي ها التي للتنبيه، وقرأ ابن عامر هنا وفي الزخرف: يا أيه الساحر، وفي الرحمن: أيه الثقلان بضم الهاء وصلاً، فإذا وقف سكن. ووجهها أنه لما حذفت الألف لالتقاء الساكنين استثقلت الفتحة على حرف خفي، فضمت الهاء اتباعاً للرسم، وقد رسمت هذه المواضع الثلاثة دون ألف فوقف أبو عمرو والكسائي بألف، والباقون بدونها اتباعاً للرسم ولموافقة الخط للفظ، وثبتت في غير هذه المواضع حملاً لها على الأصل نحو: يا أيها الناس، يا أيها الذين آمنوا. وبالجملة فالرسم سنة متبعة اهـ سمين.

قوله: (تنجون من ذلك) أي: ما وقع منكم، وقوله: (تغليب) الذكور أي في قوله: ﴿وتوبوا الخ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وانكحوا الأيامى منكم﴾ الخطاب للأولياء والسادة، وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها وطلبه، وإشعار بأن المرأة والعبد لا يستبدان به إذ لو استبدا لما وجب على الولي والسيد اهـ بيضاوي.

وهذا الأمر للوجوب إن كانت المرأة محتاجة للنكاح لعدم نفقة أو خوف زنا، أو كان الرجل محتاجاً لخوف الزنا فإن لم تكن حاجة كان الأمر للإباحة عند الشافعي، وللندب عند مالك وأبي حنيفة اهـ من القرطبي.

وفي السمين: قوله: ﴿الأيامى﴾ جمع أيم بزنة فيعل يقال منه آم يئيم كباع يبيع، وقياس جمعه أيائم كسيد وسيائد، وأيامى فيه وجهان، أظهرهما: من كلام سيبويه رحمه الله تعالى أنه جمع على

ليس له زوج وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ وعباد من جموع عبد ﴿إِن يَكُونُوا۟﴾ أي الأحرار ﴿فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾ بالتزوج ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لخلقه ﴿عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ بهم ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا ﴿حَتَّىٰ

فعالى غير مقلوب وكذلك يتامى، وقيل: إن الأصل أيايم ويتايم في أيم ويتيم فقلبا. وعن رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم». قلت: أما العيمة بالمهملة فشدة شهوة اللبن وبالمعجمة شدة العطش، والأيمة طول العزبة، والكزم شدة شهوة الأكل، والقرم شدة شهوة اللحم اهـ.

قوله: (وهي من) أي: امرأة ليس لها زوج. وقوله: (ومن ليس) أي رجل ليس له زوج أي زوجة أي سواء كان أيضاً بكراً أو ثيباً. والحاصل؛ أن لفظ الأيم يطلق على كل من المرأة والرجل الغير المتزوجين اهـ شيخنا.

قوله: (وهذا في الأحرار والحرائر) أي: بقرينة قوله: ﴿وإمائكم﴾ اهـ كرخي.

قوله: ﴿والصالحين﴾ (أي المؤمنين) أو أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح حتى يقوم العبد بما يلزم لها وتقوم الأمة بما يلزم للزوج، أو أن المراد بالصلاح أن ألّا تكون صغيرة لا تحتاج إلى النكاح، وخص الصالحين بالذكر ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم، ولأن الصالحين منهم هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في المودة فكانوا مظنة التوصية والاهتمام بهم، ومن ليس بصالح فحاله على العكس من ذلك. وظاهر الآية يدل على أن العبد لا يتزوج بنفسه وإنما يتولى تزويجه سيده، لكن ثبت بالدليل أنه إذا أمره بأن يتزوج جاز أن يتولى تزويج نفسه فيكون توليه بإذنه بمنزلة تولي السيد، فأما الإماء فإن السيد يتولى تزويجهن خصوصاً على قول من لا يجوز النكاح إلا بولي اهـ كرخي.

قوله: (من جموع عبد) أي: رقيق أي: وله جموع غير هذا كعبيد وأعابد وأعبد فالجمع الذي هنا من جملتها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ رد لما عسى يمنع من النكاح، والمعنى لا يمنعن فقراً لخاطب أو المخطوبة من المناكحة، فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورائح، أو وعد من الله بالإغناء لقوله عليه الصلاة والسلام: «اطلبوا الغنى بالتزويج» لكنه مشروط بالمشيئة لقوله تعالى: ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ [التوبة: ٢٨] اهـ بيضاوي.

قوله: (أي الأحرار) أي: الذين هم من جملة الأيامى المذكورين بقوله: (ومن ليس له زوج) اهـ.

قوله: ﴿وليستعفف الذين﴾ الخ أي: ليجدوا ويجتهدوا في طلب العفة أي: تحصيل أسبابها وقهر النفس على تحمل مشاق الشهوة اهـ شيخنا.

قوله: (أي ما ينكحون به الخ) أي: فهو مصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب اهـ.

﴿يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوسع عليهم ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ فينكحون ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى المكاتبة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة. وصيغتها، مثلاً: كاتبتك على ألفين في شهرين كل شهر ألف، فإذا أديتهما فأنت حر، فيقول قبلت ﴿وَءَاتُوهُم﴾ أمر للسادة ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم، وفي معنى الإيتاء حط شيء مما التزموه ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ﴾ أي إمائكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ أي الزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعففاً عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط ﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ بالإكراه

قوله: ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ يجوز فيه الرفع على الابتداء، والخبر الجملة المقرونة بالفاء لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط، ويجوز نصبه بفعل مقدر يفسره المذكور من باب الاشتغال وهو الأرجح لمكان الأمر اهـ سمين.

قوله: (بمعنى المكاتبة) أي: عقد الكتابة وهي مفاعلة لأن السيد كتب على نفسه العتق، والعبد كتب على نفسه النجوم اهـ شيخنا.

قوله: (أي أمانة) أي: في دينه لئلا يضيع ما يحصله فلا يعتق، وقوله: (وقدرة على الكسب) أي بحرفة أو غيرهما، وهذا الشرطان إنما هما لندب الكتابة واستحبابها، فالأمر في الآية للندب، أما الجواز فلا يتقيد بما ذكر بل تجوز كتابته وتصح ولو كان خائناً عاجزاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وآتوهم﴾ أي: أعطوهم والأمر للوجوب. قوله: (وفي معنى الإيتاء حط شيء) أي: بل هو أفضل لأن القصد من الحط الإعانة على العتق وهي محققة فيه متوهمة في الإيتاء، فقد يصرف المكاتب المدفوع في غير جهة الكتابة. قوله: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ جمع فتاة، وفي المختار: والفتى الشاب والفتاة الشابة وقد فتي بالكسر فتاء بالفتح والمد فهو فتى السن بين الفتاء، والفتى أيضاً السخي الكريم وجمع الفتي في القلة فتية وفي الكثرة فتيان وجمع الفتاة فتيات اهـ.

قوله: ﴿على البغاء﴾ البغاء: مصدر بغت المرأة تبغي بغاء أي: زنت وهو مختص بزنا النساء، ولا مفهوم لهذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن اهـ سمين.

وفي المصباح: وبغت المرأة تبغي بغاء بالكسر والمد من باب رمى فجرت وهي بغي، والجمع البغايا وهو وصف مختص بالمرأة فلا يقال للرجل بغي قاله الأزهري. والبغي: القينة وإن كانت عفيفة لثبوت الفجر لها في الأصل قاله الجوهري، ولا يراد به الشتم لأنه اسم جعل كاللقب، والأمة تباغي أي تزاني اهـ.

قوله: (محل الإكراه) أي: لا يتصور الإكراه ولا يتحقق إلا عندها، وأما عند ميلهن للزنا فهو بدواعيهن واختيارهن فلا يتصور الإكراه حينئذ، فالتقيد بالشرط لأجل تحقق الإكراه المنهي عنه اهـ شيخنا.

قوله: (فلا مفهوم للشرط) أي: لما يشعر به من جواز الإكراه عند انتفاء هذه الإرادة مع أن الإكراه على الزنا حرام، وإن لم يردن التحصن نعم فائدته في الآية المبالغة في النهي عن الإكراه يعني: أنهن إذا

﴿عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ نزلت في عبد الله بن أبيّ كان يكره جواريه على الكسب بالزنا ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لهن ﴿رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ بهن ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها في هذه السورة بين فيها ما ذكر أو بينة ﴿وَمَثَلًا﴾ خبراً عجيباً وهو خبر عائشة ﴿مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن

أردت العفة فالسيد أحق بإرادتها فلا يكرهها، وقيل: معنى قوله إن أردن تحصناً أي إذا أردن، وليس معناه الشرط لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا إن لم يردن تحصناً كقوله عز وجل: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي: إذا كنتم مؤمنين اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: وقوله تعالى: ﴿وإن أردن تحصناً﴾ ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه، كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور المصححة للإكراه في الجملة، بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح اهـ.

قوله: (يكره جواريه) وكن ستاً فشكا منهن اثنتان للنبي ﷺ فنزلت الآية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإن الله من بعد إكراههن﴾ جملة وقعت جزاء للشرط والعائد على اسم الشرط محذوف تقديره غفور لهم، وقدره الزمخشري فإن الله غفور لهن، وعلى هذا الثاني يلزم خلو جملة الجزاء عن رابط يربطها باسم الشرط. وقد ضعف الإمام الرازي تقدير لهم ورجح تقدير لهن، ولما قدر الزمخشري لهن أورد سؤالاً فقال: فإن قلت: لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهن لأن المكرهة على الزنا غير آثمة بخلاف المكره. قلت: لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو فوات عضو حتى يسلم من الإثم، وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة اهـ سمين.

وقوله: (قلت لعل الإكراه إلخ) وأجاب أبو السعود هذا بجواب آخر فقال: بل لهن حاجة إلى المغفرة وحاجتهن إليها المنبئة عن سابقة الإثم، إما باعتبار أنهن وإن كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية، وإما باعتبار أن الإكراه قد يكون قاصراً عن حد الإلجاء المزيل للاختيار بالمرة، وإما لغاية تهويل أمر الزنا وحث المكرهات على التثبيت في التجافي عنه، والتشديد في تحذير المكرهين بيان أنهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا أن تداركتهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرهن في استحقاق العقاب اهـ.

قوله: (بين فيها ما ذكر) راجع للفتح، وقوله: (أو بينة) راجع للكسر، فهو من بيّن بمعنى تبين وفي نسخة متبينة وهو أيضاً راجع للكسر أي: تبين ما في هذه السورة من الأحكام فهو على النسخة الأولى من اللازم، وعلى الثاني من المتعدي اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: آيات مبينات يعني الآية التي بينت في هذه السورة وأوضحت فيها الأحكام والحدود وقرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة والكسائي بالكسر لأنها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين أو لأنها بينت الأحكام والحدود اهـ.

﴿قَبۡلِكُمۡ﴾ أي من جنس أمثالهم، أي أخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم ﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٣٤﴾ في قوله تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ الخ، ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون﴾ الخ، ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم﴾ الخ، ﴿يعظكم الله أن تعودوا﴾ الخ، وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي منورهما بالشمس والقمر ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي صفته

قوله: ﴿ومثلاً﴾ عطف على آيات. قوله: (أي من جنس أمثالهم) أي: مشابهاً لأخبارهم في الغرابة. هذا هو المراد بالجنسية، وأشار الشارح بذلك إلى أن الآية على تقدير مضافين اهـ شيخنا.

قوله: (أي منورهما الخ) إنما أوله باسم الفاعل، لأن حقيقة النور كيفية أي عرض يدرك بالبصر فلا يصح حمله على الذات الأقدس اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً، وتدرك بواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما، وهذا بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف كقولك: زيد عدل بمعنى ذو عدل، أو على تجوز إما بمعنى منور السموات والأرض، وقد قرىء به فإنه تعالى نورهما بالكواكب وبما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة والأنبياء، أو مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير: فلان نور القوم لأنهم يهتدون به في الأمور أو موجدهما، فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره وأصل الظهور هو الوجود، كما أن أصل الخفاء هو العدم والله تعالى موجود بذاته موجد لما عداه. وقال ابن عباس: معنى الله نور السموات والأرض هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون وإضافته إليهما للدلالة على سعة إشرافه، أو لاشتمالهما على الأنوار الحسية والعقلية وقصور الإدراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما اهـ.

وفي القرطبي: واختلف العلماء في تأويل هذه الآية فقيل: المعنى أي: به وبقدرته أنارت أضواؤهما واستقامت أمورهما وقامت مصنوعاتهما، فالكلام على التقريب للذهن كما يقال الملك نور أهل البلد أي: به قوام أهلها وصلاح جملتها لجريان أموره على سنن السداد فهو في الملك مجاز وفي الله حقيقة محضة، أو هو الذي أبدع الموجودات وخلق العقل نوراً هادياً لأن ظهور الموجود به حصل كما حصل بالضوء جمع المبصرات. وقال مجاهد: مدبر الأمور في السموات والأرض. وقال أبي بن كعب، والحسن: مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين. وقال ابن عباس، وأنس: المعنى أنه هادي أهل السموات والأرض والأول أعم للمعاني وأصح من التأمل اهـ.

قوله: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ مبتدأ وخبره وهذه الجملة إيضاح لما قبلها وتفسير فلا محل لها، وثم مضاف محذوف أي: كمثل مشكاة. قال الزمخشري: أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة كمشكاة أي كصفة مشكاة، واختلفوا في هذا التشبيه هل هو تشبيه مركب أي: أنه قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء، بل قصد تشبيه هداه وإتقانه صنعته في كل مخلوق على الجملة بهذه الجملة من النور الذي تتخذونه وهو أبلغ صفات النور عندكم أو تشبيه غير مركب أي: قصد مقابلة جزء بجزء. وهل المشكاة عربية أم حبشية معربة خلاف ورسمت بالواو كالصلاة والزكاة،

في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ هي القنديل، والمصباح السراج أي الفتيلة

والمصباح: السراج الضخم، والزجاجة: واحدة الزجاج وهو جوهر معروف وفيه ثلاث لغات: فالضم لغة الحجاز وهو قراءة العامة، والكسر والفتح لغة قيس، وبالفتح قرأ ابن أبي عبلة ونصر بن عاصم في رواية ابن مجاهد، وبالكسر نصر بن عاصم في رواية عنه وأبو رجاء، وكذلك الخلاف في قوله: ﴿الزجاجة﴾ والجملة من قوله: ﴿فيها مصباح﴾ صفة لمشكاة، ويجوز أن يكون الجار وحده هو الوصف ومصباح مرتفع به فاعلاً اهـ سمين.

وما ذكره من أنها ترسم بالواو، ويؤيده ذكر أهل اللغة لها فيما آخره واو. وفي القرطبي: قوله: ﴿مثل نوره﴾ أي: صفة دلائله التي يقذفها في قلب المؤمن والدلائل تسمى نوراً، وقد سمى الله تعالى كتابه نوراً فقال: ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [النساء: ١٧٤] وسمي نوراً فقال: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [المائدة: ١٥] وهدى لأن الكتاب يهدي ويبين، وكذلك الرسول. ووجه الإضافة إلى الله تعالى أنه مثبت الدلالة ومبينها وواضعها، وتحمل الآية معنى آخر ليس فيه مقابلة جزء من المثل بجزء من الممثل به بل وقع التشبيه فيه لجملة بجملة، وذلك أن يريد مثل نور الله الذي هو هداه وإتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس، فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيها البشر اهـ.

قوله: (أي صفته) أي: العجيبة في قلب المؤمن. أي: الذي هو في الصدر الكائن في البدن فالمشبه فيه أربعة أمور متداخلة البدن فيه الصدر فيه القلب فيه النور كالمشكاة فيها الزجاجة فيها المصباح فيه النور اهـ شيخنا.

والذي في قلب المؤمن هو العلوم والمعارف، وعلى هذا يكون في الكلام استخدام حيث فسَّر النور أولاً بمعنى منور تنويراً حسياً، وفسر الضمير بالنور الذي في قلب المؤمن وهو معنوي، وسيفسر الضمير في قوله: يهدي الله لنوره من يشاء بالإسلام، فعليه يكون في الكلام استخدام آخر فليتأمل. قوله: (هي القنديل) بكسر القاف كما في القاموس. قوله: (الموقودة) صوابه الموقدة. قوله: (الطاقة غير النافذة) قيد به لأنها حينئذ أجمع للنور فيكون فيما أقوى مما لو كانت نافذة، وقوله: (أي الأنبوبة) أي السنبلة التي في القنديل، وهذا تفسير آخر للمشكاة حكاه البيضاوي فقيل: فهو مقابل لتفسيرها بالطاقة، فكان على الشارح أن يقول أو الأنبوبة فيعبر بأو فيكون معطوفاً على الطاقة، ويكون المعنى قيل هي الطاقة، وقيل: الأنبوبة اهـ شيخنا.

ونص البيضاوي: كمشكاة وهي الكوة الغير النافذة، وقيل: المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل اهـ.

وفي السمين: والمشكاة الكوة غير النافذة، وقيل: هي الحديدة أو الرصاصة التي يوضع فيها الزيت، وقيل: هي العمود الذي يوضع على رأسه المصباح، وقيل: ما يتعلق فيه القنديل من الحديدة اهـ.

الموقودة، والمشكاة الطاقة غير النافذة أي الأنبوبة في القنديل ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي مضيء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعه الظلام، وبضمها وتشديد الياء منسوب إلى الدر: اللؤلؤ ﴿يُوقَدُ﴾ المصباح بالماضي وفي قراءة بمضارع أوقد مبنياً للمفعول بالتحتانية وفي أخرى توقد بالفوقانية أي الزجاجة ﴿مِن﴾ زيت ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا

قوله أيضاً: (الطاقة غير النافذة) أي: لأنها أجمع للضوء والمصباح فيها أكثر إضاءة منه في غيرها، فصار المعنى كمثل نور مصباح في مشكاة في زجاجة، ومثل الله نوره أي: معرفته في قلب المؤمن بنور المصباح دون نور الشمس مع أن نورها أتم، لأن المقصود تمثيل النور في القلب، والقلب في الصدر، والصدر في البدن بالمصباح، والمصباح في الزجاجة، والزجاجة في القنديل وهذا التمثيل لا يستقيم إلا فيما ذكر أو لأن نور المعرفة له آلات يتوقف هو على اجتماعها كالذهن والفهم والعقل واليقظة وغيرها، أو لأن نور الشمس يشرق متوجهاً إلى العالم السفلي ونور المعرفة يشرق متوجهاً إلى العالم العلوي كنور المصباح، ولكثرة نفع الزيت وخلوصه عما يخالطه غالباً وقع التشبيه في نوره دون نور الشمس مع أنه أتم من نور المصباح اهـ كرخي.

قوله: (والنور فيها) أي: والحال. قوله: (بمعنى الدفع) عبارة المختار: الدرء الدفع وبابه قطع ودرأ طلع مفاجأة وبابه خضع، ومنه كـوكب دري كسكين كثرة توقده وتلألؤه، ودري بالضم منسوب إلى الدر، وقرىء دريء بالضم والهمزة ودرىء بالفتح والهمزة، وتدارأتم: تدافعتم واختلفتم اهـ.

قوله: (منسوب إلى الدر) أي: على وجه التشبيه في الصفاء والإشراق اهـ شيخنا.

قوله: (مبنياً للمفعول) حال من مضارع أوقد، وكذا قوله بالتحتانية، وقوله وفي أخرى بالفوقانية، وعليها يكون الضمير راجعاً للزجاجة، فلذلك قال الشارح أي: الزجاجة على تقدير مضاف أي: فتيلة الزجاجة، إذ هي تتصف بالإيقاد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من شجرة﴾ من لابتداء الغاية على حذف مضاف أي: من زيت شجرة. وزيتونه فيها قولان، أشهرهما: أنها بدل من شجرة. الثاني: أنها عطف بيان وهذا مذهب الكوفيين وتبعهم أبو علي، وقد تقدم هذا في قوله: ﴿من ماء صديد﴾ [إبراهيم: ١٦] اهـ سمين.

قوله: ﴿مباركة﴾ قال ابن عباس: في الزيتون منافع يسرج بزيته وهو ادام ودباغ ووقود يوقد بحطبه وثقله، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الإبريسم، وهو أول شجرة نبتت في الدنيا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت في منازل الأنبياء والأرض المقدسة، ودعا لها سبعون نبياً بالبركة منهم إبراهيم، ومنهم محمد ﷺ فإنه قال مرتين: «اللهم بارك في الزيت والزيتون» اهـ قرطبي.

قوله: ﴿لا شرقية﴾ صفة لشجرة ودخلت لا لتفيد النفي، وقرأ الضحاك بالرفع على إضمار مبتدأ أي: لا هي شرقية، والجملة أيضاً في محل جر نعت لشجرة اهـ سمين.

قوله أيضاً: ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي: بحيث تقع الشمس عليها حيناً دون حين، بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة أو صحراء واسعة، فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى، أو لا

﴿يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ﴾ لصفاته ﴿نُّورٌ﴾ به ﴿عَلَىٰ نُورٖۚ﴾ بالنار، ونور الله أي هداه للمؤمن نور

نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل وفي وسطها وهو الشام، فإن زيتونه أجود الزيتون أو لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها، ولا في مقنأة أي: مكان لا تطلع الشمس عليه بل تغيب عنها دائماً فتتركها فيئاً. وفي الحديث: «لا خير في شجرة ولا في نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى» اهـ بيضاوي.

والمقنأة: بقاف ونون مفتوحة أو مضمومة فهمزة وهي المكان الذي لا تطلع عليه الشمس اهـ زكريا. وقد تحذف الهمزة اهـ شهاب.

وفي القرطبي: اختلف العلماء في قوله: ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ فقال ابن عباس، وعكرمة، وقتادة وغيرهم: الشرقية التي تصيبها الشمس إذا أشرقت ولا تصيبها إذا غربت لأن لها ستراً، والغربية عكسها أي: أنها شجرة في صحراء أو في منكشف من الأرض لا يواريها عن الشمس شيء وهو أجود لزيتها، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية بل هي شرقية. وقال ابن زيد: إنها من شجر الشأم لا شرقي ولا غربي، وشجر الشام أفضل الشجر وهي الأرض المباركة، وشرقية نعت لزيتونة ولا ليست تحول بين النعت والمنعوت ولا غربية عطف عليه اهـ.

قوله: (فلا يتمكن منها حر) أي: لكونها غير شرقية، ولا برد أي لكونها غير غربية، وقوله: (مضرين) هذا هو محط النفي وهو حال. قوله: ﴿يكاد﴾ أي: يقرب زيتها. وهذه الجملة نعت أيضاً لشجرة اهـ سمين.

قوله: ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ أي: على كل حال أي: سواء مسته النار أو لم تمسه. وفي السمين: قوله: ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ جواب لو محذوف أي: لأضاء لدلالة ما تقدم عليه والجملة حال، وقد تقدم تحرير هذا في قولهم: لا تردوا السائل ولو جاء على فرس، وأنها لاستقصاء الأحوال أي: حتى في هذه الحال. وقرأ ابن عباس، والحسن: يمسسه بالياء لأن المؤنث مجازي ولأنه قد فصل بالمفعول أيضاً اهـ.

وفي القرطبي: قال ابن العربي: قال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإن مسته النار زاد ضوءه، كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم زاد هدى على هدى ونور على نور، كقلب إبراهيم من قبل أن تجيئه المعرفة، قال: هذا ربي من قبل أن يخبره أحد بأن له رباً، فلما أخبره الله أنه ربه زاد هدى قال له ربه: أسلم. قال: أسلمت لرب العالمين اهـ.

قوله: ﴿نور﴾ (به) أي: بالزيت يعني: من غير نار على نار، أي: نور حاصل بالزيت كائن على نور، وقوله: ﴿على نور﴾ بالنار أي: مع نور بالنار أي كائن بها وناشىء عنها فعلى بمعنى مع اهـ شيخنا.

ونور: مبتدأ وعلى نور خبره ما هو المتبادر من صنيع الشارح وفي أبي السعود: نور خبر مبتدأ محذوف، وقوله: ﴿على نور﴾ متعلق بمحذوف هو صفة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة، أي: ذلك النور بنور عظيم كائن على نور كذلك لا على أنه عبارة عن نور واحد معين أو غير معين فوق نور

على نور الإيمان ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أي دين الإسلام ﴿مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ﴾ يبين ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ ومنه ضرب الأمثال ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بيسبح الآتي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ تعظم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بتوحيده ﴿يُسَبِّحُ﴾

آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط، بل عبارة عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة اهـ.

قوله: (ونور الله أي هداه الخ) أي: فالمشبه نور مجموع من نورين نور الهدى ونور الإيمان، والمشبه به نور مجموع من نورين نور الزيت الخلقي ونور المصباح الموقد فيه اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: نور على نور أي اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى الزجاجة وإلى ضوء الزيت، فصار كذلك نوراً على نور واشتعلت هذه الأنوار في المشكاة فصارت كأنور ما يكون، وكذلك براهين الله واضحة وهي برهان بعد برهان وتنبيه بعد تنبيه، كإرسال الرسل وإنزال الكتب ومواعظ تكرر فيها لمن له عقل معتبر اهـ.

وفي البيضاوي: وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه، الأول: أنه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة، أو تشبيه للهدى من حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح، وإنما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس، أو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المثبت فيها من مصباحها اهـ.

قوله: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ أي: فإن الأسباب دون مشيئته لاغية إذ بها تمامها اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أي: تقريباً للمعقول من المحسوس اهـ بيضاوي.
قوله: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ أي: معقولاً كان أو محسوساً ظاهراً كان أو خفياً اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿في بيوت﴾ فيه ستة أوجه، أحدها: أنه صفة لمشكاة أي: كمشكاة في بيوت، أي: في بيت من بيوت الله. الثاني: أنه صفة لمصباح. الثالث: أنه صفة لزجاجة. الرابع: أنه متعلق بتوقد، وعلى هذه الأقوال لا يوقف على عليم. الخامس: أنه متعلق بمحذوف كقوله في تسع آيات، أي: سبحوه في بيوت. السادس: أنه متعلق بيسبح أي: يسبح رجال في بيوت ولفظ فيها تكرار للتوكيد كقوله: ﴿ففي الجنة خالدين فيها﴾ [هود: ١٠٨] وعلى هذين القولين فيوقف على عليم اهـ سمين.

قيل: المراد بالبيوت هنا جميع المساجد، فقد قال ابن عباس: بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض، وقيل: المراد بها أربعة مساجد لم يبنها إلا نبيّ الكعبة، بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلاها قبية، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة ومسجد قباء بناهما رسول الله ﷺ اهـ خازن.

قوله: (متعلق بيسبح) وعلى هذ الإعراب إنما أعيد لفظ فيها للتأكيد والتذكير والإيذان بأن التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط اهـ أبو السعود

بفتح الموحدة وكسرها أي يصلي ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ﴾ مصدر بمعنى الغدوات أي البكر

قوله: ﴿أذن الله الخ﴾ في محل جر صفة لبيوت، وأن ترفع على حذف الجار أي: في أن ترفع، ولا يجوز تعلق في بيوت بقوله: ويذكر لأنه عطف على ما في حيز أن وما بعد أن لا يتقدم عليها اهـ سمين.

قوله: (تعظم) أي: بحيث لا يذكر فيها الفحش من القول، وبحيث تطهر عن النجاسات والأقذار اهـ خازن.

وفي الكرخي: أذن الله أي: أمر أن ترفع أي: تعظم أو ترفع بالبناء قدراً لتطهيرها عما لا يليق بها اهـ.

وفي القرطبي: وقد كره بعض أصحابنا تعليم الصبيان في المساجد ورأى أنه من البدع، وهذا إذا كان بأجرة، فلو كان بغير أجرة لمنع أيضاً من وجه آخر، وهو أن الصبيان لا يتحرزون عن الأقذار والأوساخ فيؤدي ذلك إلى عدم تنظيف المساجد، وقد أمر رسول الله ﷺ بتنظيفها وتطييبها فقال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم وإقامة حدودكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم وجمروها في الجمع واجعلوا لها على أبوابها المطاهر» اهـ.

قوله: (بتوحيده) أي: قوله لا إله إلا الله. وفي الخازن: ويذكر فيها اسمه، قال ابن عباس: يتلى فيها اسمه اهـ.

قوله: ﴿يسبح﴾ (بفتح الموحدة الخ) عبارة السمين: قرأ أبو بكر، وابن عامر بفتح الباء مبنياً للمفعول، والقائم مقام الفاعل أحد المجرورات الثلاث والأول منها أولى لاحتياج العامل إلى مرفوعه فالذي يليه أولى. ورجال على هذه القراءة مرفوع على أحد وجهين: إما بفعل مقدر لتعذر إسناد الفعل إليه وكأنه جواب سؤال مقدر، فكأنه قيل: من يسبحه فقيل يسبحه رجال، الثاني أن رجال خبر مبتدأ أي: المسبح رجال، وعلى هذه القراءة يوقف على الآصال، وباقي السبعة بكسر الباء مبنياً للفاعل والفاعل رجال ولا يوقف على الآصال اهـ.

قوله: (أي يصلي) أي: صلاة الصبح في الغدو، وصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء في الآصال كما أشار له بقوله: (من بعد الزوال) اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾ قال أهل التفسير: أراد به الصلاة المفروضة، فالتي تؤدى بالغداة صلاة الفجر، والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين، لأن اسم الأصيل يقع على هذا الوقت كله، وقيل: أراد به الصبح والعصر روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صلّى البردين دخل الجنة» أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر، وقال ابن عباس: التسبيح بالغدو صلاة الضحى، وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر المحرم، ومن خرج إلى المسجد إلى تسبيح الضحى لا يقصد إلا ذلك كان أجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين» أخرجه أبو داود اهـ.

قوله: (مصدر) أي: في الأصل من باب سما، وأما هنا فالمراد منه الأزمنة كما قال اهـ.

﴿وَٱلْآصَالِ ۝٣٦﴾ العشايا من بعد الزوال ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ أي شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ حذف هاء إقامة تخفيف ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ من الخوف، القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال هو يوم القيامة ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي ثوابه وأحسن

وقوله: **(بمعنى الغدوات)** بضم الدال وفتحها وسكونها، وقوله: **(أي البكر)** جمع بكرة كغرفة وغرف وهي أول النهار، وقوله: **(العشايا)** جمع عشية وهي آخر النهار اهـ شيخنا.

قوله: **﴿رجال﴾** خصوا بالذكر لأن النساء ليس عليهن حضور المسجد لجمعة ولا لجماعة اهـ خازن.

قوله: **(نائب الفاعل له)** أي: لفظ له. قوله: **﴿لا تلهيهم﴾** في محل رفع صفة لرجال اهـ سمين.

قوله: **(أي شراء)** أفاد به أنه أريد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لأنه ذكر البيع بعده كقوله: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً﴾ [الجمعة: ١١] يعني الشراء. أو أن التجارة جنس يدخل تحته أنواع الشراء والبيع، وإنما خص البيع بالذكر لأن الالتهاء والاشتغال به أعظم لكون الربح الحاصل من البيع معيناً ناجزاً، والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يرد لم عطف البيع على التجارة مع شمولها له اهـ كرخي.

قوله: **﴿عن ذكر الله﴾** أي: عن حضور المساجد لإقامة الصلاة اهـ خازن.

قوله: **﴿وإقام الصلاة﴾** أي: أدائها في وقتها جماعة، لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة. روى سالم، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال ابن عمر رضي الله عنه: فيهم نزلت هذه الآية **﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾** اهـ خازن.

قوله: **﴿يخافون يوماً﴾** يجوز أن يكون نعتاً ثانياً لرجال، وأن يكون حالاً من مفعول تلهيهم، ويوماً: مفعول به لا ظرف على الأظهر، وتتقلب: صفة ليوماً اهـ سمين.

يعني أن هؤلاء الرجال وإن بالغوا في ذكر الله تعالى والطاعات فإنهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته، وقيل: إن القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الأبصار، وقيل: تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك إلى اليقين وتنفتح الأبصار من الأغطية، وقيل: تتقلب الأبصار من هول ذلك اليوم فتخشى الهلاك وتطمع في النجاة، وتتقلب الأبصار من هول ذلك اليوم من أي ناحية يؤخذ بهم، أمن ذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال. وقيل: يتقلب القلب في الجوف فيرتفع إلى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج، ويتقلب البصر فيشخص من هول الأمر وشدته اهـ خازن.

قوله: **﴿ليجزيهم الله﴾** يجوز تعلقه بيسبح أي: يسبحون لأجل الجزاء ويجوز تعلقه بمحذوف أي: فعلوا ذلك ليجزيهم الله، وظاهر كلام الزمخشري أنه من باب الإعمال فإنه قال: والمعنى يسبحون

بمعنى حسن ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾ يقال: فلان ينفق بغير حساب أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ جمع قاع أي في

ويخافون ليجزيهم ويكون من إعمال الثاني للحذف من الأول اهـ سمين.

والأظهر أن هذه اللام لام العاقبة والصيرورة لام العلة الباعثة اهـ.

قوله: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أي: فلا يقتصر في إعطائهم على جزاء أعمالهم، بل يزيدهم من العطايا ما يليق بفضله اهـ خازن.

وفي أبي السعود: ويزيدهم من فضله أي: يتفضل عليهم بأشياء لم توعد لهم بخصوصياتها أو بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها، بل إنما وعدت بطريق الأجمال في مثل قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦] وقوله عليه السلام حكاية عنه عز وجل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى: ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فإنه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بأنه تعالى يعطيهم غير أجور أعمالهم من الخيرات بما لا يفي به الحساب اهـ.

قوله: ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ وضع الموصول موضع ضمير هم للتنبيه بما في حيز الصلة على أن مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا أعمالهم المحكية، وذلك تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة إحسانه، فكأنه تعالى لما وصفهم بالجد والاجتهاد في الطاعة وهم مع ذلك في نهاية الخوف، فالحق سبحانه يعطيهم الثواب العظيم على طاعتهم ويزيدهم الفضل الذي لا حد له في مقابلة خوفهم. قال الزمخشري: والله يرزق يتفضل بغير حساب. قال الطيبي: يعني أن يرزق يجب أن يقيد بأحد المذكورين الجزاء أو التفضل، والأول ممتنع لأنه بمعنى الثواب والثواب له حساب فلا يقال فيه بغير حساب، فيقي أن يقيد بالثاني ويقال: والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب اهـ كرخي.

قوله: ﴿والذين كفروا﴾ مبتد أول، وقوله: ﴿أعمالهم﴾ مبتدأ ثان، وقوله: ﴿كسراب﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، ويجوز أن يكون أعمالهم بدلاً من الذين كفروا بدل اشتمال، وقوله: كسراب خبر عن الذين كفروا مع ملاحظة البدل منه أشار له القرطبي، وهذا شروع في بيان حال الكفار بضرب مثل لهم بعد أن بين حال المؤمنين بضرب مثل لهم بقوله: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أعمالهم كسراب﴾ أي: أعمالهم الصالحة كصدقة وعتق ووقف من كل ما لا يتوقف عل نية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بقيعة﴾ أي: فيها، فالباء بمعنى في، وقوله: (جمع قاع) أي كجيرة جمع جار، وقيل: القيعة مفرد بمعنى القاع، وقوله: (أي): فلاة هي الأرض المستوية اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: والقيعة جمع القاع مثل جيرة وجار قاله الهروي، وقال أبو عبيدة: قيعة وقاع واحد حكاه النحاس، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع ولم يكن فيه نبت وفيه يكون السراب، وأصل القاع المنخفض الذي يستقر فيه الماء وجمعه قيعان. قال الجوهري: والقاع المستوي من

فلاة، وهو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ أي العطشان ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقه ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أي لم ينفعه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ

الأرض والجمع أقواع وقيعان فصارت الواو ياء لكسر ما قبلها، والقيعة مثل القاع وهو أيضاً من الوادي، وبعضهم يقول: هو جمع اهـ.

قوله: (يشبه الماء الجاري) وذلك لأنه يتراءى فيه الجريان كما ذكره القرطبي ونصه: والسراب ما يرى نصف النهار في اشتداد الحر كالماء في المفاوز يلصق بالأرض، والآل الذي يكون ضحى كالماء إلا أنه يرتفع عن الأرض حتى يصير كأنه بين الأرض والسماء، وسمي السراب سراباً لأنه يتسرب أي: يجري كالماء يقال: سرب الفحل أي: مضى وسار في الأرض ويسمى الآل أيضاً، ولا يكون إلا في البرية والحر فيغتر به العطشان اهـ.

قوله: ﴿يحسبه الظمآن﴾ في المختار: حسبت زيداً صالحاً بالكسر أحسبه بالفتح والكسر محسبة ومحسبة بكسر السين وفتحها وحسباناً بالكسر ظننته اهـ.

وفي المصباح: وحسبت زيداً قائماً أحسبه من بات تعب في لغة جميع العرب إلا بني كنانة فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس حسباناً بالكسر بمعنى ظننت اهـ.

قوله: (أي العطشان) أي: وكذا غيره من كل من يراه، وخص الظمآن لأنه أحوج إليه من غيره فالتشبيه به أتم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حتى إذا جاءه﴾ غاية لمحذوف تقديره: ويقصده ولا يزال جائياً إليه حتى إذا جاءه أي: جاء ما ظنه ماء أو جاء موضعه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لم يجده شيئاً﴾ أي: لم يجد ما قدره وظنه شيئاً، ووجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر يعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى وليس كذلك، فإذا وافى في عرصة القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه، بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم، فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذي اشتدت حاجته إلى الماء فإذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فإذا جاءه لم يجده شيئاً، فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا احتاج إلى عمله لم يجده أغنى عنه شيئاً ولا نفعه اهـ خازن.

قوله: ﴿ووجد الله عنده﴾ معطوف على مقدر وهو ما قدره بقوله: (لم يجد عمله) الذي ذكره في حيز الغاية بقوله: (حتى إذا مات) الخ اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئاً بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عيناً ولا أثراً كأنه قيل: حتى إذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئاً، ووجدوا الله أي: حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل: عند العمل فوفاهم أي أعطاهم كاملاً وافياً حسابهم، أي: حساب أعمالهم

عِندَهُۥ﴾ أي عند عمله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي جازاه عليه في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ أي المجازاة ﴿أَوۡ﴾ الذين كفروا أعمالهم السيئة ﴿كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ عميق ﴿يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن

المذكورة وجزاءها، فإن اعتقادهم لنفعها بغير إيمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعاً، وإفراد الضميرين الراجعين إلى الذين كفروا إما لإرادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل، وإما للحمل على كل واحد منهم، وكذا إفراد ما يرجع إلى أعمالهم اهـ.

وفي البيضاوي: ووجد الله أي وجد عقابه وزبانية عذابه أو وجده نفسه محاسباً إياه اهـ.

وقوله: ﴿عنده﴾ أي عند السراب أو العمل، وقوله: أو وجده نفسه محاسباً إياه أي فالعندية بمعنى الحساب على طريق الكناية لذكر التوفية بعد اهـ شهاب.

وفي القرطبي: ووجد الله عنده أي وجد الله بالمرصاد فوفاه حسابه أي جزاء عمله، وقيل: وجد وعد الله بالجزاء على عمله، وقيل: وجد أمر الله عند حشره والمعنى متقارب اهـ.

قوله: (أي جازاه عليه) أي: على عمله في الدنيا متعلق بجازاه، ويكون المعنى على هذا أنه وجد في الآخرة، وعلم فيها أن الله جازاه في الدنيا على عمله بالمال والبنين وغيرهما من لذات الدنيا اهـ شيخنا.

وهذا المعنى بعيد من السياق جداً، إذ مقتضى السياق بطلان عمل الكافر وأنه لا نفع له أصلاً، والذي حمله على هذا المعنى البعيد تقييد الشارح بقوله في الدنيا، وغيره من المفسرين لم يذكر هذا القيد. وعبارة أبي السعود: فوفاه أي: أعطاه وافياً كاملاً حسابه أية حساب عمله المذكور وجزاءه، فإن اعتقاده لنفعه بغير إيمان وعمله بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعاً اهـ.

ومفادها: أن المعنى أن الله في الآخرة يجازي الكافر بالعذاب على عمله في الدنيا، ويمكن على بعد أن يجعل قول الشارح في الدنيا حالاً من العمل أي جازاه في الآخرة على عمله حال كونه أي العمل في الدنيا أي على العمل الذي عمله في الدنيا، فيكون الجزاء في الآخرة بالعقاب على العمل الذي عمله في الدنيا فتأمل.

قوله: ﴿أو كظلمات﴾ أو للتقسيم. أي: أن عمل الكافر قسمان، قسم كالسراب وهو العمل الصالح، وقسم كالظلمات وهو العمل السيىء اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: أو كظلمات عطف على كسراب وأو للتخيير، فإن أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب، ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لجج البحر والسحاب والأمواج، أو للتنويع فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب، وإن كانت سيئة فكالظلمات، أو للتقسيم باعتبار وقتين فإنها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة اهـ.

قوله أيضاً: ﴿أو كظلمات﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه نسق على كسراب على حذف مضاف واحد تقديره: أو كذي ظلمات ودل على هذا المضاف قوله: ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ فالكناية تعود إلى المضاف المحذوف وهو قول أبي علي. الثاني: أنه على حذف مضافين تقديره: أو كأعمال ذي ظلمات

﴿فَوۡقِهِۦ﴾ أي الموج ﴿مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ﴾ أي الموج الثاني ﴿سَحَابٞۚ﴾ أي غيم هذه ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني وظلمة السحاب ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُۥ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ أي لم يقرب من رؤيتها ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا

فقدر ذي ليصح عود الضمير إليه في قوله: ﴿إذا أخرج يده﴾ وقدر أعمال ليصح تشبيه أعمال الكفار بأعمال صاحب الظلمة، إذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب الظلمة. الثالث: أنه لا حاجة إلى حذف البتة، والمعنى أنه شبه أعمال الكفار في حيلولتها بين القلب وما يهتدى به بالظلمة، وأما الضميران في أخرج يده فيعودان على محذوف دل عليه المعنى أي: إذا أخرج يده فيها اهـ سمين.

وتلخص من كلام القرطبي: أن المشبه إما عمل الكافر وعلى هذا لا يقدر شيء بعد الكاف، وإما كفر الكافر وعليه لا يقدر شيء أيضاً، وإما نفس الكافر وعليه فيقدر مضاف بعد الكاف، والمعنى عليه أن الكافر كذي ظلمات أي كشخص كائن في ظلمات الخ.

قوله: ﴿لجي﴾ منسوب للج أو اللجة وهو الماء الغزير اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿في بحر لجي﴾. في بحر: صفة الظلمات فيتعلق بمحذوف، واللجي منسوب إلى اللج وهو معظم البحر كذا قال الزمخشري، وقال غيره: منسوب إلى اللجة بالتاء وهي أيضاً معظمه، فاللجي هو العميق الكثير الماء، وقوله: ﴿من فوقه موج﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة من مبتدأ وخبر صفة لموج الأول، ويجوز أن يجعل الوصف الجار والمجرور فقط، وموج فاعل به لاعتماده على الموصوف، وقوله: ﴿من فوقه سحاب﴾ فيه الوجهان المذكوران قبله من كون الجملة صفة لموج الثاني أو الجار فقط اهـ.

قوله: ﴿يغشاه﴾ أي: يعلوه موج من فوقه موج إشارة إلى كثرة الأمواج وتراكم بعضها فوق بعض اهـ شيخنا.

وفي الخازن: معناه أن البحر اللجي يكون قعره مظلماً جداً بسبب غمورة الماء، فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة، فإن كان فوق الأمواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى. ووجه الشبه أن الله عز وجل ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات: ظلمة البحر، وظلمة الأمواج، وظلمة السحاب. وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات: ظلمة الاعتقاد، وظلمة القول، وظلمة العمل. وقيل: شبه بالبحر اللجي قلبه، وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الختم والطبع على قلبه. قال أبي بن كعب: الكافر يتقلب في خمس من الظلمات: كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى ظلمات يوم القيامة في النار اهـ.

قوله أيضاً: ﴿يغشاه موج﴾ صفة أخرى لبحر هذا إذا أعدنا الضمير في يغشاه على بحر وهو الظاهر، وإن قدرنا مضافاً محذوفاً أي: أو كذي ظلمات كما فعل بعضهم كان الضمير في يغشاه عائداً عليه وكانت الجملة حالاً منه لتخصصه بالإضافة أو صفة له اهـ سمين.

قوله: ﴿من فوقِ سحاب﴾ أي: قد غطى النجوم وحجب أنوارها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذا أخرج يده﴾ أي: مع أنها أقرب شيء إليه. قوله: (أي من لم يهده الله لم يهتد) عبارة

﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ أي من لم يهده الله لم يهتد ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومن التسبيح صلاة ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ جمع طائر بين السماء والأرض ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ حال، باسطات

البيضاوي: ومن لم يجعل الله له نوراً. من لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لأسبابها. فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور اهـ.

وفي الخازن قال ابن عباس: من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له، وقيل: من لم يهده الله فلا هادي له. قيل: نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح، فلما جاء الإسلام كفر وعاند، والأصح أن هذه الآية عامة في حق جميع الكفار اهـ.

قوله: ﴿ألم تر﴾ أي: ألم تعلم علماً يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي أو الاستدلال أن الله يسبح له أي ينزه ذاته عن كل نقص وآفة من في السموات والأرض، أي: أهل السموات والأرض، ومن لتغليب العقلاء أو الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال اهـ بيضاوي.

وقوله: ألم تعلم يعني أن المراد بالرؤية رؤية القلب لأن تسبيح المسبحين لا تتعلق به رؤية البصر، والاستفهام تقريري أي: قد علمت. وعبر عن العلم بالرؤية للدلالة على تقديره بالعلم النازل منزلة المشاهد اهـ زاده.

وظاهره؛ أنه استعارة، ومقتضى كلام النحويين أن رأى العلمية حقيقة اهـ شهاب.

قوله: (ومن التسبيح صلاة) وذلك لأن المراد به الخضوع والانقياد والعبادة والصلاة من جملة أفراد هذا المعنى، وإنما قال الشارح ذلك توطئة لقوله: ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾. وفي الكرخي: قال مجاهد: الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر الخلق، وقيل: إن ضرب الأجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه وقيد الطير بقوله: ﴿صافات﴾ لأنه يكون بين السماء والأرض حينئذ، ولكونه دالاً على كمال قدرة صانعه ولطف تدبير مبدعه، فيكون خارجاً عن حكم من في السموات والأرض وهو معطوف على من. قال الزمخشري: فإن قلت: متى رأى رسول الله ﷺ تسبيح من في السموات ودعاءهم، وتسبيح الطير ودعاءه، وتنزيل المطر من جبال من برد في السماء حتى قيل له ألم تر؟ قلت: علمه من جهة إخبار الله إياه بذلك على طريق الوحي اهـ.

قوله: ﴿والطير صافات﴾ قرأ العامة: والطير رفعاً وصافات نصباً فالرفع عطفاً على من والنصب على الحال، وقرأ الأعرج، والطير نصباً على المفعول معه، وصافات حال أيضاً، وقرأ الحسن، وخارجة عن نافع: والطير صافات برفعهما على الابتداء والخبر، ومفعول صافات محذوف أي أجنحتها اهـ سمين.

وفي المصباح: والطائر على صيغة اسم الفاعل من طار يطير طيراناً وهو له في الجو كمشي الحيوان في الأرض ويعدى بالهمزة، والتضعيف، فيقال: طيرته وأطرته، وجمع طائر طير مثل صاحب وصحب وراكب وركب، وجمع الطير طيور وأطيار. قال أبو عبيدة، وقطرب: ويقع الطير على الواحد والجمع، وقال ابن الأنباري: الطير جماعة وتأنيثها أكثر من التذكير، ولا يقال هو أحد طير بل طائر، وقلما يقال للأنثى طائرة اهـ.

أجنحتهن ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الله ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ فيه تغليب العاقل ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ المرجع ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ مخارجه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ

قوله: (بين السماء والأرض) أشار بهذا إلى أن العطف مغاير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه﴾ في هذه الضمائر أقوال، أحدها: أنها كلها عائدة على كل أي: كل قد علم هو صلاة نفسه وتسبيحها وهذا أولى لتوافق الضمائر. والثاني: أن الضمير في علم عائد على الله تعالى وفي صلاته وتسبيحه عائد على كل. والثالث: بالعكس أي علم كل صلاة الله وتسبيحه أي اللذين أمر بهما وبأن يفعلا كإضافة الخلق إلى الخالق اهـ سمين.

قوله: (خزائن المطر والرزق) راجع السماء، وقوله: (والنبات) راجع للأرض اهـ شيخنا.

ويشير بهذا إلى تقدير مضاف أي: ولله ملك خزائن السموات والأرض. وفي الخازن: ولله ملك السموات والأرض أي: أن جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشأت ومنه بدت فهو واجب الوجود، وقيل: معناه أن خزائن المطر والرزق بيديه ولا يملكها أحد سواه اهـ.

قوله: ﴿يزجي سحاباً﴾ في المختار زجى الشيء تزجيه دفعه برفق، وتزجى بكذا اكتفى به، وأزجى الإبل ساقها والمزجى الشيء القليل، وبضاعة مزجاة قليلة، والريح تزجي السحاب، والبقرة تزجي ولدها أي تسوقه اهـ.

قوله: ﴿ثم يؤلف بينه﴾ إنما دخلت بين على مفرد وهي إنما تدخل على المثنى فما فوقه، لأنه إما أن يراد بالسحاب الجنس فعاد الضمير عليه على حكمه، وإما أن يراد أنه على حذف مضاف أي يبين قطعه فإن كل قطعة سحاب اهـ سمين.

وإلى هذا يشير كلام المفسر اهـ.

قوله: ﴿ركاماً﴾ في المختار: ركم الشيء إذا جمعه وألقى بعضه على بعض وبابه نصر، وارتكم الشيء وتراكم اجتمع والركام الرمل المتراكم والسحاب ونحوه اهـ.

قوله: ﴿فترى الودق﴾ أي: تبصره. وقوله: ﴿يخرج من خلاله﴾ حال، وقوله: (مخارجه) أي ثقبه اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿من خلاله﴾ وهل الخلال مفرد كحجاب أو جمع كجبال جمع جبل، والودق قيل: هو المطر ضعيفاً كان أو شديداً وهو في الأصل مصدر يقال: ودق السحاب يدق ودقاً من باب وعد ويخرج حال لأن الرؤية بصرية اهـ.

وفي القرطبي: وخلال جمع مثل الجبل والجبال وهي فرجه ومخارج القطر منه، وقد تقدم في البقرة أن كعباً قال: إن السحاب غربال المطر لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء لأفسد ما يقع عليه من الأرض اهـ.

﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿مِن﴾ زائدة ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء بدل بإعادة الجار ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ أي بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ لمعانه ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ الناظرة له أي يخطفها ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التقليب ﴿لَعِبۡرَةً﴾ دلالة ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ أي حيوان

قوله: ﴿وينزل من السماء من جبال﴾ الخ قد ذكرت من هنا ثلاث مرات، فالأولى: ابتدائية باتفاق المفسرين. والثانية: قيل: زائدة، وقيل: تبعيضية، وقيل: ابتدائية على جعل مدخولها بدلاً مما قبله بإعادة الجار. والثالثة: فيها هذه الأقوال الثلاثة، وتزيد بقول رابع وهو أنها لبيان الجنس، فقول الشارح في الثانية زائدة وقوله بدل بإعادة الجار فيه تلفيق بين القولين فكان ينبغي له الاقتصار على أحدهما، وجرى في الثالثة على أنها تبعيضية كما ترى اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿من السماء من جبال فيها من برد﴾، من الأولى لابتداء الغاية اتفاقاً. وأما الثانية ففيها ثلاثة أوجه، أحدها: أنها لابتداء الغاية أيضاً فهي ومجرورها بدل من الأولى بإعادة الجار، والتقدير: وينزل من جبال السماء من جبال فيها فهو بدل اشتمال. الثاني: أنها للتبعيض قاله الزمخشري وابن عطية، فعلى هذا هي ومجرورها في موضع مفعول الإنزال كأنه قال: وينزل بعض جبال. الثالث: أنها زائدة أي ينزل من السماء جبالاً، وقال الحوفي: من جبال بدل من الأولى، ثم قال: وهي للتبعيض ورده الشيخ بأنه لا تستقيم البدلية إلا بتوافقهما معنى. وأما الثالثة: ففيها أربعة أوجه: الثلاثة المتقدمة، والرابع أنها لبيان الجنس قاله الحوفي والزمخشري، فيكون التقدير على قولهما: وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد فالمنزل برد لأن بعض البرد برد ومفعول ينزل من جبال كما تقدم تحريره اهـ.

قوله: (زائدة) أي: في المفعول به، وقوله: فيها نعت للجبال والضمير للسماء ففي السماء جبال من برد كما أن في الأرض جبالاً من حجارة، وقوله: بدل أي أن قوله: من جبال بدل أي بدل اشتمال من قوله من السماء، فالتقدير: وينزل من السماء من جبالها أي: الجبال التي فيها بعض برد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فيصيب به﴾ الضمير للبرد كما في البيضاوي والخازن. قوله: ﴿سنا برقه﴾ العامة على قصر سنا وهو الضوء وهو من ذوات الواو. يقال: سنا يسنو سنا أي أضاء يضيء اهـ سمين.

وفي المختار: السنا مقصور ضوء البرق، والسناء أيضاً نبت يتداوى به، والسناء من الرفعة ممدود والشيء الرفيع، وسناه رفعه، وسناه تسنية فتحه وسهله اهـ.

قوله: ﴿بالأبصار﴾ جمع بصر كما أشار له بقوله الناظرة.

قوله: (أي يخطفها) أي: فالباء للتعدية، وقيل: هي بمعنى من والمفعول محذوف تقديره يذهب النور من الأبصار، فسبحان من يخرج الماء والنار والنور والظلمة من شيء واحد اهـ كرخي.

وفي المصباح: خطفه يخطفه من باب تعب استلبه بسرعة وخطفه خطفاً من باب ضرب لغة اهـ.

قوله: ﴿لأولي الأبصار﴾ جمع بصيرة كما أشار له بقوله لأصحاب البصائر، وقوله: (على قدرة الله) متعلق بدلالة اهـ شيخنا.

﴿مِّن مَّآءٍ﴾ أي نطفة ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم والنعام ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ﴾ أي بينات هي القرآن ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ أي دين الإسلام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المنافقون ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقنا ﴿بِٱللَّهِ﴾ بتوحيده

قوله: (أي نطفة) هذا بحسب الأغلب في حيوانات الأرض المشاهدة، وإلَّا فالملائكة خلقوا من النور وهم أكثر المخلوقات عدداً، والجن خلقوا من النار وهم بقدر تسعة أعشار الإنس، وآدم خلق من الطين، وعيسى خلق من الريح الذي نفخه جبريل في جيب مريم، والدود يخلق من نحو الفاكهة ومن العفونات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فمنهم﴾ الضمير راجع لكل باعتبار معناه وفيه تغليب العاقل على غيره، وقوله: ﴿من يمشيء على بطنه﴾ سميت هذه الحركة مشياً مع أنهار زحف للمشاكلة اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: فمنهم من يمشي الخ إنما أطلق من على غير العاقل لاختلاطه بالعاقل في الفصل بمن وكل دابة، فكان التعبير بمن أوى لتوافق اللفظ، وقيل: لما وصفه بما يوصف به العقلاء وهو المشي أطلق عليه من، وفيه نظر لأن هذه الصفة ليست خاصة بالعقلاء بخلاف قوله تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ [النحل: ١٧] واستعير المشي للزحف على البطن كما استعير المشفر للشفة وبالعكس كما قالوا في الأمر المستمر مشى على هذا الأمر، ويقال: فلان ما يمشي له أمر. فإن قيل: لم حصر القسمة في هذه الثلاثة أنواع من المشي وقد نجد من يمشي على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والحيوان الذي له أربع وأربعون رجلاً؟ فالجواب: أن هذا القسم الذي لم يذكر كالنادر فكان ملحقاً بالعدم، وعبارة القاضي: ومنهم من يمشي على أربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له أكثر من أربع كالعناكب، فإن اعتمادها إذا مشت يكون على أربع اهـ.

قوله: (والهوام) بتشديد الميم أي: وكالدود والسمك. قوله: (كالإنسان والطير) أي: وكالنعام. قوله: ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ أي: ومنهم من يمشي على أكثر كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأم أربع وأربعين، وإنما لم يذكر هذا القسم إما لندوره أو لأنه عند المشي يعتمد على أربع فقط أو لدخوله في قوله: ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ أي: مما ذكر ومما لم يذكر بسيطاً ومركباً على اختلاف الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطباع والقوى والأفعال، مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لقد أنزلنا﴾ فيه التفات، وقوله: ﴿مبينات﴾ بفتح الياء وكسرها سبعيتان، وكذلك في كل ما جاء من هذا الجمع في القرآن اهـ شيخنا.

وتفسير الشارح يناسب الكسر.

قوله: ﴿ويقولون آمنا بالله الخ﴾ شروع في بيان أحوال بعض من لم يشأ الله هدايته إلى صراط مستقيم وفي الخطيب: قال مقاتل: نزلت هذه الآية في بشر المنافق إلى أن قال: وقد مضت قصتها في سورة النساء اهـ.

﴿وَبِالرَّسُولِ﴾ محمد ﴿وَأَطَعْنَا﴾ هما فيما حكما به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾ يعرض ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ عنه ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ﴾ المعرضون ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ عن المجيء إليه ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ مسرعين طائعين ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾ أي شكوا في نبوته

وعبارة الخازن عند قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك﴾ [النساء: ٦٠] الخ نصها: قال ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: ننطلق إلى محمد، وقال المنافق: ننطلق إلى كعب بن الأشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت، فأبى اليهودي أنه يخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ فقضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال: انطلق بنا إلى عمر فأتيا عمر فقال اليهودي: اختصمت أنا وهذا إلى محمد أي عنده فقضى عليه فلم يرض بقضائه، وزعم أنه يخاصمني إليك أي عندك، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ فقال: نعم، فقال لهما عمر: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد أي مات، وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله، فنزلت هذه الآية. وقال جبريل: إن عمر فرّق بين الحق والباطل فسمي الفاروق اهـ بحروفه.

قوله: ﴿من بعد ذلك﴾ أي: القول المذكور، وقوله: عنه أي عن ذلك الحكم.

قوله: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله﴾ هذا إيضاح وشرح لقوله: ثم يتولى فريق منهم، وقول: ﴿إذا فريق﴾ إذا الثانية بمعنى الفاء أي قائمة مقامها في ربط الجواب بشرطه وهو إذا الأولى اهـ شيخنا.

قوله: (المبلغ عنه) أشار به للاعتذار عن إفراد الضمير في ليحكم، وحاصله أن الرسول هو المباشر للحكم، لأنه المباشر للحكم حقيقة، وإلاّ كان ذلك حكم الله تعالى حقيقة، وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والإيذان بجلالة محله عنده تعالى اهـ.

قوله: ﴿معرضون﴾ أي: إن كان الحكم عليهم بدليل قوله: ﴿وإن يكن لهم الحق﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (إليه) يجوز تعلقه بيأتوا لأن أتى وجاء قد جاءا متعديين بإلى ، ويجوز أن يتعلق بمذعنين لأنه بمعنى مسرعين في الطاعة. وصححه الزمخشري قال: لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص، ومذعنين حال، والإذعان الانقياد يقال: أذعن فلان لفلان أي انقاد له، وقال الزجاج: الاذعان الإسراع مع الطاعة اهـ سمين.

وفي القاموس: أذعن له خضع وذل وأقر وأسرع في الطاعة وانقاد ذعن كفرح اهـ.

قوله: ﴿أفي قلوبهم مرض الخ﴾ انكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم، والاستفهام للإنكار لكن النفي المستفاد به لا يتسلط على هذه الأمور الثلاثة لأنها واقعة لهم وقائمة بهم والواقع لا ينفى، وإنما هو متسلط على منشئيتها وسببيتها لإعراضهم أي: ليس منشؤه شيئاً من هذه الثلاثة بل منشؤه شيء آخر وهو ظلمهم فبينه بالإضراب الانتقالي بقوله بل

﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الحكم أي فيظلموا فيه؟ لا ﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٥٠﴾ بالإعراض عنه ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ بالقول اللائق بهم ﴿أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بالإجابة ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ حينئذ ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ الناجون ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ بالجنة

أولئك هم الظالمون اهـ شيخنا. وفي الخطيب: ثم قسم تعالى الأمر في صدورهم عن حكومته ﷺ إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب بقوله: ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ ومرتابين في نبوته بقوله: ﴿أم ارتابوا﴾ وخائفين الحيف في قضائه بقوله: ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ اهـ قوله: ﴿أفي قلوبهم مرض)﴾ أي: كفر أو ميل إلى الظلم أم ارتابوا بأن رأوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة، بل أولئك هم الظالمون إضراب عن القسمين الأخيرين لتحقيق القسم الأول، ووجه القسم أن امتناعهم إما لخلل فيهم أو في الحاكم، والثاني إما أن يكون محققاً عندهم أو متوقعاً وكلاهما باطل، لأن منصب نبوته وفرط أمانته ﷺ يمنعه فتعين الأول وظلمهم نعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف، وضمير الفصل لنفي ذلك من غيرهم سيما المدعو إلى حكمه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أم ارتابوا﴾ أم بمعنى بل والهمزة أي بل ارتابوا وكذلك يقال فيما بعده اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿أم ارتابوا أم يخافون﴾ أم فيهما منقطعة تتقدر عند الجمهور بحرف الاضراب وهمزة الاستفهام تقديره: بل ارتابوا بل أيخافون، ومعنى الاستفهام هنان التقرير والتوقيف ويبالغ به تارة في الذم وتارة في المدح، وأن يحيف مفعول الخوف، والحيف: الميل والجور في القضاء يقال: حاف في قضائه أي مال اهـ.

قوله: (لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري وهو راجع لكل من الأسباب الثلاثة، أي: لسببيته ومنشئيته كما علمت، أي: لكونه سبباً ومنشأ لإعراضهم اهـ شيخنا.

قوله: (بالإعراض عنه) أي: الحكم قوله: ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ العامة على نصبه خبراً لكان والاسم أن المصدرية وما بعدها، وقرأ أمير المؤمنين والحسن برفعه على أنه الاسم، وأن وما في حيزها الخبر وهي عندهم مرجوحة، لأنه متى اجتمع معرفتان فالأولى جعل الاعراف الاسم، وإن كان سيبويه خيَّر في ذلك بين كل معرفتين ولم يفرق هذه التفرقة، وقد تقدم تحقيق هذا في أول آل عمران اهـ سمين.

قوله: (بالإجابة) أي: بالفعل لا بمجرد اللسان كما فعل المنافقون. قوله: ﴿وأولئك﴾ (حينئذ) أي: حين إذ قالوا هذا القول المذكور اهـ.

قوله: (يخافه) لعل هذا حل معنى، وإلا فحق الإعراب يخفه بالجزم لأنه تفسير للمجزوم بالعطف على فعل الشرط. قوله: (وكسرها) أي: مع اشباع وبدونه بل وبسكون القاف مع الكسر بدون اشباع، فهذه ثلاثة مع الكسر تضم الكون فهي أربعة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

﴿۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غايتها ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالجهاد ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُلْ﴾ لهم ﴿لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ للنبي خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن طاعته بحذف إحدى التاءين خطاب لهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته ﴿وَإِن

قوله: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكد باليمين الفاجرة اهـ أبو السعود.

فالضمير عائد على المنافقين، والعطف على قوله سابقاً: ويقولون آمنا بالله وبالرسول. وعبارة الخازن: وأقسموا بالله جهدا أيمانهم الخ نزلت لما قال المنافقون لرسول الله ﷺ: أينما كنت نكن معك، لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا اهـ.

قوله: (أي غايتها) أشار به إلى أن جهد منصوب على المفعول المطلق وهذا أحد وجهين. وفي السمين: قوله: ﴿جهد أيمانهم﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب على المصدر بدلاً من اللفظ بفعله، إذ أصل أقسم بالله جهد اليمين جهداً فحذف الفعل وقدم المصدر موضوعاً موضعه مضافاً إلى المفعول كضرب الرقاب قاله الزمخشري. والثاني: أنه حال تقديره مجتهدين في أيمانهم كقوله: افعل ذلك جهدك وطاقتك، وقد خلط الزمخشري الوجهين فجعلهما وجهاً واحداً فقال بعد ما قدمته عنه: وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قيل جاهدين أيمانهم اهـ.

قوله: ﴿معروفة﴾ أي: بالصدق وموافقة الواقع لا بمجرد القول باللسان اهـ شيخنا.

قوله: (خير من قسمكم) أشار إلى أن طاعة مبتدأ ومعروفة صفة والخبر محذوف، ويجوز عكسه أي أمركم طاعة، بل قال الواسطي: إنه الأولى لأن الخبر مخط الفائدة، وعليه فالمعنى أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب اهـ كرخي.

قوله: ﴿فإن تولوا﴾ مجزوم بحذف النون، وجواب الشرط محذوف تقديره فلا ضرر عليه في ذلك، وقوله: قائماً عليه الخ تعليل لهذا المحذوف اهـ شخينا.

وفي أبي السعود: ما يقتضي أن قوله فإنما عليه الخ معمول للجواب المحذوف ونصه: فإن تولوا الخطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الأمر بها، والمبالغة في إيجاب الامتثال، وتوهم أنه داخل تحت القول مأمور بحكايته من جهته تعالى، وأنه أبلغ في التبكيت فعكس للأمر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام للمأمور به إليهم أي: إن تتولوا عن الطاعة إثر ما أمرتم بها، فإنما عليه أي فاعلموا أنما عليه السلام ما حمل أي أمر به من التبليغ، وقد شاهدتموه عند قوله: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ وعليكم ما حملتم أي: ما أمرتم به من الطاعة، ولعل التعبير بالتحميل للإشعار بثقله وكونه مؤنة وكلفة باقية في عهدتهم بعد، كأنه قيل: حيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل، وقوله تعالى: ﴿ما حمل﴾ محمول على المشاكلة.

قوله: ﴿ما حمل﴾ أي: كلف. قوله: ﴿تهتدوا﴾ أي: تصيبوا الحق والرشد في طاعته اهـ خازن.

تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ أي التبليغ البين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بدلاً عن الكفار ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من بني إسرائيل بدلاً عن الجبابرة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع لهم في البلاد فيملكوها ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الكفار ﴿أَمْنًاۚ﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر وأثنى عليهم بقوله ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ﴾ هو مستأنف في حكم التعليل ﴿وَمَن كَفَرَ

قوله: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ أي: وقد أداه فأدوا أيضاً أنتم ما عليكم من طاعته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وعد الله﴾ الخ المفعول الثاني محذوف تقديره: الاستخلاف في الأرض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم بالأمن، وأما قوله: ﴿ليستخلفنهم﴾ الخ فهو جواب قسم مقدر تقديره: والله ليستخلفنهم الخ. وهذا الجواب دال على المفعول المحذوف اهـ شيخنا. وهذا أحد وجهين.

وفي السمين: قوله: ﴿ليستخلفنهم﴾ فيه وجهان، أحدهما: هو جواب قسم مضمر أي: أقسم ليستخلفنهم ويكون مفعول الوعد محذوفاً تقديره: وعدهم الاستخلاف لدلالة قوله ليستخلفنهم عليه. والثاني: أن يجري وعد مجرى القسم لتحققه، فلذلك أجيب بما يجاب بما القسم اهـ.

قوله: ﴿منكم﴾ من: تبعيضية وهي مع مجرورها في محل الحال من الموصول، والخطاب للنبي ﷺ وأمة الدعوة اهـ.

قوله: ﴿في الأرض﴾ فيها قولان، أحدهما: يعني أرض مكة لأن المهاجرين سألوا الله ذلك فوعدوا كما وعدت بنو إسرائيل قال معناه النقاش. الثاني: أنها بلاد العرب والعجم. قال ابن العربي: وهو الصحيح لأن أرض مكة محرمة على المهاجرين، ففي الحديث لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله ﷺ أن توفي بمكة، وقال في الصحيح أيضاً: يمكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثاً اهـ قرطبي.

قوله: ﴿كما استخلف﴾ ما مصدرية أي: استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم، والعام على بناء استخلف للفاعل وأبو بكر بناه للمفعول فالموصول على الأول منصوب، وعلى الثاني مرفوع اهـ سمين.

وفي البيضاوي: وقرأ أبو بكر والمفضل عن عاصم بضم التاء وكسر اللام وإذا ابتدأ ضم الألف والباقون بفتحهما، وإذا ابتدؤوا كسروا الألف اهـ.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيتان. قوله: (بما ذكره) متعلق بوعده والذي ذكره هو الأمور الثلاثة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يعبدونني﴾ فيه سبعة أوجه، أحدها: أنه مستأنف أي: جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: ما بالهم يستخلفون ويؤمنون؟ فقيل: يعبدونني. الثاني: أنه خبر مبتدأ مضمر أي هم يعبدونني، والجملة

بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ الإنعام منهم به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه فساروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ أي رجاء الرحمة ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ﴾ بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

أيضاً استئنافية تقتضي المدح. والثالث: أنه حال من مفعول وعد الله. الرابع: أنه حال من مفعول ليستخلفنهم. الخامس: أنه حال من فاعله. السادس: أنه حال من مفعول ليبدلنهم. السابع: أنه حال من فاعله اهـ سمين.

فقول الشارح هو مستأنف ضميره عائد ليعبدونني، أي: هذا التركيب مستأنف وهذا هو الذي صدر به السمين كما عرفت، وقوله: (في حكم التعليل) أي: التعليل لوعدهم بما ذكر من الأمور الثلاثة.

قوله: ﴿لا يشركون بي شيئاً﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً وأن يكون حالاً من فاعل يعبدونني أي: يعبدونني موحدين، وأن يكون بدلاً من الجملة التي قبله الواقعة حالاً وقد تقدم ما فيها اهـ سمين.

قوله: ﴿بعد ذلك﴾ (الإنعام منهم) منهم: حال من والضمير للذين آمنوا، وقوله: (به) متعلق بالإنعام أي: الإنعام بما ذكر من الأمور الثلاثة، فالمراد بالكفر هنا كفر النعمة، أي: عدم القيام بحقها لا الكفر المقابل للإيمان، فلذلك قال: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ ولم يقل الكافرون اهـ شيخنا.

قوله: (وأول من كفر به) أي: بالإنعام بما ذكر أي: لم يقم بحق هذه النعم من عدم التعرض للفتن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ الخ عطف على مقدر يقتضيه السياق تقديره فآمنوا أي: دوموا على الإيمان واعملوا صالحاً وأقيموا الصلاة الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال، لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه قاله الزمخشري. قلت: وقوله: لأن حق المعطوف الخ لا يظهر علة للحكم الذي ادعاه. والثاني: أن قوله: وأقيموا من باب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وحسنه الخطاب في قوله قبل ذلك: منكم اهـ.

قوله: (بالفوقانية) ومعلوم أن الفاعل عليها ضمير المخاطب وهو الرسول، فقوله: (والفاعل الرسول) راجع للقراءتين، وعلى كل من القراءتين فالموصول مفعول أول ومعجزين مفعول ثان اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (والفاعل الرسول) أي: لتقدم ذكره وظاهر كلامه أن ذلك على القراءتين، وتفصيل القول في ذلك أن الفاعل ضمير المخاطب أي: لا تحسبن أيها المخاطب، ويمتنع أو يبعد جعله الرسول ﷺ لأن مثل هذا الحسبان لا يتصور منه حتى ينهى عنه. وأما على القراءة بالتحتانية فإن الفاعل فيها مضمر يعود على ما دل السياق عليه، أي: لا تحسبن حاسب أو أحد، وإما على الرسول

﴿مُعْجِزِينَ﴾ لنا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بأن يفوتونا ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ﴾ مرجعهم ﴿ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٥٧﴾ المرجع هي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ من الأحرار وعرفوا أن النساء ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ

لتقدم ذكره ولكنه ضعيف للمعنى المتقدم. وأجيب: بأنه لا يلزم من النهي عن الشيء وقوعه من المنهي عنه اهـ.

قوله: (بأن يفوتونا) أي: يهربوا ويفروا من عذابنا اهـ شيخنا.
وهرب من باب طلب كما في المختار.

قوله: ﴿ومأواهم النار﴾ معطوف على جملة لا تحسبن عطف خبر على إنشاء على رأي بعضهم، أو معطوف على مقدر تقديره بل هم مقهورون مدركون، ومأواهم الخ عطف خبر على خبر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ قال ابن عباس: وجه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل عليه فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته فيها، فأنزل الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** الآية. وقيل: نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها، فأنزل الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم﴾**. واللام لام الأمر وفيه قولان، أحدهما: أنه على الندب والاستحباب. والثاني: أنه للوجوب وهو الأولى اهـ خازن.

وفي زاده: واعلم أن ظاهر الآية أمر المماليك والأطفال بالاستئذان، والمقصود أمر المؤمنين بأن يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم في هذه الأوقات من غير إذن إذ لو كان المقصود أمر المماليك والأطفال بالذات لما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه، ولكن يلزم عليه تكليف الأطفال اهـ.

وفي الكرخي: وهذا الأمر في الحقيقة للأولياء بتأديبهم فلا يرد كيف أمرهم الله بالاستئذان مع أنهم غير مكلفين اهـ.

وفي القرطبي: يروى أن رسول الله ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب ظهيرة ليدعوه فوجده نائماً وقد أغلق عليه الباب، فدق الغلام عليه الباب فناداه ودخل، فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء فقال عمر: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا ألّا يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت فخرَّ ساجداً شكراً لله عز وجل اهـ.

قوله: (وعرفوا أمر النساء) أي: عوراتهن أي حكوا عورات النساء اهـ شيخنا.

أي: ميزوا بين الجميلة وغيرها. **قوله: ﴿ثلاث مرات﴾** فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب على الظرف الزماني، أي: ثلاثة أوقات، ثم فسر تلك الأوقات بقوله: **﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم﴾**، **﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾**، والثاني: أنه منصوب على المصدرية أي: ثلاثة استئذانات. ورجح

تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي وقت الظهر ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ بالرفع خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه أي هي أوقات وبالنصب بتقدير أوقات منصوباً بدلاً من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي المماليك والصبيان ﴿جُنَاحُۢ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان

الشيخ هذا فقال: والظاهر من قوله ثلاث مرات ثلاثة استئذانات، لأنك إذا قلت: ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه إلا ثلاث ضربات، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: «الاستئذان ثلاث». قلت: مسلّم أن الظاهر كذا ولكن الظاهر هنا متروك للقرينة المذكورة وهي تفسير الثلاثة بقوله: ﴿من قبل صلاة الفجر الخ﴾ اهـ سمين.

لكن الشارح جرى على الأول حيث قال ثلاث مرات في ثلاثة أوقات. قوله: ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ في محل نصب بدل من ثلاث مرات، وكذا يقال فيما بعده. وسيشير لهذا الإعراب بقوله: (بدلاً من محل ما قبله) اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ أي: لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة، وقوله: ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ أي: التي تلبس في اليقظة: تضعونها لأجل القيلولة، وقوله: ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ أي: لأنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿من الظهيرة﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن من لبيان الجنس أي: حين ذلك الوقت الذي هو الظهيرة. الثاني: أنها بمعنى في أي تضعونها في الظهيرة. الثالث: أنها بمعنى اللام أي، من أجل حر الظهيرة، وأما قوله: ﴿وحين تضعون﴾ فعطف على محل من قبل صلاة الفجر، وقوله: ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ عطف على ما قبله، والظهيرة: شدة الحر وهو انتصاف النهار سمين.

فقول الشارح: أي وقت الظهر تفسير لحين. قوله: (بالرفع) خبر مبتدأ مقدر وعلى هذا فالوقف على العشاء، وأما على قراءة النصب فالوقف على لكم اهـ شخينا.

قوله: (بعده مضاف) أي: يقدر أيضاً. قوله: (أي هي أوقات) أي: هي أوقات ثلاث عورات وقوله: (ما قبله) وهو الظروف الثلاثة اهـ شيخنا.

قوله: (وهي مبتدأ) أي: الأوقات الثلاثة. وقوله: (تبدو فيها العورات) خبره، وقوله: (لإلقاء الثياب الخ) علة مقدمة. وهذا بيان لحكمة النهي وبيان لتسميتها عورات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليس عليكم﴾ أي: في تمكينهم من الدخول عليكم، ولا عليهم أي في الدخول لعدم تكليفهم، وهذا في الصبيان، وأما في الأرقاء البالغين فالأمر ظاهر اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿ليس عليكم جناح بعدهن﴾ ليس في هذا ما ينافي آية الاستئذان فينسخها لأنه في الصبيان ومماليك المدخول عليهم، وتلك في الأحرار البالغين اهـ بيضاوي.

أي: أي خلافاً لمن قال إنها منسوخة بهذه الآية في غير هذه الأوقات الثلاثة اهـ زاده.

﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي بعد الأوقات الثلاثة هم ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾ طائف ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي الأحكام ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمور خلقه ﴿حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ بما دبره لهم، وآية الاستئذان قيل منسوخة

قوله: (هم) ﴿طوافون﴾ الجملة تعليل لما قبلها. قوله: (والجملة) أي: قوله: ﴿بعضكم على بعض﴾، وقوله: (لما قبلها) أي: قوله: ﴿هم طوافون عليكم﴾، وهذا يفيد أن المراد بالبعض الأول هو ما عبر عنه بالواو في قوله: ﴿طوافون﴾ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿بعضكم على بعض﴾ في بعضكم ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مبتدأ وعلى بعض الخبر فقدره أبو البقاء يطوف على بعض، وتكون هذه الجملة بدلاً مما قبلها، ويجوز أن تكون مؤكدة مبينة. يعني: أنها أفادت ما أفادته الجملة التي قبلها فكانت بدلاً أو مؤكدة. والثاني: أن يرتفع بدلاً من طوافون قاله ابن عطية. والثالث: أنه مرفوع بفعل مقدر أي يطوف بعضكم على بعض حذف لدلالة طوافون عليه اهـ. الزمخشري.

وفي الكرخي: قوله: ﴿بعضكم على بعض﴾ أفاد أن قوله: بعضكم مبتدأ وعلى بعض الخبر وتبع فيما قدره أبا البقاء، ورد أبو حيان هذا بأنه كون مخصوص فلا يجوز حذفه، والجواب عنه: أن الممتنع الحذف إذا لم يدل عليه دليل ولم يقصد إقامة الجار مقامه، ولذلك قال الزمخشري: خبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لدلالة طوافون عليه اهـ.

وفي زاده: قوله: ﴿بعضكم على بعض﴾ أي: المماليك والأطفال يطوفون عليكم للخدمة وأنتم تطوفون عليهم للاستخدام، فلو كلفتم الاستئذان في كل طوفة أي في هذه الأوقات الثلاث وغيرها لضاق الأمر عليكم اهـ.

فقوله: ﴿بعضكم على بعض﴾ فيه زيادة على ما قبله فليس تأكيداً له خلافاً للجلال تأمل. قوله: (كما بين لكم ما ذكر) أي: من استئذان المماليك وغير البالغين اهـ كرخي.

قوله: (وآية الاستئذان) أي قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين﴾ الخ. وقيل: منسوخة الخ. عبارة الخازن: اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل: إنها منسوخة حكي ذلك عن سعيد بن المسيب. وروى عكرمة أن نفراً من أهل العراق قالوا لابن عباس: كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ الآية؟ فقال ابن عباس: إن الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب، فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله، فأمر الله بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله تعالى بالستور والحجب، فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد. أخرجه أبو داود، وفي رواية عنه نحوه وزاد: فأرى أن ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات. وذهب قوم إلى أنها منسوخة. روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال: سألت الشعبي عن هذه الآية: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمنسوخة هي؟ قال: لا والله. قلت: إن الناس لا يعملون بها. قال: الله المستعان. قال سعيد بن جبير في هذه الآية: إن ناساً يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون بها الناس اهـ.

وقيل لا، ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أيها الأحرار ﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي الأحرار الكبار ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ﴾ مظهرات ﴿بِزِينَةٍ﴾ خفية كقلادة وسوار

قوله: ﴿وإذا بلغ الأطفال﴾ الخ مقابل قوله: ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ [النور: ٥٨] اهـ زاده.

قوله: ﴿الذين من قبلهم﴾ أي: الذين ذكروا من قبلهم في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ [النور: ٢٧] الخ وما مصدرية أي: استئذاناً كاستئذان الذين من قبلهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والقواعد﴾ جمع قاعد بغير هاء مبتدأ، وقوله: ﴿اللاتي﴾ الخ نعت. فلذلك دخلت الفاء في الخبر وهو قوله: ﴿فليس عليهن جناح﴾ الخ شيخنا.

وفي المصباح: وقعدت المرأة عن الحيض أسنت وانقطع حيضها فهي قاعد بغير تاء والجمع قواعد، وقعدت عن الزوج فهي لا تشتهيه اهـ.

وفي السمين: والقواعد جمع قاعد من غير تاء تأنيث، ومعناه: القواعد عن النكاح أو الحيض أو عن الاستمتاع أو عن الحبل أو عن الجميع، ولولا تخصيصهم بذلك لوجبت التاء نحو: ضاربة وقاعدة من القعود المعروف، وقوله: ﴿من النساء﴾ وما بعده بيان لهن، والقواعد: مبتدأ. ومن النساء: حال، واللاتي: صفة للقواعد لا للنساء، وقوله: ﴿فليس عليهن﴾ الخ الجملة خبر المبتدأ، وإنما دخلت الفاء لأن المبتدأ موصوف بموصول لو كان ذلك الموصول مبتدأ لجاز دخولها في خبره، ولا يجوز أن يكون اللاتي صفة للنساء، إذ لا يبقى مسوغ لدخول الفاء في خبر المبتدأ، وقال أبو البقاء: ودخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط لأن الألف واللام بمعنى اللاتي قعدن وهذا مذهب الأخفش اهـ.

قوله: ﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ أي: لا يطمعن فيه، وقوله: (لذلك) أي: كبرهن اهـ.

قوله: ﴿فليس عليهن﴾ الخ أي: فيجوز النظر لوجوههن وأيديهن وهذا أحد وجهين، والثاني: المنع كالشابة. وعبارة الروضة: وأما العجوز فألحقها الغزالي بالشابة فإن الشهوة لا تنضبط وهي محل الوطء. وقال الروياني: إذا بلغت مبلغاً يؤمن الافتتان بالنظر إليها جاز النظر إلى وجهها وكفيها لقوله تعالى: ﴿والقواعد من النساء﴾ الآية اهـ.

قوله: ﴿أن يضعن﴾ أي: ينزعن عنهن ثيابهن. قوله: (من الجلباب) وهو الملحفة. أي ما يغطى به جميع البدن كالملاءة والحبرة، وقوله: (فوق الخمار) راجع للقناع أي القناع الذي يلبس فوق الخمار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿غير متبرجات بزينة﴾ الباء: بمعنى اللام، وعبارة أبي السعود، غير مظهرات لزينة اهـ.

وعبارة البيضاوي: غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما أمرن بإخفائه في قوله: ﴿ولا يبدين

وخلخال ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ بما في قلوبكم ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مؤاكلة مقابليهم

زينتهن﴾، وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم: سفينة بارجة لا غطاء عليها، والبرج محرك سعة العين بحيث يرى بياضها محيطاً بسوادها إلا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال اهـ.

وقوله: ﴿غير﴾ مظهرات زينة أشار به إلى أن الباء للتعدية، ولذا فسر بمتعد من أن تفسير اللازم بالمتعدي كثير ويؤيده أن أهل اللغة لم يذكروه متعدياً بنفسه ولم نر من قال: تبرجت المرأة حليها وليست الزينة مأخوذة في مفهومه حتى يقال إنه تجريد كما توهم، فمن قال: إنه إشارة إلى زيادة الباء في المفعول فقد أخطأ اهـ شهاب.

وفي المختار: والتبرج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال اهـ.

قوله: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس: لما أنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ [النساء: ٢٩] تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج، وقالوا: الطعام أفضل الأموال وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض يضعف عن التناول ولا يستوفي من الطعام حقه، فأنزل الله عز وجل هذه الآية. فعلى هذا تكون على بمعنى في، أي: ليس في الأعمى، والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والمريض والأعرج حرج، وقيل: كان العميان والعرج والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الأصحاء، لأن الناس يقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم ويقال: الأعمى ربما أكل أكثر، ويقال: الأعرج ربما جلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية. وقيل: نزلت ترخيصاً لهؤلاء في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية، وذلك أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فإذا لم يكن عنده شيء ذهب بهم إلى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمى الله في هذه الآية، فكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون: ذهب بنا إلى غير بيته فأنزل الله عز وجل هذه الآية. وقيل: كان المسلمون إذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم إلى هؤلاء الضعفاء ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وأصحابها غائبون مخافة أن لا يكون إذنهم عن طيب نفس، فأنزل الله عز وجل هذه الآية رخصة لهم. وقيل: نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد، فعلى هذا تم الكلام عند قوله: ﴿ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ اهـ خازن.

وعبارة أبي السعود: وقيل: إن هؤلاء الطوائف الثلاثة كانوا يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء حذراً من استقذارهم إياهم وخوفاً من تأذيهم بأفعالهم ومضايقتهم، فإن الأعمى ربما سبقت يده إلى أطيب الطعام فسبق البصير إليه، والأعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ مكاناً واسعاً فيضيق على السليم، والمريض لا يخلو من حالة مؤذية لقرينه وجليسه فنزلت هذه الآية اهـ.

قوله: (في مؤاكلة مقابليهم) مصدر مضاف لمفعوله، أي: في أكلهم مع مقابليهم أي: السالمين

﴿وَلَا﴾ حرج ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾ أي بيوت أولادكم ﴿أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ أي خزنتموه لغيركم ﴿أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ﴾

من هذه النقائص الثلاثة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ الخ كلام مستأنف. قيل: لما نزلت آية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ [النساء: ٢٩] قالوا: لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾، أي: لا حرج عليكم في أن تأكلوا من بيوتكم الخ اهـ خازن.

وفي القرطبي: وعن ابن عباس: لما أنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ [النساء: ٢٩] قال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، وإن الطعام من أفضل الأموال فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فكفَّ الناس عن ذلك، فأنزل الله عز وجل ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ إلى ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ اهـ.

قوله: ﴿أن تأكلوا﴾ أي: في أن تأكلوا، وقوله: ﴿من بيوتكم﴾ بكسر الباء وضمها سبعيتان ويجريان في كل ما يأتي، وقوله: (أي بيوت أولادكم)؛ الحامل له على هذا التقدير أمران، الأول: المقابلة بالآباء. والثاني: أنه لا يتوهم أن الإنسان يمتنع عليه الأكل من بيت نفسه اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: من بيوتكم أي: من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد ولأن بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنت ومالك لأبيك» وقوله عليه السلام: «إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه» اهـ.

قوله: ﴿إخوانكم﴾ أي: إخوتكم. قوله: ﴿وما ملكتم مفاتحه﴾ العامة على فتح الميم واللام مخففة، وقرأ ابن جبير ﴿ملكتم﴾ بضم الميم وكسر اللام مشددة أي: ملككم غيركم، والعامة على مفاتحه دون ياء جمع مفتح، وابن جبير مفاتيحه بالياء بعد التاء جمع مفتاح، وجوز أبو البقاء أن يكون جمع مفتح بالكسر وهو الآلة، وأن يكون جمع مفتح وبالفتح وهو المصدر بمعنى الفتح والأول أقيس. وقرأ أبو عمرو في رواية هارون عنه مفاتيحه بالإفراد وهي قراءة قتادة اهـ سمين.

قوله: (أي خزنتموه لغيركم) أي: حفظتموه لغيركم كأن تكونوا وكلاء عليه، قال ابن عباس: عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرته وثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر. وقيل: يعني بيوت عبيدكم ومماليككم، وذلك أن السيد يملك منزل عبده. والمفاتح: الخزائن. ويجوز أن يكون المراد به المفتاح الذي يفتح به، وإذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن، فأحل الله له أن يأكل الشيء اليسير. وقيل: أو ما ملكتم مفاتحه أي ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه اهـ خازن.

قوله: ﴿أو صديقكم﴾ الصديق يطلق على الواحد والجمع اهـ سمين.

وفي الخازن: قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في الحرث بن عمرو خرج غازياً مع رسول الله ﷺ

وهو من صدقكم في مودته، المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا أي إذا علم رضاهم به ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين جمع شت نزل فيمن تحرج أي يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم

وخلف مالك بن زيد على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً فسأله عن حاله فقال: تحرجت أن آكل من طعامك بغير إذن فأنزل الله هذه الآية اهـ.

قوله: (من بيوت من ذكر) أي: الأصناف الأحد عشر، وخصوا بالذكر لأن العادة جارية بالتبسط بينهم اهـ بيضاوي.

قوله: (أي إذا علم رضاهم به) أي: بصريح اللفظ أو بالقرينة وإن كانت ضعيفة اهـ شيخنا.

وهذا التقييد هو المعتمد المفتى به ووراءه قول آخر يقول: يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يعلم رضاهم، وعبارة القرطبي: المسألة الرابعة: أو بيوت آبائكم إلى قوله: ﴿أو بيوت خالاتكم﴾ قال بعض العلماء هذا إذا أذنوا له في ذلك، وقال آخرون: أذنوا له أو لم يأذنوا فله أن يأكل لأن القرابة التي بينهم إذن، وذلك لأن في تلك القرابة عطفاً تسمح النفوس منهم بسبب ذلك العطف أن يأكل هذا من شيئهم ويسروا بذلك إذا علموا. وقال ابن العربي: أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان الطعام مبذولاً، فإن كان محوزاً دونهم لم يكن لهم أخذه، ولا يجوز أن يجاوزوا إلى الادخار ولا إلى ما ليس بمأكول، وإن كان غير محوز عنهم إلا بإذن منهم اهـ.

ويرد على القول الأول أن يقال إذا كان الأكل من بيوت من ذكر مشروطاً برضاهم فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الأجانب وأجيب: بأن هؤلاء يكتفى فيهم أدنى قرينة بل ينبغي أن يشترط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم من الأجانب فلا بد فيهم من صريح الإذن أو قرينة قوية هذا ما ظهر لي ولم أر من تعرض لذلك اهـ خطيب.

وفي أيضاً: أن الأكل من بيوت من ذكر كان جائزاً في صدر الإسلام ولو من غير رضاهم ثم نسخ اهـ.

قوله: (جمع شت) مصدر بمعنى التفرق. وفي المختار: أمر شت بالفتح أي: متفرق تقول شت الأمر يشت بالكسر من باب ضرب شتاً وشتاتاً بفتح الشين فيهما أي: تفرق اهـ.

قوله: (نزل فيمن تحرج الخ) أي: فهو كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين، كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين، وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً، وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح إلى الرواح، وربما كانت معه الإبل الحافلات فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه، فإذا أمسى ولم يجد أحداً أكل. وقيل: كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه فيقول: إني أتحرج أن آكل معك وأنا غني وأنت فقير. وقيل: كان قوم من الأنصار لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاؤوا، وقيل: كانوا إذا اجتمعوا ليأكلوا طعاماً عزلوا للأعمى وأشباهه طعاماً على حدة، فبين الله

بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل بها ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

تعالى أن ذلك ليس بواجب، وقوله: ﴿جميعاً﴾ حال من فاعل تأكلوا وأشتاتاً عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على أنه صفة كالحق، يقال: أمر شت أي، متفرق أو على أنه في الأصل مصدر وصف به مبالغة. أي: ليس عليكم جناح في أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين اهـ أبو السعود.

وقيل: نزلت في تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين في كثرة الأكل وقلته اهـ بيضاوي.

ويعني: أنهم لما تحرجوا في الاجتماع على الطعام والمشاركة فيه لاختلاف الآكلين بين أنه لا حرج عليهم أن يأكلوا مجتمعين ولا متفرقين اهـ شهاب وزاده.

وفي القرطبي: وقد ترجم البخاري في صحيحه قوله تعالى: ﴿**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**﴾ والنهد والاجتماع في الطعام ومقصوده فيما قاله علماؤنا في هذا الباب إباحة الأكل جميعاً وإن اختلفت أحوالهم في الأكل، فقد سوغ النبي ﷺ ذلك فصار سنة في الجماعات التي تدعى إلى الطعام في النهد والولائم وفي الاملاق في السفر وما ملكت مفاتحه بأمانة أو قرابة أو صداقة، فلك أن تأكل مع القريب أو الصديق ووحدك. والنهد: ما يجمعه الرفقاء من مال أو طعام على قدر نفقتهم ينفقونه بينهم، وقال ابن دريد يقال من ذلك: تناهد القوم الشيء بينهم، قال الهروي: وفي حديث الحسن أخرجوا نهدكم فإنه أعظم للبركة وأحسن لأخلاقكم، والنهد: ما تخرجه الرفقة عند المناهدة وهو استقسام النفقة بالسوية في السفر وغيره، والعرب تقول: هات نهدك بكسر النون. قال المهلب: وطعام النهد لم يوضع للآكلين على أنهم يأكلون بالسواء وإنما يأكل كل واحد على قدر نهمته، وقد يأكل الرجل أكثر من غيره، وقد قيل: إن تركها أشبه بالورع، وإن كانت الرفقة تجتمع كل يوم على طعام أحدهم فهو أحسن من النهد لأنهم لا يتناهدون إلا ليصيب كل واحد منهم من ماله ثم لا يدري لعل أحدهم يقصر عن ماله ويأكل غيره أكثر من ماله وإذا كانوا عند هذا ويوماً عند هذا بلا شرط، فإنما يكونون أضيافاً، والضيف يأكل بطيب نفس مما قدم إليه اهـ.

وفي القاموس: والنهد بالكسر ما تخرجه الرفقة من النفقة بالسوية في السفر وقد تفتح النون، وتناهدوا: أخرجوه اهـ.

قوله: ﴿**فإذا دخلتم بيوتاً**﴾ الخ اختلف المتأولون في أي البيوت أراد تعالى، فقال إبراهيم النخعي، والحسن: أراد المساجد والمعنى سلموا على من فيها، فإن لم يكن في المساجد أحد فالسلام أن يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وقيل: المراد بالبيوت البيوت المسكونة أي فسلموا على أنفسكم. قاله جابر، وعبد الله وابن عباس أيضاً، وعطاء بن أبي رباح قالوا: ويدخل في ذلك البيوت غير المسكونة ويسلم المرء فيها على نفسه بأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. قال ابن العربي: القول بالعموم في البيوت هو الصحيح، ولا دليل على التخصيص، وأطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان للغير أو لنفسه فإذا دخل بيتاً لغيره استأذن كما تقدم اهـ قرطبي.

فإن الملائكة ترد عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿تَحِيَّةً﴾ مصدر حيا ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ يثاب عليها ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ لكي تفهموا ذلك ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي الرسول ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخطبة الجمعة ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ لعروض عذر لهم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾

قوله: ﴿تحية﴾ معمول لمقدر أي: فحيوا تحية، أو معمول لسلموا لأنه يلاقيه في المعنى، وكلام الشارح يحتمل كلاً من الوجهين اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿تحية﴾ منصوب على المصدر من معنى فسلموا فهو من باب قعدت جلوساً، وقد تقدم وزان التحية، ومن عند الله يجوز أن يتعلق بمحذوف صفة لتحية وأن يتعلق بنفس تحية أي تحية صادرة من جهة الله تعالى، ولا لابتداء الغاية مجاز إلاّ أنه يعكر على الوصف تأخر الصفة الصريحة عن المؤولة وقد تقدم ما فيه اهـ.

قوله: ﴿من عند الله﴾ أي: ثابتة بأمره مشروعة من لدته اهـ أبو السعود.

قوله: (يثاب عليها) تفسير المباركة. وأما طيبة فمعناها تطيب بها نفس المستمع اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: مباركة لأنها يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع اهـ.

قوله: (لكي تفهموا ذلك) أي: معالم دينكم. قوله: ﴿إنما المؤمنون﴾ مبتدأ وقوله: ﴿الذين آمنوا﴾ خبر أي: إنما المؤمنون الكاملون في الإيمان، نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كان يعرض بهم النبي ﷺ في مجالسه وخطبه، وقوله: ﴿وإذا كانوا معه﴾ معطوف على آمنوا فهو صلة ثانية وهي محط الكمال، وأما المنافقون فكانوا إذا جلسوا في مجلسه ينظرون إلى الصحابة، فإذا رأوهم غافلين عنهم خرجوا وذهبوا خفية واستتاراً من غير استئذان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على أمر جامع﴾ في جامع إسناد مجازي لأن الأمر لما كان سبباً في جمعهم نسب الجمع إليه مجازاً اهـ سمين.

قوله: (كخطبة الجمعة) أي: الأعياد والحروب اهـ بيضاوي.

وكصلاة الجمعة وباقي الصلوات واجتماعهم للتشاور في الأمور. قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ بحيث يراه، فعرف أنه إنما قام ليستأذن لمن شاء منهم. قال مجاهد: وأذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيديه، قاله أهل العلم، وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بإذن، وإذا استأذن الإمام إن شاء إذن له وإن شاء لم يأذن اهـ خازن.

قوله: ﴿لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ اعتبار هذا في كمال إيمانهم لأنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق، فإن ديدنه وعادته التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه، ولذلك أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ فقال: إن الذين يستأذنونك إلى آخره فإنه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة، وأن الذاهب بغير إذن ليس كذلك اهـ بيضاوي.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ﴾ أمرهم ﴿فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ﴾ بالانصراف ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾ ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ

قوله: (لعروض عذر لهم) أي: تجوز معه الإقامة في المسجد، فإن كان العذر يمنع المكث في المسجد كالحيض والجنابة والمرض فإنهم لا يحتاجون إلى الاستئذان من النبي، بل هم مأذون لهم شرعاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حتى يستأذنوه﴾ أي: يطلبوا منه الإذن أي: فيأذن لهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الذين يستأذنونك﴾ الخ ذكره توكيداً لما تقدم وتعظيماً وتفخيماً لهذا الأمر اهـ.

قوله: ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾ أي: كما وقع لسيدنا عمر حين خرج مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، حيث استأذن الرسول في الرجوع إلى أهله فأذن له النبي ﷺ وقال له: «ارجع فلست بمنافق» اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لبعض شأنهم﴾ تعليل أي: لأجل بعض شأنهم أي حاجتهم، وأظهر العامة الضاد عند الشين وأدغمها أبو عمرو فيها لما بينهما من التقارب، لأن الضاد من أقصى حافة اللسان والشين من وسطه اهـ سمين.

قوله: ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ فيه تفويض الأمر لرأي الرسول، واستدل به على أن بعض الأحكام مفوض إلى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدقه، وكأن المعنى فأذن لمن علمت أن له عذراً له.

واستغفر لهم الله بعد الإذن، فإن الاستئذان ولو لعذر قصور لأنه تقديم الأمر الدنيا على الدين إن الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿واستغفر لهم الله﴾ أي: لما وقع منهم من التقصير في الاستئذان وإن كان جائزاً، لكن اغتنام مجالسة أولى من الاستئذان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول﴾ أي: نداءكم للرسول فهو مصدر مضاف لمفعوله، ويصح أن يكون مضافاً لفاعله أي: لا تجعلوا دعاء الرسول لكم كدعاء بعضكم بعضاً، أي: في عدم الإجابة، أي لا تقيسوا دعاءه لكم على دعاء بعضكم بعضاً في التباطؤ، بل أجيبوه فوراً وإن كنتم في الصلاة، أو لا تجعلوا دعاء الرسوال أي سخطه عليكم كدعاء كغضب بعضكم على بعض اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول﴾ يجوز أن يكون هذا المصدر مضافاً إلى مفعوله، أي: دعاءكم الرسول بمعنى أنكم لا تنادوه باسمه، فتقولون: يا محمد، ولا بكنيته، فتقولون: يا أبا القاسم، بل نادوه وخاطبوه بالتوقير: يا رسول الله يا نبي الله، وعلى هذا جماعة كثيرة، وأن يكون مضافاً للفاعل. واختلفت عبارات الناس في هذا المعنى فقيل: لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم لبعض فتتباطؤون عنه كما يتباطأ بعضكم عن بعض إذا دعاه لأمر، بل يجب عليكم المبادرة لأمره، واختاره أبو العباس ويؤيده قوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ وقيل: معناه لا تجعلوا دعاء

بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ بأن تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع وخفض صوت ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ أي يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء، وقد للتحقيق ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ

الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة، فربما تجاب دعوته وربما لا تجاب، فإن دعوات الرسول ﷺ مسموعة مستجابة اهـ.

قوله: ﴿بعضاً﴾ أي: البعض. قوله: (في لين) اللين: ضد الخشونة، وقوله: (وتواضع) أي: تذلل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذين يتسللون﴾ أي: ينسلّون واحداً بعد واحد كان المنافقون إذا رقي المصطفى المنبر نظروا يميناً وشمالاً ويخرجون واحداً واحداً إلى أن يذهبوا جميعاً، وقوله: ﴿لواذاً﴾ حال من الواو من التلاوذ أي الاستتار بأن يغمز بعضهم بعضاً بالخروج اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: يتسللون منكم أي ينسلون قليلاً قليلاً من الجماعة اهـ.

وفي أبي السعود: التسلل الخروج من البين على التدريج والخفية أي: يعلم الله الذي يخرجون من الجماعة قليلاً قليلاً على خفية. لواذاً: أي ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج، أو بأن يلوذ بمن يخرج بالإذن أراءة أنه من أتباعه اهـ.

قوله: ﴿لواذاً﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوبة على المصدر من معنى الفعل الأول، إذ التقدير يتسللون منكم تسللاً أو يلاوذون لواذاً. والثاني: أنه مصدر في موضع الحال، أي: ملاوذين، واللواذ مصدر لاوذ، وإنما صحت الواو وإن انكسر ما قبلها ولم تقلب ياء كما قلبت في قيام وصيام، لأنها صحت في الفعل نحو: لاوذ فلو أعلت في الفعل لأعلت في المصدر نحو القيام والصيام لقلبها ألفاً في قام وصام. وأما مصدر لاذ بكذا يلوذ به فمعتل نحو: لاذ به يلوذ لياذاً، مثل؛ صام صياماً، وقام قياماً. واللواذ والملاوذة: التستر في خفية. وفي التفسير: أن المنافقين كانوا يخرجون متسترين بالناس من غير استئذان حتى لا يروا والمفاعلة لأن كلاً منهما يلوذ بصاحبه فالمشاركة موجودة اهـ سمين.

وفي القاموس: اللوذ بالشيء الاستتار والاحتصان به، كاللواذ مثلثة واللياذ، والملاوذة والإحاطة كالإلاذة، وجانب الجبل وما يطيف به، ومنعطف الوادي والجمع ألواذ اهـ.

قوله: (مستترين) تفسر لقوله: ﴿لواذاً﴾. قوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ مترتب على قوله: ﴿قد يعلم الله الذين﴾ الخ. وعبارة أبي السعود: والفاء في قوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ لترتيب الحذر أو الأمر به على ما قبلها من علمه تعالى بأحوالهم، فإنه مما يوجب الحذر البتة أي: يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتاً خلاف سمته، وعن إما لتضمينه معنى الاعراض أو حمله على معنى يصدون عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الأمر إذا صد عنه، وحذف المفعول لما أن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه، والضمير لله تعالى لأنه الآمر حقيقة أو للرسول ﷺ، لأن المقصود بالذكر اهـ.

أو أن الفعل على بابه من غير تضمين وعن زائدة اهـ شيخنا.

﴿أَمْرِهِۦٓ﴾ أي أمر الله أو رسوله ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاء ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ في الآخرة ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ﴾ أيها المكلفون ﴿عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿وَ﴾ يعلم ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ فيه التفات عن الخطاب أي متى يكون ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فيه ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الخير والشر ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾.

قوله: ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ في تأويل مصدر مفعول يحذر، أي: إصابته فتنة من تسليط جائر عليهم وإسباغ نعمه استدارجاً بهم اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿أو يصيبهم﴾. أو: مانعة خلو اهـ.

قوله: ﴿ألا إن لله﴾ الخ كالدليل لما قبله من قوله: ﴿أن تصيبهم﴾ الخ اهـ شيخنا.

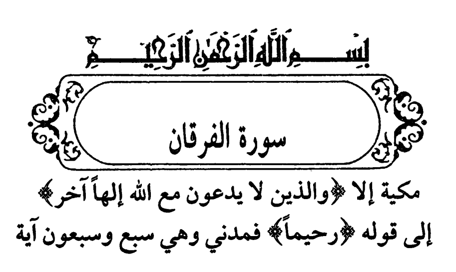
قوله: (وعبيداً) فائدة ذكره بعد ملكاً وخلقاً الإشارة إلى أن ما مستعملة في العاقل وغيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ قال الزمخشري: أدخل قد لتوكيد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما، فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التكثير اهـ كرخي.

قوله: ﴿يوم يرجعون إليه﴾ معطول على معمول يعلم، كما أشار له الشارح اهـ شيخنا.

ويرجعون بالبناء للمفعول في قراءة الجمهور، والفاعل في قراءة يعقوب اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فينبئهم﴾ أي: يخبرهم بما عملوا، أي: فلا يعاقبهم ويثيبهم إلا بعد إخبارهم بما عملوا وبيانه اهـ شيخنا.



مكية إلا ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله ﴿رحيماً﴾ فمدني وهي سبع وسبعون آية

﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: نزلت قبل الهجرة، وتقدم أن أسماء السور وترتيبها وترتيب الآية توقيفي دون عدها، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد وأحوال المعاد اهـ شيخنا.

قوله: (إلى رحيماً) وهو ثلاث آيات.

قوله: (تعالى) تفسير لتبارك. أي: تعالى الله عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح، وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية، فالبركة هي النمو والزيادة حسية كانت أو معنوية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكره اهـ أبو السعود.

وتبارك: فعل ماض لا يتصرف فلا يجيء منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر، ولا يستعمل في غيره تعالى، والمعنى أنه سبحانه باق في ذاته أزلاً وأبداً ممتنع التغير وباق في صفته ممتنع التبدل اهـ كرخي.

قوله: (لأنه فرق بين الحق والباطل) وقيل: لأنه نزل مفرقاً في أوقات كثيرة، ولهذا قال: نزل بالتشديد لتكثير التفريق اهـ خازن.

وفي المصباح: فرقت بين الشيئين فرقاً من باب قتل فصلت أبعاضه، وفرقت بين الحق والباطل فصلت أيضاً. هذه هي اللغة العالية، وبها قرأ السبعة في قوله: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ [المائدة: ٢٥] ولغة من باب ضرب وقرأ بها بعض التابعين. وقال ابن الاعرابي: فرقت بين الكلامين فافترقا مخفف، وفرقت بين العبدين فتفرقا مثقل، فجعل المخفف في المعاني والمثقل في الأعيان، والذي حكاه غيره أنهما بمعنى والتثقيل مبالغة اهـ.

وفي القرطبي: والفرقان القرآن، وقيل: إنه اسم لكل منزل كما قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى وهٰرون الفرقان﴾ [الفرقان: ٣٥].

﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي الإنس والجن دون الملائكة ﴿ نَذِيرًا ۝١ ﴾ مخوفاً من عذاب الله ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾ سوّاه تسوية ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ ﴾ أي الكفار ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي الله أي غيره ﴿ ءَالِهَةً ﴾ هي الأصنام

وقد علمت أن السورة مكية، فيكون المراد بالفرقان البعض الذي كان قد نزل إذ ذاك بالفعل، والقرآن يطلق على جملته وعلى كل من أبعاضه، ويصح أن يراد به جملة القرآن ويكون نزل مستعملاً في حقيقته بالنسبة لما نزل إذ ذاك بمعنى المستقبل بالنسبة لما كان سينزل اهـ.

قوله: ﴿ليكون﴾ علة نزل، والضمير فيه للعبد وهو النبي وهو أحسن لأنه أقرب مذكور، أو راجع للفرقان. وقوله: ﴿نذيراً﴾ أي وبشيراً، ويصح رجوعه للمنزل وهو الله تعالى، وقوله: ﴿للعالمين﴾ متعلق بنذيراً قدم عليه لرعاية الفاصلة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ أي: دون غيره لا استقلالاً ولا تبعاً، وهذا الموصول يجوز فيه الرفع نعتاً للذي الأول، أو بياناً أو بدلاً أو خبراً لمبتدأ محذوف، والنصب على المدح وما بعده بدل من تمام الصلة فليس أجنبياً فلا يضر الفصل بين الموصول الأول والثاني إذا جعلنا الثاني تابعاً له اهـ سمين.

وقوله: ﴿لم يتخذ ولداً﴾ فيه رد على النصارى واليهود، وقوله: ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ فيه رد على الثنوية وعباد الأصنام، فأثبت له الملك بجميع وجوهه، ثم نفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه، ثم نبه على ما يدل عليه فقال: وخلق كل شيء الخ اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وخلق كل شيء﴾ هذا في معنى العلة لما قبله اهـ شيخنا.

قوله: (من شأنه أن يخلق) أي: فلا يدخل في الشيء ذاته تعالى وصفاته، والمخصص لذلك هو العقل اهـ شيخنا.

قوله: (سوّاه تسوية) أي: جعله مستوياً لا اعوجاج فيه، ولا زائداً على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، ولا ناقصاً عن ذلك في بابي الدين والدنيا. وغرضه بهذا التفسير الجواب عما قاله بعضهم من أن في الآية قلباً لأجل رعاية الفاصلة، وسبب هذا القيل أن الخلق متأخر عن التقدير، إذ التقدير أزلي والخلق حادث؟ وعما قال بعض آخر من أن الخلق بمعنى التقدير، كما في قوله تعالى: ﴿وإذا تخلق من الطين﴾ [المائدة: ١١٠] فكيف عطف عليه؟ وحاصل الجواب: أن الخلق هنا بمعنى الاخراج من العدم، والتقدير بمعنى التسوية وتسوية الشيء بعد إيجاده فحصلت المغايرة وصح العطف، وأجاب غيره بأجوبة غير ما ذكر اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: وخلق كل شيء أحدثه إحداثاً مراعى فيه التقدير حسب إرادته، كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة، فقدره تقديراً قدره وهيأه لما أراد منه من الخصائص والأفعال كتهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبير، واستنباط الصنائع المتنوعة، ومزاولة الأعمال المختلفة إلى غير ذلك أو فقدره للبقاء إلى أجل مسمى اهـ.

قوله: (أي الكفار) أي: المذكورون في ضمن العالمين اهـ شيخنا.

﴿ لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا ﴾ أي دفعه ﴿ وَلَا نَفْعًا ﴾ أي جره ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً ﴾ أي إماتة لأحد وإحياء لأحد ﴿ وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ أي بعثاً للأموات ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ ﴾ أي ما القرآن ﴿ إِلَّآ إِفْكٌ ﴾ كذب ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ محمد ﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾ كفراً وكذباً أي بهما ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ أيضاً هو ﴿أَسَٰطِيرُ

وعبارة السمين: قوله: ﴿واتخذوا﴾ يجوز أن يعود الضمير على الكفار الذين تضمنهم لفظ العالمين، وأن يعود على من ادعى لله شريكاً وولداً لدلالة قوله: ﴿ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾، وأن يعود على المنذرين لدلالة نذيراً عليهم اهـ.

قوله: ﴿آلهة﴾ وصفهم بصفات سبع، أولها: ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ وآخرها قوله: ﴿ولا نشوراً﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهم يخلقون﴾ أي: لأن العابدين لهم ينحتونهم ويصورونهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ضراً﴾ قدمه على النفع لأن دفع الضرر أهم، وقال: لأنفسهم ليدل على غاية عجزهم، لأن من لا ينفع نفسه لا ينفع غيره، وقدم الموت لمناسبته للضر المقدم اهـ شهاب.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ الخ شروع في حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معاً وإبطالها اهـ أبو السعود.

والذين كفروا هم المشركون بقرينة ادعائهم إعانة بعض أهل الكتاب له اهـ شهاب.

قوله: ﴿وأعانه عليه﴾ أي الافتراء. قوله: (وهم من أهل الكتاب) يريدون بهم اليهود بأن تلقى إليه أخبار الأمم الماضية، وهو يعبر عنها بعبارات من عنده فهذا معنى عـانتهم له اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى) أي: رداً لهذه الشهبة. قوله: ﴿فقد جاؤوا ظلماً﴾ منصوب بجاؤوا فإن جاء وأتى يستعملان متعديين، أو هو منصوب بنزع الخافض وهو الذي درج عليه الشارح اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿ظلماً﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه مفعول به لأن جاء يتعدى بنفسه وكذلك أتى. والثاني: أنه على إسقاط الخافض أي: جاؤوا بظلم. والثالث: أنه في موضع الحال فيجيء فيه ما في قولك: جاء زيد عدلاً من الأوجه اهـ.

قوله: (كفراً وكذباً) لف ونشر مرتب، وعبارة البيضاوي: فقد جاؤوا ظلماً وهو جعل الكلام المعجز إفكاً مختلفاً متلقفاً من اليهود، وزوراً بنسبة ما هو بريء منه إليه انتهت.

والفاء: لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنهما أمران متغايران حقيقة، بل على الثاني هو عين الأول حقيقة، وإنما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري، وقد لتحقيق ما جاؤوا به من الظلم والزور اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وقالوا﴾ (أيضاً) أي كما قالوا الشبهة الأولى، وقوله: ﴿أساطير الأولين﴾ خبر مبتدأ محذوف كما أشار له الشارح، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿اكتتبها﴾ في محل نصب على الحال، ويصح

﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم جمع أسطورة بالضم ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها من ذلك القوم فغيره ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾ غدوة وعشياً، قال تعالى رداً عليهم ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ الغيب ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمًا ۝﴾ بهم ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ

أن يكون قوله: ﴿أساطير﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿اكتتبها﴾ خبره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿اكتتبها﴾ أي: استكتبها. أي: أمر غيره بكتابتها ونسخها، لأنه ﷺ كان أمياً لا يقرأ الخط ولا يكتب باعترافهم، وقوله: (انتسخها) أي طلب نسخها أي: كتابتها. وقوله: (من ذلك القوم) حق التعبير أن يقول من أولئك القوم، فكأنه استعمل ذلك موضع أولئك، وقوله: بغيره متعلق بانتسخها أي أمره غيره أن ينسخها له لأنهم يعترفون بأنه لا يكتب، وقوله: (تقرأ) ﴿عليه﴾ أي: فليس المراد بالإملاء معناه الأصلي وهو الالقاء على الكاتب ليكتب اهـ شيخنا..

قوله: ﴿فهي تملى عليه﴾ هذا من كلامهم، وقوله: ﴿بكرة وأصيلاً﴾ المراد دائماً وأبداً اهـ شيخنا.

قوله: (الغيب) أي: ما غاب عنا. قوله: ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ تعليل لمحذوف تقديره: وأخر عقوبتكم ولم يعاجلكم بها لأنه كان غفوراً رحيماً اهـ شيخنا.

وعبارة أبو السعود: وقوله تعالى: ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة أي: أنه تعالى أزلاً وأبداً مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير، فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابه إياها وغاية قدرته عليها اهـ.

قوله: ﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ الخ شروع في بيان بعض قبائحهم التي قالوها في شأن الرسول، وحاصل ما ذكر منها هنا ستة، والأخيرة هي قوله: ﴿إلا رجلاً مسحوراً﴾. وقد رد الله عليهم هذه الستة إجمالاً في البعض وتفصيلاً في البعض، فردَّ بقوله: ﴿انظر كيف﴾ الخ الأربعة الأخيرة، ورد الرابعة والخامسة أيضاً بقوله: ﴿تبارك الذي إن شاء﴾ الخ، ورد الأولين بقوله: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين﴾ الخ [الفرقان: ٢٠] اهـ شيخنا.

وما: استفهامية مبتدأ، والجار والمجرور بعدها خبره، ويأكل جملة حالية بها تتم فائدة الإخبار كقوله: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ [المدثر: ٤٩] وقد تقدم في سورة النساء أن لام الجر كتبت مفصولة من مجرورها وهو خارج عن قياس الخط، والعامل في الحال الاستقرار العامل في الجار أو نفس الجار ذكر أبو البقاء اهـ سمين.

وفي الكشاف: وقالوا: مال هذا الرسول وقعت اللام مفصولة عن هذا في المصحف خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنّة لا تغير اهـ.

قوله: ﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ الخ شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوص المنزل عليه، وما استفهامية بمعنى إنكار الوقوع، ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور، والإشارة تصغير لشأنه وتسميته رسولاً بطريق الاستهزاء به أي أي شيء، وأي سبب حصل

نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ يصدقه ﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾ من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ بستان ﴿ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ أي من ثمارها فيكتفي بها، وفي قراءة نأكل بالنون أي نحن فيكون له مزية علينا بها ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي الكافرون للمؤمنين ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقله، قال تعالى ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾ بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفعه وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿ فَضَلُّوا۟ ﴾

لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الأسواق لابتغاء الأرزاق كما نفعل اهـ أبو السعود.

قوله: (هلا) ﴿أنزل إليه﴾ أشار به إلى أن لولا للتحضيض، وهو طلب الإنزال على سبيل العتو والطغيان، وهذا ما استظهره ابن هشام بعد نقله عن الهروي أنها للاستفهام اهـ كرخي.

قوله: ﴿فيكون معه نذيراً﴾ العامة على نصبه وفيه وجهان، أحدهما: نصبه على جواب التحضيض. والثاني: قال أبو البقاء: فيكون منصوباً على جواب الاستفهام وفيه نظر، لأن ما بعد الفاء لا يترتب على هذا الاستفهام، وشرط النصب أن ينعقد منهما شرط وجزاء، وقرىء فيكون بالرفع وهو معطوف على أنزل وجاز عطفه على الماضي، لأن المراد بالماضي المستقبل، إذ التقدير لولا ينزل اهـ سمين.

قوله: (يصدقه) أي يشهد له ويرد على من يخالفه اهـ كرخي.

قوله: ﴿أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها﴾ معطوفان على أنزل لما تقدم من كونه بمعنى ينزل، ولا يجوز أن يعطف على فيكون المنصوب في الجواب لأنهما مندرجان في التحضيض في حكم الواقع بعد لولا، وليس المعنى على أنهما جواب للتحضيض فيعطفان على جوابه. وقرأ الأعمش، وقتادة: أو يكون له بالياء من تحت لأن تأنيث الجنة مجازي اهـ سمين.

قوله: ﴿وقال الظالمون﴾ هم القائلون الأولون إنما وضع المظهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا اهـ أبو السعود.

قوله: (مغلوباً على عقله) أي: فالمراد: بالسحر هنا لازمه وهو اختلال العقل اهـ.

قوله: ﴿انظر كيف﴾ الخ استعظام للأباطيل التي اجترؤوا على التفوه بها وتعجب منها. أي: انظر كيف قالوا في حقك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية مجرى الأمثال، واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال الشاذة البعيدة عن الوقوع اهـ أبو السعود.

قوله: (والمحتاج إلى ما ينفعه) أي: من الكنز والجنة فتحته شيئان. قوله: ﴿فضلوا﴾ (بذلك) أي: ضرب الأمثال عن الهدى أي الحق، وبيان وجه الجواب عن هذه الشبهة كأنه تعالى قال: انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الأمثال التي لا فائدة فيها، لأجل أنهم لما ضلوا وأرادوا القدح في نبوتك لم يجدوا إلى القدح فيها سبيلاً البتة، إذ الطعن فيها إنما يكون بما يقدح في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول اهـ كرخي.

بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩﴾ طريقاً إليه ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خير الله ﴿الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي قالوه من الكنز والبستان ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي في الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَل﴾ بالجزم ﴿لَّكَ قُصُورًا ۝١٠﴾ أيضاً، وفي قراءة بالرفع استئنافاً ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾ ناراً مسعرة أي مشتدة

قوله: (طريقاً إليه) أي: الهدى: قوله: ﴿تبارك﴾ فعل وفاعله الذي، وأشار الشارح إلى أنه على حذف مضاف أي: تبارك خير الذي، وفسَّر تبارك هنا بتكاثر وفيما سبق بتعالى، وفيما سيأتي آخر السورة بتعاظم اعتباراً لكل مقام بما يناسبه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿خيراً من ذلك﴾ أي: الذي اقترحوه من أن يكون لك جنة تأكل منها بأن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة، وقوله: ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ بدلاً من خير محقق لخيريته على ما قالوا، لأن ذلك كان مطلقاً عن قيد التعدد وجريان الأنهار اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿جنات﴾ يجوز أن يكون بدلاً من خيراً، وأن يكون عطف بيان عند من يجوزه في النكرات، وأن يكون منصوباً بإضمار أعني وتجري من تحتها الأنهار صفة اهـ.

قوله: (لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة) تعليل للتقييد بقوله: (أي في الدنيا) أي: فالعطاء في الدنيا هو الذي يصح تعليقه بإن الشرطية، وأما العطاء في الآخرة فهو محقق. والظاهر أن المراد بمشيئة الإعطاء في الآخرة تعلق الإرادة القديم الأزلي، لأن تعلقه الحادث إنما يكون عند وجود الشيء مقارناً لتعلق القدرة به تأمل. قوله: ﴿ويجعل﴾ (بالجزم) أي: عطفاً على محل جعل الواقع جزاء، فسكون اللام في هذا المضارع للجزم لا للادغام، وقوله: (وفي قراءة) أي سبعية بالرفع، وعليها فالمراد الجعل في الآخرة، وعبارة أبي السعود: ويجعل لك قصوراً عطف على محل الجزاء الذي هو جعل، وقرىء بالوضع عطفاً عليه أيضاً لأن الشرط إذا كان ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع، ويجوز أن يكون استئنافاً بوعد ما يكون له في الآخرة اهـ.

وعبارة السمين: قوله: ﴿ويجعل لك قصوراً﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر برفع يجعل، والباقون بإدغام لام يجعل في لام لك، أما الرفع ففيه وجهان، أحدهما: أنه مستأنف، والثاني: أنه معطوف على جواب الشرط، وقال الزمخشري: لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جوابه الجزم والرفع. قال الزمخشري: وليس هذا مذهب سيبويه، بل مذهبه أن الجواب محذوف وأن هذا المضارع منوي به التقديم، ومذهب المبرد والكوفيين أنه جواب على حذف الفاء، ومذهب آخرين أنه جواب لا على حذفها بل لما كان الشرط ماضياً ضعف تأثير إن فيه فارتفع. فالزمخشري بنى قوله على هذين المذهبين، ثم قال الشيخ: وهذا التركيب جائز فصيح، وزعم بعض أصحابنا أنه لا يجيء إلا في ضرورة. وأما القراءة الثانية فتحتمل وجهين، أحدهما: أن سكون اللام للجزم عطفاً على محل جعل لأنه جواب الشرط. والثاني: أنه مرفوع وإنما سكن لأجل الإدغام قاله الزمخشري وغيره اهـ.

قوله: ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ إضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه إلى

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ غلياناً كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب ﴿وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾

توبيخهم بحكاية جنايتهم الأخرى للتخلص إلى بيان ما لهم في الآخرة من فنون العذاب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وأعتدنا﴾ أي: هيأنا وخلقنا فالنار موجودة اليوم لهذه الآية، كما أن الجنة كذلك لقوله تعالى: ﴿أعدت للمتقين﴾ [آل عمران: ١٣٣] وعبارة أبي السعود أي: هيأنا لهم ناراً عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم، ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع وإعداد السعير لهم، وإن لم يكن لخصوص تكذيبهم بالساعة بل لأي تكذيب بشيء من الشريعة، لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اقتصر على ترتيب الإعداد على التكذيب بها اهـ.

قوله: (ناراً مسعرة) بالتشديد والتخفيف، ففي المصباح: وسعرت النار سعراً من باب نفع، وأسعرتها إسعاراً أوقدتها فاستعرت اهـ.

وفي المختار: سعر النار والحرب هيجها وألهبها وبابه قطع، وقرىء ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ [التكوير: ١٢] مخففاً ومشدداً والتشديد للمبالغة، واستعرت النار وتسعرت توقدت والسعير النار. وقوله تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ [القمر: ٤٧] قال الفراء: في عناء وعذاب، والسعر أيضاً: الجنون اهـ.

قوله: ﴿إذا رأتهم﴾ أي: رؤية حقيقية بعينها كما جاء في حديث: إن لها عينين ولا مانع منه، والجملة الشرطية صفة اهـ شيخنا.

ولما لم تكن الحياة مشروطة بالبنية الحيوانية أمكن أن يخلق الله فيها الحياة فترى وتتغيظ وتزفر، وقيل: إن ذلك لزبانيتها ونسب إليها على حذف المضاف اهـ.

قوله أيضاً: ﴿إذا رأتهم﴾ الخ ظاهره إثابت الرؤية لها، وفي البيضاوي ما يقتضي أن في العبارة قلباً حيث قال: إذا كانت بمرأى منهم اهـ.

وفي زكريا عليه ما نصه: قوله: إذا كانت بمرأى منهم أوله بما ذكر لأنها تتصف بالرؤية، وهذا التأويل للمعتزلة بناء منهم على أن الرؤية مشروطة بالحياة خلافاً للأشاعرة، فإنهم يجوزون رؤيتها حقيقة كتغيظها وزفيرها، كما أشار إليه بقوله: هذا وإن الحياة الخ اهـ.

وعبارة الخازن: فإن قلت: كيف تتصور الرؤية من النار في قوله تعالى: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾؟ قلت: يجوز أن يخلق الله تعالى لها حياة وعقلاً ورؤية، وقيل: معناه رأتهم زبانيتها اهـ.

قوله: ﴿من مكان بعيد﴾ قيل: مسيرة سنة، وقيل: مائة سنة، وقيل: خمسمائة سنة اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: إذا رأتهم من مكان بعيد أي: من مسيرة خمسمائة عام سمعوا لها تغيظاً وزفيراً قيل: المعنى إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم، وقيل: المعنى إذا رأتهم خزانها سمعوا لها تغيظاً وزفيراً حرصاً على عذابهم. والأول أصح لما روي مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال: «من كذب

صوتاً شديداً، أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد والتخفيف بأن يضيق عليه ومنها حال مكاناً لأنه في الأصل صفة له ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد للتكثير ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ هلاكاً فيقال لهم

عليَّ متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً». وقيل: يا رسول الله أوَ لها عيتان؟ قال: «ما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق فيقول: وكلت بمن جعل مع الله إلهاً آخر فلهو أبصر به من الطير بحب السمسم فيلتقطه». وفي رواية: «فيخرج عنق من النار فيلقط الكفار لقط الطير حب السمسم». ذكره رزين في كتابه، وصححه ابن العربي في قبسه، وقيل: أي تفصلهم عن الخلق في المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من التربة. وخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين». وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح، وقال الكلبي: سمعوا لها تغيظاً كتغيظ بني آدم وصوتاً كصوت الحمار اهـ.

قوله: ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ التغيظ: إظهار الغيظ الذي هو الغضب الكامن في القلب كما قاله الشهاب، ولما كان التغيظ لا يسمع أشار الشارح أولاً إلى أن المراد به ما يدل عليه وهو الغليان وهو يسمع، وثانياً إلى أن المراد بالسماع الرؤية والعلم والتغيظ يرى ويعلم اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ إن قيل التغيظ لا يسمع، فالجواب من ثلاثة أوجه، أحدها: أنه على حذف مضاف أي: صوت تغيظها. والثاني: أنه على حذف تقديره سمعوا ورأوا تغيظاً وزفيراً فيرجع كل واحد إلى ما يليق به أي: رأوا تغيظاً وسمعوا زفيراً. الثالث: أن يضمن سمعوا معنى يشمل الشيئين أي: أدركوا لها تغيظاً وزفيراً اهـ.

قوله: ﴿وإذا ألقوا﴾ أي: طرحوا مكاناً أي فيه، وقوله: (بأن يضيق) عليهم أي: كضيق الحائط على الوتد الذي يدق فيه بعنف، وقوله: (حال) من مكاناً أي: وإذا ألقوا في مكان حال كونه منها اهـ شيخنا.

قوله: (لأنه في الأصل صفة له) أي: وصفة النكرة إذا تقدمت عليها أعربت حالاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مقرنين﴾ حال من الواو في ألقوا ومعناه شيئان: التصفيد أي تقييد الأرجل وجمع الأيدي والأعناق في السلاسل، فلذلك قال: مصفدين قد قرنت الخ اهـ شيخنا.

قوله: (مصفدين) في المختار: صفده شده وأوثقه من باب ضرب وكذا صفده تصفيداً، والصفد بفتحتين والصفاد بالكسر ما يوثق به الأسير من قيد وغل، والأصفاد القيود واحدها صفد اهـ.

قوله: ﴿دعوا هنالك﴾ أي: في ذلك المكان ثبوراً أي: نادوا ثبوراً فيقولون: يا ثبوراه أي: احضر فهذا أوانك، فإن الهلاك أخف عليهم مما هم فيه لكنهم لا يهلكون اهـ شيخنا.

قوله: (فيقال لهم) أي: على سبيل التهكم بهم أي: تقول لهم خزنة جهنم اهـ شيخنا.

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ كعذابكم ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ﴾ ها ﴿ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه تعالى ﴿جَزَآءً﴾ ثواباً

وفي الشهاب: قوله: ﴿لا تدعوا اليوم﴾ الخ هذا معمول لقول محذوف كما قدره الشارح، وهذا المحذوف معطوف على ما قبله اهـ.

قوله: ﴿ثبوراً واحداً﴾ أي: مرة واحدة من الهلاك اهـ شيخنا.

قوله: (كعذابكم) تشبيه في الكثرة، وفي نسخة لعذابكم باللام أي: لأجل دوام عذابكم وكثرته، فينبغي أن يكون دعاؤكم على حسبه اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وادعوا ثبوراً كثيراً لأن عذابكم أنواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته، أو لأنه يتجدد لقوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ [النساء: ٥٦] أو لأنه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور اهـ.

قوله: ﴿قل أذلك خير﴾ الخ فإن قيل: كيف يقال العذاب خير أم جنة الخلد، وهل يجوز أن يقول العاقل السكر أحلى أم الصبر؟ فالجواب: أن هذا يحسن في معرض التقريع كما إذا أعطى السيد عبده مالاً فتمرد وأبى واستكبر فضربه وقال له: هذا خير أم ذاك، فإن قيل: الجنة اسم لدار مخلدة فأي فائدة في قوله جنة الخلد؟ فالجواب: أن الإضافة قد تكون للتبيين، وقد تكون لبيان صفات الكمال كقوله تعالى: ﴿الخالق البارىء﴾ [الحشر: ٢٤] وهذا من هذا الباب اهـ كرخي.

وفي القرطبي: فإن قيل: كيف قال أذلك خير ولا خير في النار؟ فالجواب أن سيبويه حكى عن العرب الشقاء أحب إليك أم السعادة، وقد علم أن السعادة أحب إليه. وقيل: ليس هو من باب أفعل منك وإنما هو كقولك عنده خير. قال النحاس: وهذا قول حسن اهـ.

قوله أيضاً: ﴿قل أذلك خير﴾ الخ الإشارة إلى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم، أو الإشارة إلى الكنز والجنة، والراجع إلى الوصول محذوف أي: وعدها. وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح أو للدلالة على خلودها أو للتمييز عن جنات الدنيا اهـ بيضاوي.

وقوله: الإشارة إلى العذاب المراد به عذاب النار التي عبّر عنها بالسعير، وإنما سماها عذاباً بالتذكير اسم الإشارة، والدليل على إرادتها أنها هي التي تقابل جنة الخلد فلا وجه لما قيل إن الإشارة للسعير أو للمكان الضيق أولى اهـ شهاب.

أي: لتقدم ذكر المرجع ولتحسن المقابلة اهـ.

وقوله: والاستفهام والتفضيل الخ جواب عما يقال كيف يتصور الشك في أيهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد، وأجاب: بأن ذلك يحسن في معرض التقريع والتهكم اهـ زاده.

قوله: ﴿كانت لهم﴾ (في علمه تعالى) جواب كيف قال في وصف الجنة ذلك مع أنها لم تكن حينئذ جزاء ومصيراً، وإنما تكون بعد الحشر والنشر، أو قال ذلك لأن ما وعد الله به فهو في تحققه كأنه قد كان، ولأنه قد كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم الله بأزمنة متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم اهـ كرخي.

﴿وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ مرجعاً ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ وعدهم ما ذكر ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ يسأله من وعد به ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، أو تسأله لهم الملائكة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والتحتانية ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن

قوله: (مرجعاً) أي: مسكناً ومستقراً.

قوله: ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ أي: ما يشاؤونه من النعيم، ولعله يقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبتها، لأن الظاهر أن الناقص لا يدرك شيئاً مما هو للكامل بالتشهي، وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحل إلا في الجنة اهـ بيضاوي.

وقوله: ولعله يقصر الخ جواب عما يقال إن عموم الموصول يقتضي أنه إذا شاء أحد رتبة من فوقه كالأنبياء نالها، فلم يبق بين الناقص والكامل تفاوت، ويقتضي أيضاً أنه إذا شاء أحد الشفاعة لأحد من أهل النار كأبيه أو ولده فإنها تقبل شفاعته مع أن عذاب الكافر مخلد، وتقدير الجواب: أن المراد لهم ما يشاؤون مما يليق برتبتهم، وأنه تعالى لا يلقي في خواطرهم أن ينالوا رتبة من هو أشرف منهم ولا يلتفتوا إلى حال غيرهم اهـ شهاب وزاده.

قوله: (حال) أي: من الهاء في لهم أو من الواو في يشاؤون اهـ.

قوله: ﴿كان على ربك وعداً مسؤولاً﴾ في اسم كان وجهان، أحدهما: أنه ضمير يعود على ما من قوله ما يشاؤون ذكره أبو البقاء. والثاني: أن يعود على الوعد المفهوم من قوله: ﴿وعد المتقون﴾ ومسؤولاً على المجاز أي يسأل هل وفى به أم لا، أو يسأله من وعد به اهـ سمين.

قوله: (ربنا وآتنا الخ) أي: يقول السائل في سؤاله ربنا وآتنا أي: أعطنا ما وعدتنا أي: من الجنة والنعيم (على رسلك) أي: على ألسنتهم اهـ شيخنا.

قوله: (ربنا وأدخلهم) أي: يقولون في سؤالهم ربنا وأدخلهم الخ.

قوله: ﴿ويوم نحشرهم﴾ هذا متصل في المعنى بقوله في أول السورة: ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ [الفرقان: ٣] الخ ويوم معمول لا ذكر مقدراً معطوفاً على قل اهـ شهاب.

والضمير في نحشرهم للعابدين لغير الله، وقوله: ﴿وما يعبدون﴾ عطف على مفعول نحشرهم ويضعف نصبه على المعية وغلب غير العاقل على العاقل فأتى بما دون من اهـ سمين.

وقوله: وغلب غير العاقل الخ هذا أحد وجوه ثلاثة في المقام وهو غير ما سلكه الشارح، فإنه جرى على أن ما مستعملة في العقلاء فقط، والوجه الثالث أنها مستعملة فيما لا يعقل فقط. وعبارة أبي السعود: وما يعبدون من دون الله أريد بهم ما يعم العقلاء وغيرهم، لأن كلمة ما موضوعة للكل على قول، أو لتغليب الأصنام من غيرها على قول أو أريد بهم الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال. والجواب: أو أريد الأصنام وينطقها الله تعالى أو تتكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الأيدي والأرجل اهـ.

﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين إثباتاً للحجة على العابدين ﴿ءَأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ الحق بأنفسهم ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى﴾ يستقيم ﴿لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ أي غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ مفعول أول،

قوله: (بالنون) أي: مع النون في يقول ومع الياء فيه، وقوله: (والتحتانية) أي: مع التحتانية في يقول، فالقراءات ثلاثة وإن أوهم كلامه أنها أربعة اهـ شيخنا.

قوله: (إثباتاً للحجة على العابدين) أي: وتقريعاً وتبكيتاً لهم اهـ بيضاوي.

وهذا جواب عما يقال إنه تعالى كان عالماً في الأزل بحال المسؤول فما فائدة هذا السؤال؟ وتقرير الجواب: أن فائدته تقريع العبدة وإلزامهم كما يقال لعيسى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة: ١١٦] لأنهم إذا سئلوا بذلك وأجابوا بما هو الحق الواقع تزداد حسرة العبدة ويبكتون بتكذيب المعبودين إياهم وتبرئهم منهم اهـ زاده.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: مع إدخال ألف بينهما وتركه فالتحقيق فيه قراءتان، وقوله: (وإبدال الثانية ألفاً) هذه قراءة واحدة، وعليها فيلزم التقاء الساكنين على غير حده ولا يعترض عليه لأنه مسموع منه ﷺ وكلامه حجة عربية لأنه أفصح العرب، فلا يعترض بما ذكر إلا على ما يسمع منه. وقوله: (وتسهيلها الخ) هاتان قراءتان، فمجموع القراءات هنا خمسة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هؤلاء﴾ نعت لعبادي أو عطف بيان عليه أو بدل منه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قالوا﴾ أي: المعبودون سبحانك الخ هذا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال كأنه قيل: فماذا قالوا في الجواب؟ فقيل: قالوا سبحانك الخ اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: قالوا: سبحانك أي قالوه تعجباً لأنهم ملائكة وأنبياء وهم معصومون فما أبعدهم من الإضلال الذي هو مختص بإبليس وجنوده، أو أنهم نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون الموسومون بذلك، فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده اهـ.

قوله: ﴿من أولياء﴾ جمع ولي بمعنى تابع أي: عابد، فأولياء بمعنى الأتباع اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: من أولياء أي أتباعاً فإن الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع، كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل، ومنه أولياء الشيطان اهـ.

وعبارة أبي السعود: ما كان ينبغي لنا أي: ما صح وما استقام لنا أن نتخذ من دونك أي: متجاوزين إياك من أولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فأنى يتصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ ولياً غيرك فضلاً أن يتخذنا ولياً، أو أو نتخذ من دونك أولياء أي أتباعاً، فإن الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل، ومنه أولياء الشيطان أي أتباعه اهـ.

ومن زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني فكيف نأمر بعبادتنا ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ هلكى، قال تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ أي كذب المعبودون العابدين ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾

والاحتمال الأول في كلام أبي السعود هو اللائق بصنيع الشارح فعليه يراد بالأولياء المعبودون اهـ.

قوله: (مفعول أول) أي: لنتخذ لأنه الذي يجوز أن تكون من فيه زائدة، بخلاف الثاني تقول: ما اتخذت من أحد ولياً ولا يجوز عند الأكثرين ما اتخذت أحداً من ولي، ولو جاز ذلك لجاز فما منكم أحد عنه من حاجزين وحسن من السحاب النفي على نتخذ لأنه معمول لينبغي، وإذا انتفى الانبغاء لزم منه انتفاء متعلقه اهـ كرخي.

قوله: (وما قبله) وهو قوله: ﴿من دونك﴾ الثاني أي: المفعول الثاني اهـ شيخنا.

قوله: (فكيف نأمر بعبادتنا) أي: فكيف نأمرهم بأن يعبدونا أي: فما أضللناهم ولا أغويناهم ولكن متعتهم الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولكن متعتهم﴾ الخ لما تضمن كلامهم أنا لم نضلهم ولم نحملهم على الضلال حسن هذا الاستدراك، وهو أن ذكروا سببه أي: أنعمت عليهم وتفضلت، فجعلوا ذلك ذريعة إلى ضلالهم عكس القضية اهـ سمين.

قوله: ﴿من قبلهم﴾ يصح في من أن تكون موصولة تفسيراً للمراد بآبائهم، ، ويصح أن تكون حرف جر نعتاً لآبائهم أي: الكائنين من قبلهم اهـ شيخنا.

قوله: (تركوا الموعظة الخ) عبارة الخ أبي السعود: حتى نسوا الذكر أي: غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك، فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية اهـ.

قوله: ﴿بوراً﴾ جمع بائر كهالك وزناً ومعنى، وهلكى جمع هالك على حد قوله:

فعلى الوصف كقتيل وزمن

اهـ شيخنا.

وفي السمين: يجوز في بوراً وجهان، أحدهما: أنه جمع بائر كعائذ وعوذ. والثاني: أنه مصدر في الأصل فيستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث وهو من البوار وهو الهلاك، وقيل: من الفساد وهي لغة الأزد يقولون: بارت بضاعته أي: فسدت، وأمرنا بائر أي فاسد، وهذا معنى قولهم كسدت البضاعة، وقال الحسن: هو من قولهم أرض بور أي: لا نبات بها، وهذا يرجع إلى معنى الهلاك والفساد أيضاً اهـ.

قوله: ﴿فقد كذبوكم﴾ خطاب للعابدين على ما يفهم من صنيعه، فالواو واقعة على المعبودين، والكاف على العابدين. وقوله: ﴿بما تقولون﴾ أي: فيما تقولون، وقوله: (بالفوقانية) أي: باتفاق العشرة، وقوله: (أنهم آلهة) مقول القول اهـ شيخنا.

بالفوقانية أنهم آلهة ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحتانية والفوقانية أي لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفًا﴾ دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ منعاً لكم منه ﴿وَمَن يَظْلِم﴾ يشرك ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ شديداً في الآخرة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فأنت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ بلية ابتلي

قوله: (أي لا هم) راجع للتحتانية، وقوله: (ولا أنتم) راجع للفوقانية فهو لف ونشر مرتب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن يظلم منكم﴾ أي: أيها المكلفون اهـ بيضاوي.

وإنما لم يجعل الضمير للكفار بقرينة السياق كما قيل لأنه يحتاج لتأويله بيدم على الظلم اهـ شهاب. قوله: ﴿نذقه﴾ العامة بنون العظمة، وقرىء بالياء. وفي الفاعل وجهان، أظهرهما: أنه الله تعالى لدلالة قراءة العامة على ذلك. والثاني: أنه ضمير الظلم المفهوم من الفعل، وفيه تجوز بإسناد إذاقة العذاب إلى سببها وهو الظلم اهـ سمين.

قوله: (في الآخرة) أي: وفي الدنيا أيضاً.

قوله: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ الخ هذا تسلية له ﷺ على ما يشير له قول الشارح: وقد قيل لهم كما قيل لك، وقوله: ﴿إلا إنهم﴾ الخ الجملة حالية وإن مكسورة باتفاق العشرة، واللام لام الابتداء زيدت في الخبر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجعلنا بعضكم﴾ الخ هذا تسلية له ﷺ أيضاً، فإنه أشرف الأشراف وقد ابتلي بأخس الأخساء اهـ شيخنا.

قوله: (ابتلي الغني بالفقير الخ) هذا ما جرى عليه أكثر المفسرين، وهو أن الغني مثلاً ابتلي بقول الفقير: ما لي لا أكون كهذا في الغنى ونحوه من الأقاويل الخارجة عن حد الإنصاف ومن مناصبته العداوة له، والذي يطلب من الغني الصبر على ما يقع من الفقير من قول أو فعل كما قال تعالى: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ [آل عمران: ١٨٦] وقيل: إن الله تعالى جعل الغني فتنة للفقير لينظر هل يصبر على فقره أم لا. والأول أظهر لعمومه وشموله حتى لرسول الله ﷺ المخصوص بكرامة النبوة ويشهد له تسلية الله له وتصبيره على ما قالوه وتفوهوا به من أكله الطعام ومشيه في الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل اهـ كرخي.

وفي الخازن: وقيل: إن الغني فتنة للفقير يقول: ما لي لم أكن مثله، والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع اهـ.

وفي القرطبي: الثامنة قوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون﴾ أي: أن الدنيا بلاء وامتحان، فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر، والصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني، ومعنى هذا أن كل واحد

الغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثاني في كل ما لي لا أكون كالأول في كل ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر أي اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ بمن يصبر وبمن يجزع ﴿۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فنخبر بأن محمداً رسوله، قال

مختبر بصاحبه، فالغني ممتحن بالفقير عليه أن يواسيه ولا يسخر منه، والفقير ممتحن بالغني عليه ألا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق كما قال الضحاك في معنى أتصبرون أي: على الحق. وأصحاب البلايا يقولون: لم لم نعاف؟ والأعمى يقول: لم لم أجعل كالبصير؟ وهكذا صاحب كل آفة، والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار في عصره، وكذلك العلماء وحكام العدل. ألا ترى إلى قولهم: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١] فالفتنة أن يحسد المبتلى المعافى، ويحقر المعافى المبتلى، والصبر أن يحبس كل منهما نفسه هذا عن البطر وذاك عن الضجر. وعن أبي الدرداء أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ويل للعالم من الجاهل، وويل للجاهل من العالم، وويل للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك، وويل للشديد من الضعيف، وويل للضعيف من الشديد، وويل للسلطان من الرعية، وويل للرعية من السلطان بعضكم لبعض فتنة»، وهو قوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون﴾ أسنده الثعلبي اهـ.

قوله: (بالفقير) أي: بأذاه حيث يقول له أنت لا تعطيني، أنت كذا أنت كذا ما لي لا أكون مثلك وكذا يقال في الباقي اهـ شيخنا.

قوله: (يقول الثاني) أي: الفقير والمريض والوضيع في كل أي: من الأقسام الثلاثة، وقوله: (كالأول) أي: الغني والصحيح والشريف اهـ شيخنا.

قوله: (استفهام بمعنى الأمر) نحو أأسلمتم أي: أسلموا كما مرَّ في سورة آل عمران، وجرى كثيرون على أنها لمجرد الاستفهام أي: أتصبرون أم لا اهـ كرخي.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» اهـ خازن.

قوله: (لا يخافون البعث) أي: لإنكارهم له لرفههم آمنون منه في زعمهم اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: لا يرجون أي: لا يؤملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث، أو لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة، وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء، ومنه الرؤية فإنها وصول إلى المراد به الوصول إلى جزائه، ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول اهـ.

قوله: (فكانوا رسلاً إلينا) أي: بالبعث وغيره بدل محمد، وعبارة البيضاوي: لولا أنزل علينا الملائكة فتخبرنا بصدق محمد، وقيل: فيكونون رسلاً إلينا اهـ.

قوله: (فنخبر) بالبناء للمفعول، وعبارة الخازن: فيخبرنا اهـ.

تعالى ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبروا ﴿فِىٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا، وعتوا بالواو على أصله بخلاف عتياً بالإبدال في مريم ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ في جملة الخلائق يوم القيامة، ونصبه باذكر مقدراً ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة

قوله: (قال تعالى) أي: رداً عليهم في الشبهتين، فردّا الأولى بقوله ﴿لقد استكبروا﴾ الخ، ورد الثانية بقوله: ﴿وعتوا عتواً كبيراً﴾ وقوله: ﴿لقد استكبروا﴾ أي: حيث طمعوا في أن رسلهم يكونون ملائكة ولم يرضوا بأن يكون رسولهم بشراً لكبرهم، فعلى هذا قول الشارح بطلبهم رؤية الله في الدنيا متعلق بعتوا، والباء للسببية ولم يذكر متعلق استكبروا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وفي﴾ (شأن) ﴿أنفسهم﴾ يعني: أنهم لتكبرهم استكبروا أنفسهم أي: عدوها كبيرة لشأن وخصوصية لها فنزل فيه الفعل المتعدي منزلة اللازم وأصله من استكبره إذا عدّه كبيراً أي: عظيماً. وفي الكشاف: معناه أنهم أصروا الاستكبار في أنفسهم وهو أظهر مما ذكره المصنف وعدل عنه، لأن ما ذكره أبلغ منه اهـ شهاب.

قوله: (على أصله) أي: من عدم الإبدال، وقوله: (بالإبدال) أي: لمناسبة الفواصل هناك، وأصله كما تقدم الشارح هناك عتووا بواوين الأولى ساكنة فكسرت التاء، فيقال: سكنت الواو إثر كسرة فقلبت ياء فصار عتيواً، ثم يقال: اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يوم يرون الملائكة﴾ أي: ملائكة العذاب. قوله: ﴿لا بشرى يومئذ﴾ هذه الجملة معمولة لقول مضمر أي: يرون الملائكة يقولون لا بشرى، فالقول خال من الملائكة وهو نظير التقدير في قوله: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ [الرعد: ٢٣] اهـ سمين.

وكل من الظرف والجار والمجرور خبر عن لا النافية للجنس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويقولون حجراً﴾ الحجر: مصدر بمعنى الاستعاذة، وقوله محجوراً تأكيد له على حد قولهم: حرام محرم، وقوله: (أي: عوذاً) أي استعاذة ومعاذاً بمعنى ما قبله اهـ شيخنا.

وفي المختار: عاذ به من باب قال، واستعاذ به لجأ إليه وهو عياذه أي: ملجؤه وأعاذ به غيره وعوذه بمعنى، وقولهم: معاذ الله أي أعوذ به معاذاً، والعوذة والتعويذ كله بمعنى، وقرأت المعوذتين بكسر الواو اهـ.

وعبارة السمين: ويقولون معطوف على يرون فالضمير للكفار، وحجراً من المصادر الملتزم اضمار ناصبها ولا تصرف فيها اهـ.

وفي البيضاوي: لا يتصرف في هذا المصدر ولا يظهر ناصبه اهـ.

قال سيبويه: ويقول الرجل أتفعل كذا؟ فيقول: حجراً وهو من حجره من باب منع إذا منعه، لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه بحيث لا يلحقه، وكأن المعنى سأل الله أن يمنعه منعاً ويحجره

أي عوذاً معاذاً يستعيذون من الملائكة، قال تعالى ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ عمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس كالغبار المفرق أي مثله في عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين

حجراً، والعامة على كسر الحاء، والضحاك، والحسن، وأبو رجاء على ضمها وهو لغة فيه. وحكى أبو البقاء فيه لغة ثالثة وهي الفتح قال: وقد قرىء بها. فعلى هذا يكمل فيه ثلاث لغات مقروء بهن. ومحجوراً صفة مؤكدة للمعنى كقولهم: ذيل ذائل وموت مائت والحجر العقل لأنه يمنع صاحبه. قوله: (على عادتهم في الدنيا) عبارة أبي السعود: وهو كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدواً أو هجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقهم، فكأن المعنى: نسأل الله تعالى أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً اهـ.

قوله: (يستعيذون من الملائكة) أي: يطلبون من الله عدم لقائهم اهـ شهاب.

قوله: ﴿وقدمنا﴾ الخ لما كان القدوم عليه تعالى محالاً فسره بلازمه وهو القصد، فقوله: (عمدنا) أي قصدنا وهو من باب ضرب، والقصد في حق الله يرجع لمعنى الإرادة اهـ شيخنا.

قوله: (وقرى ضيف) القرى: مصدر بمعنى الإحسان إلى الضيف ويصح فيه كسر القاف مع القصر وفتحها مع المد، ويستعمل المكسور أيضاً بمعنى ما يقدم للضيف من الزاد، ويقال في فعله قرى يقري كرمى يرمي، فمضارعه بفتح الياء اهـ شيخنا.

قوله: (في الدنيا) متعلق بعملوا. قوله: ﴿هباء منثوراً﴾ الهباء والهبوة التراب الدقيق قاله ابن عرفة، وقال الجوهري: يقال فيه هبا يهبو إذا ارتفع. وقال الخليل والزجاج: هو مثل الغبار الداخل في الكوة يتراءى مع ضوء الشمس، وقيل: الهباء ما تطاير من شرر النار إذا أضرمت الواحدة هباءة على حد تمر وتمرة اهـ سمين.

وفي الخازن: والهباء هو ما يرى في الكوة كالغبار إذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدي ولا يرى في الظلل والمنثور المفرق. قال ابن عباس: هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر، وقيل: هو ما يسطع من حوافر الدواب من الغبار عند السير اهـ.

قوله: (في الكوى) جمع كوة بفتح الكاف، وضمها وهي الطاقة في الحائط، لكن جمع المفتوح يجوز فيه كسر الكاف مع القصر والمد، وأما جمع المضموم فهو بضم الكاف مع القصر لا غير اهـ شيخنا.

قوله: (لعدم شرطه) وهو الإيمان، وقوله: (ويجازون عليه في الدنيا) أي: بإعطاء الولد والمال والصحة والعافية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿خير مستقراً﴾ (من الكافرين) أي: من مستقرهم في الدنيا، فأفعل التفضيل على بابه، وقوله: ﴿وأحسن مقيلاً﴾ منهم أي: من الكافرين، من مقيلهم فيها، أي: في الدنيا فأفعل التفضيل على بابه أيضاً اهـ شيخنا.

في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ منهم أي موضع قائلة فيها وهي الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد في حديث ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾ أي كل سماء ﴿بِالْغَمَامِ﴾ أي معه، وهو غيم أبيض ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾ من كل سماء ﴿تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ هو يوم

وفي السمين: خير مستقراً وأحسن مقيلاً في أفعل هنا قولان، أحدهما: أنه على بابه من التفضيل، والمعنى أن للمؤمنين في الآخرة مستقراً خيراً من مستقر الكفار، وأحسن مقيلاً من مقيلهم لو فرض أن يكون لهم ذلك أو على أنهم خير في الآخرة منهم في الدنيا. والثاني: أن يكون لمجرد الوصف من غير مفاضلة اهـ.

قوله: (في الدنيا) هو جواب ما يقال كيف قال خير مستقراً، وقد علم أنه لا خير في مستقر أهل النار، وإنما يقال هذا خير من هذا إذا كان في كل واحد منهما خير. وإيضاحه: أن معنى الآية أن أصحاب الجنة في الجنة خير مستقراً من أهل النار في الدنيا إذ مستقرهم في الدنيا ضروب من الملاهي تميل إليها القلوب، فإذا أخبروا بأن مستقر المطيعين في الآخرة خير من هذا المستقر الذي يعاينونه كان في ذلك تعزية لهم عن طلب مثله في العاجل، وتحريض لهم على التماس ما هو خير منه في الآجل اهـ كرخي.

قوله: (وأخذ من ذلك) أي: من قوله وأحسن مقيلاً، وذلك لأن القائلة تكون في نصف النهار والحساب من أوله، وقد أشارت الآية إلى أن كلاً من أهل الجنة وأهل النار قد قالوا أي: استقروا في وقت القيلولة، وإن كان استقرار المؤمنين في راحة، واستقرار الكافرين في عذاب، فيكون الحساب لجميع الخلائق قد انقضى في هذا الوقت اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. والقيلولة: الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الله تعالى قال: وأحسن مقيلاً، والجنة: لا نوم فيها. ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس اهـ.

قوله: (أي كل سماء) أخذه من أل.

قوله: ﴿بالغمام﴾ في هذه الباء ثلاثة أوجه، أحدها: أنها للسببية أي بسبب الغمام يعني بسبب طلوعه منها ونحوه قوله تعالى: ﴿السماء منفطر به﴾ [المزمل: ١٨] كأنه الذي تتشقق به السماء. الثاني: أنها للحال. أي: ملتبسة بالغمام. الثالث: أنها بمعنى عن أي: عن الغمام كقوله: ﴿يوم تشقق الأرض عنهم﴾ [قٓ: ٤٤] اهـ سمين.

قوله: (وهو غيم) أي: سحاب أبيض فوق السموات السبع، ثخنه كثخن السموات السبع وثقله كذلك، فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله ويشققها وهكذا حتى ينزل إلى الأرض، وفيه الملائكة أي: ملائكة كل سماء فينزل أولاً ملائكة السماء الدنيا وهم أزيد من أهل الأرض من إنس وجن، ثم ملائكة السماء الثانية وهم أزيد من ملائكة سماء الدنيا وهكذا، وإذا نزل ملائكة سماء الدنيا اصطفوا

القيامة، ونصبه باذكر مقدراً، وفي قراءة بتشديد شين تشقق بإدغام التاء الثانية في الأصل، وفي أخرى وننزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿ وَكَانَ ﴾ اليوم ﴿ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ بخلاف المؤمنين ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ ﴾

حول العالم المجموع في المحشر صفاً، وإذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفاً آخر، وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار والهرب اهـ زاده

وقد تقدم لهذا مزيد بسط في آخر سورة إبراهيم عند قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٨] الخ. قوله: (ونصبه باذكر مقدراً) وهو معطوف على يوم يرون الملائكة، وكذا قوله: ﴿يوم يعض الظالم الخ﴾. قوله: (في الأصل) أي: قبل قلبها شيناً وتسكينها وادغامها في الشين، وقوله: فيها أي الشين وهو متعلق بإدغام اهـ شيخنا.

قوله: (وفي أخرى ننزل الخ). وكان من حق المصدر أن يجيء بعد هذه القراءة على إنزال، وقال أبو علي: لما كان أنزل ونزل يجريان مجرى واحداً أجزأ مصدر أحدهما عن مصدر الآخر ومثله: ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ [المزمل: ٨] أي تبتلاً اهـ كرخي.

وهذه القراءة إنما تأتي عند تشديد الشين، والحاصل: أن في المقام ثلاث قراءات، فإذا شددت الشين جاء في ننزل القراءتان، وإذا خففت الشين جاء في ننزل قراءة واحدة وهي كونه ماضياً مبنياً للمفعول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الملك﴾ مبتدأ، ويومئذ ظرف لذلك المبتدأ، والحق نعت له، وللرحمٰن خبره اهـ شيخنا.

قوله: (لا يشركه فيه أحد) أي: لأن السلطان الظاهر والاستيلاء الكلي العام الثالث صورة ومعنى ظاهراً وباطناً بحيث لا زوال له أصلاً لا يكون إلا الله تعالى، فالملك مبتدأ، والحق صفته، وللرحمن خبره، ويومئذ متعلق بالملك، وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له خاصة يومئذ، وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون لغيره أيضاً تصرف صوري في الجملة اهـ كرخي.

قوله: (بخلاف المؤمنين) أي: فليس عسيراً عليهم لما في الحديث: «إن يوم القيامة يهون على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا» اهـ كرخي.

قوله: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ عض اليدين والأنامل وأكل البنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة اهـ أبو السعود.

قال عطاء: يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما، وهكذا كلما نبتت يداه أكلهما على ما فعل تحسراً اهـ خازن.

وفي المصباح: عضضت اللقمة وبها وعليها أمسكتها بالأسنان، وهو من باب تعب في الأكثر، لكن المصدر ساكن ومن باب نفع لغة قليلة وفي أفعال ابن القطاع من باب ردَّ اهـ.

المشرك عقبة بن أبي معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبي بن خلف ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ﴾ للتنبيه ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ طريقاً إلى الهدى ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة أي ويلتي ومعناه هلكتي ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ أي

قوله: (كان نطق بالشهادتين الخ) وسبب نطقه بهما أنه صنع يوماً طعاماً ودعا الناس إليه ودعا رسول الله ﷺ، فلما قدم الطعام قال رسول الله ﷺ: «لا آكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»، فنطق بها فأكل رسول الله ﷺ من طعامه. وكان عقبة صديقاً لأبي بن خلف، فلما أخبر أبي بما وقع قال له: يا عقبة قد ملت إلى دين محمد، فقال عقبة: والله ما ملت ولكن دخل عليَّ رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا إن شهدت له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم، فقال أبي: لا أرضى عنك حتى تأتيه فتبزق في وجهه. ففعل ذلك عقبة فعاد بزاقه على وجهه فحرقه وقتل يوم بدر، وأما أبي فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد اهـ خازن.

وهذا أحد قولين في الظالم والآخر أنه مطلق الكافر، وعبارة البيضاوي: والمراد بالظالم الجنس، وقيل: عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي ﷺ فدعاه إلى ضيافته، فأبى أن يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل، وكان أبي بن خلف صديقاً له فعاتبه فقال: صبأت. فقال: لا ولكن أبى أن يأكل طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له، فقال: لا أرضى عنك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فأتاه فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك، فقال له عليه الصلاة والسلام: «لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأسر يوم بدر فأمر علياً فقتله وطعن النبي أبياً بأحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات اهـ.

وفي الخازن: وحكم الآية عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله عز وجل.

روى الشيخان، عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك بحاء مهملة وذال معجمة أي يعطيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة».

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» أخرجه أبو داود والترمذي. ولهما عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلاّ تقي» اهـ.

قوله: ﴿يقول يا ليتني﴾ الخ الجملة حال من فاعل يعض اهـ.

قوله: ﴿اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ أي: صاحبته في اتخاذ سبيل الهدى اهـ.

قوله: (عوض عن ياء الإضافة) أي: ياء المتكلم. وأصله يا ويلتي بكسر التاء وفتح الياء ثم فتحت التاء فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فهذه الألف اسم لا حرف كما هو معلوم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ فلان كناية عن علم من يعقل وهو منصرف، وفل كناية عن نكرة

أبياً ﴿خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ بأن ردني عن الإيمان به قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾ الكافر ﴿خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾ قريشاً ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ متروكاً قال تعالى

من يعقل من الذكور، وفلانة كناية عن علم من يعقل من الإناث، وفلة كناية عن نكرة من يعقل من الإناث، والفلان والفلانة بالألف واللام كناية عن غير العاقل. ولام فل وفلان فيها وجهان، أحدهما: أنها واو. والثاني: أنها ياء اهـ سمين.

قوله: ﴿لقد أضلني الخ﴾ تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطئه وإظهار ندم وحسرته أي: والله لقد أضلني الخ اهـ شيخنا.

قوله: (أي القرآن) عبارة البيضاوي: عن الذكر أي: عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول أو كلمة الشهادة، وقوله: ﴿وكان الشيطان﴾ يعني الخليل المضل أو إبليس لأنه حمل على مخاللته ومخالفته للرسول عليه السلام، أو كل من تشيطن من جن وإنس اهـ.

وفي الخازن: وكان الشيطان وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والإنس اهـ.

قوله: (قال تعالى) ﴿وكان الشيطان﴾ الخ أشار به إلى أن آخر كلام الظالم بعد إذ جاءني فالوقف عليه تام، والمراد بالشيطان إبليس فإنه الذي حمله على أن صار خليلاً لذلك المضل ومخالفة الرسول ثم خذله. وهذه الجملة لا محل لها لاستئنافها لكونه من كلام الباري تعالى كما تقدم اهـ كرخي.

قوله: ﴿خذولاً﴾ يقال: خذله يخذله بوزن نصره ينصره وهو في المعنى ضده، والمصدر الخذلان أي: ترك النصرة بعد الموالاة والمعاونة اهـ شيخنا.

وقول الشارح: بأن يتركه أي يترك نصرته اهـ.

قوله: ﴿وقال الرسول﴾ عطف على قوله: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ [الفرقان: ٢١] وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه، وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الأهوال اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وقال الرسول أي بثاً وشكـاية لله مما صنع قومه وفيه تخويف لقومه، لأن الأنبياء إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب اهـ.

وهذا القول قيل: صدر منه في الدنيا، وقيل: سيقع منه في الآخرة كما في الخازن.

قوله: ﴿إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ أي: متروكاً فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه. وقيل: جعلوه بمنزلة الشيء المهجور وهو السيىء من القول، فزعموا أنه شعر وسحر اهـ خازن.

وفي البيضاوي: وعنه ﷺ: «من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينة أو هجروا ولغوا فيه إذا سمعوه

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قبلك ﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ ناصراً لك على أعدائك ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور، قال تعالى

أو زعموا أنه هجر وأساطير الأولين فيكون أصله مهجوراً فيه فحف الجار والمجرور، ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول اهـ.

وقوله: أو هجروا ولغوا فيه هو على الأول من الهجر بالفتح ضد الوصل، وعلى هذا من الهجر بالضم وهو الهذيان وفحش القول والدخل وله معنيان لأنه إما بمعنى مدخولاً فيه كقولهم: ﴿إلا أساطير الأولين﴾ [الأنعام: ٢٥] تعلمها من بعض أهل الكتاب، أو أنهم كانوا إذا قرىء القرآن رفعوا أصواتهم بالهذيان لئلا يسمع كقولهم: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ [فصلت: ٢٦] ويجوز أن لا يكون مهجوراً اسم مفعول، بل يكون مصدراً بمعنى الهجر أطلق على القرآن وعلى طريق التسمية بالمصدر كالمجلود والمعقول بمعنى الجلد والعقل اهـ زاده وشهاب.

وقوله: فيكون أصله مهجوراً فيه أي: على الاحتمالين الأخرين، وعلى الأول منهما الهاجر الكفار، وعلى الثاني من أتى به على زعمهم الفاسد اهـ شهاب.

قوله: ﴿مهجوراً﴾ مفعول ثان لاتخذوا، وقوله: (متروكاً) أي عن الإيمان به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكذلك جعلنا﴾ الخ شروع في تسليته ﷺ كما يشير له قول الشارح فاصبر كما صبروا اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: قوله: ﴿وكذلك جعلنا﴾ الخ لما شكا قومه لله تعالى سلاه الله تعالى بقوله: ﴿وكذلك جعلنا﴾ أي كما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبي عدواً الخ اهـ.

قوله: ﴿وكفى بربك﴾ الباء زائدة في الفاعل، وقوله: ﴿هادياً﴾ حال أي هادياً لك للطريق التي تستنصر بها عليهم كالغزو اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ الخ حكاية لشبهة منهم تتعلق بالقرآن، وقوله: ﴿كذلك﴾ الخ ردّ لها اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: وهذا اعتراض منهم لا طائل تحته لأن الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو متفرقاً مع أن للتفريق فوائد، منها: ما أشار إليه بقوله: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ أي كذلك أنزلناه مفرقاً لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه، لأن حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان أمياً وكانوا يكتبون، فلو ألقي عليه جملة لعيي بحفظه ولعله لم يتهيأ له، فإن التلقن لا يتأتى إلا شيئاً فشيئاً، ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص على المعنى، ولأنه إذا نزل منجماً وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك في قوة قلبه، ولأنه إذا نزل به جبريل حالاً بعد حال تثبت به فؤاده. ومنها: معرفة الناسخ والمنسوخ. ومنها: انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية فإنه يعين على البلاغة اهـ.

نزلناه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي متفرقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ نقوي قلبك ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ أي أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤدة لتيسر فهمه وحفظه ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ

قوله: ﴿لولا نزل عليه القرآن﴾ قال الزمخشري: نزل هنا بمعنى أنزل كخبر أخبر وإلاّ تدافعا يعني: أن نزل بالتشديد يقتضي بالأصالة التنجيم والتفريق، فلو لم يجعل بمعنى أنزل الذي لا يقتضي ذلك لتدافع مع قوله جملة واحدة لأن الجملة تنافي التفريق وهذا بناء منه على معتقده، وهو أن التضعيف يدل على التفريق وقد نص على ذلك في مواضع من كتاب الكشاف اهـ سمين.

قوله: (قال تعالى) أي: رداً لهذه الشبهة. قوله: ﴿كذلك﴾ الكاف بمعنى مثل، والجار والمجرور نعت لمصدر محذوف مع عامله قدره الشارح بقوله: (نزلناه)، وهذا تقرير للعامل ولو قدر المصدر أيضاً لقال نزلناه تنزيلاً مثل ذلك التنزيل، وقوله: ﴿لنثبت﴾ الخ تعليل للعامل المحذوف، وقوله: ﴿ورتلناه﴾ معطوف عليه اهـ شيخنا.

قوله: (أي متفرقاً) أفاد به أن الإشارة إلى الإنزال مفرقاً لا إلى جملة، فلا يرد ما قيل إن ذلك في كذلك إشارة إلى شيء تقدمه، والذي تقدم هو إنزاله جملة فكيف فسرته بكذلك أنزلناه مفرقاً اهـ كرخي.

قوله: (أي أتينا به شيئاً بعد شيء) عبارة أبي السعود: أي: كذلك نزلناه ورتلناه بديعاً لا يقادر قدره، ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية. قال النخعي والحسن وقتادة، وقال ابن عباس: بيناه بياناً فيه ترتيل وتثبيت، وقال السدي: فصلناه تفصيلاً، وقال مجاهد: جعلنا بعضه في أثر بعض، هو الأمر بترتيل قراءته لقوله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [المزمل: ٤] وقيل: قرأناه عليك بلسان جبريل شيئاً بعد شيء في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل اهـ.

قوله: ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي: بسؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك ألا جئناك بالحق الدفع له أي بيضوي.

وقوله: كأنه مثل إشارة إلى أنه مجاز، وقوله: (في البطلان) أي: لأن أكثر الأمثال أمور مخيلة، والقدح بقولهم: لولا أنزل إليك ملك لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وغيره مما ورد، وقوله: ﴿إلا جئناك بالحق﴾ استثناء مفرغ عن أعم الأحوال فمحله النصب على الحالية وجعله مقارناً له، وإن كان بعد للدلالة على المسارعة إلى إبطال ما أتوا به تثبيتاً لفؤاده اهـ شهاب.

وقوله: من أعم الأحوال أي: لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا في حال إتياننا إليك بالحق، وبما هو أحسن بياناً لما هو الحق اهـ زاده.

والمعنى: كلما سألوا سؤالاً عجيباً أجبنا عنه بجواب هو أحسن من سؤالهم. مثلاً أنهم سألوا عن إنزاله جملة واحدة، فأجبنا بأنا أنزلناه متفرقاً لنثبت به فؤادك، فإن قيل: قد ذكر أولاً أن السؤال مثل في البطلان فكيف يصح أن يقال الجواب أحسن منه؟ وأجيب: بأن السؤال لما كان حسناً بزعمهم صح ذلك بالنظر لزعمهم، وأجيب أيضاً بأنه مثل قولهم الصيف أحر من الشتاء أي: أن الجواب في باب الحق والحسن أقوى وأدخل من سؤالهم في باب القبح والبطلان اهـ زاده.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ بياناً هم ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٣٤﴾ أخطأ طريقاً من غيرهم وهو كفرهم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۝٣٥﴾ معيناً ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي القبط فرعون وقومه، فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ۝٣٦﴾

قوله: ﴿بمثل﴾ أي: شبهة وقادح في نبوتك. وقوله: الرافع له أي للمثل.

قوله: ﴿وأحسن﴾ معطوف على الحق فهو مجرور بالفتحة، وتفسيراً تمييز أي أحسن بياناً مما ذكروه من المثل، وهذا التفضيل باعتبار زعمهم أن في القوادح التي قالوها بياناً على ما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: (أي يساقون) أي: يسحبون. وعبارة البيضاوي: أي يسحبون مقلوبين إليها، انتهت.

وقوله: مقلوبين أي منكسين يطؤون الأرض على رؤوسهم ووجوههم مع ارتفاع أقدامهم بقدرة الله اهـ شهاب.

قوله: (من غيرهم) بيان للمفضل عليه فهو متعلق بكل من شر وأضل، والمراد بغيرهم بقية الكفار ما عداهم، فهم أي الكفار الذين عاندوا محمداً ﷺ أسوأ حالاً في الآخرة من سائر الكفار اهـ شيخنا.

قوله: (وهو كفرهم) الضمير راجع للسبيل.

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ الخ جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مرَّ من التسلية بحكاية ما جرى بين الأنبياء وبين أقوامهم حكاية إجمالية كافية فيما هو المقصود، واللام جواب قسم محذوف اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وجعلنا معه﴾ الخ معطوف على آتينا، والواو لا تفيد ترتيباً، فإن من المعلوم أن إيتاء التوارة كان بعد إيتاء الرسالة لموسى وهارون بنحو من ثلاثين سنة، لأن إرسالهما كان في واقعة الطور عند مجيء موسى من الشام، ثم جاء مصر ومكث يدعو فرعون وقومه ثلاثين سنة، ثم خرج من مصر فانفلق له البحر فغرق فرعون وقومه، فذهب موسى إلى الشام فآتاه الله التوراة هناك، فقوله: ﴿فقلنا اذهبا﴾ معطوف على جعلنا، وكل من الجعل والقول كان قبل إيتاء التوراة كما علمت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هٰرون﴾ بدل أو بيان أو منصوب على القطع، ووزيراً معفول ثان، وقيل: حال والمفعول الثاني معه اهـ سمين.

وقوله: وزيراً أي: يؤازره في الدعوة وإعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لأن المتشاركين في الأمر متوازران عليه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿الذين كذبوا بآياتنا﴾ إن كان المرد بها مصنوعات الله تعالى الدالة على انفراده بالملك والعبادة فالأمر ظاهر، وإن كان المراد بها خصوص الآيات التسع التي جاء بها موسى للقبط لم يظهر

أهلكناهم إهلاكاً ﴿وَ﴾ اذكـر ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ بتكذيبهم نوحاً لطول لبثه فيهم فكأنه رسل، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ جواب لما ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ﴾ بعدهم ﴿ءَايَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ مؤلماً سوى ما يحل بهم في الدنيا ﴿وَ﴾ اذكـر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَا۟﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ اسم بئر ونبيهم قيل شعيب وقيل غيره كانوا قعوداً حولها فانهارت بهم

وذلك لأنه وقت الأمر بالذهاب إلى القبط لم يكونوا قد رأوا شيئاً من الآيات التسع حتى يكذبوا بها، لأن الأمر بالذهاب إليهم كان في واقعة الطور، وهي كانت قبل مجيء مصر ومخاطبة فرعون وقومه فلا تخلص إلا بحمل الماضي على معنى الاستقبال أي: سيكذبون بآياتنا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فدمرناهم﴾ معطوف على ما قدره الشارح بقوله: (فذهبا إليهم الخ). وعبارة البيضاوي: المعنى فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميراً، فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم اهـ.

قوله: ﴿أغرقناهم﴾ (جواب لما) أي: لأنها حرف وجوب لوجوب. أما إذا قلنا إنها ظرف زمان فيجوز أن يكون قوله: ﴿قوم﴾ منصوباً بفعل مضمر يفسره قوله: ﴿أغرقناهم﴾ ويرجع هذا بتقدير جمل فعلية قبله، وعلى ما قرره الشيح المصنف لا يتأتى ذلك لأن أغرقناهم حينئذ جواب لما وجوابها لا يفسر غيره اهـ كرخي.

قوله: ﴿وجعلناهم﴾ أي: جعلنا إغراقهم أو قصتهم. قوله: ﴿وأعتدنا للظالمين﴾ يحتمل التعميم والتخصيص، فيكون وضعاً للظاهر موضع الضمير تسجيلاً عليهم بوصف الظلم اهـ بيضاوي.

قوله: (سوى ما يحل بهم) أي: ينزل بهم، ويحل بهذا المعنى بضم الحاء وكسرها بخلاف سائر معانيه فهو فيها بالكسر فقط كما في المصباح اهـ.

قوله: ﴿وثمودا﴾ بالصرف على معنى الحي وتركه على تأويله بالقبيلة قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: (اسم بئر) قيدها المفسرون كالبيضاوي بأنها التي لم تطو أي لم تبن بالحجارة، وقيدها أهل اللغة كالقاموس بأنها التي طويت أي: بنيت بالحجارة فيؤخذ من مجموع النقلين أن الرس يطلق على البئر مطلقاً أي سواء طويت أم لا. وفي القاموس: الرس ابتداء الشيء، ومنه رس الحمى ورسيسها والبئر المطوية بالحجارة، وبئر كانت لبقية من ثمود كذبوا نبيهم ورسوه في بئر، والاصلاح والإفساد ضد، والحفر والدرس ودفن الميت وغير ذلك.

وعبارة السمين: قوله: ﴿وأصحاب الرس﴾ فيه وجهين، أحدهما: أنه من عطف المغاير وهو الظاهر. والثاني: أنه من عطف بعض الصفات على بعض، والمراد بأصحاب الرس ثمود لأن الرس البئر التي لم تطور، وعن أبي عبيد: وثمود أصحاب آثار، وقيل: الرس نهر بالشرق، ويقال: إنهم أناس عبدة أصنام قتلوا نبيهم ورسوه أي دسوه فيها اهـ.

وبمنازلهم ﴿وَقُرُونًا﴾ أقواماً ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ أي بين عاد وأصحاب الرس ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ أهلكنا

قوله: (وقيل غيره) وهو حنظلة بن صفوان اهـ خطيب.

وعبارة البيضاوي: هم قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً فكذبوه، فبينما هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم، وقيل: الرس قرية بفلج اليمامة فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا، وقيل: الأخدود، وقيل: بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار، وقيل: هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون، وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح أو دمخ، وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد، ولذلك سميت مغرباً فدعا عليهم حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا، وقيل: قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي: دسوه في بئر اهـ.

وقوله: بفلج اليمامة بفتح الفاء واللام وبجيم قرية عظيمة بناحية اليمن وموضع باليمن من مساكن عاد، وبسكون اللام واد قريب من البصرة قاله ابن الأثير اهـ زكريا.

وقوله: يقال له فتح بفتح الفاء والتاء المثناة فوق والحاء المهملة، وقيل: المعجمة، وقيل: إنه بمثناة تحتية وجيم، ودمخ بدال مهملة وميم ساكنة وخاء معجمة اهـ شهاب.

وقوله: سميت مغرباً إما لاتيانها بأمر غريب هو اختطاف الصبيان، وقيل: إنها اختطفت عروساً، أو لغروبها أي غيبتها، ومغرب بضم الميم وفتحها اهـ شهاب.

قوله: (كانوا قعوداً) أي: نزولاً حولها أي: البئر كما في عبارة غيره، وقوله: فانهارت أي انخسفت اهـ.

قوله: (أي بين عاد وأصحاب الرس) أفاد أن ذلك إشارة إلى من تقدم ذكرهم وهم جماعات، فلذلك حسن دخول بين عليه، وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك، ويحسب الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول: فذلك كيت وكيت أي: ذلك المحسوب أو المعدود اهـ كرخي.

لكن الشارح فسر الإشارة باثنين من الثلاثة، وغيره فسرها بمجموع الثلاثة، ولعل عذر الشارح أن المدة التي بين عاد وثمود كانت قصيرة لم تسع قروناً كثيرة لأنها كانت مائة سنة فليتأمل.

قوله: ﴿وكلاً﴾ منصوب على الاشتغال بعامل مقدر يلاقي ضربنا في المعنى أي: أنذرنا وخوفنا، كلاً ضربنا له الأمثال أي أنذرناه وخوفناه بضربها اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: وكلاً ضربنا الأمثال أي: بينّا له القصص العجيبة من قصص الأولين إنذاراً وإعذاراً، فلما أصروا أهلكوا كما قال: وكلاً تبرنا تتبيراً، أي: فتتنا تفتيتاً ومنه التبر لفتات الذهب والفضة، وكلاً الأول منصوب بما دل عليه ضربنا كأنذرنا، والثاني بتبرنا لأن فارغ اهـ.

قوله: ﴿الأمثال﴾ أي القصص الغريبة التي تشبه الأمثال في الغرابة اهـ.

إهلاكاً بتكذيبهم أنبياءهم ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ أي مرَّ كفار مكة ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ مصدر ساء أي بالحجارة وهي عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ في سفرهم إلى الشام فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون

قوله: ﴿ولقد أتوا على القرية﴾ الخ أورد على هذا أن أتى يستعمل متعدياً بنفسه أو بإلى، والجواب أنه ضمن معنى مرّ كما أشار له بقوله: مر كفار مكة اهـ.

قوله: (أي مر كفار مكة) أي: في أسفارهم إلى الشام. وقوله: ﴿مطر السوء﴾ مفعول مطلق لأمطرت فهو بمعنى الإمطار، والسوء هنا معناه الحجارة، والإمطار معناه الرمي أي رميت رمي الحجارة أي بالحجارة فقوله: مصدر ساء أي بحسب الأصل اهـ شيخنا.

وفي القاموس: وساء سوءاً بالفتح فعل به ما يكره، والسوء بالضم اسم منه اهـ.

قوله: (وهي عظمى قرى قوم لوط) واسمها سذوم بالذال المعجمة أو المهملة اهـ شيخنا.

ويصح حمل القرية على الجنس كما ذكره أبو السعود ونصه: ولقد أتوا على القرية التي أمطرت أي: أهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط، وكانت خمس قرى ما نجت منها إلاَّ واحدة كان أهلها لا يعملون العمل الخبيث، وأما الباقيات فأهلكها الله تعالى بالحجارة اهـ.

قوله: ﴿يرونها﴾ أي: يرون آثارها وآثار ما حل بأهلها. قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وهو ما بعد النفي أي: ليقروا بأنهم رأوها يعتبروا بها اهـ.

وفي أبي السعود: والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام أي: ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها، أو أكانوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها في مرات مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب، فالمنكر في الأول ترك النظر وعدم الرؤية معاً، والمنكر في الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها اهـ.

قوله: ﴿بل كانوا﴾ الخ إما إضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على أهل القرى من العقوبة، وإما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر إلى التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا يرجون نشوراً﴾ أي: بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة، فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا كما مرت ركابهم، أو لا يؤملون نشوراً كما يؤمله المؤمنون طمعاً في الثواب، أو لا يخافونه على اللغة التهامية اهـ بيضاوي.

وقوله: لا يتوقعون الخ لما كانت حقيقة الرجاء انتظار الخير وما فيه من سرور، وليس النشور خيراً في حق الكفار فلا يتصور نسبة رجاء النشور إلى الكفار حتى يصح نفيها احتيج إلى توجيه قوله لا يرجون نشوراً. فوجه بثلاث توجيهات، أحدها: أن الرجاء مجاز عن التوقع والتوقع يستعمل في الخير والشر. والثاني: أن الرجاء باق على حقيقته. والثالث: أن الرجاء بمعنى الخوف اهـ شهاب.

﴿نُشُورًا ۝٤٠﴾ بعثاً فلا يؤمنون ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ مهزوءاً به يقولون ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝٤١﴾ في دعواه محتقرين له عن الرسالة ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ يصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عنها، قال تعالى ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ عياناً في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٢﴾ أخطأ طريقاً أهم

قوله: ﴿إن يتخذونك﴾ الخ جواب إذا ويرد عليه أنه منفي بإن، والجواب المنفي يجب قرنة بالفاء، ويجاب بأن إذا اختصمت من بين أدوات الشرط بأن جوابها المنفي لا يقترن بالفاء اهـ شيخنا.

وفي السمين: واختصت إذا بأن جوابها إذا كان منفياً بما أو إن أولاً لا يحتاج إلى الفاء بخلاف غيرها من أدوات الشرط اهـ.

قوله: ﴿إلا هزواً﴾ مفعول ثان ليتخذون، وهو خبر في الأصل فلا يصح الحمل هنا إذ لا يقال أنت هزو، فلذلك أوله الشارح باسم المفعول ليصح الحمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أهذا الذي﴾ الخ في محل نصب على الحال من الواو في يتخذونك، لكن على تقدير القول كما قدره الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (في دعواه) متعلق برسولاً أي: رسولاً بحسب دعواه، وإلاّ فهم ينكرون رسالته، وقوله: (محتقرين الخ) أخذه من الإشارة أي: فإشارة القريب هنا للتحقير اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وإخراج بعث الله رسولاً في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الإنكار تهكم واستهزاء، ولولاه لقالوا له: أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولاً اهـ.

وقوله: وإخراج بعث الله الخ لما ورد أن يقال مضمون الصلة يجب أن يكون معلوم الانتساب إلى ذات الموصول عند المتكلم، مع أنه هنا منكر عندهم. أجاب عنه: بأنه مبني على التهكم والاستهزاء اهـ زاده.

قال الشهاب: ولم يلتفت إلى تقدير في زعمه لأن هذا أبلغ مع سلامته من التقدير اهـ.

قوله: ﴿إن كاد﴾ من جملة مقولهم، وقوله: ﴿ليضلنا عن آلهتنا﴾ أي: ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده والدعاء إلى التوحيد، وكثرة ما يورده مما يسبق إلى الذهن أنه حجج ومعجزات لولا أن صبرنا عليها أي ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها اهـ بيضاوي.

قوله: (قال تعالى) أي: رداً عليهم، وسوف يعلمون الخ فهذا جواب لقولهم: إن كاد ليضلنا الخ اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿من أضل سبيلاً﴾ من: اسم استفهام مبتدأ، وأضل خبره، وسبيلاً تمييز، والجملة في محل نصب سادة مسد مفعولي يعلمون المعلق عنها بالاستفهام، وقد أشار الشارح إلى كونها استفهامية بقوله: (أهم أم المؤمنون) اهـ شيخنا.

أم المؤمنون ﴿أَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي مهويه قدم المفعول الثاني لأنه أهم، وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت، والثاني ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ أخطأ طريقاً منها لأنها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون

قوله: (قدم المفعول الثاني الخ) هذا أحد وجهين، والآخر أنه لا تقديم ولا تأخير. وعبارة السمين: إلهه هواه مفعولاً الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير لاستوائهما في التعريف. قال الزمخشري: فإن قلت: لم أخر هواه، والأصل قوله اتخذ الهوى إلهاً؟ قلت: ما هو إلا تقديم للمفعول الثاني على الأول للعناية به، كما تقول: علمت منطلقاً زيداً لفضل عنايتك بالمنطلق. قال الشيخ: وادعاء القلب يعني التقديم ليس بجيد لأنه من ضرورات الإشعار. قلت: وقد تقدم فيه ثلاثة مذاهب، على أن هذا ليس من القلب المذكور في شيء، وإنما هو تقديم وتأخير فقط اهـ سمين.

وفي أبي السعود: وإلهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الأول للاعتناء به، لأن الذي يدور عليه أمر التعجيب، ومن توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد غاب عنه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة أي: أرأيت من جعل هواه إلهاً لنفسه من غير أن يلاحظه، وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية اهـ.

قوله: (وجملة من اتخذ الخ) فيه مسامحة لأن من موصولة وهي مع صلتها من قبيل المفرد، وكأنه نظر لصورة جملة الصلة اهـ شيخنا.

قوله: (لا) أشار به إلى أن الاستفهام للإنكار أي: لا تكون وكيلاً عليه، ففوض أمره إلينا وهذا تأييس من إيمانهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم تحسب أن أكثرهم﴾ الخ أم مقدرة ببل والهمزة فهي منقطعة والهمزة المقدرة بها للاستفهام الإنكاري كما ذكره البيضاوي، ثم قال: وتخصيص الأكثر بالذكر لأنه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكباراً وخوفاً على الرئاسة اهـ.

وضمير أكثرهم لمن باعتبار معناها اهـ شيخنا.

قوله: (سماع تفهم) أي: اعتبار واتعاظ. قوله: ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ أي: في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات، بل هم أضل سبيلاً من الأنعام لأنها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار، ولأنها وإن لم تعتقد حقاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً ولم تكتسب شراً بخلاف هؤلاء، ولأن جهالتها لا تضر بأحد، وجهالة هؤلاء تؤدي إلى تهييج الفتن وصد الناس عن الحق لأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم عليها، وهؤلاء مقصرون ومستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم اهـ بيضاوي.

مولاهم المنعم عليهم ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَىٰ﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ من وقت الأسفار إلى

قوله: ﴿ألم تر إلى ربك﴾ الخ شروع في أدلة محسوسة على توحيده تعالى. وحاصل ما ذكر منها هنا خمسة، الأول: هذا. والثاني قوله: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ [الفرقان: ٤٧]. والثالث قوله: ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾ [الفرقان: ٤٨]. والرابع قوله: ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ [الفرقان: ٥٣]. والخامس قوله: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ [الفرقان: ٥٤] الخ اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿إلم تر إلى ربك﴾ أي: ألم تنظر إلى صنعه ﴿كيف مدَّ الظل﴾ أي: كيف بسطه أو ألم تنظر إلى الظل كيف مده ربك، ولعل توجيه الرؤية إليه سبحانه مع أن المراد تقرير رؤيته عليه السلام لكيفية مد الظل للتنبيه على أن نظره عليه السلام غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع، بل مطمح أنظاره معرفة شؤون الصانع المجيد اهـ أبو السعود.

قوله: (تنظر) أشار به إلى أن الرؤية هنا بصرية لأنها تتعدى بإلى وأن فيه مضافاً مقدراً، لأنه ليس المقصود رؤية ذات الله، وكيف منصوب بمد على الحال أي: ألم تر إلى صنيع ربك مد الظل كيف، أي: على أي حالة أي على وجه بسطه وتوسيعه، أو على وجه قبضه وتقليله وهي معلقة لتر إن لم تكن الجملة أعني جملة مد الظل مستأنفة اهـ شهاب.

وفي الكرخي: قوله: ﴿ألم تر﴾ تنظر أو المعنى ألم تعلم كما اختاره الزجاج، وهذا أولى لأن الظل إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله تعالى في تمديده غير مرئي بالاتفاق، ولكنه معلوم من حيث أن كل مبصر فله مؤثر، فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب أولى من هذا الوجه وهذا الخطاب، وإن كان ظاهره للرسول فهو عام في المعنى، لأن المقصود بيان إنعام الله تعالى بالظل، وجميع المكلفين مشتركون في تنبيههم على هذه النعمة اهـ.

قوله: (من وقت الإسفار الخ) لم نر هذا القول لغيره من المفسرين، والذي ذكروه فيه أقوال ثلاثة: من الفجر إلى الشمس، ومن الغروب إلى طلوع الشمس، ومن طلوع الشمس إلى أن يزول بارتفاعها. وعبارة البحر: هو من وقت الفجر إلى طلوع الشمس هذا قول الجمهور، واعتراض بأنه لا يسمى ظلاً لأنه من بقايا الليل واقع في غير النهار، وقيل: الظل في غيبوبة الشمس إلى طلوعها اهـ.

وعبارة البيضاوي: وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال، فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر، وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر، ولذلك وصف به الجنة فقال: ﴿وظل ممدود﴾ الواقعة: ٣٠] اهـ.

وعبارة أبي السعود: كيف مدَّ الظل أي: كيف أنشأ ظلاً لأي مظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتداً لا أنه تعالى مدّه بعد أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار إلى غروبها، فإن ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بإنشائه تعالى وإحداثه يأباه سياق النظم الكريم. وأما ما قيل من أن المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وأنه أطيب الأوقات، فإن الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع، وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى: ﴿وظل ممدود﴾ [الواقعة: ٣٠] فغير سديد إذ لا ريب في أن المراد تنبيه الناس على عظم قدرة الله عز وجل

وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ مقيماً لا يزول بطلوعِ الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾

وبالغ حكمته فيما يشاهدونه، فلا بد أن يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس، وما ذكر وإن كان في الحقيقة ظلاً للأفق الشرق لكنهم لا يعدونه ظلاً ولا يصفونه بأوصافه المعهودة اهـ.

وفي القرطبي: قال الحسن وقتادة وغيرهما: مد الظل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل: هو من غيبوبة الشمس إلى طلوعها والأول أصح. والدليل على ذلك أنه ليس من ساعة أطيب من تلك الساعة، فإن فيها يجد المريض راحة والمسافر وكل ذي علة، وفيها ترد نفوس الأموات والأرواح منهم إلى الأجساد وتطيب نفوس الأحياء فيها، وهذه الصفة مفقودة بعد المغرب. وقال أبو العالية: نهار الجنة هكذا وأشار إلى ساعة المصلين صلاة الفجر اهـ.

قوله: ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ أي: ثابتاً من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد اهـ بيضاوي.

وقوله: (أي) ثابتاً أي دائماً غير زائل، فإن السكنى الاستقرار، وذلك بأن لا تطلع الشمس أو لا تذهبه وهذا أنسب مما قبله بالامتنان بمد الظل اهـ شهاب.

فالمعنى: ولو شاء لجعله ساكناً أي ثابتاً مستقراً لا يذهب عن وجه الأرض، والمعنى على الثاني ولو شاء لجعله ساكناً لا يتحرك حركة انقباض ولا انبساط اهـ زاده.

قوله: (لا يزول بطلوع الشمس) أي: بأن لا تطلع فلا يزول، فالنفي مسلط على مجموع القيد والمقيد، أو بأن تطلع مسلوبة الضوء على ما تقدم. قوله: ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ أي: جعلنا الشمس ينسخها الظل عند مجيئها دالة على أن الظل شيء لأن الأشياء تعرف بأضدادها، ولولا الشمس ما عرف الظل، ولولا النور ما عرفت الظلمة، فالدليل فعيل بمعنى الفاعل، وقيل: بمعنى المفعول كالقتيل والدهين والخضيب أي: دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به. أي أتبعناها إياه فالشمس دليل أي حجة وبرهان، وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه ولم يؤنث الدليل وهو صفة للشمس لأنه في معنى الاسم كما يقال: الشمس برهان والشمس حق، ثم قبضناه أي الظل الممدود إلينا قبضاً يسيراً، أي يسيراً قبضه علينا، وكلام ربنا عليه يسير فمكث الظل في هذا الجو بمقدار طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضاً وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس فأشرف على الأرض وعلى الأشياء إلى وقت غروبها، وإذا غربت فليس هناك ظل إنما ذلك بقية نور النهار. وقال قوم: قبضه بغروب الشمس لأنها ما لم تغرب فالظل فيه بقية وإنما يتم زواله بمجيء الليل ودخول الظلمة عليه، وقيل: إن هذا القبض وقع بالشمس لأنها إذا طلعت أخذ الظل في الذهاب شيئاً فشيئاً قاله مالك وإبراهيم التيمي. وقيل: ثم قبضناه أي: قبضنا ضياء الشمس بالفيء قبضاً يسيراً. وقيل: يسيراً أي سريعاً قاله الضحاك، وقال قتادة: خفيفاً أي: إذ أغربت الشمس قبض الظل قبضاً خفيفاً كلما قبض جزء منه جعل مكانه جزء من الظلمة وليس يزول دفعة واحدة، فهذا معنى قول قتادة وهو قول مجاهد اهـ.

أي الظل ﴿دَلِيلًا ۝٤٥﴾ فلولا الشمس ما عرف الظل ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ أي الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝٤٦﴾ خفياً بطلوع الشمس ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساتراً كاللباس ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ۝٤٧﴾ منشوراً فيه لابتغاء الرزق وغيره ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وفي قراءة الريح ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي متفرقة قدَّام المطر، وفي قراءة

وثم في الموضعين لتفاضل الأمور أو لتفاضل مبادىء أوقات ظهورها اهـ بيضاوي.

وقوله: وثم في الموضعين الخ لما كانت ثم التراخي الزماني وهو لا يصح هنا إذ ليس المعنى أنه تعالى بعد ذلك المد بزمان متراخ جعل الشمس عليه دليلاً وجب حملها على المجاز بأن تجعل كلمة، ثم استعارة تبعية بأن شبه تفاضل الأمور وتباعد مراتبها بالبعد الزماني، واستعير لفظ المشبه به وهو ثم للمشبه اهـ زاده.

وقوله: لتفاضل الأمور أي: الثلاثة مد الظل، وجعل الشمس عليه دليلاً، وقبضه يسيراً. كان الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما اهـ كشاف.

وقوله: أو لتفاضل مبادىء الخ أي: فالتراخي زماني لكنه باعتبار الابتداء فإن بينه وبين ابتداء ما بعده بعداً زمانياً فبين ابتداء الفجر وطلوع الشمس بعد وكذا ما بعده اهـ كشاف.

قوله: (فلولا الشمس ما عرف الظل) أي: كما أنه لولا النور ما عرفت الظلمة والأشياء تعرف بأضدادها اهـ خازن.

قوله: ﴿قبضاً يسيراً﴾ أي: قليلاً حسبما ترتفع الشمس لتنتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق اهـ بيضاوي.

قوله: (خفياً) في نسخة خفيفاً، وقوله: (بطلوع الشمس) الباء سببية. قوله: (كاللباس) أي: بجامع الستر. قوله: ﴿والنوم سباتاً﴾ من السبت وهو القطع لقطع الأشغال فيه كما أشار له الشارح، وقوله: (راحة) على حذف المضاف أي: سبب راحة اهـ شيخنا.

وفي المصباح: والسبات وزان غراب النوم الثقيل وأصله الراحة. يقال: منه سبت يسبت من باب قتل اهـ.

وفي القاموس: أنه من بابي قتل وضرب، ثم قال: والسبات النوم أو خفيفة أو ابتداؤه في الرأس حتى يبلغ القلب اهـ.

قوله: (بقطع الأعمال) متعلق براحة، والباء سببية. قوله: ﴿نشوراً﴾ أي: ذا نشور أي: انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش اهـ بيضاوي.

والنشور: مصدر من باب قعد كما في المصباح والمختار.

قوله: ﴿أرسل الرياح﴾ أي: المبشرات وهي الصبا والجنوب والشمال، بخلاف الدبور فإنها ريح العذاب التي أهلكت بها عاد اهـ شيخنا.

بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً، وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشرات، ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة نشير ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ مطهراً ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذكره باعتبار المكان ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ أي الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا﴾ إبلاً وبقراً وغنماً ﴿وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ جمع إنسان وأصله أناسين فأبدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع إنسي ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ أي

وفي المصباح: والريح أربع: الشمال وتأتي من ناحية الشام، والجنوب تقابلها وهي الريح اليمانية، والثالثة الصبا وتأتي مطلع الشمس وهي القبول أيضاً، والرابعة الدبور وتأتي من ناحية المغرب، والريح مؤنثة على الأكثر فيقال: هي الريح وقد تذكر على معنى الهواء فيقال: هو الريح وهب الريح نقله أبو زيد. وقال ابن الأنباري: الريح مؤنثة لا علامة فيها وكذلك سائر أسمائها إلا الإعصار فإنه مذكر اهـ.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية الريح أي: وتكون أل للجنس.

قوله: (وفي قراءة بسكون الشين) حاصل ما نبه عليه من القراءات هنا أربع وكلها سبعية، لقوله: (تخفيفاً) أي فالمفرد بحاله وهو نشور كرسول كما يخفف جمع رسول بتسكين السين اهـ شيخنا.

قوله: (ومفرد الأولى) أي: ضم النون والسين ومثلها الثانية كما علمت، وقوله: (والأخيرة) أي ومفرد الأخيرة وسكت عن الثانية لأنه نص فيها على أنه مصدر والمصدر مفرد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأنزلنا من السماء﴾ فيه التفات. قوله: ﴿طهوراً﴾ وصف الماء به إشعاراً بالنعمة وتتميماً للمنة بما بعده، فإن الماء الطهور أهنى وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته، وفيه تنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم أولى بذلك اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿بلدة﴾ أي: أرضاً. قوله: (يستوي فيه المذكر الخ) جواب عما يقال كان الأولى ميتة لتحصل المطابقة بين النعت والمنعوت في التأنيث، وأجاب عنه بقوله: (يستوي فيه الخ). وأجاب بجواب آخر بقوله: (ذكره الخ). وكان الصواب كما قال القاري أن يقول أو ذكره كما لا يخفى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ونسقيه﴾ عطف على نحيي. قوله: ﴿أنعاماً﴾ خصها بالذكر لأنها ذخيرتنا ومدار معاش أكثر أهل المدر، ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها إحياء الأرض فإنها سبب لحياتها وتعيشها، فقدم ما هو سبب حياتهم ومعاشهم اهـ كرخي.

وقوله: ﴿مما خلقنا﴾ حال على القاعدة في تقديم نعت النكرة عليها اهـ شيخنا.

قوله: (وأصله أناسين) كسرحان وسراحين وهذا التوجيه هو مذهب سيبويه وهو الراجح. وقوله: (أو جمع إنسي) هو مذهب الفراء وهو معترض بأن الياء في إنسي للنسب وما هي فيه لا يجمع على فعالى كما قال:

واجعل فعالى لغير ذي نسب

اهـ شيخنا.

الماء ﴿ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ أصله يتذكروا أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف أي نعمة الله به ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾ جحوداً للنعمة حيث قالوا: مطرنا بنوء كذا ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ ﴾ يخوف أهلها ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيراً ليعظم أجرك ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾ في هواهم ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ أي القرآن ﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ أرسلهما متجاورين ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ شديد العذوبة

قوله: ﴿ولقد صرفناه﴾ أي: أجريناه وفرقناه في البلاد المختلفة والأوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما. وقال ابن عباس: ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض، وقرأ هذه الآية وهذا كما روي مرفوعاً عن ابن مسعود يرفعه قال: «ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الأرض فجعل في السماء الدنيا هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ورزق معلوم، وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله عز وجل ذلك إلى غيرهم فما زيد لبعض نقص من غيرهم، وإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك المطر إلى الفيافي والبحار» اهـ خازن.

قوله: (أي نعمة الله به) راجع للقراءتين، وعبارة البيضاوي: ليذكروا وليشكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره، أو ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم اهـ.

قوله: (جحوداً للنعمة) أي: حيث أضافوها لغير خالقها كما يشير له قوله حيث قالوا الخ اهـ شيخنا.

قوله: (مطرنا بنوء كذا) النوء كما في المختار: سقوط نجم من المنازل في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق في ساعته في كل ثلاثة عشر يوماً ما خلا الجبهة، فإن لها أربعة عشر يوماً. وكانت العرب تضيف الأمطار والريح والحر والبرد إلى الساقط منهما، وقيل: إلى الطالع لأنه في سلطانه والجمع أنواء اهـ.

قوله: ﴿لبعثنا في كل قرية﴾ أي: في زمنك ليكون الرسل المبعوثون معاونين لك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نذيراً﴾ أي: نبياً ينذر أهلها فتخف عليك أعباء النبوة، لكن قصرنا الأمور عليك إجلالاً وتعظيماً لشأنك وتفضيلاً لك على سائر الرسل، فقال: بل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فلا تطع الكافرين﴾ أي: فتصبر واثبت ولا تضجر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجاهدهم به﴾ أي: اتل عليهم زواجره ونوادره اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿جهاداً كبيراً﴾ أي: لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أي: خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان. من مرج دابته إذا خلاها اهـ بيضاوي.

وفي المصباح: المرج أرض ذات نبات ومرعى، والجمع مروج مثل فلس وفلوس، ومرجت

﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ أي ستراً ممنوعاً به اختلاطهما ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ من المني إنساناً ﴿فَجَعَلَهُۥ

الدابة مرجاً من باب قتل رعت في المرج، ومزجتها مرجاً أرسلتها ترعى في المرج اهـ.

وفي المختار: وقوله تعالى: ﴿مرج البحرين﴾ أي خلاهما لا يلتبس أحدهما بالآخر اهـ.

قوله: ﴿هذا عذب فرات﴾ إما استئناف أو حال بتقدير مقولاً فيهما، والفرات: الشديد العذوبة من فرته وهو مقلوب رفته إذ كسره لأنه يكسر سورة العطش ويقمعها، كما أشار إليه المصنف بقوله: قامع للعطش من فرط عذوبته اهـ شهاب.

وفي المصباح: والفرات الماء العذب يقال: فرت الماء فروتة وزان سهل سهولة إذا عذب ولا يجمع إلا نادراً على فرتان كغربان اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾. هذه الجملة لا محل لها لأنها مستأنفة جواب سؤال مقدر، كأن قائلاً قال: كيف مرجهما؟ فقيل: هذا عذب وهذا ملح، ويجوز على ضعف أن تكون حالية، والفرات: البالغ في الحلاوة والتاء فيه أصلية لام الكلمة ووزنه فعال، وبعض العرب يقف عليها هاء وهذا كما تقدم لنا في التابوت، ويقال: سمي الماء العذب فراتاً لأنه يفرت العطش أي: يشقه ويقطعه، والأجاج: البالغ في الملوحة، وقيل: في الحرارة، وقيل: في المرارة. وهذا من أحسن المقابلة حيث قال: عذب فرات وملح أجاج اهـ.

قوله: (حاجزاً) أي: حاجزاً خلقياً لا يحس بل بمحض قدرة الله تعالى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وحجراً محجوراً﴾ أي: وتنافراً بليغاً كأن كلاً منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ من المتعوذ منه، وقيل: حداً محدوداً. وذلك كدجلة تدخل البحر الملح فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها اهـ بيضاوي.

وقوله: كأن كلاً منهما الخ أي: فكأن هذا مأخوذ من أن حجراً يقوله المستعيذ لما يخافه، فأشار إلى أنه مراد هنا لكنه مجاز كما في قوله تعالى: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ [الرحمٰن: ٢٠] فانتفاء البغي ثم كالتعوذ هنا فجعل كل منهما في صورة الباغي على صاحبه المستعيذ منه، وهي استعارة تمثيلية كما في تلك الآية. وتقريرها كما في شروح الكشاف: أنه شبه البحران بطائفتين متعاديتين تريد كل منهما البغي على الآخرى، لكنهما امتنعتا من ذلك لمانع قوي فهي مصرحة تمثيلية بولغ فيها حيث جعل المعنى المستعار كاللفظ المقول فانقلبت مصرحة مكنية، ولذا كانت من أحسن الاستعارات، فلما منعا من الاختلاط شبه ذلك المنع بجعلهما قائلين هذا القول، فعبَّر عن ذلك بأنه جعل بينهما هذه الكلمة. وظاهر تقريرهم أنه لا تقدير فيه وقد جعل بعضهم على هذا حجراً محجوراً منصوبين بقول مقدر ولا بعد فيه، وجوز فيه بعضهم أن يكون مجازاً مرسلاً فأطلق حجراً محجوراً على ما يلزمه من التنافر البليغ، وقال: إن كلام المصنف يحتملها اهـ شهاب.

قوله: (أي ستراً) أي: معنوياً. قوله: (من المني) وقيل: المراد بالماء الذي خمرت به طينة آدم

﴿نَسَبًا﴾ ذا نسب ﴿وَصِهْرًا﴾ ذا صهر بأن يتزوج ذكراً كان أو أنثى طلباً للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ قادراً على ما يشاء ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي الكفار ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ معيناً للشيطان بطاعته ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة

عليه السلام وجعله جزءاً من مادة البشر ليجتمع ويتسلسل ويستعد لقبول الأشكال والهيئات بسهولة اهـ أبو السعود.

قوله: (ذا نسب الخ) عبارة البيضاوي: أي: قسمة قسمين ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم، وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن كقوله: ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ [القيامة: ٣٩] قوله: (ذا صهر) أي: قرابة، فإن الصهر بالكسر القرابة كما في القاموس ونصه: والصهر بالكسر القرابة والختن وجمعه أصهار اهـ.

وفي المصباح: الصهر جمعه أصهار. قال الخليل: الصهر أهل بيت المرأة. قال: ومن العرب من يجعل الأحماء والأختان جميعاً أصهاراً. وقال الأزهري: الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات المحارم كالأبوين والإخوة وأولادهم والأعمام والأخوال والخالات، فهؤلاء أصهار زوج المرأة، ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته المحارم فهو أصهار المرأة أيضاً. وقال ابن السكيت: كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمه فهم الأحماء، ومن كان من قبل المرأة فهم الأختان ويجمع الصنفين الأصهار، وصاهرت إليهم ولهم وفيهم صرت لهم صهراً اهـ.

وفي القرطبي: النسب والصهر معنيان يعمان كل قربى تكون بين آدميين اهـ.

قوله: ﴿وكان ربك قديراً﴾ أي: حيث خلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين، وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكراً وأنثى اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ويعبدون من دون الله﴾ الخ لما شرح دلائل التوحيد عاد إلى تقبيح سيرة المشركين في عبادة الأوثان فقال: ويعبدون الخ اهـ زاده.

قوله: ﴿وكان الكافر على ربه﴾ أي: على رسول ربه أو على إطفاء نور ربه اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: وكان الكافر على ربه أي: على عصيان ربه ظهيراً يظاهر الشيطان، أي: يعاونه ويتابعه بالعداوة والشرك. والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل، وقيل: هيناً مهيناً لا وقع له عند الله من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله: ﴿ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم﴾ [آل عمران: ٧٧] اهـ.

قوله: (بطاعته) أي: بسببها، أي بسبب طاعته له.

قوله: ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ لما بين أنه أرسل رسوله إلى كافة الخلق وقصر الأمر عليه إجلالاً له بين أنه على أي حالة أرسله فقال: وما أرسلناك الخ اهـ زاده.

وعبارة الشهاب أي: وما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك مبشراً ونذيراً فلا تحزن على عدم إيمانهم، واقتصر على صيغة المبالغة في الإنذار لتخصيصه بالكافرين إذ الكلام فيهم والإنذار

﴿وَنَذِيرًا ۝٥٦﴾ مخوفاً من النار ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على تبليغ ما أرسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٥٧﴾ طريقاً بإنفاق ماله في مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ﴾ متلبساً ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي قل سبحان الله والحمد لله ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ عالماً تعلق به بذنوب هو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من

الكامل لهم، ولو قيل: إن المبالغة باعتبار الكم لشموله للعصاة جاز اهـ باختصار.

قوله: (على تبليغ ما أرسلت به) أي: المفهوم من أرسلناك.

قوله: (لكن) ﴿من شاء﴾ الخ أي: فالاستثناء منقطع والاستدراك باعتبار أن المراد من شاء أن يتخذ سبيلاً بالإنفاق القائم مقام الأجر كالصدقة والنفقة في سبيل الله لا مطلقاً ليناسب الاستدراك اهـ شهاب.

وعبارة زاده: وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعاً يكون المعنى لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي لكن من شاء انفاقها لوجه الله فليفعل اهـ.

قوله: (فلا أمنعه من ذلك) أي: من اتخاذ السبيل.

قوله: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ أي: في استكفاء شرورهم والاستغناء عن أجورهم، فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون، فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم اهـ بيضاوي.

وأشار بقوله: في استكفاء شرورهم الخ إلى أن الآية متصلة بقوله: ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾، وقوله: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر﴾، فإنه لما بين أن الكفار متظاهرون على إيذائه وأمره بأن لا يطلب منهم أجراً البتة أمره بأن يتوكل عليه في دفع جميع المضار وفي جلب المنافع اهـ زاده.

والتوكل: واعتماد القلب على الله تعالى في الأمور والأسباب وسائط أمر بها من غير اعتماد عليها اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وسبح بحمده﴾ أي: نزهه عن صفات النقصان مثنياً عليه بأوصاف الكمال طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابغه اهـ بيضاوي.

قوله: (عالماً) أي: فلا لوم عليك أن آمنوا أو كفروا اهـ بيضاوي.

قوله: (تعلق به) أي: بخبير أي: وقدم عليه لرعاية الفاصلة.

قوله: ﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ الخ لعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقاً بأن يتوكل عليه من حيث إنه الخالق للكل والمتصرف فيه، وتحريض على الثبات والتأني في الأمر، فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره في كل مراد خلق الأشياء على تؤدة وتدرج اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿في ستة أيام﴾ أي فخلق الأرض في يومين الأحد والاثنين، وما بينهما في يومين الثلاثاء والأربعاء، والسموات في يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة اهـ شيخنا.

أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة سرير الملك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بدل من ضمير استوى أي استواء يليق به ﴿فَسْـَٔلْ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِۦ﴾ بالرحمن ﴿خَبِيرًا ۝٥٩﴾ يخبرك بصفاته ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لكفار مكة ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالفوقانية والتحتانية،

قوله: (لأنه لم يكن ثم شمس) أي: واليوم والزمن الذي بين طلوعها وغروبها اهـ شيخنا.

قوله: (والعدول عنه) أي: عن خلقها في لمحة، وقوله: (التثبت) أي التأني في الأمور اهـ.

قوله: (هو في اللغة سرير الملك) أي: والمراد به هنا الجسم العظيم المحيط بالعالم الكائن فوق السموات السبع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الرحمن﴾ من قرأ الرحمن بالرفع ففيه أوجه، أحدها: أنه خبر الذي خلق، أو يكون خبر مبتدأ مضمر أي هو الرحمن، أو يكون بدلاً من الضمير في استوى، أو يكون مبتدأ وخبره الجملة من قوله: ﴿فاسأل به خبيراً﴾ على رأي الأخفش، أو يكون صفة للذي خلق إذا قلنا إنه مرفوع. وأما على قراءة زيد بن علي بالجر فيتعين أن يكون نعتاً اهـ سمين.

قوله: (أي استواء يليق به) هذا إشارة لمذهب السلف، وعلى مذهب الخلف يفسر الاستواء بالاستيلاء عليه بالتصرف فيه وفي سائر المخلوقات، وثم للترتيب الإخباري الذكري وليست للترتيب الزماني، فإن استيلاءه تعالى على العرش بالقهر والتصرف سابق على خلق السموات والأرض. قوله: ﴿فاسأل به خبيراً﴾ به متعلق بخبيراً وقدم عليه لرعاية الفاصلة، أو هو متعلق باسأل أي: اسأل عنه خبيراً أي: عالماً بصفاته اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: فاسأل به أي بتفاصيل ما ذكر إجمالاً من الخلق والاستهزاء لا بنفسهما فقط، إذ بعد بيانهما لا يبقى إلى السؤال حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة، فإنها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسؤول أمراً خطيراً مهتماً بشأنه غير حاصل للسائل. وظاهر أن نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك، وما قيل من أن التقدير إن شككت فيه فاسأل به خبيراً على أن الخطاب له ﷺ، والمراد غيره فهو بمعزل من السداد، بل التقدير إن شئت تحقيق ما ذكر أو تفصيل ما ذكر فاسأل معتنياً به خبيراً عظيم الشأن محيطاً بظواهر الأمور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الأمر، وقيل: فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ إلى ما ذكرنا، وقيل: الضمير للرحمن، والمعنى أن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم، وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبره اهـ.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ أي: قالوه لما أنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى، أو لأنهم ظنوا أن المراد به غيره تعالى، ولذلك قالوا: أنسجد لما تأمرنا أي: للذي تأمرنا بالسجود له، أو لأمرك إيانا بالسجود من غير أن نعرف أن المسجود له ماذا. وقيل: لأن كان معرباً لم يسمعوه، وقرىء يأمرنا بياء الغيبة على أنه قول بعضهم لبعض اهـ أبو السعود.

والآمر محمد ولا نعرفه؟ لا ﴿وَزَادَهُمْ﴾ هذا القول لهم ﴿نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ عن الإيمان. قال تعالى ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس

قوله: (والآمر محمد) أي: على كل من التحتانية والفوقانية، وقوله: (ولا نعرفه) حال من ما في قوله لما تأمرنا ولو ذكره بجنبه كغيره لكان أوضح، وقوله: (لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بروجاً﴾ أي: منازل الكواكب السبعة السيارة وأصل البروج القصور العالية سميت هذه المنازل بروجاً لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة التي هي القصور لسكانها اهـ أبو السعود وخازن.

وعن الزجاج: أن البرج كل مرتفع فلا حاجة إلى التشبيه أو النقل اهـ شهاب.

قوله: (اثني عشر) قد نظمها بعضهم في قوله:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس الجدي نزح الدلو بركة الحيتان

اهـ شيخنا.

قوله: (الحمل) ويسمى أيضاً بالكبش، وقوله: (والأسد) ويسمى أيضاً بالليث كما تقدم في النظم، وقوله: (والدلو) ويسمى أيضاً بالدالي اهـ شيخنا.

قوله: (وهي منازل الكواكب السبعة) أي: محالها التي تسير فيها، وقد نظم بعضهم هذه السبعة بقوله:

زحل شرى مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد الاقمار

فزحل، نجم في السماء السابعة، والمشتري نجم في السماء السادسة، والمريخ نجم في السماء الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، وعطارد في الثانية، والقمر في الأولى اهـ شيخنا.

قوله: (المريخ) بكسر الميم كما في المختار وهو بالجر بدل من الكواكب، وهو نجم في السماء الخامسة كما علمت وقوله: (وله) أي من البروج المذكورة الحمل والعقرب. وحاصل ما ذكره أن خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشرة بروج كل واحد أخذ اثنين، وأن اثنين من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما أخذ واحداً من البروج المذكورة اهـ شيخنا.

قوله: (والزهرة) بفتح الهاء كما في المختار. قوله: (وعطارد) ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع وهو معطوف على المريخ وهو بضم العين ويصرف ويمنع من الصرف كما في القاموس. قوله:

والحوت، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضاً ﴿سِرَاجًا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ وفي قراءة سرجاً بالجمع أي نيرات، وخص القمر منها لنوع فضيلة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي يخلف كل منهما الآخر ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف كما تقدم ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ أي شكراً لنعمة ربه عليه فيهما ﴿وَعِبَادُ

(والمشتري) معطوف على المريخ فهو مجرور، وقوله: (وزحل) بمعنى الصرف للعلمية والعدل كعمر وهو معطوف على المريخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجعل فيها﴾ أي: في السماء كما أشار له بقوله أيضاً، وإن كان يصح رجوع الضمير للبروج اهـ شيخنا.

قوله: (أي نيرات) نعت لمحذوف أي: كواكب كباراً نيرات أي: مضيئات وهي السبع السيارة فدخل فيها القمر، فلذلك اعتذر عن عطفه بقوله: (وخص الخ)، وقوله: (لنوع فضيلة) أي: عند العرب لأنها تبني السنة على الشهور القمرية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿خلفة﴾ أي: ذوي خلفة أي: يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه، وهي اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس اهـ أبو السعود.

ومثله البيضاوي: وقوله: أي: ذوي خلفة. يعني: أن الخلفة مصدر مبين للنوع فلا يصلح أن يكون مفعولاً ثانياً لجعل إن كان بمعنى صير، ولا حالاً من مفعوله إن كان بمعنى خلف مع أنه لا يخلو عنهما فلا بد من تقدير المضاف، وخلفة يكون بمعنى كان خليفته وبمعنى جاء بعده اهـ زاده.

وفي القرطبي: قال أبو عبيدة: الخلفة كل شيء بعد شيء، فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه، ويقال للمبطون أصابه خلفة أي قيام وقعود يخلف هذا ذاك، ومنه خلفة النبات وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصعيد. وقال مجاهد: خلفة من الخلاف هذا أبيض وذاك أسود والأول أقوى، وقيل: يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان، وقيل: هو من باب حذف المضاف أي: جعل الليل والنهار ذوي خلفة أي: اختلاف لمن أراد أن يذكر أي: يتذكر فيعلم أن الله لم يجعلهما كذلك عبثاً فيعتبر في مصنوعات الله تعالى ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم. وقال عمر بن الخطاب، وابن عباس، والحسن: معناه من فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل اهـ.

قوله: ﴿أن يذكر﴾ مفعوله محذوف على كل من القراءتين قدره بقوله: (ما فاته الخ). قوله: (كما تقدم) أي: في قوله: ولقد صرفناه بينهم ليذكروا. قوله: ﴿أو أراد شكوراً﴾ أو للتقسيم والتنويع وهي مانعة خلو فتجوز الجمع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وعباد الرحمن﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خلص عباد الرحمة وأحوالهم الدنيوية والأخروية بعد بيان حال المنافقين، وإضافتهم إليه للتشريف اهـ أبو السعود.

وإلاّ فكل المخلوقات عباد الله اهـ شيخنا.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مبتدأ وما بعده صفات له إلى: أولئك يجزون غير المعترض فيه ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ أي قولاً يسلمون فيه من الإثم ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾﴾ بمعنى قائمين

قوله: (وما بعده) أي: من الموصولات الثمانية التي أولها الذين يمشون، وآخرها ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ [الفرقان: ٧٤] وقوله: (إلى أولئك الخ) أي: وأولئك هو الخبر كما سيذكره هناك بقوله: وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدأ، أو بعضهم جعل الخبر الذين يمشون على الأرض وما عطف عليه اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وعباد الرحمن﴾ رفع بالابتداء، وفي خبره وجهان، أحدهما: الجملة الأخيرة في آخر السورة أي: قوله أولئك يجزون الغرفة، وبه بدأ الزمخشري والذين يمشون وما بعده صفات للمبتدأ. والثاني: أن الخبر الذين يمشون اهـ.

قوله: (غير المعترض فيه) أي: فيما بعده، والمعترض هو قوله: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾ إلى قوله: ﴿متاباً﴾ وهو ثلاث آيات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هوناً﴾ مصدر من باب قال كما في المختار.

قوله: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ أي: السفهاء. وقوله: بما يكرهونه متعلق بخطابهم قالوا سلاماً أي: إذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلماً منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر، وقيل: سداد من القول يسلمون به من الأذية والإثم، وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن أبي العالية اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: وعن أبي العالية: نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ادعاء النسخ بآية القتال ولا غيرها، لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة أسلم للعرض والورع اهـ.

أي: فالمراد هنا الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: قال النحاس: ولا نعلم لسيبويه كلاماً في معنى الناسخ والمنسوخ إلا في هذه الآية. قال سيبويه: لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على الكفار لكنه على معنى قوله: سلمنا منكم ولا خير بيننا وبينكم ولا شر. وقال المبرد: كان ينبغي أن يقول: لم يؤمر المسلمون يومئذ بحربهم ثم أمروا بحربهم، وقال محمد بن يزيد: أخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة، وقال ابن العربي: لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين ولا نهوا عن ذلك، بل أمروا بالصفح والهجر الجميل، وقد كان عليه الصلاة والسلام يقف على أنديتهم ويحييهم ويدانيهم ولا يداهنهم اهـ.

قوله: ﴿والذين يبيتون لربهم﴾ الخ بيان لحالهم في معاملة الخالق بعد بيان حالهم في معاملة الخلق اهـ شيخنا.

وتخصيص البيتوتة لأن العبادة بالليل أحمد وأبعد عن الرياء وتأخير القيام للفاصلة اهـ بيضاوي.

أي يصلون بالليل ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ أي لازماً ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ ﴾ بئست ﴿ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ هي، أي موضع استقرار وإقامة ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ ﴾

قوله: ﴿سجداً﴾ خبر يبيتون ويضعف أن تكون تامة أي: يدخلون في البيات، وسجداً حال، ولربهم متعلق بسجداً، وقدم السجود على القيام وإن كان بعده في الفعل لاتفاق الفواصل، وسجداً: جمع ساجد كضرب في ضارب اهـ سمين.

وقيام جمع قائم كصيام جمع صائم، وقد أشار له بقوله: (بمعنى قائمين) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين يقولون﴾ الخ أي: فهم مع حسن معاملتهم لخالقهم وخلقه لا يأمنون مكر الله، بل هم وجلون خائفون من عذابه يقولون في دعائهم ﴿ربنا اصرف عنا﴾ الخ. قوله: ﴿إن عذابها الخ﴾ تعليل لقولهم: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم، وكذا قوله: ﴿إنها ساءت﴾ الخ: وحذف العاطف بينهما فالجملتان من جملة مقولهم فهما في محل نصب، وقوله: ﴿كان غراماً﴾ أي: في علمه تعالى، وقوله: أي: لازماً أي: لزوماً كلياً في حق الكفار ولزوماً بعده إطلاق إلى الجنة في حق عصاة المؤمنين اهـ شيخنا.

وفي المختار: الغرام الشر الدائم والعذاب، وقوله تعالى: ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ أي: هلاكاً لازماً اهـ.

قوله: ﴿إنها ساءت﴾ الفاعل ضمير مستتر مبهم يفسره التمييز الذكور، والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله: (هي): وهو العائد على اسم إن فهو الرابط اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿إنها ساءت﴾ يجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت فتكون متصرفة ناصبة للمفعول، وهو هنا محذوف أي: أنها أي جهنم أحزنت أصحابها وداخليها، ومستقراً يجوز أن يكون تمييزاً وأن يكون حالاً، ويجوز أن يكون ساءت بمعنى بئست فتعطى حكمها ويكون المخصوص محذوفاً، وفي ساءت ضمير مبهم، ومستقراً يتعين أن يكون تمييزاً أي: ساءت هي هي، فهي الثاني مخصوص وهو الرابط بين هذه الجملة وبين ما وقعت خبراً عنه وهو كذا قدره الشيخ. وقال أبو البقاء: ومستقراً تمييز، وساءت بمعنى بئس، فإن قيل: يلزم من هذه إشكال وذلك أنه لزم تأنيث فعل الفاعل المذكر من غير مسوغ لذلك، فإن الفاعل في ساءت على هذا يكون ضميراً عائداً على ما بعده وهو مستقراً ومقاماً، وهما مذكران فمن أين جاء التأنيث؟ والجواب: أن المستقر عبارة عن جهنم فلذلك جاز تأنيث فعله اهـ.

قوله: ﴿مستقراً ومقاماً﴾ قال بعضهم: هما بمعنى وهو الذي يشير له صنيع الشارح، وقال بعضهم: مستقر العصاة المؤمنين ومقاماً للكافرين اهـ شيخنا.

وفي السمين: ومستقراً ومقاماً قيل مترادفان وعطف أحدهما على الآخر لاختلاف لفظيهما، وقيل: بل هما مختلفاً المعنى، فالمستقر للعصاة فإنهم يخرجون والمقام للكفار فإنهم يخلدون اهـ.

على عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ بفتح أوله وضمه أي يضيقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ وسطاً ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي واحداً من الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ أي عقوبة ﴿يُضَاعَفْ﴾ وفي قراءة يضعف بالتشديد ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ بجزم الفعلين بدلاً وبرفعهما استئنافاً ﴿مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ حال ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ منهم

قوله: (بفتح أوله) أي: مع كسر التاء وضمها، وقوله: (وضمه) أي: مع كسر التاء لا غير، فالقراءات ثلاث والقاف على كل ساكنة اهـ شيخنا.

وفي المختار: وقتر على عياله، أي: ضيق عليهم في النفقة وبابه ضرب ودخل وقتر تقتيراً وأقتر أيضاً ثلاث لغات اهـ.

قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله﴾ الخ شروع في بيان اجتنابهم للمعاصي بعد بيان إتيانهم بالطاعات اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿التي حرم الله إلا بالحق﴾ أي: لا يقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها اهـ أبو السعود.

فقوله: ﴿إلا بالحق﴾ راجع لقوله: ﴿ولا يقتلون النفس﴾. قوله: (أي واحداً من الثلاثة) في نسخة أي: ما ذكر من الثلاثة وهي أنسب بقوله: ﴿يضاعف له العذاب﴾ إذ مضاعفته إنما تناسب جميع الثلاثة لا واحداً منهما اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ومعنى الآية ومن يفعل شيئاً من ذلك يلق أثاماً الخ قيل: وسبب تضعيف العذاب أن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك تضاعفت له العقوبة على شركه وعلى معاصيه اهـ.

قوله: ﴿يلق أثاماً﴾ الأثام: كالوبال والنكال وزناً ومعنى جزاء الإثم الذي هو الذنب نفسه، ولذلك فسره الشارح بالعقوبة. وفي المختار: أثمه الله في كذا بالقصر يأثمه ويأثمه بضم الثاء وكسرها أثاماً عده عليه إثماً فهو مأثوم، وقال الفراء: أثمه الله يأثمه أثاماً جازاه جزاء الإثم فهو مأثوم أي: مجزي جزاء الإثم اهـ.

قوله: (وفي قراءة يضعف بالتشديد) وكل من القراءتين يجيء مع جزم الفعل ورفعه، فالقراءات أربع وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: (بجزم الفعلين بدلاً) أي: بدل اشتمال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مهاناً﴾ أي: ذليلاً محتقراً جامعاً للعذاب الجسماني والروحاني اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إلا من تاب﴾ استثناء متصل إلى الضمير المستتر في يلق أي: إلا من تاب فهو يلق الأثام، بل يزاد له في الإكرام بتبديل سيئاته حسنات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وعمل عملاً صالحاً﴾ (منهم) الضمير المجرور عائد على من باعتبار معناه اهـ شيخنا.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ المذكورة ﴿ حَسَنَٰتٍۗ ﴾ في الآخرة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿ وَمَن تَابَ ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ أي يرجع إليه رجوعاً فيجازيه خيراً ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي الكذب والباطل ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ

قوله: ﴿فأولئك﴾ الخ الإشارة إلى الموصول وهو من والجمع باعتبار معناه وهو له يبدل الله الخ، بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم، أو يبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكة الطاعة بأن يزيل الأولى ويأتي بالثانية مكانها، وقيل: يبدل بالشرك إيماناً وبقتل المؤمن قتل المشرك وبالزنا عفة وإحصاناً اهـ أبو السعود.

فعلى هذا يكون التبديل في الدنيا. وفي القرطبي: قال النحاس: من أحسن ما قيل في التبديل أنه يكتب موضع كافر مؤمن وموضع عاص مطيع. وقال مجاهد، والضحاك: أي يبدلهم الله عن الشرك الإيمان. وروي نحوه عن الحسن، قال الحسن: وقوم يقولون التبديل في الآخرة وليس كذلك إنما التبديل في الدنيا يبدلهم الله إيماناً من الشرك، وإخلاصاً من الشك، وإحصاناً من الفجور. وقيل: التبديل عبارة عن الغفران أي: يغفر الله لهم تلك السيئات لا أنه يبدلها حسنات. قلت: ولا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحت توبة العد أن يضع مكان كل سيئة حسنة، وقد قال ﷺ لمعاذ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» اهـ.

قوله: ﴿سيئاتهم﴾ (المذكورة) وهي ثلاثة. قوله: (بذلك) أي: المذكور من المغفرة والرحمة. قوله: ﴿ومن تاب﴾ أي: عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحاً يتلافى به ما فرط، فإنه يتوب إلى الله يرجع إلى الله بذلك متاباً مرضياً عند الله ماحياً للعقاب محصلاً للثواب، أو يتوب متاباً إلى الله الذي يحب التائبين ويحسن إليهم، أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسناً، وهذا تعميم بعض تخصيص اهـ بيضاوي.

ولما توهم اتحاد الشرط والجزاء أشار إلى توجيهه بوجوه حاصلها أن الجزاء فيه معنى زائد على ما في الشرط، وذلك المعنى مستفاد من قوله متاباً، ومن تنكيره بعد تقييد ناصبه بكونه رجوعاً إلى الله، فإن الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي، والجزاء هو الرجوع إلى الله أو مستفاد من لفظ الجلالة في قوله: ﴿يتوب إلى الله﴾ فإن الله لما كان يحب التائبين ويحسن إليهم كان قوله: ﴿فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾ في قوة أن يقول يتوب إلى من يحب التائبين ويحسن إليهم، فكأنه قيل: من تاب عن المعاصي إلى الطاعة في الدنيا فإن تلك التوبة منه في الحقيقة توبة إلى الله، أو مستفاد من لفظ المضارع بأن يراد بقوله: يتوب الرجوع إلى ثوابه في الآخرة بخلاف الوجهين الأولين، إذ ليس المراد به فيهما الرجوع في الآخرة. اهـ زاده.

قوله: (غير من ذكر) أشار بذلك إلى أن العطف للمغايرة وبعضهم لم يقيد بهذا القيد وجعله من عطف العام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ إما بمعنى لا يحضرون، فيكون الزور مفعولاً به، وإما بمعنى الشهادة المعلومة فيكون الزور منصوباً بنزع الخافض أي: بالزور اهـ شيخنا.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ معرضين عنه ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾ يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ بالجمع والإفراد ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لنا بأن

وعبارة أبي السعود: والذين لا يشهدون الزور أي: لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل مشاركة فيه اهـ.

قوله: ﴿وإذا مرّوا باللّغو﴾ أي: مروا على سبيل الإنفاق من غير قصد اهـ شيخنا.

قوله: (وغيره) أي: غير الكلام القبيح وهو الفعل القبيح فهو معطوف على الكلام القبيح، فيكون قد بين اللغو بشيئين الكلام القبيح والفعل القبيح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مروا كراماً﴾ أي: مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه اهـ أبو السعود.

وذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لم يخروا عليها﴾ الخ النفي متوجه للقيد فقط وهو قوله صماً وعمياناً بدليل قوله: (بل خروا سامعين الخ). وقوله: سامعين في مقابلة صماً، وناظرين في مقابلة عمياناً، ومنتفعين حال من كل من سامعين وناظرين اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: لم يخروا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر، بل أكبوا عليها سامعين بأذن واعية مبصرين بعيون راعية، فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك: لا يلقاني زيد مسلماً اهـ.

قوله: (بل خروا سامعين الخ) عبارة أبي السعود: بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية وإنما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضاً بما يفعله الكفرة والمنافقون اهـ.

وخر من باب ضرب كما في المصباح. وفي القرطبي: والذين إذا ذكروا بآيات ربهم أي: إذا قرىء عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع، وقال: لم يخروا وليس هناك خرور كما تقول: قعد يبكي وليس هناك قعود قاله الطبري واختاره. قال ابن عطية: وهو أن يخروا صماً وعمياناً صفة للكفار وهو عبارة عن إعراضهم، وقرر ذلك بقولهم: قعد فلان يشتمني وقام فلان يبكي وأنت لم تقصد الإخبار بقيام ولا قعود، وإنما هي توطئات في الكلام والعبارة. قال ابن عطية: فكأن المستمع للذكر مقيم قناته قويم الأمر، فإذا أعرض وضل كان ذلك خروراً وهو السقوط على غير نظام وترتيب، وقيل: إذا تليت عليهم آيات الرحمن وجلت قلوبهم فخروا سجداً وبكياً ولم يخروا عليها صماً وعمياناً. وقال الفراء: أي: لم يقعدوا على حالهم الأول كأن لم يسمعوا اهـ.

قوله: ﴿من أزواجنا﴾ يجوز أن تكون لابتداء الغاية وأن تكون للبيان قاله الزمخشري، وجعله من التجريد أي: اجعل لنا قرة أعين من أزواجنا اهـ سمين.

نراهم مطيعين لك ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ في الخير ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء ﴿فِيهَا﴾ في الغرفة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ من الملائكة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾

قوله: (بالجمع والإفراد) سبعيتان. قوله: ﴿قرة أعين﴾ قرة العين سرورها، والمراد به ما يحصل به السرور اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ أي: اجعلنا بحيث يقتدون بنا في إقامة مواسم الدين بإفاضة العلم علينا والتوفيق للعمل الصالح اهـ أبو السعود.

ولفظ إمام يستوي فيه الجمع وغيره فالمطابقة حاصلة اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وتوحيد إماماً لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله: ﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾ [غافر: ٦٧] أو لأنه مصدر في أصله، أو لأن المراد واجعل كل واحد منا إماماً أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم، وقيل: جمع آثم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اهـ.

قوله: ﴿أولئك يجزون﴾ الخ إشارة إلى المتصفين بما فصل في حيز الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به، وفيه دليل على أنهم متميزون بذلك أكمل تمييز ومنتظمون في سلك الأمور المشاهدة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الغرفة﴾ اسم جنس أريد به الجمع لقوله: ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ [سبأ: ٣٧] اهـ أبو السعود.

وقوله: (الدرجة العليا في الجنة) عبارة القرطبي: والغرفة: الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها، كما أن الغرفة أعلى مساكن حكاه ابن شجرة. وقال الضحاك: الغرفة الجنة. اهـ.

قوله: ﴿بما صبروا﴾ (على طاعة الله) عبارة البيضاوي: بصبرهم على المشاق في الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات اهـ.

والباء: سببية أي: سبب صبرهم.

قوله: ﴿ويلقون﴾ (بالتشديد) ومعناه يعطون كما في قوله تعالى: ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾ [الإنسان: ١١] حيث فسره الجلال هناك بقوله: أعطاهم. وقوله: والتخفيف ومعناه يجدون ويصادفون. ففي المصباح: لقيته ألقاه من باب تعب لقياً، والأصل على فعول ولقي بالضم مع القصر ولقا بالكسر مع المد والقصر، وكل شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه اهـ.

قوله: ﴿تحية وسلاماً﴾ (من الملائكة) لقوله تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ [الرعد: ٢٣] ويمكن أن يكون من الله لقوله تعالى ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يس: ٥٨] فلا يقال جمع بين التحية والسلام مع أنهما بمعنى لقوله تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ [الأحزاب: ٤٤] ولخبر تحية أهل الجنة السلام، لأن المراد هنا بالتحية سلام بعضهم على بعض أو المراد بالتحية إكرام الله تعالى لهم بالهدايا والتحف وبالسلام سلامه عليهم بالقول، ولو سلم أنهما

موضع إقامة لهم، وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدأ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿مَا﴾نافية ﴿يَعْبَؤُا﴾ يكترث ﴿بِكُرْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي

بمعنى كما هو قضية كلام الشيخ لساغ الجمع بينهما لاختلافهما لفظاً كما مرَّ نظيره اهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: أي: تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات اهـ.

وفي البيضاوي: تحية وسلاماً أي: دعاء بالتعمير والسلامة أي: تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضاً، ويسلم عليه أو تبقية دائمة وسلامة من كل آفة اهـ.

وقوله: أي: دعاء بالتعمير الخ تفسير لتحية وسلاماً أي: أن التحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة اهـ زكريا.

وعبارة الشهاب: قوله: دعاء بالتعمير أي طول العمر والبقاء لأن التحية أصل معناها قول حياك الله وأبقاك وهي مشتقة من الحياة كما أشاء إليه، والمراد من الدعاء به التكريم وإلقاء السرور وإلاَّ فهو متحقق لهم اهـ.

﴿خالدين فيها﴾ أي: لا يموتون فيها ولا يخرجون اهـ بيضاوي.

قوله: (وأولئك) أي: الواقع مبتدأ وما بعده أي: خبره وهو قوله: ﴿يجزون﴾ الخ. أي: الجملة خبر عباد الرحمن الواقع مبتدأ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي﴾ لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم رفع الدرجات، أتبع ذلك ببيان أنه إنما اكترث بأولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم لأجل عبادتهم، فأمر رسوله بأن يقول لهم إن الاكتراث بهم عند ربهم إنما هو لأجل عبادتهم وحدها، لا لمعنى آخر. ولولا عبادتهم لم يكترث بهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئاً يبالي به اهـ كشاف.

وقال زاده: أي: أن مبالاة الله واعتناءه بشأنهم حيث خلق السموات والأرض وما بينهما إرادة للانتظام إنما هو ليعرفوا حق المنعم ويطيعوه فيما كلفهم به اهـ.

وفي أبي السعود: قل ما يعبأ بكم أمر رسوله ﷺ بأن يبين للناس أن الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون، إنما نالوها بما عدد من محاسنهم، ولولاها لم يعتد بهم أصلاً. أي: قل لهم كافة مشافهاً لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم أي: أي عبء يعبأ بكم، وأي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مرَّ تفصيله، فإن ما خلق له الإنسان معرفته تعالى وطاعته، وإلاَّ فهو وسائر البهائم سواء. وقال الزجاج: معناه: أي وزن يكون لكم عنده، وقيل: معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام، وقيل: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة، ويجوز أن تكون ما نافية اهـ.

قوله: ﴿لولا دعاؤكم﴾ (إياه) أشار به إلى أن المصدر مضاف لفاعله. قوله: ﴿فسوف يكون﴾ (العذاب) أي: الذي يدل عليه فقد كذبتم، فعلى هذا الضمير راجع للتكذيب على حذف المضاف أي: فسوف يكون تكذيبكم أي: جزاؤه لزاماً اهـ شيخنا.

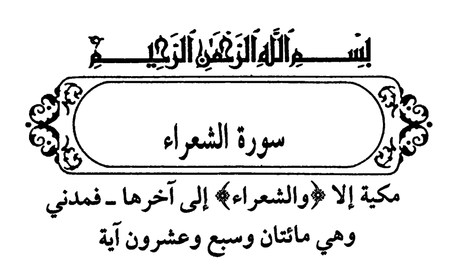
فكيف يعبأ بكم وقد ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامَا ۝٧٧﴾ ملازماً لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا فقتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب لولا دلّ عليه ما قبلها.

قوله: ﴿لزاماً﴾ مصدر لازم كقاتل قتالاً، والمراد به هنا اسم الفاعل، ولذلك قال ملازماً لكم اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ هذا تهديد لهم أي: يكون تكذيبكم لزاماً. قال ابن عباس: موتاً، وقيل: هلاكاً، وقيل: وبالاً. والمعنى يكون التكذيب لازماً لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله، وقيل: معناه عذاباً دائماً وهلاكاً لازماً يلحق بعضكم بعضاً. وقيل: يوم بدر قتل سبعون وأسر سبعون، وهو قول عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، يعني أنهم قتلوا يوم بدر واتصل به عذاب الآخرة لازماً لهم. روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال: خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر، وفي رواية: الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام اهـ.

وقوله: خمس أي: خمس علامات دالة على قيام الساعة قد مضين أي: وقعن. الدخان أي: المذكور قوله تعالى: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ [الدخان: ١٠] وعلى هذا فالمراد به شيء يشبه الدخان، وذلك أنه لما نزل بهم الجوع صار الواحد يرى كأنه بينه وبين السماء دخاناً. والقمر أي: في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر: ١] والروم أي: في قوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم﴾ [الروم: ٢] والبطشة أي: في قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ [الدخان: ١٦] وهي القتل يوم بدر، واللزام أي: في قوله تعالى: ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ وقد عرفت أن ابن مسعود يقول: اللزام هو يوم بدر، وحينئذ فيكون مكرراً مع البطشة، ويكون المعدود أربعة فقط. وأجيب: بأن المراد باللزام الأسر يوم بدر، وبالبطشة القتل يوم بدر فليتأمل. قوله: (دل عليه ما قبلها) وهو قوله: ﴿ما يعبأ بكم ربي﴾، والتقدير: لولا دعاؤكم ما عبأ بكم أي: ما اكترث بكم، وهذا الجواب منفي، ولولا تفيد انتفاءه فينحل المعنى إلى أنه تعالى اكترث بهم بدفع الشدائد عنهم بسبب دعائهم، وانظر على هذا ما موقع قوله: ﴿فقد كذبتم﴾ خصوصاً على حل الشارح بقوله: (أي فكيف يعبأ بكم) الظاهر منه أنه لم يعبأ بهم لأجل تكذيبهم فتأمل اهـ شيخنا.

وفي المختار: وما عبأ به أي ما بالى وبابه قطع اهـ.



مكية إلا ﴿والشعراء﴾ إلى آخرها ـ فمدني
وهي مائتان وسبع وعشرون آية

﴿طسٓمٓ ①﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من ﴿ٱلْمُبِينِ ②﴾ المظهر الحق من الباطل ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

عن ابن عباس: قال النبي ﷺ: «أعطيت السورة التي تذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة». وعن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المص مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي» اهـ قرطبي.

قوله: (إلا والشعراء إلى آخرها) وجملته أربع آيات.

قوله: ﴿طسم﴾ تكتب متصلة بعضها ببعض كما في أكثر المصاحف، وفي بعضها كتابتها مفرقة اهـ شيخنا.

وفي السمين: وفي مصحف عبد الله بن مسعود: ط س م مقطوعة من بعضها. قيل: وهي قراءة أبي جعفر يعنون أنه يقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف، وإلاَّ لم يتصور أن يلفظ بها على صورتها في هذا الرسم. وقرأ عيسى: وتروى عن نافع بكسر الميم هنا، وفي القصص على البناء، وأمال الطاء الأخوان وأبو بكر وقد تقدم ذلك اهـ.

قوله: ﴿تلك﴾ مبتدأ. وقوله: (أي هذه الآيات) أي: آيات هذه السورة، وآيات الكتاب خبر.
قوله: (المظهر الحق من الباطل) أي: فهو من أبان المتعدي أو الظاهر إعجازه من أبان اللازم، وهذا المعنى أليق بالمقام وأوفق للمرام، ولذا اقتصر عليه الكشاف اهـ كرخي.

قوله: ﴿لعلك باخع نفسك﴾ في المصباح بخع نفسه بخعاً من باب نفع قتلها من وجد أو غيظ، وبخع لي بالحق بخوعاً انقاد وبذله اهـ.

غماً من أجل ﴿أَلَّا يَكُونُوا﴾ أي أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ ولعل هنا للإشفاق، أي أشفق عليها بتخفيف هذا الغم ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ﴾ بمعنى المضارع أي تظل أي تدوم ﴿أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۝٤﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها جمعت الصفة منه

قوله: ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ أي: بهذا الكتاب. قوله: (للإشفاق) أي: فللترجي هنا بمعنى الأمر أي: ارحمها وارأف بها، وأشفق بقطع الهمزة من أشفق الرباعي وبوصلها من شفق الثلاثي والرباعي إن تعدى بمن كان بمعنى الخوف، وإن تعدى بعلى كان بمعنى الرحمة والرفق والحنو. ففي المصباح: وأشفقت من كذا بالألف حذرت، وأشفقت على الصغير حنوت وعطفت والاسم الشفقة وشفقت أشفق من باب ضرب لغة فأنا شفق وشفيق اهـ.

قوله: ﴿إن نشأ﴾ الخ هذا تسلية له ﷺ، والمراد تعليل الأمر بإشفاقه على نفسه اهـ شهاب.

وفي أبي السعود: وهذا استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان أن إيمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله حتماً، فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته، ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء أعني قوله: ﴿ننزل عليهم من السماء﴾ آية أي: ملجئة لهم إلى الإيمان قاسرة عليه، وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر اهـ.

قوله أيضاً: ﴿إن نشأ ننزل﴾ نشأ فعل الشرط وننزل جوابه، وقوله: آية أي: مخوفة لهم كرفع الجبل فوق رؤوسهم كما وقع لبني إسرائيل، وقوله: ﴿فظلت﴾ معطوف على الجزاء فهو في محل جزم اهـ شيخنا.

وهذا أحد وجهين ذكرهما السمين، والآخر أنه مستأنف وهو الأنسب بقول الجلال أي: تظل تدوم ففسره بالمرفوع اهـ.

والعامة على نون الظلمة في كل من الفعلين. وروي عن أبي عمرو بالياء فيهما أي: إن يشأ الله ينزل وإن أصلها أن تدخل على المشكوك أو المحقق المبهم زمانه، والآية من هذا الثاني اهـ سمين.

قوله: (الذي هو لأربابها) أي: والأصل فظلوا خاضعين ثم لما نسب الخضوع للأعناق لظهور الكبر بها كان الظاهر أن يقال خاضعة، لكن لما وصفت الأعناق بالخضوع وهو وصف لأربابها في الحقيقة سوغ ذلك جمع بالياء والنون الذي هو للعقلاء اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿خاضعين﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أنه خبر عن أعناقهم واستشكل جمعه سلامة لأنه مختص بالعقلاء. وأجيب عنه بأوجه، أحدها: أن المراد بالاعناق الرؤساء كما قيل: لهم وجوه وصدور. الثاني: أنه على حذف مضاف أي: فظل أصحاب الأعناق ثم حذف وبقي الخبر على مكان عليه قبل الحذف مراعاة للمحذوف. الثالث: أنه لما أضيف إلى العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم كما يكتسب التأنيث بالإضافة. الرابع: أن الأعناق جمع عنق من الناس وهم الجماعة، فليس المراد الجارحة البتة. الخامس: قال الزمخشري: أصل الكلام فظلوا لها خاضعين، فأقحمت الإضافة لبيان موضع الخضوع

جمع العقلاء ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ ﴾ قرآن ﴿ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾ صفة كاشفة ﴿ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا ﴾ به ﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاؤُا ﴾ عواقب ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ ﴾ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ ينظروا ﴿ إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا ﴾ أي كثيراً ﴿ مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ نوع حسن ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ في علم الله، وكان قال سيبويه زائدة ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ ذو العزة

وترك الكلام على أصله. السادس: أنها عوملت معاملة العقلاء لما أسند إليهم ما يكون من فعل العقلاء كقوله: ﴿ساجدين﴾ [يوسف: ٤] و ﴿طائعين﴾ [فصلت: ١١] في يوسف والسجدة.

الوجه الثاني: أنه منصوب على الحال من الضمير في أعناقهم قاله الكسائي اهـ.

قوله: ﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ من: زائدة: وقوله: ﴿من الرحمٰن﴾ ابتدائية، وقوله: ﴿محدث﴾ أي: تجدد انزاله، وقوله: (صفة كاشفة) أي: لفهم معناها من التعبير بالإتيان، وقوله: ﴿إلا كانوا عنه معرضين﴾ جملة حالية اهـ شيخنا.

قوله: (عواقب) وعبَّر عنها بالأنباء أي: الأخبار لأن القرآن أنبأ وأخبر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولم يروا إلى الأرض﴾ الخ بعد ما بين أنه كلما أنزل عليهم ذكر لم يزدهم إلا نفوراً وإعراضاً بيَّن أيضاً أنه أظهر لهم أدلة تحدث في الأرض وقتاً بعد وقت تدل على وحدانيته وكمال قدرته ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر اهـ زاده.

قوله: ﴿إلى الأرض﴾ أي: إلى عجائبها وبيَّن بعض عجائبها بقوله: ﴿كم أنبتنا فيها﴾. وكم: في محل نصب على المفعولية لأنبتنا، ومن كل زوج تمييز لها اهـ شيخنا.

قوله: (نوع حسن) أي: كثير النفع، إذ ما من نبت إلا وله نفع. والمراد الدلالة الظاهرة الزائدة في الظهور على القدرة الكاملة، وإلاَّ فنفس الدلالة على القدرة مشتركة. قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل: أنبتنا فيها من كل زوج كريم لكفى؟ قلت: قد دل بكل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل، ودل بكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط في الكثرة، فهذا معنى الجمع بينهما فنبه به على كمال قدرته اهـ.

وإليه أشار في التقرير: فإن قيل حين ذكر الأزواج دل عليها بكلمتي الكثرة والإحاصة وكان لا يحصيها إلا علم الغيب، فكيف قال: إن في ذلك لآية، وهلا قال لآيات؟ فالجواب من وجهين، أحدهما: أن يكون ذلك مشاراً به إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال: إن في ذلك الإنبات لآية. والثاني: أن يراد أن في كل واحد من تلك الأزواج لآية اهـ كرخي.

قوله: ﴿لآية﴾ اللام زائدة في اسم إن المؤخر، وقد ذكرت هذه الآية في هذه السورة ثمان مرات اهـ شيخنا.

قوله: (في علم الله) هذا توجيه أول مبني على أصالة كان، وقوله: وكان قال سيبويه الخ توجيه ثان ولو عبَّر كما صنع غيره فقال: وقال سيبويه كان زائدة لكان أظهر في الفهم اهـ شيخنا.

ينتقم من الكافرين ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ يرحم المؤمنين ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ رسولاً ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿أَلَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري ﴿يَتَّقُونَ ۝١١﴾

وفي البيضاوي: وما كان أكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه، فلذلك لا تنفعهم أمثال هذه الآيات العظام اهـ.

قوله: ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ الخ شروع في قصص سبع، أولها: قصة موسى وقد ذكرت بقوله: ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾. والثانية: قصة إبراهيم وقد ذكرت بقوله: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾ [الشعراء: ٦٩]. والثالثة: قصة نوح وقد ذكرت بقوله: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ [الشعراء: ١٠٥]. والرابعة: قصة هود وقد ذكرت بقوله: ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ [الشعراء: ١٢٣]. والخامسة: قصة صالح وقد ذكرت بقوله: ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ [الشعراء: ١٤١]. والسادسة: قصة لوط وقد ذكرت بقوله: ﴿كذبت قوم لوط المرسلين﴾ [الشعراء: ١٦٠]. والسابعة: قصة شعيب وقد ذكرت بقوله: ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ [الشعراء: ١٧٦] وكان النداء بكلام نفساني سمعه من كل الجهات من غير واسطة، وتقدم بسط هذا الكلام في سورة طه اهـ شيخنا.

قوله: (واذكر يا محمد) أي: اذكر لهم هذه القصص الآتي ذكرها ليتأملوا فيها فيعلموا ما وقع لأهلها المكذبين لرسلهم فينزجروا عن تكذيبك اهـ شيخنا.

قوله: (ليلة رأى النار الخ) وتقدم في سورة طه أنها كانت ليلة مظلمة باردة ممطرة وكانت في سفره من الشام إلى مصر كما تقدم بسطه هناك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ يجوز في أن تكون مفسرة وأن تكون مصدرية أي: بأن اهـ سمين.

وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء وإنما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى: ﴿إني أنا ربك﴾ إلى قوله: ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ [طه: ٢٣] اهـ أبو السعود.

قوله: (رسولاً) حال من فاعل ائت، وقوله: ﴿قوم فرعون﴾ بدل، وقوله: (معه) أي: كما فهم بالأولى فإنه رأس الضلال ومنشأ الإضلال اهـ كرخي.

قوله: (باستعبادهم) أي: استخدامهم في الأعمال الشاقة نحو أربعمائة سنة والأولى تفسير استعبادهم باتخاذهم عبيداً أي: معاملتهم معاملة العبيد اهـ شيخنا.

وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفاً اهـ قرطبي.

قوله: (للاستفام الإنكاري) أي: لكن المقصود هنا التعجب أي: تعجب يا موسى من عدم تقواهم، ولا يصح أن تكون للاستفهام الإنكاري قصداً لأنه للنفي ومدخولها هنا نفي، ونفي النفي إثبات فينحل المعنى إلى أنهم اتقوا الله وهو فاسد اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: قوله: ﴿ألا يتقون﴾ استئناف جيء به اثر إرساله عليه السلام إليهم للإنذار

الله بطاعته فيوحدونه ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾ ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي﴾ من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ﴾ أخي ﴿هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾ معي ﴿وَلَهُمۡ

تعجيباً من غلوهم في الظلم وإفراطهم في العدوان اهـ.

وفي السمين: والظاهر أن ألا للعرض، وقال الزمخشري: أنها لا النافية دخلت عليهم همزة الإنكار، وقيل: هي التنبيه اهـ.

وفي القرطبي: ومعنى ألا يتقون ألا يخافون عقاب الله، وقيل: هذا من الإيماء إلى الشيء لأنه أمره أن يأتي القوم الظالمين ودل قوله: ألا يتقون على أنهم لا يتقون وعلى أنه أمرهم بالتقوى، وقيل: المعنى قل لهم ألا يتقون وجاء بالياء لأنهم غيب وقت الخطاب ولو جاء بالتاء الجاز اهـ.

قوله: ﴿قال رب إني أخاف﴾ الخ اعتذر موسى بثلاثة أعذار كل منها مرتب على ما قبله، وليس مراده الامتناع من الرسالة بل مراده إظهار العجز عن هذا الأمر الثقيل وطلب المعونة عليه من الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويضيق صدري ولا ينطلق لساني﴾ الجمهور على الرفع وفيه وجهان، أحدهما: أنه استئناف إخبار بذلك. والثاني: أنه معطوف على خبر إن. وقرأ زيد بن علي وطلحة وعيسى والأعمش بالنصب فيهما، والأعرج بنصب الأول ورفع الثاني، فالرفع على الاستئناف أو عطف على خبر إن كما مرَّ، والنصب عطف على صلة أن فتكون الأفعال الثلاثة داخلة في حيز الخوف. وقال الزمخشري: والفرق بينهما أي الرفع والنصب أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل: خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان، والنصب يفيد أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة. فإن قلت: في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما تلحق الإنسان لأمر سيقع وذلك كان واقعاً فكيف جاز تعليق به؟ قلت: قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له من ضيق الصدر والحبسة في اللسان الزائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي كانت به زالت بدعوته، وقيل: بقيت منها بقية يسيرة. فإن قلت: اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى إني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان. قلت: يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها، ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي يبقى اهـ سمين.

قوله: (للعقدة) أي: الثقل الحاصل فيه بسبب وضع الجمرة عليه وهو صغير لما نتف لحية فرعون فاغتم منه فأشارت عليه زوجته أن يختبره، فقدم له تمرة وجمرة فأخذ الجمرة ووضعها على لسانه فحصل فيه ثقل في النطق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأرسل﴾ أي: أرسل جبريل إلى أخي هارون وقوله: معي متعلق بأرسل أي: صيره رسولاً مصاحباً في دعوة فرعون وقومه، وكان هارون إذ ذاك بمصر وموسى في الطور في المناجاة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولهم عليّ ذنب﴾ أي: في زعمهم وإلاّ فقتله إياه كان من غير قصد كما يأتي في القصة اهـ.

﴿عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾ بقتل القبطي منهم ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ۝١٤﴾ به ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿كَلَّاۖ﴾ أي لا يقتلونك ﴿قَالَ فَٱذۡهَبَا﴾ أي أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾ ما تقولون وما يقال لكم، أجريا مجرى الجماعة ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا﴾ أي كلاً منا ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾ إليك ﴿أَنۡ﴾ أي بأن ﴿أَرۡسِلۡ مَعَنَا﴾ إلى الشام ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝١٧﴾ فأتياه فقالا له ما ذكر ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدٗا﴾ صغيراً قريباً من الولادة بعد فطامه

قوله: ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ (به) أي: فيفوت المقصود من الرسالة، فهذا هو الخائف عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاذهبا بآياتنا﴾ عطف على ما دل عليه حرف الردع من الفعل، كأنه قيل ارتدع عما تظن فاذهب أنت وأخوك اهـ سمين.

قوله: (ففيه تغليب الحاضر) أي: في مكان الخطاب وهو موسى. على الغائب أي: عن ذلك المكان وهو هارون لأنه إذ ذاك بمصر والإرسال والخطاب المذكوران كانا في الطور كما علمت اهـ شيخنا.

قوله: (أجريا) أي: موسى وهارون في قوله: ﴿معكم﴾ ولم يقل معكما كما في آية أخرى، وقوله: (مجرى الجماعة) أي تعظيماً لهما اهـ شيخنا.

قوله: (أي كلامنا) توجيه للمطابقة بين اسم إن وخبرها اهـ شيخنا.

قوله: (فأتياه الخ) أشار به إلى أن قوله: ﴿قال﴾ ﴿فرعون الخ﴾ مبني ومرتب على هذا المقدر اهـ شخينا.

وفي القرطبي: فانطلقا إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه فدخل البواب على فرعون وقال له: ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال له فرعون: ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه وأديا الرسالة. وروي وهب وغيره أنهما لما دخلا على فرعون وجداه وقد أخرج سباعاً من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها فخاف خدامها أن تبطش بموسى وهارون فأسرعوا إليهما وأسرعت السباع إلى موسى وهارون فأقبلت تلحس أقدامهما وتبصبص إليهما بأذنابها وتلصق خدودها بفخذيهما، فعجب فرعون من ذلك فقال: ما أنتما؟ قالا: إنا رسول رب العالمين فعرف موسى لأنه نشأ في بيته فقال: ﴿ألم نربك فينا وليداً﴾ على جهة المنّ عليه والاحتقار أي: ربيناك صغيراً ولم نقتلك في جملة من قتلناه ولبثت فينا من عمرك سنين، فمتى كان هذا الذي تدعيه. ثم قرره بقتل القبطي بقوله: (وفعلت فعلتك التي فعلت الخ) اهـ.

قوله: ﴿قال ألم نُرَبّكَ﴾ استفهام تقرير وقد امتن عليه أولاً بنعمة التربية وثانياً بغفره له الذنب الذي وقع منه وهو قتل القبطي، وأجاب موسى عن الثانية بقوله: ﴿فعلتها إذاً وأنا من الضالين﴾، وعن الأولى بقوله وتلك نعمة الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وليداً﴾ حال. قوله: (قريباً من الولادة) أي: ففي الوليد مجاز لأنه يطلق على المولود

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ هي قتله القبطي ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا﴾ أي حينئذ ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علماً ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ أصله تمن بها عليَّ ﴿أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ بيان لتلك، أي اتخذتهم عبيداً

حال ولادته وليس مراداً هنا، وقوله: (بعد فطامه) أي: وأما في زمن الرضاع فكان عند أمه ثم أخذه فرعون عنده بعد الفطام، وعدم هذا القيد أولى كما صنع غيره لأنه في مدة الرضاع وإن كان عند أمه، لكنه كان تحت نظر فرعون وإشارته، فكانت أمه كالمرضعة المكتراة له تأمل. قوله: ﴿من عمرك﴾ نعت لسنين مقدم عليه فهو في محل نصب على الحال على القاعدة في تقديم نعت النكرة عليها، ومن تبعيضية اهـ شيخنا.

قوله: (وعدم الاستعباد) أي: عدم اتخاذك عبداً لي كبني إسرائيل.

قوله: ﴿إذاً﴾ (أي حينئذ) أي: حين إذ كنت لابثاً فيكم، وهذا تفسير معنى إذ لا يذهب أحد إلى أن إذا ترادف من حيث الإعراب حينئذ وهي هنا حرف جواب فقط. وقال الزمخشري إنها حرف جواب وجزاء معاً ثم قال: فإن قلت: إذا جواب وجزاء معاً، والكلام وقع جواباً لفرعون فكيف وقع جزاء؟ قلت: قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى إنك جازيت نعمتي بما فعلت، فقال له موسى: نعم فعلتها مجازياً لك تسليماً لقوله: لأن نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء اهـ كرخي.

قوله: (عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة) أي: قبل أن يأتيني فيها عن الله شيء، فليس عليّ فيما فعلته في تلك الحالة توبيخ. قال ابن جرير: العرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال، والحاصل: أنه أراد به وأنا من الجاهلين، أو من المخطئين لا من المتعدين، فلا يرد كيف قال موسى وأنا من الضالين والنبي لا يكون ضالاً أبداً اهـ كرخي.

قوله: ﴿لما خفتكم﴾ العامة على تشديد الميم وهي لما التي هي حرف وجوب عند سيبويه أو بمعنى هين عند الفارسي، وروي عن حمزة بكسر اللام وتخفيف الميم أي: لتخوفي منكم وما مصدرية اهـ سمين.

قوله: ﴿وجعلني من المرسلين﴾ رد بذلك ما وبخه به فرعون قدحاً في نبوته وهو القتل بغير حق، ووجه الرد أن موهبة الحكم والنبوة كانت بعد تلك الحادثة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وتلك﴾ مبتدأ ونعمة خبر، وتمنها صفة للخبر، وأن عبدت الخ عطف بيان على المبتدأ موضح له، فتلك إشارة إلى شيء مبهم، وقد وضح وبيّن بقوله: ﴿أن عبدت﴾ الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿أن عبدت﴾ فيه أوجه سبعة، أحدها: أنه في محل رفع عطف بيان لتلك كقوله: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء﴾ [الحجر: ٦٦]. والثاني: أنه في محل نصب مفعولاً من أجله. والثالث: أنه بدل من نعمة. والرابع: أنه بدل من الهاء في تمنها. والخامس: أنه مجرور بياء

ولم تستعبدني، لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم، وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)﴾ الذي قلت إنك رسوله، أي أيُّ شيء هو؟ ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي خالق ذلك ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤)﴾ بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥)﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦)﴾ وهذا وإن كان داخلاً

مقدرة أي: بأن عبدت. والسادس: أنه خبر مبتدأ مضمر أي: هي. والسابع: أنه منصوب بإضمار أعني: والجملة من تمنها صفة لنعمة وتمن يتعدى بالياء فقيل هي محذوفة أي: تمن بها. وقيل: ضمن تمن معنى تذكر اهـ.

قوله: (بيان لتلك) أي: عطف بيان موضح لها، وقوله: (ولم تستعبدني الخ) أي: فلا فضيلة لك في عدم استعبادي الذي مننت به عليَّ لأن استعبادك لغيري ظلم اهـ شيخنا.

قوله: (وقدر بعضهم) وهو الأخفش أول الكلام أي: قبل وتلك، وأصل الكلام أو تلك الخ. أي: ليست هذه نعمة حتى تمن بها علي اهـ شيخنا.

قوله: (أي أي شيء هو) وذلك لأن ما للسؤال عن الحقيقة، أي: أي جنس هو من أجناس الموجودات اهـ.

قوله: (ببعضها) وخص هذا البعض لأنه لا يشاركه فيه أحد وفيه إبطال لدعواه أنه إله اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما بينهما﴾ أي: بين الجنسين فلا يرد كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع إليه مجموع اهـ كرخي. قوله: (أي خالق ذلك) أي: ما ذكر من الأمور الثلاثة. قوله: ﴿إن كنتم موقنين﴾ أي: إن كنتم موقنين بالأشياء محققين لها علمتم ذلك، أو إن كنتم موقنين بشيء من الأشياء، فهذا أولى بالإيقان لظهوره وإنارة دليله اهـ أبو السعود.

قوله: (من أشراف قومه) وكانوا خمسمائة لابسين للاساورة، ولم يكن يلبسها إلا السلاطين على عادة الملوك اهـ شيخنا.

قوله: (الذي لم يطابق السؤال) أي: لأن ما للسؤال عن الحقيقة وقد أجابه بالصفة التي يسأل عنها بأي، وتقدم أن العدول عن الجواب المطابق متعين لاستحالته فالسؤال عن الحقيقة سفه وعبث اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ألا تستمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو بذكر أفعاله أو يزعم أنه رب السموات وهي واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية أو غير معلوم افتقارها إلى مؤثر اهـ.

قوله: ﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ فإن قلت: ذكر السموات والأرض وما بينها قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب؟ قلت: خص من العام أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه، وهي أظهر دلالة على

فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ أنه كذلك فآمنوا به وحده ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ كان سجنه شديداً يحبس الشخص في مكان تحت

القادر، ثم خص المشرق والمغرب لأنهما أوضح دلالة وأظهر، وذلك أنه أراد بالمشرق طلوع الشمس وطلوع النهار، وأراد بالمغرب غرب الشمس وزوال النهار. ومعلوم أن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخرة على تقدير مستقيم لا يكون إلا بتقدير قادر حكيم اهـ من الكشاف.

قوله: (وهذا) أي: هذا الجواب وإن كان داخلاً فيما قبله أي: في الجواب الذي قبله وهو قوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قال ربكم وربّ آبائكم الأولين جاء بدليل يفهمونه لأنهم يعلمون أنهم قد كان لهم آباء وأنهم قد فنوا وأنه لا بد لهم من مفن. وأنهم قد كانوا بعد أن لم يكونوا أنهم لا بد لهم من مكوّن اهـ.

قوله: (ولذلك) أي: لشدة غيظه قال: إن رسولكم الخ. وسماه رسولاً استهزاء وقوله: ﴿لمجنون﴾ أي: لأني أسأله عن شيء وهو يجيبني عن آخر اهـ بيضاوي.

وفي أبي السعود: وأضافه إلى مخاطبيه ترفعاً عن أن يكون مرسلاً إلى نفسه اهـ.

قوله: ﴿قال رب المشرق والمغرب﴾ أي: ليس ملكه كملكك لأنك إنما تملك واحداً لا يجري أمرك في غيره ويموت فيه من لا تحب أن يموت، والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون، وقيل: علم موسى عليه السلام أن قصده في السؤال معرفة عينه، فأجاب بما هو الطريق إلى معرفة الرب اهـ قرطبي.

قوله أيضاً: ﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ أي: فتشاهدون في كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله، حتى يبلغها إلى المغرب على وجه نافع تنتظم به أمور الكائنات. إن كنتم تعقلون أي؛ إن كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكن فوق ذلك لاينهم أولاً ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالتهم اهـ بيضاوي.

وقوله: أي: كان لكم عقل يعني أنه نزل منزلة اللازم هنا لأنه أبلغ وأوفق بما قبله من رد نسبة الجنون إليه كما أشار له بقوله: عارضهم بمثل مقالتهم اهـ شهاب.

وقوله: لاينهم أي: عاملهم باللين والرفق حيث قال لهم أولاً: إن كنتم موقنين، ثم خاشنهم أي: أغلظ عليهم في الرد بقوله: ﴿إن كنتم تعقلون﴾ اهـ شهاب.

وهذا جواب عما يقال قال أولاً إن كنتم موقنين وآخراً إن كنتم تعقلون كما في الكشاف.

قوله: ﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ هذا عدول عن المحاجة بعد الانقطاع إلى التهديد، وهكذا ديدن المعاند المحجوج، واستدل به على ادعائه الألوهية وإنكاره للصانع، وإن تعجبه بقوله ألا تستمعون إنما هو من نسبه الربوبية إلى غيره، ولعله كان دهرياً اعتقد أن

الأرض وحد لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَوَلَوْ﴾ أي أتفعل ذلك ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ أي برهان بين على رسالتي ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣١﴾ فيه ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝٣٢﴾ حية عظيمة ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات

من ملك قطراً أو تولى أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله، واللام في قوله: ﴿من المسجونين﴾ للعهد أي: ممن عرفت حالهم في سجوني، فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا، ولذلك جعل أبلغ من لأسجننك اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: ثم لما انقطع فرعون لعنه الله في باب الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فتوعد موسى بالسجن ولم يقل ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك، لأن فيه الاعتراف بأن ثم إلهاً غيره، وفي توعده بالسجن ضعف، وكان فيما يروى أنه يفزع من موسى فزعاً شديداً حتى كان اللعين لا يمسك بوله اهـ.

وفي المصباح: سجنته سجناً من باب قتل حبسته، والسجن بالكسر الحبس والجمع سجون مثل حمل وحمول اهـ.

قوله: ﴿قال أولو جئتك بشيء مبين﴾ أي: أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواي يعني المعجزة، فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته، والدلالة على صدق مدعي نبوته. فالواو للحال دخلت عليها الهمزة بعد حذف الفعل اهـ بيضاوي.

ولا ينافي هذا تقدير الفعل قبلها الذي قد يدل على أنها عاطفة لأن المقدر عامل الحال وصاحبها اهـ ملخصاً من الشهاب.

قوله: (أي أتفعل ذلك) أي: جعلي من المسجونين.

قوله: ﴿قال فأت به﴾ إنما أمره فرعون بالإتيان بالشيء المبين لظنه أنه يقدر على معارضته اهـ شيخنا.

قوله: (فيه) أي: في أن ذلك بينة وبرهاناً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثعبان مبين﴾ أي: ظاهر ثعبانيته، واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانبعث إذا فجرته فانفجر اهـ بيضاوي.

وقوله: أي: ظاهر ثعبانيته أي ليس بتمويه وتخييل كما يفعل السحرة، وهو مشتق من ثعب بمعنى جرى لجريه بسرعة من غير رجل كأنه ماء سائل. وأما كونه من الانفجار وإن كان مآله ما ذكر فليس بمراد اهـ شهاب.

قوله: ﴿ونزع يده﴾ أي: من جيبه فإذا هي بيضاء للنظارين. قيل: لما رأى فرعون الآية الأولى قال: هل لك غيرها؟ فأخرج يده فقال: ما هذه؟ فقال فرعون: يدك فما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق اهـ أبو السعود.

شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فائق في علم السحر ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخر أمرهما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ يفضل موسى في علم السحر ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الاستفهام للحث على الاجتماع، والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا

قوله: (من الأدمة) أي: السمرة. قوله: ﴿قال للملأ حوله﴾ أي: مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال اهـ أبو السعود.

ومفعول القول قوله: ﴿إن هذا لساحر عليم﴾. قال الزمخشري: فإن قلت: ما العامل في حوله؟ قلت: هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل، فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف، والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال اهـ كرخي.

قوله: (فائق في علم السحر) أخذه من صيغة المبالغة اهـ.

قوله: ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ الخ بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية إلى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه، والامتثال بأمرهم أو إلى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلاً بالرأي والتدبير، وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الإخراج والأرض إليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فماذا تأمرون﴾ أي: فأي شيء تأمرونني به في شأنه. قوله: (جامعين) أي: للسحرة. وقوله: ﴿يأتوك﴾ مجزوم في جواب الأمر اهـ شيخنا.

قوله: (يفضل موسى) أي: يفوق ويزيد عليه في علم السحر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لميقات يوم﴾ أي: وقت يوم والإضافة على معنى من أي من يوم كما أشار له بقوله: وهو أي الميقات وقت الضحى من يوم الزينة، ويوم الزينة كان يوم عيد لهم، وقيل: يوم سوق اهـ شيخنا.

قوله: (والترجي على تقدير غلبتهم الخ) عبارة البيضاوي: والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع، ومقصودهم الأصلي ألا يتبعوا موسى لا أن يتبعوا السحرة، فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى اهـ.

أي: فالمراد أنا نرجو أن تكون الغلبة لهم فلا نتبع موسى اهـ زاده.

وليس الرجاء لاتباع السحرة لأنه مقطوع به عندهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على الوجهين) أي: تحقيقهما وتسهيل الثانية وكان عليه أن يقول: وتركه أي ترك الإدخال على الوجهين ليكون منها على القراءات الأربع.

قوله: ﴿لأجرا﴾ أي أجرة وجعلاً.

﴿نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤١﴾ ﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا﴾ أي حينئذ ﴿لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٢﴾ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعدما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ۝٤٣﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم توسلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝٤٤﴾ ﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل تبتلع ﴿مَا يَأۡفِكُونَ ۝٤٥﴾ يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝٤٦﴾ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝٤٨﴾ لعلمهم بأن شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ءَامَنتُمۡ﴾

قوله: ﴿قال نعم﴾ أي: لكم الأجر أي الأجرة والجعل على عملكم السحر وزادهم بقوله: ﴿وإنكم إذاً﴾ أي: إذا كنتم غالبين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لمن المقربين﴾ أي: مني. قوله: (فالأمر فيه الخ) جواب عما يقال كيف يأمرهم بفعل السحر. وفي البيضاوي: ولم يرد بهذا أمرهم بالسحر والتمويه، بل أراد الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلاً إلى أظهار الحق اهـ.

وعبارة الكرخي: هذا جواب سؤال صورته كيف يجوز على النبي المعصوم الأمر بالكفر؟ وحاصل الجواب: أن صيغة الأمر ليست على حقيقتها، بل هي مجاز عن الإذن فإن قيل: الإذن يستلزم الرضا فيعود الإشكال فالجواب: أن الممتنع هو الرضا في حال كونه مستحسناً ولا يلزم ذلك هنا، بل اللازم هو الرضا به للتوسل إلى إبطاله وهذا عين استقباحه فليس فيه محظور وهذا تفصيل ما أجمله الشيخ المصنف اهـ.

قوله: ﴿وقالوا بعزة فرعون﴾ أي: نقسم ونحلف بعزة فرعون. أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم أنهم غالبون وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يأتوا به من السحر اهـ بيضاوي.

قوله: (من الأصل) متعلق بحذف أي: حذفها من الأصل أي: أصل الصيغة اهـ شيخنا.

قوله: (يقلبونه) أي: يغيرونه عن وجهه أي: حاله الأول من الجمادية إلى كونه حية تسعى اهـ شهاب.

وقوله: (بتمويههم) الباء سببية.

قوله: ﴿فألقي السحرة ساجدين﴾ أي: فخروا وسقطوا على الأرض ساجدين، وإنما بدل الخرور بالإلقـاء ليشاكل ما قبله، ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أنفسهم وكأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم، وأنه تعالى ألقاهم بما خوّلهم من التلقيف اهـ بيضاوي.

وقوله: وكأنهم أخذوا الخ أي: ففي ألقى استعارة تبعية حسنها المشاكلة وليس مجازاً مرسلاً وإن احتمله النظم، ووجه الشبه عدم التمالك اهـ شهاب.

قوله: ﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾ بدل اشتمال من ألقى أو حال بإضمار قد اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿رب موسى وهارون﴾ بدل التوضيح والإشعار بأن سبب إيمانهم ما أجراه الله تعالى على يد موسى وهارون اهـ بيضاوي.

قوله: (لعلمهم بأن ما شاهدوه الخ) تعليل لقوله: ﴿قالوا آمنا الخ﴾، وقوله: (بأن ما شاهدوه من

بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿لَهُ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فعلمكم شيئاً منه وغلبكم بآخر ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ راجعون في الآخرة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن﴾ أي بأن ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ في زماننا ﴿۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ بعد

العصا) هو ابتلاعها لحبالهم وعصيهم هـ شيخنا.

قوله: ﴿قال﴾ (فرعون) ﴿آمنتم﴾ الخ أي: قال ذلك لما خاف على قومه أن يتبعوا السحرة اهـ شيخنا.

قوله: (وإبدال الثانية) صوابه الثالثة لأنها هي المنقلبة ألفاً فالذي في كلامه قراءة واحدة. وأما القراءة الأخرى التي هي بإحدى الهمزتين فالأولى فيها محذوفة والثالثة منقلبة ألفاً أي الثالثة مبدلة ألفاً على كل من القراءتين إثبات الهمزتين وحذف الأولى، وتقدم تحقيق هذا غير مرة اهـ شيخنا.

قوله: (فعلمكم شيئاً منه وغلبكم بآخر) أي أخفاه عنكم وأراد فرعون بهذا الكلام التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا أن السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق. وإيضاحه إن غلبته لم تكن بالعجز الإلهي بل بما لم يعلمكم من السحر وأنتم لضعف عقولكم حسبتم أنه غلبكم بغير جنس السحر فآمنتم اهـ كرخي.

قوله: ﴿لأقطعن أيديكم﴾ الخ بيان لما ينالهم منه، والحاصل: أنهم لما آمنوا لم يأمن فرعون أن يقول قومه إن هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا إلا عن معرفتهم بصحة أمر موسى عليه السلام، فيسلكون طريقهم فلبس على القوم وبالغ في التنفير عن موسى من وجوه، أحدها: قوله قبل أن آذن لكم، والمعنى أن مسارعتكم إلى الإيمان به دالة على ميلكم إليه فتتطرق التهمة إليهم فلعلهم قصروا في السحر حياء منه. وثانيها: قوله ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ وهذا تصريح بما رمز به أولاً وتعريض منه بأنهم فعلوا ذلك عن مواطأة بينهم وبين موسى، وقصروا في السحر ليظهروا أمر موسى، وإلاَّ ففي قوة السحرة أن يفعلوا مثل ما فعل هو وهذه شبهة قوية في تنفير من حوله. وثالثها: قوله: ﴿فلسوف تعلمون﴾ وهو وعيد وتهديد شديد اهـ كرخي.

وقيل: إنه فعل بهم ما توعدهم به من التقطيع والتصليب، وقيل: لم يفعله بهم ولم يرد في القرآن ما يدل على أنه فعل بهم ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ تعليل لعدم الضير أي: لا ضير في ذلك، بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم، أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهونها وأرجاها اهـ أبو السعود.

قوله: (أي بأن) أي: بسبب أن كنا أول المؤمنين، وقوله: (في زماننا) يرد عليه أن بني إسرائيل آمنوا قبلهم وهم من أهل زمانهم، فلذلك قال البيضاوي: أي من اتباع فرعون أو من أهل المشهد اهـ.

سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزدوا إلا عتوًّا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ بني إسرائيل، وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة أسرى من سرى لغة في أسرى أي سر بهم ليلاً إلى البحر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فأنجيكم وأغرقهم ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿فِي ٱلْمَدَآئِنِ﴾ قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية ﴿حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ جامعين الجيش قائلاً ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ قيل كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ فاعلون ما يغيظنا

قوله: (بعد سنين) أي: ثلاثين. قوله: (أي سر بهم ليلاً) راجع لكل من القراءتين، وقوله: (إلى البحر) من جملة الموحى به فأوحى الله إليه أن يسير إلى جهة البحر لا إلى جهة الشام في البر، وعبارة القرطبي: فخرج موسى عليه الصلاة والسلام ببني إسرائيل سحراً فترك الطريق إلى الشام على يساره، وتوجه نحو البحر فكان الرجل من بني إسرائيل يقول له في ترك الطريق فيقول هكذا أمرت، فلما أصبح فرعون وعلم بسرى موسى ببني إسرائيل خرج في أثرهم وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه العساكر. واختلف في سبب تأخر فرعون وقومه عن بني إسرائيل على قولين، أحدهما: لاشتغالهم بدفن أبكارهم، لأن الوباء في تلك الليلة وقع فيهم. والثانية: أن سحابة أظلتهم وظلمة فقالوا: نحن الآن في ظلمة فما تقشعت عنهم حتى أصبحوا اهـ.

وفي الخطيب: روي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد، فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه. وروي أن الله أوحى إلى موسى أن اجمع بين بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت، ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها أبوابكم، فإني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتاً على بابه دم، وأمرهم بقتل أبكار القبط، واختبزوا خبزاً فطيراً فإنه أسرع لكم ثم سر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيك أمري. وروي أن قوم موسى قالوا لقوم فرعون: إن لنا في هذه الليلة عيداً ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب، ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر، فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم اهـ.

قوله: ﴿إنكم متبعون﴾ عبارة البيضاوي: إنكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو للأمر بالسير أي: سر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر، بل يكونون على أثركم حيث تلجون فيدخلون مداخلكم فأطبقه عليهم وأغرقهم اهـ.

قوله: (فيلجون) أي: يدخلون. قوله: (طائفة) في البيضاوي: الشرذمة الطائفة القليلة، ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع اهـ.

قوله: (ومقدمة جيشه سبعمائة ألف) أي: وجملة جيشه ألف ألف وستمائة ألف اهـ.

قوله: (فاعلون ما يغيظنا) أي: حيث خالفوا ديننا وذهبوا بأموالنا التي استعاروها وقتلوا أبكارنا وخرجوا من أرضنا بغير إذننا اهـ خازن.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ متيقظون وفي قراءة حاذرون مستعدون، قال تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ أي فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ بساتين كانت على جانبي النيل

قوله: ﴿وإنا لجميع حاذرون﴾ أي: وإنا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمور أشار أولاً إلى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم إلى تحقق ما يدعو إليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثاً عليه أو اعتذر بذلك إلى أهل المدائن كي لا يظن به ما يكسر سلطانه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لجميع﴾ أي: جماعة فليست هذه الكلمة من ألفاظ التوكيد حتى يرد عليه أنها لا تستعمل إلا تابعة بل هي بمعنى جماعة كما علمت اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة حاذرون) قال أبو عبيدة: هما بمعنى واحد يقال: رجل حذر وحاذر بمعنى، وقيل: بل بينهما فرق فالحذر المتيقظ والحاذر الخائف، وقيل: الحذر المخلوق مجبولاً على الحذر الحاذر ما عرض فيه ذلك اهـ سمين.

وفي المصباح: حذر حذراً من باب تعب واحتذر واحترز كلها بمعنى استعد وتأهب فهو حاذر وحذر، والاسم منه الحذر مثل حمل، وحذر الشيء إذا خافه فالشيء محذور أي: مخوف وحذرته الشيء فحذره اهـ.

قوله: ﴿فأخرجناهم﴾ أي: خلقنا فيهم داعية الخروج فخرجوا اهـ.

قوله: (كانت على جانبي النيل)أي: من أسوان إلى رشيد. وفي القرطبي: قال كعب الأحبار: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله في الدنيا سيحان وجيحان والنيل والفرات. فسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة، والنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة. وقال ابن لهيعة: الدجلة نهر اللبن في الجنة، وقال قيس بن حجاج: لما فتحت مصر أتى أهلها إلى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بؤنة من أشهر القبط فقالوا له: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة وعادة لا يجري إلا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ فقالوا: إذا كان لاثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها أرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: هذا لا يكون في الإسلام وإن الإسلام ليهدم ما قبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى لا يجري قليلاً ولا كثيراً وهموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فأعلمه بالقصة، فكتب إليه عمر بن الخطاب إنك قد أصبت بالذي فعلت وإن الإسلام يهدم ما قبله ولا يكون هذا، وبعث إليه ببطاقة في داخل كتابه، وكتب: إلى عمرو إني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي فألقها في النيل إذا أتاك كتابي. فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها، فإذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد؛ فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك، قال: فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لأنهم لا تقوم مصلحتهم فيها إلا بالنيل. فلما ألقى البطاقة في النيل أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تبارك وتعالى في ليلة واحدة ستة عشر ذراعاً، وقطع الله تلك السيرة من أهل مصر من تلك السنة، وكانت أرض مصر

﴿وَعُيُونٍ ۝٥٧﴾ أنهار جارية في الدور من النيل ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزاً لأنه لم يعط حق الله منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي إخراجنا كما وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝٥٩﴾ بعد إغراق فرعون وقومه ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ لحقوهم ﴿مُّشْرِقِينَ ۝٦٠﴾ وقت شروق الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ أي رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ

كلها تروى من ستة عشر ذراعاً بما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجانها، ولذلك سمي النيل إذا وصل ستة عشر ذراعاً النيل السلطاني، وإنما قيل: نيل السلطان لأنه حينئذ يجب الخراج على الناس اهـ.

قوله: (وسميت كنوزاً الخ) عبارة الخازن: وإنما سماها كنوزاً لأنه لم يؤد حق الله منها، وكل مال لم يؤد حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً اهـ.

وفي الشهاب: قوله: ﴿وكنوز﴾ المراد بها إما الأموال تحت الأرض وخصها لأن ما فوقها انطمس، أو مطلق المال الذي لم يؤد منه حق الله لأنه يقال له كنز، والأول أوفق باللغة، والثاني مروي عن السلف فلا وجه للتحكم هنا اهـ.

قوله: (للأمراء والوزراء) قيل: كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء وعليهم قبة الديباج مرصعة بالذهب، وقوله: (يحفه أتباعهم) أي: يحف ذلك المجلس ويحيط به أتباع الأمراء الجالسين فيه واقفين حولهم للخدمة والأدب اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قال ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد: المقام الكريم المنابر وكانت ألف منبر لألف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه، وقيل: مجالس الأمراء والرؤساء حكاه ابن عيسى وهو قريب من الأول، وقال سعيد بن جبير: سمعت أن المقام الكريم الفيوم اهـ.

قوله: ﴿كذلك﴾ خبر مبتدأ محذوف على صنيعه حيث قدره بقوله: (أي اخراجنا)، وقوله: ﴿وأورثناها﴾ أي الجنات والعيون والكنوز اهـ شيخنا.

وذلك أن الله عز وجل ردّ بني إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه، فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمساكن الحسنة اهـ خازن.

وفي القرطبي: قال الحسن وغيره: رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه، وقيل: أراد بالوراثة هنا ما استعاروا من حلي آل فرعون بأمر الله تعالى. قلت: وكلا الأمرين جعل لهم والحمد لله اهـ.

قوله: ﴿وأورثناها﴾ الخ الظاهر أن هذه الجملة اعتراضية، وأن قوله: ﴿فأتبعوهم﴾ معطوف على أخرجناهم، وذلك لأن إعطاء البساتين وما بعدها لبني إسرائيل إنما كان بعد هلاك فرعون وقومه اهـ شيخنا.

﴿أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١﴾ يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿كَلَّآ﴾ أي لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره ﴿سَيَهۡدِينِ ۝٦٢﴾ طريق النجاة قال تعالى ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾ فضربه ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ فانشق اثني عشر فرقاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣﴾ الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده ﴿وَأَزۡلَفۡنَا﴾ قربنا ﴿ثَمَّ﴾ هناك ﴿ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٦٤﴾ فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝٦٥﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٦٦﴾ فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي إغراق فرعون وقومه ﴿لَأٓيَةٗ﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٦٧﴾ بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسي التي دلّت على عظام يوسف عليه السلام ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾

قوله: (أي لن يدركونا) أي: لأن الله وعدنا الخلاص منهم اهـ بيضاوي فكلا هنا للنفي.

قوله: ﴿فأوحينا إلى موسى﴾ الخ قيل: لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاج البحر، فصار يرمي بموج كالجبل، قال يوشع: يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر أمامنا، قال موسى: ههنا. فخاض يوشع البحر لا يواري الماء حافر دابته. وقال الذي يكتم إيمانه: يا كليم الله أين أمرت؟ قال: ههنا فحرك فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء، وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا، فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه أن أضرب بعصاك البحر الخ. فإذا الرجل واقف على فرسه ولم يبتل سرجه ولا لبده اهـ خازن.

وفي القرطبي: وذلك أن الله عز وجل أراد أن تكون الآية متصلة بموسى ومتعلقة بفعل يفعله، وإلاَّ فضرب العصا ليس بفارق البحر ولا معيناً على ذلك بذاته إلا بما اقترن به من قدرة الله تعالى واختراعه اهـ.

قوله: (اثني عشر فرقاً) أي: قطعة بعدد أسباط بني إسرائيل، فسار كل سبط في مسلك اهـ.

قوله: (الجبل العظيم) في القاموس: الطود الجبل أو عظيمه. والجمع أطواد وطاد يطود إذا ثبت اهـ.

قوله: (بينها مسالك) أي: بين الاثني عشر فرقاً.

قوله: ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ قيل: كانت جبريل بين بني إسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم أولكم، ويقول للقبط: رويداً ليلحق آخركم أولكم، فكان بنو إسرائيل يقولون: ما رأينا أحسن سياسة من هذا الرجل، وكان القبط يقولون: ما رأينا أحسن داع من هذا اهـ خازن.

قوله: (على هيئته المذكورة) وهي انفلاقه اثني عشر فرقاً اهـ.

قوله: (وحزقيل) قيل بنبوته وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ [غافر: ٢٨] الخ. وقوله: (ومريم الخ) وكانت عجوزاً تعيش من العمر نحو سبعمائة سنة، وقوله:

فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ بالمؤمنين فأنجاهم من الغرق ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ أي نقيم نهاراً على عبادتها، زادوه في الجواب افتخاراً به ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ﴾ حين ﴿تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ

(على عظام يوسف) عبارة غيره: على قبر يوسف، وعبارة آخرين: على تابوت يوسف الذي دفن فيه، وكان من المرمر. وسبب دلالتها على قبره أن الله أمر موسى بأخذه معه إلى الشام حين خروجه من مصر فسأل عن قبره فلم يعرف إذا ذاك فدلته عليه هذه العجوز بعد ما ضمن لها موسى على الله الجنة، وكان يوسف قد دفن في قعر بحر النيل فحفر عليه موسى وأخرجه وذهب به إلى الشام في خروجه من مصر اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وذلك أن موسى عليه السلام لما خرج ببني إسرائيل من مصر أظلم عليه القمر فقال لقومه: ما هذا؟ قال علماؤهم: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا. قال موسى: فأيكم يدري أين قبره؟ قالوا: ما يعلمه إلا عجوز لبني إسرائيل فأرسل إليها فقال لها: دليني على قبر يوسف، فقالت: لا والله لا أفعل حتى تعطيني حكمي. قال: وما حكمك؟ قالت: حكمي أن أكون معك في الجنة فثقل عليه، فقيل له: أعطها حكمها فدلتهم عليه فاحتفروه واستخرجوا عظامه، فلما أقلوها فإذا الطريق مثل ضوء النهار. وفي رواية فأوحى الله إليه أن أعطها ففعل، فأتت بهم إلى بحيرة فقالت: أنضبوا هذا الماء فأنضبوه واستخرجوا عظام يوسف عليه الصلاة والسلام، فتبينت لهم الطريق مثل ضوء النهار اهـ.

قوله: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾ معطوف على اذكر المقدر عاملاً في قوله: ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ [الشعراء: ١٠] الخ اهـ شيخنا.

قوله: (ويبدل منه) أي: النبأ بدل اشتمال. قوله: ﴿ما تعبدون﴾ سألهم عن ذلك ليبني على جوابهم أن معبودهم بمعزل عن استحقاق العبادة بالكلية اهـ أبو السعود.

قوله: (صرحوا بالفعل الخ) جواب عما يقال ما تعبدون سؤال عن المعبود فقط، فكان القياس أن يقولوا أصناماً كقوله: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ [البقرة: ٢١٩] ﴿ماذا أنزل ربكم؟ قالوا خيراً﴾ [النحل: ٣٠] وإيضاحه أن هؤلاء قد جاؤوا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين، فاشتملت على جواب إبراهيم وما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار، ونظل هنا بمعنى ندوم وما جرى عليه المصنف من أنهم كانوا يعبدونها نهاراً فقط تبع فيه صاحب الكشاف، لكن مقام الافتخار أدعى للمعنى الأول ومن ثم جزم به البيضاوي اهـ كرخي.

قوله: (زادوه) أي: قوله فنظل الخ اهـ.

قوله: ﴿قال هل يسمعونكم﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم اهـ أبو السعود.

ولا بد هنا من محذوف أي: يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون، فعلى الأول: وهي متعدية لواحد اتفاقاً، وعلى الثاني: هي متعدية لاثنين قامت الجملة المقدرة مقام الثاني وهو قول الفارسي،

يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ـكم إن لم تعبدوهم ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ أي مثل فعلنا ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ﴿أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ لا أعبدهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ

وعند غيره الجملة المقدرة حال اهـ كرخي.

قوله: ﴿إذ تدعون﴾ منصوب بما قبله فما قبله وما بعده ماضيان معنى، وإن كانا مستقبلين لفظاً لعمل الأول في إذ ولعمل إذ في الثاني. وقال بعضهم: إذ هنا بمعنى إذا، وقال الزمخشري: إنه على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الأحوال التي كنتم تدعونها فيها هل سمعوكم إذ دعوتم وهو أبلغ في التبكيت اهـ سمين.

قوله: ﴿قالوا بل وجدنا﴾ الخ هذا الجواب منهم اعتراف بأنها بمعزل عما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة، واضطروا إلى إظهار أن لا مستند لهم سوى التقليد أي: ما علمنا ولا رأينا منهم ما ذكر من الأمور، بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون أي فاقتدينا بهم اهـ أبو السعود.

وآباءنا: مفعول أول، وجملة يفعلون في محل المفعول الثاني وكذلك معمول ليفعلون مقدم عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال أفرأيتم﴾ الخ صنيع أبي السعود يقتضي أن رأى هنا مستعملة في معناها الأصلي بمعنى العلم، وعليه فتكون بمعنى عرف لأنه ليس هنا إلا مفعول واحد وهو الموصول. ونصه: قال: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أي: أنظرتم فأبصرتم أو أتأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه اهـ.

وصنيع الكازروني يقتضي أنها بمعنى أخبروني، وتقدم أنها إذا كانت كذلك تعدت لمفعولين، أولهما: مفر وهو هنا الموصول. والثاني: جملة استفهامية وهي غير موجودة هنا، فتقدر في الكلام. ونصه: قال: أفرأيتم أي أخبروني عن حال ما كنتم تعبدون، أو أخبروني ما كنتم تعبدون هل هو حقيق بالعبادة أو لا؟ وهذا استهزاء بعبدة الأصنام، والفاء فاء السببية تفيد أن ما بعدها وهو العداوة سبب لطلب الإخبار عن حالهم، فهذه الفاء بمعنى اللام أي: أخبروني عن حالها لأنها عدوّ لي كما صرح به الرضي في قوله: ﴿اخرج منها فإنك رجيم﴾ [الحجر: ٣٤ صٓ: ٧٧] اهـ.

قوله: ﴿فإنهم عدوّ لي﴾ بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك، وأسند العداوة إلى نفسه تعريضاً بهم وهو أنفع في النصيحة من التصريح بها بأن يقول فإنهم عدو لكم اهـ شيخنا.

وفي الخازن: فإن قلت: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات لا تعقل؟ قلت: معناه فإنهم عدو لي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا، وقيل: إن الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الأحياء العقلاء أطلق إبراهيم لفظ العداوة عليها، وقيل: هو من المقلوب أراد فإني عدو لهم لأن من عاديته فقد عاداك اهـ.

قوله: ﴿إلا﴾ (لكن) ﴿رب العالمين﴾ أشار به إلى أن الاستثناء منقطع أي: لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال متفضلاً عليّ فيهما اهـ أبو السعود. وهو منصوب على الاستثناء.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ فإني أعبده ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨﴾ إلى الدين ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩﴾ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١﴾ ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾ أرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾ أي الجزاء ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾ علماً ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٣﴾ النبيين ﴿وَٱجْعَل

قوله: ﴿الذي خلقني﴾ يجوز فيه أوجه: النصب على النعت لرب العالمين، أو البدل، أو عطف البيان، أو على إضمار، أعني: والرفع على الخبر لمبتدأ مضمر أي: هو الذي خلقني أو على الابتداء، وقوله: ﴿فهو يهدين﴾ جملة اسمية في محل رفع خبر له. قال الحوفي: ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط، وهذا مردود لأن الموصول معين ليس عاماً ولأن الصلة لا يمكن فيها التجدد فلم يشبه الشرط. وتابع أبو البقاء الحوفي ولكنه لم يتعرض للفاء فإن عنى ما عناه الحوفي فقد تقدم ما فيه، وإن لم يعنه فيكون تابعاً للأخفش في تجويز زيادة الفاء في الخبر مطلقاً نحو زيد فاضربه وقد تقدم تحريره اهـ سمين.

قوله: ﴿فهو يهدين﴾ (إلى الدين) أي: وغيره مما يهمني ويصلحني من أمور الدنيا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿والذي هو يطعمني﴾ الخ عطف على الصفة الأولى وتكرير الموصول في المواضع الثلاثة المعطوفة للإيذان بأن كل واحد من تلك الصلات نعت جليل مستقل في إيجاب الحكم اهـ أبو السعود.

وعبارة السمين: قوله: ﴿والذي هو يطعمني﴾ يجوز أن يكون مبتدأ وخبره محذوف، وكذلك ما بعده، ويجوز أن تكون أوصافاً للذي خلقني ودخول الواو جائز، وقد تقدم تحقيقه في أول البقرة اهـ.

قوله: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء من الله تعالى استعمالاً لحسن الأدب، كما قال الخضر: ﴿فأردت أن أعيبها﴾ [الكهف: ٧٩] وقال: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ [الكهف: ٨٢] اهـ كرخي.

قوله: ﴿ثم يحيين﴾ عطف هنا بثم خلاف ما قبله لاتساع الأمرين الإماتة والإحياء لأن المراد بها الإحياء في الآخرة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي﴾ الخ ذكر ذلك هضماً وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر، وطلب أن يغفر لهم ما يفرط منهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿رب هب لي حكماً﴾ الخ لما ذكر فنون الألطاف الفائضة عليه من حضرة الحق من مبدأ خلقه إلى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: رب هب لي حكماً أي كمالاً في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورئاسة الخلق، وألحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذي لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره اهـ.

قوله: ﴿وألحقني بالصالحين﴾ أي: ألحقني بهم في العمل الصالح أو في درجات الجنة اهـ بيضاوي.

لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء حسناً ﴿فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ أي ممن يعطاها ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ بأن تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر في سورة براءة ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ تفضحني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أي الناس، قال تعالى فيه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أحداً ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ من الشرك

قوله: ﴿واجعل لي لسان صدق﴾ من إضافة الموصوف لصفته كما أشار له بقوله: (ثناء حسناً) وقد أجاب الله تعالى دعاءه فما من أمة من الأمم إلا وهي تحبيه وتثني عليه خصوصاً هذه الأمة، وخصوصاً في كل تشهد من تشهدات الصلوات اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي: جاهاً وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين، ولذلك لم توجد أمة من الأمم إلا وهم محبون له مثنون عليه، أو صادقاً من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه، وهو محمد ﷺ اهـ.

وقوله: أو صادقاً الخ أي: فتكون الآية على تقدير مضاف أي: صاحب لسان صدق، أو هو مجاز من إطلاق الجزء على الكل، لأن الدعوة باللسان. وقوله: أصل ديني هو العقائد والأحكام التي لم تنسخ اهـ شهاب.

قوله: ﴿من ورثة جنة النعيم﴾ مفعول ثان ومن تبعيضية. أي: اجعلني بعض الذين يرثون جنة النعيم، أي: اجعلني مندرجاً فيهم ومن جملتهم، وقوله: (أي ممن يعطاها) أي: بلا تعب ومشقة كالإرث الحاصل للإنسان من غير تعب اهـ شيخنا.

وإضافة الجنة إلى النعيم من إضافة المحل للحال فيه اهـ.

قوله: (بأن تتوب عليه الخ) مقتضى هذا التفسير أن الدعاء كان في حياة أبيه فدعا له بالتوفيق والهداية للإيمان، فحينئذ لا يستقيم قوله: (وهذا قبل أن يتبين له الخ). لأن التبين المذكور إنما حصل بموته كافراً كما تقدم في سورة براءة، وإذا كان التبين إنما حصل بعد موته كافراً لا يصح جعله قيداً للدعاء له في حياته بالهداية للإيمان، وإنما يصح هذا التقييد لو كان المراد الدعاء له بمغفرة الذنوب على حالته التي هو عليها فليتأمل. قوله: (وهذا) أي: الدعاء لأبيه بما ذكر، قوله: (كما ذكر في سورة براءة) أي: بقوله: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه﴾ [التوبة: ١١٤] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تخزني يوم يبعثون﴾ أي: بمعاقبتي على ما فرطت، أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الورّاث أو بتعذيبي، وقال ذلك لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلاً أو بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين، وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء أي: الاستحياء اهـ بيضاوي.

قوله: (تفضحني) بابه قطع، وفي المصباح: الفضيحة العيب، والجمع فضائح وفضحته فضحاً من باب نفع كشفته وفي الدعاء: لا تفضحنا بين خلقك أي استر عيوبنا ولا تكشفنا اهـ.

قوله: (قال تعالى فيه) أي: في شأن هذا اليوم وبعضهم وجعل هذا أي قوله: ﴿يوم لا ينفع الخ﴾ من كلام إبراهيم، وإعرابه بدلاً من يوم يبعثون. قال شيخنا: وهو أظهر. وفي السمين: قوله: يوم لا

والنفاق وهو قلب المؤمن فإنه ينفعه ذلك ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾ فيرونها ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ ۝٩١﴾ الكافرين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٩٢﴾ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره من

ينفع بدل من يوم قبله، وجعل ابن عطية هذا من كلام الله تعالى إلى آخر الآيات مع إعرابه يوم لا ينفع بدلاً من يوم قبله، ورده الشيخ بأن العامل في البدل هو العامل في المبدل منه أو آخر مثله مقدر، وعلى كل من هذين القولين لا يصح ما هنا لاختلاف المتكلمين اهـ.

قوله: (قال تعالى فيه الخ) أشار به إلى أمرين، أحدهما: أن قوله: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون الخ﴾ ليس من كلام الخليل، ومع ذلك هو بدل من يوم قبله، وأنه إخبار من الله تعالى بصفة ذلك اليوم. الثاني: أن الاستثناء منقطع لأن سلامة القلب ليست من جنس الأول، وهذا هو الظاهر كما قاله أبو حيان اهـ كرخي.

قوله: (لكن) ﴿إلا من أتى الله﴾ الخ حمل الشارح الاستثناء على الانقطاع حيث فسر إلا بلكن على عادته في الإشارة للمنقطع وصرح غيره بأنه منقطع، ووجهه أنه على هذا استثناء من الفاعل وهو المال والبنون ومن أتى الله بقلب سليم غيرهما، وبعضهم جعله متصلاً وجعله استثناء من المفعول الذي قدره الشارح بقوله: (أحداً) وهو ظاهر جداً اهـ شيخنا.

وهذا الماضي بمعنى المضارع، وكذا يقال في قوله: ﴿وأزلفت﴾ ﴿وبرزت﴾ وقيل: وكبكبوا وقالوا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بقلب سليم﴾ من الشرك والنفاق، أي: فينفعه ماله الذي أنفقه في الخير وولده الصالح بدعائه، كما جاء في الخبر: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له». وأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، وهذا قول أكثر المفسرين. وقيل: السليم هو اللديغ من خشية الله، وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض قال تعالى: ﴿في قلوبهم مرض﴾ [البقرة: ١٠] اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ عطف على لا ينفع، وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره، كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع. أي: قربت الجنة للمتقين للكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن، فيبتهجون بأنهم المحشورون إليها، وبرزت الجحيم للغاوين: أي: الضالين عن طريق الحق هو الإيمان والتقوى أي: جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأحوال الهائلة ويوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وقيل لهم﴾ أي: على سبيل التوبيخ ﴿أين ما كنتم﴾ ما: موصولة أي: اسم موصول كما بينها الشارح بقوله: (من الأصنام). واختلفت المصاحف في رسمها موصولة بأين أو مفصولة عنها والفصل أظهر فليست هذه كالتي في قوله: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ [النساء: ٧٨] فهي زائدة وترسم موصولة باتفاق. وأين: خبر مقدم، وما: مبتدأ مؤخر أي: آلهتكم أين أي: في أي مكان. وهذا

الأصنام ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ بدفعه عن أنفسهم لا ﴿فَكُبْكِبُوا﴾ ألقوا ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾﴾ ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس ﴿أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿قَالُوا﴾ أي الغاوون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ مع معبوديهم ﴿تَاللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ بيِّن ﴿إِذْ﴾ حيث ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ في العبادة ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾ عن الهدى ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ أي الشياطين أو أولونا الذين اقتدينا بهم ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ أي يهمه أمرنا

سؤال توبيخ وتبكيت لا يتوقع له جواب اهـ كرخي.

قوله: ﴿فكبكبوا﴾ أي: الأصنام. ﴿والغاوون﴾ معطوف على الواو وسوغه الفصل بالظرف وبضمير الفصل، وقوله: ﴿وجنود إبليس﴾ معطوف على الواو أيضاً. وقوله: ﴿أجمعون﴾ توكيد للواو وما عطف عليها اهـ شيخنا.

والكبكبة: تكرير الكب وهو الإلقاء على الوجه بتكرير معناه كأن من ألقي من النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها اهـ بيضاوي.

قوله: (ومن أطاعه) عطف تفسير.

قوله: ﴿تالله إن كنا﴾ الخ معمول لقالوا، وجملة وهم فيها الخ في محل نصب على الحال اهـ شيخنا.

قوله: (أي إنه) أي: الشأن.

قوله: ﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ ظرف لكونهم في ضلال مبين، وقيل: لما دل عليه الكلام أي: ضللنا، وقيل للضلال المذكور وإن كان فيه ضعف صناعي من حيث أن المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف، وقيل: ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضاره الصورة الماضية أي: تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا إياكم بهذه الأصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم اهـ أبو السعود.

قوله: (أو أولونا) أي: السابقون علينا.

قوله: ﴿فما لنا من شافعين﴾ الخ جمع شافع، ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق، ولأن الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، أو لإطلاق الصديق على الجمع كالعدو لأنه في الأصل مصدر كالحنين والصهيل اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ولا صديق حميم﴾ من الاحتمام بمعنى الاهتمام كما قاله الزمخشري اهـ شيخنا.

وفي السمين: الحميم القريب من قوله حامة فلأن أي: خاصته، وقال الزمخشري: الحميم من الاحتمام وهو الاهتمام أو من الحامة وهي الخاصة وهو الصديق الخالص، والنفي هنا يحتمل نفي الصديق من أصله أو نفي صفته فقط والصديق يحتمل أن يكون مفرداً وأن يكون مستعملاً في الجمع كما يستعمل العدو فيه، فيقال: هم صديق وهم عدو اهـ.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ لو هنا للتمني، ونكون جوابه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قصة إبراهيم وقومه ﴿لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ بتكذيبهم له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل وتأنيث قوم باعتبار معناه وتذكيره باعتبار لفظه ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ نسباً ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ على تبليغ ما أرسلت به ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ أي ثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ كرره تأكيداً ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ﴾ نصدِّق ﴿لَكَ﴾

قوله: (أي يهمه أمرنا) بضم أوله وكسر ثانية من أهمه رباعياً أو بفتح أوله وضم ثانية من همه ثلاثياً. ففي المصباح: وأهمني الأمر بالألف أقلقني، وهمني هماً من باب قتل مثله اهـ.

قوله: ﴿فنكون من المؤمنين﴾ منصوب في جواب التمني.

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ (المذكور من قصة إبراهيم وقومه) ﴿لآية﴾ أي: لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر، فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلالتها، وحسن دعوته للقوم، وحسن مخالفته معهم، وكمال إشفاقه عليهم، وتصوير الأمر في نفسه، وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضاً بهم، وإيقاظاً لهم ليكون أدعى إلى الاستماع والقبول اهـ بيضاوي.

قوله: (بتكذيبهم له) يشير بهذا التوجيه إلى أن الجمع على حقيقته، وقوله: (أو لأنه الخ). يشير به إلى أن في الجمع مسامحة وتجوزاً اهـ شيخنا.

قوله: (وتأنيث قوم) أي: تأنيث فعل المسند إليه باعتبار معناه، وهو الأمة والجماعة، وتذكيره أي: تذكير الضمير العائد إليه في قوله: ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ الخ. وفي البيضاوي: القوم مؤنث، ولذلك يصغر على قويمة. وفي المصباح: القوم يذكر ويؤنث، فيقال: قام القوم وقامت القوم، وكذا كل اسم جمع لا واحد له من لفظه نحو: رهط ونفر اهـ.

فقوله: مؤنث أي: على الأغلب لا أنه ذهب إلى أنه جمع قائم والأصل تأنيثه اهـ شهاب.

قوله: (نسباً) أي: في النسب لا في الدين.

قوله: ﴿ألا تتقون﴾ (الله) أي: فتتركون عبادة غيره.

قوله: ﴿من أجر﴾ أي: أجرة، ومن زائدة في المفعول.

قوله: ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ تصدير القصص الخمس بالحث على التقوى يدل على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه، وكان الأنبياء متفقين على ذلك وإن اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنيئة والأغراض الدنيوية اهـ.

قوله: (كرره تأكيداً) وحسن التأكيد كون الأول مرتباً على الرسالة والأمانة، وكون الثاني مرتباً

لقولك ﴿وَاتَّبَعَكَ﴾ وفي قراءة وأتباعك جمع تابع مبتدأ ﴿الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ السفلة كالحاكة والأساكفة ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾ أي علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾

على عدم سؤاله أجراً منهم اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وكرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم إليه، فكيف إذا اجتمعا اهـ.

قوله: ﴿قالوا أنؤمن لك﴾ الخ هذا من سخافة عقولهم وقصر رأيهم على حطام الدنيا، حتى جعلوا اتباع المقلين من الدنيا مانعاً من اتباعهم، وجعلوا إيمانهم بما يدعوهم إليه دليلاً على بطلانه، وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة، وإنما لتوقع مال ورفعة اهـ بيضاوي.

وفي سورة هود: ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ [هود: ٢٧] اهـ.

قوله: (وفي قراءة الخ) عادته أنه يشير بهذه العبارة إلى كون القراءة سبعية، وهذا الصنيع منه أمر أغلبي فما هنا من غير الغالب فإن هذه القراءة ليعقوب من العشرة اهـ شيخنا.

قوله: (جمع تابع) كشاهد وأشهاد، أو جمع تبع كبطل وأبطال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مبتدأ) أي: وخبره الأرذلون، والجملة في محل نصب على الحال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الأرذلون﴾ أي: الأقلون جاهاً ومالاً جمع الأرذل على الصحة، فإنه بالغلبة صار جارياً مجرى الاسم كالأكبر، وقيل: جمع أرذل جمع رذل كأكالب وأكلب وكلب اهـ أبو السعود.

قوله: (السفلة) المراد بهم هنا فقراء الناس وضعفاؤهم، وإنما بادروا للاتباع قبل الأغنياء لاستيلاء الرئاسة على الأغنياء وصعوبة الانفكاك منها والأنفة عن الانقياد للغير، والفقير خليّ من تلك الموانع فهو سريع الإجابة والانقياد، وهذا غالب أحوال أهل الدنيا اهـ قرطبي من سورة هود.

قوله: ﴿قال وما علمي﴾ ما يحتمل أن تكون استفهامية وأن تكون نافية، وقول الشارح أي علم لي إشارة إلى الاحتمال الأول، وإلى أن الإضافة على معنى اللام، وهذا الاستفهام إنكاري فيرجع لمعنى النفي. وفي السمين يجوز في ما وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أنها استفهامية في محل رفع للابتداء، وعلمي خبرها، والباء متعلقة به. والثاني: أنها نافية، والباء متعلقة بعلمي أيضاً. قاله الحوفي: ويحتاج إلى إضمار خبر ليصير الكلام به جملة اهـ.

قوله: (أي علم لي) أشار إلى أن أصل علمي علم لي فحذف تخفيفاً أي: وأي شيء علمي، والمراد انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سرائرهم وبواطنهم اهـ كرخي.

وفي القرطبي: قال: وما علمي بما كانوا يعملون كان زائدة، والمعنى وما علمي بما يعملون أي: لم أكلف العلم بأعمالهم إنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان والاعتبار بالإيمان لا بالحرف والصنائع، وكأنهم قالوا: إنما اتبعك هؤلاء الضعفاء طمعاً في العزة والمال، فقال: إني لم أقف على باطن أمرهم وإنما وقفت على ظواهرهم، والمعنى أي: لم أعلم أن الله يهديهم ويضلكم ويرشدهم ويغويكم ويوفقهم ويخذلكم إن حسابهم أي: في أعمالهم وإيمانهم إلا على ربي لو تشعرون اهـ.

فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ تعلمون ذلك ما عبتموهم ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ بيّن الإنذار ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ بالحجارة أو بالشتم ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أي احكم ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ قال تعالى ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ المملوء من الناس والحيوان ﴿ثُمَّ

قوله: ﴿إن حسابهم﴾ أي: حساب بواطنهم. قوله: (ما عبتموهم) أي: نسبتموهم للعيب. قوله: ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ رد لما أشعر به كلامهم من طلبهم منه أن يطرد الضعفاء المؤمنين اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وما أنا بطارد المؤمنين جواب لما أوهمه قولهم من استدعاء طردهم وتوقف إيمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم هو المانع لهم اهـ.

وقوله: ﴿إن أنا نذير مبين﴾ كالعلة له. وفي القرطبي: في سورة هود سألوه أن يطرد الأراذل الذين آمنوا كما سألت قريش النبي ﷺ أن يطرد الموالي والفقراء حسبما تقدم في سورة الأنعام اهـ.

قوله: ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ أي: ما أنا إلا رسول مبعوث لإنذار المكلفين، وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء أو من الاراذل، فكيف يناسبني طرد الفقراء لأجل اتباع الأغنياء، أو ما أنا إلا مبعوث لإنذاركم بالبرهان الواضح، وقد فعلت وليس علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قال رب إن قومي كذبون﴾ إنما قال هذا إظهاراً لما يدعو عليهم لأجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم واستخفافهم به اهـ بيضاوي.

يعني: أن قوله رب إن قومي كذبون لم يقله نوح إفادة له تعالى بمضمون هذا الخبر ولا بكونه عالماً بمضمونه لعلمه بأنه تعالى عالم الغيب والشهادة، ولكن أراد به إني أدعوك عليهم لأجل تخويفهم إياي بالرجم وامتحانهم إياي بقوله: ﴿واتبعكم الأرذلون﴾، وإنما أدعو عليهم لأجلك، ولأجل دينك لأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك اهـ زاده.

قوله: ﴿إن قومي كذبون﴾ أي: صمموا على تكذيبي وأصروا عليه بعد ما دعوتهم هذه الأزمنة المتطاولة فلم يزدهم دعائي إلا فراراً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي: احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا أي: أنزل العقوبة والهلاك بهم بدليل قوله: ﴿ونجني﴾ أي: مما ينزل بهم. وهذه حكاية إجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح، وفي زاده: فافتح بيني وبينهم فتحاً من الفتاحة أي: الحكومة. والفتاح: الحاكم سمي به لفتحه المغلق من الأمور اهـ.

والفتاحة بالضم والكسر كما في القاموس.

قوله: ﴿ومن معي من المؤمنين﴾ وكانوا ثمانين أربعون من الرجال وأربعون من النساء اهـ.

﴿أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي بعد إنجائهم ﴿الْبَاقِينَ ١٢٠﴾ من قومه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٢١﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٢٢﴾ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ١٢٣﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٢٥﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦﴾ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٢٧﴾ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿آيَةً﴾ بناء علماً للمارّة ﴿تَعْبَثُونَ ١٢٨﴾ بمن يمر بكم وتسخرون منهم، والجملة حال من ضمير تبنون ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ كأنكم

قوله: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أفهم أنه لو كان نصفهم مؤمنين لما أخذوا اهـ كرخي.

قوله: ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ عاد: اسم قبيلة هود سميت باسم أبيها الأعلى وكان من نسل سام ابن نوح وقوله: ﴿المرسلين﴾ في إطلاق الجمع على هود ما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ أي: نسباً كما تقدم، وكان هود تاجراً جميل الصورة يشبه آدم، وعاش من العمر أربعمائة وأربعاً وستين سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أتبنون بكل ريع﴾ استفهام تقريع وتوبيخ ومحل التوبيخ هو الجملة الحالية أي: تعبثون، وقوله: ﴿وتتخذون﴾ معطوف على تبنون، وكذا قوله: ﴿وإذا بطشتم﴾ الخ فوبخهم على أمور ثلاثة. فقول الشارح: فاتقوا الله في ذلك أي: المذكور من الأمور الثلاثة البناء والاتخاذ المذكور والتجبر اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: واعلم أن اتخاذ الأبنية العالية يدل على حب الدنيا، واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو وهذه صفات الإلهية وهي ممتنعة الحصول للعبد اهـ.

قوله: ﴿بكل ريع﴾ الريع: بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهو في اللغة المكان المرتفع، وقال أبو عبيدة: هو الطريق اهـ سمين.

وقيل: هو الجبل اهـ مصباح.

وفي القاموس: والريع بالكسر والفتح المرتفع من الأرض أو كل فج أو كل طريق أو الطريق المنفرج في الجبل، والجبل المرتفع الواحدة بهاء وبالكسر الصومعة وبرج الحمام والتل العالي وبالفتح فضل كل شيء كريع العجين والدقيق والبذر اهـ.

قوله: (علماً للمارة) أي: كالعلم في الارتفاع. وفي البيضاوي: آية علماً للمارة تعبثون ببنائها، إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها، أو بروج الحمام، أو بنياناً يجتمعون إليه للعبث بمن يمر بهم، أو قصوراً يفتخرون بها.

وفي أبي السعود: تعبثون أي: تجتمعون فيها، أي: الأبنية فتعبثون بمن يمر بكم اهـ.

وفي المصباح: عبث عبثاً من باب لعب وعمل ما لا فائدة فيه فهو عابث اهـ.

فقول الشارح: وتسخرون عطف تفسير. قوله: ﴿مصانع﴾ جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو ضمها وهي الحوض أو البركة. فقوله: ﴿مصانع﴾ أي حيضاناً وبركاً تجمعون فيها الماء فهي من قبيل الصهاريج اهـ شيخنا.

﴿تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ فيها لا تموتون ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بضرب أو قتل ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ من غير رأفة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾ فيما أمرتكم به ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾ أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ أنهار ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ مستوٍ عندنا ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ أصلاً أي لا نرعوي لوعظك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي خوّفتنا به ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾

في المختار: المصنعة بفتح الميم وضم النون أو فتحها كالحوض يجمع فيه ماء المطر والمصانع الحصون اهـ.

قوله: ﴿لعلكم﴾ (كأنكم) فسر لعل بكأن بدليل القراءة الشاذة كأنكم تخلدون، لكن على هذا الصنيع لا يحسن التوبيخ على البناء المذكور لأنه مباح، وبعضهم أبقاها على ظاهرها من الترجي أي: راجين ومؤملين أن تخلدوا في الدنيا لإنكاركم البعث والتوبيخ حينئذ ظاهر اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ﴿لعلكم تخلدون﴾ أي: راجين أن تخلدوا في الدنيا أو عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها اهـ.

وفي السمين: ولعل هنا على بابها، وقيل: للتعليل ويؤيده قراءة عبد الله كي تخلدون، وقيل: للاستفهام قاله زيد بن علي، وبه قال الكوفيون. وقيل: معناها التشبيه أي: كأنكم تخلدون، ويؤيده ما في مصحف أبي كأنكم تخلدون، وقرىء كأنكم خالدون، ولم أر من نص على أنها تكون للتشبيه اهـ.

قوله: ﴿تخلدون﴾ (فيها) أي: الدنيا أو الأرض. قوله: ﴿وإذا بطشتم﴾ الخ البطش: السطوة والأخذ بعنف، وقال ابن عباس: إذا ضربتم بالسياط وقتلتم بالسيف فعلتم فعل الجبارين اهـ زاده.

قوله: ﴿بما تعلمون﴾ أي: من أنواع النعم الحاصلة لكم، ثم فصل هذا الإجمال بقوله: ﴿أمدكم بأنعام الخ﴾ بإعادة الفعل لزيادة التقرير، فإن التفصيل بعد الإجمال، والتفسير بعد الإبهام أدخل في ذلك اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿أمدكم بأنعام﴾ الخ فيه وجهان، أحدهما: أن الجملة الثانية بيان للأولى وتفسير لها. والثاني: أن بأنعام بدل من قوله بما تعلمون بإعادة العامل، كقوله: ﴿اتبعوا المرسلين﴾ [يسٓ: ٢٠] اتبعوا من لا يسألكم أجراً. قال الشيخ: والأكثرون لا يجعلون هذا بدلاً، وإنما يجعلونه تكريراً، وإنما يجعلون البدل بإعادة العامل إذا كان العامل حرف جر من غير إعادة متعلقة نحو: مررت بزيد بأخيك، ولا يقولون: مررت بزيد مررت بأخيك على البدل اهـ.

قوله: ﴿إني أخاف عليكم﴾ أي: إن لم تقوموا بشكر هذه النعم فإن كفران النعمة مستتبع للعقاب كما أن شكرها مستتبع لزيادتها، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم. ٧] الآية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أم لم تكن من الواعظين﴾ هذا أبلغ من أن يقولوا أم لم تعظ، كما أشار له الشارح بقوله: (أصلاً)، وقوله: (أي لا نرعوي) أي: لا ننتهي ولا نرجع عما نحن فيه لأجل وعظك إيانا اهـ شيخنا.

أي اختلافهم وكذبهم، وفي قراءة بضم الخاء واللام، أي ما هذا الذي نحن عليه من أن لا بعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعادتهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا﴾ من الخير ﴿آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾﴾ ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ لطيف لين ﴿وَتَنْحِتُونَ

وفي المختار: وقد ارعوى عن القبيح أي: انكف وارتدع عنه. وفي السمين: قوله: ﴿أم لم تكن من الواعظين﴾ معادل لقوله: ﴿أوعظت﴾، وإنما أتى بالمعادل هكذا دون قوله: أم لم تعظ لتواخي القوافي. وأبدى له الزمخشري معنى فقال: وبينهما فرق لأن المعنى سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشريه فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ اهـ.

قوله: ﴿إن هذا﴾ الخ تعليل لما قبله. قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية. قوله: (من أن لا بعث الخ) أي: من اعتقاد أن لا بعث، وقوله: (أي طبيعتهم الخ) عبارة الخازن: أي: عادة الأولين من قبلنا أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب اهـ.

قوله: ﴿وما نحن بمعذبين﴾ أي: على ما نحن عليه من الأعمال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فكذبوه﴾ أي: أصروا على تكذيبه، وقوله: (بالعذاب) لعل الباء فيه بمعنى في، في وعيده لهم بالعذاب اهـ شيخنا.

قوله: (بالريح) الصرصر وهي ريح باردة شديدة الصوت لا ماء فيها وسلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام. أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء اهـ جلال من سورة الحاقة. وسيأتي هناك زيادة بسط لهذه القصة.

قوله: ﴿كذبت ثمود﴾ اسم قبيلة صالح سميت باسم أبيها وهو ثمود جد صالح، ولذلك كان صالح أخاهم نسباً لاجتماعه معهم في الأب الأعلى، وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة، وبينه وبين هود مائة سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿المرسلين﴾ المراد، بهم صالح ففي التعبير عنه بالجمع ما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أتتركون﴾ استفهام إنكاري توبيخي، وما: اسم موصول فسرها الشارح بقوله من الخير أي: النعم، والهاء للتنبيه وهنا اسم إشارة للمكان القريب، والمراد به الدنيا وهو ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول أي: لا تظنوا ولا ينبغي لكم أن تعتقدوا أنكم تتركون في الدنيا متقلبين في النعم التي فيها آمنين من العذاب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿آمنين﴾ حال من الواو في تتركون، وقوله: ﴿في جنات﴾ الخ بدل من قوله: (فيما) ههنا بإعادة العامل لأجل تفصيل المجمل اهـ شيخنا.

﴿مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ بطرين وفي قراءة فارهين حاذقين ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾ فيما أمرتكم به ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ بطاعة الله

قوله: ﴿ونخل﴾ النخل: اسم جمع الواحدة نخلة وكل اسم جمع كذلك يؤنث ويذكر، وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقاً اهـ مصباح.

وقوله: (طلعها) هو ثمرها في أول ما يطلع وبعده يسمى خلالاً ثم بلحاً ثم بسراً ثم رطباً ثم تمراً اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: طلعها وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو اهـ.

وتشبيه بنصل السيف من حيث الهيئة والشكل. وفي المختار: ويقال للطلع هضيم ما لم يخرج من كفراه لدخول بعضه في بعض اهـ.

وفي أبي السعود: والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر، أو لأنّ النخل أنثى وطلع الاناث ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو أو متدل متكسر من كثرة الحمل، وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات، أو لأن المراد به غيرها من الأشجار اهـ.

قوله: ﴿وتنحتون﴾ معطوف على تتركون فهو في حيز الاستفهام التوبيخي ومحل التوبيخ الحال، وهي قوله: ﴿فارهين﴾ من الفره وهو شدة الفرح، وقوله: (حاذقين) أي: ماهرين في العمل، وفي المصباح: حذق الرجل في صنعته من بابي ضرب وتعب حذقاً مهر فيها وعرف غوامضها ودقائقها، وحذق الخل يحذق من باب ضرب حذوقاً انتهت حموضته فلذع اللسان اهـ.

وفي القرطبي: النحت النحر والبري يقال نحته ينحته بالكسر نحتاً أي براه، والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به. وفي الصافات: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ [الصافات: ٩٥] فكانوا ينحتونها من الجبال لما طالت أعمارهم وتهدم بناؤهم من المدر اهـ.

وفي الكرخي سورة الأعراف: وإنما كانوا ينحتون بيوتاً في الجبال لطول أعمارهم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم اهـ.

وفي الخطيب: في سورة هود: وكان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف سنة وكذا كان قوم هود اهـ.

قوله: ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ فيه إسناد مجازي في النسبة الإيقاعية أي: ولا تطيعوا المسرفين في أمرهم اهـ شيخنا.

والمسرفون قال ابن عباس: المراد بهم المشركون، وقيل: المراد بهم التسعة الذين عقروا الناقة اهـ خازن.

قوله: ﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ وصف موضع لإسرافهم، لأنَ المراد بالإسراف هنا ليس معناه المعروف، بل المراد به زيادة الفساد. ولما كان قوله يفسدون لا ينافي صلاحهم أحياناً أردفه بقوله: ﴿ولا يصلحون﴾ لبيان كمال إفسادهم وإسرافهم فيه اهـ شهاب.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقلهم ﴿ مَآ أَنتَ ﴾ أيضاً ﴿ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ في رسالتك ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ ﴾ نصيب من الماء ﴿ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ ﴾ ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ ﴾ بعظم العذاب ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أي عقرها بعضهم برضاهم ﴿ فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ على عقرها ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾ الموعود به

قوله: ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ أي: فكيف تدعي أنك رسول إلينا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال هذه ناقة﴾ أشار إليها بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: رأيت مبركها فإذا هو ستون ذراعاً، ثم وصاهم صالح بأمرين، الأول: لها شرب الخ. والثاني: ولا تمسوها بسوء الخ اهـ زاده.

قوله: (نصيب من الماء) أي: تشرب منه يوماً وأنتم يوماً لا تزاحمكم في يومكم ولا تزاحمونها في يومها وفي يومها تشربون من لبنها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فعقروها﴾ أي: يوم الثلاثاء فأخذهم العذاب يوم السبت بعد ما جعل لهم عليه علامة، وهو أنهم في اليوم الأول من ثلاثة الميعاد وهو يوم الأربعاء قد اصفرت وجوههم، ثم احمرت في الخميس، ثم اسودت في الجمعة اهـ شخينا.

وفي القرطبي: في سورة النمل وفي قول مقاتل وغيره: أنه خراج في أبدانهم خراج مثل الحمص، فكان في اليوم الأول أحمر، ثم صار من الغد أصفر، ثم صار في الثالث أسود، وكان عقر الناقة يوم الأربعاء وهلاكهم يوم الأحد انفقعت فيه تلك الخراجات وصاح عليهم جبريل صيحة فماتوا بالأمرين وكان ذلك ضحوة اهـ.

قوله: (أي عقرها بعضهم) أي: ضربها بالسيف في ساقيها بعضهم واسمه قدار وكان قصيراً دميماً وكان ابن زنا اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قال السدي وغيره: أوحى الله إلى صالح إن قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك. فقالوا: ما كنا لنفعل. فقال لهم صالح: إنه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد في هذا الشهر ذكر إلا قتلناه فولد منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم للعاشر، فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك، فكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتاً سريعاً فكان إذا مرَّ بالتسعة فرأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا، وغضب التسعة عن صالح لأنه كان سبباً لقتلهم أبناءهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله، فقالوا: نخرج إلى سفر فيرى الناس سفرنا فنكون في غار حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتيناه فقتلناه، ثم قلنا: ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون فيصدقونا ويعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر. وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان ينام في المسجد فإذا أصبح أتاهم فوعظهم، فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم، فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك فصاحوا في القرية: يا عباد الله أما رضي صالح أن أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم، فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة اهـ.

قوله: ﴿نادمين﴾ (على عقرها) أي: خوفاً من أن يحل بهم العذاب لا توبة اهـ بيضاوي.

فهلكوا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ أي من الناس ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾ أي أقبالهن ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ﴾ عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ من بلدتنا ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ المبغضين ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ أي من عذابه

أي: لأنه لا يناسب تفريع فأخذهم العذاب عليه، ولأن مجرد الندم ليس توبة اهـ شهاب.

قوله: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ في نفي الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب، وأن قريشاً إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أخوهم لوط﴾ لم يكن لوط منهم في النسب، وإنما سمي أخاهم باعتبار أنه كان ساكناً ومجاوراً لهم في قريتهم اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: إذ قال لهم أخوهم لوط أي: أخوهم في البلد لا في الدين ولا في النسب، لأنه ابن أخي إبراهيم عليهما السلام وهما من بلاد المشرق من أرض بابل، وكأنه عبَّر بالأخوة لاختياره لمجاورتهم ومناسبتهم بمصاهرتهم وإقامته بينهم في مدينتهم مدة مديدة وسنين عديدة وإتيانه بالأولاد من نسائهم مع موافقته لهم في أنه قروي اهـ.

قوله: ﴿الذكران﴾ جمع ذكر، وفي المختار: الذكر ضد الأنثى وجمعه ذكور وذكران وذكارة كحجارة اهـ.

وقوله: ﴿من العالمين﴾ حال. قوله: (أي أقبالهن) تفسير لما في قوله: ﴿ما خلق لكم﴾. ومعنى خلق أصلح كما قرىء به أي: أحل وأباح اهـ شيخنا.

قوله: (متجاوزون الحلال إلى الحرام) أي: لأن معنى العادي المعتدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد، فالمراد إما التجاوز في الشهوة بقرينة المقام، أو في المعاصي مطلقاً ويدخل فيه ما سبق الكلام فتعلقه عليهما مقدر لكنه إما خاص أو عام اهـ شهاب.

قوله: (من بلدتنا) في نسخة قريتنا.

قوله: ﴿من القالين﴾ متعلق بمحذوف أي: لقال من القالين، وذلك المحذوف خبر إن، ومن القالين صفته، ولعملكم متعلق بالخبر المحذوف. ولو جعل من القالين خبر إن لعمل القالين في لعملكم فيفضي إلى تقديم معمول الصلة على الموصول وهو أل مع أنه لا يجوز اهـ زاده.

وفي المصباح: وقليت الرجل أقليه من باب رمى قلى بالكسر والقصر، وقد يمد إذا أبغضته ومن باب تعب لغة اهـ.

والقلى أبلغ البغض. وعبارة الكشاف: القلى البغض الشديد كأنه يقلي الفؤاد اهـ.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ امرأته ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ الباقين أهلكناها ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ أهلكناهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ حجارة من جملة الإهلاك ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ مطرهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ وفي قراءة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء هي غيضة شجر قرب مدين

قوله: ﴿وأهله﴾ أي: بنتيه وامرأته المؤمنة. قوله: (الباقين) أي: في العذاب. وعبارة الخطيب: ثم استثنى من أهل بيته قوله: ﴿إلا عجوزاً﴾ وهي امرأته كائنة في حكم الغابرين، أي: الماكثين الذين تلحقهم الغبرة بما يكون من الداهية، فإننا لم ننجها لقضائنا بذلك في الأزل لكونها لم تتابعه في الدين ولم تخرج معه، وكانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم، وقيل: إنها خرجت فأصابها حجر في الطريق فأهلكها، فإن قيل: قوله: ﴿في الغابرين﴾ صفة لها، كأنه قيل إلا عجوزاً في الغابرين غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم. أجيب: بأن معناه إلا عجوزاً مقدراً غبورها، أو في حكمهم كما مرت الإشارة إليه اهـ.

وفي المصباح: غبر غبوراً من باب قعد بقي. وقد يستعمل فيما مضى أيضاً فيكون من الأضداد، وقال الزبيدي: غبر غبوراً مكث. وفي لغة بالمهملة للماضي وبالمعجمة للباقي وغبر الشيء وزان سكر بقيته اهـ.

قوله: (أهلكناهم) أي: بقلب قراهم عليهم وجعل أعلاها سافلها، وقوله: ﴿وأمطرنا عليهم﴾ أي: على من كان منهم ذلك الوقت خارج القرى لسفر أو غيره اهـ شيخنا.

قوله: (مطرهم) هذا هو المخصوص بالذم اهـ.

قوله: ﴿كذب أصحاب الأيكة﴾ قد وقع لفظ الأيكة في القرآن أربع مرات: في الحجر، وفي ق، وما هنا، وفي ص. والأولان بأل والجر لا غير، والآخران يقرآن بأل وبالجر وبالتصرف الذي قاله الشارح هنا مع فتح التاء، مع أن الكل مجرورات بإضافة لفظ أصحاب إليها اهـ شيخنا.

قوله: (بحذف الهمزة) أي: الثانية التي هي من بنية الكلمة التي هي أيكة، وقوله: (على اللام) أي: لام التعريف، وأما الهمزة الأولى فقد حذفت للاستغناء عنها بتحريك اللام لأنها همزة وصل لا تدخل إلا على الساكن كما يؤخذ من القرطبي، وقوله: (وفتح الهاء) في نسخة وفتح التاء وهي أوضح، وهذا الفتح نائب عن الكسر لأن اللفظ مجرور بالإضافة وممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار البقعة إن كان هذا اللفظ عربياً وللعلمية والعجمة إن كان أعجمياً اهـ شيخنا.

قوله: (وإلقاء حركتها على اللام الخ) هذا الصنيع يقتضي إن اللام الموجودة لام التعريف، وحينئذ لا يصح قوله وفتح الهاء إذ الاسم المقرون بأل سواء كانت معرفة أو غيرها يجر بالكسرة سواء وقع فيه نقل أو لا. وبعضهم وجه فتح الهاء بأن الاسم وزن ليلة فاللام من بنية الكلمة ولا نقل، بل حركة اللام أصلية فجره بالفتحة حينئذ ظاهر وهذا هو الظاهر اهـ شيخنا.

وفي الشهاب ما نصه: وقد استشكل هذه القراءة أبو علي الفارسي وغيره بأنه لا وجه للفتح، لأن نقل حركة الهمزة لا يقتضي تغيير الإعراب من الكسر إلى الفتح. وأجيب: بأن ليكة على هذه القراءة

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾﴾ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ ﴿۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾﴾ الناقصين ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ الميزان

اسم البلدة وهي غير مصروفة للعلمية والتأنيث، واللام فيها جزء من الكلمة لا المعرفة لأنها توجب الصرف، فقول المصنف: إنها على النقل غير صحيح، وبهذا اندفع ما قاله النحاة فإنهم نسبوا هذه القراءة إلى التحريف اهـ ملخصاً.

وقد أطال السمين في توجيه هذه القراءة جداً ورجع إلى ما سمعته ونصه: قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر ليكة بلام واحدة وفتح التاء جعلوه اسماً غير معرف بأل مضافاً إليه أصحاب هنا، وفي ص خاصة. والباقون الأيكة معرفاً بأل موافقة لما أجمع عليه في الحجر وفي ق. وقد اضطربت أقوال الناس في القراءة الأولى، وتجرأ بعضهم على قارئها، وسأذكر لك من ذلك طرفاً، فوجهها على ما قال أبو عبيد أن ليكة اسم للقرية التي كانوا فيها، والأيكة اسم للبلاد كلها فصار الفرق بينهما شبيهاً بما بين مكة وبكة ورايتهن مع هذا في الذي يقال إنه مصحف الإمام مصحف عثمان مفترقات، فوجدت التي في الحجر والتي في ق الأيكة، ووجدت التي في الشعراء والتي في ص ليكة، ثم اجتمعت عليها مصاحف الأمصار بعد، وقرأ أهل المدينة على هذا اللفظ الذي قصصنا يعني بغير ألف ولام اهـ ما قاله أبو عبيد.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: بعد ما نقلته عنه هذه عبارته اهـ.

وفي القاموس: الليكة اسم قرية أصحاب الحجر، وبها قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وإنكار الزمخشري كونها اسم القرية غير جيد اهـ.

قوله: (هي غيضة شجر) أي: مكان فيه شجر ملتف بعضه على بعض، وكان شجرهم الدوم فكل مكان كذلك يقال له غيضة بفتح الغين المعجمة وبالضاء المعجمة اهـ شيخنا.

قوله: (قرب مدين) وهي قرية شعيب سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم، وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذ قال لهم شعيب﴾ الخ قد أرسل شعيب عليه السلام لهم ولأهل مدين التي هي قريته، فكل أهل مدين أهلكوا بالصيحة وأصحاب الأيكة أهلكوا بعذاب يوم الظلة اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قال قتادة: بعث الله شعيباً إلى أمتين أصحاب الأيكة وأهل مدين فأهلك الله أصحاب الأيكة بالظلة، وأما أهل مدين فصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا أجمعين اهـ.

قوله: (لأنه لم يكن منهم) أي: وإن كان من أهل قرية مدين كما تقدم في قوله: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ [الأعراف: ٨٥] اهـ شيخنا.

قوله: (الناقصين) أي: لحقوق الناس. قوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ وكان من جملة بخسهم أنهم يقصون الدراهم والدنانير، فهذا من عطف العام عل الخاص اهـ شيخنا.

السوي ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ بالقتل وغيره من عثي بكسر المثلثة أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ الخليقة ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾﴾ ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه ﴿نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ بسكون السين

قوله: (بالقتل وغيره) كقطع الطريق. قوله: (من عثي بكسر المثلثة) في المختار: عثا في الأرض أفسد وبابه سما وعثي أيضاً، وعثى بفتحتين بوزن فتى، قال الله تعالى: ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ [البقرة: ٦٠]. قلت: قال الأزهري: القراء كلهم متفقون على فتح الثاء دل على أن القرآن نزل باللغة الثانية اهـ.

وفي القاموس: عثى كسعى ورمى ورضى اهـ.

قوله: (لمعنى عاملها) أي: وأما لفظهما فمختلف اهـ.

قوله: (الخليقة) بمعنى الخلائق والأمم، وقوله: ﴿الأولين﴾ أي: الماضين كقوم لوط. وفي الخطيب: ﴿واتقوا الذي خلقكم﴾ أي: من نطفة وإعدامكم أهون شيء عليه، وأشار إلى ضعفهم وقوة من كان قبلهم بقوله: ﴿والجبلة﴾ أي الجماعة والأمم الأولين الذي كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة كأنها الجبال قوة وصلابة، لا سيما قوم هود الذين بلغت بهم الشدة حتى قالوا: ﴿من أشد منا قوة﴾ [فصلت: ١٥] وقد أخذهم الله تعالى أخذ عزيز مقتدر اهـ.

وفي السمين: العامة على كسر الجيم والباء وتشديد اللام، وأبو حصين والأعمش والحسن بضمها وشد اللام، والسلمي بفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء، وهذه لغات في هذه الكلمة ومعناه الخلق المتحد الغلظ مأخوذ من الجبل اهـ.

قوله: ﴿وما أنت إلا بشر مثلنا﴾ أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه اهـ بيضاوي.

والوصفان هما كونه من المسحرين وكونه بشراً اهـ زكريا.

يعني أن كلاّ منهما كاف، فكيف إذا اجتمعا وقد مرَّ أن تركها لأنه استئناف للتعليل أو تأكيد اهـ شهاب.

وفي السمين: ﴿وما أنت إلا بشر مثلنا﴾ جاء في قصة هود: ما أنت بغير واو، وهنا وما أنت بالواو، فقال الزمخشري: إذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مخالف للرسالة عندهم التسحير والبشرية، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحوراً ولا بشراً وإذا تركت الواو فلم يقصد إلاَّ معنى واحد وهو كونه مسحراً ثم أكد بكونه بشراً اهـ.

قوله: (أي إنه) ﴿نظنك﴾ قدره غيره أي: إنا نظنك وهو أنسب. قوله: (قطعة) هذا على السكون وعلى الفتح قطعاً أي: قطع عذاب من السماء. وفي القرطبي: وقال أبو عبيدة: الكسف جمع كسفة مثل سدر وسدرة، وقرأ السلمي وحفص كسفاً جمع كسفة أيضاً وهي القطعة والجانب مثل كسر وكسر،

وفتحها قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ في رسالتك ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ فيجازيكم به ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ هي سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾

وقال الجوهري: الكسفة القطعة من الشيء يقال: أعطني كسفة من ثوبك أي: قطعة، ويقال: الكسف والكسفة واحد. وقال الأخفش: من قرأ كسفاً من السماء جعله واحداً ومن قرأ كسفاً جعله جمعاً اهـ.

قوله: ﴿أعلم بما تعلمون﴾ أي: وبعذابه المنزل عليكم مما أوجبه لكم عليه في وقت المقدر لا محالة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فكذبوه﴾ أي: استمروا على تكذيبه. قوله: ﴿عذاب يوم الظلة﴾ أضيف إلى اليوم لا إليها إشارة إلى أن عذاب ذلك اليوم لم يكن قاصراً عليها، بل حل بهم فيه عذاب آخر غير الذي نزل منها اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وروي عن ابن عباس وغيره أيضاً أن الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنم، وأرسل عليهم هدة وحراً شديداً فأخذ بأنفسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأنضجهم الحر فخرجوا هراباً، فأرسل الله تعالى سحابة فأظلتهم فوجدوا لها برداً وروحاً وريحاً طيبة، فنادى بعضهم بعضاً فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي فصاروا رماداً، فذلك قوله تعالى: ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ [الأعراف: ٧٨] كأن لم يغنوا فيها اهـ.

قوله: (أصابهم) أي: سبعة أيام فشق عليهم شدته، فكانوا يدخلون تحت الأرض فيزدادوا حراً، فخرجوا إلى الصحراء فجاءتهم هذه السحابة فيها ريح لينة باردة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا وصاروا رماداً، وهذا العذاب الذي حل بهم هو الذي طلبوه تهكماً بشعيب وتعنتاً بقوله: ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾ اهـ شيخنا. قوله: ﴿عظيم﴾ أي: عظيم عذابه.

قوله: ﴿إن في ذلك لآية﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديداً للمكذبين له اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: وإنما كان جواب هؤلاء الرسل واحداً على صيغة واحدة لأنهم متفقون على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة اهـ.

قوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ أي: فليس بشعر ولا أساطير الأولين ولا غير ذلك مما قالوه فيه، وقوله: ﴿نزل به﴾ الخ دليل على هذه الدعوى، وكذا قوله: ﴿إنه لفي زبر الأولين﴾ [الشعراء: ١٩٦] وقوله: ﴿أو لم يكن لهم آية﴾ [الشعراء: ١٩٧] الخ اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: وأنه لتنزيل رب العالمين هذا تقرير لحقيقة تلك القصص، وتنبيه على إعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ، فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحياً من الله تعالى اهـ.

جبريل ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ بيِّن وفي قراءة بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي ذكر القرآن المنزل على محمد ﴿لَفِى زُبُرِ﴾ كتب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٩٦﴾

قوله: ﴿نزل به﴾ أي؛ ملتبساً به فهو في موضع الحال كما تقول: خرج زيد بثيابه، ومنه قوله تعالى: ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ [المائدة: ٦١] أي: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لم يرد أنهم دخلوا بشيء يحملونه معهم، إنما أراد أنهم دخلوا على حال وخرجوا على تلك الحال اهـ كرخي.

قوله: ﴿على قلبك﴾ إن أريد به الروح فظاهر، وإن أريد به العضو فتخصيصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على الروح، ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق، ثم تصعد منه إلى الدماغ فتنتعش بها المتخيلة، والروح الأمين جبريل عليه السلام فإنه أمين الله على وحيه اهـ بيضاوي.

وفي الكرخي: قوله: ﴿على قلبك﴾ خصه بالذكر، وهو إنما أنزل عليه ليؤكد أن ذلك المنزل محفوظ والرسول متمكن من قلبه لا يجوز عليه التغير، ولأن القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز والاختيار، وأما سائر الأعضاء فمسخرة له، ويدل على ذلك القرآن والحديث والمعقول. أما القرآن فقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ [ق: ٣٧]. وأما الحديث فقوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». وأما المعقول فإن القلب إذا غشي عليه وقطع سائر الأعضاء لم يحصل له شعور، وإذا أفاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات اهـ.

قوله: ﴿بلسان﴾ يجوز أن يتعلق بالمنذرين أي: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل صلى الله عليهم وسلم، ويجوز أن يتعلق بنزل أي: نزل اللسان لتنذر به لأنه لو نزل بالأعجمي لقالوا لم نزل علينا ما لا نفهمه. وجوز أبو البقاء أن يكون بدلاً من به بإعادة العامل قال: أي نزل بلسان عربي أي: برسالة أو لغة اهـ سمين.

وعبارة أبي السعود: باللغة العربية. قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية. قوله: (أي ذكر القرآن الخ) لما كان ظاهر النظم يدل على أن القرآن نفسه مثبت في سائر الكتب وظاهر أنه ليس كذلك احتيج إلى تقدير المضاف أي: ذكر القرآن وانزاله على النبي المبعوث في آخر الزمان، أو أن أصول معانيه مثبتة في كتبهم على معنى أنه تعالى أخبر في كتبهم عن القرآن وإنزاله في آخر الزمان، وأنه تعالى بيَّن أصول معانيه في كتبهم اهـ زاده.

وفيه إشارة إلى رد ما نقل عن أبي حنيفة من جواز القراءة بالفارسية في الصلاة والاحتجاج له بهذه الآية لكونه سمى ما في زبر الأولين قرآناً وهو معناه لا لفظه، وقد قيل: إن الصحيح من مذهبه أن القرآن هو النظم والمعنى معاً اهـ شهاب.

قوله: (أي ذكر القرآن) المراد بذكر نعته والتحديث والإخبار عنه بأنه ينزل على محمد، وبأنه من عند الله وأنه صدق وحق، فهذا الإخبار موجود في كتب الأولين اهـ شيخنا.

كالتوراة والإنجيل ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿ءَايَةً﴾ على ذلك ﴿أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ممن آمنوا فإنهم يخبرون بذلك، ويكن بالتحتانية ونصب آية، وبالفوقانية ورفع آية ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ جمع أعجم ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ أي كفار مكة ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ أنفة من اتباعه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾

قوله: ﴿أولم يكن لهم آية﴾ استفهام توبيخ وتقريع، وقوله: (على ذلك) أي على أن ذكره والإخبار عنه بالحقية كائن في كتب الأولين، وقوله: ﴿أن يعلمه﴾ أي ما ذكر من ذكر القرآن أي: أي الإخبار عنه بما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: (وأصحابه) وكانوا أربعة غيره: أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين، فهؤلاء الخمسة من علماء اليهود وقد حسن إسلامهم اهـ شيخنا.

قوله: (فإنهم يخبرون بذلك) أي: بأن ذكره، والحديث عنه بما تقدم كائن في كتبهم. قوله: (ونصب آية) على أنه خبر يكن مقدم واسمها أن يعلمه الخ. وقوله: (ورفع آية) أي على أنه اسمها وخبرها لهم، وأن يعلمه الخ يدل من اسمها أو على أنه فاعل بها وهي تامة ولهم حال، وأن يعلمه الخ بدل من الفاعل اهـ شيخنا.

ولا يجوز أن يكون آية اسمها، وأن يعلمه خبرها لأنه يلزم عليه جعل الاسم نكرة والخبر معرفة، وقد نص بعضهم على أنه ضرورة اهـ من السمين.

قوله: ﴿على بعض الأعجمين﴾ الخ أي: مع أنه أي: الأعجمي لا يهتم باكتسابه أصلاً ولا باختراعه لفقد الفصاحة فيه ولكونه ليس لغته اهـ شيخنا.

قوله: (جمع أعجم) فيه أنه وصف على وزن أفعل في المذكور، وعلى وزن فعلاء في المؤنث، وشرط الجمع بالياء والنون أن لا يكون الوصف كذلك. وأجيب بأنه جمع أعجمي بياء النسب وحذفت تخفيفاً كأشعرين في أشعري، فقوله: (جمع أعجم) أي مخفف أعجمي اهـ شيخنا.

لكن هذا الشرط إنما هو رأي البصريين، وأما الكوفيون فيجزون جمع أفعل فعلاء جمع المذكر السالم. فعلى هذا يكون كلام الشارح على ظاهره. وفي السمين: قوله: ﴿على بعض الأعجمين﴾ قال صاحب التحرير: الأعجمين جمع أعجمي، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع سلامة. قلت: وكأن سبب منع جمعه أنه من باب أفعل فعلاء كأحمر حمراء، والبصريون لا يجيزون جمعه جمع سلامة إلا ضرورة، وقد جعله ابن عطية جمع أعجم فقال: الأعجمون جمع أعجم وهو الذي لا يفصح وإن كان عربي النسب يقال له أعجم، والأعجمي هو الذي نسبه في العجم وإن كان فصيح اللسان. وقال الزمخشري: الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة أو استعجام والأعجمي مثله، إلا أن فيه زيادة ياء النسب توكيداً. قلت: وقد تقدم نحو من هذا في سورة النحل اهـ.

قوله: (أنفة من اتباعه) في المصباح: أنف من الشيء أنفاً من باب تعب، والاسم الأنفة مثل قصبة أي: استنكف وهو الاستكبار وأنف منه تنزه عنه اهـ.

أدخلنا التكذيب به ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٢٠٠﴾ أي كفار مكة بقراءة النبي ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٢٠١﴾ ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٠٢﴾ ﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ۝٢٠٣﴾ لنؤمن فيقال لهم لا، قالوا متى هذا العذاب، قال تعالى ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝٢٠٤﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ

قوله: ﴿كذلك﴾ معمول لسلكناه، والضمير في سلكناه للقرآن على حذف المضاف أي: سلكنا تكذيبه، أي: التكذيب به بقراءة النبي مثل إدخالنا التكذيب به في قلوبهم بقراءة الأعجمي، وفيه أن الأعجمي لم يقرأه ولم ينزل عليه والجملة الشرطية وهي قوله: ﴿ولو نزلناه﴾ الخ لا تستلزم الوقوع اهـ شيخنا.

قوله: (أي مثل إدخالنا التكذيب) أي: في قلوبهم بقراءة الأعجمي أي ملتبساً بقراءة الخ، وكذا يقال في قوله بقراءة النبي. قوله: ﴿لا يؤمنون به﴾ الجملة مستأنفة أو حال من الهاء في سلكناه أو من المجرمين، وقوله: ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ مقدم من تأخير، وأصل الكلام حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون فيرونه، فيقولوا: هل نحن منظرون أي: مؤخرون عن الإهلاك ولو طرفة عين لنؤمن؟ فيقال لهم: لا. أي لا تأخير ولا إمهال اهـ شيخنا.

وفي زاده على البيضاوي: قوله: ﴿فيأتيهم بغتة﴾ معطوف على يروا وقوله: ﴿فيقولوا﴾ معطوف على يأتيهم. وظاهر النظم يدل على أن مفاجأة العذاب واقعة عقيب رؤيته، ويكون سؤال الإنظار واقعاً عقيب مفاجأته وليس كذلك، بل الذي يقع أولاً هو المفاجأة ثم الرؤية ثم سؤال الإنظار، فوجب أن لا تكون الفاء للترتيب الزماني بل للترتيب الرتبي كما في الكشاف، بأن يكون المعنى لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب الأليم، فما هو أشد من رؤيته وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم الإنظار مع القطع بامتناعه اهـ.

وفي السمين: قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى التعقيب في قوله فيأتيهم؟ قلت: ليس المعنى التعقيب في الوجود بل المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه، وهو سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها، ومثال ذلك أن تقول: إن أسات مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك لا تقصد أن مقت الله بعد مقت الصالحين، وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء اهـ.

قوله: ﴿هل نحن منظرون﴾ استفهام تحسر وطمع في المحال وهو إمهالهم بعد مجيء العذاب اهـ شيخنا.

قوله: (قالوا متى هذا العذاب) أي: استعجلوه تهكماً بمحمد في إخباره به على حد قوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ [الحج: ٤٧] الآيات اهـ شيخنا.

وقالوا أيضاً: فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ استفهام توبيخ وتهكم بهم حيث استعجلوا ما فيه ضررهم وحتف أنفهم اهـ شيخنا.

والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أيكون حالهم كما ذكر من طلب الإنظار عند نزول

سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ من العذاب ﴿مَآ﴾ استفهامية بمعنى أي شيء ﴿أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه أي لم يغن ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾

العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا، وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد أو يغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ، وإنما قدم الجار والمجرور للإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أفرأيت﴾ معطوف على فيقولوا وما بينهما اعتراض، وقوله: ﴿ما كانوا يوعدون﴾ تنازعه، رأيته يطلبه فاعلاً مفعولاً أول وجاءهم يطلبه فأعملنا الأول وأضمرنا في الثاني ضميراً يعود عليه أي: ثم جاءهم هو أي الذي كانوا يوعدونه، وجملة ما أغنى عنهم الخ في محل نصب سادة مسد المفعول الثاني لرأيت اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿أفرأيت إن متعناهم﴾ الخ التاء فاعل رأيت، وقوله: ﴿ما كانوا يوعدون﴾ مفعول أول، وجملة ما أغنى في محل المفعول الثاني، وجواب الشرط محذوف يقدر من معنى المفعول الثاني تقديره: لم يغن عنهم تمتعهم أي: لم ينفعهم، وتمام هذا الإعراب تقدم في سورة الأنعام مبسوطاً في قوله: ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله﴾ [الأنعام: ٤٧] الخ اهـ.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿أخبرني﴾ وإذا كانت بمعنى أخبرني تعدت إلى مفعولين أحدهما مفرد والآخر جملة استفهامية غالباً اهـ.

وقد تنازع أفرأيت وجاءهم في قوله: ﴿ما كانوا يوعدون﴾، فإن أعملت الثاني وهو جاءهم رفعت به ما كانوا فاعلاً به، ومفعول أرأيت الأول ولكنه حذف، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية في قوله: ما أغنى عنهم، ولا بد من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الأول وهو مقدر تقديره: أفرأيت ما كانوا يوعدونه، وأضمرت في جاءهم ضميره فاعلاً به، والجملة الاستفهامية مفعول ثان أيضاً، والعائد مقدر على ما تقرر في الوجه قبله والشرط معترض وجوابه محذوف، وهذا كله مفهوم مما تقدم في سورة الأنعام، وإنما ذكرته هنا لأنه تقديره عسر يحتاج إلى تأويل وحسن صناعة، وهذا كله إنما يتأتى على قولنا إن ما استفهامية ولا يضرنا تفسيرهم لها بالنفي فإن الاستفهام قد يرد بمعنى النفي، وأما إذا جعلتها نافية حرفاً كما قاله أبو البقاء فلا يتأتى ذلك، لأن مفعول أرأيت الثاني لا يكون إلا جملة استفهامية كما تقرر غير مرة اهـ سمين.

قوله: ﴿ما كانوا يوعدون﴾ أي: به، وما اسم موصول. قوله: (استفهامية) أي: استفهام إنكار كما أشار له بقوله: (أي): لم يغن فهذا مساو في المعنى لقول بضعهم إنها نافية وهي على صنيع الشارح مفعول مقدم لأغنى، وقوله: ﴿ما كانوا يمتعون﴾ فاعل بأغنى، وما مصدرية أي تمتعهم أو كونهم متمتعين اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ما أغنى عنهم أي: أي شيء، أو أي إغناء أغنى عنهم ما كانوا يمتعون، أي: كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على أن ما مصدرية، أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها، وأياً ما كان فالاستفهام للإنكار والنفي، وقيل: ما نافية أي: لم يغن عنهم

رسل تنذر أهلها ﴿ذِكْرَىٰ﴾ عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم. ونزل رداً لقول المشركين ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿الشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ ﴿وَمَا يَنۢبَغِي﴾ يصلح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ ذلك ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ بالشهب ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ

تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه اهـ.

قوله: ﴿من قرية﴾ من: زائدة في المفعول. قوله: ﴿إلا لها منذرون﴾ يجوز أن تكون الجملة صفة لقرية، وأن تكون حالاً منها وسوغ ذلك سبق النفي، وقال الزمخشري فإن قلت: كيف تركت الواو من الجملة بعد إلاّ ولم تترك منها في قوله: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ [الحجر: ٤٠] قلت: الأصل ترك الواو لأن الجملة صفة لقرية، وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله: ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾ [الكهف: ٢٢] اهـ سمين.

قوله: ﴿ذكرى﴾ علة لمنذرون أي: تنذرهم لأجل تذكيرهم العواقب. وفي الكرخي: قوله: (تنذر) أهلها ذكرى أشار إلى أن ذكرى في موضع المفعول لأجله، وبه صرح أبو البقاء وجوز كونه خبر مبتدأ محذوف أي: هذه ذكرى والجملة اعتراضية اهـ.

قوله: ﴿وما كنا ظالمين﴾ أي: ليس من شأننا الظلم أو المعنى لسنا ظالمين في إهلاكهم أي: لا يصدر عنا بمقتضى الحكمة ما هو في صورة الظلم لو صدر من غيرنا بأن نهلك أحداً قبل إنذاره، أو بأن نعاقب من لم يذنب اهـ شهاب.

قوله: (رداً لقول المشركين) مقول القول محذوف من عباراته وصرح به غيره أي: قولهم إن الشياطين يلقون القرآن إليه أي: على لسانه كما يأتون للكهنة بأخبار السماء اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: وما تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من أنه من قبيل ما تلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الأمين اهـ.

وفي الخطيب: ولما كان الكفرة يقولون إن محمداً كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما تتنزل به الشياطين أكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾. أي: فلا يكون سحراً أو كهانة أو شعراً أو أضغاث أحلام كما يقولون اهـ.

قوله: (يصلح) ﴿لهم﴾ أي: يمكنهم. قوله: (لكلام الملائكة) لعل المراد به الوحي المنزل على الأنبياء فلا يرد أنهم قد يسترقون السمع، والمراد أن الله حفظ ما يوحى به إلى الأنبياء أن يسمعوه قبل نزول الملك به، فلا يلزم منه أنهم لا يسمعون آيات القرآن ولا يحفظونها وليس كذلك اهـ شهاب.

وغرضه بهذا دفع التنافي بين قوله: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾، وقوله الآتي: ﴿يلقون السمع﴾ المقتضي أنهم يسمعون من الملائكة، ومحصل ما أشار له في دفع التنافي أن ما هنا محمول على سماع الوحي أي: ما يوحى به للأنبياء وحجب الله الشياطين عن سماعه لئلا يلزم التخليط بالوحي، وما سيأتي محمول على ما تعلق له بالوحي والشرائع، بل على غيره من الإخبار بالمغيبات. هذا وقد أشار إلى دفع التنافي بوجه آخر حيث قيد ما سيأتي بقوله: (وهذا قبل أن حجبت الشياطين عن

﴿ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهاراً، رواه البخاري ومسلم ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ ألن جانبك ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ الموحدين ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أي عشيرتك ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ من عبادة غير الله ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ بالواو والفاء ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ الله أي فوض إليه جميع أمورك ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ إلى الصلاة ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ أي المصلين ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أي كفار

السماء)، فقوله هنا معزولون يعني بعد حجبهم عن الشيء، وذلك من حين بعثته ﷺ، وقوله الآتي: ﴿يلقون السمع﴾ مفروض فيما قبل ذلك لكن يشكل عليه تمثيله بمسيلمة مع أنه كان في عصره ﷺ، إلا أن يحمل إلقاء السمع إليه على ما قبل مبعثه ﷺ، وأما بعد بعثته ﷺ فقد أنسد باب السماء على الشياطين وانقطع نزول الشياطين على الكهنة اهـ.

قوله: ﴿فلا تدع مع الله﴾ الخ الخطاب له والمقصود غيره. قوله: (رواه البخاري ومسلم) أي: روى إنذاره لهم جهاراً فقال في إنذاره: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً» اهـ خازن.

قوله: ﴿واخفض جناحك الخ) كناية عن التواضع واللطف بالمؤمنين، فهذا في قوة قوله: فبعد الإنذار من أمن منهم فتواضع له، ومن خالفك فتبرأ منه ومن عمله وقل له إني بريء الخ اهـ شيخنا.

قوله: (أي عشيرتك) تفسير للواو في عصوك اهـ.

قوله: (بالواو والفاء) قراءتان سبعيتان. فعلى الواو هو معطوف على أنذر، وعلى الفاء هو بدل من جواب الشرط وهو قوله: ﴿فقل إني بريء الخ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حين تقوم﴾ (إلى الصلاة) أي: منفرداً. وقوله: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾، أي: ويراك مصلياً في الجماعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وتقلبك﴾ معطوف على الكاف في يراك، وقوله: ﴿في الساجدين﴾ في بمعنى مع، وقوله: (أي المصلين) فسره بعضهم بالمؤمنين أي: يراك متقلباً في أصلاب وأرحام المؤمنين من لدن آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة، فجميع أصوله رجالاً ونساء مؤمنون، وأورد على هذا آزر أبو إبراهيم فإنه كافر بمقتضى الآيات، وأجاب بعضهم بأنه كان عم إبراهيم لا أباه. وأجاب بعضهم بجواب أحسن من هذا، وهو أن قولهم أصول محمد لم يدخلهم الشرك محله ما دام النور المحمدي في الذكر وفي الأنثى، فإذا انتقل منه لمن بعده أمكن أن يعبد غير الله، وآزر ما عبد الأصنام إلا بعد انتقال النور منه لإبراهيم، وأما قبل انتقاله فلم يعبد غير الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هل أنبئكم﴾ الخ المقصود من هذا السياق إبطال كونه كاهناً، ومن قوله: ﴿والشعراء

مكة ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة ﴿يُلْقُونَ﴾ أي الشياطين ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ أي ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ يضمون إلى المسموع كذباً كثيراً، وكان هذا

الخ﴾ إبطال كونه شاعراً، فقوله: ﴿**على كل أفاك أثيم**﴾ أي: وهو ﷺ ليس كذلك، وقوله: ﴿**يتبعهم الغاوون الخ**﴾ أي: وهو لا يتبعه إلا المهتدون اهـ شيخنا.

قوله: (**أي كفار مكة**) يحتمل أن تكون ندائية وهو الأظهر، ويحتمل أن تكون تفسيرية للمفعول وهو الكاف في أنبئكم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿**على من تنزل الشياطين**﴾ الجار والمجرور متعلق بتنزل، والجملة في محل نصب سادة مسد المفعول الثاني والثالث أن جعل أنبئكم متعدياً لثلاثة ومسد الثاني فقط أن جعل متعدياً لاثنين اهـ شيخنا.

وفي السمين: **قوله**: ﴿**على من تنزل**﴾ متعلق بتنزل بعده، وإنما قدم لأن له صدر الكلام وهو معلق لما قبله من فعل التنبئة لأنها بمعنى العلم، ويجوز أن تكون متعدية لاثنين فتسد الجملة المشتملة على الاستفهام مسد الثاني لأن الأول هو ضمير المخاطبين، ويجوز أن تكون متعدية لثلاثة فتسد الجملة مسد اثنين اهـ.

قوله: (**مثل مسيلمة**) أي: من المتنبئة وغيره كسطيح من الكهنة جمع كاهن، وهو الذي يخبر عن الأمور المستقبلة، والعراف هو الذي يخبر عن الأمور الماضية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿**يلقون السمع**﴾ يجوز أن يعود الضمير على الشياطين، وحينئذ يجوز أن تكون جملة يلقون حالاً وأن تكون مستأنفة، ومعنى إلقائهم السمع إنصاتهم إلى الملأ الأعلى ليسترقوا شيئاً، أو القاء الشيء المسموع إلى الكهنة، ويجوز أن يعود الضمير على كل أفاك أثيم من حيث إنه جمع في المعنى، فتكون الجملة إما مستأنفة أو صفة لكل أفاك أثيم، ومعنى الإلقاء ما تقدم اهـ سمين.

فالمعنى: يلقون أي: الكهنة سمعهم إلى الشياطين أي: يصغون ويستمعون منهم أو يلقون ما سمعوه من الشياطين إلى عوام الخلق. **قوله**: ﴿**وأكثرهم كاذبون**﴾ الأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني، والمعنى وأكثر أقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب إلى أكثرهم كون أقلهم صادقاً على الإطلاق اهـ أبو السعود.

وقد أشار الجلال إلى هذا المعنى بقوله: (**يضمون إلى المسموع كذباً كثيراً**) فأفاد أن الكثرة في المسموع لا في ذوات القائلين اهـ.

وقال بعضهم: المراد بالأكثر الكل، والضمير في أكثرهم للأفاكين أي: الكهنة، أو للشياطين مثل الضمير في يلقون.

قبل أن حجبت الشياطين عن السماء ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾﴾ في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ يمضون فيجاوزون الحد مدحاً وهجاء ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ فعلنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾

قوله: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ قال أهل التفسير: أراد شعراء الكفار الذي كانوا يهجون رسول الله ﷺ منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقولوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه ويروون عنهم قولهم فذلك قوله تعالى: ﴿يتبعهم الغاوون﴾ أي: الذين يروون هجاء المسلمين، وقيل: الغاوون هم الشياطين، وقيل: هم السفهاء الضالون. وفي رواية أن رجلين أحدهما من الأنصار تهاجيا على عهد رسول الله ﷺ ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء، فنزلت هذه الآية اهـ خازن.

قوله: ﴿ألم تر أنهم في كل واد﴾ الوادي معروف، والمراد به هنا فنون القول وطرقه، والهيام أن يذهب المرء على وجهه من عشق أو غيره وهو تمثيل كما في الكشاف، والمعنى يخوضون في كل لغو من هجو ومدح اهـ شهاب.

وفي البيضاوي: ألم تر أنهم في كل واد يهيمون لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها، وأغلب كلماتهم في التشبيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه اهـ.

قوله: ﴿يهيمون﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة خبر أن، وهذا هو الظاهر لأنه محط الفائدة. وفي كل واد متعلق به، ويجوز أن يكون في كل واد هو الخبر، ويهيمون حال من الضمير في الخبر، والعامل ما تعلق به هذا الخبر أو نفس الجار كما تقدم في نظيره غير مرة، ويجوز الجملة خبر أن بعد خبر عند من يرى تعدد الخبر مطلقاً، وهذا من باب الاستعارة البليغة والتمثيل الرائع شبه جولانهم في أفانين القول بطريق المدح والذم والتشبب وأنواع الشعر بهيام الهائم في كل وجه وطريق، والهائم هو الذي يخبط في طريقه ولا يقصد موضعاً معيناً يقال: هام على وجهه أي: ذهب. والهائم: العاشق من ذلك والهيمان العطشان، والهيام داء يأخذ الإبل من العطش، وجمل أهيم وناقة هيماء والجمع فيهما قال تعالى: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ [الواقعة: ٥٥] اهـ سمين.

قوله: (يمضون) أي: يذهبون ويخوضون. قوله: (أي يكذبون) تفسير لقوله: ﴿يقولون ما لا يفعلون﴾ اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ أي: لأنهم لا يقصدونه، وإنما ألجأهم إليه الفن الذي سلكوه فأكثر أقوالهم لا حقائق لها، وقيل: إنهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه ولا يفعلونه، ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بأدنى شيء صدر منهم اهـ.

أي يكذبون ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾ بهجوهم الكفار ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين، قال الله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾، ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ يرجعون بعد الموت.

قوله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ الخ استثناء مما قدره أولاً بقوله: (فهم مذمومون) بدليل قوله آخراً فليسوا مذمومين. وفي الخازن: ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الكفار ويهجوهم وينافحون عن النبي ﷺ وأصحابه منهم حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. روي أن كعب بن مالك قال للنبي ﷺ: قد أنزل في الشعر، فقال ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل».

فصل

في مدح الشعر

روى البخاري، عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر حكمة». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فجعل يتكلم بكلام فقال: «إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكمة» أبو داود.

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح. وقال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان علي أشعر من الثلاثة. وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده، فروي أنه دعا عمر ابن أبي ربيعة المخزومي فاستنشده قصيدة فأنشده إياها وهي قريب من تسعين بيتاً، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة اهـ.

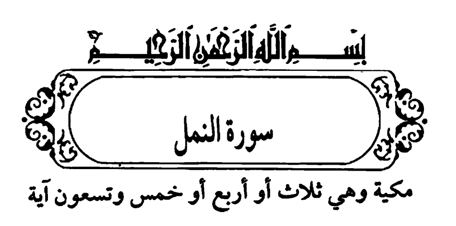
قوله: (قال الله تعالى) هذا استدلال على جواز ما فعلوه من هجوهم للكفار في مقابلة هجو الكفار لهم، وقوله: ﴿فمن اعتدى عليكم﴾ الخ استدلال على اشتراط المماثلة في المقابلة، فلا يجوز للمظلوم أن يزيد في الذم على ما ظلم به من الهجو اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أي منقلب﴾ معمول لينقلبون الذي بعده لا لما قبله لأن الاستفهام له الصدر وهو مفعول مطلق أي: ينقلبون. أي انقلاباً والجملة سادة مسد مفعولي يعلم اهـ شيخنا.

وفي السمين: أي منصوب على المصدر والناصب له ينقلبون وقدم لتضمنه معنى الاستفهام وهو معلق لسيعلم سادّ مسد مفعوليه، وقال أبو البقاء: أي منقلب صفة لمصدر محذوف أي ينقلبون انقلاباً أي: منقلب، ولا يعمل فيه سيعلم لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، وهذا الذي قاله مردود بأن أياً الواقعة صفة لا تكون استفهامية، وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة لشيء بل هما قسمان كل منهما قسم برأسه، وأي: تنقسم إلى أقسام كثيرة اهـ.

. . . .

وفي القرطبي: ومعنى أي منقلب ينقلبون أي: أي مصير يصيرون، وأي مرجع يرجعون، لأن مصيرهم إلى النار وهو أقبح مصير، ومرجعهم إلى العذاب وهو أشر مرجع، والفرق بين المنقلب والمرجع أن المنقلب الانتقال إلى ضد ما هو فيه، والمرجع: العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلباً وليس كل منقلب مرجعاً ذكره الماوردي. وأي منصوب بينقلبون وهو بمعنى المصدر، ولا يجوز أن يكون منصوباً بسيعلم لأن أياً وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها كما ذكره النحويون. قال النحاس: وحقيقة القول في ذلك أن الاستفهام معنى وما قبله معنى آخر، فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض، والله أعلم.



مكية وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

﴿طسٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾ آيات منه ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة هو ﴿هُدًى﴾ أي هاد من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ المصدقين به بالجنة ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ يعلمونها بالاستدلال وأعيدهم لما فصل بينه وبين الخبر ﴿إِنَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (ثلاث أو أربع الخ) في نسخة سورة النمل مكية وهي ثلاث الخ اهـ شيخنا.

قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) وعلى هذا القول ليس لهذا اللفظ محل من الإعراب لأن الإعراب فرع معرفة المعنى وهي آية مستقلة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تلك﴾ مبتدأ أو قوله: ﴿آيات القرآن﴾ خبره، وقوله: (أي هذه الآيات) أي آيات هذه السورة اهـ شيخنا.

قوله: (مظهر للحق من الباطل) عبارة أبي السعود: مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب، أو لسبيل الرشد والغي، أو فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام، أو ظاهر الاعجاز على أنه من أبان بمعنى بان اهـ.

قوله: (عطف بزيادة صفة) جواب عما يقال إن الكتاب والقرآن بمعنى واحد، فما فائدة العطف؟ وحاصل الجواب: أن المعطوف لما كان فيه صفة زائدة على مفهوم المعطوف عليه كان مفيداً بهذا الاعتبار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهم﴾ مبتدأ وقوله: ﴿يوقنون﴾ خبره وبالآخرة متعلق بالخبر، ولما فصل بينه وبين المبتدأ بالمتعلق الذي هو بالآخرة أعيد المبتدأ ثانياً ليتصل بخبره في الصورة. هذا ما أشار إليه بقوله: وأعيدهم اهـ شيخنا.

والجملة من تتمة الصلة والواو للحال أو للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم الأوحدون فيه اهـ بيضاوي.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ يتحيرون لقبحها عندنا ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَإِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ﴾ أي يلقى عليك بشدة ﴿مِن لَّدُنْ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ في ذلك اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾ زوجته

أي: الكاملون في الاتصاف باليقين اهـ شهاب.

قال زاده: ولما كان إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد في أوقاتهما أتى بهما فعلين، ولما كان الإيقان بالآخرة أمراً ثابتاً مطلوباً دوامه أتى به جملة اسمية وجعل خبرها مضارعاً للدلالة على أن إيقانهم يستمر على سبيل التجدد اهـ.

قوله: (بتركيب الشهوة) أي: بسبب تركيبها فيهم. وفي البيضاوي: زينا لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلناها مشتهاة بالطبع محبوبة للنفس اهـ.

قوله: (يتحيرون فيها) أي: في الاستمرار عليها وتركها لعدم إدراكهم قبحها في الواقع، ولذلك قال لقبحها عندنا أي: لا عندهم لأنهما رأوها حسنة اهـ شيخنا.

لكن فيه أنهم رأوها حسنة لا يتحيرون بل يعكفون ويستمرون عليها، فهذا التفسير غير واضح، والأولى تفسير غيره بأن يعمهون معناه يستمرون ويداومون وينهمكون فيها كما ذكره أبو السعود. وفي القرطبي: وعن ابن عباس، وأبي العالية: يتمادون، وعن قتادة: يلعبون، وعن الحسن: يتحيرون اهـ.

قوله: (القتل والأسر) تفسير للأشد. قوله: ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ في إعرابه ما تقدم.

قوله: ﴿هم الأخسرون﴾ المفضل عليه هو أنفسهم لكن باعتبار حالهم في الدنيا أي: أن خسرانهم في الآخرة أشد من خسرانهم في الدنيا اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿الأخسرون﴾ في أفعل هنا قولان، أحدهما: وهو الظاهر أنها على بابها من التفضيل وذلك بالنسبة إلى الكفار من حيث اختلاف الزمان والمكان يعني: أنهم أكثر خسراناً في الآخرة منهم في الدنيا أي: أن خسرانهم في الآخرة أكثر من خسرانهم في الدنيا، وقال جماعة منهم الكرماني: هي هنا للمبالغة لا للتشريك، لأن المؤمن لا خسران له في الآخرة البتة، وقد تقدم جواب ذلك وهو أن الخسران راجع إلى شيء واحد باعتبار اختلاف زمانه ومكانه اهـ.

قوله: (أي يلقى عليك بشده) عبارة القرطبي أي: يلقى إليك فتتلقاه وتعلمه وتأخذه من لدن حكيم عليم اهـ.

وفي السمين: لقي مخففاً يتعدى لواحد ومضعفاً يتعدى لاثنين فأقيم أولهما هنا مقام الفاعل، والثاني القرآن اهـ.

قوله: (بشدة) أي: لما فيه من التكاليف الشاقة. قوله: ﴿من لدن حكيم عليم﴾ الجمع بينهما مع أن العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على إتقان الفعل والإشعار بأن علوم القرآن منها

عند مسيره من مدين إلى مصر ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق وكان قد ضلها ﴿أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ﴾ بالإضافة للبيان وتركها أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧﴾ والطاء بدل من تاء الافتعال من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها تستدفئون من البرد ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ﴾ أي بأن ﴿بُورِكَ﴾ أي بارك الله ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أي موسى ﴿وَمَنۡ

ما هو حكمة كالعقائد والشرائع، ومنها ما ليس كذلك كالقصص والإخبار عن المغيبات اهـ بيضاوي.

وقوله: مع أن العلم داخل الخ فإن الحكمة اتقان الفعل بأن يفعله على وفق العلم، فإن من يعلم أمراً ولا يأتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم، فلما وصف نفسه بكونه حكيماً علم كونه عليماً فما وجه الجمع بينهما؟ وتقرير الجواب أن العلم الذي يدخل في الحكمة هو العلم العملي وهو الذي يتعلق بكيفية عمل والعلم أعم منه، فكأنه قيل مصيب في أفعاله لا يفعل شيئاً إلا على وفق علمه عليم بكل شيء سواء كان ذلك العلم مؤدياً إلى العمل أم لا اهـ زاده.

قوله: (في ذلك) متعلق بكل من حكيم وعليم، أي: في تنزيل القرآن وإلقائه على محمد أي: في غير ذلك كما هو ظاهر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ الخ اشتملت هذه السورة على قصص خمس، الأولى هذه ويليها قصة النملة ويليها قصة بلقيس، ويليها قصة صالح، ويليها قصة لوط اهـ شيخنا.

قوله: (زوجته) أي: بنت شعيب، أي: وولده وخادمه وقوله: (عند مسيره) أي: سيره من مدين، وكان في ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد أضل الطريق وأخذ زوجته الطلق اهـ شيخنا.

والحامل له على هذا السفر أن يجتمع بأمه وأخيه بمصر كما سبق عن أبي السعود في سورة طه.

قوله: ﴿أو آتيك﴾ أي: مانعة خلو. قوله: (بالإضافة للبيان) أي: لأن الشهاب يكون قبساً وغيره كالكواكب فهو من إضافة النوع إلى جنسه كخاتم فضة وثوب خز وهي بمعنى من أي شهاب قبس، وقوله: (وتركها) أي: مع تنوين شهاب، وعلى هذا فقبس بدل أو نعت على تأويله بالمفعول أي: شهاب مقتبس أي: مأخوذ من نار، وقوله: (أي شعلة نار) تفسير لكل من المضاف إليه فالشهاب: الشعلة، والقبس: النار اهـ شيخنا.

قوله: (بدل من تاء الافتعال) أي: لوقوعها أي: التاء بعد حرف الإطباق وهو الصاد فقلبت طاء على القاعدة، وقوله: (من صلي) كعمي، وقوله: (وفتحها) كرمى اهـ شيخنا.

قوله: (بكسر اللام) أي: من باب تعب، وقوله: (وفتحها) أي: من باب رمى لكن معنى الثاني لا يناسب هنا. ففي المصباح: صلي بالنار وصليها صلي من باب تعب وجد حرها والصلاء وزان كتاب حر النار، وصليت اللحم أصليه من باب رمى شويته اهـ.

قوله: (تستدفئون) يقال: دفيء يدفأ من باب طرب وقرب اهـ شيخنا.

وفي المصباح: دفيء البيت يدفأ مهموز من باب تعب. قالوا: ولا يقال في اسم الفاعل دفيء وزان كريم بل وزان تعب، ودفيء الشخص فالذكر دفآن والأنثى دفأى مثل: غضبان وغضبي إذا لبس ما

﴿حَوْلَهَا﴾ أي الملائكة أو العكس، وبارك يتعدى بنفسه وبالحرف ويقدر بعد في مكان ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ

يدفئه، ودفؤ اليوم مثال قرب، والدفء وزان حمل خلاف البرد اهـ.

قوله: ﴿نودي﴾ أي: ناداه الله أن بورك أن هذه هي الناصبة للمضارع فهي ثنائية وضعاً دخلت هنا على الماضي وحرف الجر قبلها مقدر كما صنع الشارح وما بعدها في تأويل مصدر أي: نودي ببركة من النار الخ أي: بتقديسه وتطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة أي: ناداه الله بأنا قدسناك وطهرناك واخترناك للرسالة كما تقدم في طه حيث قال: وأنا اخترتك الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿نودي﴾ في القائم مقام الفاعل ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ضمير موسى وهو الظاهر. وفي أن حينئذ ثلاثة أوجه، أحدها: أنها المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول. والثاني: أنها الناصبة للمضارع ولكن وصلت هنا بالماضي وتقدم تحقيق ذلك على إسقاط الخافض أي: نودي موسى بأن بورك. والثالث: أنها المخففة واسمها ضمير الشأن وبورك خبرها ولم يحتج هنا إلى فاصل لأنه دعاء، وقد تقدم نحوه في سورة النور في قوله: أن غضب على قراءة فعلاً ماضياً.

الثاني: من الأوجه الأولى أن القائم مقام الفاعل نفس بورك على حذف حرف الجر أي: بأن بورك وأن حينئذ إما ناصبة في الأصل وإما مخففة.

الثالث: أنه ضمير المصدر المفهوم من الفعل أي: نودي النداء ثم فسر بما بعده ومثله ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه﴾ [يوسف: ٣٥] اهـ.

قوله: ﴿أن بورك من في النار﴾ أي: أن قدس وطهر من في النار وهو موسى وليس هو فيها حقيقة، بل في المكان القريب منها فصحة الكلام بحذف المضاف أو في مكان النار كما أشار له الشارح اهـ شيخنا.

وهذا أي قوله: ﴿أن بورك﴾ الخ تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة له كما حيا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ [هود: ٧٣] اهـ قرطبي.

قوله: ﴿من في النار﴾ من قائم مقام الفاعل ببورك وبارك يتعدى بنفسه، فلذلك بني للمفعول باركك الله وبارك عليك وبارك فيك وبارك لك، والمراد بمن إما الباري تعالى وهو على حذف مضاف أي: من قدرته وسلطانه في النار، وقيل: المراد به موسى والملائكة، وكذلك قوله: ومن حولها. وقيل: المراد بمن غير العقلاء وهو النور والأمكنة التي حولها اهـ سمين.

قوله: (أي العكس) أي: تفسر من الأولى بالملائكة والثاني بموسى، وقوله: بنفسه أي كما هنا، فإن قوله من في النار نائب فاعل بورك فتعدى له بنفسه كما علمت، وقوله: (وبالحرف) أي: في وعلى واللام اهـ شيخنا.

قوله: (ويقدر بعد في مكان) لفظ مكان نائب فاعل يقدر أي: يقدر هذا اللفظ اهـ شيخنا.

والمكان هو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة﴾ [القصص: ٣٠] اهـ بيضاوي.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨﴾ من جملة ما نودي ومعناه تنزيه الله من السوء ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾ ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يرجع، قال تعالى ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ منها ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ﴾ عندي ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠﴾ من حية وغيرها ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا﴾ أتاه ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي تاب ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١﴾ أقبل التوبة وأغفر له ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ طوق القميص ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف لونها من الأدمة ﴿بَيْضَآءَ

قوله أيضاً: (ويقدر بعد في) أي: لفظة في الجارة للنار مكان أي: لفظ مكان ليكون مضافاً للنار أي: من مكان النار، وإنما احتيج لهذا التقدير لأن موسى إذا ذاك لم يكن في النار حقيقة وإلاَّ لاحترق على العادة، بل كان في المكان القريب منها اهـ شيخنا.

قوله: (من جملة ما نودي) أي: نودي به أي: فهو من كلام الله مع موسى، وإنما وقع التعرض للتنزيه في هذا المقام لدفع ما رب أن يتوهمه موسى بحسب الطبع البشري الجاري على العادة الخلقية أن الكلام الذي يسمعه في ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام الخلق، أو من أن الله المتكلم به في مكان أو في جهة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وألق عصاك﴾ عطف على ما قبله من الجملة الاسمية الخبرية وقد تقدم أن سيبويه لا يشترط تناسب الجمل وأنه يجيز جاء زيد ومن بورك، وتقدمت أدلته في أول البقرة اهـ سمين.

وقاله هنا بدون ذكر أن، وفي القصص بذكرها لأن ما هنا تقدمه فعل بعد أن وهو بورك، فحسن عطف الفعل عليه، وما هناك لم يتقدمه فعل بعد أن فذكرت أن لتكون جملة أن ألق عصاك معطوفة على جملة أن يا موسى إني أنا الله اهـ كرخي.

قوله: ﴿تهتز﴾ جملة حالية من هاء رآها لأن الرؤية بصرية، وقوله: ﴿كأنها جان﴾ يجوز أن تكون حالاً ثانية، وأن تكون حالاً من ضمير تهتز فتكون حالاً متداخلة اهـ سمين.

قوله: (حية خفيفة) أي: في سرعة الحركة وإلاَّ فجثتها كانت كبيرة جداً اهـ شيخنا.

قوله: (يرجع) أي: لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار اهـ شخينا.

وفي المختار: وتقول ولى مدبراً ولم يعقب بتشديد القاف وكسرها أي: لم يعطف ولم ينتظر اهـ.

قوله: ﴿لا تخف﴾ أي: من غير ثقة أي أو لا تخف مطلقاً اهـ أبو السعود.

قوله: (عندي) أي: في حالة الإيحاء والإرسال وخطاب المشافهة، فإن من هو في هذه الحالة مستغرق في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر بباله خوف من شيء، وأما في غير هذه الحالة فالمرسلون أخوف الناس منه تعالى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إلا من ظلم﴾ استثناء منقطع، ولذا فسره بلكن على عادته ومن شرطية جوابها فإني غفور رحيم، وقوله: (أتاه) تفسيره أي: أتى حسناً أي: علمه وقوله: (أي تاب) تفسير لأتاه اهـ شيخنا.

قوله: (طوق القميص) سمي جيباً لأنه يجاب أي يقطع ليدخل فيه الرأس ولم يأمره بإدخالها في

﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برص لها شعاع يغشى البصر آية ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ مرسلاً بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي مضيئة واضحة ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ بين ظاهر

كمه لأنه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كم لها، وقيل: كان لها كم قصير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تخرج﴾ الظاهر أنه جواب لقوله: (أدخل) أي: أدخلها تخرج على هذه الصفة، وقيل: في الكلام حذف تقديره وأدخل يدك تدخل، وأخرجها تخرج فحذف من الثاني ما أثبت في الأول، ومن الأول ما أثبت في الثاني، وهذا التقدير لا حاجة إليه اهـ سمين.

قوله: ﴿بيضاء﴾ حال من فاعل تخرج ومن غير سوء يجوز أن يكون حالاً أخرى، أو من الضمير في بيضاء أو صفة لبيضاء اهـ سمين.

قوله: (لها شعاع) أي: لمعان وإشراق. قوله: (آية) أشار به إلى أن في تسع آيات في محل نصب على أنه متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج، وقد صرح بهذا المحذوف في سورة طه حيث قال هناك: تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى، فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿في تسع آيات﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه حال ثالثة قاله أبو البقاء يعني: من فاعل تخرج أي: آية في تسع كذا قدره الثاني متعلقة بمحذوف أي: اذهب في تسع، وقد تقدم اختيار الزمخشري لذلك في أول هذا الموضع الثالث أن يتعلق بقوله: ﴿وألق عصاك﴾، وأدخل يدك أي: في جملة تسع الآيات ولقائل أن يقول كانت الآيات إحدى عشرة منها: اثنتان اليد والعصا، والتسع: الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم اهـ.

وعلى هذا تكون في بمعنى مع لأن اليد والعصا حينئذ خارجتان من التسع، وكذا فعل ابن عطية أعني أنه جعل في تسع متصلاً بألق وأدخل إلا أنه جعل اليد والعصا من جملة التسع، وقال تقديره يمهد لك ذلك وينشره في تسع، وجعل الزجاج في بمعنى من قال كما تقول خذ لي من الإبل عشراً فيها فحلان أي: منها فحلان اهـ.

قوله: ﴿إلى فرعون﴾ متعلق بما قدره الشارح، وقوله: ﴿إنهم كانوا﴾ الخ تعليل لذلك المقدر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فلما جاءتهم آياتنا﴾ أي: جاءهم موسى بها، وقوله: ﴿مبصرة﴾ اسم فاعل، والمراد به المفعول اطلق اسم الفاعل على المفعول إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿مبصرة﴾ حال ونسب الإبصار مجازاً لأن بها يبصر، وقيل: هو بمعنى مفعول نحو ماء دافق مدفوق اهـ.

قوله: (أي مضيئة) أي: إضاءة معنوية في كلها وحسية أيضاً في بعضها وهو اليد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قالوا هذا﴾ أي: نشاهده من الخوارق التي أتى بها موسى اهـ شيخنا.

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ أي لم يقروا ﴿وَ﴾ قد ﴿اسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أي تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ تكبراً عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ التي علمتها من إهلاكهم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿عِلْمًا﴾ بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَا﴾ شكراً لله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾ بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ النبوة والعلم دون باقي أولاده

قوله: ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ حال من الواو في جحدوا ولذلك قدر فيه اهـ شيخنا.

قوله: (أي تيقنوا الخ) أشار به إلى أن السين زائدة اهـ شيخنا.

قوله: (راجع إلى الجحد) أي: على أنه علة له أو حال من فاعله أي: جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها شيخنا.

قوله: ﴿كيف كان عاقبة﴾ كيف: خبر مقدم، وعاقبة اسمها، والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض لأنها معلقة لانظر بمعنى تفكر اهـ سمين.

قوله: (من إهلاكهم) أي: بالإغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين، وإنما يذكر تنبيهاً على أنه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولقد آتينا﴾ بالمد أي: أعطينا داود الخ هذا شروع في القصة الثانية وهي قصة داود وسليمان، وكان لداود تسعة عشر ولداً سليمان واحد منهم، وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة، وعاش سليمان نيفاً وخمسين سنة، وبينه وبين محمد ألف سنة وسبعمائة سنة اهـ شيخنا نقلاً عن التحبير.

قوله: (ومنطق الطير) أي: وعلماً بمنطق الطير أي: الفهم من أصوات الطير كما سيذكره الشارح في قوله: ﴿علمنا منطق الطير﴾ اهـ شيخنا.

والظاهر أن كليهما كان يعلم منطق الطير وهو كذلك، لكن داود كان يعلم خصوص تسبيحه وسليمان يعرف سائر نطقه. وعبارة الخازن: ولقد آتينا داود وسليمان علماً أي: علم القضاء والسياسة، وعلم داود تسبيح الجبال والطير، وعلم سليمان منطق الطير والدواب اهـ.

قوله: (وغير ذلك) كالدواب وتسبيح الجبال اهـ كرخي.

قوله: ﴿وقالا الحمد لله﴾ أي: قال كل منهما الحمد لله أي: شكر كل منهما ربه على هذه النعم، وقوله: (وتسخير الجن والإنس والشياطين) ظاهره أن هذا كان لكل من داود وسليمان، ومثله في هذا التعبير غيره من المفسرين كالخازن والخطيب اهـ.

وهذا معطوف على مقدر تقديره فعملا بما أعطياه بالقلب بالعزم، وعملا به بالجوارح بالمباشرة، وعملا به باللسان فقالا: الحمد لله الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على كثير﴾ الخ أي: ممن لم يؤت علماً أو ممن لم يؤت علماً مثل علمنا، وهذه المقالة على سبيل التحدث والشكر اهـ شيخنا.

﴿وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي فهم أصواته ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ تؤتاه الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ

قوله: ﴿وورث سليمان داود﴾ (النبوة والعلم) أو الكتب بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشرة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وقال﴾ أي: سليمان يا أيها الناس الخ. وهذا كالشرح لقوله: وورث سليمان بالنسبة للنبوة وقوله: ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ دليل لإعطائه الملك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يا أيها الناس﴾ أي: قال سليمان لبني إسرائيل على جهة الشكر لنعم الله والضمير في علمنا، وأوتينا لك من داود وسليمان. وعبارة الخطيب: علمنا أي أنا وأبي بأيسر أمر وأسهله منطق الطير أي: فهم ما يريده كل طائر إذا صوت وسمي صوت الطير منطقاً لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس اهـ.

ولذلك قال الجلال: أي فهم أصواته اهـ.

وخص الطير بالذكر مع أن كل حيوان وشجر كذلك لكونه كان يسير معه ويظلله اهـ كرخي.

ومقتضى هذا أن كلاً منهما كان يعلم أصوات الطير وما تريد، وتقدم التصريح به في عبارة الخازن. وفي البيضاوي: والنطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً مفيداً كان أو غير مفيد، وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم: نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد، فإن الأصوات الحيوانية من حيث إنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه، ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية الغرض الذي صوت لأجله، والغرض الذي توخاه به اهـ.

وفي القرطبي: وقال: يا أيها الناس أي: قال سليمان لبني إسرائيل على جهة الشكر لنعم الله علمنا منطق الطير أي: تفضل الله علينا زيادة على ما ورثنا من داود من العلم والنبوة والخلافة في الأرض أن فهمنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها. قال مقاتل: في الآية كان سليمان جالساً إذ مرَّ به طائر يطوف، فقال لجلسائه: أتدرون ما يقول هذا الطائر إنه قال لي السلام عليك أيها الملك المسلط والنبي لبني إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إني منطلق إلى أفراخي ثم أمر بك الثانية وإنه سيرجع إلينا الثانية، ثم رجع فقال لهم: يقول السلام عليك أيها الملك المسلط إن شئت أن تأذن لي كما أكتسب على أفراخي حتى يشبوا ثم آتيك فافعل بي ما شئت، فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له فانطلق. وقال فرقد السبخي: مرَّ سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا: لا يا نبي الله. قال: إنه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء، ومرَّ بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخاً فخاف فقال له سليمان: احذر، فقال الهدهد: يا نبي الله هذا صبي ولا عقل له فأنا أسخر به، ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في يده، فقال له: ما هذا؟ قال: ما رأيتها حين وقعت فيها يا نبي الله. قال: ويحك فأنت ترى الماء تحت الأرض أما ترى الفخ؟ فقال: يا نبي الله إذا نزل القضاء عمي البصر. وقال كعب: صاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: إنه يقول لدوا للموت وابنوا

هَٰذَا﴾ المؤتى ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ البين الظاهر ﴿وَحُشِرَ﴾ جمع ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ

للخراب، وصاحت فاختة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم إذا خلقوا علموا ما خلقوا له، وصاح عنده طاووس فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال إنه يقول كما تدين تدان، وصاح عنده هدهد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول من لا يَرحم ولا يُرحم، وصاح عنده صرد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: إنه يقول استغفروا الله يا مذنبون، فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله وقيل: إن الصرد هو الذي دل آدم على مكان البيت، ولذلك يقال له الصرد الصرام.

وروي عن أبي هريرة: وصاحت عنده طيطرجي فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا، لا. قال: إنها تقول كل حي ميت وكل جديد بالٍ، وصاحت عنده خطافة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: إنها تقول قدموا خيراً تجدوه، فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتلها. وقيل: إن آدم خرج من الجنة فاشتكى إلى الله تعالى الوحشة فآنسه الله بالخطاف وألزمها البيوت، فهي لا تفارق بني آدم أنساً لهم قال: ومعها أربع آيات من كتاب الله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ [الحشر: ٢١] الآية إلى آخرها. وتمد صوتها بقولها العزيز الحكيم. وهدرت حمامة عند سليمان فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: إنها تقول: سبحان ربي الأعلى عدد ما في سمواته وأرضه، وصاح قمري عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول سبحان ربي العظيم المهيمن.

فقال كعب: وحدثهم سليمان فقال: الغراب يقول اللهم العن العشار، والحدأ يقول: كل شيء هالك إلا وجهه والقطاة تقول: من سكت سلم، والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه، والضفدع تقول: سبحان ربي القدوس، والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده، والسرطان يقول: سبحان المذكور بكل مكان. وقال مكحول: صاح دراج عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] وقال الحسن، قال النبي ﷺ: الديك إذا صاح قال: اذكروا الله يا غافلون. وقال الحسن بن علي. قال النبي ﷺ: النسر إذا صاح قال يا ابن آدم عش ما شئت فآخرك الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد من الناس راحة، وإذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغض آل محمد، وإذا صاح الخطاف قال: الحمد لله رب العالمين إلى آخرها، فيقول: ولا الضالين، فيمد بها صوته كما يمد القارىء. قال قتادة، والشعبي: إنما هذا الأمر في الطير خاصة لقوله: ﴿علمنا منطق الطير﴾[النمل: ١٦] والنملة طائر إذ قد توجد له أجنحة. قال الشعبي: وكذلك كانت هذه النملة ذات جناحين. وقالت فرقة: بل كان في جميع الحيوان، وإنما ذكر الطير لأنه كان جنداً من جند سليمان يحتاجه في التظليل عن الشمس وفي البعث في الأمور، فخص بالذكر لكثرته مداخلته، ولأن أمر سائر الحيوان نادر وغير متردد ترداد أمر الطير، وقد اتفق الناس على أنه كان يفهم كلام من لا يتكلم ويخلق له فيه القول من النبات، فكان كل نبت يقول: أنا شجر كذا أنفع من كذا وأضر من كذا، فما ظنك بالحيوان اهـ بحروفه.

قوله: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس﴾ من الأماكن المختلفة في مسير له فهم يوزعون أي: يحبسون حتى يرد أولهم على آخرهم. قيل: كان في جنوده وزراء وهم النقباء ترد أول العسكر

﴿وَٱلطَّيۡرِ﴾ في مسير له ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ يجمعون ثم يساقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ هو بالطائف،

على آخره لئلا يتقدموا في المسير. قال محمد بن كعب القرظي: كان عسكر سليمان عليه الصلاة والسلام مائة فرسخ في مائة فرسخ: خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير. وقيل: نسجت له الجن بساطاً من ذهب وحرير فرسخاً في فرسخ ، وكان يوضع في وسطه فيقعد وحوله كراسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظلله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة يعني حرة وسبعمائة سرية، فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال: كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الإبل، فتطبخ الطباخون وتخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض، واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوي فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله ﷺ، فلما وصل إليها قال سليمان: هذا دار هجرة نبي يكون آخر الزمان طوبى لمـن آمن به وطوبى لمن اتبعه. ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناماً تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت، فأوحى الله إليه ما يبكيك؟ قال: يا رب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا علي ولم يصلوا عندي والأصنام تعبد حولي من دونك، فأوحى الله تعالى إليه لا تبك فإني سوف أملأك وجوهاً سجداً، وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب أنبيائي إليَّ وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني أفرض عليهم فريضة يحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها، وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدة الشيطان. ثم مضى سليمان حتى مرّ بوادي النمل اهـ خازن.

قوله: (يجمعون ثم يساقون) أي: يمنعون من التقدم حتى يجتمعوا ثم يساقون أي: يؤمرون بالسير. وفي القرطبي: فهم يوزعون معناه يكفون ويوقفون ويرد أولهم على آخرهم. قال قتادة: والوازع في الحرب الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم، وفي الآية دليل على اتخاذ الإمام والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض، إذ لا يمكن الحكام ذلك بأنفسهم، وقال الحسن أيضاً: لا بد للناس من وازع أي: سلطان يكفهم اهـ.

وفي المختار: وزعه يزعه وزعاً مثل وضعه يضعه وضعاً أي: كفه فانزع أي: انكف وأوزعه بالشيء أغراه به واستوزعت الله شكره فأوزعني أي: استلهمته فألهمني، والوازع الذي يتقدم الصف ويصلح ويقدم ويؤخر وجمعه وزعة، وقال الحسن، لا بد للناس من وازع أي: من سلطان يكفهم يقال: وزعت الجيش إذا حبست أولهم على آخرهم قال الله تعالى: ﴿فهم يوزعون﴾ اهـ.

وقوله: وقال رب أوزعني من هذا المعنى لأن تحقيقه ألهمني بحيث أزع نفسي عما يسخطك اهـ قرطبي.

وفي أبي السعود: فهم يوزعون أي: يحبس أوائلهم على أواخرهم أي: يوقف أوائل العسكر حتى يلحقهم الأواخر فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة، ويجوز أن يكون

أو بالشام نمله صغار أو كبار ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ملكة النمل وقد رأت جند سليمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسرنكم ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ نزل النمل منزلة العقلاء في

ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعاد في العساكر، وفيه اشعار بكمال مسارعتهم إلى السير وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضاً لما أن أواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع، وهذا كله إذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو اهـ.

قوله: ﴿حتى إذا أتوا﴾ غاية لمحذوف تقديره فساروا حتى إذا أتوا الخ أي: ساروا مشاة على الأرض وركباناً حتى إذا أتوا على وادي النمل أي: على مكان فيه نمل كثير اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿حتى إذا أتوا﴾ في المغنّى بحتى وجهان، أحدهما: هو يوزعون لأنه مضمن معنى فهم يسيرون ممنوعاً بعضهم من مفارقة بعض حتى إذا أتوا. والثاني: أنه محذوف أي: فساروا حتى إذا أتوا، وتقدم الكلام في حتى الداخلة على إذا هل هي حرف ابتداء أو حرف جر اهـ.

قوله: (نمله صغار) أي: نمل هذا الوادي صغار وهو النمل المعروف، أو كبار أي كالبخاتي أو كالذباب، والقول الأول هو المشهور اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قالت نملة﴾ أي: قالت قولاً مشتملاً على حروف وأصوات، والمراد قالته على وجه النصيحة يا أيها النمل الخ. وقد اشتمل هذا القول منها على أحد عشر نوعاً من البلاغة، أولها: النداء بيا، وثانيها: كنت بأي، وثالثها: نبهت بهاء التنبيه، ورابعها: سمت بقولها النمل، وخامسها: أمرت بقولها ادخلوا، وسادسها: نصت بقولها مساكنكم، وسابعها: حذرت بقولها لا يحطمنكم، وثامنها: خصصت بقولها سليمان، وتاسعها: عممت بقولها وجنوده، وعاشرها: أشارت بقولها وهم، وحادي عشرها: عذرت بقولها لا يشعرون اهـ شيخنا نقلاً عن السيوطي في الإتقان.

قوله: (ملكة النمل) وكانت عرجاء ذات جناحين وهي الحيوانات التي تدخل الجنة اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قال الثعلبي: كان للنملة جناحان فصارت من الطير فلذلك علم منطقها ولولا ذلك ما علمه. قال أبو إسحاق الثعلبي: ورأيت في بعض الكتب أن سليمان قال لها: لم حذرت النمل أخفت من ظلمي، أما علمت أني نبي عدل، فلم قلت: ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾؟ فقالت النملة: أما سمعت قولي: ﴿وهم لا يشعرون﴾ مع أني لم أرد حطم النفوس، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتتن بالدنيا ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر، فلما تكلمت مع سليمان مضت مسرعة إلى قومها فقالت: هل عنكم من شيء نهديه إلى نبي الله؟ قالوا: وما قدر ما نهدي له والله ما عندنا إلا نبقة واحدة. قالت: حسنة ائتوني بها فأتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها، وأمر الله الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والإنس والعلماء والأنبياء على البساط حتى وقفت بين يديه، فوضعت تلك النبقة من فيها في فيه وأنشأت تقول:

أم تـرنـا نهـدي إلـى الله مـالـه ... وإن كـان عنـه ذا غنـى فهـو قـابلـه
ولـو كـان يهـدى للجليـل بقـدره ... لأقصـر عنـه البحـر يـومـاً وسـاحلـه
ولكننـا نهـدي إلـى مـن نحبـه ... فيـرضـى بهـا عنـا ويشكـر فـاعلـه

الخطاب بخطابهم ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سليمان ابتداء ﴿ضَاحِكًا﴾ انتهاءً ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾ وقد سمعه من ثلاثة

ومـــا ذاك إلا مـــن كـــريـــم فعـــالـــه وإلاّ فمـــا فـــي ملكنـــا مـــا يشـــاكلـــه

فقال لها: بارك الله فيكم، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله وأكثر خلق الله. والنمل حيوان معروف شديد الإحساس والشم حتى أنه يشم الشيء من بعيد ويدخر قوته، ومن شدة إدراكه إنه يفلق الحبة فلقتين خوفاً من الانبات، ويفلق حبة الكسبرة أربع فلق لأنها إذا فلقت فلقتين نبتت، ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي باقيه عدة اهـ.

وهذه النملة التي تكلمت مع سليمان مؤنثة حقيقة بدليل لحاق علامة التأنيث لفعلها، لأن نملة تطلق على الذكر والأنثى، فإذا أريد تمييز ذلك قيل نملة ذكر ونملة أنثى نحو: حمامة ويمامة. وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة رضي عنه أنه وقف على قتادة وهو يقول: سلوني. فأمر أبو حنيفة شخصاً سأل قتادة عن نملة سليمان هل كانت ذكراً أو أنثى فلم يجب، فقيل لأبي حنيفة في ذلك. فقال: أنثى واستدل بلحاق العلامة. قال الزمخشري: وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة وقوعهما على المذكر والمؤنث فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم: حمامة ذكر وحمامة أنثى اهـ.

إلا أن الشيخ قدر هذا فقال: ولحاق التاء في قالت لا يدل على أن النملة مؤنثة، بل يصح أن يقال في المذكر قالت نملة، لأن نملة وإن كانت بالتاء هو مما لا يتميز فيه المذكر من المؤنث، وما كان كذلك كاليمامة والقملة من كل ما يفرق بينه وبين جمعه بتاء التأنيث من الحيوان فإنه يخبر عنه إخبار المؤنث، ولا يدل كونه مخبراً عنه إخبار المؤنث على أنه ذكر أو أنثى، لأن التاء دخلت فيه للفرق بين الواحد والجمع لا للدلالة على التأنيث الحقيقي، بل للدلالة على الوحدة من هذا الجنس اهـ سمين.

قوله: (وقد رأت جند سليمان) مقتضى هذا مع قوله الآتي، وقد سمعه من ثلاثة أميال أنها رأت سليمان وجنوده من تلك المسافة، ولينظر هل هذه القوة في النملة دائماً أو كانت خصوصية لهذه النملة فليتأمل. قوله: ﴿لا يحطمنكم سليمان﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه نهي. والثاني: جواب للأمر. وإذا كان نهياً ففيه وجهان، أحدهما: أنه نهي مستأنف لا تعلق له بما قبله من حيث الإعراب، وإنما هو نهي لسليمان وجنوده في اللفظ في المعنى للنمل أي: لا تكونوا بحيث يحطمونكم كقوله: ﴿لا أرينك﴾ ههنا. والثاني: أنه بدل من جملة الأمر قبله وهي ادخلوا. وقد تعرض الزمخشري لذلك فقال: فإن قلت: لا يحطمنكم ما هو؟ قلت: يحتمل أن يكون جواباً للأمر وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر، والذي جوز أن يكون بدلاً منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم على طريقة. لا أرينك ههنا أرادت لا يحطمنكم جنود سليمان فجاءت بما هو أبلغ اهـ سمين.

وفي المختار: حطمه من باب ضرب أي كسره فانحطم وتحطم، والتحطيم التكسير، والحطام ما تكسر من اليبس اهـ.

قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ جملة حالية اهـ سمين.

قوله: ﴿فتبسم ضاحكاً﴾ هذا مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها المذكور فتبسم كما يشير له صنيع الشارح حيث قال: وقد سمعه من ثلاثة أميال الخ. وكل من التبسم والضحك والقهقهة انفتاح في

أميال حملته إليه الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركباناً ومشاة في هذا السير ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ الأنبياء والأولياء ﴿وَتَفَقَّدَ

الفم، لكن الأول انفتاح بلا صوت أصلاً، والثاني انفتاح مع صوت خفيف، والثالث انفتاح مع صوت قوي اهـ ع ش على المواهب.

وفي الخازن: فإن قلت: ما كان سبب ضحك سليمان عليه الصلاة والسلام؟ قلت: سببه شيئان. أحدهما: ما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم، وذلك قولها: وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا. الثاني: سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من إدراك سمعه ما قالته النملة، وقيل: إن الإنسان إذا رأى أو سمع ما لا عهد له به عجب وضحك اهـ.

قوله: (حتى دخلوا بيوتهم) غاية في قوله فحبس جنده اهـ.

قوله: (في هذا السير) أي: في خصوص هذا السير أي: في وقت مروره على وادي النمل وكان هو وجنوده في غير هذا الوقت يركبون على البساط وتسير بهم الريح، لكن سبب سيرهم في هذا الوقت ركباناً ومشاة ما أشار له الخطيب ونصه: وكان سليمان يأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به مسيرة شهر، وأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك ألاَّ يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلاَّ جاءت به الريح فأخبرتك به. ويحكى أنه مر بحرَّاث، فقال الحرَّاث. لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً فألقته الريح في أذن سليمان فنزل ومشى إلى الحراث وقال: إني مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير ما أوتي آل داود واستمر ماشياً بمن معه حتى إذا أتوا أي: أشرفوا على وادي النمل الخ اهـ.

وفي الخازن: فإن قلت: كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهم فوق البساط على متن الريح؟ قلت: كأنهم أرادوا النزول عند منقطع الوادي، فلذلك قالت النملة: لا يحطمنكم سليمان وجنوده لأنه ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم اهـ.

قوله: (وعلى والدي) قال أهل الكتاب: وأمه هي زوجة أوريا بوزن قوتلا التي امتحن الله بها داود اهـ قرطبي.

وأدرج فيه ذكر والديه تكثيراً للنعمة أو تعميماً لها، فإن النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما سيما الدينية اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿في عبادك الصالحين﴾ على حذف مضاف أي: في جملة عبادك أو في بمعنى مع اهـ شيخنا.

فإن قيل: درجات الأنبياء أفضل من درجات الصالحين فما السبب في أن الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين، وقد تمنى يوسف عليه السلام ذلك بقوله: ﴿فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ [يوسف: ١٠١] أجيب: بأن الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله ولا يفعل معصية ولا يهم بها وهذه درجة عالية اهـ خطيب.

﴿ٱلطَّيۡرَ﴾ ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة فلم يره ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ أي أعرض لي ما منعني من

قوله: ﴿وتفقد الطير﴾ هذا شروع في أمر آخر وقع له في مسيره الذي كانت فيه قصة النمل والتفقد تطلب المفقود الغائب عنك، والطير اسم جمع واحده طائر، والمراد هنا جنسه وجماعته التي كانت تصحبه في سفره وتظلله بأجنحتها اهـ قرطبي.

وفي الخازن: وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه إخلاله بالنوبة، وذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان إذا نزل منزلاً تظلله جنوده من الجن والإنس والطير من الشمس، فأصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خالياً.

وروي عن ابن عباس أن الهدهد كان دليل سليمان على الماء كان يعرف موضع الماء، ويرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة، ويعرف قربه وبعده فينقر الأرض ثم تجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة. قال سعيد بن جبير: لما ذكر ابن عباس هذا قال له سعيد ابن الأزرق: يا وصاف انظر ما تقول إن الصبي منا يضع القمح ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه، فقال له ابن عباس: ويحك القدر إذا جاء حال دون البصر. وفي رواية: إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر. فنزل سليمان منزلاً واحتاج إلى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدل سليمان على الماء فقال: مالي لا أرى الهدهد الخ اهـ.

قال الكلبي: ولم يكن له في مسيره إلا هدهد واحد اهـ قرطبي.

قوله: (فتستخرجه الشياطين) أي: بأن تسلخ وجه الأرض عن الماء كما تسلخ الشاة اهـ قرطبي. وسلخ من باب قطع ونصر اهـ مختار.

قوله: ﴿ما لي لا أرى الهدهد﴾ هذا استفهام استخبار ولا حاجة إلى دعاء القلب، وإن الأصل ما للهدهد لا أراه، إذ المعنى صحيح بدونه، والهدهد معروف اهـ سمين.

قوله: ﴿أم كان من الغائبين﴾ أم: منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره فقال: ما لي لا أراه ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك، وأخذ يقول: أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له اهـ بيضاوي.

وعلى هذا فتقدر ببل والهمزة أو بل وحدها أو بالهمزة وحدها على ما تقدم غير مرة في الكلام على أم المنقطعة. وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم، فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والإنس والطير والوحش فحملتهم الريح، فلما وافى الحرم أقام ما شاء الله أن يقيم وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة، ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضره من أشراف قومه: إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا، ويعطي النصر على جميع من عاداه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم. قالوا: فبأي دين يدين يا نبي الله؟ قال: بدين الله الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به. قالوا: كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟

رؤيته ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ فلم أره لغيبته، فلما تحققها قال ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا﴾ تعذيباً

قال: مقدار ألف سنة، فليبلغ الشاهد الغائب فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل. قال: فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال، وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى، فلما نزل قال الهدهد: قد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء ينظر إلى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك. فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً رأى بستاناً لبلقيس فنزل إليه فإذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير، فقال عفير ليعفور: من أين أقبلت؟ من الشأم مع صاحبي سليمان بن داود. قال: ومن سليمان؟ قال: ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أنت؟ قال: عفير أنا من هذه البلاد. قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها بلقيس وإن لصاحبك ملكاً عظيماً ولكن ليس ملك بلقيس دونه، فإنها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل، ولها ثلاثمائة وزير يدبرون ملكها، ولها اثنا عشر قائداً مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل، فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الماء. قال الهدهد اليماني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة. قال: فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها، وأما سليمان فإنه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الجن والإنس فلم يعلموا، فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال: أصلح الله الملك ما أدري أين هو، وما أرسلته إلى مكان. فغضب سليمان وقال: ﴿لأعذبنه﴾ الآية، ثم دعا العقاب وهو أشد الطير طيراناً فقال له: عليَّ بالهدهد الساعة فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم، ثم التفت يميناً وشمالاً فرأى الهدهد مقبلاً من نحو اليمن فانقض العقاب يريده، وعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال: بحق الذي قواك وأقدرك علي إما ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء، فتركه العقاب وقال: ويلك ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك، فسارا متوجهين نحو سليمان عليه الصلاة والسلام فلما انتهيا إلى العسكر تلقاه النسر والطير وقالا له: ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله وأخبره بما قال سليمان، فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله فقالوا: بلى، إنه قال: أو ليأتيني بسلطان مبين فقال: نجوت إذن وكانت غيبته من الزوال ولم يرجع إلا بعد العصر، فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على كرسيه فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله، فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه وقال له: أين كنت لأعذبنك عذاباً شديداً، فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل، فلما سمع سليمان عليه الصلاة والسلام ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله: ما الذي أبطأك عني؟ فقال الهدهد: أحطت بما لم تحط به الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿لأعذبنه عذاباً شديداً الخ﴾ الحلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث فكلمة أو بين الأولين للتخيير، وفي الثالث للترديد بينه وبينهما. قال الزمخشري: فإن قلت: قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه على فعليه لا كلام فيه، ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد، ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول أو ليأتيني بسلطان مبين؟ قلت: لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو

﴿شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوامّ ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ بقطع حلقومه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ بنون مشددة مكسورة أو مفتوحة يليها نون مكسورة ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١﴾ ببرهان بيِّن ظاهر على عذره ﴿فَمَكَثَ﴾ بضم الكاف وفتحها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي يسيراً من الزمان، وحضر لسليمان متواضعاً برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ﴾ بالصرف وتركه قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتباره صرف ﴿بِنَبَإٍ﴾ خبر ﴿يَقِينٍ ۝٢٢﴾ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً

الخلف آل كلامه إلى قولك ليكونن أحد الأمور يعني: إن كان الإتيان بسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح، وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دارية اهـ كرخي.

وأو الثانية ترجع في المعنى إلى أنها بمعنى إلا وهي قيد في كل من الأمرين قبلها، فكأنه قال: لأعذبنه إلا أن يأتيني أو لأذبحنه إلا أن يأتيني بسلطان مبين اهـ.

قوله: (بنتف ريشه الخ) هذا أحد أقوال في معنى تعذيب سليمان للطير، وقيل: هو أن يجعل الطير مع ضده، وقيل: وهو بالفريق بينه وبين إلفه، وقيل: هو أن يطلى بالقطران ويشمس اهـ أبو السعود.

قوله: (بنون مشددة مكسورة الخ) عبارة السمين: قرأ ابن كثير بنون التوكيد المشددة بعدها نون الوقاية وهذا هو الأصل، واتبع مع ذلك رسم مصحفه، والباقون بنون مشددة فقط، والأظهر أنها نون التوكيد الشديدة توصل بكسرها لياء المتكلم، وقيل: بل هي نون التوكيد الخفيفة أدغمت في نون الوقاية وليس بشيء لمخالفة الفعلين قبله، وقرأ عيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة لم يصلها بالياء اهـ.

قوله: ﴿فمكث غير بعيد﴾ الضمير الفاعل للهدهد بقرينة قوله: ﴿وحضر لسليمان﴾ ويحتمل أن يعود على سليمان نفسه، والمعنى بقي سليمان بعد التفقد والوعيد غير طويل اهـ قرطبي.

قوله: (بضم الكاف وفتحها) الأول من باب قرب، والثاني من باب نصر اهـ.

قوله: ﴿فقال أحطت بما لم تحط به﴾ أي: علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك. ألهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيهاً على أن أدنى جنده قد أحاط علماً بما لم يحط به ليكون لطفاً به في ترك الإعجاب والإحاطة بالشيء علماً أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم اهـ خازن.

فإن قلت: كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بينهما قريبة وهي مسيرة ثلاث مراحل بين صنعاء ومأرب؟ فالجواب: أن الله عز وجل أخفى ذلك عنه لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب اهـ قرطبي.

قوله: (قبيلة باليمن الخ) أي: فمن صرفه نظر إلى أن أصله اسم رجل، ومن لم يصرفه إلى أنه اسم قبيلة، فإن فيه التعريف والتأنيث اهـ كرخي.

تَمْلِكُهُمْ﴾ أي هي ملكة لهم اسمها بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ طوله ثمانون ذراعاً، وعرضه أربعون ذراعاً، وارتفاعه ثلاثون ذراعاً، مضروب من الذهب والفضة، مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾

قوله: (اسمها بلقيس) وهي بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكاً هي آخرهم، وكان الملك يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً لي، وأبى أن يتزوج فيهم فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن. قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم: إنه كان كثير الصيد فربما اصطاد من الجن وهم على صور الظباء فيخلي عنهم، فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقاً فخطب ابنته فزوجه إياها اهـ خازن.

وفي القاموس: وبلقيس بالكسر ملكة سبأ اهـ.

قوله: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة معطوفة على تملكهم وجاز عطف الماضي على المضارع، لأن المضارع بمعناه أي: ملكتهم. ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من مرفوع تملكهم وقد معها مقدرة عند من يرى ذلك اهـ سمين.

وقال ابن عباس: كان يخدمها النساء وكان معها لخدمتها ستمائة امرأة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿من كل شيء﴾ عام أريد به الخصوص كما أشار له بقوله: (تحتاج إليه الملوك الخ). قوله: ﴿ولها عرش عظيم﴾ فإن قلت: قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم، فما الفرق بينهما؟ قلت: وصف عرشها بالعظيم بالنسبة إليها وإلى أمثالها من ملوك الدنيا، أما وصف عرش الله تعالى بالعظيم فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما فحصل الفرق اهـ خازن.

وإلى هذا الفرق أشار الشارح بقوله: فيما يأتي وبينهما بون عظيم اهـ شيخنا.

قوله: (طوله ثمانون الخ) عبارة القرطبي: قال مقاتل: كان طوله ثمانين ذراعاً وعرضه كذلك وارتفاعه في الهواء كذلك اهـ.

قوله: (مضرَب) أي: مصنوع. قوله: (عليه سبعة أبواب) صوابه سبعة أبيات بدليل قوله: على كل بيت باب مغلق، وعبارة الخازن: وعليه سبعة أبيات وعلى كل بيت باب مغلق اهـ.

ولعل قول الجلال أبواب تحريف من النساخ اهـ.

قوله: ﴿وجدتها﴾ هي التي بمعنى لقيت وأصبت فتتعدى لواحد فيكون يسجدون حالاً من مفعولها وما عطف عليه اهـ سمين.

قوله: ﴿يسجدون للشمس﴾ أي: فهم مجوس. قوله: ﴿فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله﴾ الخ هذا

طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ أي أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نون أن، كما في قوله تعالى ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ والجملة في محل مفعول يهتدون بإسقاط إلى ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾

الكلام مناسبة لما قبله وهي الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله، لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السموات والأرض عالم بجميع المعلومات اهـ خازن.

قوله: ﴿الذي يخرج الخبء﴾ فيه دليل على القدرة، قوله: ﴿ويعلم ما يخفون﴾ الخ في دليل على إثبات العلم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألا يسجدوا لله﴾ يجب حذف هذه النون في الرسم وأن هي الناصبة للفعل ولا زائدة، والمعنى أن يسجدوا وهذا الفعل مع أن معمول لقوله لا يهتدون لكن بإسقاط حرف الجر وهو إلى، والمعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا أي إلى السجود. وعلى هذا الإعراب لا يصح الوقف على قوله: ﴿لا يهتدون﴾، ويصح أن يكون بدلاً من أعمالهم والتقدير: قوله: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ عدم السجود اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿ألا يسجدوا﴾ قرأ الكسائي بتخفيف إلا، والباقون بتشديدها، فأمر قراءة الكسائي فألا فيها حرف تنبيه واستفتاح وياء بعدها حرف نداء أو تنبيه أيضاً على ما سيأتي، واسجدوا: فعل أمر فكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون يا اسجدوا، ولكن الصحابة أسقطوا ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطاً لما سقط لفظاً، ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت صورته يسجدوا كما ترى فاتحدت القراءتان لفظاً وخطاً، واختلفتا تقديراً. واختلف النحويون في يا هذه هل هي حرف تنبيه أو للنداء، والمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء لا اسجدوا وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى في سورة النساء ﴿يا ليتني﴾ [النساء: ٧٣] والمرجح أن تكون للتنبيه لئلا يؤدي إلى حذف كثير من غير بقاء ما يدل على المحذوف ألا ترى أن جملة النداء حذفت فلو ادعيت حذف المنادى كثر الحذف ولم يبق معمول يدل على عامله بخلاف ما إذا جعلتها للتنبيه، ولكن عارضنا هنا أن قبلها تنبيه آخر وهو ألا وقد اعتذر عن ذلك بأنه جمع بينهما تأكيداً. وأما قراءة الباقين فتحتاج إلى إمعان نظر وفيها أوجه كثيرة، أحدها: أن ألا أصلها أن لا فإن ناصبة للفعل بعدها، ولذلك سقطت نون الرفع ولا بعدها حرف نفي، وأن وما بعدها في موضع مفعول يهتدون على إسقاط الخافض أي: إلى أن لا يسجدوا ولا مزيدة كزيادتها في لئلا يعلم أهل الكتاب. الثاني: أنه بدل من أعمالهم وما بينهما اعتراض تقديره: وزين لهم الشيطان عدم السجود لله. الثالث: أنه بدل من السبيل على زيادة لا أيضاً والتقدير: فصدهم عن السجود لله اهـ.

قوله: ﴿الذي يخرج الخبء﴾ يجوز أن يكون مجرور المحل نعتاً لله أو بدلاً منه أو بياناً، ومنصوب المحل على المدح ومرفوعه على خبر ابتداء مضمر، والخبء: مصدر خبأت الشيء اخبؤه خبأ من باب نفع أي: سترته، ثم أطلق على الشيء المخبوء ونحوه هذا خلق الله. وفي التفسير: الخبء في السموات المطر وفي الأرض النبات اهـ سمين.

قوله: ﴿في السموات﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق بالخبء أي المخبوء في السموات.

في قلوبهم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ ۝﴾ بألسنتهم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ۝﴾ استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بون عظيم ﴿۞ قَالَ﴾ سليمان للهدهد ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝﴾ أي من هذا النوع، فهو أبلغ من أم كذبت فيه، ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤوا وصلوا، ثم كتب سليمان

والثاني: أنه متعلق بيخرج على أن في بمعنى من أي: يخرجه من السموات وهو قول الفراء اهـ سمين.

قوله: ﴿وما يعلنون﴾ ذكره لتوسيع دائرة العلم للتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى علمه تعالى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ اعلم أن ما حكى عن الهدهد من قوله: ﴿الذي يخرج الخبء﴾ إلى هنا ليس داخلاً تحت قوله: أحطت بما لم تحط به، وإنما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه السلام أورده بياناً لما هو عليه وإظهاراً لتصلبه في الدين، وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته إلى غزوها وتسخير ولايتها اهـ أبو السعود.

وقوله: ليس داخلاً تحت قوله الخ. مراده بهذا أن الذي اختص به الهدهد عن سليمان وذكره بقوله أحطت بما لم تحط به قد انتهى بقوله: ﴿ألا يسجدوا لله﴾، وأما قوله: ﴿الذي يخرج الخبء﴾ إلى قوله: ﴿رب العرش العظيم﴾ فهو وإن كان من مقول الهدهد لكنه ليس مما علمه دون سليمان، بل سليمان يعلمه أيضاً على وجه أتم وأكمل من علم الهدهد، وإنما ذكره الهدهد بياناً لما هو عليه أي: لما هو معتقده وإظهاراً لتصلبه في الدين. قوله: (وبينهما بون) أي: بُعد. وفي المختار: البون الفضل والمزية، وقد بان من باب قال وباع، وبينهما بون بعيد وبين بعيد والواو أفصح، فأما بمعنى البعد فيقال بينهما بين بالياء لا غير اهـ.

وفي المصباح: البون الفضل والمزية وهو مصدر بأنه يبونه بوناً إذا فضله وبينهما بون أي: درجتيهما أو بين اعتباريهما في الشرف، وأما في التباعد الجسماني بينهما بين بالياء لا غير اهـ.

قوله: ﴿قال سننظر﴾ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد، كأنه قيل: فما فعل سليمان بعد ذلك؟ فقيل: قال: سننظر أي نعترف اهـ شيخنا.

قوله: (فهو أبلغ من أم كذبت) عبارة البيضاوي: والتغيير للمبالغة والمحافظة على الفواصل اهـ.

وفي الشهاب: قوله: للمبالغة أي: لم يقل أم كذبت مع أنه أخصر وأشهر، لأن هذا أبلغ لإفادته انخراطه في سلك الكاذبين وعده منهم، فهو يفيد أنه كاذب لا محالة على أتم وجه ومن كان كذلك لا يوثق به اهـ.

قوله: (من أم كذبت فيه) أي: فيما أخبرتنا به. قوله: (من عبد الله الخ) لم يبدأ باسم الله لأنها كانت كافرة قارئة فخاف من كفرها أن تستخف باسم الله فجعل اسمه وقاية لاسم الله وكانت عربية والكتابة عربية وهو الظاهر، وقيل: إنه كتب بالعجمية ولها ترجمان يترجم لها به لأنها عربية، ويحتمل

كتاباً صورته: من عبد الله سليمان بن داود، إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا عليَّ وائتوني مسلمين. ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ أي بلقيس وقومها ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ ﴾ انصرف ﴿ عَنْهُمْ ﴾ وقف قريباً منهم ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ يردُّون من الجواب، فأخذه وأتاها وحولها

أنها كانت تعرف غير العربي أيضاً اهـ شيخنا.

قوله: (ثم طبعه بالمسك) أي: جعل عليه قطعة مسك كالشمع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فألقه إليهم﴾ إنما قال إليهم بلفظ الجمع لأنه جعله جواباً لقول الهدهد: وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فكأنه قال: فألقه إلى الذين هذا دينهم اهـ خازن.

وقرأ أبو عمر، وحمزة وأبو بكر بإسكان الهاء، وقالون بكسرها فقط من غير صلة بلا خلاف عنه، وهشام عنه وجهان: القصر والصلة، والباقون بالصلة بلا خلاف، وقد تقدم توجيه ذلك له في آل عمران والنساء وغيرهما عند ﴿يؤده إليك﴾ [آل عمران: ٧٥] و ﴿نوله ما تولى﴾ [النساء: ١١٥] وقرأ مسلم بن جندب بضم الهاء موصولة بواو فألقوه إليهم، وقد تقدم أن الضم الأصل اهـ سمين.

قوله: ﴿ماذا يرجعون﴾ إن جعلنا انظر بمعنى تأمل وتفكر كانت ما استفهامية وفيها حينئذ وجهان، أحدهما: أن تجعل مع ذا بمنزلة اسم واحد ويكون مفعولاً بيرجعون تقديره: أي شيء يرجعون. والثاني: أن تجعل ما مبتدأ وذا بمعنى الذي، ويرجعون صلتها وعائدها محذوف تقديره: أي شيء يرجعونه وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية، وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية قد علق عنها العامل وهو انظر بالاستفهام فمحلها النصب على إسقاط الخافض أي: انظر في كذا وفكر فيه، وإن جعلنا بمعنى انتظر من قوله انظرونا نقتبس من نوركم كانت ماذا بمعنى الذي ويرجون صلة والعائد مقدر كما مر تقريره، وهذا الموصول مفعول به أي: انتظر الذي يرجعون اهـ سمين.

قوله: (من الجواب) بيان لما. وعبارة البيضاوي: ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول اهـ.

قوله: (فأخذه) أي: أخذ الهدهد الكتاب وأتاها الخ. وعبارة القرطبي: وقال مقاتل: حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة وحولها الجنود والعساكر فرفرف ساعة والناس ينظرون، فرفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها، انتهت.

وفي الخازن: كالقرطبي أيضاً: أن الهدهد أخذ الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء، فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل إذا رقدت، فألقى الكتاب على نحرها. وقيل: حمل الهدهد الكتاب بمنقاره ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس رأسها فألقى الكتاب في حجرها. وقال وهب بن منبه: كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد فسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة، فما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد،

جندها وألقاه في حجرها فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفاً ثم وقفت على ما فيه ثم ﴿قَالَتْ﴾ لأشراف قومها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واواً مكسورة ﴿أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ مختوم ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ أي مضمونه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واواً، أي أشيروا عليَّ ﴿فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ قاضيته ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ تحضرون ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ

وجاءت هي حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم الأشراف اهـ.

قوله: (ارتعدت) وفي نسخة أرعدت بالبناء للمفعول. قوله: ﴿يا أيها الملأ﴾ أي: الأشراف سموا ملأ لأنهم يملؤون العيون اهـ شيخنا.

قوله: (وتسهيل الثانية) ليس المراد بالتسهيل هنا معناه المشهور، بل المراد به القلب فقوله بقلبها واواً تفسير للتسهيل والقراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إني ألقي﴾ بالبناء للمجهول والفاعل محذوف قيل: لجهلها به إن لم تكن شاهدته، وقيل: لاحتقاره إن كانت رأته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كريم﴾ أي: مكرم معظم بختمه فلذا قال مختوم. وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «كرامة الكتاب ختمه». اهـ خازن.

وعن ابن المقنع: من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به اهـ خطيب.

وفي البيضاوي: كريم لكرم مضمونه أو مرسله أو لأنه كان مختوماً أو لغرابة شأنه اهـ.

قوله: ﴿إنه من سليمان﴾ استئناف وقع جواباً على سؤال مقدر كأنه قيل: ممن هو وماذا مضمونه؟ فقالت: إنه من سليمان وإنه أي مضمونه أو المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم، وفيه إشارة إلى سبب وصفها إياه بالكرم وأن لا تعلوا على أن مفسرة ولا ناهية أي: لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك، وقيل: مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية محلها الرفع على أنها بدل من كتاب أو خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام، أي: مضمونه أن لا تعلوا. أو النصب بإسقاط الخافض أي: بأن لا تعلوا اهـ أبو السعود.

وقوله: أن مفسرة والمفسر كتاب لتضمنه معنى القول دون حروفه، والمعنى ألقي إلي كتاب هو أي: ذلك الكتاب، أي: مضمونه ومقصوده النهي عن العلو والأمر بالانقياد. قوله: ﴿وأتوني مسلمين﴾ أي: طائعين مؤمنين، وقيل: منقادين اهـ خازن.

قوله: ﴿قالت يا أيها الملأ﴾ أي: الأشراف من قومها وكانوا ثلاثمائة واثني عشر لكل منهم عشرة آلاف من الأتباع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾ الخ أي: عادتي وشأني معكم أن لا أفعل أمراً حتى أحضركم وأشاوركم اهـ شيخنا.

قوله: (قاضيته) أي: فاصلته. قوله: ﴿حتى تشهدون﴾ المضارع منصوب بحتى ونصبه بحذف

﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي أصحاب شدة في الحرب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ـنا نطعك ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بالتخريب ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي مرسلو الكتاب ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ من قبول الهدية أو ردها، إن كان ملكاً قبلها، أو نبياً لم يقبلها، فأرسلت خدماً ذكوراً وإناثاً ألفاً بالسوية، وخمسمائة لبنة من الذهب،

نون الرفع والنون الموجودة نون الوقاية وياء المتكلم محذوفة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نحن أولوا قوة﴾ الخ يعني أشاروا عليها بالقتال، ومع ذلك ردوا الأمر إلى رأيها فقالوا: والأمر إليك الخ اهـ شيخنا.

قوله: (أصحاب شدة) تفسير لأولوا الثانية. قوله: ﴿ماذا تأمرين﴾ ماذا هو المفعول الثاني لتأمرين، والأول محذوف تقديره: تأمريننا والاستفهام معلق للنظر ولا يخفى حكمه مما تقدم اهـ سمين.

قوله: (نطعك) مجزوم في جواب الأمر.

قوله: ﴿قالت إن الملوك﴾ الخ أي: فلم ترض بالحرب الذي أشاروا عليها به، بل مالت للصلح وبينت السبب في رغبتها فيه فقالت: إن الملوك الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذا دخلوا قرية﴾ أي: عنوة وقهراً. قوله: ﴿وكذلك يفعلون﴾ هذا من جملة كلامها أكدت به ما قبله، وقوله: (أي مرسلو الكتاب) تفسير للواو في يفعلون اهـ شيخنا.

أي: أن الذين أرسلوا الكتاب يفعلون كذلك أي: مثل الذي تفعله الملوك مما ذكر.

قوله: ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ بم تعلق بيرجع، وقوله: (من قبول الهدية الخ) بيان لما. وفي السمين: قوله: ﴿فناظرة﴾ عطف على مرسلة، وبم تعلق بيرجع، وقد وهم الحوفي فجعلها متعلقة بناظرة وهذا لا يستقيم، لأن اسم الاستفهام له صدر الكلام وبم يرجع متعلق لناظرة اهـ.

والمعنى: منتظرة رجوع الرسل وعودهم إليَّ بأي جواب هل بقبول الهدية أو بردها اهـ.

قوله: (إن كان ملكاً قبلها) أي: وقاتلناه، وقوله: (أو نبياً لم يقبلها) أي: واتبعناه وذلك لأنها كانت لبيبة عاقلة متقنة للأمور، وكانت تعرف أن النبي لا يقبل الهدية، ولعل هذا في حق غير نبينا، أما هو فكان يقبل الهدية ويرد الصدقة اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الأمور وجربتها، انتهت.

قوله: (فأرسلت خدماً ذكوراً وإناثاً الخ) عبارة الخازن: فأهدت وصفاء ووصائف. قال ابن عباس: مائة وصيف ومائة وصيفة، وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجواري لباس الغلمان الأقبية والمناطق، وألبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في أيديهم أساور الذهب، وفي أعناقهم أطواق الذهب، وفي آذانهم أقرطة وشنوفاً مرصعات بأنواع الجواهر، وحملت الجواري على خمسمائة فرس، والغلمان على خمسمائة برذون، على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج، وبعثت إليه لبنات من ذهب ولبنات من فضة وتاجاً

. . . .

مكللاً بالدر والياقوت، وأرسلت بالمسك والعنبر والعود والألنجوج، وعمدت إلى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو، وضمت إليه رجالاً من قومها أصحاب عقل ورأي، وكتبت مع المنذر كتاباً تذكر فيه الهدية وقالت: إن كنت نبياً فميز بين الوصفاء والوصائف، وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها، واثقب الدرة ثقباً مستوياً، وأدخل في الخرزة خيطاً من غير علاج إنس ولا جن. وأمرت بلقيس الغلمان فقالت: إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجواري أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظراً فيه غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أعز منه، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي فتفهم قوله ورد الجواب. فانطلق الرسول بالهداية وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر، فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبناً من الذهب والفضة ففعلوا، وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ وأن يفرش فيه لبن الذهب والفضة، وأن يخلوا قدر تلك اللبنات التي معهم وأن يعملوا حول الميدان حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة ففعلوا، ثم قال سليمان: أي دواب البر والبحر أحسن؟ فقالوا: يا نبي الله رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص. قال: عليَّ بها فأتوه بها، فقال: شدوها عن يمين الميدان وشماله، وقال للجن: عليَّ بأولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان وشماله، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسي على يمينه وعلى شماله، وأمر الجن والإنس والشياطين والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت إليهم أنفسهم ووضعوا ما معهم من الهدايا.

وقيل: إن سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك من طريقهم موضعاً على قدر ما معهم من اللبنات، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع، ولما نظروا إلى الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا، فقالت لهم الشياطين: جوزوا لا بأس عليكم، وكانوا يمرون على كراديس الإنس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان، فأقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم متلقى حسناً وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا فيه وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه. وقال: أين الحقة؟ فأتى بها فحركها فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره بما فيها فقال لهم: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة. فقال الرسول: صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الجزعة، فقال سليمان: من لي بثقبها وسأل الإنس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الشياطين فقالوا نرسل إلى الأرضة، فلما جاءت الأرضة أخذت شعرة في فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ فقالت: تصير رزقي في الشجرة فقال لها: لك وذلك، ثم قال: من لهذه الخرزة؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا نبي الله، فأخذت الدودة خيطاً في فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: يكون رزقي في الفواكه فقال: لك ذلك. ثم ميز بين الغلمان والجواري بأن أمرهم بأن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الأخرى وتغسل وجهها، والغلام يأخذ الماء

وتاجاً مكللاً بالجواهر، ومسكاً وعنبراً وغير ذلك مع رسول بكتاب، فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر، فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة، وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميداناً، وأن يبنوا حوله حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن، عن يمين الميدان وشماله ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ الرسول بالهدية ومعه أتباعه ﴿سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لفخركم بزخارف الدنيا ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت به من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ طاقة ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ من بلدهم سبأ، سميت باسم أبي قبيلتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي إن لم يأتوني مسلمين، فلما رجع إليها الرسول بالهدية، جعلت سريرها داخل سبعة أبواب

بيديه ويضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظهره، فميز بين الغلمان والجواري، ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله: قوله: ﴿فلما جاء سليمان﴾ الخ، انتهت.

قوله: (بالسوية) أي: نصفهم من الغلمان ونصفهم من الجواري اهـ شيخنا.

قوله: (مع رسول) متعلق بقوله: (فأرسلت خدماً الخ). قوله: (فأمر أن تضرب) أي: أمر الجن تضرب الخ أي: كما يضرب الطين لبنات، وقوله: (وأن تبسط) أي: توضع في الأرض مثبتة كما يوضع البلاط، وقوله: (من موضعه) أي: من موضع سليمان إلى تسعة فراسخ أي: من جهة بلقيس مسيرة يوم وثمن يوم، وقوله: (ميداناً) حال من تسعة فراسخ أي: حال كونها ميداناً، والميدان: بفتح أوله وكسره محل ركض الخيل والجمع ميادين كما في القاموس، وقوله: (وأن يبنوا) أي: حائطاً مشرفاً أي؛ عالياً مرتفعاً، وقوله: (مع أولاد الجن) أي: فجعلهم خدماً للدواب، وقوله: (عن يمين الميدان الخ) حال أي: كونهم واقفين بها عن يمين الميدان وشماله، والغرض من هذا إظهار البأس والشدة على رسول بلقيس ليخبرها بما رأى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال أتمدونني﴾ استفهام إنكار وتوبيخ أي: لا ينبغي لكم يا أهل سبأ أن تمدوني وتعاونوني بالمال، وقوله: ﴿فما آتاني الله﴾ الخ تعليل لهذا النفي، وقوله: ﴿بل أنتم﴾ الخ إضراب انتقالي بيَّن به السبب الحامل لهم على إمداده بالمال اهـ شيخنا.

والهدية: مصدر بمعنى الإهداء مضاف لفاعله أي: تفرحون بما تهدونه افتخاراً على أمثالكم، أو لمفعوله أي تفرحون بما يهدى إليكم حباً في كثرة أموالكم. وعبارة الخازن: بل أنتم بهديتكم تفرحون معناه: أنكم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون بإهداء بعضكم إلى بعض، وأما أنا فلا أفرح بالدنيا، وليست الدنيا من حاجتي، لأن الله عز وجل قد أعطاني منها ما لم يعط أحداً، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة، ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد: ارجع إليهم الخ اهـ.

قوله: ﴿أذلة﴾ حال، وقوله: ﴿وهم صاغرون﴾ حال ثانية مؤكدة للأولى اهـ شيخنا.

قوله: (إن لم يأتوني مسلمين) بين بهذا المقدر أن القسم المذكور معلق عليه فلم يحنث سليمان

داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب، وجعلت عليها حرساً، وتجهزت إلى المسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به فارتحلت في اثني عشر ألف قيل، مع كل قيل ألوف كثيرة، إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ﴾ في الهمزتين ما تقدم ﴿يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لا بعده ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ هو القوي الشديد ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ الذي تجلس فيه للقضاء، وهو من

في قسمه، وإنما كان يحنث لو لم يكن قسمه مطلقاً اهـ شيخنا.

قوله: (فلما رجع إليها الرسول الخ) قال ابن عباس: لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان وأخبروها الخبر قالت: قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة، وبعثت إلى سليمان إني قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك، ثم ارتحلت إلى سليمان في اثني عشر ألف قائد تحت كل قائد ألوف اهـ خازن.

قوله: (داخل سبعة أبواب) عبارة الخازن: ثم أمرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة أبيات بعضها داخل بعض، ثم أغلقت عليه سبعة أبواب الخ اهـ.

قوله: (حرساً) بفتحتين جمع حارس كخدم جمع خادم أو بضم الأول وتشديد الثاني مفتوحاً كركع جمع راحع اهـ شيخنا.

قوله: (قيل) بفتح القاف أي: ملك من ملوكها وسمي قيلاً لأنه ينفذ كل ما يقول، وتقدم في عبارة الخازن أنه يقال له قائد اهـ.

قوله: (إلى أن قربت منه) أي: من سليمان، وقوله: قوله: (شعر بها) بفتحتين أي: علم، وذلك أنه خرج يوماً فجلس على سريره فسمع هرجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان، وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان، فأقبل سليمان على جنوده وقال: يا أيها الملأ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿قال يا أيها الملأ﴾ الخطاب هنا لكل من هو عنده في قبضته من الجن والإنس وغيرهما اهـ شيخنا.

قوله: (في الهمزتين ما تقدم) أي: من تحقيقهما وإبدال الثانية واواً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾ وكان سليمان إذ ذاك في بيت المقدس وعرشها في سبأ بلدة باليمن، وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين اهـ شيخنا.

قوله: (فلي أخذه قبل ذلك) أي: قبل إتيانهم مسلمين لأنهم حينئذ حربيون، وقوله: (لا بعده) أي: لأن إسلامهم يعصم ما لهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال عفريت﴾ بكسر العين، وقرىء شاذاً بفتحها اهـ شيخنا.

قوله: (هو القوي الشديد) كان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه، وكان مسخراً لسليمان

الغداة إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي على حمله ﴿أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ أي على ما فيه من الجواهر، وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ المنزل وهو آصف بن برخيا كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلى شيء فقال له انظر إلى السماء فنظر إليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به فحصل بأن جرى تحت

واسمه ذكوان. وقيل: صخر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أنا آتيك به﴾ يحتمل أنه مضارع أصله أأتي بهمزتين فوزنه أفعل فالأولى زائدة والثاني هي فاء الكلمة، ويحتمل أنه اسم فاعل فوزنه فاعل، فالهمزة الأولى فاء الكلمة والألف بعدها زائدة كالتي في ضارب قائم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي: من مجلسك.

قوله: ﴿علم من الكتاب المنزل﴾ أي: على الأنبياء قبل سليمان كالتوراة الذي أنزل على موسى اهـ شيخنا.

قوله: (وهو آصف بن برخيا) بالمد والقصر اهـ شهاب.

وآصف هذا كان وزير سليمان، وقيل: كاتبه، وكان من أولياء الله تعالى تظهر الخوارق على يديه كثيراً اهـ شيخنا.

وقيل: الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل، وقيل: ملك آخر، وقيل: سليمان نفسه، وعلى هذا فالخطاب في أنا آتيك للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك اهـ بيضاوي.

قوله: (كان صديقاً) أي: مبالغاً في الصدق مع الله ومع الخلق اهـ.

قوله: (يعلم اسم الله الأعظم) قيل: كان الدعاء الذي دعا به يا ذا الجلال والإكرام، وقيل: يا حي يا قيوم. ويروى ذلك عن عائشة. وروي عن الزهري قال: دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائتني بعرشها. قال ابن عباس: إن آصف قال لسليمان حين صلّى مدّ عينيك حتى ينتهي طرفك، فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن، ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجدون به تحت الأرض حتى نبع بين يدي سليمان، وقيل خرَّ سليمان ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسي سليمان اهـ خازن.

قوله: ﴿قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ قال أبو السعود: الطرف تحريك الأجفان وفتحها للنظر إلى شيء وارتداده انضمامها ولكونه أمراً طبيعياً غير منوط بالقصد آثر الارتداد على الرد اهـ شيخنا.

وفي القاموس: إن الطرف كما يطلق على نظر العين يطلق على العين نفسها اهـ.

قوله: (قال له) أي: قال آصف له أي: لسليمان انظر الخ. وقوله: (فنظر) أي: وقوله: (بطرفه) الباء زائدة في المفعول. قوله: (بأن جرى تحت الأرض) أي: بحمل الملائكة له لأمر الله لهم بذلك اهـ شيخنا.

الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ أي ساكناً ﴿عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا﴾ أي الإتيان لي به ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ﴾ ليختبرني ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ النعمة ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأجلها لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ بالإفضال على من يكفرها ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيروه إلى حال تنكره إذا رأته ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ﴾ إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم، قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له إن

قوله: ﴿فلما رآه﴾ الخ مرتب على ما ذكره الشارح بقوله قال له: انظر إلى السماء الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مستقراً﴾ حال من الهاء في رآه، وليس المراد بالاستقرار هنا مطلق الحصول الذي هو المتعلق العام للظرف إذ لو كان كذلك لوجب حذفه، بل المراد بالاستقرار هنا حصول خاص وهو الثبوت من غير تحرك وتقلقل، فلذلك قال الشارح: أي ساكناً أي غير متحرك كأنه وضع من قبل بزمن متسع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من فضل ربي﴾ أي: إحسانه إليَّ، وقوله: ﴿أأشكر﴾ أي بأن أراه فضلاً من الله بلا حول مني ولا قوة وأقوم بحقه، أم أكفر بأن أثبت لنفسي فعلاً وتصرفاً في ذلك، أو أقصر في أداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء اهـ بيضاوي.

قوله: (وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى الخ) أي: فالقراءات أربع كلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: (لأن ثواب شكره له) أي: لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة اهـ خازن.

قوله: (بالإفضال على من يكفرها) أي: فلا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة اهـ خازن.

قوله: ﴿قال نكروا لها عرشها﴾ معطوف في المعنى على قوله: ﴿قال هذا من فضل ربي﴾، والمقصود عطف المتعلق فكان يكفي أن يقال ونكروا لها عرشها، وإنما أعيد ذكر القول لكون المتعلق مخففاً لكونه أولاً ثناء على الله تعالى، وثانياً متعلقاً بشأن عرشها اهـ شيخنا.

قوله: (إلى حال تنكره إذا رأته) قال الراغب: التنكير جعل الشيء بحيث لا يعرف ضد التعريف، ومنه نقل إلى مصطلح أهل العربية اهـ شهاب.

قوله: ﴿ننظر﴾ أي: نعلم. قوله: (لما قيل له إن فيه شيئاً) أي: نقصاً والقائل له ما ذكر الجن، وقالوا له أيضاً في شأنها كما سيأتي: ان رجليها كرجلي حمار، والحامل لهم على هذه الذم تنفيره عن تزوجها، لأنهم ظنوا وفهموا أنه سيتزوجها وكرهوا ذلك لأمرين، الأول: أن أمها جنية فخافوا أن تفشي له أسرار الجن. والثاني: أنهم خافوا أن يأتي له منها أولاد فيخلفوه في تسخير الجن فيدوم عليهم الذل والاستخدام اهـ شيخنا.

فيه شيئاً فغيروه بزيادة أو نقص أو غير ذلك ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾ لها ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي أمثل هذا عرشك ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها إذ لم يقل أهذا عرشك، ولو قيل هذا، قالت نعم، قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلماً ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله: (أو غير ذلك) كجعل أعلاه أسفله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قيل﴾ (لها) أي: من جهة سليمان إما بالذات أو بالواسطة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أهكذا عرشك﴾ أي: الذي تركته في قصرك وأغلقت عليه الأبواب وجعلت عليه حرساً اهـ شيخنا.

والهمزة للاستفهام، والهاء حرف تنبيه، والكاف حرف جر، وذا اسم إشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر مقدم، وعرشك مبتدأ مؤخر، وفصل في هذا التركيب بين ها التنبيه واسم الإشارة بحرف الجار وهو الكاف، والأصل اتصال هاء التنبيه باسم الإشارة، فكان مقتضاه أن يقال: اهكذا عرشك؟ وهذا الفصل لا يجوز بغير الكاف من حرف الجر، فلو قلت: أبهذا مررت وألهذا فعلت لم يجز فيه ذلك الفصل بأن تقول أهابذا مررت وأهالذا فعلت سمين.

قوله: (وشبهت عليهم) أي: مع علمها بحقيقة الحال تلويحاً بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الأدب في مجازاته عليه الصلاة والسلام اهـ أبو السعود.

قوله: (ولو قيل هذا) أي: أهذا عرشك. قوله: (قال سليمان لما رأى الخ) أي: لأجل الثناء على الله والتحدث بنعمة أي: وإن هديت إلى العلم بجلال الله وقدرته وصدق الرسل المعجزات وإلى الإسلام، لكنا أوتينا العلم من قبلها أي: من قبل أن تؤتى هي العلم، وكنا مسلمين من قبل أن تسلم، وقوله: هذا معطوف على فقد تقديره فقد أصابت في الجواب وعقلت وعرفت، ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: أي: قال سليمان: ما ذكر إلى قوله كافرين أي: قاله هو وقومه كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو، قالوا: أصابت في الجواب وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بما سمعت من الآيات المتقدمة، وبما عاينت من هذه المعجزة الباهرة من أمر عرشها ورزقت الإسلام فعطفوا على ذلك قولهم: وأوتينا العلم الخ أي: وأوتينا نحن العلم بالله والإسلام قبلها، وصدها عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين أظهر الكفرة اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أنه من كلام بلقيس، فالضمير في قبلها راجع للمعجزة والحالة الدال عليهما السياق، والمعنى وأوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور هذه المعجزة أو من قبل هذه الحالة، وذلك لما رأت قبل ذلك من أمر الهدهد ورد الهدية.

والثاني: أنه من كلام سليمان وأتباعه فالضمير في قبلها عائد على بلقيس اهـ.

﴿وَصَدَّهَا﴾ عن عبادة الله ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝٤٣﴾ ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضاً ﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له إن ساقيها وقدميها كقدمي الحمار﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَن

قوله: ﴿وصدها﴾ الخ من جملة كلام سليمان، أو من جملة كلامها على الاحتمالين السابقين. وذكر أبو السعود احتمالاً آخر وهو أنه من كلام الله تعالى، وقوله: ﴿ما كانت﴾ ما فعل صد أي: الذي كانت تعبده وهو الشمس كما تقدم في قوله: ﴿وجدتها وقومها﴾ الخ اهـ شيخنا.

وهذا على أن موصولة، ويحمل أنها مصدرية أي: وصدها عبادة الشمس عن التقدم إلى الإسلام اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ تعليل لعبادة غير الله أي: إنها كانت من قوم راسخين في الكفر، ولذلك لم تكن قادرة على إظهار إسلامها وهي بينهم، بل حتى دخلت تحت ملك سليمان اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله ﴿إنها﴾ العامة على كسر إن استئنافاً وتعليلاً. وقرأ سعيد بن جبير، وأبو حيوة بالفتح وفيها وجهان، أحدهما: أنها بدل من ما كانت تعبد أي: وصدها أنها كانت من قوم الخ. والثاني: أنها على اسقاط حرف العلة أي: لأنها فهي قريبة من قراءة العامة اهـ.

قوله: ﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ لم يعطف على قوله أهكذا عرشك، لأنه استئناف في جواب ماذا قيل لها بعد الامتحان، ولو عطف لم يعد ذلك اهـ شهاب.

وقوله أيضاً: أي كما قيل نكَّروا لها عرشها اهـ شيخنا.

قوله: (هو سطح من زجاج) هذا أحد إطلاقاته، ففي السمين: والصرح: القصر أو صحن الدار أو بلاط متخذ من زجاج، وأصله من التصريح وهو الكشف، وكذب صراح أي: ظاهر مكشوف ولؤم صراح اهـ.

قوله: (اصطنعه سليمان) أي: أمر الشياطين باصطناعه فحفروا حفيرة كالصهريج وجعلوا سقفها زجاجاً شفافاً وهو الصرح أي: السطح أي: سطح هذه الحفيرة ووضعوا فيها ماء وسمكاً وضفضعاً وغيرهما من حيوانات البحر، وصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج، فمن لم يكن عالماً بالحال يظن هذا ماء مكشوفاً ليس له سطح يمنع من الخوض فيه، مع أنه ليس كذلك، بل من أراد مجاوزته يمر فوق السطح الذي تحته الماء ولا يمسه الماء اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: روي أنه أمر قبل قدومها ببناء قصر صحنه من زجاج أبيض، وأجرى من تحته الماء، وألقى فيه حيوانات البحر، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلما أبصرته ظنته ماء راكداً فكشفت عن ساقيها اهـ.

قوله: (لما قيل له إن ساقيها الخ) قالت له الجن وغرضهم بذلك تنفيره عن تزوجها كما تقدم اهـ.

قوله: ﴿فلما رأته﴾ أي: أبصرته. قوله: ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ أي: على عادة من أراد خوض

﴿سَاقَيْهَاۚ﴾ لتخوضه وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فرأى ساقيها وقدميها حساناً ﴿قَالَ﴾ لها ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ أي زجاج ودعاها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٤﴾ وأراد تزوجها فكره شعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة فأزالته بها، فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان

الماء وهو لابس فإنه يشمر ثيابه خوفاً عليها أن تبتل اهـ شيخنا.

قوله: (لتخوضه) أي: لأجل أن تصل إلى سليمان اهـ خازن.

قوله: (فرأى ساقيها) أي: فلما علم الحال صرف بصره عنها اهـ خازن.

وفي القرطبي: قال وهب بن منبه: فلما رأت اللجة فزعت وظنت أنها قصد بها الغرق، وتعجبت من كون كرسيه على الماء، ورأت ما هالها لم يكن بدّ من امتثال الأمر، فكشفت عن ساقيها فإذا أحسن النساء ساقاً سليمة مما قالت الجن فيها، غير أنها كانت كثيرة الشعر، فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان بعد أن صرف بصره عنها: إنه صرح ممرد الخ اهـ.

قوله: ﴿قال﴾ (لها) ﴿إنه صرح﴾ الخ هذا مرتب على ما قدره بقوله: (فرأى ساقيها الخ). وقدره بعضهم بقوله. فلما رأى ساقيها قال لها الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنه﴾ أي: الذي ظننته ماء لا سطح فوقه يمنع منه صرح ممرد أي: مسقف بسطح، فمن أراد مجاوزته لا يحتاج إلى تشمير ثيابه، وقوله: ﴿ممرد﴾ صفة أولى لصرح، وقوله: ﴿من قوارير﴾ صفة ثانية جمع قارورة وقوله: (أي): زجاج جمع زجاجة اهـ شيخنا.

قوله: (مملس) ومنه الأمرد لملاسة وجهه أي: نعومته لعدم الشعر به اهـ شيخنا.
وفي القاموس: والتمريد في البناء التمليس والتسوية، بناء ممرد أي: مطول والمارد المطول اهـ.

قوله: ﴿من قوارير﴾ في المصباح: القارورة: إناء من زجاج، والجمع قوارير والقارورة أيضاً وعاء الرطب والتمر وهي القرصرة، وتطلق القارورة على المرأة لأن الولد أو المني يقر في رحمها كما يقر الشيء في الإناء، أو تشبهاً بآنية الزجاج لضعفها قاله الأزهري والعرب تكنى عن المرأة بالقارورة والقوصرة اهـ.

وفي القاموس: والقارورة: حدقة العين وما قرَّ فيه الشراب أو نحوه أو يخص بالزجاج، من فضة أي: من زجاج في بياض الفضة وصفاء الزجاج اهـ.

قوله: (بعبادة غيرك) وهو الشمس. قوله: ﴿مع سليمان﴾ حال من التاء في أسلمت كما أشار له بتقدير المتعلق أي: حالة كوني معه، أي: مصاحبة له في الدين وهو الإسلام، وليس ظرفاً لغواً متعلقاً بأسلمت، وإلا لأوهم اتحاد إسلاميهما في الزمان وليس كذلك، بل إسلامه قبل إسلامها كما تقدم في قوله: ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ [النمل: ٤٢] الخ اهـ شيخنا.

قوله: (فعملت له الشياطين النورة) أي: بعد أن سأل الإنس عما يزيل به ذلك الشعر، فقالوا له:

يزورها في كل شهر مرة؛ ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بإنقضاء ملك سليمان، روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَـٰلِحًا أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحدوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۝٤٥﴾ في الدين فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون

يحلق بالموسى، فقالت بلقيس: لم تمسني حديدة قط، فكره سليمان الموسى وقال: أنها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا: لاندري: فسأل الشياطين فقالوا: نحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام، فكانت النورة والحمام من يومئذ اهـ خازن.

قوله: (فتزوجها) هذا أحد قولين، والآخر أنه زوجها لذي تبع ملك همدان اهـ بيضاوي.

وذو تبع من ملوك اليمن، ويقال لهم الأذواء لأن أعلامهم تصدر بذو، والمراد صاحب هذا الاسم، وهمدان بسكون الميم ودال مهملة من بلاد اليمن وبفتح الميم من بلاد العجم اهـ شهاب.

قوله أيضاً: (فتزوجها) أي: وبقيت على نكاحه حتى مات عنها ورزق منها بولد ذكر اهـ خازن واسمه داود كما في زاده.

وفي القرطبي: إن هذا الولد مات في زمن سليمان اهـ.

قوله: (وأقرها على ملكها) أي: وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون أي: قصور لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً اهـ خازن.

قوله: (ويقيم عندها ثلاثة أيام) وكان يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام اهـ خازن.

قوله: (روي أنه ملك) أي: أعطى هذا الملك اهـ.

قوله: (ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة) وتقدم أن أباه داود عاش مائة سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود﴾ هو أبو القبيلة التي منها صالح فهو جده، والمراد به هنا نفس لقبيلة وتسمى عاداً الثانية وأما عاد الأولى فهم قوم هود وتقدم أن بينهما مائة سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿صالحاً﴾ بدل من أخاهم أو عطف بيان، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة، وبينه وبين هود مائة سنة، وعاش هود أربعمائة سنة وأربعاً وستين سنة، وبينه وبين نوح ثمانمائة سنة اهـ شيخنا.

قوله: (أي بأن) ﴿اعبدوا﴾ أشار به إلى أن مصدرية محذوفة الجار فيجيء في محلها المذهبان، ويصح كونها مفسرة لأن الإرسال يتضمن معنى القول اهـ كرخي.

قوله: ﴿فإذا هم﴾ أي: ففاجأ إرساله تفرقهم واختصامهم، فآمن فريق وكفر فريق، وتقدم حكاية اختصام الفريقين في سورة الإعراف بقوله تعالى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ [الأعراف: ٧٥] الخ اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿فإذا هم﴾ فريقان. تقدم الكلام في إذا الفجائية، والمراد بالفريقين قوم صالح وأنهم انقسموا فريقين مؤمن وكافر، وقد صرح بذلك في الأعراف في قوله تعالى: ﴿قال الملأ

﴿قَالَ﴾ للمكذبين ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم إن كان ما أتيتنا به حقاً فأتنا بالعذاب ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فلا تعذبون ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ أصله تطيرنا أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل، أي تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾ شؤمكم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أتاكم به ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ تختبرون بالخير والشر ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾

الذي استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ [الأعراف: ٧٥] وجعل الزمخشري الفريق الواحد صالحاً وحده والآخر جميع قومه، وحمله على ذلك العطف بالفاء فإنه يؤذن أنه بمجرد إرساله صاروا فريقين، ولا يصير قومه فريقين إلا بعد زمان ولو قليلاً، ويختصمون: صفة لفريقان على المعنى كقوله: ﴿هذان خصمان اختصموا﴾ [الحج: ١٩] ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ [الحجرات: ٩] اهـ.

وأشار الشارح للمفاجأة بقوله: (من حين إرساله إليهم).

قوله: ﴿لم تستعجلون بالسيئة﴾ أي: بطلبها. والمراد بها العذاب كما قال الشارح، والمراد بالحسنة الرحمة كما قال أيضاً، وقوله: لعلكم ترحمون تعليل. وفي القرطبي: قال: يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة، قال مجاهد: بالعذاب قبل الرحمة، والمعنى لم تؤخرون الإيمان الذي يجلب لكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب، وكان الكفار يقولون لفرط الإنكار ائتنا بالعذاب، وقيل: أي لم تفعلون ما تستحقون به العاجلة بالعقاب لا أنهم التمسوا تعجيل العذاب. لو لا تستغفرون الله أي هلا تتوبون إلى الله الشرك لعلكم ترحمون أي: لكي ترحموا اهـ.

وفي البيضاوي: قال ﴿يا قوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا ﴿قبل الحسنة﴾ أي: قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقاب، فإنهم كانوا يقولون إن صدق إيعاده تبنا حينئذ، وإلاّ فنحن على ما كنا عليه اهـ.

قوله: ﴿لولا تستغفرون الله﴾ (من الشرك) أي: بأن تؤمنوا. (واجتلبت همزة الوصل) أي: لأجل التوصل للنطق بالساكن الذي هو الطاء المدغمة لأن المدغم ساكن دائماً اهـ شيخنا.

قوله: (أي تشاءمنا) أي: أصابنا الشؤم أي: الضيق والشدة. وفي القرطبي: الشؤم النحس ولا شيء أضر ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيق غراب يرد قضاء أو يدفع مقدوراً فقد جهل اهـ.

قوله: (حيث قحطوا المطر) أي: حبس ومنع عنهم اهـ.

قوله: ﴿قال طائركم عند الله﴾ أي: ما يصيبكم من الخير والشر بأمر الله وهو مكتوب عليكم سمي طائراً لأن لا شيء أسرع من نزول القضاء المحتوم، وقال ابن عباس: الشؤم الذي أتاكم من عند الله بكفركم، وقيل: طائركم أي: عملكم عند الله سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء اهـ خازن.

قوله: ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ جاء بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير ولو روعي ما بعده لقيل يفتنون

مدينة ثمود ﴿تِسۡعَةُ رَهۡطٖ﴾ أي رجال ﴿يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصي منها قُرضهم الدنانير والدراهم ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ ۝٤٨﴾ بالطاعة ﴿قَالُواْ﴾ أي بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ أي احلفوا ﴿بِٱللَّهِ

بياء الغيبة وهو جائز، ولكنه مرجوح وتقول أنت رجل تفعل ويفعل بالتاء والياء، ونحن قوم نقرأ ويقرؤون اهـ سمين.

وهذا إضراب عن بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه اهـ بيضاوي.

وهـو اختبارهم هل ينتبهون إلى أن ما أصابهم من حسنة فبفضل الله، وأن ما أصابهم من سيئة فبشؤم كسبهم اهـ زاده.

قوله: (مدينة ثمود) وهي الحجر، كذا قال المفسرون هنا. وتقدم في سورة الحجر في هذا التفسير أن الحجر واد بين المدينة والشام وهو ديار ثمود اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تسعة رهط﴾ أي: أشخاص، وبهذا الاعتبار وقع تمييزاً لفظه، وهم الذين سعوا في عقر الناقة وباشره منهم قدار بن سالف، وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم اهـ أبو السعود.

والإضافة بيانية أي: تسعة هم رهط. وفي المصباح: الرهط ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة، وسكون الهاء أفصح من فتحها وهو جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: الرهط من سبعة إلى عشرة وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر، وقال أبو زيد: الرهط والنفر ما دون العشرة من الرجال، وقال ثعلب أيضاً: الرهط والنفر والقوم والمعشر والعشيرة معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم وهو للرجال دون النساء، وقال ابن السكيت: الرهط والعترة بمعنى، ويقال الرهط ما فوق العشرة إلا الأربعين قاله الأصمعي ونقله ابن فارس أيضاً، ورهط الرجل قومه وقبيلته الأقربون اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿تسعة رهط﴾ الأكثر تمييز العدد يجر بمن كقوله: ﴿أربعة من الطير﴾ [البقرة: ٢٦٠] وفي المسألة مذاهب، أحدها: أنه لا يجوز إلا في قليل. الثاني: أنه يجوز ولكن لا ينقاس. الثالث: التفصيل بين أن يكون للقلة كرهط ونفر فيجوز، أو للكثرة فقط أولها وللقلة فلا يجوز نحو تسعة قوم، ونص سيبويه على امتناع ثلاثة غنم، وقال الزمخشري: وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط لأنه في معنى كأنه قيل تسعة أنفس اهـ.

قوله: ﴿يفسدون في الأرض﴾ أي: لا في المدينة فقط إفساداً لا يخالطه شيء من الإصلاح كما ينطق به قوله: ﴿ولا يصلحون﴾ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أي قال بعضهم﴾ أي: التسعة. قوله: (أي احلفوا) أشار بهذا التفسير إلى أن تقاسموا فعل أمر.

وفي السمين: قوله: ﴿تقاسموا﴾ يجوز فيه أن يكون أمراً أي: قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا، ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً، وحينئذ يجوز أن يكون مفسراً لقالوا كأنه قيل ما قالوا؟ فقيل تقاسموا، ويجوز أن يكون حالاً على إضمار قد أي قد قالوا ذلك متقاسمين، وإليه ذهب الزمخشري

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ بالنون والتاء وضم التاء الثانية ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ أي من آمن به أي نقتلهم ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنون والتاء وضم اللام الثانية ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي ولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ بضم الميم وفتحها أي إهلاكهم أو هلاكهم فلا ندري من قتلهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٤٩﴾ ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ في ذلك ﴿مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ أهلكناهم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١﴾ بصيحة جبريل أو برمي

فإنه يحتمل إن يكون أمراً وخبراً في محل الحال بإضمار قد اهـ.

قوله: (بالنون) أي: مع فتح التاء وقوله: (والتاء) كان الأولى إعادة الباء بأن يقول وبالتاء لأن قوله وضم التاء الثانية خاص بالقراءة الثانية وصورتها هكذا لنبيتنه بضم التاء الأولى والثانية وهي من قبيل الخطاب المناسب للأمر في تقاسموا، والأولى من قبيل التكلم فعليها يكون هذا حكاية عما وقع منهم اهـ شيخنا.

قوله: (أي من آمن به) وسيأتي أنهم أربعة آلاف. قوله: (بالنون) أي: مع فتح اللام، وقوله: (والتاء) فيه ما سبق من الاعتراض، وقراءة النون هنا مع قراءة النون في الذي قبله، وقراءة التاء مع التاء فهما قراءتان فقط اهـ شيخنا.

قوله: (أي ولي دمه) وهم رهطه الذين لهم ولاية الدم أي: دم صالح، ما شهدنا مهلك أهله أي: ولا مهلكه هو أي: ما حضرنا قتله ولا ندري من قتله وقتل أهله، فقول الشارح: أي إهلاكهم أي إهلاك صالح وأهله، وقوله: (فلا ندري) من قتله أي قتل من ذكر من صالح وأهله، وقوله: ﴿وإنا لصادقون﴾ أي: في إنكارنا لقتلهم اهـ.

قوله: (بضم الميم) أي: مع فتح اللام، وقوله: (وفتحها) أي مع فتح اللام ومع كسرها فالقراءات ثلاث وقوله: (أي إهلاكهم) راجع للضم لأن من الرباعي، وقوله: (أو هلاكهم) راجع للفتح لأنه من الثلاثي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإنا لصادقون﴾ إما من جملة مقولهم أو حال أي: نقول ما نقول والحال إنا لصادقون في ذلك، وفي البيضاوي: وإنا لصادقون أي: ونحلف إنا لصادقون، أو والحال إنا لصادقون فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً اهـ.

قوله: ﴿ومكروا مكراً﴾ مكرهم هو ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح، ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون على سبيل الاستعارة المنضمة إلى المشاكلة كما في الكشاف وشروحه اهـ شهاب.

أي: تشبيهاً له بالمكر من حيث كونه إضراراً في خفية، لأن المكر قصد الإضرار على طريق الغدر والحيلة اهـ زاده.

قوله: ﴿فانظر كيف كان﴾ الخ شروع في بيان ما ترتب على مكرهم، وكيف: معلقة لفعل النظر، ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أي: تفكر في إنه كيف كان عاقبة مكرهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أنا دمرناهم﴾ بكسر إن كما هو المتبادر من سياق الشارح ويكون استئنافاً بيِّن به عاقبة

الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ أي خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ بظلمهم، أي كفرهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ قدرتنا فيتعظون ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالح وهم أربعة آلاف ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ الشرك ﴿وَلُوطًا﴾ منصوباً باذكر مقدراً قبله ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي اللواط ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ أي يبصر بعضكم بعضاً انهماكاً في المعصية ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً

مكرهم وبفتحها على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: وهي أي العاقبة تدميرنا إياهم والقراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أجمعين﴾ تأكيد لكم من المعطوف والمعطوف عليه. قوله: (بصيحة جبريل) أي: على قومهم، وقوله: (أو برمي الملائكة) أي: عليهم أي التسعة فالكلام على التوزيع. وعبارة الخازن: قال ابن عباس: أرسل الله الملائكة تلك الليل إلى دار صالح يحرسونه، فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة، انتهت.

فكلمة: (أو) في كلام الشارح للتنويع أي: أن عذابهم نوعان موزعان عليهم: نوع هو الصيحة على غير التسعة ونوع هو الرمي بالحجارة على التسعة اهـ.

قوله: ﴿فتلك﴾ مبتدأ، وبيوتهم: خبره، والجملة مقررة لما قبلها اهـ.

قوله: ﴿خاوية﴾ (أي خالية) من خوى البطن إذ خلا، أو ساقطة متهدمة من خوى النجم إذا سقط اهـ بيضاوي.

وخوى بالمعنيين من باب رمى. قوله: ﴿بما ظلموا﴾ الباء سببية، وما مصدرية كما أشار له الشارح. قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي: ما ذكر من التدمير العجيب بسبب ظلمهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿آمنوا﴾ (بصالح الخ) عبارة غيره صالحاً ومن معه من المؤمنين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكان يتقون﴾ أي: داموا على اتقاء الشرك والمعاصي، فكأنه قال: وداوموا على إيمانهم وعلى التقوى فلم يرتدوا ولم يفعلوا المعاصي، وخرج صالح بمن آمن معه إلى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت، قال الضحاك: ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حاضوراء على ما تقدم بيانه في قصة أصحاب الرس اهـ قرطبي.

قوله: (ويبدل منه) أي: بدل اشتمال، والمراد الأمر بذكر ما وقع في وقت القول وهو المفعول المذكور لا الأمر بذكر نفس الوقت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأنتم تبصرون﴾ جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ، وقوله: (يبصر بعضكم بعضاً) إشارة إلى أنه من بصر العين، وقيل: إنه من بصر القلب أي: أتفعلونها والحال أنكم تعلمون علماً يقيناً أنها قبيحة.

قوله: ﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾ الخ هذا تعيين للفاحشة التي أبهمها أولاً، وفيه إشارة إلى أن

مِن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ عاقبة فعلكم ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ﴾ أهله ﴿مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ من أدبار الرجال ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ الباقين في العذاب ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ﴾ هو حجارة السجيل أهلكتهم ﴿فَسَآءَ﴾ بئس ﴿مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ بالعذاب مطرهم ﴿قُلِ﴾ يا محمد

فعلتهم هذه مما يعيي الواصف ولا يبلغ كنه قبحها ولا يصدق ذو عقل أن أحداً يفعلها، ثم علل ذلك بقوله شهوة تنزيلاً لهم إلى رتبة البهائم التي ليس فيها قصد ولد ولا عفاف، وقال: من دون النساء إشارة إلى أنهم أساؤوا من الطرفين في الفعل والترك، وقوله: ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ تقدم تفسيره في جواب تبصرون، فإن قيل: تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب، فهلاّ طابق الوصف الموصوف؟ أجيب: بأنه قد اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لأنها أقوى وأرسخ أصلاً من الغيبة اهـ خطيب.

قوله: (وإدخال ألف بينهما الخ) أي: وتركه فالقراءات أربع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿شهوة﴾ مفعول من أجله أو حال من الفاعل أو المفعول اهـ سمين.

وقوله: ﴿من دون النساء﴾ حال من الفاعل. قوله: (عاقبة فعلكم) وهي العذاب الذي حلَّ بهم، وقيل: المعنى تفعلون فعل الجاهلين بقبحه وقيل الجهل بمعنى السفاهة والمجون أي: أنتم سفهاء ماجنون، والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب اهـ أبو السعود.

قوله: (فما كان جواب قومه) خبر مقدم، وإلاَّ أن قالوا في موضع الاسم. وقرأ الحسن، وابن أبي إسحاق برفعه اسماً وإلاَّ أن قالوا خبراً وهو ضعيف لما عرفت غير مرة اهـ سمين.

قوله: ﴿آل لوط﴾ أي: لوطاً وأهله، والمراد بهم بنتاه وزوجته المؤمنة كما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من قريتكم﴾ فيه امتنان عليه بإسكانه عندهم، وذلك أنه لما قدم مع عمه إبراهيم من أرض بابل إلى الشام نزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط بسذوم، فأهلها قومه من حيث إرساله إليهم وإقامته عندهم مع كونه أجنبياً منهم أشار له الخطيب، والإضافة في قريتكم للجنس إذ تقدم أن قراهم كانت خمسة وأعظمها مدينة سذوم بالذال المعجمة أو المهملة اهـ.

قوله: ﴿يتطهرون﴾ أي: يتنزهون ويتباعدون، وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأنجيناه وأهله﴾ فخرج لوط بأهله من أرضيهم، وطوى الله له الأرض حتى نجا ووصل إلى إبراهيم اهـ قرطبي من سورة هود.

قوله: ﴿وأهله﴾ أي: امرأته المؤمنة وبنتيه أي: أنجيناهم من العذاب الذي حلَّ بقوم لوط، وهو أن جبريل اقتلع مدائنهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها. قيل: كان فيها أربعة آلاف ألف، ثم إنه كان منهم أفراد في ذلك الوقت خارج المدائن لسفر أو غيره فأهلكهم الله بأن أمطر عليهم حجارة من سجيل كما تقدم، فقوله: ﴿وأمطرنا عليهم﴾ أي: على كل من كان منهم خارج المدائن، والسجيل: هو الطين المحرق اهـ شيخنا.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ هم ﴿ءَآللَّهُ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿خَيْرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ بالتاء والياء أي أهل مكة به أي الآلهة خير لعابديها ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

قوله: ﴿قل الحمد لله الخ﴾ لما فرغ من قصص هذه السورة أمر رسوله ﷺ بحمده تعالى وبالسلام على المصطفين، وكأن هذا صدر خطبة لما يلقي من البراهين الدالة على الوحدانية والعلم والقدرة الآتي ذكرها قوله: ﴿أمن خلق السموات والأرض الخ﴾ اهـ من النهر.

قوله: ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ قال مقاتل: هم الأنبياء والمرسلون بدليل قوله تعالى: ﴿وسلام على المرسلين﴾ [الصافات: ١٨١] قال ابن عباس: هم أصحاب محمد، وقال الكلبي: أمة محمد، وقيل: هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين اهـ كرخي.

وهذا الأخير هو اللائق بالمقابلة في قول الشارح على هلاك كفار الأمم الخالية. قوله: (بتحقيق الهمزتين الخ) هذا من الشارح سبق قلم، لأن هذه الوجوه لم يقرأ بها أحد من القراء، بل غاية ما أجازوه وجهان فقط: تسهيل الثانية مقصورة وإبدالها ألفاً ممدودة مداً لازماً، وهذان الوجهان يجريان في خمس مواضع في القرآن غير هذا الموضع، أحدها: قوله في يونس: ﴿آلله أذن لكم﴾ [يونس: ٥٩]. ثانيها وثالثها: في يونس أيضاً: ﴿آلآن﴾ في موضعين. رابعها وخامسها: في الأنعام في قوله: ﴿آلذكرين﴾ [الأنعام: ١٤٣ و ١٤٤] في موضعين وهذان الوجهان هما اللذان أشار لهما ابن مالك بقوله:

همـــــز أل كـــــذا ويبـــــدل مـــــداً فـــــي الاستفهـــــام أو يسهـــــل

اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم ما يشركون﴾ أم هذه متصلة عاطفة لاستكمال شروطها، والتقدير: أيهما خير وخير إما اسم تفضيل على زعم الكفار وإلزام الخصم أو صفة لا تفضيل فيها، وما بمعنى الذي وقيل: مصدرية وذلك على حذف مضاف من الأول أي: أتوحيد الله خير أم شرككم اهـ سمين.

وكلام المصنف ظاهر في كون ما اسم موصول واقعة على الآلهة التي هي أصنامهم، فالآلهة: في كلامه تقرأ بالرفع تفسيراً لما، وكان الظاهر تقديم الآلهة على به، والهاء في به راجعة على الله. قال الخازن: والمعنى آلله خير لمن عبده أم الأصنام لمن عبدها اهـ.

ففيه تبكيت للمشركين وتهكم بهم لأنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى، والإيثار لا يكون إلا لزيادة خير ومنفعة، ففي هذا الكلام تنبيه على نهاية ضلالتهم وجهلهم. وعن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم» اهـ رازي.

وأما أم في قوله: ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾ الخ فهي منقطعة لعدم شرط كونها متصلة وهو تقدم الهمزة عليها، فهي بمعنى بل الإضرابية وهمزة الاستفهام التوبيخي، وأما في الرسم فهي متصلة في هذا الموضع وفيما بعده من المواضع الأربعة الآتية ورسمها منفصلة تحريف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أي أهل مكة) راجع لكل من الياء والتاء لكنه على الياء مرفوعاً تفسيراً للواو وتكون أي

﴿وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿بِهِ حَدَائِقَ﴾ جمع حديقة، وهو البستان المحوط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حسن ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ لعدم

تفسيرية، وعلى التاء منصوباً تفسيراً للخطاب، وتكون منادى، وتكون أي ندائية، وقوله: (الآلهة) بالرفع تفسير لما الواقعة مبتدأ، وقوله: (خير لعابديها) خبر عنها فهو محذوف، والتقدير: أم الآلهة التي يشركونها به خير لعابديها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾ منقطعة لفظاً وما ضمنها من كلمة بل للإضراب والانتقال من التبكيت تعريضاً إلى التصريح به خطاباً لمزيد التأكيد والتشديد، ومن كلمة الهمزة للاستفهام التقريري أي حملهم على الإقرار بالحق، ومن: مبتدأ خبره محذوف مع أم المعادلة للهمزة تعويلاً على ما سبق في الاستفهام الأول، وكذا يقال في المواضع الأربعة الآتية، والمعنى: بل أمن خلق العالم الجسماني اهـ أبو السعود.

وعبارة السمين: قوله: ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾. أم هذه منقطعة لعدم تقدم همزة استفهام ولا تسوية، ومن خلق: مبتدأ وخبره محذوف فقدره الزمخشري خير أم لا يشركون فقدر ما أثبته في الاستفهام الأول وهو حسن، وقدره ابن عطية يكفر بنعمته ويشرك به ونحو هذا من المعنى، وقال أبو الفضل الرازي: لا بدَّ من إضمار جملة معادلة وصار ذلك المضمر كالمنطوق لدلالة الفحوى عليه، وتقدير تلك الجملة أمن خلق السموات والأرض كمن لم يخلق وكذلك أخواتها. وقد أظهر في غير هذه المواضع ما أضمر فيها كقوله: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ [النحل: ١٧]. قال الشيخ: وتسمية هذا المقدر جملة إن أرادوا أنها جملة من جهة الألفاظ فصحيح، وإن أرادوا الجملة المصطلح علينا عند النحاة فليس بصحيح بل هو مضمر من قبيل المفرد. وقرأ الأعمش: أمن بتخفيف الميم جعلها من الموصولة داخلة عليها همزة الاستفهام وفيها وجهان، أحدهما: أن تكون مبتدأه والخبر محذوف تقديره من الأوجه ولم يذكر الشيخ غير هذا. والثاني: أنها بدل من الله كأنه قيل: أمن خلق السموات والأرض خير أم يشركون ولم يذكر الزمخشري غيره، ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بالخبر والمعطوف على المبدل منه وهو نظير قولك: أزيد خير أم عمرو أخوك على أن يكون أخوك بدل من أزيد، وفي جواز مثل هذا نظر اهـ.

قوله: (فيه التفات عن الغيبة إلى التكلم) أي: لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيذان بأن إثبات الحدائق المختلفة الألوان والطعوم مع سقيها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده، ولذلك رشحه بقوله: ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ اهـ سمين.

قوله: (جمع حديقة) من أحدق بالشيء أحاط به، فلذلك قال: وهي البستان المحوط. أي: بالحيطان فإن لم يكن محوطاً فلا يقال له حديقة اهـ شيخنا.

وفي المصباح: والحديقة البستان يكون عليه حائط فعيلة بمعنى مفعولة، لأن الحائط أحدق بها أي أحاط ثم توسعوا حتى أطلقوا الحديقة على البستان، وإن كان بغير حائط والجمع الحدائق اهـ.

قوله: ﴿ذات بهجة﴾ نعت لحدائق وسوغ إفراده أن المنعوت جمع كثرة لما لا يعقل، وجملة ما

قدرتكم عليه ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أعانه على ذلك، أي ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾ يشركون بالله غيره ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ فيما بينها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما

كان لكم الخ نعت ثان، ولكم خبر كان مقدم، وأن تنبتوا اسمها مؤخر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أن تنبتوا اسم كان، ولكم خبر مقدم، والجملة المنفية يجوز أن تكون صفة لحدائق وأن تكون حالاً لتخصصها بالصفة اهـ سمين.

يعني: ما ينبغي لكم لأنكم لا تقدرون على ذلك، لأن الإنسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بأن أغرسها وأسقيها الماء فأزال الله تعالى هذه الشبهة بقوله: ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾، لأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والطعوم والروائح تسقى بماء واحد لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولا يتأتى لأحد وإن تأتي ذلك لغيره محال اهـ خازن.

قوله: ﴿أن تنبتوا شجرها﴾ أي: فضلاً عن ثمارها وسائر صفاتها البديعة اهـ أبو السعود.

قوله: (وادخال ألف بينهما على الوجهين) أي: وترك الإدخال على الوجهين فالقراءات أربع كلها سبعية وقوله: (في مواضعه السبعة) أي: هذه القراءات الأربعة تجري في كل من المواضع السبعة، وفي نسخة الخمسة وهي الصواب، لأن لفظ أإله وقع هنا خمس مرات، وأجاب الكرخي عن نسخة السبعة بأنه عدّ منها ﴿أئذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون﴾ [النمل: ٦٧] هذان موضعان فيهما هذه القراءات الأربع تضم للخمسة تصير المواضع سبعة، لكن يبعده قوله هنا في مواضعه أي: مواضع هذا اللفظ، ومواضعه خمسة لا غير كما علمت اهـ شيخنا.

قوله: (أي ليس معه إله) أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري، وكذا يقال في المواضع الأربعة الآتية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ إضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب إلى بيان سوء حالهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾ قيل: هو بدل من أمن خلق السموات والأرض الخ. وكذا ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد، والأظهر أن كل واحدة منها إضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها إلى التبكيت بوجه آخر أدخل في الإلزام بجهة من الجهات أي: جعلها بحيث يستقر عليها الإنسان والدواب بإخلاء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما تدور عليه منافعهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿خلالها﴾ يجوز أن يكون ظرفاً لجعل بمعنى خلق المتعدية لواحد، وأن يكون في محل المفعول الثاني على أنها بمعنى صير اهـ سمين. وقد جرى الشارح على الأول.

قوله: (فيما بينها) أي: بين أجزائها. قوله: ﴿حاجزاً﴾ أي: معنوياً وهو المنع الإلهي، إذ ليس هناك حاجز حسي كما هو مشاهد اهـ شيخنا.

بالآخر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ توحيده ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ الإضافة بمعنى في، أي يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ تتعظون بالفوقانية والتحتانية وفيه إدغام التاء في الذال وما زائدة لتقليل القليل ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وبالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ﴾ أي قدام المطر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣﴾ به غيره ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد الموت وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ بالنبات ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي لا يفعل شيئاً مما ذكر إلا الله ولا إله معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ حجتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦٤﴾

قوله: ﴿المضطر﴾ اسم مفعول ولذلك فسره بالمكروب، وهذه الطاء أصلها تاء الافتعال قلبت طاء لوقوعها اثر حرف الاطباق وهو الضاد اهـ شيخنا.

والمراد بالمضطر الجنس لا جميع أفراده فلا يلزم منه إجابة كل مضطر اهـ كرخي.

قوله: ﴿ويكشف السوء﴾ عطف عام على خاص كما أشار له بقوله: (عنه وعن غيره) اهـ شيخنا.

قوله: (وفيه إدغام التاء في الذال) أي: على كل من القراءتين فالذال مفتوحة غليهما وكذا الكاف اهـ شيخنا.

قوله: (لتقليل القليل) وتقليل القليل كناية عن العدم بالكلية، فالمراد نفي تذكرهم رأساً اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي اهـ.

قوله: (وبعلامات الأرض نهاراً) كالجبال.

قوله: ﴿أمن يبدأ الخلق﴾ بمعنى المخلوق. قوله: (وإن لم يعترفوا بالإعادة) إشارة لسؤال حاصله: كيف يلزمون ويقام عليهم البرهان بإعادة الخلق في الآخرة مع إنكارهم لها، وأشار إلى جوابه بقوله لقيام البراهين. عليها أي: فلما كان عندهم من البراهين ما لو تأملوه لاعتقدوها وأقروا بها نزلوا منزلة العالم بالفعل اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: وهذا جواب عما يقال: كيف قيل لهم أمن يبدأ الخلق ثم يعيده وهم منكرون للإعادة؟ وإيضاح الجواب: أنهم كانوا معترفين بالابتداء، ودلالة الابتداء على الإعادة ظاهرة قوية، فلما كان الكلام مقروناً بالدلالة الظاهرة صاروا كأنهم لم يبق لهم عذر في الإنكار اهـ.

قوله: ﴿أإله مع الله قل هاتوا برهانكم﴾ ذكر هنا أإله في خمسة مواضع متوالية وختم الأول بقوله:

﴿بل هم قوم يعدلون﴾، والثاني بقوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾، والثالث بقوله: ﴿قليلا ما يذكرون﴾، والرابع بقوله: ﴿تعالى الله عما يشركون﴾، والخامس بقوله: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ هـ كرخي.

أن معي إلهاً فعل شيئاً مما ذكر. وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ أي ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي كفار مكة كغيرهم ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ ۝٦٥﴾ ﴿بَلِ﴾ بمعنى هل ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ بوزن أكرم، وفي قراءة أخرى إدارك بتشديد الدال وأصله تدارك أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال واجتلبت همزة الوصل، أي بلغ ولحق أو تتابع وتلاحق ﴿عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أي بها حتى سألوا

قوله: ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أمره ﷺ بتبكيتهم اثر التبكيت السابق أي: هاتوا برهاناً عقلياً أو نقلياً يدل على أنه معه تعالى إلهاً اهـ أبو السعود.

قوله: (أن معي إلهاً فعل شيئاً الخ) كذا في بعض النسخ، وصوابه أن معه لأن الذي تقدم أإله مع الله، وأيضاً فالنبيُ ﷺ المأمور بهذا القول لا يقول لهم إن كنتم صادقين أن معي إلهاً وفي بعض النسخ أن مع الله إلهاً وهي ظاهرة اهـ شيخنا.

قوله: (وسألوه عن وقت قيام الساعة) السائل هو المشركون كما في الخازن.

قوله: ﴿من في السموات والأرض﴾ من: فاعل يعلم والظرف صلتها أي: لا يعلم الذي ثبت وسكن واستقر في السموات والأرض وهم الملائكة والإنس كما قال الشارح، والغيب: مفعول به، والله مبتدأ خبره محذوف كما قدره الشارح. وفسر إلاَّ بلكن إشارة إلى انقطاع الاستثناء، ويصح أن تكون من في محل نصب على المفعولية، والغيب بدل منها، والله فاعل بيعلم، والمعنى قل لا يعلم الأشياء التي تحدث في السموات والأرض الغائبة عنا إلا الله تعالى أشار له السمين. قوله: (من الملائكة الخ) بيان لمن. قوله: (أي ما غاب عنهم) أي: ومن جملته وقت قيام الساعة. قوله: ﴿إلا﴾ (لكن) حمله على الانقطاع لأن الاتصال يقتضي أن الله من جملة مـن في السموات والأرض فيكون له مكان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أيان﴾ هي هنا بمعنى متى وهي منصوبة بيبعثون ومعلقة ليشعرون فهي مع ما بعدها في محل نصب بإسقاط الباء أي: ما يشعرون بكذا وكذا اهـ سمين.

وقول الشارح: وقت يبعثون تفسير لأيان لكنه أخل بتفسير الاستفهام الذي في ضمنها، ولو قال متى يبعثون أو أي وقت يبعثون لكان أوضح اهـ.

قوله: (بمعنى هل) أي: التي للاستفهام الإنكاري كما بينه بقوله ليس الأمر كذلك ولم يسلك هذا التقرير غيره، بل أبقوا بل على أصلها من الإضراب الانتقالي وقرروه بما فيه صعوبة، وما سلكه الشيخ أسهل مما سلكوه، وخلاصة تقرير الإضراب الانتقالي الذي سلكه غيره كالبيضاوي أن محصل ما سبق بيان عجزهم عن علم ما لا دليل عليه أصلاً وهو مطلق الغيب وخصوص وقت قيام الساعة، وخلاصة قوله: ﴿بل أدرك﴾ إلى آخره بيان عجزهم عن علم ما تعضدت الأدلة على وقوعه لا محالة أشار له زاده.

قوله: (أي بلغ ولحق) راجع للقراءة الأولى، وقوله: (أو تتابع الخ) راجع للثانية اهـ.

قوله: ﴿في الآخرة﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن في علي بابها وأدرك وإن كان ماضياً لفظاً فهو

عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله، والأصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أيضاً في إنكار البعث ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ من القبور ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ جمع أسطورة بالضم أي ما سطر من الكذب ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ بإنكارهم وهي هلاكهم

مستقبل معنى لأنه كائن قطعاً كقوله: ﴿أتى أمر الله﴾ [النحل: ١] وعلى هذا ففي متعلق بأدرك. والثاني: أن في بمعنى الباء أي: بالآخرة، وعلى هذا فيتعلق بنفس علمهم كقولك: علمي يزيد كذا اهـ سمين.

قوله: (ليس الأمر كذلك) أشار به إلى أن الاستفهام المفاد ببل هنا إنكاري أي: لم يحصل لهم علم بالآخرة اهـ شيخنا. أي: لم يصدقوا بها ولم يعتقدوها.

قوله: (من عمى القلب) أي: فهم لا يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم اهـ بيضاوي.

قوله: (أيضاً) أي: كما سألوا عن وقت قيام الساعة، وقوله: (في إنكار) أي: في شأن إنكار البعث.

قوله: ﴿أئذا كنا تراباً﴾ الهمزة داخلة على مقدر عامل في إذا، وآباؤنا معطوف على اسم كان وهو الضمير المستتر البارز وسوغ العطف عليه الفصل بالخبر، وقوله: ﴿أئنا لمخرجون﴾ بمعنى ما قبله وإنما أعيد تأكيداً، ولا يصح أن يكون مخرجون عاملاً في إذا لوجود موانع ثلاثة كل منها لا يعمل ما بعده فيما قبله همزة الاستفهام وإن ولام الابتداء اهـ شيخنا. .

قوله: ﴿لقد وعدنا هذا﴾ الخ أكدوا بهذا ما قبله من الإنكار، ووعد: فعل ماض مبني للمفعول، ونا: مفعول أول أقيم مقام الفاعل، وهذا مفعوله الثاني، ونحن توكيد للمفعول الأول، وآباؤنا معطوف عليه أي: على المفعول الأول الذي هو الضمير المتصل، وسوغ العطف عليه الفصل بالمفعول الثاني وبالضمير المنفصل الواقع توكيداً له اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من قبل﴾ متعلق بوعدنا أي: من قبل مجيء محمد من الرسل الماضية أي: فلو كان هذا الوعد حقاً لحصل الموعود به اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: لقد وعدنا هذا أي: الإخراج من القبور كما كنا أول مرة نحن وآباؤنا من قبل أي: قبل محمد فقد مرت الدهور على هذا الوعد ولم يقع منه شيء، فذلك دليل على أنه لا حقيقة له، فكأنه قيل: فما فائدة المراد به؟ فقالوا: إن هذا إلا أساطير الأولين أي: أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها ولا حقيقة لها، فإن قيل: لم قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا، وفي آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا؟ أجيب بأن التقديم دليل على أن المقدم هو المعني بالذكر، وأن الكلام إنما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دليل على أن إيعاد البعث هو الذي قصد بالكلام، وفي الأخرى دليل على أن إيعاد المبعوث بذلك الصدد اهـ.

قوله: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا﴾ الخ تهديد لهم على التكذيب، وتخويف بأن ينزل بهم

بالعذاب ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝٧٠﴾ تسلية للنبي ﷺ أي لا تهتم بمكرهم عليك فأنا ناصرك عليهم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٧١﴾ فيه ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ﴾ قرب ﴿لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۝٧٢﴾ فحصل لهم القتل ببدر وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا

مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ أي: لأن في مشاهدتها ما فيه كفاية لأولي الأبصار اهـ أبو السعود.

قوله: (بإنكاره) في نسخة بانكارهم وهو متعلق بالمجرمين، أي: أجرموا وعصوا بإنكار البعث، وقوله: (بالعذاب) أي الدنيوي إذ هو الذي يشاهدون آثاره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ نزلت في شأن المستهزئين والحزن سببه إما فوات أمر في الماضي، أو توقع مكروه في المستقبل، أي: ولا تحزن على عدم إيمانهم فيما مضى ولا تغتم وتهتم بمكرهم في المستقبل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تكن﴾ بثبوت النون هنا على الأصل، وقد حذفت من هذا المضارع في القرآن في عشرين موضعاً: تسعة منها مبدوءة بالتاء، وثمانية بالياء، واثنان بالنون، وواحد بالهمزة وهو قوله: ﴿ولم أك بغياً﴾ [مريم: ٢٠] اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ولا تكن في ضيق أي في حرج وضيق صدر، وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان، وقرىء ضيق أي: أمر ضيق اهـ.

قوله: (أي لا تهتم بمكرهم الخ) المتبادر أن هذا تفسير للجملة الثانية، وهي قوله: ﴿ولا تكن في ضيق﴾، ويحتمل في الجملة أن يكون تفسيراً لها وللتي قبلها. قوله: ﴿وإن كنتم صادقين﴾ خطاب للنبي ومن معه من المؤمنين.

قوله: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ الخ عسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بمدخولها، وإنما يطلقونها إظهاراً للوقار وإشعاراً بأن الرمز من أمثالهم كالتصريح ممن عداهم، وعلى ذلك يجري الله في وعيده اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ردف لكم﴾ فيه أوجه، أظهرها: أن ردف ضمن معنى فعل يتعدى باللام، أي: دنا وقرب، وبهذا فسره ابن عباس وبعض الذي فاعل به. والثاني: أن مفعوله محذوف واللام للعلة أي: ردف الخلق لأجلكم ولشؤمكم. الثالث: أن اللام مزيدة في المفعول تأكيداً اهـ سمين.

وفي القاموس: ردفه كسمع ونصر أي: تبعه اهـ.

قوله: ﴿تستعجلون﴾ أي: تستعجلون حلوله. قوله: (ومنه) أي: الفضل تأخير العذاب. قوله: (بإنكارهم وقوعه) أي: بل يستعجلونه لجهلهم بوقوعه اهـ بيضاوي.

يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ بألسنتهم ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الهاء للمبالغة أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ بيِّن هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الموجودين في زمان نبيّنا ﴿ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي ببيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا ﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى ﴾ من الضلالة ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ من العذاب ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم ﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿ بِحُكْمِهِۦ ﴾ أي

قوله: ﴿ليعلم ما تكن صدورهم﴾ أي: فليس التأخير لخفاء حالهم عليه اهـ زاده.

والعامة على ضم تاء المضارعة مأخوذ من أكن قال تعالى: ﴿أو أكننتم في أنفسكم﴾ [البقرة: ٢٣٥] وابن محيصن، وابن السميقع، وحميد بفتحها وضم الكاف يقال: كننته وأكننته بمعنى أخفيته وسترته اهـ سمين.

قوله: ﴿الهاء للمبالغة﴾ سماها هاء باعتبار حالة الوقف، وعبارة غيره التاء وهي أوضح، وقوله أي: شيء تفسير لغائبه أي: وما من شيء غائب، وقوله: (في غاية الخفاء) أي: شدته أخذه من التاء اهـ شيخنا.

وفي السمين: في هذه التاء قولان، أحدهما: أنها للمبالغة كراوية وعلامة. والثاني: أنها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية قال الزمخشري: ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في أنها أسماء غير صفات اهـ.

قوله: (ومكنون علمه تعالى) الواو بمعنى أو، فإنه قول ثان للمفسرين، وعليه فتسمية العلم كتاباً على سبيل الاستعارة التصريحية حيث شبه الكتاب كالسجل الذي يضبط الحوادث ويحصيها ولا يشذ عنه شيء منها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يقص على بني إسرائيل﴾ أي: بالتصريح والتنصيص، ولذلك خص الأكثر بالذكر، فلا يخالف قوله: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩] اهـ كرخي.

فهو يبين الكل لكن أكثره بالتصريح وأقله بالرمز والإشارة اهـ.

قوله: ﴿أكثر الذين هم فيه يختلفون﴾ من جملته اختلافهم في شأن المسيح وتحزبهم فيه أحزاباً، فركبوا متن العتو والغلو في الإفراط والتفريط والتشبيه والتنزيه، ووقع بينهم التباغض في أشياء حتى بلغوا إلى حيث لعن بعضهم بعضاً اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: أكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح اهـ.

قوله: (أي ببيان) هذا الجار والمجرور متعلق بيقص، وقوله: (ما ذكر) أي: أكثر ما اختلفوا فيه، وقوله: (على وجهه) متعلق ببيان، وقوله: (الرافع) صفة للبيان، وقوله: (لو أخذوا به) متعلق بالرفع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ أي: بين إسرائيل بدليل السياق، ولذلك قال الشارح كغيرهم.

عدله ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلۡعَلِيمُ ۝٧٨﴾ بما يحكم به فلا يمكن أحداً مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ ثق به ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ۝٧٩﴾ أي الدين البيِّن، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتى وبالصم وبالعمي فقال ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝٨٠﴾ ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن﴾ ما ﴿تُسۡمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم

قوله: (أي عدله) جواب عما يقال القضاء والحكم شيء واحد، فقوله: ﴿يقضي بينهم﴾ بحكمه بمنزلة أن يقال يقضي بقضائه أو يحكم بحكمه فما معناه وما فائدته؟ وتقرير الجواب: أن الحكم بمعنى العدل الحق والمحكوم به اهـ زاده.

قوله: (فلا يمكن أحداً مخالفته) تفريع على العزيز كما صنع غيره فكان الأولى تقديمه بجنبه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فتوكل على الله﴾ تفريع على كونه تعالى عزيزاً عليماً، لأن هذه الأوصاف توجب على كل أحد أن يفوض جميع أموره إليه، وقوله: ﴿إنك على الحق المبين﴾ تعليل صريح للتوكل عليه، فإن كونه عليه الصلاة والسلام على الحق المبين يوجب وثوقه بحفظ الله له ونصرته وتأييده وقوله: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ الخ تعليل للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل إلى الله، وقد علل أولاً بما يوجبه من جهته تعالى أعني كونه على الحق، ثم علل ثانياً بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة إيجابه للإعراض عما سواه، فإن كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم له، وداع إلى تخصيص الاعتضاد به تعالى اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: إنك لا تسمع الموتى تعليل آخر للأمر بالتوكل، بل من حيث إنه يقطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم رأساً اهـ.

قوله: (ثم ضرب أمثالاً) أي: تشبيهات لهم أي لبني إسرائيل. قوله: (بينها وبين الياء) أي: ينطق بها متوسطة بين الهمزة والياء، وذلك لأنها مكسورة بخلاف المفتوحة فإنها إذا سهلت ينطق بها بين الألف اللينة والهمزة المحققة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ أي: معرضين. فإن قلت: ما معنى قوله مدبرين، والأصم لا يسمع سواء أقبل أو أدبر؟ قلت: هو تأكيد ومبالغة للأصم وقيل: إن الأصم إذا كان حاضراً قد يسمع برفع الصوت أو يفهم بالإشارة فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم. ومعنى الآية أنهم لفرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه، وكالأصم الذي لا يسمع ولا يفهم اهـ خازن.

قوله: ﴿بهادي العمي﴾ ضمنه معنى الصرف فعداه بعن، وفي السمين: قوله: ﴿عن ضلالتهم﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق بهادي، وعدى بعن لتضمنه معنى تصرفهم. والثاني: أنه متعلق بالعمي لأنك تقول عمي عن كذا ذكره أبو البقاء، والمعنى: ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان اهـ.

مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ مخلصون بتوحيد الله ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة

قوله: ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ أي: من هو في علم الله كذلك اهـ بيضاوي.

قوله: (مخلصون) فسر الإسلام بالإخلاص ليفيد ذكره بعد وصفهم بالإيمان اهـ زاده.

قوله: ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ بيان لما أشير إليه سابقاً بقوله: ﴿ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾ [النمل: ٧٢] أي: بيان لبقيته من الساعة ومبادئها، إذ بعضه قد عجل لهم يوم بدر، فكأنه قيل: ما تستعجلونه قد حاق وقرب بعلاماته الدالة عليه، والمراد بالقول ما نطق به القرآن من الآيات الدالة على الساعة وما فيها مما كانوا يستعجلونه، والمراد بوقوعه حصوله أي: حصول مدلوله أي: قرب حصوله كما في قوله: ﴿أتى أمر الله﴾ [النحل: ١] أي: دنا وقرب وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه اهـ أبو السعود.

قوله: (حق العذاب) هو تفسير لوقع، والعذاب تفسير للقول، والمراد بحقيقته تحققه وثبوته لا محالة لقرب زمنه اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وإذا وقع القول عليهم يعني إذا وجب عليهم العذاب، وقيل: إذا غضب الله عليهم، وقيل: إذا وجبت الحجة عليهم، وذلك إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، وقيل: إذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة اهـ.

وفي القرطبي: واختلف في معنى وقع القول فقيل: معنى وقع القول عليهم وجب الغضب عليهم قاله قتادة. وقال مجاهد: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون. وقال ابن عمر، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما: إذا لم يأمروا ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم: وقال عبد الله بن مسعود: وقوع القول يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن. قال عبد الله أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع. قالوا: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال؟ قال: يسري عليه ليلاً فيصبحون منه فقراء وينسون لا إله إلا الله ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم، وذلك حين يقع عليهم القول اهـ.

قوله: (في جملة الكفار) يقتضي أن الضمير في عليهم راجع لقريش، وقد أشير إليهم فيما سبق بقوله: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ الخ. فإن هذه الأمثال والتشبيهات لقريش لأن السياق فيهم. قوله: ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ وهي الجساسة. وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد إبهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها وخروج أوصافها عن طور البيان ما لا يخفى، وقد ورد في الحديث أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم عليه السلام لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب.

وروي أن لها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان. وعن ابن جريج، في وصفها: رأس ثور، وعين خنزير، وأذن فيل، وقرن أيل، وعنق نعامة، وصدر أسد، ولون نمر، وخاصرة هرة، وذنب كبش، وخف بعير، وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام. وقال وهب: وجهها وجه الرجل وباقي خلقها خلق الطير. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير إلى أنها رجل والمشهور أنها دابة ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب: وعن أبي هريرة رضي الله عنه: فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب. وعن الحسن رضي لله عنه: لا يتم

الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم

خروجها إلا بعد ثلاثة أيام، وعن علي رضي الله عنه: أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا تخرج كل يوم إلا ثلثها. وعن النبي ﷺ أنه سئل: من أين تخرج الدابة» فقال: «من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى». يعني المسجد الحرام.

وروي أنها تخرج ثلاث خرجات: تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن، ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهراً طويلاً، فبينما الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد، فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة. وقيل: تخرج من الصفا.

وروي: بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم أي: تتحرك تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى، فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن، وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو حتى يسود بها وجهه وتكتب بين عينيه كافر، ثم تقول لهم: أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم، وقال: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «بئس الشعب شعب جياد» مرتين أو ثلاثاً قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى: ﴿تكلمهم﴾ الخ» اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: وروي عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً» واختلف في تعيين هذه الدابة وصفتها ومن أين تخرج اختلافاً كثيراً قد ذكرناه في كتاب التذكرة، نذكره هنا إن شاء الله مستوفى، فأول الأقوال فيها أنها فصيل ناقة صالح وهو أصحها، فإنه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عز وجل. ويروى أنها دابة مزغبة شعراء ذات قوائم طولها ستون ذراعاً، ويقال: إنها الجساسة وهو قول عبد الله بن عمرو. وروى ابن عمر أنها على خلقة الآدميين ورأسها في السحاب وقوائمها في الأرض، وروي أنها جمعت من خلق كل حيوان، واختلف من أي موضع تخرج فقال عبد الله بن عمر: تخرج من جبل الصفا بمكة ينصدع فتخرج منه، وقال: لو شئت أن أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت. وروي في خبر عن النبي ﷺ أن الأرض تنشق عن الدابة وعيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من ناحية المسعى، وأنها تخرج من الصفا فتسم بين عيني المؤمن مؤمن سمة كأنها كوكب دري، وتسم بني عيني الكافر نكتة سوداء كافر. وروي أنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح عليه السلام، وقيل: من أرض الطائف. قال أبو قبيل: ضرب عبد الله بن عمرو أرض الطائف برجله وقال: من هنا تخرج الدابة التي تكلم الناس، وقيل: من بعض أودية تهامة قاله ابن

من جملة كلامها عنا ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي كفار مكة، وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء بعد تكلمهم ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله إلى نوح ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ

عباس، وقيل: من صخرة من شعب أجياد قاله عبد الله بن عمر، وقيل: من بحر سذوم قاله وهب بن منبه. وذكر هذه الأقوال الثلاثة الأخيرة الماوردي في كتابه. قلت: فهذه أقوال الصحابة والتابعين في خروج الدابة وصفتها، وهي ترد قول من قال من المفسرين إن الدابة إنما هي إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر اهـ.

قوله: (تقول لهم) تفسير لتكلمهم، وقوله: (عنا) متعلق بمحذوف أي حال كونها حاكية وناقلة لما تقوله عنا بأن تقول: قال الله إن الناس الخ اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: تقول لهم من جملة كلامها عنا الخ يشير به إلى أنه من الكلام والحديث، ويؤيده قراءة أبي تنبئهم، وقراءة يحيى بن سلام تحدثهم، ويجوز أن يكون بمعنى تجرحهم، ويدل عليه قراءة ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وأبي زرعة والجحدري تكلمهم بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام من الكلم وهو الجرح، وقد قرىء تجرحهم، وقد جاء في الحديث أنها تسم الكافر اهـ.

قوله: ﴿أن الناس﴾ قرأ الكوفيون بفتح أن والباقون بالكسر، فأما الفتح فعلى تقدير الباء أي: بأن الناس، ويدل عليه التصريح بها في قراءة عبد الله بأن الناس، ثم هذه الباء يحتمل أن تكون معدية وأن تكون سببية، وعلى التقديرين يجوز أن يكون تكلمهم بمعنييه من الحديث والجرح أي: تحدثهم بأن الناس أو بسبب أن الناس، أو تجرحهم بأن الناس أي: تسمهم بهذا اللفظ أو تسمهم بسبب انتفاء الإيمان. وأما الكسر فعلى الاستئناف ثم هو محتمل لأن يكون من كلام الله تعالى وهو الظاهر، وأن يكون من كلام الدابة فيعكر عليه بآياتنا، وحاصله: أن تكلمهم إن كان من الحديث، فيجوز أن يكون إما لإجراء تكلمهم مجرى تقول لهم كما جرى عليه الشيخ المصنف، وإما على إضمار القول أي: فتقول كذا وهذا القول تفسير لتكلمهم اهـ كرخي.

قوله: (أي كفار مكة) تبع في هذا التفسير الخازن، وعبارته: يعني تخبر الناس أن أهل مكة لم يوقنوا بالقرآن والبعث اهـ.

وهذا غير ظاهر لأن إخبارها في آخر الزمان للموجودين إذ ذاك بأن أهل مكة الذين كفروا به ﷺ وعاصروه كانوا لا يوقنون لا فائدة فيه، فالأولى حمل الناس على الموجودين وقت خروجها من الكفار كما صنع جمهور المفسرين. قوله: (والنهي عن المنكر) في نسخة بعد هذا، ولا يبقى ولا تائب ولا يؤمن الخ. وقوله: ولا يبقى نائب أي: لا يوجد في ذلك الوقت من ينوب إلى الله أي: يتيقظ من غفلته، ولا تائب أي: لا تقبل توبة تائب من العصاة، ولا يؤمن كافر أي: لا يقبل إيمانه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويوم نحشر﴾ الخ بيان إجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مبادئها بقوله: ﴿وإذا وقع القول عليهم الخ﴾ [النمل: ٨٢]. والمراد بهذا الحشر هو الحشر الخاص بهم

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهم رؤساؤهم المتبوعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أي يجمعون يرد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ أنبيائي ﴿بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟﴾ من جهة تكذيبكم ﴿بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا﴾ فيه إدغام ما الاستفهامية ﴿كُنتُمْ﴾ موصول أي ما الذي ﴿تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ بما أمرتم به ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ حق العذاب ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ أي أشركوا ﴿فَهُمْ لَا

للعذاب بعد الحشر العام لكل الخلق اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من كل أمة﴾ من هذه تبعيضية، وقوله: ﴿ممن يكذب﴾ من هذه بيانية للفوج، وقوله: (وهم رؤساؤهم) تفسير لمن الواقعة بياناً وفي هذا التفسير قصور لأن جميع المكذبين رؤساء أو تابعين حكمهم ما ذكر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فوجاً﴾ الفوج: الجماعة كالقوم وقيدهم الراغب فقال: الفوج الجماعة المارة المسرعة، وكأن هذا هو الأصل ثم اطلق وإن لم يكن مرور ولا إسراع والجمع أفواج: وفؤج اهـ سمين.

قوله: ﴿فهم يوزعون﴾ أي: يحبس أولهم ويوقف حتى يتلاحقون ويجتمعون ثم يساقون، وعن ابن عباس: أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة أي: قدامهم، وهكذا تحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار اهـ أبو السعود.

قوله: (برد آخرهم إلى أولهم) في العبارة قلب وحقها أن يقول برد أولهم على آخرهم كما عبَّر غيره أي: بأن يوقف أولهم حتى يلحقه آخرهم فيجتمعون ثم يساقون. وفي المصباح: وزعته عن الأمر أزعه وزعاً من باب وهب منعته عنه وحبسته، وفي التنزيل: فهو يوزعون أي: يحبس أولهم على آخرهم لأجل تلاحقهم اهـ.

قوله: ﴿أكذبتم بآياتي﴾ استفهام توبيخ وتقريع، وقوله: ﴿أما ذا﴾ أم بمعنى: بل فقط التي للإضراب الانتقالي من توبيخهم على التكذيب إلى توبيخهم على أعمالهم، وما اسم استفهام مبتدأ، وذا اسم موصول كما قال الشارح خبره، وكنتم تعلمون صلة الموصول والعائد محذوف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بآياتي﴾ مفعول كذبتم، فالباء للتعدية أي: أنكرتموها وجحدتموها، وتقدير الشارح للمفعول ليس ضرورياً بل فيه تكلف وتعسف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولم تحيطوا بها علماً﴾ جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب ومؤكدة للإنكار والتوبيخ، أي: أكذبتم بها ببادىء الرأي من غير فهمها والتأمل فيها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أمّاذا﴾ أم: منقطعة كما في السمين، فهي بمعنى بل، وما اسم استفهام أدغمت ميم الأولى في ميم الثانية، وقوله: (فيه إدغام ما الاستفهامية) أي الإدغام فيها أي: إدغام ميم أم في ميمها، وفي نسخة فيه ما الاستفهامية أي: في هذك التركيب ما الاستفهامية. وفي نسخة ما هو مضروب عليه هنا وهو تحريف من الكتبة مدخول على الشارح ليس في حظه وصورته: فيه إدغام إن الشرطية في ما الاستفهامية اهـ شيخنا.

قوله: (حق العذاب) أي: نزل بهم بالفعل وهو كبهم في النار اهـ شيخنا.

يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ إذ لا حجة لهم ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ كغيرهم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي خافوا الخوف المفضي إلى الموت، كما في آية أخرى ﴿فصعق﴾ أو التعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي

قوله: ﴿فهم لا ينطقون﴾ أي بحجة واعتذار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألم يروا﴾ الخ الرؤية هنا قلبية لا بصرية، لأن نفس الليل والنهار وإن كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أنا جعلنا الليل﴾ فيه حذف أي: مظلماً يدل عليه والنهار مبصراً. وفي قفوله: ﴿والنهار مبصراً﴾ حذف أيضاً دل عليه ليسكنوا فيه أي: ليتحركوا فيه أشار له الشارح بقوله: (ليتصرفوا فيه) ففي الكلام احتباك اهـ شيخنا.

قوله: (بمعنى يبصر فيه) أي: ففي الكلام إسناد عقلي من الإسناد إلى الزمان اهـ.

قوله: (ليتصرفوا) أي: ليتحركوا وينتشروا في مصالحهم، إذ هذا هو الذي يقابل السكون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي: الجعل المذكور لآيات أي: دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة. كيف لا وإن من تأمل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه مبنية على حكم تحار في فهمها العقول، ولا يحيط بها إلا الله، وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحياة، وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت بالتيقظ الذي هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وجزم بأن الله تعالى قد جعل هذا أنموذجاً ودليلاً يستدل به على أن سائر الآيات حق نازل من عند الله اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ معطوف على ويوم نحشر داخل معه في حكمه وهو الأمر بذكره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من في السموات ومن في الأرض﴾ أي: من كل من كان حياً ذلك الوقت لم يسبق له موت، أو كان ميتاً لكنه حي في قبره كالأنبياء والشهداء، وقوله: (المفضي إلى الموت) هذا في حق الأحياء، ويزاد عليه فيقال: والمفضي بهم إلى الغشي والإغماء في حق الأموات الأحياء في قبورهم، وقوله: (أي جبريل وميكائيل الخ) استثناء من الفزع المفضي إلى الموت، فهؤلاء لا يموتون بالنفخة الأولى، وإنما يموتون بين النفختين، وقوله: (وعن ابن عباس هم الشهداء) هذا استثناء من الفزع المفضي إلى الغشي أي الإغماء: فالشهداء لا يغشى عليهم بالنفخة الأولى كما سيأتي تحقيقه إلى شاء الله في سورة الزمر.

قوله: (أي خافوا الخوف المفضي إلى الموت) أي: استمر بهم الخوف إلى أن ماتوا به، وقوله: (كما في) آية أخرى سيأتي له في سورة الزمر تفسير الصعق بالموت، فالمراد من الآيتين نفخة واحدة،

جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء إذ هم أحياء عند ربهم

فكأنه قال هنا: ففزع من في السموات ومن في الأرض حتى مات بالفزع، فساوى قوله: فصعق، وغرضه من هذا التأويل الجري على المشهور من أن النفخ مرتان: نفخة الموت وهي هذه، ونفخة البعث الآتية في قوله تعالى: ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ [الزمر: ٦٨] وقيل: إنه ثلاث مرات نفخة الفزع من غير موت التي تكون قبل نفخة الصعق، فيسير الله عندها الجبال تمر مرَّ السحاب فتكون سراباً ثم ترتج الأرض بأهلها، ونفخة الموت، ونفخة الإحياء اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: والصحيح في الصور أنه قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل، وقال مجاهد: كهيئة البوق، وقيل: هو البوق بلغة اليمن، وقد مضى في الانعام بيانه وما للعلماء في ذلك ففزع من في السموات ومن الأرض إلا من شاء الله. قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة»، قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «قرن والله عظيم، والذي بعثني بالحق إن عظم داره فيه كعرض السماء والأرض، فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين» وذكر الحديث. ذكره علي بن معبد، والطبري، والثعلبي وغيرهم، وصححه ابن العربي وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هناك، وأن الصحيح أن النفخ في الصور نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إما أن تكون راجعة إلى نفخة الصعق لأن الأمرين لا زمان لها أي فزعوا فزعاً ماتوا منه، أو إلى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره، فإنه قال في كلامه على هذه الآية: والمراد النفخة الثانية أي: يحيون فزعين يقولون من بعثنا من مرقدنا، ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم ليجتمع الخلق في أرض الجزاء، وقال الماوردي: ويوم ينفخ في الصور هو يوم النشور من القبور. قال: وفي هذا الفزع قولان، أحدهما: أنه الإسراع والإجابة إلى النداء من قولهم: فزعت إليك في كذا أسرعت إلى ندائك في معونتك. القول الثاني: أن الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحذر لأنهم أزعجوا من قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا أشبه القولين. قلت: والسنة الثابتة من حديث أبي هريرة، وحديث عبد الله بن عمر تدل على أنهما نفختان لا ثلاث خرجهما مسلم، وقد ذكرناهما في كتاب التذكرة، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى أنهما نفختان قال الله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ [الزمر: ٦٨] فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفزع، فدل على أنهما واحدة. وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «بين النفختين أربعون سنة. الأولى يميت الله بها كل حي والأخرى يحيي الله بها كل ميت» اهـ.

قوله: (أي جبريل الخ) أي: فهؤلاء الأربعة لا يموتون عند النفخة الأولى كما أن باقي الملائكة تموت عندها، بل يموتون بين النفختين ويحيون قبل الثانية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وعن ابن عباس هم الشهداء) وقيل: هم حملة العرش، وقيل: موسى عليه السلام، وقيل: أهل الجنة من الحور والولدان وأهل النار من الخزنة والزبانية، ولعل المراد ما يعم ذلك لعدم قرينة الخصوص اهـ من البيضاوي.

يرزقون ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه أي وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَتَوْهُ﴾ بصيغة الفعل واسم الفاعل ﴿دَاخِرِينَ ۝٨٧﴾ صاغرين والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسَبُهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾

فهؤلاء كلهم لا يفضي بهم الفزع إلى الغشي والإغماء، بل هو أقل من ذلك. قال القشيري: والأنبياء داخلون في الشهداء لأن لهم الشهادة مع النبوة اهـ كازروني.

قوله: (بصيغة الفعل) أي: الماضي فيقرأ بفتح الهمزة المقصورة، ثم التاء المفتوحة ثم الواو الساكنة. وقوله: (واسم الفاعل) أي: يقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو، وأصله آتونه جمع آت فحذفت النون للإضافة اهـ. شيخنا.

قوله: (صاغرين) أي: صغار ذل وهيبة من الجبار، فيشمل هذا الطائعين والعاصين اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (صاغرين) الصغار في اللغة الذل أو أشده، والمراد به ذل العبودية والرق لا ذل الذنوب والمعاصي، وذلك يعم الخلق كلهم كما في قوله تعالى: ﴿إن كل من السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾ [مريم: ٩٣] اهـ.

وفي القاموس: دخر الشخص كمنع وفرح دخراً ودخوراً صغر وذل وأدخرته بالألف للتعدية اهـ.

قوله: (والتعبير في الإتيان بالماضي) أي: إذا قرىء بصيغة الفعل الماضي وهي القراءة الأولى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وترى الجبال﴾ معطوف على ينفخ، وقوله: ﴿تحسبها﴾ حال من الجبال، وقوله: ﴿جامدة﴾ مفعول ثان، وقوله: ﴿وهي تمر الخ﴾ حال من جامدة اهـ شيخنا.

قوله: (وقت النفخة) عبارة أبي السعود: وهذا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض، ويغير هيئتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر، وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكون بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعي﴾ [طه: ١٠٧] وقوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾ [إبراهيم: ٤٨] فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل عليه السلام، وبروز الخلق لله تعالى لا يكون إلا بعد النفخة الثانية. وقالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال﴾ [الكهف: ٤٧] ﴿وترى الأرض بارزة﴾ [الكهف: ٤٧] ﴿وحشرناهم﴾ [الكهف: ٤٧] أن صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلاً للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك هذا، وقد قيل إن المراد بالنفخة هي النفخة الأولى، والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله: ﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ [الزمر: ٦٨] الخ فيختص أثرها بمن كان حياً عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الأمم، وجوز أن يراد بإتيان داخرين، ورجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادهم له، ولا وريب في أن ذلك مما ينبغي أن تنزه ساحة التنزيل عن أمثاله، وأبعد من هذا ما قيل: إن المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق، وهي التي أريد بقوله تعالى: ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة

المطر إذا ضربته الريح، أي تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبسوسة، ثم تصير كالعهن، ثم تصير هباء منثوراً ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله، أي صنع الله ذلك صنعاً ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ﴾ أحكم ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ بالياء والتاء أي أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي لا إله إلا الله يوم القيامة ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ﴾ ثواب ﴿مِّنْهَا﴾ أي بسببها وليس للتفضيل إذ لا فعل خير منها، وفي

واحدة ما لها من فواق﴾ [ص: ١٥] فيسير الله هذه الجبال فتمر مر السحاب فتكون سراباً وترج الأرض بأهلها رجاً، فتكون كالسفينة الموثقة في البحر أو كالقنديل المعلق تحركه الرياح، فإنه مما لا ارتباط له بالمقام قطعاً، والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سيأتي من قوله تعالى: ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ اهـ.

قوله: (لعظمها) وذلك لأن الاجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها اهـ بيضاوي.

وعبارة الخازن: وذلك أن كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقسر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين أطرافه، فهو يحسبه الناظر واقفاً وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه اهـ.

قوله: (المطر) قال القاري: هذا التفسير لا يوافق اللغة ولا المعقول ولا المنقول، فالصواب إبقاء اللفظ على ظاهره اهـ.

قوله: (حتى تقع) أي: الجبال على الأرض فتستوي أي: الأرض بها أي: الجبال، وقوله: مبثوثة حال من الجبال أي: مفتتة كالرمل السائل، ثم تصير كالعهن أي: الصوف المندوف فتطيرها الرياح، ثم تصير هباء أي: غباراً لطيفاً منثوراً أي: متفرقاً فلا استقرار لها ولا اجتماع بل تضيعها الرياح اهـ شيخنا.

قوله: (مؤكد لمضمون الجملة قبله) فإن ما تقدم من نفخ الصور المؤدي إلى الفزع العام وحضور الكل الموقف وما فعل بالجبال إنما هو من صنع الله لا يحتمل غيره اهـ زاده.

قوله: ﴿الذي أتقن كل شيء﴾ الإتقان: الإتيان بالشيء على أكمل حالاته وهو مأخوذ من قولهم: تقن أرضه إذا ساق إليها الماء الخاثر بالطين لتصلح للزراعة، وأرض تقنة والتقن فعل ذلك بها، والتقن أيضاً ما رمي به في الغدير من ذلك أو الأرض اهـ سمين.

قوله: (أي أعداؤه الخ) تفسير للواو في يفعلون.

قوله: ﴿بالحسنة﴾ الباء للملابسة أي: جاء ملتبساً بها وموصوفاً بكونه من أهلها بأن مات على الإيمان، وليس المراد أنه يذكرها في القيامة اهـ شيخنا.

وقوله: (يوم القيامة) ظرف لجاء. قوله: (أي لا إله إلا الله) وقيل: الحسنة كل طاعة عملها العبد لله تعالى اهـ خازن.

آية أخرى عشر أمثالها ﴿وَهُم﴾ أي الجاؤون بها ﴿مِّن فَزَعٍ يَوۡمَئِذٍ﴾ بالإضافة وكسر الميم وفتحها وفزع منوناً وفتح الميم ﴿ءَامِنُونَ ۝٨٩﴾ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي الشرك ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تبكيتاً ﴿هَلۡ﴾ أي ما ﴿تُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٩٠﴾ من الشرك والمعاصي قل لهم ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ أي مكة ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي جعلها حرماً آمناً لا يسفك فيها دم

قوله: (أي بسببها) أي: فمن سببية. قوله: (وليس للتفضيل) أي: وليس خيراً أفعل تفضيل، إذ لو كان كذلك لكان المعنى فله أخير وأفضل منها أي: فله عبادة أفضل منها أي: الحسنة المذكورة مع أنها هي أفضل الأعمال والأفعال. هذا ما أشار له بقوله: (إذ لا فعل خير منها) أي: إذ لا طاعة أفضل من لا إله إلا الله اهـ.

قوله: ﴿وهم﴾ مبتدأ وقوله: ﴿آمنون﴾ خبر. قوله: (بالإضافة) أي: إضافة فزع إلى يوم، وقوله: (وكسر الميم) أي: كسرة إعراب، وقوله: (وفتحها) أي: الميم أي: فتحة بناء لإضافة يوم إلى المبني، وهذا معطوف على كسر الميم فهو قراءة ثانية في الإضافة أي: فإذا قرىء بإضافة فزع إلى يوم جاز في الميم كسرها وفتحها قراءتان سبعيتان، وقوله: (وفزع منوناً) معطوف على بالإضافة أي: ويقرأ بفزع منوناً وفتح الميم لا غير، فهذه قراءة ثالثة سبعية أيضاً، ولو عبَّر بأو لكان أوضح بأن فزع منوناً إلا أن يقال الواو بمعنى أو، وقوله: وفتح الميم أي: أنه ظرف لآمنون أو لمحذوف هو صفة للفزع أي: فزع كائن يومئذ، والتنوين في يومئذ عوض عن جملة محذوفة أي: يوم إذ جاؤوا بالحسنة اهـ شيخنا.

فإن قلت: كيف نفى الفزع هنا، وقد قال قبله: ﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾ [النمل: ٨٧]؟ قلت: إن الفزع الأول هو ما لا يخلو عنه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة، وإن كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر إليه، وأما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه، وأما ما يلحق الإنسان من الرعب عند مشاهدة الأهوال فلا ينفك منه أحد اهـ خازن.

قوله: ﴿فكبّت وجوههم في النار﴾ أي: ألقوا فيها عليها، وقوله: (بأن وليتها) للضمير المستتر للوجوه والبارز للنار أو عكسه احتمالاً كل منها جائز اهـ شيخنا.

قوله: (لأنها موضع الشرف) أي: الأشرف أو هو بمعنى الشريف اهـ شيخنا.

قوله: (ويقال لهم) أي: وقت كبهم على وجوههم في النار أي: تقول لهم خزنة جهنم ولو قال مقولاً لهم الخ لكان أوضح، لأن قوله: ﴿هل تجزون﴾ في محل نصب على الحال من الهاء في وجوههم أي: كبت وجوههم في حال كونهم مقولاً لهم الخ اهـ شيخنا.

قوله: (قل لهم) ﴿إنما أمرت﴾ الخ أمر بأن يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم أحوال المبدأ والمعاد تنبيهاً لهم على أنه قد تم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه، ولم يبق لهم بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا أو رشدوا أصلحوا أو أفسدوا ليحملهم ذلك على أن يهتموا بأمر أنفسهم ويشتغلوا بالتدبير فيما شاهدوه من الآيات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذي حرمها﴾ هذه قراءة الجمهور صفة لرب، وقرأ ابن مسعود، وابن عباس التي صفة

إنسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصطاد صيدها ولا يختلى خلاها، وذلك من النعم على قريش أهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ لله بتوحيده ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ له ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي لأجلها فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فَقُلْ﴾ له ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ المخوفين فليس علي إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتل ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾

للبلدة والسياق إنما هو للرب لا للبلدة، فلذلك كانت قراءة العامة واضحة ولا يعارضه قوله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة» لأن إسناد تحريمها إلى الله لأنه بقضائه وحكمه، وإسناده إلى إبراهيم لأنه مظهره أي: بمعنى اخباره، وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لهم وتعظيم لشأنها، فلا ينافي قوله: ﴿وله كل شيء﴾ اهـ كرخي.

قوله: (ولا يختلى) أي: يقطع خلاها بالقصر هو الحشيش ما دام رطباً، فإذا يبس قيل له حشيش فقط اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أي: أن أثبت على ما كتبت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الإسلام المنقادين لها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وأن أتلو القرآن﴾ أي: أواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعيفه شيئاً فشيئاً، أو على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الإرشاد فيكون ذلك تنبيهاً على كفايته في الهداية والإرشاد من غير حاجة إلى إظهار معجزة أخرى، فمعنى قوله: ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ حينئذ فمن اهتدى بالإيمان به والعمل بما فيه من الشرائع والأحكام، وعلى الأول فمن اهتدى باتباعه إياي فيما ذكر من العبادة والإسلام وتلاوة القرآن، فإنما منافع اهتدائه عائدة إليه لا إلي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فمن اهتدى﴾ (له) أي: للإيمان بدليل قوله: ﴿ومن ضل عن الإيمان﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فقل﴾ (له) ﴿إنما أنا من المنذرين﴾ أشار بهذه إلى أن جواب ومن ضل هو ما بعده، والرابط محذوف كما قدره، وهذا أظهر من جعل الجواب محذوفاً أي: فوبال ضلاله عليه اهـ كرخي.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: فهو منسوخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقل الحمد لله﴾ أي: على ما أفاض عليَّ من نعمائه التي أجلها النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية، ووفقني لتحمل أعبائها وتبليغ أحكامها إلى كافة الورى اهـ أبو السعود.

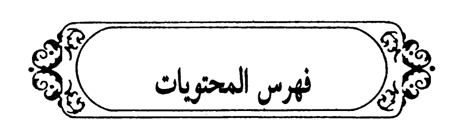
قوله: ﴿ سيريكم آياته﴾ هذا من جملة الكلام المأمور بقوله: أي سيريكم الله في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن اهـ أبو السعود.

فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ بالياء والتاء، وإنما يمهلهم لوقتهم.

قوله: (وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم) قيل: إن الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم، وقال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم على المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم اهـ من الخازن في سورة الأنفال.

قوله: ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ كلام مسوق من جهته تعالى مقرر لما قبله. وقوله: (بالياء) وعلى هذه القراءة فهو وعيد محض أي: ما ربك بغافل عن أعمالهم فلا تحسب أن تأخير عذابهم لغفلته عن أعمالهم السيئة، وقوله: (والتاء) وعلى هذه القراءة فهو وعد للطائعين ووعيد للعاصين، أي: وما ربك بغافل عما تعمله أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفار من السيئات فيجازي كلاً بعمله لا محالة اهـ أبو السعود.

تم بعونه تعالى الجزء الخامس ويبدأ الجزء السادس وأوله سورة القصص.



فهرس المحتويات

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل